تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة آية الله

أبي محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد الثالث والثلاثون

شبكة الفكر
alfeker.net

*** هوية الكتاب**

الكتاب:	تفسير البصائر
المجلّد:	الثالث والثلا ثون
المؤلّف:	الأستاذ المحقّق سماحة الحجّة آية الله يعسوب الدّين رستگار الجويباري
الناشر:	المؤلّف
زينغراف:	كرماني
المطبعة:	فروردين
الكمّيّة:	٢٢٠٠ نسخة
سنة الطبع:	١٤١٤ هـ ق
عدد الصّفحات:	١٠٨٨
السّعر:	١٠٠٠٠ ريالاً
الطبعة:	الاولى
تنذيف الحروف:	كامپ ست مؤسّسة المعارف الاسلامية قم، شارع ارم ـ سوق القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اَبْصَرَ
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها

الانعام : ١٠٤

كتاب علمي، فني، أدبي، فقهي، ديني، تاريخي، أخلاقي، اجتماعي، سياسي، روائي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن، مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه، واسراره الكونية والتشريعية، وفريد في بابه، يبحث فيه عن العقل والنقل

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ

عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ
مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ
إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ
يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ
وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ
حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي
لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن

تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ
١٤ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ
ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن
تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ
ٱلۡمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾
وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم
مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ

شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ
عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ
فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾
هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ

إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

﴿فضلها وخواصها﴾

روى **الصدوق** رحمة الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «للحمدين جميعاً ـ حمد سبأ وحمد فاطر ـ من قرأهما في ليله (ليلة خ) لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلائته، فان قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه واعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه، ولم يبلغ بمناه».

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، وآية الله البروجردي في جامع أحاديث الشيعة.

وقد تقدّم منّا كلام في هذه الرواية بالنسبة إلى نفس السورة في سورة «سبأ» فان شئت فراجع!

وفي المجمع: ابيّ بن كعب عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة أبواب من الجنّة أن ادخل من أيّ الأبواب شئت».

أقول: رواه الحويزي في نورالثقلين وآية الله البروجردي في الجامع.

وفي البرهان: روي عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ هذه السورة يريد بها ماعند الله تعالى نادته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنّة، وكل باب يقول: هلمّ! ادخل منّي إلى الجنة، فيدخل من أيّها شآء» وذلك لمن آمن بالله وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم واليوم الآخر..

قال الله عزّوجل: «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان

سعيهم مشكوراً كلاً نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطآء ربك وما كان عطآء ربك محظوراً». الاسراء: ١٩ - ٢٠)

وأما الجمع بين «ثلاثة أبواب» و«ثمانية أبواب» فيمكن بوجوه:

منها: ان من قرأ هذه السورة متدبّراً فيها، مخلصاً ومريداً لوجه الله جل وعلا فقط من غير طمع في الجنة، دعته ثلاثة أبوابها إلى دخولها منها، على أن هذه الثلاثة هي أبواب يدخل منها المخلصون في الجنة: «ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون» الروم: ٣٨) فتلك الأبواب أعلى درجة من بعض سائر أبواب الجنة، و إن كان فوقها أبواب يدخل منها الأنبياء والمرسلون والأوصيآء والمقرّبون في الجنة. ومن قرأها من غيرتدبّر فيها، وهو يريد بها الجنّة فنادته ثمانية أبواب الجنة أن يدخل فيها من أيّ باب شئت من غير تفضيل بعض أبوابها على بعض: «ومن يريد ثواب الآخرة نؤته منها». آل عمران: ١٤٥)

ومنها: العكس بالعكس وغيرهما من الوجوه تركناها للاختصار فتأمل جيداً واغتنم جداً.

وفي الجامع: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ هذه السورة (أي الملائكة ظ) دعته ثماني أبواب الجنة إلى نفسها ويقول كل باب: ادخل منّي».

وفي البرهان: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال - في حديث -: «وكتبها (هذه السورة) في قارورة وجعلها في حجر من شآء من الناس لم يقدر أن يقوم من مكانه حتى ينزعها من حجره باذن الله تعالى وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من كتبها وتركها في قارورة خشب وتركها في حجر من أراد من الناس بحيث لايعلم به لم يقدر أن يقوم حتى ينزعها».

وفيه: وقال الصادق عليه السّلام: «من كتبها في قارورة وأحرز ما عليها وجعلها مع من أراد لم يخرج من مكانه حتّى يرفعها عنه، وإن تركها في حجر رجل على غفلة لم يقدر أن يقوم من موضعه حتّى يرفع عنه باذن الله تعالى».

أقول: وفي الروايات سنداً ما لايخفى على من له الدراية، ولكن من غير بعيد أن تكون من خواص السورة مع إجتماع شرائطها ما ورد فيها كيف لا والله تعالى يقول: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكرون» الحشر: ٢١)؟

وفيه: الشيخ في مجالسه باسناده عن معاوية بن وهب قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام قال: فصدع إبن لرجل من أهل مرو وهوعنده جالس، قال: فشكى ذلك إلى أبي عبدالله عليه السّلام قال: ادنه منّي! قال: فمسح على رأسه ثم تلا: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً».

وفيه: عنه في التهذيب باسناده ـ عن إبن يقطين قال: قال أبوعبدالله: من أصابته زلزلة فليقرأ: «يا من يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً صلّ على محمّد وآل محمّد وأمسك عنّي السوء انك على كل شيء قدير قال: من قرأها عند النوم لم يسقط عليه البيت إن شاء الله».

وفيه: وقال الشيخ أيضاً: روى العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عن أبيه عليه السّلام قال: لم يقل أحد قط إذا أراد أن ينام: «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً» فسقط عليه البيت ومن وصايا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمير المؤمنين علي عليه السّلام ـ في حديث طويل ـ: «يا عليّ! أمان لامّتي من الهدم: إنّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً».

وفي تفسير المراغي: وأخرج ابن المنذر عن عامربن عبدقيس قال: أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتهن فما ابالى ما أصبح عليه وأمسى: ١ ـ «مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها و مايمسك فلامرسل له من بعده» ٢ ـ «وإن يمسسك الله بضرّ

فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخير فلاراد لفضله» ٣ ـ «سيجعل الله بعد عسر يُسراً» ٤ ـ «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها» رواه السّيوطى في الدر المنثور.

﴿الغرض﴾

غرض السورة لفت نظر الانسان إلى الكون ونواميسه للبرهنة على وحدانية الله عز وجل في خلقه وتدبيره، ودعوتهم إلى الحق، وإستحقاقه وحده للخشية والعبادة، فان كل واحد منهم يواجه بدائع صنع الله جل وعلا وآثار علمه وحكمته، آثار تدبيره وقدرته، آثار جلاله وعظمته، وآثار عزّه ورحمته في اطوار الكون وفي اغوار النفس، وفي حياة البشر كلّها، وفي احداث التاريخ جميعها، وإن الانسان إذا تفكّر مليّاً يرى ويلمس في تلك البدائع والآثار وحدة الخالق، وحدة الناموس، وحدة التدبير، وحدة القدرة، وحدة الحكمة، وحدة العلم، وحدة الحق، وحدة المعبود، ووحدة اليد الصانعة المبدعة القوية القديرة فتأخذ على النّفس أقطارها، وتهتف بالقلب البشرى في كل مطلع إلى الايمان والخشوع والاذعان والسمة البارزة الملحوظة في تلك الايقاعات والآثار..

هي تجميع الخيوط كلّها في يد القدرة المبدعة، وإظهار هذه اليد تحرّك الخيوط كلها، تجمعها وتقبضها وتبسطها وتشدّها وترخيها بلاشريك في خلقه وتدبيره، ولاظهير في علمه وحكمته، ولاوزير في سلطانه وقدرته، ولامعقّب في حكمه وأمره...

فتمضي السورة في ايقاعات تتوالى على القلب البشرى من بدئها إلى ختامها... ايقاعات موحية مؤثرة تهزّه هزاً، وتوقظه من غفلته ليتأمّل عظمة هذا الوجود، وروعة هذا الكون، وليتدبّر آيات الله عزّوجل المبثوثة في تضاعيفه المتناثرة في صفحاته، وليتذكّر آلآء الله تعالى ويشعرْ برحمته ورعايته، وليتصور مصارع الغابرين في الأرض، ومشاهدهم يوم القيامة وليخشع ويعنو.

فتدور السورة حول العقيدة السليمة من وصف لله جل وعلا بما يليق، ومن خطاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما يثبت قلبه، ومن لفت أنظار الناس إلى الكون، ومافيه من آيات تدل على قدرة الله تعالى على الخلق والبعث، وفيها إنذار للناس وتنويه بالمؤمنين المخلصين وتنديد بالكافرين وتهديد و وعيد على المشركين، وبيان مصير كل منهم، و إشارة إلى تمنّى العرب بعثة رسول فيهم، والأسباب التي جعلتهم يناوئون النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم حينما بعثه الله عزوجل وقد تكرّرت في السورة تسلية النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم مما يلقاه من تكذيب المشركين مما يدلّ على أنّها نزلت في ظروف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها حزيناً شديد الحسرة.

وان السورة شطران: أحدهما ـ عام التوجيه. ثانيها ـ موجه للكفار السامعين. وآيات كل من الشطرين منسجمة كما أنّه ليس بينهما إنفصال وتغاير بحيث يسوغ القول: ان فصول السورة نزلت متلاحقة حتى تمّت. وفي السورة إشارة إجمالية إلى اصول الدين الخمسة: التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد، سيأتي البحث في البيان والتناسب فانتظر.

﴿النزول﴾

سورة «الملائكة» مكّيّة نزلت بعد سورة «الفرقان» وقبل سورة «مريم» و هي السورة الثالثة والأربعون نزولاً، والخامسة والثلاثون مصحفاً، و تشتمل على خمس وأربعين آية، سبقت عليها (١٢٢٢) آية نزولاً، و (٣٦٦٠) آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على (٩٧٠) كلمة، وقيل: (٧٩٧) كلمة، وقيل: (٧٧٧) كلمة، وقيل: (١٩٧) كلمة، وعلى (٣١٣٠) حرفاً على ما في بعض التفاسير.

ولهذه السورة إسمان:

أحدهما ـ الملائكة سمّيت بها لما جآء فيها من خلقهم، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد الدال على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته، أو لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم من جهة أخذهم الفيض عن الله عزّ وجل وايصاله إلى خلقه، فانهم وسائط الرحمة الالهية والنعمة الموهوبة على الخلائق كلّهم، وخاصّة الانسان، فافتتح السورة بذكرهم.

ثانيها ـ فاطر سميّت به لذكر هذا الاسم الجليل والنعت الجميل في طليعتها، يدور على معناه غرض السورة.

في تفسير الجلالين: «نزل في أبي جهل وغيره: أفمن زُيّنَ له سوء عمله».

وفي الجامع لأحكام القرآن: «إنّها نزلت في العاص بن وآئل السهمي والأسود بن المطلب».

وفي تفسير القمي: في قوله: «أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً فانّ الله يضلّ من

يشاء ويهدي من يشآء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون» قال: نزلت في زريق وحبتر.

أقول: زريق وحبتر كناية عن الأوّل والثاني وهما من أظهر مصاديق الذين زين لهم سوء أعمالهم...

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني باسناده عن إبن عباس في قول الله تعالى: «وما يستوي الأعمى» قال أبوجهل ابن هشام «والبصير» قال: عليّ بن أبيطالب، ثم قال: «ولاالظلمات» يعني أبوجهل المظلم قلبه بالشرك «ولاالنور» يعني قلب عليّ المملؤ من النور، ثم قال: «ولاالظل يعني بذلك مستقرّعلي في الجنة «ولاالحرور» يعني به مستقرّ أبي جهل في جهنّم ثم جمعهم فقال: «ومايستوى الأحيآء ولاالأموات» كفار مكّة.

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس في قوله: «انك لا تسمع الموتى» «وما أنت بمسمع من في القبور» قال: كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقف على القتلى يوم بدر ويقول: هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً يا فلان بن فلان؟ ألم تكفر بربك ؟ ألم تكذّب نبيّك ؟ ألم تقطع رحمك ؟ فقالوا: يا رسول الله! أيسمعون ماتقول؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم لما أقول، فأنزل الله: «انك لا تسمع الموتى» «وما أنت بمسمع من في القبور» ومثل ضربه الله للكفار أنّهم لايسمعون لقوله.

أقول: لايخفى على من له الدراية ما في الرواية من لوائح الوضع.

فساحة النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أجلّ من أن يقول ما ليس له به علم من ربه حتى ينزّل الله تعالى عليه آية تكذّبه فيا يدّعيه ويخبر به، مع أن مانقله من الآية لايطابق المصحف، فان صدره مأخوذ من سورة النمل الآية: ٨٠) وذيله مأخوذ من سورة فاطر الآية: ٢٢). ومع أن الآيتين مكيتان وكانت قضيّة بدر بالمدينة المنوّرة.

وفي شواهد التنزيل: باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» قال: يعني علياً كان يخشى الله ويراقبه.

وفيه: باسناده عن ابن عباس قال في قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»: العلماء بالله الذين يخافونه عزّ وجل.

وفي الدر المنثور وأسباب النزول للسيوطي عن ابن عباس: أن حصين بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي نزلت فيه: «اِنّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة» الآية.

وفي شواهد التنزيل: باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين قال: «إنّي لجالس عنده إذ جآءه رجلان من أهل العراق، فقالا: يابن رسول الله! جئناك كي تخبرنا عن آيات من القرآن؟ فقال: وما هي؟ قالا: قول الله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا» فقال: يا أهل العراق وأيّش يقولون؟ قالا: يقولون: إنّها نزلت في امّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال عليّ بن الحسين: امّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم إذاً في الجنّة؟! قال: فقلت من بين القوم: يابن رسول الله فيمن نزلت؟ فقال: نزلت والله فينا أهل البيت ـ ثلاث مرّات ـ قلت: أخبرنا من فيكم الظالم لنفسه؟ قال: الذي استوت حسناته وسيئاته ـ وهو في الجنّة ـ فقلت: والمقتصد؟ قال: العابد لله في بيته حتّى يأتيه اليقين، فقلت: السابق بالخيرات؟ قال: من شهر سيفه و عا إلى سبيل ربه».

وفيه: باسناده عن زيد بن عليّ في قوله: «ثم أورثنا الكتاب» الآية... قال: «الظالم لنفسه» المختلط منّا بالناس «والمقتصد»: العابد «والسابق»: «الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه».

وفيه: عن عبد خير عن عليّ قال: «سئلت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تفسير هذه الآية: فقال: هم ذرّيتك وولدك، إذا كان يوم القيامة خرجوا من قبورهم على ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه يعني الميّت بغير توبة، ومنهم مقتصد إستوت حسناته وسيئاته من ذرّيتك، ومنهم سابق بالخيرات من زادت حسناته على سيّئاته من ذريتك».

وفي تفسير الصافي: وعن الصادق عليه السّلام ان فاطمة عليها السّلام لعظمها على الله حرّم الله ذريّتها على النار وفيهم نزلت: «ثم أورثنا الكتاب» ثم فسّر الفرق الثلاث بما مرّ.

وفي المناقب: عنه عليه السّلام نزلت في حقنا وحق ذرياتنا.

وفي رواية عنه عن ابيه عليهما السلام: «هي لنا خاصّة وايّانا أعني».

وفي معاني الأخبار: «عنه عليه السّلام انه سُئِلَ عنها؟ فقال: نزلت فينا أهل البيت فقيل: فمن الظالم لنفسه؟ قيل: من استوت حسناته وسيّئاته منّا أهل البيت فهو الظالم لنفسه، فقيل: من المقتصد منكم؟ قال: العابد لله في الحالين حتّى يأتيه اليقين، فقيل: فمن السابق منكم بالخيرات؟ قال: من دعا والله إلى سبيل ربّه وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولم يكن للمضلّين عضداً ولا للخائنين خصيماً ولم يرض بحكم الفاسقين إلّا من خاف على نفسه ودينه ولم يجد أعواناً».

وفي الدر المنثور: عن قتادة في قوله تعالى: أولم نعمّركم مايتذكر فيه من تذكر...» الاية قال: اعلموا أنّ طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر قال: نزلت وان فيهم لابن ثمان عشرة سنة وفي قوله: «وجآءكم النذير» قال: احتجّ عليهم بالعمر والرسل.

وفي الدر المنثور وأسباب النزول للسيوطي عن عبدالله بن أبي أو فى قال: قال رجل للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا رسول الله! إنّ النوم مما يقرّبه أعيننا في الدنيا، فهل في الجنّة من نوم؟ قال: لا، إنّ النوم شريك الموت، وليس في الجنّة موت، قال: يا رسول الله! فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة، فنزلت: «لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب».

وفيها عن ابن أبي هلال: «أنّه بلغه أنّ قريشاً كانت تقول: لو أنّ الله بعث منّا نبيّاً ماكانت امّة من الامم أطوع لخالقها، ولاأسمع لنبيّها، ولاأشدّ تمسّكاً بكتابها منّا فأنزل الله: «وإن كانوا ليقولون لو أنّ عندنا ذكراً من الأوّلين» و «لو أنّا أُنزل

علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم» «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم» وكانت اليهود تستفتح به على النصارى، فيقولون: إنّا نجد نبيّاً يخرج».

وفي الجامع لاحكام القرآن: «قال الكلبي: لمّا قالت اليهود: عزير ابن الله وقالت النصارى: المسيح ابن الله، كادت السموات والأرض أن تزولا عن أمكنتها، فمنعها الله، وأنزل هذه الآية: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا...» فيه.

﴿القرائة﴾

قرأ الكوفيّون غيرعاصم وأبوجعفر: «غير الله» بخفض الرآء، نعتاً على لفظ «من خالق» وهو في موضع رفع على المبتداء، و «يرزقكم من السماء والأرض» في موضع رفع على الخبر. وقرأ الباقون برفع الرآء لوجوه: أحدها ـ أن يكون خبر المبتدآء. ثانيها ـ أن يكون «غير الله» نعتاً على موضع «من خالق» لأنّ محله الرفع، مبتدآء، فكان الخبر مقدّراً، فتقديره: «هل خالق غير الله في الوجود أو العالم» ثالثها ـ أن يكون «غير» إستثنآء، والخبر مقدّر كأنّه قال: «هل من خالق إلّا الله» والدليل على جواز الاستثناء قوله: «ما من إله إلّا الله».

وقرأ حفص وعاصم «تُرجَعُ» بضمّ التآء مبنيّاً للمفعول، و«الامور» بضمّ الرآء، نآئب الفاعل، وقرأ حمزة «تَرجِعُ» مبنيّاً للفاعل، ثلاثيّاً، و«الامور» بالرفع، فاعل الفعل.

وقرأ أبوجعفر «فلا تذهب» بضمّ التآء وكسر الهآء من باب الإفعال، و«نفسك» منصوب على المفعول به والآخرون بفتح التآء و الهآء من الذهاب، و«نفسك» مرفوعاً على الفاعل.

قرأ ابن كثير وحمزة «الريح» على التوحيد، والباقون: «الرياح» على الجمع.

قرأ حفص ونافع «ميّت» بتشديد اليآء، والباقون «مَيْت» بالتخفيف.

قرأ الحسن وابن سيرين «ولاينقص» بفتح اليآء وضمّ القاف مبنيّاً للفاعل على تقدير: «ولا ينقص الله من عمره» أو «ولاينقص من عمره شيء» والباقون بالعكس

مبنياً للمفعول والقرآءة المشهورة هي أوفق لقوله: «ومايعمّر من معمّر».

قرأ الكسائي «والذين يدعون» بيآء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب، وهي القرآءة المشهورة، وهي الأوفق للسياق.

قرأ نافع «نكيري» باثبات الياء وصلاً دون الوقف، وأثبتها يعقوب في الحالين، وحذفها الباقون في الحالين.

قرأ أبوعمرو «يدخلونها» بضمّ اليآء وفتح الخآء مجهولاً ليشاكل قوله تعالى: «يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً» قدّم في سورة الحج: ٢٣) والباقون بالعكس مبنياً للفاعل، فانهم إذا ادخلوا فيها دخلوا، وقرأ نافع وعاصم «ولؤلؤاً» بالنصب على تقدير: «يحلّون لؤلؤاً» أو بالعطف على موضع «من أساور» لأن المعنى: «يحلون اساور» والباقون بالخفض عطفاً على «من أساور» وترك أبوعمرو إذا خفف الهمزة الاولى من «لؤلؤاً» و «اللؤلؤ» و «لؤلؤاً» في جميع القرآن الكريم، وحمزة إذا وقف سهل الهمزتين على أصله، وهشام يسهل الثانية في غير النصب على أصله أيضاً، والباقون يحققونها.

قرأ الحسن «فيموتون» بنون الرفع عطفا على «يُقضىٰ» فالتقدير: «لايُقضىٰ عليهم ولايموتون».

كقوله تعالى: «ولايُؤذن لهم فيعتذرون» المرسلات: ٢٦) فلايكون للنفي حينئذ جواب، وقرأ الباقون «فيموتوا» على أنّه جواب للنفي، فمنصوب بـ«أن» مقدرة. وقرأ أبوعمرو «يجزي» بضمّ اليآء وفتح الزآء مبنياً للمفعول، وكل بالرفع نيابة عن الفاعل، والدليل على ذلك ماقبله: «لايُقضى عليهم ـ ولايخفّف عنهم» مبنيّين للمفعول، وقرأ الباقون «نجزي» على التكلم مع الغير، ثلا ثياً، مبنياً للفاعل، بناءً على أنّ هذا إخبار من الله تعالى عن نفسه على وجه التعظيم، و«كل» بالفتح على المفعولية.

قرأ أبوعمرو وابن كثير وحمزة وحفص «على بيّنة» بالافراد بنآءاً على أنّه ما في الكتاب أو ما يأتي به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بيّنة كما قال: «إنّي على بيّنة

من ربي» الأنعام: ٥٧) وقرأ الباقون «على بيّنات» بالجمع وذلك ان لكل نبيّ بيّنة، فاذا جمعوا جمعت البيّنة بجمعهم على أنّ في الكتاب ضروباً من البيّنة فجمع لذلك.

قرأ حمزة «مكر السّيئ» باسكان الهمزة وصلاً لئلاّ تتوالى الحركات تخفيفاً كما سكّن أبوعمر وهمزة «بارئكم» البقرة: ٥٤) وإذا وقف أبدل لها يآءً ساكنة لسكونها وإنكسار ماقبلها، وقرأ الباقون بخفضها وصلاً، ويجوز رومها واسكانها وقفاً، وقرأ ابن مسعود «مكراً سيّئاً».

قرأ نافع «يواخذ» بالواو بدون همزة وصلاً ووقفاً، والباقون بالواو مع الهمزة إلّا حمزة في حال الوقف. وقرأ نافع «يوخّرهم» بالواو بلاهمزة والباقون مع الهمزة.

﴿الوقف والوصل﴾

«رباط» لتمام الكلام، وإن كان التالي في موضع النعت للسابق «يشآء ط» لاستيناف التالي، وإن كان في موضع التعليل «لها ج» لتمام الكلام وعطف التالى «يُمسك لا» للجواب التالي «من بعده ط» لتمام الكلام «عليكم ط» لاستفهام التالى «والأرض ط» لاستيناف التالى «هو ز» للاستفهام وفاء التعقيب واتحاد المعنى «قبلك ط» لاستيناف التالي «الدنيا قف» يستحبّ الوقف، من غير حرج في الوصل لاحتمال العطف «عدوّاً ط» لاستيناف التالي «السعير ط» لأنّ الذين مبتداء «شديد ط» كالسابق، «كبير ع» علامة انتهآء الركوع وهو الحصّة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين.

«حسناً ط» لحذف الجواب «من يشآء ز» لفاء التعقيب وللنهي ولكن الوصل أولى لاتحاد المعني «حسرات ط» لاستيناف التالي «موتها ط» كالسابق «جميعاً ط» لابتداء الكلام التالي «يرفعه ط» لواو الاستيناف، «شديد ط» كالسابق «يبورى» علامة العشر توضع عند انتهآء عشر آيات.

«أزواجاً ط» لتمام الكلام «بعلمه ط» كالسابق «في كتاب ط» لاستيناف التالي «البحران ق» علامة الوقف الذي قال به بعض العلمآء «اجاج ط» لتمام الكلام «تلبسونها ج» لانقطاع النظم واتّفاق المعنى، «في الليل لا» للعطف التالي «القمر ز» لتمام الكلام واحتمال الوصف والحال «مسمّى ط» لاستيناف التالي، «الملك ط» كالسابق «من قطمير ط» لابتدآء التالي «دعآءكم ج» للشرط مع

العطف «لكم ط» لتمام الكلام «بشرككم ط» كالسابق «خبيرع» «إلى الله ج» لا تفاق الجملتين مع حسن الفصل بين وصفي الخالق والمخلوق «جديد ج» لاحتمال مابعده الاستئناف والحال «اخرى ط» للشرط التالي «ذاقربى ط» لاستيناف التالي «الصّلاة ط» للشرط التالي «لنفسه ط» لاستيناف التالي.

«البصير لا» لمكان العطف «النور لا» كالسابق «الحرورج» للطول والتكرار «الأموات ط» لاستيناف التالي «يشآء ج» للعطف من الا ثبات إلى النفي مع اتفاق الجملتين «القبورط» لمكان النفي التالي «نذيراً ط» كالسابق «من قبلهم ج» لاحتمال مابعده الحال والاستئناف «مآءً ج» للعدول «ألوانها ط» الاولى لتمام الكلام «كذلك ط» لحصر التالي «العلمآء ط» لابتدآء التالي «لن تبور لا» للتعليل التالي «من فضله ط» لاستئناف التالي «شكورى» «يديه ط» لابتدآء التالي «من عبادنا ج» لتمام الكلام وفاء التفصيل «لنفسه ج» كالسابق، «مقتصد ج» كالمتقدم «باذن الله ط» لاستئناف التالي «الكبيرط» كالسابق.

«لؤلؤاً ج» لاختلاف الجملتين «الحزن ط» لاستئناف التالي «شكور لا» لوصف التالي «من فضله ج» لاحتمال الاستئناف والحال «جهنّم ج» كالسابق «عذابها ط» لابتداء التالي «كفورج» لاحتمال الواو الحال «فيها ج» للقول المحذوف «كنّا نعمل ط» لاستفهام التالي «النذيرط» لتمام الكلام «نصيرع» «الأرض ط» للشرط التالي «كفره ط» لابتداء التالي «مقتاً ج» وإن اتّفقت الجملتان ولكن لتكرار الفعل وتصريح الفاعل والمفعول في الثانية.

«من دون الله ط» لاستفهام التالي «في السموات ج» لاحتمال أنّ «أم» منقطعة «منه ج» لتمام الكلام ومكان الاستدراك «أن تزولا ج» لابتدآء ما في معنى القسم مع الواو «من بعده ط» لاستئناف التالي «الامم ج» لتمام الكلام وفاء التفريع «نفوراً لا» لان «استكباراً» مفعول من أجله، «مكر السيّئ ط» لتمام الكلام «بأهله ط» لاستفهام التالي «الأوّلين ج» لانتهاء الاستفهام مع اتصال الفآء

«تبديلا ج» لاحتمال الواو الاستئناف والحال «قوّة ط» لتمام الكلام ونفي التالي «في الأرض ط» لاستئناف التالي «مسمّى ج» لتمام الكلام وفآء التعقيب.

﴿اللغة﴾

٤٥ ـ الفطر والفاطر ـ ١١٦٤

فطر الشيء يفطره فَطْراً ـ من باب نصر ـ فانفطر وفطّره: شقّه، وتفطّر الشيء: تشقّق وفطر الشيء: بدأه وأبدعه وأنشأه. فطر الله الخلق يفطرهم فطراً: خلقهم وبدأهم وأبدعهم وأنشأهم: «الذي فطرني فانّه سيهدين» الزخرف: ٢٧) أي أنشأني وخلقني، فهو جل وعلا فاطر «الحمد لله فاطر السموات والأرض» فاطر: ١) أي موجدها ومبدعها. وفي حديث ابن عباس قال: «ماكنت أدري مافاطر السموات والأرض حتّى إحتكم إليّ أعرابيّان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها» أي ابتدأت حفرها. من الحسّيّ: فطر البئر: ابتدأ حفرها. وقد ورد من المادة: الفطرة والفطور، والثلاثي وغيره في القرآن الكريم.

الفِطْرَة ـ بالكسر ـ: الخِلْقَة «فطرة الله التي فطر الناس عليها» الروم: ٣٠) وفطر الله الخلق: أوجدهم وأبدعهم على هيئة مُتَرَشّحة لفعل من الأفعال... وفي الآية الكريمة إشارة إلى ما أبدع الله وركز في الناس من معرفته جل وعلا، وفطرة الله عزوجل هي ما ركز في الانسان من قوّته على معرفة الإيمان كما أشار إليها بقوله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله» الزخرف: ٨٧).

وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة» الفطرة: الحالة منه كالجِلْسَة والرِّكْبَة والمعنى: أنه يولد على نوع من الجبلّة والطبع المتهيّيء لقبول الدين الحق

ولمعرفة الله جل وعلا وعبادته له وحده، بحيث لوتُرِك عليها لاستمرّ على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر وتقليد الاباآء... ثمّ تمثّل بأولاد اليهود والنصارى والمجوس في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة. فالمعنى: كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والاقرار بوجوده وعلمه وحكمته وقدرته وعظمته وتدبيره، وبأنّه وحده يليق للعبادة، فلاتجد احداً إلاّ وهو يُقِرُّ بأنّ له صانعاً واحداً لاشريك له في خلقه، وإن سمّاه بغير إسمه أو معه غيره.

الفطرة ـبالكسر اسمـ: الخلقة وهي من الفَطْر كالخِلقَة من الخَلْق في أنّها للحالة ثم إنّها جعلت للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص. وفي حديث أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله: «نحن نحت الشوارب ونعفى اللحى وهي الفطرة» أي على أساس دين الحق ومثله: «قصّ الأظفار من الفطرة» ومثله: «إنّ الله أعطى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم الفطرة الحنفية السهلة لارهبانية ولاسياحة».

وفي الحديث تكرّر الذكر في زكاة الفطرة، والفطرة تُطْلَقُ على الخِلقَة، وعلى الاسلام، والمراد منها على الأول زكاة الأبدان، وعلى الثاني زكاة الدين. وقولهم: «تجب الفطرة» أي زكاة الفطرة. جمعها: فِطَرٌ وفِطَرات ـبالكسر وسكون الطآء أو فتحها أو كسرهاـ ومنفطر: فاعل من المطاوع لفطر. وقال الامام أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام: «وجبّار القلوب على فِطَراتها» أي على خِلَقِها.

أصل الفَطْر: الشقّ طولاً، جمعه: الفطور أي الشقوق والصدوع: «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور» الملك: ٣) أي إختلال و **وهن فيه**، وذلك قديكون على سبيل الفساد وقديكون على سبيل الصلاح. يقال: هذا الكلام يفطر الصوم أي يفسده. والفَطْر: الابتداء والاختراع، والفَطْر: المذي، شبّه بالفطر في الحلب لأنّه لايكون إلاّ بأطراف الأصابع، فلايخرج اللبن إلاّ قليلاً وكذلك المذي يخرج بملاعبة المرأة إحليل زوجها بأطراف أصابعها قليلاً، وليس المنيّ كذلك،

وقيل: سمّي المذي فَطْراً من فطر ناب البعير إذا شقّ اللحم وطلع، فشبه طلوع المذي من الإحليل بطلوع الناب. وفطر الناقة والشاة: حلبها بأطراف أصابعه...

تفطّرت الأرض بالنبات: إذا انشقّت عنه «تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض» مريم: ٩٠) وانفطر: انشقّ «والسمآء منفطر به» المزمل: ١٨) إشارة إلى قبول ما أبدعها وأفاضه علينا منه، وكل شيء ـ مادياً كان أو معنوياً ـ انفطر: تشقّق. ويقال للكمْأة: فُطُر لأنّها تشقّ الارض، فتخرج منها، والفُطْرُ والفُطُر: ضرب من الكمْأة أبيض عظام، وتنفطر الأرض عنها. وفي حديث: «انه قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى تفطّرت قدماه» أي تشقّقت.

الفِطْر: نقيض الصّوم، فان الصوم هو الامساك والفِطْرُ: تركه، فطر الصآئم: أكل وشرب. وفي الحديث: «إذا أقبل الليل وأدبر النهار فقد أفطر الصآئم» أي دخل في وقت الفطر، وجاز أن يفطر بأنه يفتح فاه لما يفسد به صومه، والفِطْر ـ بالكسر ـ: العنب إذا بدت رؤسه لأن القضبان تنفطر. ويقال: ذبحنا فطيرة وفطورة ـ بفتحها ـ: شاة يوم الفطر. و رجل فِطر ـ بالكسر ـ للواحد والجمع وصف بالمصدر.

وفطر العجين: أعجله عن الادراك فهو فطير، وكل ما أعجل فهو فطير.

الفطير ـ كالأمير ـ: خلاف الخمير وهو العجين الذي لم يختمر، وفطرت المرأة العجين حتّى إستبان فيه الفُطْر، والجميع فُطرى. وكذلك الطين، وكل ما أعجِل عن إدراكه فهو فطير. والرأي الفطير أي أعجل ـ في النظر من غيرتأمل وتفكّر فيما أظهر نظره فيه. وجلد فطير: لم يروه من دباغ ولم يلق في الدباغ، والسياط الفطير: الذي لم يَجُد دباغه، وفطر العجين: إختبزه من ساعته قبل تخميره. الفطير: الداهية.

الأفاطير ـ جمع أُفطور بالضمّ ـ وهو تشقّق يخرج في أنف الشاب ووجهه وهي البثر الذي في وجه الغلام والجارية، وهي التفاطير والنفاطير بالتاء والنون.

قال الشاعر:

نفاطير الجنون بوجه سلمى قديماً لاتفاطير الشباب

النفاطير: جمع نفطورة وهي الكلأ المتفرق أو هي أوّل بنات الوسمي.

٣٥ ـ المسك ـ ١٤٣٣

مسك الشيء يمسكه مسكاً ـ من باب ضرب ـ: قبضه وحبسه ومنه الحديث: «من مسك من هذا الفيءْ بشيء» أيّ قبضه، وأمسكت الشيء وبالشيء ومسكتُ به وتمسّكت واستمسكت به: إعتصمت به. المَسَك والمَساك: الموضع الذي يُمسك المآء. ومسك فلان بالنار: فحّص لها في الأرض ثم غطّاها بالرماد، والبعر دفنها في التراب.

أمسك الشي: حفظه من أن يقع ويسقط: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» فاطر: ٤١) أي منعهما من الزوال والسقوط: «ويمسك السمآء أن تقع على الأرض إلّا باذنه» الحج: ٦٥) أي يحفظها من الزوال والسقوط. إمساك الشيْ: التعلّق به وحفظه. وفي وصف النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بادِنٌ متماسك» أي معتدل الخَلْق كأنّ أعضآئه يُمسِكُ بعضها بعضاً، أراد أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم مع بدانته متماسك اللحم ليس بمسترخيه فيه ولا منفضجه.

أمسك الشيْ وأمسك به: مسك به تقول: أمسكته بيدي. ويقال من هذا: أمسكه: أبقاه في حوزته ومنعه غيره. تقول: أمسك عنّي برّه وأمسكه: أبقاه وحفظه ولم يتلفه: «أيُمسكه على هون أم يدسّه في التراب» النحل: ٥٩) أي أيُبقيه ولا يُهلكه؟!

تقول: أذبح هذا الحيوان وأمسك ذاك. وأمسك الرجل زوجته: أبقاها في عصمته ولم يطلّقها ويقال في هذا: أمسك بعصمتها، وأمسك الرجل مطلقته: راجعها في العدّة: «ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا» البقرة: ٢٣١) الامساك هنا: مراجعة المطلّقة. وأمسك المذنب في السجن ونحوه: حبسه فيه ومنعه الخروج منه: «فان شهدوا

فأمسكوهنّ في البيوت» النسآء: ١٥) الامساك هنا: الحبس والمنع من الخروج. وأمسك حيوانُ الصيد على صاحبه الوحشَ: قتله أو اثبته في مكانه فأمكن صاحبه منه: «فكلوا مما أمسكن عليكم» المآئدة: ٤) هذا في جوارح الصيد تمسك المصيد. أمسك الرجل: إستبقى ماله ولم يبذله: «أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه» الملك: ٢١) أي منعكم إيّاه.

«وما يُمسك فلامرسل له من بعده» فاطر: ٢) أي مايمنع ويحبس من رحمة «قل لو أنتم تملكون خزآئن رحمة ربي إذاً لامسكتم خشية الانفاق» الاسرآء: ١٠٠) أي لم تبذلوه واستبقيتموه كنّي عن البخل بالامساك .

المسيك: البخيل وفي حديث هند بنت عُتبة: «إنّ أبا سفيان رجل مسيك» أي بخيل يُمسِك ما في يديه لايعطيه أحداً وهو مثل البخيل وزناً ومعنىً. وكان أبوسفيان مِسّيكاً -بالكسر والتشديد كالخِميَّر- أي شديد الامساك لما له وهو من أبنية المبالغة. ومَساك ومِساكة ومَساكة وإمساك : البخل والتمسّك بما لديه ضنّاً به. وسقّاء مسيك : كثير الأخذ للمآء. المسيك من الأساقي التي تحبس الماء فلاينضح. وأرض مسيكة: لا تنشّف المآء لصلابتها. ومسيك : خير يرجع إليه. والمَسَك : أن تحفر البئر فتبلغ الموضع الذي لايحتاج أن يُطوىٰ، فيقال: قد بلغوا مَسْكةً صُلْبَةً. والمُسْكة من البئر: الصلبة التي لاتحتاج إلي طيّ. الأرض طرآئق فكل طريقة مَسَكة.

أمسكتُ عن الكلام: سكتُّ. وما تماسك أن قال كذا أي ما تمالك . وأمسكتُ المتاع على شيء: حبسته وأمسكتُ عن الأمر: كففتُ عنه، وأمسك الله تعالى الغيث: حبسه ومنع نزوله. الامساك أن لايكون في قآئمة الفرس بياض.

مَسَّكَ بالشيء: قبضه وأخذه وتعلّق به. يقال: مسّك بالدين ونحوه: حافظ عليه فأتمر بأمره وانتهى بنهيه: «والذين يمسّكون بالكتاب» الأعراف: ١٧٠).

ومسّكه تمسيكاً: أعطاه مُكاناً -بالضم كغفران- وجآء في الحديث النهي عن بيع المسكان وهو أن يشتري شيئاً فيدفع إلى البائع مبلغاً على أنه إن تمّ البيع احتسب من

الثمن و إن لم يتمّ كان للبائع ولايرتجع منه. وفي حديث الحيض: «خُذي فِرصةً مُمَسّكةً فتطيّبي بها» الفِرصة: قطعة من القطن أو الصوف أو قطعة من المسك بأن الحائض عند الاغتسال من الحيض يستحبّ لها أن تأخذ شيئاً يسيراً من المسك تتطيّب به أو قطعة من القطن أو الصوف مطيّبة بالمسك. دواء مُمَسّك: فيه مسك. ودوآء مُمْسَك ـ كمُعظَم ـ: خلط به مسك.

المِسْك: ضرب من الطيب يتخذ من الظباء وفي الحديث: «أطيب الطيب المِسْك» والقطعة منه: مسكة. «ختامه مسك» المطففين: ٢٦) وفي الحديث: «لخلوق فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك» هو ترغيب في إبقآء أثر الصوم. والممسكة: ظرف صغير يوضع فيه المِسْك.

المُسْكة: العقل الوافر. المُسكة: المكان الصلب في بئر تحفرها والجمع: مُسَك ـ كصُرد ـ جمع مُسَكة ـ كهمزة ـ لمن إذا أمسك الشيء لم يقدر على تخليصه منه. يقال: فلان لامسكة له أي لاعقل له ومابفلان مسكة: ما به قوّة ولاعقل. ويقال: فيه مسكة من خير أي بقيّة منه. المُسْكة ـ كغرفة ـ من الطعام والشراب: مايُمسك الرمَق. ومُسَكة: رجل لايتعلّق بشيء فيتخلّص منه، ولاينازله مُنازل فيفلتَ ومُسَكة ـ كهمزة ـ: رجل بخيل وليس فيه مُسْكة: أي قوة ورجل ذو مُسْكةَ ومُسْك: ذو رأى وعقل.

إستمسك بالشيء: إعتصم به وتعلّق به لينجو من الهلكة أو ممّا يفرّ منه: «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى» البقرة: ٢٥٦) أي إعتصم بها طالباً للنجاة.

تقول: إستمسك الغريق بالحبل، واستمسك بحجّة قوية: احتجّ بها فظفر على خصمه. ويقال: إستمسك بالشيء: حفظه وعمل به ولم يضيّعه: «فاستمسك بالذي اوحي اليك» الزخرف: ٤٣) أي إحفظه واعمل به. واستمسك الرجل على الراحلة: إستطاع الركوب، واستمسك بوله: إنحبس. وفي المثل: سوء الاستمساك خير من حسن

الصرعة.

المَسَك والمَسَكة -بالتحريك-: الذَبْل المشدود على المِعْصَم. المَسَك: أسورة من ذَبْل أو عاج والذبل: شيْ كالعاج. وقيل: المَسَك: الذَبْل من العاج كهيئة السوار تجعله المرأة في يديها. وقيل: جلود دابة بحرية كانت يتخذ منها شبه الأسورة وتمسك به تطيب وثوب ممسك: مصبوغ به. وقيل: المَسَكة: السوار من الذَبْل وهي قرون الأوعال. وفي الحديث: «أنه رآى على عائشة مَسَكتَين من فضّة». والمَسَكة: من إذا نازل أحداً لم يفلت منه ولم يتخلص.

المَسْك: الجلد المُمْسَك للبدن ومنه حديث الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السّلام: «ماكان على فراشي إلّا مَسْك كبش» أي جلده. والجمع: مسوك كفلس وفلوس. والمَسْكة والماسكة: قشرة تكون على وجه الصبي أو المُهر. الماسكة: الجلدة التي تكون على رأس الولد وعلى أطراف يديه.

الماسك: كصاحب: إسم ويقال: بيننا ماسكة رحم كما يقال: ماسّة رحم وواشجة رحم. والممسكة: الخرقة الخلق التي أمسكت كثيراً. والمُسْكة -بالضمّ-: القوة كالماسكة، وفيه مُسْكة من خير أي بقية.

قيل: قد ورد الإمساك في القرآن الكريم على سبعة أوجه: ١ - إمساك الشيْ: إبقاؤه ٢ - إمساك الشيْ: إرجاعه. ٣ - إمساك الشيْ: بُخله ٤ - إمساك الشيْ: حفظه ٥ - إمساك الشيْ: منعه ٦ - إمساك الشيْ: الاعتصام به ٧ - إمساك الشيْ: العمل به.

٣٨ - العزّة - ١٠٠٣

وقد ورد المضارع من المادّة مثلّث العين -الفتح والكسر والضمّ- عَزَّ يَعَزُّ عِزاً وعَزازَةً وعِزَةً -بالفتح-: إذا اشتدّ. و-بالكسر من باب ضرب نحو فرّ: إذا صار

عزيزاً وعزّ الشيُ عِزاً وعَزازة: إذا قلّ ولايكاد يوجد فهو عزيز، وعزّ فلان: قوي بعد ذلّة وَعَزّ عليّ يَعِزُّ: كَرُمَ وأعززته: أكرمتُه وأحببته.

وعَزّهُ يَعُزُّه عَزاً ـ من باب نصر نحو مدّ ـ: قصره وغلبه في المحاجّة.

الاسم: العزّة وهي في الأصل: القوّة والغلبة والشدّة والرفعة والإمتناع. والعزّة: حالة مانعة للانسان من أن يُغْلَبَ. والعِزّ: خلاف الذُّلّ. وأعزَزْتُ الرجلَ: إذا جعلته عزيزاً. قال الله عزّوجل: «من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً ـ وما ذلك على الله بعزيز» فاطر: ١٠ و١٧) فمن كان يريد أن يُعَزَّ يحتاج أن يكتسب منه جل وعلا العزّة فانّها له، فمن كان يريد بعبادته غير الله تعالى فانّما له العزّة في الدنيا ولله العزة جميعاً أي يجمعها في الدّنيا والآخرة بأن ينصر في الدنيا ولايغلب، وليس ذلك على الله تعالى بصعب ولا شاق.

عزّ عليه الأمر: شقّ وصعب «عزيز عليه ماعنتّم» التوبة: ١٢٨) أي شديد وشاق وصعب يغلب صبره «انه لكتاب عزيز» فصّلت: ٤١) أي يصعب مثاله و وجود مِثلِه.

يقال: يعزّ عليّ أن أراك بحال سيّئة أي يشتدّ ويشقّ عليّ وقال الإمام أميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام ـ لما رآى طلحة قتيلاً ـ: «أعزِزْ عليّ أبا محمد أن أراك مُجَدّلاً تحت نجوم السمآء».

من الحسّي في المادّة: أرض عَزاز: صلبة. وتعزّز اللحم: إشتدّ كأنّه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه كقولهم: «تظلّف» أي حصل في ظِلْفٍ من الأرض. وفي كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لوَفد همدان: «على أنّ لهم عزازها» العزاز: ماصَلُبَ من الأرض واشتدّ وخَشُنَ و إنّما يكون في أطرافها...

ومنه الحديث: «أنّه نهى عن البول في العزاز لئلاّ يترشّش عليه» والعَزَز والعَزاز: المكان الصلب السريع السيل. وفي حديث موسى وشعيب عليهما السلام: فجآئت به قالِبَ لَوْنٍ ليس فيها عَزُوزٌ ولافشوشٌ» العَزُوز: الشاة البكيئة القليلة اللبن الضيّقة الإحليل. وفي الحديث: «المؤمن أعزّ من الجبل» أي أصلب في دينه كما في الحديث:

«ما ينبغي للمؤمن أن يستوحش إلى أخيه فمن دونه المؤمن عزيز في دينه» أي ان المؤمن إذا فقد أخاه فمن دونه لاينبغي أن يستوحش لفقدهما لأنّ المؤمن عزيز في دينه إذا مسّته الوحشة إستأنس بالله جل وعلا لابغيره.

ومن المعنوي: الحالة التي تمنع صاحبها أن يُغلَبَ: «أيبتغون عندهم العزّة فانّ العزّة لله جميعاً» النسآء: ١٣٩) «سبحان ربك ربّ العزّة» الصافات: ١٨٠) يريد الله تعالى أصناف الرب إلى العزّة لاختصاصه بها. وقد يُمدَحُ بالعزّة تارة كما ترى، وقد يُذمّ بها تارة كعزّة الكفّار. «بل الذين كفروا في عزّة وشقاق» ص: ٢) العزّة: المغالبة والممانعة، وذلك ان العزّة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي عزّة دائمة حقيقيّة، وأما عزّة الكافرين فهي تعزّز وهي في الحقيقة ذلّ كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كل عِزٍّ ليس بالله فهو ذُلٌّ» وعلى هذا قوله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً» مريم: ٨١) أي ليتمنّعوا به من العذاب.

وقد تستعار العزّة للحميّة والأنفة المذمومة: «أخذته العزّة بالاثم» البقرة: ٢٠٦) أي حملته العزّة التي فيه من الغيرة وحميّة الجاهلية على الاثم المنهيّ عنه، وألزمته إرتكابه يقال: أخذته بكذا: حملته عليه. يقال: عزّ عليّ أن تفعل كذا كناية عن الأنفة عنه.

عازّه: غلبه فعزّه في المغالبة وعزّه في الخطاب: غالبه: «وعزّني في الخطاب» ص: ٢٣) أي غالبني في الاحتجاج. وعزّه كذا: غلبه وعازّه: غالبه ومنه الحديث: «فعازّ أحدهما صاحبه» أي غالبه. وقيل: من عزّ بزّ أي من غلب سلب. وعَزَّ المَطَرُ الأرضَ: غلبها وشاة عزوز: قلّ درّها. وعزّ الشيْ: قلّ إعتباراً بما قيل كل موجود مملولٌ، وكل مفقودٍ مطلوبٌ. وأعزّه وعزّزه: غالبه أو قوّاه وأيّده: «فعزّزنا بثالث» يس: ١٤) أي أيّدنا وقوّينا وشددنا ظهورهما برسول ثالث. وقال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السّلام في مدح الاسلام: «وأعزّ أركانه على من غالبه» أي حماها ممن قصد هدمها. وعَزَزْتُ القومَ وأعززْتُهُمْ وعزّزتُهُم: قوّيتُهم وشدّدتُهُمْ.

العزيز: من أسمآء الله تعالى وهو الممتنع القويّ الذي لايعاد له شيْ، الغالب

كل شيءُ، فلايغلبه شيءٌ وهو الذي يُقْهِرُ ولايُقْهَرُ، وجمعه: عزاز مثل كريم وكرام وأعِزّة وأعِزّآء: «أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين» المآئدة: ٥٤) أي إن المؤمنين رحمآء بينهم، أشدّآء على الكافرين رجل عزيز: منيع لايُغلَب وقويّ لايُقْهَر والعزيز: الملك مأخوذ من العزّ وهو الشدّة والقهر والغلبة سمّي به لغلبته على أهل مملكته، والعزيز لقب ملك مصر: «وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها ـ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ـ يا أيّها العزيز» يوسف: ٣٠ و ٥١ و ٧٨) العزيز هنا: الملك. عزيزة: طويلة.

الأعزّ: أفعل من المادّة: «أرهطي أعزّ عليكم من الله» هود: ٩٢) «ليخرجنّ الأعزّ منها الاذلّ» المنافقون: ٨) ومن أسمآء الله تعالى: «المعزّ» «وتُعِزّ» «وتُعِزُّ من تشآء وتُذلّ من تشآء» آل عمران: ٢٦).

العِزّ: المطر الغريز، المطر الكثير، وقيل: مطر شديد كثير لايمتنع منه سهل ولاجبل إلّا أساله. أرض معزوزة: أصابها عزّ من المطر، وعزّ المآء يَعِزُّ: إذا سال وأعزّت الشاة: استبان حملها وعظم ضرعها.

العَزوز: من أسمآء فرج المرأة البكر. والعَزوز ـ كصبور ـ: الناقة الضيّقة الإحليل لا تدر حتى تحلب بجهد وكذلك الشاة وجمعه: عُزُز ـ بضمّتين.

العَزّة: ـ بالفتح ـ: بنت الظبية وبها سمّيت المرأة عزّة.

التعزّز: التشدّد. فرس معتزّة: غليظة اللحم وشديدته. ومنه الحديث: «قال لعائشة: هل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لاقال: تعزّزاً أن لايدخلها إلّا من أرادوا» أي تكبّراً وتشدّداً. وتعزّز الرجل: صار عزيزاً وهو يعتزّ بفلان واعتزّ به وتعزّز: تشرّف.

التعزّي: التأسي والتصبّر عند المصيبة وأن يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» تعزّيت عنه أي تصبّرتُ. أصلها: تعزّزت أي تشدّدت وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من لم يتعزّ بعزآء الله فليس منّا» أي من لم يَرُدّ أمره إلى الله فليس منّا.

العَزّآء: المطر الشديد الوابل، والعَـزّآء: الشدّة والعَـزّآء: السَّـنَة الشديدة.

العُـزيـزآء: من الفرس: مـابين عُـكْـوَتـه وجاعرته يمدّ ويُـقصَـر، وهما العُزيزاوان، والعـزيـزاوان: عصبتان في اصـول الصَـلَـوَتين فُصِلَتا من الـعَـجْـب وأطراف الوَرِكَيْن.

العُـزَيزاء: عصبة رقيقة مركبة في الخوران إلى الورك .

العُزّىٰ: صنم: «أفرأيتم اللات والعزّى» النجم: ١٩) إسم صنم مـن حجارة لقريش وبنى كـنانة. وقيل: العُـزّى كـانت شجرة تُعبَد مـن دون الله. وقيل: «العزّى» سمرة كانت لغطفـان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً، و أقاموا لها سدنة، فبعث إليها رسول الله خالد بـن الوليـد فـهدم البـيت وأحرق سمـرة. «عبد الـعُزّى» إسم لأبي بكـر وكنيـته أبوفصيـل قبل الاسـلام. وقـيل: العـزّى إسم لأبي لهب وإنّما كـنّـاه الله تعالى فـقال: «تبّت يدا أبي لهب».

إستَعَزَّ فلان بحقي: غلبني، واستُعِزَّ بفلان: غُلِبَ في كل شـيء من عاهة أومرض أو غيره. وفلان مِعْـزاز المرض: شديده ويقـال له إذا مات: قد استُـعِزَّ به. واستُعِزَّ بفلان: إذا غُلِبَ بمرض أو بموت. وفي حديث مرض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فاستُعُزَّ برسـول الله صلّـى الله عليـه وآله وسلّم أي إشـتدّ به المـرض واشرف على المـوت. واسـتعزّ الرمل: تماسك فلم ينهل واستعزّ الله بفلان واستعزّ غلبه وقهره.

قيل: قد وردت المادة في القرآن الكريم لستة معان:

احدها ـ القوّة: «دق انك أنت العزيز الكريم» الدخان: ٤٩) أي القويّ.

ثـانيهـا ـ السيادة والعظمـة: «فـبعزّتك لاغوينّـهـم أجمعين» ص: ٨٢) «وقالوا بعزّة فرعون إنّا لنحن الغالبون» الشعرآء: ٤٤).

ثالثها ـ الغرور والطغيان: «بل الذين كفروا في عزّة وشقاق» ص: ٢).

رابعها ـ الشدّة والغِلظة: «أعزّة على الكافرين» المائدة: ٥٤) أي أشدآء عليهم.

خامسها ـ الصعب والشاق: «عزيز عليه ماعنتّم» التوبة: ١٢٨).

سادسها ـ التأييد والنصرة: «فعزّزنا بثالث» يس: ١٤).

أقول: ولايخفى عليك مما قدّمناه! ان تلك المعاني الستة بعض معاني المادة لاكلّها!

٨١ ـ البور والبوار ـ ١٦٥

بار الشئ يبور بَوْراً وبُوراً وبُؤُراً وبَواراً ـ من باب نصر نحو قال ـ: هلك وبطل وفسد وذهب هبآءاً فهو بآئر: «ومكر اولئك هو يبور» فاطر: ١٠) أي يبطل ويذهب هبآءاً. «وأحلّوا قومهم دار البوار» إبراهيم: ٢٨) أي دار الهلاك. وبارت التجارة: كسدت: «يرجون تجارة لن تبور» فاطر: ٢٩) أي لن يصيبها كساد ولاخسران.

البوار: فرط الكساد ولمّا كان فرط الكساد يؤدّي إلى الفساد كما قيل: كسد حتّى فَسَدَ عُبّرَ بالبوار عن الهلاك. وفي الدعآء: «نعوذ بالله من بوار أيّم» أي من كسادها وعدم الرغبة فيها من قولهم: بارت السوق: كسدت والأيم: مرأة لازوج لها ولايرغب أحد في تزوّجها. البآئر: الهالك والكاسد والمجرّب.

البَوْر: الرجل الفاسد الذى لاخير فيه. والبَوْر: الأرض التي لم تزرع. وفي كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأُكَيْدِرْ: «وأنّ لكم البَوْرَ والمعامِيَ وأغفال الأرض» البَوْر: الأرض التي لم تزرع والمعامى: المجهولة. أي الأرض الخراب التي لم تزرع. والبَوْر: الأرض قبل أن تصلح للزرع. والبَوْر: ما بار من الأرض وفسد فلم يعمر بالزرع والغرس كالبآئر والبآئرة أرض بآئرة: متروكة من أن يزرع فيها. ورجل بآئر: ضالّ تاه لايأتمر رشداً ولايطيع هادياً.

يقال: أصبحت منازلهم بَوْراً أي لاشئ فيها، وكذلك أعمال الكفّار وبار علمه: بطل وبار المتاع: كَسَدَ.

البُور: إمّا جمع بآئر كحائل وحُول، وإمّا مصدر من مصادر بار، فيوصف به المذكّر و المؤنّث والجمع مبالغة، فيقال: رجل بُور وامرأة بُور وقوم بور: «وكانوا قوماً بوراً» الفرقان: ١٨) فيصحّ أن يكون جمعاً أي هالكين أو مصدراً وصفوا به مبالغة،

فجعلوا نفس الهلاك . قيل: بائر: إسم للجمع كنآئم ونوم وصآئم وصَوْم.

وفي الحديث: «سئلته عن السجود على البورياء» هي التي تعمل من القصب.

أبار فلان نفسه فهو مبير: أهلكه، وأبار فلاناً: أهلكه، وأبارهم الله تعالى: أهلكهم.

ومنه حديث أسمآء: «في ثقيف كذّاب ومبير» أي مهلك يُسْرِفُ في إهلاك الناس.

بار الرجل: إذا جرّب وامتحن واختبر، فيقال: بُرتُ كذا: إختبرتُه، وبار الفَحْلُ الناقَةَ: إذا تشمّمها ألاقِحٌ هي أم لا. وفي الحديث: «أن داود سئل سليمان عليهما السلام وهو يَبتار علمه» أي يختبره ويمتحنه. والابتيار: الاختبار والامتحان، ومنه قولهم: بُرلي ما عند فلان أي اعلمه وامتحن لي ما في نفسه.

وفي النهاية لابن الأثير -في مادة بور-: «ومنه الحديث: كنّا نبور أولادنا بحبّ عليّ رضي الله عنه» وحديث علقمة الثقفي: «حتى والله مانحسب إلّا أن ذاك شئ يُبتار به إسلامنا».

أقول: رواهما ابن منظور في (لسان العرب) والزبيدي في (تاج العروس في شرح القاموس) وغيرهم من علمآء العامة في أسفارهم...

٩٩ - السَّوْغ والسآئغ - ٧٥٨

ساغ الطعام والشراب في الحَلْقِ يَسُوغُ سَوْغاً وسَواغاً -لازم ومتعد- من باب نصر نحو: قال-: سَهُلَ مَدْخَلُهُ في الحلق فهو سآئغ: «هذا عذب فرات سائغ شرابه» فاطر: ١٢) أي سَهُلَ مروره وانحداره في الحَلْق. وساغ الطعام سَوْغاً: نزل في الحَلق وشراب سآئغ وأسْوَغُ: عذبٌ.

ساغ الشخصُ الطعام والشراب يَسُوغُه ويسيغه -من باب ضرب نحو: باع- سَوْغاً وسَيغاً: إستسهل مَدخَلَه في حَلْقِه. ولايخفى! ان الاتصال والتتابع ملحوظ في المادة.

يقال: فلانٌ سَوْغُ أخيه: إذا وُلِدَ إِثْرَهُ عاجلاً تشبيهاً بذلك وإن لم يكن أخاه.

وسَوْغُهُ: أخوه لأبيه وامّه وذلك إذا وُلِدَ بعده على أثره ليس بينهما ولد. ويقال: هو أخوه سَوْغُه وهي اخته سَوْغُه إذا لم يكن بينهما وَلَدٌ. أسواغه: الذين وُلِدُوا في بطن واحد بعده ليس بينه وبينهم بطن سواهم. وأسوغ الرجل أخاه إسواغاً: إذا وُلِدَ معه.

في حديث أبي أيّوب: «إذا شئت فاركب ثم سُغْ في الأرض ماجدتَ مساغاً» أي ادخل فيها ماوجدتَ مدْخلاً. وساغت به الأرض: ساخت. ولم يجد في الأرض مساغاً أي طريقاً يمكنه المرور منها. وساغت الناقة: شذت وتباعدت.

السِواغ: ما أسَغْتَ به غُصّتَك. يقال: المآء سِواغ الغُصَص. يقال أسِغْ لي غُصّتي أي أمْهِلْني ولا تُعَجِلْني أساغ الشخصُ الطعامَ والشرابَ يُسيغُه إساغةً: إستسهل مدخله في حلقه: «يتجرّعه ولايكاد يسيغه» إبراهيم: ١٧) **أيّ يُجيزه من قولهم**: ساغَ له مافعل: جاز له ذلك.

وأساغ فلانٌ الطعامَ والشراب يسيغه وسوّغه ما أصاب: هنّأه. وقيل: تركه خالصاً. ساغ له مافعل: جاز له ذلك، وسوّغتُ له ذلك: أي جوّزته له وسوّغتُه مالاً مستعار من ساغ الطعام والشراب في الحلق: سَهُلَ إنحداره. و **سوّغه تسويغاً: جوّزه له** وسوّغ له كذا: أعطاه إيّاه. ان المراد بالتسويغ هو الإذن في تناول الاستحقاق من جهة معيّنة تيسيراً وتسهيلاً على الآخذ، فهو من ساغ الشراب: سهل أو من سوّغه: جوّزه.

٥٦ ـ الملح والملاحة ـ ١٤٥٤

مَلُحَ الرجل يَمْلُحُ مُلُوحة ومَلاحة ـ من باب كرم ـ: بهج وحَسُنَ مَنْظَرُهُ فهو مليح ومَلِحٌ ومُلاح ومُلّاح ومليحة والجمع مِلاح وفي حديث جُويرية: «وكانت إمرأة ملاحة» أي شديدة الملاحة وهو من أبنية المبالغة. وقيل أي ذات مَلاحة. وفُعال مبالغة في فعيل نحو كريم وكُرام وكبير وكُبار وفعّال **ـ مشدّداً** أبلغ من فُعال ـ مخفّفاً ـ المِلْحُ:

الحُسْن من الملاحة. والمُلاّح أملح من المليح، وجمع المليح: مِلاح وجمع مُلاح ومُلاّح: مُلاحون ومُلاّحون.

مَلُحَ الماء يَمْلُحُ مُلوحة وملاحةً فهومَلِحٌ ومِلْحٌ ومَليح - من باب كرم -: لم يكن عذباً، وكان فيه طعام الملح الذي يطيب به الطعام: «هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج» فاطر: ١٢) المِلْحُ معروف يذكر ويؤنّث وإن كان التأنيث أكثر. المِلح والمليح: خلاف العذب من المآء. والجمع: مِلْحَة ومِلاح وأملاح ومِلَحٌ. المِلْح: الماء الذي تغيّر طعمه تغيّراً معروفاً وتجمّد. يقال له: مِلْحٌ إذا تغيّر طعمه، وإن لم يتجمّد فيقال: مآء مِلَحٌ وقلّما تقول العرب: مآء مالِحٌ وإذا وَصَفتَ الشيْ بما فيه من الملوحة قلت: سمك مالح وبقلة مالحة وأحسن منهما: سمك مليح ومملوح. وسمك مليح ثم استعير من لفظ المليح، الملاحة، فيقال: رجل مليح: وذلك راجع إلى حُسنٍ يغمض إدراكه مَلَحَ المآء يَمْلُحُ ملوحاً - من باب نصر -: إذا كان شديد الملوحة. ولايقال: مالح إلاّ في لغة الشواذ ملح القِدْرَ يَملحها مَلْحاً - من بابي ضرب ومنع - وأملحها: جعل فيها مِلْحاً بِقَدَر، وكذلك مَلَحَ اللَحْمَ والجِلدَ يملحه مَلْحاً - من باب منع -: جعل فيهما مِلْحاً بقَدَر. يقال: مَلَحْتُ اللحم: ألقيتُ مِلْحاً فيها بقَدَر. ومَلَّحتُ القِدْرَ: ألقيتُ فيها المِلْحَ، وأملحتُها: أفسدتُها بالمِلْح. وفي الحديث: «إن الله ضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وإن مَلَحه» أي ألقى فيه الملح بقَدَر للاصلاح يقال منه: مَلَحْتُ القِدْرَ وأملحتُها وملّحتُها: إذا أكثرتَ مِلْحَها حتى تَفسُدَ، وملَح القِدْر جعل فيها شيئاً من شحم.

ملح الرجل وغيره يملح مَلْحاً ومُلُوحاً - من باب تعب -: إشتدّت زرقته، وهو يضرب إلى البياض فهو أملح والانثى: مَلحآء مثل أحمر وحمرآء. وفي الحديث: «أنّه ضحّى بكبشين أمْلَحَيْن» الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده. وقيل: هو النقيّ البياض. ومنه الحديث: «يُؤتى بالموت في صورة كبش أملح» وفي حديث خبّاب: «لكن حمزة لم يكن له إلاّ نَمِرَة مَلَحآء» أي بُردة فيها خطوط سُودٌ وبيضٌ. ومنه حديث عبيدبن

خالد: «خرجت في بُردين وأنـا مُسبلهما، فالتفتُّ فاذاً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت: إنّما هي مَلْحآء قال: و إن كانت مَلْحآء أمالك فيّ اسوة؟»

ملح يملح مَلَحاً ـمن باب علم ـ: الزُرقة إذا اشتدّت حتّى تضرب إلى البياض. قيل: هو أملح العين. ومنه كتيبة مَلْحآء وهي كتيبة بيضآء عظيمة. لمَلْحآء مِن النعاج: الشمطاء تكون سوداء تُنفِذها شعرة بيضآء. الأملح: الأبلق بسواد وبياض. وكل شعر وصوف ونحوه كان فيه بياض وسواد فهو أملح. وكبش أملح: بيّن المُلْحَة والمَلَح وفي الحديث: «انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أتى بكبشين أمْلَحَيْن فذبحهما» ورجل أملح اللحية: إذا كان يعلو شعر لحيته بياض من خِلقة ليس من شيب، وقد يكون من شيب، ولذلك وصف الشيب بالمُلْحَة.

المُلْحَة والمُلَحَة: الكلمة المليحة، وأملح: جآء بكلمة مليحة وفي حديث عائشة: «قالت لها إمرأة: أزُمّ جملي هل عليّ جناحٌ؟ قالت: لافلمّا خرجت قالوا لها: إنّها تعني زوجها، قالت: ردّوها عليّ، مُلْحَةٌ في النار، إغسلوا عنّي أثرها بالماء والسدر» المُلْحة: الكلمة المليحة وقيل: القبيحة وقولها: «اغسلوا عنّي أثرها» تعني الكلمة التي أذِنَت لها بها ردّوها لاعلمها أنّه لايجوز. والمُلْحَة من الألوان: بياض تشوبه شعرات سود. المُلحة: بياض إلى الحمرة ماهو كلون الظبي. والمُلْحَة والمَلَح: في جميع شعر الجسد من الانسان، وكل شيء بياض يعلو السواد. يقال: أصبنا مُلْحَةً من الربيع أي شيئاً يسيراً منه، وأصاب المال مُلْحَةً من الربيع لم يستمكن منه، فنال منه شيئاً يسيراً. المُلْحَة: البركة وفي الحديث: «الصادق يُعطى ثلاث خصال: المُلْحَة والمحبّة والمهابة» يقال: كان ربيعنا مملوحاً فيه: مخصِباً مباركاً. وهو من تملّحتِ الماشية: إذا ظهر فيها السّمن من الربيع.

وفي حديث عمرو بن حُرَيْث: «عَناقٌ قد أُجيدَ تمليحها وأُحْكِمَ نضجها» التمليح هـهنا: السمط وهو أخذ شعرها وصوفها بالماء. وقيل: تمليحها: تسمينها من الجزور المملّح وهو السمين. ومنه حديث الحسن: «ذُكِرَتْ له النورة ـ التي تستعمل لازالة

الشعر۔ فقال: أتريدون أن يكون جلدي كجلد الشاة المملوحة؟» يقال: مَلَحْتُ الشاةَ ومَلَّحتُها: إذا سمطتها.

المُلاّحي: ۔بالضمّ والتشديد۔: عنب أبيض ليس في حبّه طول. ومنه قول الشاعر:

كعنقود مُلاّحية حين نوّرا

المُلاّحي: تبن صغار أملَحُ صادق الحلاوة ويُزبّبُ. أملاح النخل: تلوّن بُسره بحمرة وصفرة. وشجرة مَلْحاء: سقط ورقها وبقيت عيدانها خضراً. والملحآء من البعير: الفِقَر التي عليها السنام.

المُلاّح: ضرب من النبات وفي حديث ظبيان: «يأكلون مُلاّحها ويرعون سِراحها» المُلاّح: ضرب من النبات والسِراح: جمع سَرْح وهو الشجر. والمُلاّح: من نبات الحَمْض.

المِلاح: المِخلاة بلغة هذيل وقيل: هو سِنان الرمح. وفي حديث المختار: «لمّا قتل عمر بن سعد جعل رأسه في مِلاح وعلّقه» المِلاح: الرمح والملاح: أن تهبّ الجنوب بعد الشمال.

مِلَحان: جُمادي الآخرة سمّي بذلك لابيضاضه بالثلج. وشيبان ۔بالكسر۔: جمادي الاولى. ومِلَحان من الأيّام: إذا ابيضّت الأرض من الجليت والضقيع. يقال لبعض شهور الشتآء: مِلَحان لبياض ثلجه.

المُلَحُ: الأخبار، والمِلْحُ: العِلْمُ، والمِلْحُ: العلمآء والمِلْحُ: السَمَن القليل. والمَلَحُ: داء وعيب في رجل الدابّة وورم في عرقوب الفرس دون الجرد، فإذا اشتدّ فهو الجَرَد. والمَلْحُ: سرعة خفقان الطآئر بجناحيه.

المَلاّحة: ۔بالتشديد۔: منبت المِلح أي أرض سبخة مالحة، يجتمع فيها المآء فيصير مِلْحاً. كالبقّالة لمنبت البقل. والمَمْلَحَة: ما يُجعَلُ فيه المِلح. والمَلاّح: صاحب المِلْح وبآئعه.

الملاّح ۔بالضمّ والفتح۔ صاحب السفينة سمّي به لملازمته الماء المِلْح وهو أيضاً

الذي يتعهّد فُوهة النهر ليصلحه وأصله من ذلك. المِلاح: الريح التي تجري بها السفينة، وبه سمّي أيضاً الملاّح ملاّحاً. وقيل: سمّي السفّان مَلاّحاً لمعالجته المآء الملح باجرآء السفن فيه.

اِستمحله: عدّه مليحاً. والممالحة: المؤاكلة ومنه: «يحسن ممالحة من مالحه» و«صيد البحر مُلحةُ الذين يأكلون» كأن المعنى: فاكهة الذين يأكلون.

ملح يملح مَلْحاً ـ من بابي منع ونصر ـ: إذا رضع.

المَلْحَةُ: الرَضْعَةُ في الحديث: «لا تُحَرِّمُ المَلْحَةُ والمَلْحَتان» أي الرضعة والرضعتان والملح ـ بفتح الميم وكسرها ـ: الرَّضع والرَضاع. الممالحة: المراضعة. ومنه الحديث: «قال صلّى الله عليه وآله وسلّم رجل من بني سعد في وفد هوازن انّهم كلّموا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في سبي عشآئرهم فقال خطيبهم: يامحمد! إنّا لوكنّا مَلَحْنا للحارث بن أبي شِمْرٍ أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منزلتك هذا منّا لحفظ ذلك فينا وأنت خير المكفولين، فاحفظ ذلك» أي لوكنّا أرضعنا لهما. وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مسترضعاً فيهم أرضعته حليمة السعدية.

أَمْلَحَ القوم: وردوا مآءاً ملحاً، وأملح الابل: **سقاها مآءاً مِلْحاً وأَمْلَحَتْ هي**: وردت مآءاً مِلحاً تملّح الرجل: تزوّد الملح أو تَجَرّبه. يقال: **أَمْلِحْني** بنفسك: زيّني. سئل رجل آخر فقال: أُحِبُّ أن تُمَلِحَني عند فلان بنفسك أي تزيّنني وتُطريني.

١٣ ـ الأجّ والأُجاج ـ ١٣

أجّ المآء يؤجّ أجوجاً وأجّاً ـ من باب نصر نحو: مدّ ـ: إذا ملح واشتدّت ملوحته ومرارته وحرارته من قولهم: «أجيج النار وأجّتُها وقد أجّت».

قال الله عزّوجل: «وما يستوي البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج» فاطر: ١٢) الاجاج: الماء شديد الملوحة والمرارة والحرارة. وفي حديث الامام

أميرالمؤمنين علي عليه السّلام: «وعذبها اجاج» أي ماء شديد الملوحة والمرارة والحرارة. ومنه حديث الأحنف: «نزلنا سَبَخَةً نشّاشةً، طَرَفٌ لها بالفلاة، وطَرَفٌ لها بالبحر الاجاج» أجّ الظليم يئجّ ويؤجّ أجّاً وأجيجاً ـ من بابي ضرب ونصر نحو: فرّ ومدّ ـ: سُمِعَ حفيفه في عَدْوه تشبيهاً بأجيج النار. الأجيج: صوت النار يقال: أجّت النار تؤجّ أجيجاً: توقّدت. الأجيج والاجاج والائتجاج: شدّة الحرّ. وأجيج المآء: صوت إنصبابه. الأجوج: المضيء النير. الأجّ: الاسراع والهرولة، وصوت العَدْو.

أجّ الرجل يئجّ أجيجاً ـ من باب ضرب نحو: فرّ ـ: صوّت.

أجّ في سيره يؤجّ أجّاً ـ من باب نصر نحو: مدّ ـ: أسرع وهرول.

في حيث خيبر: «فلمّا أصبح دعا صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّلام فأعطاه الراية فخرج بها يؤجّ حتى رَكَزَها تحت الحصن» أي أسرع بها مهرولاً.

أجّ يئجّ أجّاً ـ من باب منع ـ: حمل على العدوّ.

الأجّة: شدّة الحرّ وتوهجه. والجمع: إجاج مثل جَفنة وجِفان. ومنه إئتجّ النهار.

و في حديث الطفيل: «طَرَفُ سَوْطه يتأجّج» أي يضيءُ من أجيج النار: توقّدها.

الأجّة: صوت النار ولهيبها.

أجّج بينهم شرّاً: أوقده، وأجّة القوم وأجيجهم: إختلاط كلامهم مع حفيف مشيهم. وقولهم: القوم في أجّة أي في اختلاط.

يأجوج ومأجوج من أجّة البحر وهي شدّته وقوّته، ومن أجيج النار وهو توقّدها وحرارتها، شبّهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموّجة لقوّتهم وشدّتهم وكثرة إضطرابهم...

٥٠ ـ قطمير ـ ١٢٤٢

القطمير والقطمار ـ رباعيّ: قطمر ـ: شقّ النواة أو هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة أو هي النكتة البيضآء في باطن ظهر النواة تنبت منها النخلة، يُضرَبُ به مثلاً

للتافه القليل القيمة. قال الله تعالى: «والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير» فاطر: ١٣) والغرض أنّهم لايملكون شيئاً. يقال: ما أصبتُ منه قطميراً أي شيئاً.

وقطمير: إسم كلب لأصحاب الكهف.

٣٠ ـ اللغوب واللغب ـ ١٣٦٧

وقد ورد المضارع من المادّة مثلّث العين:

١ ـ لغب يلغب لَغْباً ولُغُوباً ـ من باب نصر ـ: لحقه أشدّ الإعياء وأقصى التعب. اللغوب واللَغْب: شدّة الاعياء وأقصى التعب: «ولايمسّنا فيها لغوب» فاطر: ٣٥).

٢ ـ لغب على القوم يلغب لَغْباً ـ من باب منع ـ لازم ومتعد من هذا الباب ـ: أفسد عليهم ولَغَبَ القومَ: حدّثهم حديثاً خَلْفاً.

كلام لَغْبٌ: فاسد لاصائب ولاقاصد. ويقال: كُفّ عنّا لَغْبَك أي سيّئ كلامك.

٣ ـ لغب يلغب لغوباً ـ من باب علم ـ: تعب وأعيا.

في حيث الأرنب: فسعى القوم فَلَغِبُوا وأدركتُها» أي تَعِبُوا وأعيَوْا. وألغبه السير: أتعبه. يقال: أتاناساغباً لاغباً أي جائعاً تعباً. وسَهْمٌ لَغِبٌ: إذا كان قُذَذُه ضعيفة. في الخبر: «أهدى يَكسُوم أخو الأشرم إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم سلاحاً فيه سَهْمٌ لَغْبٌ» يقال: سهم لَغْبٌ ولُغابٌ ولَغيبٌ: إذا لم يلتئم ريشه، ويصطحب لردائته، فاذا التأم فهو لُؤام. وسَهْمٌ لَغْبٌ ولُغابٌ: فاسد لم يحسن عمله.

رجل لُغْبٌ ولَغِبٌ ولُغُوبٌ: ضعيف أحمق بيّن اللغابة. قال أعرابيّ: «فلان لُغُوبٌ: أحمق جائته كتابي فاحتقرها أي ضعيف الرأي، فقيل له في ذلك: لِمَ أنّثْتَ الكتاب وهو مذكّر؟ فقال: أو ليس صحيفةً؟».

- لَغّبَ فلان دابّته: إذا تحامل عليه حتى أعيا. وتَلَغَّبَ الدابة وجدها لاغباً وألْغَبَها: إذا أتعبها.

٣٧ ـ الزائل والزوال ـ ٦٥٤

زال الشيء عن مكانه يزول زَوالاً وزَولاناً وزَويلاً وزؤولاً ـ واويّ من باب نصر نحو: قال ـ: إستحال واضمحلّ، ذهب وفارق طريقتَه جانحاً عنه. ومنه: «الدنيا وشيكة الزوال» الزوال: يقال في شيء قد كان ثابتاً قبل. أزلتُه وزوّلته: أذهبتُه وفارقتُه. قال الله عزّوجل: «إنّ الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» فاطر: ٤١) وقال: «ما لكم من زوال» إبراهيم: ٤٤) أي حلفتم أنكم إذا متّم لا تزالون عن تلك الحالة.

زال به السراب: أظهره ورفعه. وزال: إنتقل من بلد إلى بلد، ومن مكان إلى مكان ويزول عن مكانه: يفارق موضعه في حديث كعب بن مالك: رآى رجلاً مبيضّاً يزول به السراب» أي يرفعه ويُظهره. يقال: زال به السراب: إذا ظهر شخصه فيه خيالاً. وفي قصيدة كعب بن زهير:

في عصبة من قريش قال قآئلهم ببطن مكّة لمّا أسلموا زُولوا

أي لنتقلوا عن مكة مهاجرين إلى المدينة. وفي حديث قتادة: «أخذه العويل والزّويل» أي القلق والانزعاج بحيث لايستقرّ على المكان وهو والزوال بمعنًى وفي حديث أبيجهل: «يزول في الناس» أي يُكثر الحركة ولايستقرّ. وفي حديث جندب الجُهَني: «والله لقد خالطه سهمي ولو كان زآئلة لتحرّك ».

الزآئلة: كل شيئ من الحيوان يزول عن مكانه ولايستقرّ. وكان هذا المرميّ قد سكّن نفسه يتحرّك لئلاً يُحَسُّ به، فيجهَزُ عليه. وقيل: الزائلة: كل ذي روح من الحيوان يزول عن موضعه أو كل متحرّك لايقرّ في مكانه يقع على الانسان وغيره.

زال اجرى مجرى كان في رفع الاسم ونصب الخبر فيكون من الأفعال الناقصة.

ولايصحّ أن يقال: مازال زيد إلّا **منطلقاً** كما يقال: ما كان زيد إلّا منطلقاً وذلك انّ زال يقتضي معنى النفي إذ هو ضدّ الثبات، ومالا: يقتضيان النفي، والنفيان إذا اجتمعا إقتضيا الاثبات، فصار قولهم: مازال يجري مجرى كان في كونه إثباتاً، فكما لايقال: كان زيد إلّا منطلقاً لايقال: مازال زيد إلّا منطلقاً.

الزَوال: زوال الشمس وزوال الملك: يزول عن حاله. زال النهار: إرتفع، وزالت الشمس زوالاً: مالت عن كبد السمآء.

الزَّوّال ـ كالشدّاد ـ: الكثير الحركة. زال: إسم امّ رستم الفارسي. والزّوّال: الذي يتحرّك في مشيه كثيراً ومايقطعه من المسافة قليل.

الزوآئل: النسآء على التشبيه بالوحش.

الزَوْل: الحركة. يقال: رأيت شبحاً ثم زال أي تحرّك. وزال القوم عن مكانهم: إذا حاصوا عنه وتنحّوا. الزَوْل: الخفيف الحركات. الزَوْل: الغلام الظريف. الزول: الصقر. الزول: فرج الرجل. الزول: الشجاع الذي يتزايل الناس من شجاعته. وزال يزول: إذا تظرّف. الانثى زولة: نافذة في الرسائل. وفي حديث النساء: «بزَولة وجَلْسٍ» الزولة: المرأة الفَطِنَة الداهية. وقيل: الظريفة. الزَول: الخفيف الظريف يُعجَبُ من ظرفه، وجمعه: أزوال.

تزوّل: تناهي ظَرْفُه. الزَوْل: الجواد. الزولة: المرأة البَرْزَة. ويقال: هي الفطنة الداهية. الزول: العجب يقال: هذا زول من الأزوال أي عجب من العجآئب. الزول: الشخص. الزول: البلاء. الزول: الفطن. يقال: إمرأة زولة: إذا كانت برزة للرجال. تزول الفتى: إذا تناهي ظرفه. وسير زَول: عجب في سرعته وخفته. وشتوة زولة: عجيبة في شدّتها و بردها.

المزاول: المذعور من الزوال أي الشبح بالليل. والمزولة: آلة للمنجمين يعرف بها زوال الشمس. والجمع: مزاول. وليل زآئل: النجوم طويل. المزاولة: المحاولة والمعالجة ونزاولوا: تعالجوا. مزاولة الشيْ: معالجته. زاول: عالج وطالب. وزال الشيْ: طالبه

وكل مطالب محاول: مزاول.

الزوائل: -جمع زائلة-: النجوم لزوالها من المشرق إلى المغرب في إستدارتها. والزوائل: الصيد.

قيل وقد وردت مادة الزوال في القرآن الكريم لأربعة معان:

١ ـ البقآء: «فما زلتم في شك مما جآئكم به» المؤمن: ٣٤) أي بقيتم في شك ...

٢ ـ السقوط: إنّ الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا» فاطر: ٤١) أي أن تسقطا.

٣ ـ التفرّق والتقطّع والمحو: «أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال» إبراهيم: ٤٤) أي من تفرّق وفنآء.

٤ ـ النزع والقلع: «وإن كان مكرهم لتزول منهم الجبال» ابراهيم: ٤٤) أي لتنزع وتقلع الجبال من اصولها.

﴿النحو﴾

١ ـ (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشآء إن الله على كل شيء قدير)

«الحمد» مبتداء واللام فيه للاستغراق، ويحتمل الجنس، و«لله» مجرور بلام الملك والاختصاص الّتي تسمّى بلام التحقيق، متعلق بمحذوف وهو الخبر أي واجب وثابت.

«فاطر» إسم فاعل من فطر بمعنى شقّ كأنّه جل وعلا شقّ العدم باخراج السموات والارض من العدم، فطر الشيء: أوجده على غير مثال سابق. يجوز في «فاطر» الرفع على إضمار المبتدآء، والنصب على المدح، وفي الخفض وجهان: أحدهما ـ النعت لـ«لله» ثانيهما ـ بدل من «لله» أضيف إلى «السموات» نعتاً لـ«لله» بناءاً على كون الاضافة معنوية، فالاضافة محضة لانها في نيّة الا تصال، ولايجوز تنوينه لأنه بمعنى الماضي، والمراد خلقه تعالى السموات والارض إبتدآءً، وعمل «فاطر» عمل الفعل، فاشبه المقرون باللام، فالمضاف إليه مفعول المضاف، وإعماله على أنّه مستقبل حذف التنوين منه تخفيفاً. وبدلاً من «لله» بناءآ، على كون الاضافة لفظية، فالاضافة غيرمحضة لأنها في تقدير الانفصال، وهي قليلة في المشتق. وقيل: غير محضة على حكاية الحال.

وتلك الوجوه كلها: «جاعل الملائكة» وقيل: «جاعل» منصوب باضمار فعل لأنّ إسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لايعمل النصب. و«الملائكة» جمع الملك

-بفتح الميم واللام- ومنهم: جبرئيل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل: ملك الموت.
«جاعل» صفة ثانية لـ«لله» اضيف إلى مفعوله الأوّل، و«رسلاً» جمع رسول، مفعول ثان لـ«جاعل» بناءً على أنّ الاضافة في نية الانفصال لأنّه إسم الفاعل إذا كان للحال أو الاستقبال كان عاملاً، ولم يكتسب من المضاف إليه التعريف والتنكير. وقيل: منصوب على تقدير فعل، بناءً على أنّ الاضافة في نيّة الا تصال، لأنّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لم يعمل ألبتة، ويكتسب من المضاف إليه التعريف والتنكير. وقيل: «رسلاً» حال مقدرة بناءاً على أنّ «جاعل» بمعنى «خالق» في «اولى» وجهان: أحدهما -بدل من «رسلاً» ثانيهما- نعت لـ«رسلاً» و«اولى» إسم جمع لذو كما أنّ اولآء إسم جمع لذا، اضيف إلى «أجنحة» جمع قلّة لـ«جناح» مثل أدعية جمع دعآء.

«مثنى وثلاث ورباع» في موضع نصب، بدل من «اولى أجنحة» وقيل: صفة للملائكة. وقيل: في موضع جرّ على الوصف لـ«أجنحة» وقيل: بدل من «أجنحة» وفي عدم تصرف: «مثنى وثلاث ورباع» وجوه:

أحدها - لتكرر العدل فيها حيث انّها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ اخر، وعن تكرير إلى غير تكرير حيث لم يقل: إثنان إثنان، وثلاث ثلاث، وأربع أربع.

ثانيها - لتكرر العدل فيها من جهة اللفظ والمعنى، أمّا العدل من جهة اللفظ فظاهر، فان «مثنى» عُدِلَ عن لفظ «اثنين» و «ثلاث» عُدِلَ عن لفظ «ثلا ثة» و«رباع» عُدِل عن لفظ «رابعة» وأما العدل من جهة المعنى فلانّه يقتضي التكرار، فمثنى عن اثنتين إثنتين، وثلاث عن ثلا ثة ثلا ثة...

ثالثها - لأنّها أعداد معدولة في حال تنكيرها، فتعرّفت بالعدل لأن «مثنى» معدول عن إثنين إثنين و«ثلاث» عن ثلا ثة ثلا ثة و«رباع» عن أربعة أربعة. والفآئدة في عدلها أنّها تدل على التكرير، فمنعت من الصرف للعدل والتعريف.

رابعها ـ للعدل والصفة على أنّها معدولة عن مؤنّث لأن العدد جمع، والجمع كله مؤنّث لانه بمعنى الجماعة.

خامسها ـ لأنّها معدولة عن معنى الاضافة، فيها تقدير دخول الألف واللام بدل من المضاف إليه المحذوف. وقد أجاز الفرّآء صرفها في العدد أي مثنى النسآء... على أنها نكرات... وقال الأخفش: إن سميت بها صرفتَها في المعرفة والنكرة لأنها قد زال عنها العدل.

سادسها ـ مُنِعَت من الصرف لأنّها معدولة وجمع.

سابعها ـ امتنعت لأنّها معدولة، عُدِلَتْ على غير أصل العدل، لأنّ أصل العدل إنّما هو للمعارف، وهذا نكرة بعد العدل.

«يزيد» فعل مضارع، فاعله: ضمير مستترفيه، راجع إلى «الله» و«في الخلق» متعلق بـ«يزيد» وفي موضع الجملة وجهان: أحدهما ـ الرفع على الاستئناف. ثانيهما ـ في موضع الخفض، نعت ثالث لـ«الله» و «ما» موصولة، في موضع نصب، مفعول لـ«يزيد» و «يشآء» فعل مضارع، صلة الموصول على حذف العائد أي الذي يشآئه «إن» حرف تأكيد، «الله» إسمها، و«قدير» خبرها، و«على كل شيْ» متعلق بـ«قدير» قدّم لرعاية الفواصل.

٢ ـ (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايُمسِكْ فلامُرسِلَ لَهُ من بعده وهو العزيز الحكيم)

«ما» إسم للشرط كـ«من» في موضع النصب، لكونها مفعول «يفتح» و «ما» الشرطية يعمل فيها مابعدها كالاستفهامية، لأنّ الشرط والاستفهام لهما صدر الكلام، و«من» بيانية لـ«ما» «فلاممسك لها» في موضع جزم لكونها جواب الشرط كقوله تعالى: «من يضلل الله فلا هادي له» الأعراف: ١٨٦) «ومايمسك فلامرسل له من بعده» كالجملة السابقة «وهو العزيز الحكيم» الواو للحال، و تحتمل الاستئناف، و

«هو» مبتداء و«العزيز» خبره و «الحكيم» نعت لـ«العزيز».

٣ ـ (يا أيّها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون)

«يا» حرف نداء «أيّها» وصلة، بين النداء والمنادى: «الناس» المحلّى بالألف واللام مرفوع للتعريف، و«اذكروا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب، «نعمة الله» مفعول به لفعل الأمرو«عليكم» متعلق بـ«نعمة الله» على معنى: نعمة الله التى أنعمت عليكم.

«هل» إستفهاميّة، و«من» زائدة لتأكيد عموم النفي، و«خالق» في موضع رفع، على الابتداء حذف خبره تقديره: لكم وللأشياء... أو موجود. و«غير الله» يجوز فيه الرفع والجر والنصب أما الرفع ففيه وجوه: أحدها ـ خبر المبتدآء. فالمعنى: هل يخلق غير الله شيئاً. ثانيها ـ نعت لـ «خالق» باعتبار محله لأن المعنى: «هل خالق غير الله» ثالثها ـ فاعل لـ «خالق» كما تقول: هل ضارب غير زيد بمعنى إلّا زيد. فالمعنى: ما خالق إلّا الله. وأما الجر فنعت لـ «خالق» باعتبار لفظه، وأما النصب فعلى الاستثناء لأنّ الكلام يتمّ قبله.

وفي «يرزقكم» وجوه: أحدها ـ أن يكون مستأنفاً. ثانيها ـ أن يكون نعتاً لـ«خالق» ثالثها ـ أن يكون تفسيراً لمضمر والتقدير: هل يرزقكم خالق يرزقكم. فان جعلت «يرزقكم» كاملاً مستأنفاً ففيه دليل على أنّ الخالق لايطلق إلّا على الله تعالى. وأما على الوجهين الآخرين فلا إذ لايلزم من نفي خالق رازق غيره، نفي خالق غيره مطلقا.

«لا إله إلّا هو» جملة مفصولة لامحل لها مثل «يرزقكم» في غير وجه النعت إذ لو جعلته وصفاً للزم التناقض لأنّ قولك: «هل من خالق اخر سوى الله» إثبات لله ولو جعلت المنفية وصفاً لصار تقدير الكلام: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلّا ذلك

الخالق. فلزم نقض الاثبات المذكور مع أنّ الكلام في نفسه يكون غيرمستقيم. «فأنّى» الفاء للتفريع و«أنّى» إسم مشترك بين الاستفهام والشرط، أما الأوّل فترد لمعان: كيف وأين ومتى وحيث في القرآن الكريم. وفي المقام: إسم استفهام إنكاري بمعنى كيف في موضع رفع على الابتدآء و«تؤفكون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبنيّ للمفعول، في موضع رفع، خبر المبتدآء.

٤ ـ (وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل من قبلك وإلى الله تُرجع الامور)

الواو للاستئناف، و«إن» حرف شرط، و«يكذّبوك» الفعل لجمع المذكر الغائب من باب التفعيل، مجزوم بحرف الشرط، والفاعل هوضمير الجمع الراجع إلى الكفار والمشركين وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والجملة شرطية «فقد كذّبت رسل» الفآء للجزآء و«قد» حرف تحقيق، و «كذّبت» فعل ماض، مبنيّ للمفعول من باب التفعيل، و«رسل» جمع رسول، ناب مناب الفاعل وتأنيث الفعل لجماعة الفاعل والجملة جزآء الشرط «وإلى الله» الواو للعطف، ومدخولها متعلق بـ«ترجع» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«الامور» جمع الامر، أُنِثَ الفعل لجماعة الفاعل، والجملة عطف على «قد كذّبت» وتحتمل الاستئناف.

٥ ـ (يا أيها الناس إنّ وعد الله حق فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا ولايغرّنّكم بالله الغرور)

«إنّ» حرف تأكيد، و«وعد الله» إسمها، و«حق» خبرها، «فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا» الفاء للتفريع، ومدخولها حرف نهي، ومدخولها فعل مضارع للمفرد المؤنّث، مؤكّد بنون التأكيد الثقيلة مجزوم بحرف النهي، وضمير الجمع المخاطب في موضع نصب، مفعول به، و«الحياة» فاعل الفعل، و«الدنيا» صفة لـ«الحياة» «ولايغرّنّكم بالله الغرور» الواو للعطف و«لا» حرف نهي، والفعل المضارع المفرد المذكر، مجزوم بحرف النهي، مؤكّد بنون الثقيلة، وضمير الخطاب للجمع المذكر في موضع نصب،

مفعول به، و «بالله» متعلق بـ«يغرنكم» و«الغرور» فاعل الفعل.

وفي «الغرور» وجوه: أحدها ـ بفتح الغين، صيغة مبالغة ـ من الغرور بالضم ـ فعول للتكثير كضَرُوب وأَكُول وطَهُور وان الدنيا سبب الغرور، فيوجد في الانسان بوسوسة الشيطان، فليس الشيطان هو نفس الغرور كما توهّم بعضهم. وقال بعضهم: الغرور نفس الدنيا وهذا أيضاً ليس بشيء لأنّ الغرور حالة توجد في نفس الإنسان بوسوسة الشيطان. ثانيها ـ بضمّ الغين جمع غارّ مثل: جالس وجلوس. ثالثها ـ بالضمّ جمع غُرّ، وغُرّ مصدر. رابعها ـ الغرور مصدر كالدخول.

٦ ـ (إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)

«إنّ» حرف تأكيد، و«الشيطان» إسمها، وفي انصراف لفظ الشيطان مجرداً عن اللام وعدمه وجهان: أحدهما ـ أنه من شاط يشيط: إحترق غضباً وهلك، فيكون غير منصرف للعلمية والألف والنون الزآئد تين كعُثمان. ثانيهما ـ من شطن: تباعد عن الخير فالنون فيه أصلية فيكون منصرفاً. و«لكم» متعلق بمحذوف أي ثابت وهو صفة لـ«عدوّ» وهو خبر لحرف التأكيد «فاتخذوه عدواً» الفاء للتفريع، والفعل أمر لجمع المذكر المخاطب، وضمير المفرد المغائب في موضع نصب، مفعول به الاول، و«عدواً» مفعول ثان، و«إنّما» «إن حرف تأكيد، و«ما» كافّة تكفّ «إنّ» من العمل، و لذلك وقع بعدها الفعل: «يدعوا» فعل مضارع فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الشيطان» و«حزبه» مفعول به، و«ليكونوا» اللام للتعليل، ومدخولها فعل مضارع، للجمع المذكر الغآئب من أفعال الناقصة، منصوب بـ«أن» مقدرة أي لأن يكونوا، وعلامة النصب فيه، حذف نون الرفع، وإسم الفعل الناقص هو ضمير الجمع، و«من أصحاب السعير» متعلق بمحذوف وهو خبر الفعل الناقص أي ثابتين مستقرين في نار جهنّم من زمرة أصحاب السعير.

٧ - (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير)

في موضع «الذين» وجوه: أحدها - الخفض بدلاً من «أصحاب السعير» ثانيها - الجرّ نعتاً لـ«أصحاب السعير» ثالثها - النصب بدلاً من «حزبه» رابعها - النصب نعتاً لـ«حزبه» خامسها - الرفع بدلاً من ضمير الجمع في «ليكونوا» سادسها - الرفع على الابتدآء، فيكون «لهم عذاب شديد» خبره، فكأنه تعالى بيّن حال موافقته ومخالفته، فتمّ الكلام في قوله: «من أصحاب السعير» ثم ابتدأ فقال: «الذين كفروا» الفعل لجمع المذكّر المغآئب الماضي، صلة الموصول، و«لهم» متعلق لمحذوف، وهو الخبر المقدم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر و«شديد» صفة لـ«عذاب» والجملة خبر لـ«الذين» «والذين آمنوا» الواو للعطف، و«الذين» موصولة في موضع رفع بالابتدآء، و«لهم» متعلق بمحذوف، خبر مقدّم، و«مغفرة» مبتداء مؤخّر «وأجر» الواو للعطف و«أجر» عطف على «مغفرة» و«كبير» صفة لـ«أجر». والجملة خبر لـ«الذين» و«آمنوا» صلتها.

٨ - (أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسناً فانّ الله يُضِلُّ من يشآء ويهدي من يشآء فلا تَذْهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون)

«أفمن» الهمزة إستفهامية إنكارية، والفاء تفصيلية، و«من» إسم شرط، في موضع رفع على الابتداء، خبره جزآئه وهو محذوف وفيه وجوه أحدها - أي كمن هداه الله؟ يدل عليه: «فان الله يضلّ من يشآء ويهدي من يشآء» ثانيها - اي كمن لم يزيّن له؟ ثالثها - أي ذهبت نفسك عليهم حسرات. فحذف الجواب لدلالة المذكور وهو: «فلا تذهب...» عليه. رابعها - على حذف: كمن ليس كذلك. خامسها - على تقدير: أيستجيب لداع يدعوه إلى غير هذا الذي زُيّن له؛ سادسها - في الكلام تقديم وتأخير، مجازه: أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان

الله يضل من يشآء... «زيّن» فعل ماض، مبنيّ للمفعول من باب التفعيل، و «له» متعلق بـ«زين» و «سوء عمله» ناب مناب الفاعل، والجملة شرطية. «فرآه» الفاء للتفريع، والفعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» وضمير المفرد في موضع نصب، مفعول أول، و«حسناً» مفعول ثان، «فان الله» التفريع تفصيلية، ومدخولها حرف تأكيد، و«الله» إسمها، و«يُضلّ» فعل مضارع من باب الافعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و «من» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«يشآء» صلتها على حذف العآئد أي يشآئه، «ويهدي من يشآء» عطف على ما قبلها، «فلا تذهب» الفاء للتفريع، ومدخولها حرف نهي، و«تذهب» مجزوم بحرف النهي، و«نفسك» فاعل الفعل، و«عليهم» متعلّق بـ«تذهب» كقولك: «هلك عليه حُبّاً ومات عليه حُزْناً» وهذا بيان لمتحسر عليه، فلايجوز أن يتعلّق بـ«حسرات» لأن المصدر لايتقدّم عليه صلته، ويجوز أن يكون حالاً كأنّ كلّها صارت حسرات لفرط التحسر.

وفي «حسرات»: جمع حسرة ـ مثل ضَرَبات جمع ضَرْبة ـ وجوه: أحدها ـ منصوب على المفعول من أجله أي فلا تذهب عليهم للحسرات. ثانيها ـ منصوب على المصدر لفعل محذوف على تقدير: فلا تذهب نفسك تتحسّر عليهم حسرات. ثالثها ـ منصوب على الحال أي متلهفة.

«إنّ» حرف تأكيد، و«الله» إسمها، و«عليم» خبرها، و«ما» في «بما» موصولة، مجرورة المحل بحرف البآء، متعلق بـ«عليم» و«يصنعون» صلة الموصول على حذف العآئد أي عليم بالذي يصنعونه.

٩ ـ (والله الذي أرسل الرياح فتُثير سحاباً فسقناه إلى بلد مَيّتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)

«والله» في الواو وجهان: أحدها ـ للاستئناف. ثانيها ـ للعطف على «فان الله

يضل من يشاء ويهدي من يشآء» و «الله» مبتداء و«الذي» موصولة، و «أرسل» فعل ماض من باب الافعال، صلة الموصول، والجملة الموصولة في موضع رفع، خبر المبتدآء، و«الرياح» جمع الريح، مفعول به. و«فتثير» في الفآء وجهان: أحدهما ـ للعطف على «أرسل» ثانيهما ـ للتفريع. والفعل مضارع من باب الإفعال فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الرياح» و«سحاباً» مفعول به و«فسقناه» في الفاء وجهان كسابقها، والفعل ماض للتكلّم مع الغير وضمير الغآئب في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «سحاباً» و«إلى بلد» متعلق بـ«فسقناه» و«ميّت» صفة لـ«بلد» «فأحيينا» الفاء للنتيجة، والفعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، و«به» متعلق بـ«فأحيينا» والضمير و إن كان راجعاً إلى «سحاباً» ظاهراً، ولكنه راجع إلى ما حصل من السحاب وهو المطر معنىً، و«الأرض» مفعول به، وضمير «موتها» راجع إلى «الارض» «كذلك» الكاف في موضع رفع على الابتداء و«النشور» خبره أي مثل إحياء الموات ونشر الأموات.

١٠ ـ (من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيّئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور)

«من» إسم شرط، في موضع رفع على الابتدآء، و«كان» فعل ماض من أفعال الناقصة، إسمها: ضمير مستتر فيها، راجع إلى «من» و «يريد» فعل مضارع من باب الافعال، في موضع نصب، خبر لـ«كان» و«العزة» مفعول به، والجملة شرطية، «فللّه» الفاء للجزآء و«الله» متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و«العزّة» مبتدا مؤخّر، والجملة جزآء الشرط، قيل: جزاء الشرط محذوف أي ليعلم أنّ العزّ لمن هى؟ و«جميعاً» منصوب على الحال، والعامل فيه ما يتعلّق به اللام من «لله» و«إليه» متعلق بـ«يصعد» والهاء تعود على «فللّه» و«الكلم» فاعل «يصعد» و«الطيب» نعت لـ«الكلم» وهو إسم جنس جمعيّ، يذكّر ويؤنّث. وفي المجمع: الكلم: جمع

كلمة، يقال: هذا كلم وهذه كلم فيذكّر ويؤنّث وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلّا الهآء يجوز فيه التذكير والتأنيث.

في «العمل الصالح يرفعه» وجوه: أحدهما ـ انّ «العمل» مبتداء و«الصالح» نعته، و«يرفعه» خبره، وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه راجع إلى «العمل» والهاء تعود على «الكلم» والمعنى: يرفع العمل الصالح الكلم الطيّب، بأن يعرض القول على العمل فان وافق القول الفعل قُبِلَ وإن خالفه رُدّ. ثانيها ـ عكس الأول أي يرفع الكلم الطيب وهو التوحيد، العمل الصالح، إذ لولا التوحيد لما يفيد العمل الصالح. ثالثها ـ ان ضمير الفاعل راجع إلى الله تعالى، وضمير المنصوب إلى العمل أي العمل الصالح يرفعه الله تعالى ويقبله. رابعها ـ في الكلام حذف أي العمل الصالح يرفع عامله ويشرفه. خامسها ـ ان العمل معطوف على الكلم أى انهما يصعدان إلى الله تعالى و«يرفعه» جملة مستأنفة تخبر بأن الله تعالى يرفعهما، و إفراد الضمير لاشتراكهما في الصعود، إذ قد يجري الضمير مجرى إسم الاشارة، فيكون لفظه مفرداً والمراد به التثنية، فكأنه قيل: ليس صعودهما من ذاتهما، بل ذلك برفع الله تعالى إيّاهما. ولايخفى! ان نصب «العمل» على الوجه الثالث هو الأوجه، بل وعلى الوجه الثاني أيضاً لان «يرفعه» عندئذ معطوف على «يصعد» وبناءاً على هذين الوجهين لابد من إضمار فعل يفسّره «يرفعه».

«والذين» الواو للاستئناف، ومدخولها موصولة في موضع رفع على الابتداء، و«يمكرون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب صلتها وفي نصب «السيئات» وجوه: أحدها ـ منصوب على المصدر لأنّ «يمكرون» بمعنى يسيئون سيئات و سيّئة ثانيها ـ منصوب على كونها صفة للمصدر المحذوف أي انهم كانوا يمكرون المكرات السيئات من مكرات قريش في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في دار الندوة بتداور رأيهم على إحدى الثلاث التي هي: الا ثبات والقتل والاخراج: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك» الأنفال: ٣٠) فحذف الموصوف واقيمت الصفة

مقامه. ثالثها ـ مفعول به لأنّ «يمكرون» بمعنى يعملون.

«لهم» متعلّق بمحذوف وهو خبر مقدم، و«عذاب» مبتداء مؤخر، و«شديد» صفة لـ«عذاب» والجملة في موضع رفع، خبر لـ«الذين».

«و مكر» الواو للاستئناف، و«مكر» مبتداء اضيف إلى «اولئك» وفي «هو» وجوه: أحدهاـ ضمير فصلٍ بين المبتداء وخبره وهو «يبور» و يجوز الفصل بين المبتداء والخبر إذا كان الخبر فعلاً مضارعاً. ثانيها ـ ضمير توكيد ثالثها ـ مبتداء و«يبور» خبره والجملة خبر «مكر اولئك».

١١ ـ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب إن ذلك على الله يسير)

«والله» الواو للاستئناف و«الله» مبتداء، و«خلق» فعل ماض، في موضع رفع، خبر المبتداء وضمير الجمع المخاطب في موضع نصب، مفعول به، و«من تراب» متعلق بـ«خلقكم» و«ثم» حرف عطف للتّراخي، و«من نطفة» عطف على «من تراب» وضمير الجمع المخاطب في «جعلكم» في موضع نصب، مفعول أول، «أزواجاً» جمع زوج، مفعول ثان لـ«جعل». «وما» الواو للاستئناف، و«ما» حرف نفي و«تحمل» فعل مضارع للمفرد المؤنث الغائب وفي «من انثى» وجهان: أحدهما ـ ان «من» زآئدة لتأكيد النفي و«انثى» فاعل «تحمل» ثانيهماـ ان «من انثى» متعلق بمحذوف وهو نعت لفاعل محذوف، والفاعل هو «أحد» فحذف الفاعل الموصوف، واقيم متعلق الصفة مقام الموصوف لتاكيد عموم النفي، و«ولا تضع» الواو للعطف و«تضع» عطف على «تحمل» و«إلّا» حرف إستثناء وفي «بعلمه» وجوه: أحدها ـ أنه حال من الفاعل أي معلومة له. ثانيها ـ حال من المفعول أي المحمول والموضوع. ثالثها ـ حال من الحمل والوضع. والباء للمصاحبة والمعنى: ماتحمل ولا تضع انثى إلّا وعلمه يصاحب حمله و وضعه.

«وما» الواو للاستئناف و«ما» للنفي، و«يعمّر» فعل مضارع للمفرد المذكر الغائب، مبنيّ للمفعول من باب التفعيل، ونآئب الفاعل محذوف و«من معمّر» وضع موضع نائب الفاعل وهو أحد بعناية أنّه بعد تعلّق التعمير به يصير معمّراً إذ تعمير المعمّر لامعنى له والمعنى: ولايطول ويزاد عمر أحد ولاينقص من عمره فالمجرور صفة للمحذوف، و«معمّر» إسم مفعول من باب التفعيل، و«ولا» الواو للعطف و«لا» حرف نفي و«ينقص» فعل مضارع مبني للمفعول «من عمره» متعلق بـ«ينقص» والهاء راجع إلى المحذوف أي من عمر أحد. وقيل: راجع إلى «معمّر» باعتبار موصوفه المحذوف وهو أحد، و«إلّا في كتاب» الجار والمجرور في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف تقديره: إلّا هوكآئن في كتاب.

«إنّ» حرف تأكيد و«ذلك» في موضع نصب، إسمها، و«على الله» متعلّق بـ«يسير» وهو خبرها.

١٢ ـ (ومايستوي البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

«وما» الواو للاستئناف، و«ما» حرف نفي، و«يستوي» فعل مضارع من باب الافتعال، و«البحران» تثنية البحر، فاعل لـ«يستوي» و«هذا» في موضع رفع على الابتداء، و «عذب» خبره و«فرات» خبر بعد خبر و«سآئغ» خبر ثالث، ويحتمل النعت بعد النعت، و«سآئغ» على فاعل، و به يرتفع «شرابه» لاعتماده على ما قبله، و «وهذا» الواو للعطف و«هذا» عطف على «هذا» المتقدم و«ملح» خبره و«اجاج» نعت أو خبر بعد خبر.

«ومن كل» الواو للاستئناف و«من كل» متعلق بمحذوف وهو الحال لفاعل «تأكلون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، وتنوين «كل» عوض عن المضاف

إليه المحذوف، و«لحماً» مفعول به، و«طرياً» نعت لـ«لحماً».

«وتستخرجون» الواو للعطف، و«تستخرجون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الاستفعال، عطف على «تأكلون» و«حلية» مفعول به، و«تلبسونها» فعل مضارع، والهآء، في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «حلية» والجمل في موضع نصب، حال لمستخرجي الحلية، ويجوز أن تكون الجملة صفة لـ«حلية» أي حلية ملبوسة.

«وترى الفلك» الواو تحتمل العطف والاستئناف، و«ترى» فعل مضارع للمفرد المذكر المخاطب، خطاب للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكل من تبعه وقيل: لكل إنسان عاقل، و«الفلك» مفعول به، و«فيه» متعلق بمحذوف، وقيل: متعلق بـ«مواخر» جمع ماخرة من منتهى الجموع، والهاء في «فيه» راجع إلى «كل» وقيل: راجع إلى البحر، و«لتبتغوا» اللام للتعليل، والفعل منصوب بـ«أن» مقدرة، و«من فضله» متعلق بـ«لتبتغوا »«ولعلكم» الواو للعطف، و«لعلّ» حرف رجآء، وضمير الجمع المخاطب في موضع نصب، إسمها، و«تشكرون» في موضع رفع، خبرها، والجملة عطف على «لتبتغوا» على معنى: لابتغائكم من فضل الله تعالى، ورجآء شكركم له جل وعلا.

١٣ - (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير)

«يولج» فعل مضارع من باب الافعال، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى، و«الليل» مفعول به، و«في النهار» متعلق بـ«يولج» و «ويولج...» عطف على ما قبله، «وسخّر» الواو للعطف و«سخّر» فعل ماض من باب التفعيل، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى، عطف على «يولج» من عطف الماضي على المضارع، و«الشمس» مفعول به، و«القمر» عطف على «الشمس» و«كل» مبتداء على

حذف المضاف إليه، والتنوين عوض عنه أي كل واحد من الشمس والقمر، وهو الوجه للابتداء بالنكرة ههنا، و«يجري» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «كل» في موضع رفع، خبر المبتداء، و«لأجل» متعلق بـ«يجري» و«مسمّى» نعت لـ«لأجل» والجملة تحتمل الحال والنعت لما قبلها.

«ذلكم» في موضع رفع على الابتداء، و«الله» خبره، ويحتمل العكس، و«ربكم» نعت لـ«الله» و«له» متعلق بمحذوف وهو خبر مقدّم، و«الملك» مبتداء مؤخر، والجملة نعت ثان لـ«الله» أو خبر ثان.

«والذين» الواو للاستئناف و«الذين» موصولة في موضع رفع على الابتداء، و«تدعون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، صلة الموصول، على حذف العآئد أي تدعونهم، و«من دونه» متعلق بمحذوف وهو الحال من العآئد المحذوف على تقدير: والذين تدعونهم كائنين من دونه، و«ما» نافية، و«يملكون» فعل مضارع لجمع المذكر الغآئب، وضمير الجمع راجع إلى «من دونه» والمفعول به محذوف أي لايملكون شيئاً، و«من قطمير» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«شيئاً».

١٤ ـ (إن تدعوهم لايسمعوا دعآءكم ولوسمعوا ماستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير)

«إن» حرف شرط و «تدعوا» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مجزوم بحرف الشرط، على حذف نون الرفع وضمير جمع الغائب: «هم» في موضع نصب، مفعول به، و«لا» حرف نفي و «يسمعوا» مجزوم بحرف الشرط، و«دعاءكم» مفعول به، والجملة جزاء الشرط و«لو» حرف شرط للامتناع و«سمعوا» فعل شرط، و«ما» حرف نفي، و«استجابوا» جواب الشرط، و«لكم» متعلق بـ«استجابوا» «ويوم القيامة» الواو للحال و«يوم القيامة» ظرف، متعلق بمحذوف أي وهم كائنين يوم القيامة، و«يكفرون» خبر لمحذوف و«بشرككم» متعلق بـ«يكفرون» اضيف المصدر في

«بشرككم» إلى فاعله لأنّ الشرك بمعنى الاشراك ، فحذف المفعول أي باشراككم إيّاهم.

«ولاينبّئك» الواو للاستئناف، و«لا» حرف نفي والفعل مضارع من باب التفعيل وضمير الخطاب في موضع نصب، مفعول به، و«مثل خبير» فاعل الفعل.

١٥ - (يا أيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغني الحميد)

«أنتم» مبتداء و«الفقراء» جمع الفقير، خبره، و«إلى الله» متعلق بـ«الفقرآء»، «والله» الواو تحتمل الاستئناف والحال، و«الله» مبتداء، و«هو» مبتداء ثان، و«الغنيّ» خبر الثاني، والجملة خبر الأوّل، و«الحميد» نعت لـ«الحميد» و«الفقراء إلى الله» من موارد إجتماع الهمزتين أوّلها مضمومة وثانيها ـ مكسورة.

١٦ - (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)

«إن» حرف شرط، و«يشأ» فعل مضارع، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» مجزوم بحرف الشرط، و«يذهبكم» الفعل مضارع من باب الافعال، جزاء الشرط، وضمير الخطاب في موضع نصب، مفعول به، قيل: في المقام حذف أي إن يشأ أن يذهبكم يذهبكم... «ويأت» الواو للعطف و«يأت» فعل مضارع، مجزوم بالعطف على «يذهبكم» و«بخلق» متعلّق بـ«يأت» و«جديد» نعت لـ«بخلق».

١٧ - (وما ذلك على الله بعزيز)

الواو تحتمل الاستئناف والحال، و«ما» مشبّهة بليس، و«ذلك» في موضع رفع، إسمها، و«على الله» متعلّق بـ«بعزيز» وهو خبر «ما» على زيادة الباء لتأكيد النفي أي وليس ذلك على الله بعزيز قطّ.

١٨ - (ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايُحمَل منه شيْ ولو كان ذا قربى إنّما تنذر الذين يخشون ربّهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير)

«ولا» الواو للاستئناف، و«لا» حرف نفي، و«تزر» فعل مضارع، لمفرد مؤنث غآئب، أصله: «توزر» فحذف الواو إتباعاً لـ«يزر» وحذفت الواو لوقوعها بين الياء المفتوحة، والكسرة اللازمة، وكان هذا ثقيلة، و«وازرة» نعت لموصوف محذوف أي نفس وازرة، «وزر» مفعول به، اضيف إلى «اخرى».

«وإن» الواو وللاستئناف، و«تدع» فعل مضارع، مجزوم بحرف الشرط على حذف لام الفعل، و«مثقلة» صفة لموصوف محذوف، أي نفس مثقلة، و«إلى حملها» متعلق بـ«تدع» و«لا» حرف نفي، و«يُحمل» فعل مضارع، مجزوم بحرف الشرط، مبنيّ للمفعول، و«منه» متعلق بـ«لايحمل» و«شيْ» نآئب مناب الفاعل، و«ولو كان ذا قربى» الواو وصلة، و«لو» للوصل، وفي «كان» وجهان: أحدهما- تامة بمعنى وقع، فيكون حالاً. ثانيهما- ناقصة على حذف الخبر أي وإن كان فيمن تطلبونه ذاقربى أو على تقدير: ولو كان المدعوّ ذا قربى.

«إنّما» من أداة الحصر، و«تنذر» فعل مضارع لمفرد مذكر مخاطب، من باب الافعال، و «الذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به،و«يخشون» صلة الموصول و«ربّهم» مفعول به، وضمير الجمع الغآئب، عائد الصلة، «وأقاموا» الواو للعطف، و«أقاموا» فعل ماض لجمع المذكّر الغائب من باب الافعال، و«الصلاة» مفعول به.

«ومن» الواو للاستئناف، و«من» إسم شرط، و«تزكّى» فعل الشرط، و«فانّما» الفاء للجزآء، و«يتزكّى» فعل مضارع من باب التّفعيل، جزاء الشرط، و«لنفسه» متعلق بـ«يتزكّى»، و«إلى الله» الواو للاستئناف، و«إلى الله» متعلق بمحذوف وهو الخبر المقدم، و«المصير» مبتداء مؤخّر.

١٩ ـ (وما يستوي الأعمى والبصير)

الواو للاستئناف وتحتمل العطف على قوله: «وإلى الله المصير» وقيل: عطف على: «وما يستوى البحران» وتكرير حرف «ما» و«لا» لتأكيد النفي، تثبيت المراد و«ما» نافية، و«يستوي» فعل مضارع من باب الافتعال، و«الاعمى» فاعل الفعل، و«البصير» عطف على «الأعمى».

٢٠ و ٢١ ـ (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور)

عطف على ما قبلها و«الظلمات» جمع الظلمة، والباقي ظاهر، وفي زيادة «لا» الثلاثة الأخيرة وجهان: أحدهما ـ زائدة مؤكّدة للنفي ثانيهما ـ نافية لاستواء كل واحد منها لصاحبه على التفصيل.

٢٢ ـ (وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يُسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في القبور)

الواو تحتمل العطف والاستئناف، و«الأحياء» جمع الحي، و«الأموات» جمع الميت من جموع القلّة، وقيل: «لا» زآئدة لنفي التأكيد. و«ان» حرف تأكيد و«الله» إسمها، و«يسمع» فعل مضارع من باب الافعال، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و«من» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«يشآء» صلة الموصول على حذف العآئد أي يشآئه، و«وما» الواو تحتمل الحال والعطف من عطف النفي على الاثبات، و«ما» نافية مشبهة بليس، «أنت» إسمها، و«بمسمع» الباآء زائدة لتأكيد النفي، و«مسمع» إسم فاعل من باب الافعال، خبرها، و«من» إسم موصول، في موضع نصب، مفعول به لـ«مسمع» و«في القبور» جمع القبر، متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول.

٢٣ ـ (إن أنت إلّا نذير)

«إن» نافية، مشبهة بليس، و«أنت» إسمها، و«نذير» خبرها، ولم تعمل ههنا عمل ليس لمكان «إلّا».

٢٤ـ (إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من امّة إلاّ خلا فيها نذير)

«إن» حرف تأكيد، «نا» في موضع نصب، إسمها، و«أرسلنا» فعل ماض للمتكلم مع الغير من باب الافعال، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبرها وفي «بالحق» وجوه: أحدها ـ متعلق بمحذوف وهو حال مما يدل عليه فعل الارسال. ثانيها ـ حال من كاف الخطاب. ثالثها ـ متعلق بـ«بشيراً» وهو الحال من كاف الخطاب «ونذيراً» عطف على «بشيراً» و«وإن» الواو للاستئناف و«إن» نافية، و«من» زائدة لتأكيد النفي، و«امة» إسمها، و«خلا» فعل ماض، و«فيها» متعلق بـ«خلا» والهاء راجع إلى «امة» ونذير» فاعل الفعل، والجملة خبرها.

٢٥ ـ (وإن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جآءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير)

«إن» حرف شرط، والفعل مضارع لجمع المذكر الغائب، وضمير الجمع راجع إلى الكفار، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والجملة شرطية، و«فقد» الفاء للجزاء، و«قد» حرف تحقيق، و«كذّب» فعل ماض من باب التفعيل، و«الذين» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، و«من قبلهم» متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول أي الذين كانوا من قبلهم والمفعول به محذوف أي أنبياء الله تعالى، و«جاءتهم رسلهم» حال على تقدير «قد» أي كذّب الذين كانوا من قبلهم، وقد جائتهم رسلهم، و«بالبيّنات» جمع البينة، متعلق بـ«جائتهم» و«بالزبر» جمع زبور عطف على

«بالبينات» و«بالكتاب» عطف بعد عطف و«المنير» نعت لـ«بالكتاب».

٢٦ ـ (ثم أخذتُ الذين كفروا فكيف كان نكير)

«ثم» حرف عطف للتراخي، و«أخذت» فعل ماض للتكلم مع الغير، و«الذين» موصولة، في موضع نصب، مفعول به، و«كفروا» صلة الموصول، و«فكيف» الفاء للتفريع و«كيف» إسم إستفهام يفيد التعجب في المقام و«كان» تامة و«نكير» فاعله، على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرةِ عليها.

٢٧ ـ (ألم تر أنَّ الله أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)

الهمزة للاستفهام، و«تر» فعل مضارع للمفرد المذكر المخاطب، مجزوم بـ«لم» الجازمة بحذف لام الفعل، و«أنَّ» حرف تأكيد، فتحت ألفها لوقوعها بعد مافي معنى العلم، و«الله» إسمها، و«أنزل» فعل ماض من باب الافعال، و «من السمآء» متعلق بـ«أنزل» و«مآءً» مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، والجملة المؤكّدة سدّت مسدّ مفعولي الرؤية لانها في المقام بمعنى رؤية القلب والعلم، و«فأخرجنا» الفاء للتفريع والنتيجة، والفعل ماض التكلم مع الغير من باب الافعال، و«به» متعلق بـ«فأخرجنا» الباء سببية والهاء راجع إلى «مآءً» و«ثمرات» جمع ثمرة، مفعول به و«مختلفاً» نعت لـ«ثمرات» و«ألوانها» جمع لون، مرفوع بـ«مختلفاً» والهاء راجع إلى «ثمرات». «ومن الجبال» الواو للاستئناف، وتحتمل الحال، و«من الجبال» متعلق بمحذوف، وهو خبر مقدم، و«جدد» جمع جدّة أي الجادة طريق في الجبل وغيره، مبتداء مؤخّر، و«بيض» جمع أبيض، نعت لـ«جدد»، و«حمر» جمع أحمر، عطف على «جدد». و«مختلف» خبر لـ«حمر» و«ألوانها» فاعل «مختلف» وقيل: «مختلف ألوانها» نعت لـ«جدد» ولو كانت الجملة

مبتداء وخبراً لقيل: مختلفة ألوانها. وهذا خطأ لايخفى على الأديب الأريب. وفي ضمير «ألوانها» الثانية وجوه: أحدها ـ تعود على «الجبال» ثانيها ـ راجع إلى «جدد» ثالثها ـ ترجع إلى «حمر» وهو الصواب رابعها ـ تعود على «الجبال» و«جدد» و «حمر» وهو غير بعيد، وفي «غرابيب سود» وجوه: أحدها ـ «غرابيب» جمع غربيب ـ مثل قناديل وقنديل ـ عطف على «جدد» و«سود» جمع أسود بدل أو عطف بيان لـ«غرابيب» ثانيها ـ عطف على «حمر» من عطف ذي لون على ذي لون ثالثها ـ عطف على «بيض» أي صخور شديدة السواد. رابعها ـ تقديم وتأخير والأصل: وسود غرابيب لأن الغربيب تابع للاسود يقال: أسود غربيب أي شديد السواد تشبيهاً بلون الغراب أي طرائق سود كما تقول: أسود حالك!

٢٨ ـ (ومن الناس والدوابّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)

الواو للاستئناف، و«من الناس» متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم، «والدواب» جمع الدابة، عطف على «الناس» «والانعام» عطف بعد عطف، وفي «مختلف ألوانه» وجوه:

أحدها ـ خبر لمبتداء محذوف تقديره. ماهو مختلف ألوانه: فالهاء عائد إلى «هو».

ثانيها ـ «مختلف» نعت لمحذوف أي جنس مختلف ألوانه، فالهاء راجع إلى محذوف.

ثالثها ـ «مختلف» صفة لمحذوف أي خلق مختلف ألوانه، و«ألوانه» فاعل لـ«مختلف» لأنّه جرى وصفاً على موصوف. فالهاء راجع إلى مفهوم «ومن الناس والدواب والأنعام» وهو خلق: فحذف الموصوف، وأُقيمت الصفة مقامه وهي في موضع رفع بالابتداء.

رابعها ـ «مختلف» مرفوع بالابتداء، و«من الناس» متعلق بمحذوف وهو خبره.

خامسها ـ راجع إلى الانسان تغليباً أو نظر إلى البعض. وفي «كذلك» وجوه:

أحدها ـ الكاف في موضع نصب، نعت لمصدر محذوف، تقديره: مختلف ألوانه اختلافاً مثل ذلك الاختلاف المتقدم ذكره في الثمرات والجبال... ثانيها ـ «كذلك» خبر لمبتداء محذوف. تقديره: الأمر كذلك. ثالثها ـ «كذلك» متعلق بـ«يخشى الله» والمعنى: إنّما يخشى الله كذلك الاعتبار بالآيات من عباده العلماء.

«إنّما» مستأنف، وفي كلمة «إنما» وجهان: أحدهما ـ للحصر فالمعنى: «مايخشى الله إلّا العلماء فغيرهم لايخشاه» ثانيها ـ للتخصيص كما هنا. وذلك بحسب المورد والمراد بأنها قد تأتي للحصر وقد تصلح للتخصيص و«يخشى» فعل مضارع، و«الله» مفعول به، و«من عباده» بيان لـ«العلماء» وفي «العلماء» وجهان: أحدهما ـ الرفع وهو الصواب. ثانيهما ـ النصب ورفع «الله» على معنى: إنّما يعظّم الله تعالى من عباده العلماء. والباقي ظاهر.

٢٩ ـ (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

«إنّ» حرف توكيد، و «الذين» موصولة، في موضع نصب، إسمها، و«يتلون» فعل مضارع، صلة الموصول، و«كتاب الله» مفعول به، و«وأقاموا» الواو للحال، والفعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال، و«الصلاة» مفعول به، والجملة حال من فاعل «يتلون» أي يتلون كتاب الله وقد أقاموا الصلاة في ظل من هذه الخشية، وفي استصحاب لها، و«أنفقوا» عطف على «أقاموا» و«مما» «من» تبعيضية، و«ما» موصولة و«رزقناهم» صلة الموصول، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وفي «سرّاً وعلانية» وجهان: أحدهما ـ نصبها على الحال أي أنفقوا بعض ما رزقناهم مسرّين ومعلنين: ثانيهما ـ صفتان لمصدر أنفق أي أنفقوا إنفاقاً مسرّاً ومعلناً.

وفي خبر «إن» وجهان: أحدهما ـ انّ «يرجون» فعل مضارع، في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد. والمعنى: إنّ هؤلاء الذين يتلون كتاب الله... هؤلاء يرجون...

ثانيها - خبرها مقدّر وهو فعلوا يتعلّق به قوله تعالى: «ليوفيهم» أي فعلوا مافعلوا ليوفيهم اجورهم. و«يرجون» في موضع نصب على الحال، و«تجارة» مفعول به و«لن» حرف تأييد للنفي و«تبور» منصوب بـ«لن» والجملة المنفيّة في موضع نصب، صفة لـ«تجارة». وقيل: خبر «إن» قوله تعالى: «انه غفور رحيم» وهذا غير وجيه.

٣٠ - (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله إنّه غفور شكور)

«ليوفيهم» اللام للتعليل يقال لها: لام الصيرورة، والفعل مضارع من باب التفعيل، منصوب بـ«أن» مقدرة، والفعل في تأويل المصدر مجرور باللام، وفي تعلق الجار والمجرور وجوه: أحدها - متعلق بـ«يتلون...» ثانيها - متعلق بمحذوف أي فعلوا ذلك ليوفّيهم. ثالثها - متعلق بـ«لن تبور» و«اجورهم» مفعول به، «ويزيدهم» عطف على «ليوفيهم» «انه» حرف تأكيد، والهاء في موضع نصب إسمها، راجع إلى «الله» و«غفور» خبرها، و«شكور» خبر بعد خبر. وقيل: ان الجملة المؤكّدة خبر لحرف التأكيد في الآية السابقة: «إن الذين...» وهذا غير وجيه.

٣١ - (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه إنّ الله بعباده لخبير بصير)

الواو للاستئناف، و«الذي» موصولة، في موضع رفع، بالابتداء، و«أوحينا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، صلة الموصول، على حذف العائد أي أوحيناه، و«اليك» متعلق بـ«أوحينا» و«من الكتاب» متعلق بمحذوف وهو حال من الضمير المنصوب المحذوف من الصّلة تقديره: والذي أوحيناه إليك كائناً من الكتاب. وفي «من» وجوه: أحدها - للتبعيض بناءاً على أنّ المراد بالكتاب هو الجنس. وهذا يعني أنّ ما كان قد نزل من القرآن الكريم لم يكن كل القرآن، بل بعضه، وهذا هو الواقع لأن سورة «فاطر» مكية، والقرآن المدني ما نزل بعد. ثانيها -

للتبيين بناءاً على أن الكتاب هو القرآن الكريم كله. فاللام في «الكتاب» للعهد دون الجنس وهو الصواب، وقد اطلق الكتاب مراراً على بعض القرآن الكريم، فلاوجه لوجه الاوّل: ان اللام للجنس والمراد بالكتاب مطلق الكتاب السماوي المنزل على الأنبياء عليهم السلام. ثالثها ـ للابتداء بناءاً على أنّ الكتاب هو اللوح المحفوظ.

في «هو» وجهان: أحدهما ـ ضمير فصل، جاء للتأكيد. ثانيها ـ مبتداء و«الحق» خبره و الجملة خبر للموصول، و«مصدقاً» حال موكّدة، و«لما» اللام جارّة، و«ما» موصولة، متعلق بـ«مصدقاً» و«بين يديه» متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول. «إن» حرف توكيد و«الله» إسمها، و«بعباده» متعلق بـ«بصير» أو بـ«لخبير» واللام للتأكيد، و«لخبير» خبرها، و«بصير» خبر بعد خبر.

٣٢ ـ (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

«ثم» حرف عطف للتراخي، و«أورثنا» فعل ماض للتكلّم مع الغير من باب الافعال، و«الكتاب» مفعول ثان، و «الذين» موصولة في موضع نصب، مفعول أوّل لـ«أورثنا» وقدّم الثاني تشريفاً وتعظيماً للكتاب، و«اصطفينا» فعل ماض للتكلّم مع الغير من باب الافتعال، على قلب التآء طآءً، والفعل صلة الموصول، على حذف العائد أي إصطفيناهم، و«من عبادنا» متعلّق بمحذوف، وهو الحال من ضمير الجمع المحذوف أي هم كآئنين من عبادنا. وفي «من» وجوه: أحدها ـ بيانية ثانيها ـ إبتدائية ثالثها ـ تبعيضيّة.

فمنهم» الفآء للتفصيل، و«منهم» متعلق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«ظالم» مبتداء مؤخّر، و«لنفسه» متعلق بـ«ظالم» والباقي ظاهر، و«من» في الجميع للتبعيض، وفي ضمير «منهم...» وجوه: أحدها ـ كلها راجع إلى «الذين اصطفينا» فيكون الطوائف الثلاث: الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق بالخيرات شركآء في

الوراثة. ثانيها ـ راجع إلى «عبادنا» ثالثها ـ راجع إلى الامّة. و«باذن الله» متعلق بمحذوف وهو الحال لماسبق. و«ذلك» مبتدآء، و«الفضل» خبره، و«هو» فصل بين المبتداء والخبر و«الكبير» نعت لـ«الفضل» ويحتمل أن يكون «ذلك» مبتدآء أوّل، و«هو» مبتداء ثان و«الفضل» خبر لـ«هو» والجملة خبر للأوّل.

٣٣ ـ (جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

«جنات» جمع جنّة، أضيفت إلى «عدن» في إعرابها وجوه: أحدها ـ متبداء، و«يدخلونها» خبره. ثانيها ـ خبر لمبتداء محذوف أي هي جنات عدن، و«يدخلونها» نعت لـ«جنّات عدن» ثالثها ـ «جنات» بالنصب، بدل من «الخيرات» رابعها ـ بالنصب، مفعول لفعل مقدّر يفسّره مابعده أي يدخلون جنات عدن يدخلونها. خامسها ـ بيان لـ«الفضل الكبير» كأنه قيل: ماذلك الفضل؟ فقال: هى جنات أي جزآء جنات أو دخول جنات. سادسها ـ بدل من «الفضل الكبير» كأنّه قال: ذلك دخول الجناب سابعها ـ خبر ثان لـ«ذلك».

وفي «يدخلونها» وجوه: أحدها ـ في موضع رفع، خبر لـ«جنات عدن» ثانيها ـ في موضع رفع، نعت لـ«جنات» وخبرها «يحلّون» ثالثها ـ في موضع نصب على الحال. و«يحلّون» فعل مضارع لجمع المذكر الغآئب، مبنيّ للمفعول، وفي إعرابه وجوه: أحدها ـ في موضع رفع، خبر ثان لـ«جنات عدن» ثانيها ـ في موضع نصب، حال من فاعل «يدخلونها» ثالثها ـ في موضع رفع، نعت ثان لـ«جنات» و«لباسهم فيها حرير» نعت ثالث لـ«جنات» رابعها ـ «يحلون فيها ولباسهم فيها حرير» في موضع نصب، حال من ضمير المرفوع أو المنصوب في «يدخلونها» لأن في كلتى الحالتين عائدان: أحدهما ـ يعود على ضمير المرفوع في «يدخلونها» والآخر على المنصوب.

«من أساور» جمع أسورة وهي جمع سُوار وسِوار، والجار والمجزور متعلق بـ«يحلّون» و«من ذهب» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«أساور» أي أساور كائنة من ذهب.

والمعنى: ذهبية. و«من» في «من أساور» للتبعيض وفي «من ذهب» بيانية أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنّه أفضل من سائر أفرادها...

٣٤ـ (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن ان ربّنا لغفور شكور)

«الذي» موصولة في موضع جرّ، نعت لـ«لله» والباقي ظاهر.

٣٥ـ الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب)

في «الذي» وجوه: أحدها ـ في موضع نصب، نعت لـ«ربنا» ثانيها ـ في موضع رفع على إضمار المبتدآء أي هو الذي. ثالثها ـ في موضع رفع، بأنّه خبر بعد خبر لحرف التأكيد. رابعها ـ بدل من «غفور» خامسها ـ بدل من مضمر في «شكور» و«أحلّنا» الفعل ماض، لمفرد المذكر الغائب، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الذي» و«نا» ضمير التكلّم مع الغير في موضع نصب، مفعول به الأول، و«دار المقامة» مفعول ثان لـ«أحلنا» وليس بظرف لأنّها محدودة. وقيل: «دار» ظرف اضيف إلى «المقامة» وهي مصدر أقام. و«لايمسّنا» في موضع نصب، حال من المفعول الأول.

٣٦ـ (والذين كفروا لهم نار جهنّم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور)

في الواو وجهان: أحدهما ـ الاستئناف، فلاموضع لمدخولها الموصول. ثانيهما ـ العطف على «إن الذين يتلون كتاب الله» فالموصول في موضع نصب. و«لهم» متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و«نار جهنّم» مبتداء مؤخّر، و«لا» حرف نفي، و«يقضى» فعل مضارع، مبني للمفعول، و«عليهم» متعلق بـ«لايقضى» والجملة في موضع نصب، حال من ضمير «لهم» «فيموتوا» الفآء جواب النفي، منصوب باضمار «أن» وعلامة النصب سقوط نون الرفع «ولايخفف» عطف على «لايقضى» و«عنهم» قام

مقام الفاعل و«من عذابها» في موضع نصب، وقيل: يجوز العكس. وقيل: «من» زائدة فيتعيّن له الرفع، و«كذلك» في موضع نصب، نعت لمصدر محذوف أي نجزي جزآء مثل ذلك.

٣٧ - (وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)

«وهم» الواو تحتمل الحال والاستئناف، و«هم» في موضع رفع بالابتدآء، و«يصطرخون» فعل مضارع، لجمع المذكر الغآئب من باب الافتعال من الصراخ، قلبت التآء طآءً لمكان الصاد الساكنة قبلها، وإنّما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف الوسط بين حرفين، يوافق الصاد بالاستعلآء و الاطباق، ويوافق التآء بالمخرج، و«فيها» متعلق بـ«يصطرخون» الهآء راجع إلى «نار جهنّم» و«ربّنا» منصوب بالنداء المحذوف، و«أخرجنا» فعل أمر من باب الافعال، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، والجملة بيان لاصطراخهم على تقدير القول: أي هم يقولون: ربنا... و«نعمل» مجزوم بحرف الشرط أي إن أخرجتنا نعمل و«صالحاً» فيه وجهان: أحدهما - نعت لمصدر محذوف أي عملاً صالحاً. ثانيها - صفة لمفعول محذوف. وفي «غير الذي» وجوه: أحدها - نعت لمصدر محذوف ثانيها - صفة لمفعول محذوف ثالثها - أن يكون مفعولاً به لـ«نعمل». رابعها - نعت ثان لمصدر محذوف أي نعمل عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمله من قبل. «أو لم نعمّركم» الهمزة للاستفهام، والفعل مضارع للتكلم مع الغير من باب التفعيل، مجزوم بـ«لم» وضمير الخطاب لجمع المذكر في موضع نصب، مفعول به، والجملة جواب لاصطراخهم على حذف القول: أي يقال لهم: وفي «ما» وجوه: أحدها - موصولة و«يتذكر» فعل مضارع من باب التفعل، صلتها، و«فيه» الهاء عآئدها، و«من» موصولة في موضع رفع، فاعل «يتذكر» جملة الصلة والموصول في موضع نصب على أنّه ظرف زمان لأنّ المعنى: أولم نعمّركم زماناً طويلاً

يتذكر فيه تذكّر، وقلّما يجيئ «ما» في معنى الظرف وهو إسم، وإنّما يجيئ حرفاً مصدرياً. ثانيها ـ أن تكون نكرة موصوفة أيّ تعميراً يتذكر فيه ثالثها ـ مصدرية ظرفية.
«وجآءكم» عطف على المعنى: كأنّه قيل: قد عمّرناكم وجآءكم النذير.

«فذوقوا» الفاء للتفريع والفعل أمر لجمع المذكر المخاطب، «فما» الفاء للتفريع، و«ما» نافية و«للظالمين» متعلق بمحذوف إسمها، و«من» زائدة لتأكيد النفي و«نصير» خبرها.

٣٨ ـ (إن الله عالم غيب السموات والأرض إنّه عليم بذات الصدور)

إعرابها ظاهر.

٣٩ ـ (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربّهم إلّا مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً)

«هو» مبتداء، و«الذي» موصولة، و«جعل» صلة الموصول، والجملة في موضع رفع، خبر المبتداء، و«كم» في موضع نصب، مفعول به الأوّل، و«خلائف» جمع خليفة مفعول ثان «فمن» الفآء تفصيلية، و«من» إسم شرط، و«كفر» فعل الشرط، و«فعليه» الفآء للجزآء، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و«كفره» مبتداء مؤخر، والجملة جزآء الشرط، «ولايزيد» الواو للاستئناف، و«لا» نافية، و«يزيد» فعل مضارع، و«الكافرين» مفعول به، و«كفرهم» فاعل الفعل، و«مقتاً» منصوب بالاستثنآء، والباقي ظاهر.

٤٠ ـ (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً)

«شركاء» جمع شريك، مفعول به لـ«رأيتم» أُضيف إلى «كم» إضافة لاميّة مجازية لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم شركآء لله سبحانه، و«الذين» موصولة، و«تدعون» صلتها على حذف العآئد أي تدعونهم، والجملة في موضع نصب، نعت لـ«شركآئهم»، و«من دون الله» متعلق بمحذوف، وهو الحال من ضمير الجمع المحذوف أي كائنين من دون الله و«أروني» الفعل أمر لجمع المذكر المخاطب، والنون للوقاية والياء للتكلّم معه، في موضع نصب، مفعول به، و«ما» اِسم استفهام في موضع نصب، مفعول به، فالجملة بدل إشتمال من «أرأيتم» كأنه قيل: أخبروني عن شركائكم؟ أروني أيّ جزء خلقوا من الأرض، وضمير «لهم» راجع إلى الشركاء وضمير «آتيناهم» و«فهم» راجع إلى المشركين، وضمير «منه» راجع إلى «كتاباً» و«بل» إضرابٌ عما سبق و«إن» نافية، و«غروراً» منصوب بالاستثناء.

٤١ ـ (إنّ الله يُمسِك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً)

في «أن تزولا» وجوه: أحدها ـ في موضع نصب، على معنى: كراهة أن تزولا. ثانيها ـ على تقدير: لئلا تزولا ثالثها ـ في موضع نصب، مفعولاً لأجله أي مخافة أن تزولا رابعها ـ في موضع نصب، مفعولاً به أي من أن تزولا أو عن أن تزولا. وعلى أيّ وجه كان، فتعلق بـ«يمسك» و«لئن» اللام للقسم. و «إن» نافية بمعنى «ما» و«أمسك» بمعنى يمسك، والجملة جواب القسم، و«من» في «من أحد» زائدة لتأكيد نفي العموم، و«من» في «بعده» للابتداء، وضمير «من بعده» راجع إلى «الله» وقيل: راجع إلى الزوال، و«غفوراً» خبر بعد خبر.

٤٢ ـ (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الامم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلّا نفوراً)

الواو للاستئناف، و«أقسموا» فعل ماض من باب الافعال، و«بالله» متعلّق بـ«أقسموا»، و«جهد» مفعول به: اضيف إلى «أيمانهم» جمع يمين، و«لئن جاءهم نذير» مقسم به، و«من إحدى الامم» أُنِثَ لتأنيث الامة، و«ما زادهم» «ما» حرف نفي، والفعل ماض، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى معنى «جآءهم نذير» أي مازادهم هو أو مجيء النذير، و«نفوراً» منصوب بالاستثنآء.

٤٣ ـ (إستكباراً في الأرض ومكر السّيّئ ولايحيق المكر السّيّئ إلّا بأهله فهل ينظرون إلّا سنّت الأوّلين فلن تجد لسنّت الله تبديلاً ولن تجد لسنّت الله تحويلاً)

في «إستكباراً» وجوه: أحدها ـ مفعول لأجله لقوله: «نفوراً» أي نفروا عنه وتباعدوا للاستكبار في الأرض. ثانيها ـ منصوب على المصدر تقديره: استكبروا إستكباراً في الأرض. ثالثها ـ منصوب على الحال أي مستكبرين في الأرض. رابعها ـ بدل من «نفوراً» أي مازادهم مجيئ النذير إلّا استكباراً في الأرض.

وفي «مكر السّيّئ» وجوه: أحدها ـ هو من إضافة الموصوف إلى صفته، **تقديره:** ومكر المكر السّيّئ. دليله قوله تعالى بعد ذلك: «ولايحيق المكر السّيّئ إلّا بأهله» وثانيها ـ منصوب على المصدر، ثم اضيف إلى نعته إتساعاً كصلاة الاولى ومسجد الجامع. ثالثها ـ معطوف على «استكباراً» فمفعول لأجله مثله. رابعها ـ اضيف المصدر إلى صفة المصدر فالتقدير: ومكروا المكر السيّئ بدلالة قوله تعالى: «ولايحيق المكر السيّئ». خامسها ـ معطوف على «نفوراً».

«المكر السّيّئ» وصف المكر بالسّيّئ أصله، وإضافته إليه، إستعمال آخر قدر فيه مضاف، حذراً من الاضافة إلى الصفة. «فهل ينظرون» الفاء للتفريع، والاستفهام إنكاريّ أي فلاينظرون. والباقي ظاهر.

٤٤ ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم

قوة وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)

الهمزة استفهامية، «فينظروا» الفاء للتفريع، والفعل مضارع، منصوب باضمار «أن» لوقوعه بعد الإستفهام، و«ليعجزه» منصوب باضمار «أن» والهاء في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «الله» و«من» زائدة لتأكيد النفي و«شئ» فاعل لـ«ليعجزه» و«قديراً» خبر بعد خبر لـ«كان» والجملة خبر لحرف التأكيد.

٤٥ ـ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمىً فاذا جآء أجلهم فانّ الله كان بعباده بصيراً)

الواو للاستئناف، و«لو» إمتناعية، و«يؤاخذ» فعل مضارع من باب المفاعلة، و«الله» فاعل الفعل، و«الناس» مفعول به، و«بما» متعلق بـ«يؤاخذ» الباء سببيّة و«ما» موصولة، وتحتمل المصدرية، و«كسبوا» صلتها على حذف العائد أي كسبوه، و«ماترك» «ما» نافية، والفعل ماض، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و«على ظهرها» متعلق بـ«ترك» والهآء راجع إلى «الأرض» «من دابة» في موضع نصب، مفعول به لـ«ترك» على زيادة «من» لتأكيد النفي، والجملة جواب لـ«لو».

«ولكن» إستدراك، و«يؤخّرهم» الفعل مضارع، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» وضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به، و«إلى أجل» متعلق بـ«يؤخّرهم» و«مسمّى» نعت لـ«أجل».

«فاذا جآء أجلهم» الفآء للتفريع، و«جاء» عامل «إذا» لأن في «إذا» معنى الجزآء، والأسمآء التي يُجازىٰ بها يعمل فيها مابعدها، فاشبهت «إذا» حروف الشرط لما فيها من معناه، فعمل فيها مابعدها، وإن كان حقّها أن لايعمل فيها مابعدها لأنّها مضافة إلى مابعدها من الجمل. فالموضع الذي يجازى بها يمكن أن يعمل فيها الفعل الذي يليها كما يعمل في «من» و «ما» اللتين للشرط، والموضع الذي لايجازى فيه بها لايحسن أن يعمل فيها الفعل الذي يليها، لأنّها مضافة إلى الجملة التي بعدها،

والمضاف إليه لايعمل في المضاف لأنه من تمامه، كما لايعمل الشيئ في نفسه. ولايجوز أن يعمل «بصيراً» في «إذا» لأن مابعد «إن» لايعمل فيما قبلها، و «جآء أجلهم» من موارد اجتماع الهمزتين المتفقتين على الفتح.

«فان الله» الفآء للجزآء، و«إنّ» حرف توكيد، و«الله» إسمها، و«كان» فعل ناقص، إسمها ضمير فيه، راجع إلى «الله» و«بصيراً» خبرها، و«بعباده» متعلق بـ«بصيراً» والجملة الناقصة خبر لحرف التأكيد، والجملة المؤكدة جزآء «إذا».

﴿البيان﴾

١ - ﴿الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾

قد سبق منّا كلام لطيف بيانيّ، حول «الحمد لله» في البحث البياني، في تفسير سورة «سبأ» من هذا التفسير، فراجع واغتنم جدّاً.

قوله تعالى: «فاطر السموات والأرض» بيان لما يليق به الله جل وعلا وحده للحمد كلّه، من ذكر بعض مظاهر علمه وقدرته، من عزّه وعظمته، ومن تدبيره وحكمته...

إن تسئل: وقد فُسِّرَ «فاطر» بالمبتدع والمخترع والخالق والمنشئ، فماذا لم يقل: مبدع السموات أو مخترعها، أو خالقها أو منشئها...؟

تجيب عنه: وإن كانت كلمة «فاطر» ترادف كلمة «مبدع ومخترع وخالق ومنشئ...» ولكن بينها فروق، فان الفطر هو إظهار الحادث إمّا باخراجه من العدم إلى الوجود، وإما باخراجه من الوجود إلى الظهور، كأنّه شقّ عنه فظهر، وأصل الباب: الشق، ومع الشق الظهور ومن ثمّ يقال: تفطر الشجر إذا تشقق بالورق، وفطر الله الخلق: أظهرهم بإيجاده إياهم من العدم، أو أخرجهم من الوجود إلى الظهور كمايظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر، وأما الابتداع فهو ايجاد مالم يسبق إلى مثله، يقال: أبدع فلان إذا أتى بشيئ غريب. والبدعة في الدين مأخوذ من هذا، وليس المقام بصدد بيان ايتاء شيئ غريب لم يسبق إلى مثله، وأما الاختراع فهو الايجاد من غير سبب، وأصله في العربية: اللين والسهولة، فكأن المخترع قد سهّل له الفعل، فأوجده

من غير سبب، يتوصّل به إليه، وليس السياق بصدد بيان ايجاد شيئ من غير سبب.

وأما الخلق فكل ما له مقدار ومساحة وهو عالم الأجسام، ففيه معنى التقدير، وليس المقام بصدد بيان تقدير السموات والأرض، وأمّا الانشآء فهو الاحداث حالاً فحالاً من غير إحتذاء على مثال، ومنه يقال: نشأ الغلام وهو ناشيئ إذا نماوزاد شيئاً فشيئاً... وأما الفطر ففيه معنى يناسب السياق ما ليس في الابداع والاختراع والخلق والانشآء، وهو إخراج الحادث من الوجود إلى الظهور، فشق السموات لخروج الملائكة منها، والأرض لنزول الملائكة عليها، لاشق العدم باخراجهما منه كما زعم بعضهم وإن كان هذا من معنى الفطر، ولكن المقام ليس بصدده. وقال بعضهم: إن اطلاق «فاطر» على الله جل وعلا بعناية إستعارية كأنّه تعالى شقّ العدم، فأخرج من بطنه السموات والأرض، فالمعنى: إن الله عزوجل أوجد السموات والأرض ايجاداً ابتدائياً من غير مثال سابق، فيقرب معناه من معنى البديع ولكن الفرق بين الابداع والفطر: أنّ العناية في الإبداع متعلقة بنفي المثال السابق، وفي الفطر بطرد العدم، وايجاد الشيء من رأس لاكالصانع الذي يؤلّف موادّ مختلفة، فيظهر به صورة جديدة لم تكن.

وانّ الفاطر من أسماء الله تعالى اجرى صفة لله عزّوجلّ، والمراد بالوصف الاستمرار دون الماضي فقط لأنّ الايجاد مستمرّ، وفيض الوجود غير منقطع، ولو انقطع لانعدمت الأشيآء...

هذا بنآءً على حدوث الصفات الفعلية لله عزوجل على زعم المتفلسفين، بأنّه سبحانه رازق، خالق، فاطر... من صفات الفعل مادام يرزق ويخلق ويفطر، ومتلبّساً بالأفعال التي تناسب الصفات أو تنشأ منها الصفات... ولكن لايخفى على المؤمن العالم: ان المعمار معمار وإن لم يكن شاغلاً بطرح النقشة للقصور والأبنية، مضافاً إلى أن ذلك يلازم عدم كونه سبحانه فاطراً قبل خلقه الكون؟! فتأمل جيّداً.

وقوله عزوجل: «جاعل الملائكة رسلاً» من معاني الجعل هو تغيير صورته بايجاد

الأثرفيه وبغير ذلك كما تقول: جعلتُ الطين خزفاً وجعلتُ الساكن متحركاً، وهذا المعنى هو المناسب في المقام بأنّ الله جلّ وعلا وجعل الملائكة على هذه الصفة، وإن لم يكونوا من قبل، كذلك فانهم في عالم اللاهوت على صفة غيرما هم عليها في عالم الناسوت. وفي ايثار الوصف بعد الوصف إشعار بأسباب قصر الحمد في الله عزوجل، فكأنّه قيل: إنّه جل وعلا هو المحمود بذاته لما فطر السموات والأرض لنزول الملائكة ولما جعل الملائكة رسلا...

ولايخفى على القارئ الخبير! ان اللام في «الملائكة» تفيد العموم بالنسبة إلى المرسلين النازلين منهم على العالم الأرضي بأنهم جميعهم وسائط بين الخالق وخلقه، في اجرآء أوامره التكوينية والتشريعية، فعلى هذا لاوجه لتخصيص الرسل في الآية الكريمة بالملائكة النازلين على الأنبيآء والمرسلين، حيث اطلق القرآن الكريم الرسل على غيرهم من الملائكة النازلين على غيرهم كقوله تعالى: «حتى إذا جآء أحدهم الموت توفته رسلنا» الأنعام: ٦١) وقوله عزوجل: «ان رسلنا يكتبون ما تمكرون» يونس: ٢١) وأما الملائكة الذين باقون في عالم اللاهوت، غير نازلين على عالم الناسوت أي ما جعلهم الله تعالى رسلاً فلا.

وقوله سبحانه: «اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع» صفات للملائكة النازلين، تدل على كثرة العدد والمعدود...

وقوله عزوجل: «يزيد في الخلق مايشاء» مستأنف سيق لتقرير ما قبله من تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة، وايذان بأنّ ذلك من مقتضى مشيّتة الله تعالى ومؤدّى حكمته يزيد ما يشآء، لا من أمر تستدعيه ذواتهم... وفيه رَدٌّ على من يتصوّر أنّ ذوات الأجنحة لا تكون إلّا بجناحين، وأن الثلاثة لايقوم بها نظام الطائر، كما أن الأربعة هي بمنزلة الجناحين... وهذا في تقدير الخلق، ولكنّ الخلّاق العظيم المبدع يخلق مايشآء ويزيد في الخلق مايشآء.

وقوله تعالى: «إن الله على كل شيً قدير» تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور

حيث إنّ شمول قدرته جلّ وعلا لجميع الأشيآء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل مايشآء ايجاباً بيّناً، وعلى هذا فعموم السياق يؤيّد أن تكون الجملة المؤكّدة تعليلاً لجميع ماتقدم، لاللجملة الأخيرة من الآية الكريمة كماقيل.

ولايخفى! ان سياق الآية الكريمة واسلوبها يلهمنا! أنّ ذكر فطر السموات والأرض، وجعل الملائكة رسلاً واولى أجنحة ما كان مقصوداً لذاته، بل اريد بذلك، إشارة إلى مظهر من مظاهر قدرة الله جل وعلا وعظمته وعلمه وحكمته، ويدل ذلك أيضاً على أنّ الملائكة وأجنحتهم ورسالاتهم بين الله عزوجل وعباده كانوا في أذهان الناس من أهمّ مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته، ومن مواضيع تساؤلهم وذهولهم، فاحتوت الآية الكريمة هذا التقرير والبيان عنهم بالاسلوب الذي جآء به ليكون في نفس الوقت وسيلة من سائل التنويه والتذكر بعظمة الله عزّوجل وقدرته، مع أنّ فطر السموات والأرض وأجنحة الملائكة ورسالاتهم إلى أنبياء الله تعالى مما ورد في الكتب السالفة، بل لم يكن هذا الأمر غريباً على أذهان العرب السامعين، وقدحكت آيات عديدة تحدّيات كفار العرب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم باستنزال الملائكة على ما جاء في السّورة السّابقة.

٢ ـ (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)

الفتح إستعارة عن الاطلاق والارسال كما قال: «فلامرسل له من بعده» مكان «لافاتح له»، وقد كان مقتضى الظاهر أن يقال: «مايرسل الله للناس...» كما عبّر في الجملة الثانية بالارسال لكنّه عدل عن الارسال إلى الفتح لما وقع مكرراً في كلامه تعالى: أن لرحمته خزائن: «أم عندهم خزائن رحمة ربك» ص: ٩) فالتعبير بالفتح أنسب من الارسال في الخزائن تنبيهاً إلى أنّ الرحمة التي يؤتاها الناس مخزونة في خزائن محيطة بالنّاس لايتوقّف نيلهم بها إلاّ إلى فتحها من غير معونة مع ما في التّعبيرعن

الارسال بالفتح ايذان بأنّ هذه الرحمة أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون، وأعزّها منالاً، وتنكير «رحمة» للاشاعة والابهام كأنّه تعالى قال: أيّ شئ يفتح الله عزوجل من خزائن رحمته أيّة رحمة كانت من نعمه سماويّة أو أرضيّة؟ من صحّة وأمن؟ أو علم وحكمة؟ من مال وولد؟ أو جاه وقدرة وغير ذلك مما لايحاط به «فلاممسك لها» إذ لايقدر أحد على إمساكها وحبسها وكفّها، وأيّ شئ يمسكه الله عزوجل فلايقدر أحد على إطلاقه وإرساله كما في دعآء يستشير: «ولامانع لما أعطيت ولامعطي لما منعت» وضميرا «لها» و «له» يرجعان معاً إلى «ما» حملاً على اللفظ في أحدهما فأُنِث أوّلاً، وعلى المعنى في الآخر فذكّر، وذلك انّ الأوّل فُسِّرَ بالرحمة، فتبع الضمير التفسير، والثاني لم يفسّر، فتذكر على أصل التذكير، وترك لاحتمال معنى الاطلاق في الثاني على كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، ولدلالة على أنّ رحمته سبقت غضبه، فاختلاف الضميرين لاختلاف مرجعهما لفظاً ومعنى، فمرجع الأول «رحمة» ومرجع الثاني مطلق ما يتناول الرحمة وغيرها كائناً ما كان.

وفي التعبيرعن الرزق الّذي هوالنعمة بالرحمة دلالة على أنّ إفاضته جل وعلا لهذه النعمة من شئون الالوهية، من جهة، وناشئة من مجرّد الرحمة من غير توقّع لنفع يعود إليه سبحانه أو كمال يستكمل به من جهة اخرى، كما أنّ في تقييد ما يرسل من الله تعالى إلى الناس بالرحمة دلالة على أنّ رحمته وسعت كل شئ، وفي إطلاق الامساك من غير تقييد بالرحمة أو غيرها إشارة إلى أنّ الله عزوجل إنّما يمسك ما يمسك لاضنّاً بما يمسكه، وإنّما لحكمة وتقدير.

في تقديم فتح باب الرحمة على الامساك ، وبيان الضمير بقوله: «من رحمة» وإطلاق «وما يمسك » الشامل لامساك الرحمة والغضب، وقوله: «من بعده» أي من بعد إمساكه دلالة على أنّ رحمته سبقت غضبه، وعلى أنّ الرحمة إذ جآئت لم يكن لها إنقطاع وأنّ ضدّها قدينقطع، كما أنّ أهل الجنّة لايخرجون من الجنّة، وقديخرج أهل النار من النار وقيل: في «من بعده» إشارة إلى أنّه جل وعلا أوّل في المنع كما أنّه أوّل

في الإعطآء.

وقوله تعالى: «وهو العزيز الحكيم» في موضع تعليل لفتح الرحمة وإمساكها بأنّه الغالب على ما يريد من إرسال الرحمة وإمساكها، وليس هذا إلّا عن علم كامل، وصلاح شامل، وحكمة تامّة، فانّ القدرة كلّها بيده تعالى وحده فلايملك أحد شيئاً يقدر به على أن يجلب خيراً ونفعاً أو يدفع شرّاً وضرّاً إلّا باذن الله تعالى. وفي الآية الكريمة عظة للناس بالاقبال إلى ربّهم والتوجه إليه من قضآء حاجتهم، والتوكل عليه في جميع مآربهم، والاعراض عما سواه من جميع خلقه كقوله تعالى: «وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله» الانعام: ١٧).

٣ - (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السمآء والأرض لا إله إلّا هو فأنى تؤفكون)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب لتذكير الناس بنعم الله تعالى عليهم، وأمرهم بتذكّرها على الاجمال قلباً ولساناً وعملاً، وإحتجاج عليهم بالرازقية على الربوبية والوحدانية في الخالقية والالوهية.

قوله عزّوجل: «هل من خالق غير الله يرزقكم...» إستفهام تقريريّ معناه النفي والانكار، ليقرّوا بأنّ الله عزّوجل هو الخالق والرازق، ولاخالق ولارازق إلّا هو، وينكر على الذين يولّون وجوههم إلى غير الله، ويلتمسون الرزق من غيره، وفي تبديل الرحمة: «من رحمة» في الآية السابقة بالنعمة: «نعمت الله» في هذه الآية أوّلاً ثم النعمة بالرزق: «يرزقكم» ثانياً، وقد كان مقتضى سياق الآيتين أن يقال: هل من راحم؟ أو منعم؟ أو رازق؟ ولكن بدّل ذلك من قوله عزّوجل: «هل من خالق» إشارة إلى برهان ثان ينقطع به الخصام، فإنّهم يرون تدبير العالم لآلهتهم باذن الله تعالى، فلو قيل: هل من منعم أو رازق غير الله؟ لم ينقطع الخصام، وأمكن لهم أن يقولوا: نعم! آلهتنا بتفويض التدبير من الله سبحانه إليهم، ولكن لمّا قيل: «هل من

خالق» اشير بالوصف إلى أن الرازق والمدبّر هو خالق الرزق لاغير، فانقطع الخصام ولم يمكنهم إلّا أن يجيبُوا بنفي خالق غير الله يرزقهم من السمآء والأرض.

وقوله عزوجل: «لا إله إلّا هو» مستأنف سيق لتقرير النفي المستفاد منه قصداً، وجار مجرى الجواب عمّا يوهمه الاستفهام صورة، فحيث كان هذا ناطقاً بنفي الوجود تعيّن أن يكون ذلك أيضاً كذلك قطعاً، وقيل: إعتراض بالتوحيد، يفيد التعظيم نظير قوله: «وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه» أي لامعبود بالحق إلّا هو لأن المستحق للعبادة هو الذي ينعم عليكم ويرزقكم وليس إلّا الله جل وعلا.

وقوله تعالى: «فأنى تؤفكون» الفاء لترتيب إنكار عدولهم عن التوحيد إلى الاشراك على ماقبلها كأنّه قيل: وإذا تبيّن تفرّده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن أيّ وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ؟ فالتوبيخ متفرّع على ماسبق من البرهان أي فاذا كان الأمر كذلك، وانتم تعترفون بذلك، فالى متى تصرفون عن الحق إلى الباطل، ومن الايمان إلى الكفر، ومن التوحيد إلى الاشراك ؟؟؟!!!

٤ ـ (وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور)

تعليل للأمر المقدّر بالصبر، وتطمين للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه له إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين خطابي الناس مسارعة إلى تسليته صلّى الله عليه وآله وسلّم بعموم البليّة أوّلاً ثم الاشارة إلى الوعد والوعيد ثانياً، وفيه أيضاً من باب إكتفآء ذكر السبب عن ذكر المسبّب، فالتقدير: فاصبر كما صبر اولواالعزم من الرسل، فإذا كان قومك كذّبوك فقد كذبت رسل من قبلك أيضاً، فالامور راجعة إلى الله جلّ وعلا وهو الكفيل بمقابلة الناس على أعمالهم، فلاينبغي أن تحزن وتغتم على مايكذّبك قومك، وتنكير «رسل» للتفخيم الموجب لمزيد التسلية، والتوجّه والحثّ على المصابرة أي رسل اولو شأن خطير، وذو وعدد كثيرة واولو آيات عديدة ونذر شديدة، وأعمار طويلة، وأصحاب صبر وعزم وإستقامة بليغة.

قوله تعالى: «وإلى الله ترجع الامور» تهديد و وعيد لهؤلاء المكذّبين، و بأنّ أمرهم إلى الله جل وعلا، وأنّهم راجعون إليه تعالى، فيقضي فيهم بحكمه، ويجزي المسيئ منهم بما عمل وفي الاقتصار على ذكر إختصاص المرجع بالله تعالى مع إبهام الجزآء ثواباً وعقاباً من المبالغة في الوعد والوعيد مالايخفى.

٥ ـ (يا أيها الناس إنّ وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولايغرّنكم بالله الغرور)

رجوع إلى خطابهم، وتكرير الندآء لتأكيد العظة والتذكير فهتاف بالناس كافّة في كل ظرف، ودعوة لهم إلى قبول وعد الله جل وعلا على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من البعث والحساب والجزآء والجنّة والنار، وتوكيد لهم بأنّ وعد الله هذا حق، وتحذير لهم من الاغترار بالحياة الدنيا والاستمتاع إلى وساوس الشيطان وإغراءاته، وتنبيه لهم من الغفلة عن يوم الجزآء، وعمّا يشغل الانسان عن قبول دعوة الحق، وعن الايمان وصالح الأعمال... من متاع الدنيا وزخارفها...

قوله تعالى: «فلا تغرنكم الحياة الدنيا» النهى وإن توجّه إلى الدنيا صورة ولكن المراد به نهيهم عن الاغترار بالدنيا.

وقوله تعالى: «ولايغرنكم بالله الغرور» ذكر عام بعد الخاص، ويحتمل العكس، وقيل: تاكيد لما قبله، ولكل وجه. والأوجه أن تكرير فعل النهي للمبالغة فيه، ولاختلاف الغرورين في الكيفية.

٦ ـ (إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)

تعليل للنهي المتقدم عن التغرير، على طريق الاخبار من الله تعالى بعداوة الشيطان عداوة عامة قديمة ذاتيّة للانسان، بأنّ الشيطان بما أنّه شيطان عدو للانسان بما أنّه إنسان، فلا شأن للشيطان إلّا إغوآء الانسان، وتحريمه سعادة الدنيا وحسن العاقبة، وتحذيرلهم منه ماداموا في الحياة الدّنيا، وفي تنكير «عدوّ» و«عدواً» إشارة إلى

تعدد طرق عداوته و إعمالها ودوامها، وفي تقديم «لكم» إهتمام به.

قوله عزّوجل: «فاتّخذوه عدواً» تفريع لما سبق، والمراد باتخاذ الشيطان عدوّاً التجنّب من ابقاع دعوته إلى الباطل والضلال وعدم طاعته فيما يدعوا الانسان إليه في وساوسه وتسويلاته....

وقوله تعالى: «إنّما يدعوا حزبه» تعليل للمتفرّع، وتقرير لعداوته، وتحذير من طاعته، بالتنبيه على أن غرضه الأصيل في دعوة أتباعه إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض، بل هو توريطهم وإلقاؤهم في العذاب المخلّد حيث لا يحتسبون.

وقوله سبحانه: «ليكونوا من أصحاب السعير» تعليل للتعليل، وتقرير لعداوته، وبيان لغرضه الأصيل في دعوة أتباعه إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا، فكون الناس من أصحاب السعير علّة غائية لدعوة الشيطان.

في الآية الكريمة دلالة على أن علّة الوصف بالشيطنة هي العداوة للانسان، فلابد من تحذيره لأنه أضمر العداوة للانسان بأن يضلّه عن سبيل الله تعالى وطريق الحق والخير والكمال... ففيها حجة دامغة على من يستمع لهذا الكلام المساوي، ثم يصبح من حزب الشيطان فيقوده إلى النار.

٧ ـ (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير)

بيان لمصير الكافرين، وما لموافقي الشيطان وأوليائه الذين **استجابوالدعوته**، وتقرير لمآل أمر المؤمنين، وما لمخالفي الشيطان وأعدائه الذين كذّبوه واستعاذوا بالله عزوجل من شرّه، حيث يكون مصير الأولين العذاب الشديد، ومآل الآخرين، مغفرة الله وأجره الكبير كنتيجة لما تقدم من خطاب الناس وتحذيرهم.

قوله تعالى: «الذين كفروا...» وعيد لمن أجاب دعوة الشيطان، وفي تنكير «عذاب» متصف بـ«شديد» دلالة على التفخيم على أنّ لهم دركات ومراتب مختلفة من العذاب باختلاف كفرهم و طغيانهم، فالابهام أنسب.

وقوله عزّوجلّ: «والذين آمنوا...» وعد لمن خالف دعوة الشيطان وقطع أمانيّه القارعة وفي تنكير «مغفرة وأجر» متصف بـ«كبير» دلالة على غفران عظيم، وثواب جميل لا يدرك واحد منهما إلّا بعد النيل بهما.

٨ - (أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً فانّ الله يضلّ من يشآء ويهدي من يشآء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)

إستفهام إنكاريّ لبيان تقسيم الناس على طآئفتين: طائفة الكافرين، حزب الشيطان وأوليائه، وطائفة المؤمنين، حزب الله جل وعلا، وأعدآء الشيطان، فهم لايستوون في عقائدهم وأفكارهم، ولا في أقوالهم وأعمالهم في الحياة الدنيا، ولا في مصيرهم ومآل أمرهم في الدار الآخرة. على حذف الجواب لدلالة قوله تعالى: «فان الله يضلّ من يشآء...» على تقدير: أفمن زيّن له سوء عمله، فغلب وهمه وهواه على عقله، وانتكس رأيه، فرآى الباطل حقاً والعكس كمن لم يزيّن له ذلك بل وفق حتى عرف الحق حقاً والباطل باطلاً. وقيل: على تقدير: «أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة» لدلالة قوله عزوجل: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» فعليه ان الفاءات الثلاث للسببية، غير أنّ الاولين دخلتا على السبب، والثالثة دخلت على المسبب.

وذلك انّ الفآء في «فرآه حسناً» تفيد أنّ التزيين سبب للرؤية المذكورة، وانّ الفآء في «فان الله» تفيد انّ الاضلال سبب أيضاً للرؤية المذكورة، وانّ الفآء في «فلا تذهب» تفيد انه تعالى يُضل من يشآء فلاينبغي إهلاك النفس للحسرة، فالرؤية سبب للنهي عن ذهاب النفس المذكورة، حيث إنّ أحداً راى عمله القبيح

حسناً لاينبغي لغيره الحسرة عليه، وكذا إضلال الله تعالى لشخص عاص، سبب للنهي المذكور، والاضلال إنما هو كالأثر للسّمّ المأكول في الانسان، بأنّه عزوجل جعل للعصيان أثراً يؤثّر في روح الانسان، وهو الضلالة، فنسبة الاضلال إلى الله تعالى كنسبة أثر السّمّ إليه جل وعلا، هذا من الروح، وذاك في الجسم، وإنّ لقلّة الذنب وكثرته دخلاً في فساد الروح على ما يوافقه في التأثير كما أنّ السمّ إذا كان قليلاً يؤثّر في الجسم، ولكن لايهلك إلّا بعض السموم، وإن كان قليلاً يهلك كما أن الشرك كذلك.

وفي الجملة وجوه أُخَر نشير إلى أهمّها ينبغي التأمّل فيها:

الاول: ان هذا تقرير لما سبق من التباين البيّن بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤدّيين إلى تينك العاقبتين، فالفآء لانكار ترتيب مابعدها على ماقبلها أي أبعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زيّن له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه، كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتّى لا تكون عاقبتاهما كما ذكر، فحذف ماحذف لدلالة ماسبق عليه، فقوله تعالى: «فان الله يضلّ من يشآء» تقرير له، وتحقيق للحق ببيان أن جرت السنّة الالهية على إضلال من كفر كالموت على من شرب السّمّ، وهداية من آمن كما جرت أنّ من تمسّك بالعروة الوثقى نجى ومن ترك هلك، فمن صرف إختياره إلى الضلال فيتركه الله تعالى عليه، ومن صرف إختياره إلى الهدى فيهديه إلى صراط مستقيم.

الثاني: ان هذا تمهيد لما يعقبه من نهيه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن التحسّر والتحزّن عليهم «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» لعدم إسلامهم ببيان أنّهم ليسوا بأهل لذلك، فينبغي أن يضرب عنهم صفحاً، ولايبالي بهم قطعاً، فأبعد كون حالهم كما ذكر تتحسّر عليهم، فحذف لدلالة قوله تعالى: «فلا تذهب نفسك...» دلالة بيّنة على المحذوف.

الثالث: ان هذا تمهيد لصرفه صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّا كان عليه من طمع

إسلامهم، والمبالغة في دعوتهم إليه ببيان إستحالة تحوّلهم عن الكفر والطغيان، والشرك والعصيان لكونها في غاية الحسن عندهم، فالمعنى أبعد ما ذكر من زيّن له الكفر من قبل الشيطان، فرآه حسناً فانهمك فيه، يقبل الهداية حتى تطمع في إسلامه، وتتعب نفسك في دعوته، فحذف ما حذف لدلالة قوله تعالى «فان الله يضلّ من يشآء...» هذا من باب إطلاق السبب على المسبب كمن ألق نفسه من شاهق فمات، تعليل للانكار السابق، بأنّ الله عزّوجل أودع في الانسان قوتي الضلالة والهداية، كما أودع فيه الفجور والتقوى ليصير بهما مختاراً في شئون حياته، فمن أعمل قوّة الضلالة وقوّاها، فيظهر الله تعالى آثارها... «قد أفلح من زكّاها وقدخاب من دسّاها».

وقوله تعالى: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» تفريع على نفي الاستوآء بين الطائفتين قدسبق ذكر أحدهما ظاهراً، والآخر تقديراً. وفي ايثار جمع «حسرات» دلالة على تضاعف إغتمامه صلّى الله عليه وآله وسلّم على أحوالهم أوكثرة مساوي أفعالهم وقبائح أقوالهم تقتضي التأسّف الكثير، والتحسر الشديد «عليهم» إما صلة «تذهب» كما يقال: هلك عليه حبّاً، ومات عليه حزناً أو بيان للمتحسّر عليه، فالقول بتعلّقه على «حسرات» مخدوش بعدم تقدّم متعلق مصدر عليه.

وقوله عزوجل: «إن الله عليم بما يصنعون» تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد أو تعليل للنهي عن الحسرات...

٩ ـ (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)

تقرير للسياق السابق على طريق التدليل على قدرة الله جل وعلا في مظاهر الكون وآياته ونواميسه وتوكيد الوهيته، وإستحقاقه للخضوع والذكر والشكر وحده، وتقريع الكفار وتسفيهم، فقدرة الله عزّوجل وعظمته ما تلتان في الريح، وما تحرّكه من

سحاب وما ينزل من السحاب من ماء على الأرض التي تكون ميتة فاذا هي بعد ذلك تعج بالحياة مما فيه دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس ونشرهم بعد الموت.

قوله تعالى: «فتثير سحاباً» في ايثار المضارع وقبله وبعده فعلا ماض، حكاية للحالة الماضية، وإشارة إلى استحضار تلك الصورة البديعة وإثارة الرياح السحاب الدّالة على القدرة الباهرة وكمال الحكمة البالغة والعلم الشامل، حتّى كأنّ السامع يشاهدها، ولحسم مادّة الشبهة بأنّها من الرياح من غير إحتياج إلى أمر الله تعالى لأنه سبحانه كأنّه فوّض ذلك إليها، وجعلها سبباً لذلك، واذا وجد السبب يوجد المسبب من دون احتياج إلى إعمال قدرة الله عزوجل ثانياً، وللدّلالة على الاستمرار والتجدد ايضاً، ولأن المراد بيان أحداثها لتلك الخصوصية ولذلك اسند إليها.

وقوله عزوجل: «فسقناه إلى بلد ميّت» في الالتفات تهويل وتعظيم، إلتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير، لعلّ النكتة فيه أنه تعالى لمّا قال: «والله أرسل الرياح» أخذ لنفسه نعت الغيبة، ويتبعه فيه الارسال، فانّ فعل الغآئب غآئب، ثم لما قال: «فتثير سحاباً» على سبيل حكاية الحال الماضية، صار المخاطب كأنّه يرى الفعل، ويشاهد الرياح، وهي تثير السحاب، وتنشره في الجوّ، فصار كأنّه يرى من يرسل الرياح لأنّ مشاهدة الفعل كادت أن لا تنفكّ عن مشاهدة الفاعل، فلما ظهر تعالى بنعت الحضور غيّر سياق كلامه من الغيبة إلى التكلم، فاختار لفظ التكلم مع الغير دلالة على العظمة والكبريآء.

وقوله سبحانه: «فأحيينا به الأرض» بالمطر النازل منه لدلالة السحاب عليه للتلازم بينهما في الذهن كما في الخارج، أو بالسحاب، فانه سبب السبب، ايراد الفعلين: «فسقناه» و «فأحيينا به» على صيغة الماضي للدلالة على التحقيق، وإسنادهما إلى نون العظمة المنبئ عن إختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع، ولتكميل المماثلة بين أحيآء الأرض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى: «كذلك النشور» في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية، والكاف في حيّز الرفع على الخبرية أي مثل ذلك

الاحيآء الذي تشاهدونه احيآء الأموات في صحّة المقدورية وسهولة التأتّي من غير تفاوت بينهما أصلاً.

وانّ نسبة الاحيآء إلى الأرض و إن كانت مجازية، ولكن نسبته إلى النبات حقيقية، وأعمال البنات من التغذية والنموّ وتوليد المثل وما يتعلّق بذلك أعمال حيوية تنبعث من أصل الحياة، ولذلك شبّه البعث وإحياء الأموات بعد موتهم باحيآء الأرض بعد موتها أي انبات النبات بعد توقّفه عن العمل، وركوده في الشتآء فقال: «كذلك النشور» أي البعث فالنشور بسط الأموات يوم القيامة بعد إحيآئهم واخراجهم من القبور... في الجملة إشارة إلى قضية البعث، التي هي مبعث ارتياب المشركين، وتكذيبهم للرسول في كل ما يدعوهم إليه... وفي هذه.

١٠ - (من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيّئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هويبور)

في الجمع بين «كان» و«يريد» دلالة على دوام الارادة وإستمرارها، وفيه ردّ على المشركين الذين كانوا يتعزّزون بعبادة الأصنام كما قال الله جل وعلا: «واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً» مريم: ٨١) والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم أي المنافقون الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم كما قال تعالى: «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة» النساء: ١٣٩) فالعزّة جميعاً لله تعالى «فان العزّة لله جميعاً» النسآء: ١٣٩) فليطلبها من أرادها منه جل وعلا وحده لا من غيره، فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذاناً بأنّ إختصاص العزّة بالله عزّوجل موجب لتنصيص طلبها به جل وعلا.

وذلك ان العزّة بمعنى كون الشئ ذاصلابة بحيث يَغلِبُ كل شئ ولايُغلَبُ قطّ تختصّ بحقيقة معناها بالله تعالى، فانّ غيره فقير في ذاته، وذليل في نفسه لايملك لنفسه شيئاً إلاّ أن يرحمه الله تعالى ويؤتيه شيئاً من العزّة كما قال: «وتعزّ من تشآء وتذلّ من

تشآء» آل‌عمران: ٢٦) وقال: «ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لايعلمون» المنافقون: ٨) وبذلك يظهر أنّ قوله عزّوجلّ: «من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً» ليس بصدد بيان إختصاص العزّة بالله تعالى بحيث لاينالها غيره منه جل وعلا، وأن من أرادها فقد طلب محالاً، وأراد ما لايكون بل المعنى: من كان يريد العزّة فليطلبها من الله عزوجل وحده لا من غيره لأنّ العزّة لله تعالى جميعاً فلا توجد عند غيره بالذات، فوضع قوله تعالى: «فللّه العزّة جميعاً» في جزآء الشرط من قبيل وضع السبب موضع المسبب، وهو طلبها من عنده عزّوجل بالعبودية التي لاتحصل إلّا بالايمان وصالح العمل.

فالعزّة لله جميعاً في الحقيقة وبالذات، ولرسوله بواسطة القرب من الله العزيز، وللمؤمنين بواسطة قربهم من العزيز بالله وهو الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لأن عزّة المؤمنين بواسطة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لقوله عزّوجل: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله» آل‌عمران: ٣١).

وقوله تعالى: **«إليه يصعد الكلم الطيّب»** بيان لما يطلب العبد به العزّة وهو التوحيد والعمل بما وافق التوحيد، وصعودهما إلى الله جل وعلا كناية عن تقرّب العبد من الله عزوجل بالايمان والعمل الصالح، وقيل: كناية عن قبوله تعالى إياهما وهذا من لوازم المعنى، وقيل: كناية عن صعود الكتبة بصحيفتهما، وفي تقديم الجار والمجرور: «إليه» دلالة على كمال الاعتداد به كقوله تعالى: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات» التوبة: ١٠٤) وفي الجملة إشارة إلى أنّ الله عزّوجل طيّب لايقبل إلّا طيّباً، ولايرد موارد عزّته إلّا الطيّبون، وأما غيرهم سواء أكانوا مشركين أم منافقين... فلاطريق لهم إلى الله جل وعلا ولاشيء لهم من العزّة التي كلها لله تعالى لايؤتيها إلّا الطيّبين فمن أراد أن يأخذ طريق الطيّبين إلى الله عزّوجل، ونال بعزّته، فليتطهر من الشرك والنفاق، والكفر والطغيان، وليؤمن بالله تعالى مخلصاً له الدين.

وقوله عزّوجل: **«والعمل الصالح يرفعه»** إشارة إلى أنّ الايمان بالله تعالى يقيم

الانسان على أوّل الطريق إلى الله جل وعلا، ثم يكون العمل الصالح يقوم ورآء الايمان وهو الذي يرفع صاحبه إلى الله جل وعلا ويدنيه منه، فانّ مجرّد الايمان دون عمل صالح هو خير معطل، أشبه بالنبتة الصالحة في الأرض الطيّبة لايصيبها مآء! فاذا أصابها الماء اهتزّت لها الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فالعمل الصالح يزكّي الايمان وينميه، ويثبت دعائمه ويرفع بنيانه.

في **تلخيص البيان** للسيد الرّضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه» قال: وهذه إستعارة، وليس المراد أنّ هناك على الحقيقة شيئاً يوصف بالصعود ويرتقي من سفال إلى علو، وإنّما المراد أن القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله عزوجل واصلان إليه سبحانه بمعنى أنهما يبلغان رضاه وينالان زلفاه وأنه تعالى لايضيعهما ولايهمل الجزاء عليهما، وهذا كقول القائل لغيره: قد ترقّى إلى الأمير ما فعلته أي بلغه ذلك على وجهه وعرفه على حقيقته، وليس يريد به الارتقآء الذي هو الارتفاع وضدّه الانخفاض، ووجه آخر: قيل: إنّ معنى ذلك صعود الأقوال والأعمال إلى حيث لايملك الحكم فيه إلّا الله تعالى كما يقال: ارتفع أمر القوم إلى القاضي إذا انتهوا إلى أن يحكم بينهم ويفصل خصامهم.

ووجه آخر: قيل: «إنّ الله سبحانه لما كان موصوفاً بالعلوّ على طريق الجلال والعظمة لا على طريق المدي والمسافة، فكلّما يتقرّب به من قول زكي وعمل مرضيّ، فالاخبار عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع على طريق المجاز والا تساع» انتهى كلامه ورفع مقامه. فالصعود كناية عن الفبول ووصف الكلم بالكمال حيث إن صعود الكلم التي هي ألفاظ إلى الله تعالى مجاز في الفاعل لأنّه سبحانه ليس في جهة، فلا توصف الألفاظ بالصعود لأنّ الصعود من الأجرام...

وقوله تعالى: «**والذين يمكرون...**» بيان لحال الكلم الخبيث، والعمل السّيّئ وأهلها قبال بيان حال الكلم الطيّب والعمل الصالح، وفيه تهديد للمشركين والكفار

والمناقين الذين يغرسون في مغارس السوء، ويعملون في مجال الضلال، فهم لايجنون من غرسهم هذا إلّا انكد الثمر وأخبثه، انه العذاب الشديد والحسرة والوبال في الدنيا والآخرة.

وقوله جل وعلا: «ومكر اولئك هويبور» حكم قاطع على هذا المكر السّيّء الذي يمكره الماكرون بالنّبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وبدعوته، بأنه بوار وضياع، لاينالون به من الذين يمكرون به وهو هذا الدين الذي يُدْعَوْن إليه ـ لاينالون منه منالاً، بل سيبطل الله جل وعلا مكرهم به، ويكتب لهذا الدّين الغَلَب والنصر، ولأهله العزّة والتمكين...

وفي وضع الاشارة: «اولئك» موضع الضمير: «هم» ايذان بكمال تميّزهم مما هم فيه من الشرّ والفساد، والشرك والعناد... عن سائر المفسدين، وإشتهارهم بذلك، ومعنى البعد فيها للتنبيه على ترامي أمرهم في الطغيان وبُعد منزلتهم في العداوة.

وبالجملة في الآية الكريمة تقريرات متصلة بالدعوة وأهدافها، ومحتوية تقريعات وإنذارات للكفار كنتيجة لما هدفت إليه الآيات السابقة والتالية لها، فالعزّة الحقيقيّة لله جل وعلا جميعاً لايشاركه فيها مشارك، فمن أراد العزّة والكرامة والسعادة والرضا الرباني أن يسلك سبيل الله تعالى، فيقول الحق ويعمل الخير، أما الذين يمكرون ويتآمرون على السوء ويدبرون المكائد والأذي للناس، فلهم العذاب الشديد، والله عزوجل كفيل باحباط مكرهم وإفساد مكآئدهم وابْطال سعيهم. وفيها تنبيه على الذين يتقرّبون من الحكام الجبابرة والكفار الفجرة ويتعزّزون بهم ويطلبون منهم الجاه والمقام والرئاسة ويميلون إليهم وخاصّة علمآء السوء، فيحلّون حرام الله، ويحرّمون حلاله، ويبتدعون في دين الله تعالى بما يميل إليه الحكام الطاغية سروراً و فرحاً لهم أذلّهم الله وأتباعهم في الدنيا والآخرة.

١١ ـ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع

إلّا بعلمه ومايعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب إن ذلك على الله يسير»

خطاب من الله عزوجل لجميع خلقه من البشر أنّه خلقهم من تراب، ويريد ان آدم الذي هو أبوهم، ومنه انتسلوا خلقه من تراب ومنه توالدوا، وهذا دليل آخر على صحّة البعث والنشور، مع ما فيه من عرض لبعض سلطان الله عزّوجل وقدرته، وأن لله تعالى العزّة جميعاً، فالله عزّوجل بقدرته، خلق الانسان من هذا التراب الهامد، فهذا التراب هو الأصل الذي تخلّفت منه النطف، التي تخلّق منها الأجنّة في بطون الامهات، ومن الأجنّة كانت المواليد، والناس، وهذا التراب، الذي يبدو أنّه أصل أوّل في خلق الانسان هو في حقيقته، قد مرّفي أطوار كثيرة، حتى صار هذا التراب تماماً كما مرّ الانسان في أطوار في الخلق، من النطفة إلى العلقة إلى المضغة... إلى آخر ما هنالك من صور وأطوار في الخلق.

قوله عزّوجل: «ثم جعلكم أزواجاً» فيه إشارة إلى تنويع خلق الانسان، فكان منه الذكر والانثى.

وقوله تعالى: «وماتحمل من انثى...» فيه إشارة إلى أنّه قدرة الله جل وعلا ليست واقفة عند هذا الحدّ من خلق هذا الانسان من تراب، بل انّ تلك القدرة قائمة على كل مخلوق قبل خلقه، وبعد خلقه، وفي كل لحظة من لحظات وجوده وقبل وجوده، فما تحمل من انثى من حمل، ولا تضع من مولود، إلّا وعلم الله جل وعلا قائم عليه، محيط به، ومقدّر له العمر الذي يلبسه في هذه الحياة، من طول أو قصر.. فهذا كلّه في كتاب مبين، كتبه الله عزّوجل بعلمه وأودعه في كتاب مبين.

وقوله سبحانه: «ومايعمّر من معمّر» سمّاه معمّراً باعتبار ما يؤول إليه، فالمعنى: ومايعمر من أحد.

وقوله تعالى: «ان ذلك على الله يسير» تعليل وتقرير لما في الآية الكريمة من وصف خلق الانسان وكيفية إحداثه وإبقائه وإماتته، وذلك انّ في خلق الانسان من تراب ثم من نطفة ثم صيروتهم أزواجاً دليلاً قاطعاً، وبرهاناً واضحاً على يُسر إحاطة علمه تعالى

بكل شأن من شئونهم من حمل ووضع وطول عمر وقصره....

١٢ ـ (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

مثل ضرب للمؤمن والكافر، وفيه دليل آخر على عظيم قدرة الله تعالى وبليغ حكتمه، وشمول علمه وتمام تدبيره وكمال عزّته، أنه جمع بين البحرين وفرق بينهما في آن، فهما في واقع الحياة كآئن واحد، يتشكل من مادة واحدة وهي الماء ومع هذا فهما طبيعتان متغايرتان... كما أن المؤمن والكافر من مادة واحدة وهي النطفة، ولكنّ المؤمن باق بالايمان وصالح العمل على فطرته الأصليّة ينال بها خير الدنيا وسعادة الآخرة الأبدية، وأما الكافر فينحرف بسوء إختياره عن الفطرة، فيتلبّس بما لا تستطيبه الفطره الانسانية بالكفر وسيّئ العمل، فيعذّب بعذاب شديد، فمثلهما مثل البحرين المختلفين عذوبة وملوحة، فهما مختلفان باختيارهما من حيث البقآء على فطرة المآء الأصليّة وهي العذوبة، والخروج عنها بالملوحة.

وقوله تعالى: «ومن كل تأكلون لحماً طرياً» فيه وجهان: أحدهما ـ إستطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع. ثانيهما ـ تكملة للتمثيل. والمعنى: كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد والخواصّ لايتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من المآء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته، فكذلك لايساوي المؤمن والكافر، وإن شاركا في بعض الصفات من المشي والتكلم والعيش والحياة والعلم ولكنّهما تباينا فيما هو الخاصيّة العظمى لبقآء أحدهما على فطرته الأصلية.

و«لحماً طرياً» كناية عن السمك، والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل، وللايذان بعدم إحتياجه إلى الذبح، وفي وصف اللحم

بالطراوة إشعار بلطافته حال الطراوة، وتسارع الأكل في حال طراوته لئلا يفسد، وايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق.

وقوله عزوجل: «**حلية تلبسونها**» لعلّ إسناد اللبس إلى الرجال باعتبار لبس النسآء لهم، فكأنّهم لبسوهنّ، وإن كان من المحتمل: أن يكون الخطاب للناس، ومنهم النسآء.

وقوله سبحانه: «**وترى الفلك فيه**» إفراد الفعل المخاطب مع جمعه: «تستخرجون» و«تلبسونها» فيما سبق، وما لحق: «لتبتغوا» و«تشكرون» لأن الخطاب لكل أحد تتأتي منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط.

«ولعلّكم تشكرون» في حرف الترجّي ايذان بكونه مرضيّاً عند الله تعالى.

إشارات لطيفة: في الآية الكريمة إشارات ظريفة، جدير أن يتدبر فيها القارئ الخبير:

منها: ان مادة الناس كلهم مع اختلافهم في الطبائع واحد وهو الماء: «وهو الذي خلق من المآء بشراً» الفرقان: ٥٤) كوحدة المياه كلها في مادتها وهي اكسيجن وهيدروجن، مع اختلاف المياه في العذوبة والملوحة، فالاختلاف من عوارض الذوات لا من حاقّها.

ومنها: ان طبيعة الناس كطبيعة الماء تتلوّن بما صبّ فيه من الألوان... «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

ومنها: ان الماء العذب يماثله المؤمن وهو طيّب مقبول في الحياة الانسانية، انه الحياة التي تمسك بوجودها على الصحة والسلامة كالمآء العذب، فهو الذي يمسك حياة الأحيآء ويقيم وجودها، وان الماء الملح يماثله الكافر وهو خبيث منفور في الحياة الانسانية يضرّ الصحّة والسلامة كالماء الملح، فضلاً عن إمساكه حياة الأحيآء وإقامة وجودها به.

ومنها: ان وجود الكافر والمؤمن دليل قاطع وبرهان ساطع على اختيار الناس في

عقائدهم وأفكارهم، وفي أقوالهم وأعمالهم، ولولا الكافر لما عُرِفَ شأن المؤمن، وما استبان وجهه، وما علم مقامه، كما أنّ لولا الماء الملح لما عُرِفَ قدر الماء العذاب، وليس معنى ذلك: أنّ الكافر مضطر على كفره!

ومنها: ان الماء الملح هو الكثرة الغالبة فيما على الأرض من ماء وكذلك الكفر هو الوجه العريض في دنيا الناس، وهذا ما يشير إليه كثير من الآيات الكريمة: «أكثرهم يجهلون ـ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله» الأنعام: ١١١ ـ ١١٦) «اكثرهم فاسقون» التوبة: ٨) «اكثرهم لايشكرون» يونس: ٦٠) «اكثر الناس لايؤمنون» هود: ١٧) «اكثر الناس لايعلمون ـ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» يوسف: ٢١ و ١٠٣) «اكثرهم الكافرون» النحل: ٨٣) «أكثرهم للحق كارهون» المؤمنون: ٧٠) «اكثرهم لايعقلون» الحجرات: ٤).

ومنها: ان الكافر كالماء الملح ظاهر على وجه الأرض لايشربه إنسان ولاحيوان، ولايروى الظمآن، وقليل منه في باطن الأرض كالمنافق لايعتني به، وانّ المؤمن كالماء العذب وهو في باطن الأرض فيحفرها الانسان لينال به ويشربه العطشان...

ومنها: كما أنّ الماء الملح يمكن أن يرجع إلى أصله بالتبخير، ثم التركيب ثانياً، فصار مآءً عذباً، فكذلك الكافر، يقدر على أن يرجع إلى فطرته بترك الشرك والكفر، ثم الايمان والأعمال الصالحة...

وغيرها من الصور الكثيرة ينبغي أن يتأمل فيها المتفكّرون الخبرآء...

١٣ ـ (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير)

إشارة إلى اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر المستمرّ في أيام السنة بتغيّر الأيام... ولذا جآء بالفعل المضارع: «يولج» الدّال على إستمرار التغيير بخلاف جريان الشمس والقمر فانّه ثابت على حاله، فلذا جآء بالفعل الماضي: «وسخّر الشمس

والقمر» وفي تعاقب الليل والنهار واختلافهما، وفي حركة الشمس والقمر في نطاق دقيق محكم، دلائل باهرة على كمال قدرة الله عزّوجل وغاية سلطانه وتمام عزّته في مظاهر الكون وآياته، ونواميسه، وتوكيد الوهيته وربوبيّته ومالكيته في الأكوان... فهو الذي يستحق وحده الخضوع والعبادة والذكر والشكر، وأما الذين يشركهم المشركون في الدعآء معه سبحانه، ويدعونهم من دونه من الآلهة المنحوتة والأرباب المصنوعة فانهم لايملكون من هذا الكون العظيم شيئاً، حتى ولاقشرة نواة، فما أضلّ من يلتمس العزة ويرجو الخير ممن لايملك شيئاً!

وفي الآية الكريمة ما يخاطب به العقل والقلب والروح وتمام الوجود، إذ تستمدّ براهينها من مشاهدات الناس وواقع امورهم في كل زمن ومكان، وهي قويّة نافذة في اسلوبها، وما استهدفته من تدعيم للدعوة وأهدافها ومبادئها، وهي مستمرة المدي والتلقين بنفس القوّة والنفوذ.

إن تسئل: إنّ الله عزوجل كيف يولج الليل في النهار والعكس؟ وكيف يجري الشمس والقمر وهما من الكواكب الثابتة، والأرض هي المتحركة حسب ما أثبته علماء الهيئة قديماً وحديثاً؟ وما الفائدة في تكرار «يولج»؟

تجيب عنه: ان المراد بايلاج الليل في النهار هو قصر النهار بطول الليل، والمراد بايلاج النهار في الليل هو قصر الليل بطول النهار بأن يدخل هذا في هذا، فما زاد في أحدهما نقص من الآخر كنقصان نهار الشتآء وزيادة ليله، زيادة نهار الصيف ونقصان ليله، وفائدة تكرار «يولج» التنبيه على أمر مستغرب، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كل من الليل والنهار في آن واحد، وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خطّ الاستوآء والجنوبيّة عنه، سوآء أكانت مسكونة أم لا؟ فانّ صيف الشمال شتآء الجنوب وبالعكس، فزيادة النهار ونقصانه حاصلتان في وقت واحد، ولكن في بقعتين متعاكستين وكذلك زيادة الليل ونقصانه.

وأما الشمس والقمر فهما كوكبان متحرّكان لا ثابتان، لأنّ الشمس لها فلك

والقمر كذلك، وكل منها يقطع فلكه إلى وقت معلوم: «والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يس: ٣٨ - ٤٠) فالشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، وجريهما لاينافي حركة الأرض، والأجل المسمى هويوم القيامة لأنّه لاينقطع إلّا حينئذ.

وقوله تعالى: «وسخّر الشمس والقمر» عطف على «يولج» من عطف الماضي على المضارع، في اختلاف الصيغة دلالة على ان ايلاج أحد الملوين في الآخر متجدّد حيناً فحيناً، وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدّد فيه، وإنّما المتعدد والمتجدد في آثارهما... «كل يجري» بحسب حركتها الخاصّة، وحركتها القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدّد أيام السنة جرياناً مستمرّاً «لاجل مسمّى» قدرة الله تعالى لجريانها وهو يوم القيامة، وفي تعاقب الليل والنهار زيادتها ونقصانها وجرى النيرين في فلكيها على تقدير وحساب دلالة على عظيم قدرة الله جل وعلا وجميل حكمته، وإحاطة علمه بجميع أعمال خلقه...

وقوله عزوجل: «ذلكم الله ربكم» إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة، ومعنى البعد في الاشارة ايذان بغاية العظمة، والجملة بمنزلة النتيجة لما تقدم أي إذا كان أمر خلقكم وتدبير أمركم برّاً وبحراً، أرضاً وسمآءً، ليلاً ونهاراً، بدواً ومآلاً منتسباً إليه، مدبّراً بتدبيره فذلكم الله ربكم الذي يملككم ويدبّر أمركم، و«له الملك» مستنتج مما قبله، وتمهيد لما بعده: «والذين تدعون من دونه» وفي الجملتين: «ذلكم الله ربكم وله الملك» دلالة على أنّ إبداع الله جل وعلا لتلك البدآئع مما يوجب ثبوت تلك الأخبار له تعالى، ودلالة على تفرّده عزوجل بالالوهية والربوبية والملكيّة.

وقوله جل وعلا: «والذين تدعون من دونه...» كناية عن أدنى الأشيآء، فكيف بما فوقه؟ فليس لهم شيء من الملك كما قال تعالى: «أم لهم نصيب من الملك فاذاً لايؤتون الناس نقيراً» النسآء: ٥٣).

١٤ ـ (إن تدعوهم لايسمعوا دعآءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبّئك مثل خبير)

مستأنف سيق لزيادة توبيخ على المشركين، ولتقرير مضمون ما قبله، كاشف عن جليّة حال ما يدعونه بأنهم جماد لايعقل ولايدرك ، ليس من شأنه السماع، ولا في استطاعته أن يستجيب لشيْ من مطالب عابديهم إن كانت آلهتهم أحجاراً وكواكب وما إليها حتى لوسمعوا دعآءهم إن كانت الآلهة من الانس أو الجن أو الملائكة ما استجابوا لهم لأنهم لايملكون شيئاً، ولسوف يتبرّؤن من مشركيهم، وهذا هو الحق الذي لايتحمّل مرآءً لأنّه صادر من خبير عليم، كلمته الحق وقوله الصدق، وما كان صادراً إلّا من خبيرعليم.

قوله تعالى: «ولاينبّئك مثل خبير» خطاب خاص بالنبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد الالتفات عن خطابهم لعدم تفقّههم بالبيان الحق وكلمة الصدق، أو خطاب عام في صورة الخطاب الخاص، خوطب به كل من سمعه كقوله جل وعلا: «وترى الفلك فيه مواخر» فاطر: ١٢) وعلى أيّ التقديرين ففي الجملة إشارة إلى ما تحدّث به الآية الكريمة من تلك الحقآئق هو الحق المطلق الذي لاشك فيه لأنّه من عند الله العليم الخبير، وهذا ما يقضي بالتصديق بهذه الأخبار والعمل بها، وأخذ العبرة منها لأنّها ممن يعلم الغيب في السموات والأرض، وكل علم يخالف هذا العلم باطل وضلال لايعتنى به.

١٥ ـ (يا أيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد)

مستأنف سيق لتقرير إفتقار المخلوق إلى خالقه في خلقه وبقائه وفي كل حال، دون العكس، قضيّة ضرورية الصدق واليقين، تستمدّ هذه الضرورة من صلب تكوينها اللفظي تماماً كما تقول: للمثلث زوايا ثلاث، وعلى هذا يكون الغرض من الآية الكريمة أن يتوكّل الانسان في جميع اموره على خالقه، ويتضاءل أمام عظمته،

ويتجرّد عن كل كبر وعجب وغطرسة، حتّى ولو كان أقوى الأقوياء مالاً وسلطاناً وجاهاً... وهذا النوع الذاتي من الفقر محبوب ومطلوب عند الله جل وعلا والعقلاء، لأنّ الشعور به يدفع إلى الخير ويمنع عن الشر، ولذا أخبر الله تعالى بغناه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلّها إليه وتذلّلها بين يديه، وهم المحتاجون إليه في حياتهم وبقآئهم وكل أحوالهم... على طريق الهتاف بالناس لانهم ذووشعوروإرادةواختيار.

هتف بهم بأن الله جل وعلا لايحتاج إلى غيره، فانّه الخالق المطلق الذي لايقبل غناه التشكيك وإنما هم الفقراء إليه تعالى لأنهم مخلوقون، فاذا كانوا هم مع شعورهم وإرادتهم وإختيارهم فقراء إلى الله تعالى فكيف غيرهم من المخلوقات... وفي الهتاف دعوة لهم إلى أن يتجهوا بحاجاتهم إلى من يملك كل شيء، ومن بيده الخير كله، إلى من هو ربهم وإلههم ومالكهم، والناس كلهم في حاجة دائمة إلى من يعينهم ويقضي حوآئجهم... وهم يتوسّلون إلى هذا بكثير من الوسائل الواهية... منها عبادة الأصنام والملائكة والجن والكواكب والملوك وأصحاب الجاه والمال والسلطان والاشهار... يبغون بذلك، الخير منهم... وكلّهم إنّما يتناولون مابين أيديهم من جاه أو مال أو سلطان... من عطاء الله تعالى، انهم فقراء إليه جل وعلا إن حبس عنهم العطاء كانوا هم أفقر الفقرآء، وأضعف الضعفآء وأذلّ الأذلآء... وإذن فالناس كلهم: غنيّهم وفقيرهم، ذكورهم واناثهم، عالمهم وجاهلهم، صغيرهم وكبيرهم... فقرآء إلى الله جل وعلا في أنفسهم وأحوالهم كلّها...

إن تسئل: لِمَ عرّف الله تعالى الفقرآء؟ ولِمَ خاطب الناس بأنّهم الفقرآء مع كون غيرهم من المخلوقات كلهم فقرآء إلى الله جل وعلا في أصل وجودهم وحياتهم وبقآءهم وفي جميع امورهم وأحوالهم...؟

تجيب عنه: أوّلاً: إنّ الله عزوجل أراد بذلك أن يرى الناس أنهم لشدّة افتقارهم إلى الله تعالى هم جنس الفقراء مبالغة، وذلك ان افتقار الانسان إلى الله تعالى عاجلاً لامور المعائش وآجلاً لنعيم الآخرة أبين من افتقار سائر المخلوقين إليه عزوجل، وإن

كانت الخلائق كلهم محتاجين إليه تعالى من الناس وغيرهم، لأن الفقر ممّا يتبع الضعف، وكلّما كان الفقير أضعف كان أفقر، وقد شهد الله عزوجل على الانسان بالضعف في قوله تعالى: «خلق الانسان ضعيفاً» النسآء: ٢٨) وقال: «الله الذي خلقكم من ضعف» الروم: ٥٤) ولو نكّر لكان المعنى: أنتم بعض الفقرآء.

وثانياً: ان فقر الناس أي الفقر المطلق الذي لايقبل التشكيك أمر ظاهر لايخفى على أحد ولذا عرّف كما تقول: الله ربّنا ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم نبيّنا وعليّ عليه السلام إمامنا.

وثالثاً: إذا كان الناس مع شعورهم وإرادتهم وإختيارهم، وكانوا أشرف المخلوقات فقرآء فكيف غيرهم، فذكر الناس من باب ذكر الأفضل وترك الأدنى.

إن تسئل: قد قوبل «الفقرآء» بـ«الغنيّ» فما فائدة ذكر «الحميد» في الكلام؟

تجيب عنه: إنّ الله عزّوجل لـمّا أثبت فقر الناس كلهم إليه تعالى، وغناه عنهم، وليس كل غنيّ نافعاً لغيرهم بغناه إلّا إذا كان الغنيّ جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المُنعَمُ عليهم، واستحق عليهم الحمد، ذكر الله جل وعلا «الحميد» ليدلّ به على أنّه الغني المطلق الذي ينفع بغناه خلقه، يجود المنعم عليهم، المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه، هو حميد في غناه المطلق وإن لم يحمدوه، ولايكون حميداً بحمدهم عليه بحيث لو لم يحمدوه فلم يكن حميداً، وبالجملة انه تعالى حميد في ذاته حمده الحامدون أم لا.

قوله تعالى: «والله هو الغني الحميد» حثّ للناس وتحريصهم على الطلب من الله تعالى وحده، والرَغَب إليه فيما عنده، فانّه نعالى وحده غنيّ لا تنفد خزآئنه ولا تنقص بالعطآء أبداً، فهو وحده الغنيّ المطلق الذي لايقبل غناه تشكيكاً قطّ لامطلق الغني الذي يمكن فيه التشكيك، وهووحده الحميد المطلق الذي لامرآء فيه، لامطلق الحميد فيه مرآء.

ومن المحتمل أن يكون في الآية الكريمة نوع تمهيد بالنسبة إلى الآيتين التاليتين يتبيّن بها مضمونها وإن كانت هي مع ذلك مستقلّة في مفادها، وذلك أنّ السياق

يشعر بأنّ أعمال هؤلاء المشركين كانت تكشف عن أنّهم كانوا يتوهّمون أن لهم أن يستغنوا عن الله عزوجل بعبادة آلهتهم، وأنّ لله سبحانه إليهم حاجة، ولذلك يدعوهم إلى نفسه بالدعوة الالهيّة التي يقوم بها رسله، فهناك غنى وفقر، ولهم نصيب من الغني، و لله سبحانه نصيب من الفقير، تعالى الله عن ذلك، فردّ الله جل وعلا زعمهم ذلك بقوله تعالى: «يا أيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ».

فقصّر الفقر في الناس، وقصّر الغنى في ذاته جل وعلا، فكل الفقر فيهم، وكل الغنى في الله تعالى وإذ كان الغنى والفقر وهما الوجدان والفقدان متقابلين لايرتفعان عن موضوعهما كان لازم القصر السّابق قصر آخر، وهو قصرهم في الفقر، وقصره تعالى في الغنى، فليس لهم إلّا الفقر، وليس له عزّوجلّ إلّا الغنى، فالله تعالى غنيّ بالذات، له أن يذهبهم ويستغني عنهم، وهم فقرآء بالذات ليس لهم أن يستغنوا عنه بغيره، وإنّ الملاك في غنى الله عزوجل عما سواه، وفقر الناس إليه تعالى أنّه جل وعلا وحده خالقهم ومدبّر أمرهم، وإليه الاشارة بأخذ لفظ الجلالة: «الله» في بيان فقرهم إليه، وبيان غناه عما سواه، والاشارة إلى الخلق والتدبير في قوله تعالى: «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» وكذا توصيفه عزوجل بالحميد وهو المحمود في فعله الذي هو خلقه وتدبيره، محمود بذاته حمده الحامدون أولا!

فيعود معنى الكلام إلى نحو من قولنا: يا أيّها الناس أنتم بما أنكم مخلوقون مدبّرون لله الفقرآء إلى الله عزوجل فيكم كل الفقر والحاجة، والله تعالى بما أنّه الخالق المدبّر الغنيّ لاغنيّ سواه. وعلى هذا لاضير في قصر الفقر في الناس سوآء أُريد به المشركون خاصّة أم عامة الناس مع كون غيرهم من المخلوقات فقرآء إلى الله كمثلهم، وذلك أنّ عموم علّة الحكم يعمّم الحكم فكأنّه قيل: أنتم معاشر الخليقة الفقرآء إلى خالقكم المدبّر لأمركم وهو الغنيّ الحميد.

وقد اجيب عن إشكال قصر الفقر في الناس مع عمومه لغيرهم بوجوه من الجواب:

منها: أنّ في قصر الفقر في الناس مبالغة في فقرهم كأنّهم لكثرة إفتقارهم، وشدّة إحتياجهم هم الفقرآء فحسب، وأنّ إفتقار سآئر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم، ولذلك قال تعالى: «خلق الانسان ضعيفاً» ولايرد الجنّ لأنّهم يحتاجون في المطعم والملبس وغيرهما كما يحتاج الانسان.

ومنها: أنّ المراد الناس وغيرهم، وهوعلى طريقة تغليب الحاضر على الغآئب، واولي العلم على غيرهم.

ومنها: أنّ الوجه حمل اللام في الناس على العهد، وفي الفقرآء على الجنس لأنّ المخاطبين فى الآية الكريمة هم الذين خوطبوا في قوله تعالى: «ذلكم الله ربكم له الملك ...» أي ذلكم المعبود هو الذي وصف بصفات الجلال لا الذين تدعون من دونه، وأنتم أشدّ الخلائق احتياجاً إليه.

ومنها: أنّ القصر إضافيّ بالنسبة إلى الله جل وعلا حقيقيّ.

ولايخفى على القاريء لخبير ان مفاد الآية الكريمة وسياقها لايلائم شيئاً من هذه الأجوبة، وإن يمكن توجيه الجواب الأخير بما يرجع إلى ما سبق من الوجه المحتمل.

١٦ ـ (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)

مستأنف سيق لبيان غناه جل وعلا، وتقرير لكمال قدرة الله عزوجل، وفي العبارة من البلاغة الكاملة ما لايخفى بأن إذهابكم موقوف على مشيئة الله تعالى بخلاف الشيء المحتاج إليه، فانّ المحتاج لايقول فيه: إن يشأ فلان يهدم داره وأعدم عقاره وإنّما يقول: لولا حاجة السكنى إلى الدار لبعتها، ولولا الافتقار إلى العقار لتركتها ثم زاد في بيان الاستغنآء بقوله تعالى: «ويأت بخلق جديد» ردّاً لتوهم متوهم أنّ هذا الملك له عظمة وكمال، فلو أذهبه لزال ملكه وعظمته، فبيّن جل وعلا أنّه قادر على أن يخلق خلقاً جديداً أحسن وأتم وأكمل من الخلق القديم، وما كان ذلك من الاذهاب والايتان على الله بعزيز غير معسور عليه.

١٧ - (وما ذلك على الله بعزيز)

في الآية الكريمة وما قبلها تهديد للناس، ووعيد سياسيّ لحفظ نظام الاجتماع بأنهم إذا لم يؤمنوا بالله تعالى ولم يحمدوا له، ولم يقوموا على الوظيفة التي خلقهم الله عزوجل لها فهم إذاً لايكونون أهلاً ليشغلوا هذا المكان أي ظرف الكمال، فكان أولى أن يشغله غيرهم ممن يعرف لهذا المكان قدره ويؤدّي المطلوب منه فيه.

وفي الآيتين الكريمتين إنذار للمشركين بقدرة الله تعالى على إبادة الموجودين منهم، والاتيان بغيرهم، وبشارة للمؤمنين باهلاك أعدآئهم وهو أمر يسير عليه تعالى لأنه الخالق المبدع القادر على كل شيْ، وتسلية للنبي الكريم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات...

١٨ - (ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيْ ولو كان ذاقربى إنّما تنذر الذين يخشون ربّهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير)

إخبار من الله عزوجل بما يقتضيه حكمته، وعدله في حكمه، وتقرير لمؤاخذة كل امرء عن عمله فلايحمل إنسان مسئوليّة وتبعة أعمال إنسان آخر، وكل يحمل مسئولية عمله فقط، وليس لأحد أن يحمل ذنب أحد ولو وصلت بينهما روابط القربى، وردّ على ما كان عليه التضامن القبلي والاسروي في المجتمع العربي من قوّة، فانّ العربي كان يتحمّل مسئوليّة ما اقترب قريبه من جرآئم ويشترك في غراماتها... والمتبادر انه استهدف بذكرها تصوير هول القيامة، وإضطرار كل امريْ للانشغال بنفسه دون غيره وعدم حمل أحد مسئوليّة أحد، مهما كانت الصلة التي تجمع بينهما، وهذا المعنى قد تكرر أربع مرّات لأنّه مستمدّ من واقع حال السامعين.

وفي الآية الكريمة تفرقة بين الناس الذين وضعتهم الآيتان السابقتان وضعاً واحداً في مقام التهديد، فالناس وإن كانوا مجتمعاً واحداً، هم أشبه بالجسد الواحد، يتأثر،

ويشق بالأعضآء الضعيفة أو الفاسدة فيه، إلّا أنّهم من جهة اخرى أفراد متميّزون، كل منهم له وجوده الذاتي، وحياته الخاصة به، وحسابه الذي يقوم عليه ميزانه في مقام الخير والشرّعلى السوآء، فاذا نُظِرَ إلى الانسان من خلال المجتمع كان عليه أن يكون عضواً صالحاً فيه ثم كان عليه أيضاً أن يعمل باصلاح ما يظهر من فساد في مجتمعه، ففي ذلك حماية له من عدوى الفساد، ومن ريحه الخبيثة أن تفسد عليه حياته، ثم إذا نُظِرَ إليه من خلال ذاتة صالحاً كان أو فاسداً ـ كان التعامل معه في مقام الحساب والجزآء على أساس شخصي فله إحسانه كله وعليه إسآئته كلها...

إن تسئل: مالفرق بين الجملة الاولى من الآية الكريمة والجملة الثانية منها؟ أو ليس ذلك تكراراً للمعنى؟

تجيب عنه: ان الجملة الاولى تدل على ما يقتضيه عدل الله جل وعلا في حكمه بين عباده، وأنه لايؤاخذ نفساً بغير ذنبها. والثانية تدل على أنّه لاغياث يومئذ لمن استغاث حتى أن نفساً تكون قد أثقلتها الأوزار وبهظتها، لو دعت إلى أن يخفف بعض ذلك عنها لم تُجَب ولم تُغَث، وإن كان المدعوّ بعض قرابتها من أب أو أمّ أو ولد أو أخ، وانّما قال: مثقلة ـ بالتأنيث ـ ولم يقل مثقل لأنّه ردّ ذلك إلى النفس ولم يردّه إلى الشخص.

وقيل: الآية كأنّها دفع دخل يشعر به آخرها كأنّه لمّا قال: «إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين» فهدّدهم بالاهلاك والافنآء قيل: هؤلاء المكذّبون أُخِذوا بوزرهم فما حال المؤمنين؟ أيؤاخذون بوزر غيرهم؟ فاجيب: أن لا تزر وازرة وزر اخرى، ولاتحمل نفس، حمل غيرها الذي أثقلها وإن كانت ذات قربى.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» الأنعام: ١٦٤) قال: وهذه إستعارة والمعنى: ولاتحمل حاملة حمل اخرى يريد تعالى في يوم القيامة أي لايخفف أحد عن أحد ثقلا ولايشاطر حملاً لأن كل إنسان في ذلك اليوم مشغول بنفسه، ومفدوح بثقله، وليس ان هناك على الحقيقة أحمال على الظهور، وإنّما هي أثقال الآثام والذنوب ونظير ذلك قوله تعالى: «واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس

شيئاً».

وقال في قوله تعالى: «وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى» فُشبه سبحانه إستغاثة المثقل من الآثام باستغاثة المثقل من الأعبآء لأن من عادة مَن تلك حاله أن يطلب من يشاطره الحمل ويخفّف عنه الثقل، فأما في ذلك اليوم فلايهمّ كل امرئ، إلّا بنفسه ولايعنيه إلّا أمره، ولايعين أحد أحداً، ولايخفّف مدعوّ من داع ثقلاً ولو كان أولي الناس بأمره وأقربهم إلتياطاً به وانتياطاً بنسبه».

وقوله تعالى: «**وإن تدع مثقلة...**» زيادة في التهويل و«ولو كان ذا قربى» تأكيد على التهويل فانّ عدم القضاء بعد السئوال من القريب من أب وولد وزوج وأخ... أدلّ على شدّة الأمر فيعلم منه أن لاغياث يومئذ أصلاً لهؤلاء المكذبين الذين هم مغيّون بالتهديد!

وقوله عزوجل: «**إنّما تنذر...**» مستأنف سيق لبيان من يتعظ مما ذكر وتسلية للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ثبتت فيه الصبر والسكينة على طريق الالتفات أي فليس عليك إلّا الاهتمام للذين آمنوا بربهم وخافوه وإن لم يروه، وأقاموا الصلاة... وفي قصر الانذار على الذين يخشون ربهم بالغيب مع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان بشيراً ونذيراً للناس أجمعين إشارة إلى أنّ الذين ينتفعون بهذا النذير هم الناس، وهم أهل للخطاب، وأما غيرهم فلاحساب ولاوزن لهم في هذا المقام. ومن المحتمل أن تكون إضافة الانذار إلى الخاشعين المطيعين المقيمين الأزكيآء باعتبار انتفاعهم بها، وإن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ينذر كل مكلف.

وقوله جل وعلا: «**وأقاموا الصلاة**» عطف على «يخشون» من باب عطف الماضي على المضارع وفيه محتملات:

أحدها ـ ان الماضي قام مقام المضارع أي يقيمونها، والمراد يديمون فعلها، ويقومون بشرآئطها... وذلك انه لمّا كانت إقامة الصلاة بمعنى حفظ جميع حدودها في كل

حال، وكانت أدلّ الطاعات على الاخلاص والايمان عبّر عنها بالماضي باعتبار ضبط مواقيتها...

ثانيها ـ انّ النظم وإن كان يقضي بالتوافق في وحدة الزمن بين الفعلين المتعاطفين، بأن يكونا مضارعين أو ماضيين، ولكن جآء الحديث عن الخشية بالفعل المضارع الذي يحمل زمناً متجدّداً، على حين جآء الحديث عن إقامة الصلاة بالفعل الماضي الذي يقطع الفعل عن المستقبل وهذا لايكون في الكتاب المجيد إلّا عن حكمة وتقدير...

وذلك ان الخشية لله عزوجل بالغيب لا تكون إلّا عن طبيعة تقبل التعامل مع عالم الغيب، العالم غير المحسوس، وتتقبل بما ورآء المادة، وأما الطبيعة التي تلبست بها المادة وسيطرت عليها، وتأثّرت بالعالم المادي وتشكلت ملكاتها على قوالبه، وترى ظرف الكمال عين الكمال، وغفلت عن الكمال، فلا تقبل التعامل إلّا مع الماديات، فلايكون منها نظر إلى ماورآء المادّة، فانّها ترفض التسليم به، وتأبى التعامل معه، فلا تقع منها خشية لله تعالى لأنّها لا ترى الله عزّوجل بعين قلبه، ولا تشهد على جلاله وسلطانه، وقدرته وعظمته، وتدبيره وعلمه في نواميس الكون ومشاهد الوجود...

فالانذار لايفيد ولايؤثر إلّا إذا صادف طبيعة من شأنها أن تقبل الايمان بما ورآء المادة، وعن هذه الطبيعة تصدر الخشية من الله جل وعلا في كل حال، وفي كل موقف يقفه صاحب هذه الطبيعة، فيشهد في أيّ حال من أحواله، وفي كل موقف من مواقفه... عظمة الله وجلاله، قدرة الله وسلطانه، حكمة الله وتدبيره... فيخشاه ويتقي حرماته، ولايجد في نفسه جرأة على تعدّي حدوده...

وبعبارة اخرى: ان الطبيعة السازجة الانسانية من شأنها أن تخشى الله جل وعلا بالغيب، وتتوقّى الوقوع في الاثم والانهماك في المعاصي، هذه الطبيعة الاولى الفطرية لايقيمها على الطريق القويم، ولايجلو بصيرتَها جلاء ترى على ضوئه ما لله عزوجل من عزة وكمال، وعظمة وجلال، وقدرة وسلطان... إلّا الصلاة، وإقامتها على وجهها الصحيح، فانها الصلة بين الخالق والمخلوق تعطي الخشية مضموناً ذا قيمة مؤثرة في

سلوك الانسان، كما أن الخشية هي التي تعطى الصلاة قدراً وأثراً، فالصلاة من غير خشية لا ثمرة لها، ولاخير منها، وإنّ الخشية التي لا تغذّيها الصلاة ولا تنميها، هي زرع حُبِسَ عنه الماء، فلايلبث أن يذوي ويذبل يجفّ ويموت، فمن الخشية لله تعالى أن تقام الصلاة، فمن لايخشى الله جل وعلا لايقيمها، ومن أقامها على غير خشية، فلانفع له منها، ولا ثمرة منها له...

فخشية الله تعالى هي أساس الايمان، وملاك كل عمل يعمله المؤمن بالله تعالى، ولا ايمان إلّا بالمعرفة ولاعمل إلّا بالعلم، فاذا خلا قلب الانسان من خشية الله عزوجل لم يكن ثمّة ايمان ولامعرفة ولاعلم ولم يكن ثمّة عمل يقوم في ظل هذا الايمان، وإلى هذا المعنى الدقيق يشير قوله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» فاطر: ٢٨).

ثالثها ـ فيه ايمآء إلى أنّ الصلاة المقبولة هي التي تكون لخشية الله تعالى ومقرونة بها، وإنّما خصّ الانذار بهم لأنّهم المشفّعون به دون غيرهم. وغيرها من المحتملات فتأمل جيداً واغتنم جداً.

وفي أمالي المفيد رضوان الله تعالى عليه: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لايزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر وهو مؤمن...» الحديث والمراد بنفي الإيمان هنا هو نفي الخشية من الله عزّوجلّ عند ارتكاب المنكرات... فانّ الانسان لو كان في المواجهة لهذه المنكرات على خشية من الله تعالى لما أقدم على اقتراف واحدة منها... فالخشية المطلوبة من المؤمن، خشية دائمة، متجددة، مستمرة في كل حال وفي كل ظرف... ومن هنا كان التعبير التعبير عنها بفعل الاستمرار والتجدد، حيث ان الخشية لازمة في كل وقت وحال.

وأما الصلاة فلها أوقات مخصوصة لابد فيها، مع أنها عمل من أعمال المؤمن، لايقوم إلّا في ظلّ من خشية الله تعالى، ولايثمر ثمرة طيبة إلّا إذا كان عن فيض منها، ومن هنا ارتبطت إقامة الصلاة بها، وكانت حالاً من أحوالها أو أحوال أهلها، واختصّت الصلاة بالذكر لأنّها عمود الدين، فمن اقامها مع حفظ حدودها فقد أقام

الدين...

وغيرهما من **المحتملات** تركناها لطول الكلام في المقام فتأمل جيّداً واغتنم جدّاً.

وقوله عزوجل: «بالغيب» حال من فاعل «يخشون» ولما كان أولى الناس عقلاً وأعلاهم همة من كان غيبه مثل حضوره قال تعالى: «بالغيب» على تقدير: يخشونه غائبين عنه أو حال من المفعول أي غآئباً عنهم.

وقوله جل وعلا: «ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه» بدّل الخشية وإقامة الصلاة من التزكّي للاشارة إلى أنّ المطلوب بالدعوة والانذار هو التزكّي، وتزكية النفس تلبّسها بالخشية من الله تعالى على الغيب وإقامة الصلاة، وفيه تقرير وتأكيد لما تقدّم من كونه عزّوجل غنياً في ذاته، حميداً في ذاته، فالله سبحانه لاينتفع بما يدعو إليه من التزكّي بل الذي تزكّى فانّما يتزكّى لنفع نفسه.

وقوله تعالى: «وإلى الله المصير» يدل على أن تزكية من تزكّى لايذهب سدى، فانّ كلاً من المتزكّين والمكذبين، من المؤمنين والمشركين، ومن الخاشعين والطاغين صآئرون إلى الله تعالى لامحالة، وهو يحاسبهم ويجازيهم في الدارة الآخرة بما فعلوا في الحياة الدنيا. فالآية الكريمة تشير إلى أصل آخر من اصول الدين الاسلامي وهو العدل الالهي في نظام التشريع كما تشير الآيات التالية إلى العدل الالهي في نظام التكوين.

١٩ ـ (وما يستوي الأعمى والبصير)

تعليل في صورة التمثيل لنفي المساواة بين الأضداد مع كونه مثلاً ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، للمخلص والمنافق، للعالم والجاهل وللحق والباطل، وفيه تصوير في تباين الرتبة والدرجة والشأن والصفات بين الأشيآء المتباينة في الذات أو العكس كما قال تعالى: «أوَمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» الأنعام: ١٢٢) حيث ان المؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا وعلى نعيم في الآخرة، والكافر أعمى وأصمّ في ظلمات

يمشي لاخروج له منها في الدنيا، و في النار لن يخرج منها في الآخرة، وهذا مقتضى الأيمان وذاك مرجع الكفر.

وفي الآية الكريمة حثّ على الناس وتحريصهم أن يفرّقوا بين الأضداد، وأن لا تكون في نظرهم سوآء لأنّ ذلك غير ممكن، ولأنّ الذين يدركون استحالة ذلك، ويفرّقون بين الأضداد، ويلتزمون ما هو الأفضل منها، هم الّذين يكونون قد اهتدوا بهدى الله جل وعلا واستجابوا إلى دعوته.

وفي الآية وما يليها من الآيات الثلاث عرض لما بين الأشيآء وأضدادها من تفاوت بعيد، واختلاف شديد، وأنّ الشيء وضدّه لايستويان أبداً، وانها عملية تدعو إلى تحريك العقل، وإلى أن يعمل عملاً جاداً على تسوية تلك الأضداد: الأعمى والبصير، والظلمات والنور، الظل والحرور، والأحيآء والأموات... فاذا اتجهت العقول إلى هذا الاتجاه كان من طبيعة الامور ألّا ترضى العقول بهذه الأضداد التي تقوّم في كيان الناس، حيث يؤثرون الضلال على الهدى، الباطل على الحق، المفضول على الفاضل، النفاق على الاخلاص، الكذب على الصدق، والكفر على الايمان، وهكذا تجيء آيات الله جل وعلا بهذه الايحاءات النفسية التي تُدخِلُ العقل في رفق ولطف، إلى مواطن الهدى والسعادة ومواقع الخير والنجاة...

٢٠ ـ (ولا الظلمات ولا النور)

في جمع «الظلمات» وإفراد «النور» ايذان بتعدد فنون الكفر والشرك واتحاد الإيمان والتوحيد، واختلاف طرق الضلالة و وحدة طريق الهدى: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣) ودلالة على كثرة الباطل و وحدة الحق: «الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» البقرة: ٢٥٧) فان المرجع الأوّل واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًاً أحد، والمخرج الثّاني جمع

لاشأن لها أن نعدّها، حيث نقول: إنّ الله عزوجل وحده هو الحق، وما سواه باطل، فكل طريق لايوافق صراط الحق، ففيه ضلالة وظلمة وخسران وهلاك وتبار...

وذلك ان من يعيش في النور فانّما يأخذ طريقاً واحداً فيه إلى غايته المطلوبة، ومن يعيش في الظلمات فانه لايعرف له طريقاً، بل يتحرّك مضطرباً على طرق شتّى... وأما إدخال «لا» على المتقابلين فلتذكير نفي الاستوآء، وتوسيطها بينهما لتأكيد النفي في المساوات بين الفريقين...

٢١ ـ (ولا الظلّ ولا الحرور)

إن تسئل: لمَاقدّم الناقص: «الأعمى» و«الظلمات» في الآيتين السابقتين على الكامل: «البصير» و«النور» كان النظم يقضي بتقديم «الحرور» على «الظل» و«الأموات» على «الأحيآء» لتتسق ألوان الصورة كلّها، فلماذا جآء العكس؟

تجيب عنه: انّ الأصل في نفي الاستوآء ـ وهو التوازن بين الشيئين ـ أن يقدّم الناقص على الكامل كقوله تعالى: «قل لايستوي الخبيث والطيّب» المآئدة: ١٠٠) فاذا خرج الاستعمال عن هذا الأصل كان ذلك لغاية يراد بها كقوله عزوجل: «أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً لايستون» السجدة: ١٨).

وذلك حيث لايكون المراد هو تقرير حكم في المفاضلة بين أمرين، بل المراد هو الالفات إلى أنّ الامور ليست على وجه واحد إذ لكل أمر وجهان: وجهٌ وضدٌّ لهذا الوجه كالوجود والعدم والنور والظلمة والبياض والسواد، والحق والباطل... والمطلوب من الخصم أن يعترف به هنا هو أن الشيء الذي يمسك به، ليس هو كل الشيء، وإنما يقابله ضدّه الذي يجب أن ينظر فيه، ويقابل الوجه الذي معه على الوجه الآخر الذي لهذا الشيء.

فاذا كان المشركون يُمسكون بالشرك ولايَرَوْن أنّ هناك معتقداً غيره فليعلموا أنّ هناك وجهاً آخر لابدّ أن يقابل هذا الشرك ، دون إلتفات إلى أيّهما الكامل وأيّهما

الناقص، إن الامور لا تكون إلّا على هذا الازدواج: الشيء وضدّه، وليس الشرك الذي بين أيديهم بدعاً من الأشيآء... فليبحثوا عن الوجه الآخر المقابل له، فاذا فعلوا كانت المرحلة الثانية من مراحل النظر، وهي أن يوازنوا بين ما معهم من شرك ، وبين الوجه الآخر المقابل له وهو الايمان.

وقد جآء الأمران الأولان: «الأعمى» و«الظّلمات» على الأصل، فقدّم فيهما الناقص على الكامل، على حين جآء الامران الآخران: «الحرور» و «الأموات» على غير الأصل، فقدّمَ فيهما الكامل على الناقص، وبهذا أخذ كل من الناقص والكامل مكانه في الصورة على قدم المساواة... لأنّ الأمر لم يكن يراد منه المفاضلة، و إنّما المراد هو إثبات تلك الحقيقة التي لاخلاف عليها، وهي الإزدواج في الأشيآء والتقابل بين الشيء وضدّه، وفي مجيء المقطع الأوّل من الصورة على أصل الوضع في اللغة الذي يتفق مع مجرى التفكير، وذلك بتقديم الناقص على الكامل في مقام الموازنة، والمفاضلة بينهما، في هذا إلتقآء مع المشركين على أمر لاخلاف عليه، بين مؤمن وغيرمؤمن، وهذا من شأنه ألّا يصدم تفكيرهم، ولايخرج بهم عن مألوفهم، الأمر الذي يدعوهم إلى الاستماع إلى هذا الذي يُعرَض عليهم وإلى النظر فيه.

فاذا وقع مقطع هذا الحديث من أنفسهم هذا الموقع، واجههم المقطع الآخر من الصورة، وهو مقطع قد انقلب فيه الوضع، وانعكست فيه مواقع الامور، فقدّمَ ما حقّه التأخير وأُخّرَ ماحقّه التقديم، وفي هذا إشارة إلى أمرين:

أحدهما ـ أنّ المشركين قد انعكست في أنفسهم حقآئق الأشيآء، وأنّهم إنّما ينظرون إلى الامور، وهم في وضع منكوس، وأنّهم لو اعتدلوا في وضعهم لرأوا هذا المقطع من الصورة على حقيقته إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وأفكارهم وأقوالهم وعقائدهم الفاسدة: «أفمن زُيّنَ له سوء عمله فرآه حسناً» فاطر: ٨) فزعموا أنّ ضلالتهم هداية، وكفرهم ايمان، وطغيانهم طاعة، وشقاوتهم سعادة: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانّهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنّهم مهتدون»

الزخرف: ٣٦ - ٣٧) «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» الكهف: ١٠٤) «انّهم اتّخذوا الشياطين أوليآء من دونه الله ويحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٣٠) وهم كانوا يعيشون في الحرور ويحسبونه الظلّ، وهم أموات ويظنّون أنّهم أحيآء... هذا هو وضعهم، فاذا شكّوا في هذا فلينظروا في هذا المقطع من الصورة التي بين أيديهم، وسيرون أنّ الحرور أفضل من الظلّ، وأنّ الميّت أكثر حياة من الحيّ، وبهذا ينكشف لهم الوضع المقلوب الذي ينظرون فيه إلى الأشياء...

ثانيهما - أنهم لو أرادوا أن يقيموا الصورة كلها على وضع سليم، لكان عليهم أن يغيّروا بأيديهم هذا الوضع الذي أخذه المقطع الثاني من الصورة، وأن يجعلوه موافقاً للوضع الأول فيقدّموا الحرور على الظلّ والأموات على الأحيآء، وبهذا يكون الحكم على المطلوب صادراً منهم، فتجيء الصورة هكذا...

٢٢ - (وما يستوي الأحيآء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في القبور)

تمثيل بعد تمثيل للمؤمنين والمشركين والكافرين وتبعات أعمالهم أبلغ من الأوّل، و لذلك كرّر الفعل: «وما يستوى» لئلاّ يغيب المعنى عن ذهن السامع كقوله تعالى: «كيف يكون للمشركين عهد عند الله ورسوله - كيف و إن يظهروا عليكم» التوبة: ٨) و أوثر صيغة الجمع: «الأحيآء والأموات» في الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين أو لأن أحد الصنفين لايساوي الآخر سوآء قابلت الجنس بالجنس أو الفرد بالفرد.

وقوله تعالى: «ان الله يسمع من يشآء» إشارة إلى أنّ النّاس فريقان: فريق يسمع آيات الله عزوجل ويستجيب لها، وفريق لايسمع ولايستجيب، وهذه واضحة تنطق بها الحقيقة المنتزعة من المقدمة السابقة التي عُرِضَتْ فيها تلك الامور الأربعة...

وقوله عزوجل: «وما أنت بمسمع من في القبور» ترشيحٌ لتمثيل المصرّين على الكفر بـالأموات واشبـاع في إقناطه صلّى الله عليه وآله وسلّم من ايمانهـم، وتيئـيس للمشركين الذين استولى علـيهم الشرك أن يكونوا في السامعين، وإراحة للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من بذل الجهد في سبيل إسماعهم انهم أموات... وليس من عمل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يسمع الأموات على طريق الالتفات والخطاب كقوله تعالى: «انـك لا تسمـع المـوتى» النمل: ۸۰) ولايخفى على القـاريء الخبير المتأمل في الآيات الأربـع... أنّ الله جل وعلا أراد بذكر التضـاد بين الأعـمى والبصير، بين الظلمات والـنور، بين الظل والحرور، وبين الأموات والأحيآء بيـان الفرق الواضح بين الايمان والـكـفر، بين الحق والـبـاطـل، بين الهدى والضلال، وبين الاستـقـامة والانحراف، وذوى النوايا الحسنـة والقلوب السلـيمة والعقـول الواعية الراغبة في الحق، وبين ذوي النوايا الخبيثة والقلوب المريضة والـنفوس الضعيفة والعقول السقيمـة والأفكار العنيدة المكابرة، وعدم إمـكان وجواز التسوية بين كل ضدّ وضدّ، وفي هذا من التلقين الجليل ماهو واضح لاخفآء.

وسلـسلـة الآيات الكريمة الأربع كـغيـرها قويـة رائعـة نافذة في اسلوبها وروحها ومضمونها وخطابها للعقل والقلب وتمام الوجود الانساني، وإستمدادها من مشاهدات الناس وواقع امورهـم وما استهدفته مـن أهداف، وقررته من تـقريرات، وفيها كغيرها تلقينات قوية مستمرة المدى فتأمل جيداً واغتنم.

۲۳ ـ (إن أنت إلّا نذير)

مستأنف سيـق لتقرير وظيفة النبي الـكـريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وعمـله، على طريق القصر الاضافيّ أي لـيس لك إلّا إنذارهم، وأما هدايتهم وضلالتهم فانّما ذلك لله عزوجل، ولم يذكر البشير مع الـنذير مع كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم متلبّساً بالوصفين معاً لأن المقام مـقام الانذار والكلام في معرض التهديد، فالمناسب هو التعرض لوصف

الانذار مع أنه مذكور في الآية التالية.

وفي الآية الكريمة مواجهة وخطاب بعد مواجهة وخطاب للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم تسلية له وتثبيته صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث وجّه الخطاب إليه بأنه ليس عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يسمع من في القبور ثم وجّهه ثانياً بأنّه ما عليه إلّا أن ينذر الناس ويبيّن لهم الحق وأما الاستجابة فليست من وظائفه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٢٤ - (إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من امّة إلّا خلا فيها نذير)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير ما عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحق وما عليه من الوظيفة على طريق التفصيل بعد الاجمال بأنّ الله عزوجل لم يرسله إلّا بشيراً ونذيراً كما كان الأمر فيمن سبقه من الرسل، فما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نذيراً فحسب، وإنّما كان نذيراً و بشيراً معاً، نذيراً للضالّين المكذّبين، وبشيراً للمؤمنين المهتدين.

وقوله تعالى: «وإن من امة إلّا خلا فيها نذير» في اقتصار رسالة الرسل على الانذار هنا دلالة على أنّ المقام مقام تهديد للمشركين وأهل الضلال، وعلى أنّ أبرز جانب في حياة الرسل هو الجانب الانذاري حيث كانت حياتهم جهاداً متصلاً لأهل الكفر والضلال، ودلالة على أنّه لا أحد من المكلّفين إلّا وقد بعث إليه الرسول، فأقام الله تعالى حجّته على جميع الامم، ودلالة على عدم وجوب كون نذير كل امّة من أفرادها إذ قال: «خلا فيها» ولم يقل: «خلا منها».

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجل: «وإن من امة إلّا خلا فيها نذير» وكم من امة كانت في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمّد رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يخل فيها نذير؟

تجيب عنه: إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس، وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وفي

الجملة دلالة على أن الله جل وعلا شآء الهداية التشريعية لكافّة الناس لاختبارهم في التكليف، ومن ثمّ أفسح لهم مجال الاختيار.

٢٥ - (وإن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جائتهم رسلهم بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير)

مستأنف بيانيّ سيق لتسلية النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم و مواساة وعزآء كريم له صلى الله عليه وآله وسلّم من ربّه فيما يلقى من قوله من تكذيب بأنّ الكفّار إذا كانوا يقفون منك موقف المكذّب، فقد وقف مَن قبلهم مثل هذا الموقف حينما جائتهم رسل الله بالبيّنات والكتب والآيات النافذة الواضحة، فلست يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل رسول يلقى من قومه ما لقى من إتهام وتكذيب، وإنّما ذلك شأن الرسل قبلك مع أقوامهم... إذ جآؤهم بمعجزات مادية محسوسة، وجآؤهم بآيات الله تعالى وكلماته... وجآؤهم بكتاب منير من عند الله عزوجل يحمل دستوراً متكاملاً للحياة الدنيا والآخرة، جآؤهم بكل هذا، فما وجد وامنهم إلّا البهت والتكذيب والتهديد والأذى...

وفي ذكر «الكتاب المنير» بعد «الزبر» دلالة على اختلاف الصنفين لأنّ الزبر ما فيه زجر عن خلاف الحق وهو كتاب لأنّه ضمّ الحروف بعضها إلى بعض، وقدسمّى زبور داود لكثرة المواعظ والزواجر فيه، وأما الكتاب المنير فما يحتوي الأحكام والدستورات الفردية و الاجتماعية أو ان الزبر جمع الزبور هو وبعض الكتاب، والكتاب المنير هو القرآن الكريم الجامع لجميع الكتب السماوية، فذكر الكتاب بعد ذكر الزّبورمن باب ذكر الكلّ بعد الجزء.

٢٦ - (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير)

تقرير لتبعات المكذبين الذين أخذهم الله تعالى أخذاً قوياً، وترك من آثار ذلك

ما فيه العبرة لمن بعدهم ليروا كيف كان أخذ الله عزوجل وعذابه للكافرين به المكذّبين رسله. والأخذ كناية عن التعذيب. إلفات إلى بأس الله جل وعلا وما أخذ به الظالمين الذين أتوا المنكرات، فأنكر الله سبحانه عليهم ما أتوه، وليس بعد إنكار الله تعالى إلّا النقمة والبلآء... وفي وضع الموصول موضع ضميرهم لذمّهم بما في حيّز الصلة من الكفر، وللاشعار بعلّة الأخذ.

قوله تعالى: «فكيف كان نكير» فيه مزيد تشديد وتهويل للعقوبة.

٢٧ ـ (ألم تر أنّ الله أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير دلائل التوحيد: خطاب من الله عزّوجل للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكل من هو أهل لهذا الخطاب من كل ذي عين وعقل من المكلّفين، منبهاً لهم على طريق الاستدلال على وحدانيته وإختصاصه من الصفات بما لايختصّ به سواه، ومنبهاً لهم على كمال قدرة الله تعالى في خلقه الأشيآء المتنوّعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزّل من السمآء، فيخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروآئحها... كما قال الله تعالى:

«وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرصنوان يُسقى بمآء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الاكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» الرعد: ٤)

وفيها تقرير لما قبلها من إختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان... وفيها لفت نظر إلى بعض مظاهر الكون ونواميس الوجود، فهذا سطر من صحيفة الوجود، يرى فيه الناظرون ما أبدعت قدرة الله جل وعلا وما أخرجت من هذه الأرض الهامدة ومن ترا بها الاسود،

من ثمرات مختلفة ألوانها وطعومها وروآئحها... فمن هذا التراب الاسود اكتست الأرض العارية الجديب، بحلّة قشيبة، من الزهر والثمر المختلف الألوان بين أحمر وأصفر وأبيض... إلى غير ذلك مما لاحصر له من الوان... فمن أبدع هذا؟ ومن صوّره على تلك الصورة الرائعة المذهلة؟؟؟

قوله تعالى: **«فأخرجنا به...»** إخبار من الله جل وعلا عن نفسه، على طريق الالتفات من الغيبة إلى التكلّم كمال الاعتنآء بالفعل لما فيه من الصنع البديع الذي ينبئ عن كمال القدرة وغاية الحكمة ونهاية العلم، ولم يقل: «أنزلنا» لأنّ المنّة بالاخراج أبلغ من أنزال المآء، ولم يذكر اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها... لدلالة الكلام عليه.

وقوله عزوجل: **«ومن الجبال جدد بيض...»** في ايراد الجملة إسميّة مع مشاركتها لما قبلها من الجملة الفعلية إستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الأحوال، ولكن في الناس تختلف بالاختيار، وفي غيرهم بالتكوين.

وهذه سطور اخرى من صفحة الوجود، يرى فيها الناظرون بألبابهم، قدرةَ الله جل وعلا وإبداعَه في هذا الجماد الجامد، وفي الجبال الثابتة الراسخة بالذات، أنّها ليست أكواناً متضخمة بلا وزن ولاحساب، بل إنّ يد القدرة ممسكة بكل ذرّة فيها، و إنّ الناظر ليرى في ألوانها المختلفة من أبيض وأسود وأحمر ومابينها من الألوان... أنّ قادرة مدبّرة قد أقامتها بحساب دقيق وتدبير محكم، حيث انّ ورآء هذه الألوان صفات اخرى لتلك الجبال، فاللون الأبيض ورائه أحجار جيرية على حين أنّ اللون الأحمر يضمّ أحجاراً صلدة جامدة، أما اللون الأسود ففي كيانه أحجار أشدّ صلابة وأكثر احتمالاً.

في هذه الألوان عِلْمٌ ينفذ منه العقل إلى حقائق ومعطيات، فيها خير كثير، ورزق موفور... وفي هذا دعوة إلى الدراسة والبحث والتعمّق إلى ماورآء ظواهر الطبيعة فهذه الظواهر قشور، تخفي ورآئها جواهر كريمة ومعادن نفيسة... فمن وقف عند هذه القشور،

لم يقع ليده إلّا التافه المتساقط من لحآء شجرة الطبيعة، وأما من تجاوز هذه القشرة فانّه خليق بأن يملأ يديه من كل خير ويطعم من كل ثمر...

وقوله سبحانه: «وغرابيب سود» لايخفى أنّ «غرابيب» تأكيد لـ«سود» فكان حقّه أن يقدّم «سود» على «غرابيب» وقد جآء بالعكس لمزيد التأكيد لما فيه من التأكيد باعتبار الاضمار والاظهار.

٢٨ - (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلمآء إنّ الله عزيز غفور)

إمتداد لما سبق بأن الناظر إذا امتدّ نظره إلى عالم الانسان والدواب والأنعام، وجد في كل عالم صوراً وأشكالاً لاحصر لها... فالعالم الانساني مثلاً كل إنسان عالم بذاته، في صورته وسيرته، في لونه ولسانه، في مشاعيره وتفكيره، وفي تصوّراته وخواطره... بحيث لايكاد يتفق إنسان وإنسان، والدواب والأنعام كذلك، كل حيّ منها وإن بدأ أنّه قريب الشبه بغيره، فان لكل حيّ منها صفات ظاهرة وباطنة، تميّزه من غيره.

قوله تعالى: «ومن الناس والدواب والأنعام» في ايراد الجملة اسميّة كقوله عزوجل: «ومن الجبال جدد بيض» مع مشاركتها لما قبلها من الجملة الفعلية إستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الأحوال... فخلق الله جل وعلا الجبال فيها الطرائق المختلفة الألوان كذلك من حمر وبيض وسود، وهذا التنوع في الخلق مشهود أيضاً في النّاس والأنعام والدواب، وفي ذلك كله دلائل واضحة على كمال قدرته وحكمته، وعلمه وعظمته وبديع صنعته من شأنها أن تثير الخشية في القلوب منه، وخاصّة قلوب العلمآء الذين هم أكثر من غيرهم إدراكاً لهذه الدلائل، وقد انتهت بتقرير صفتي العزّة والغفران لله تعالى، فهو العزيز الذي لايعجزه شيئ ولايناله نائل، وهو مع ذلك غفور للناس إذا تابوا وأنابوا إليه.

وقدّم الناس لشرفهم، وذكر الدابة بعد الناس من باب ذكر العام بعد الخاص، وعطف «الأنعام» على «الدواب» من باب عطف الخاص على العام.

وقوله عزوجل: «كذلك» تقرير إجماليّ للتفصيل المتقدّم من اختلاف الثمرات والجبال والناس والدواب والأنعام...

وقوله جلّ وعلا: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» تكملة من جهة لقوله تعالى: «إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب» بتعيين من يخشاه الله تعالى من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم... إمّا في الأوصاف المعنوية، فبطريق التمثيل، وإمّا في الأوصاف الصورية، فبطريق التصريح، توفية لكل واحدة منها حقّها اللائق بها من البيان، و من جهة اخرى تمهيد لما سيأتي من تقسيمهم على ثلاث طوائف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات وفيه تنويه بالعلماء ودعوة إلى اتخاذهم قدوة واسوة، وتحميلهم من التبعات والمسئوليات الخاصّة والعامّة، ما لا تتحمله سآئر الطبقات، وتنبيههم إلى ما عليهم من واجبات وتبعات خاصّة وعامّة أيضاً.

وفي ايثار الجملة بعد قوله تعالى: «ألم تر أن الله...» خطاباً لنبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث عدّدله آياته، واعلام قدرته، وآثار صنعته، وخلق من الطبائع المختلفة الأجناس ومايستدل به عليه وعلى صفاته... فكأنه تعالى قال: «إنّما يخشى الله جل وعلا مثلك ومن تبعك ممن عرف الله تعالى حقه معرفته، كل حسب عقله وإدراكه» فمن ذا الذي يرى هذا؟ ومن يدرك الفروق الظاهرة أو الخفية بين تلك الموجودات... لولا رسول الله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن تبعه من أهل المعرفة والايمان والعلم والعمل وأصحاب النظر الذين يتدبّرون القرآن الكريم ويتفكّرون في آيات الله جل وعلا، وينظرون بعقولهم لابعيونهم وحدها، ولهذا جاء قوله جل وعلا: تعقيباً على هذه الدعوة الداعية إلى النظر والتفكر في تلك الموجودات: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» فانّ هذه الخشية لله جل وعلا التي تقع في القلوب وتستولي على المشاعر كلها... لاتجيء إلّا عن معرفة وعلم بما لله عزوجل من جلال وقدرة، من علم

وعظمة، ومن تدبير وحكمة... وهذه المعرفة والعلم لايحصّل إلّا بالنظر والتأمل، والتفكر والتعقل في الآفاق والأنفس وبالايمان والتقوى والعمل: «واتقوا الله ويعلّمكم الله» البقرة: ٢٨٢).

فاذا كان العلم عن معرفة وايمان وتقوى، تتعقّب عليه الخشية بلامرآء، لامطلق العلم، فلاخشية إلّا عن معرفة الذات التي نخشى ويخشى سلطانها، ويخاف بأسها، ولامعرفة إلّاعن تفكر وتعقل وتدبّر ونظر في الآفاق والأنفس... فمن كان أكثر معرفة لله جل وعلا وعلماً بما له تعالى من صفات الكمال والجمال والجلال كان أكثر خشية لله عزوجل، وتوقّياً لحرماته....

إن تسئل: ما معنى الحصر ونحن نرى كثيراً وكثيراً من العلماء في طوال الأعصار لايخشون الله عزوجل، بل ينهمكون في المعاصي وحرماته، وينبذون كتاب الله تعالى وارء ظهورهم ويشترون به ثمناً قليلاً، ويكتمون الحق، ويلبسون الحق بالباطل، ويؤثرون الحياة الدنيا ومتاعها على الآخرة ونعيمها...؟؟؟

تجيب عنه: ما يظهر من السياق ان وجوب الخشية محصور في العلم المطلق الذي لايقبل التشكيك لا في مطلق العلم الذي فيه شكوك ، وان العلم المطلق هو مسبوق بالمعرفة والايمان والتقوى التي لاريب فيها لصاحبها: «إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون» الحجرات: ١٥).

ولايخفى ان الآية الكريمة وما قبلها تنطوي تسلية للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فجميع ما خلق الله عزوجل متنوّع مختلف، ومن ذلك الناس، فلاغرو أن يكون بينهم الجاهل والأحمق والمعاند والمكابر والمستكبر، والعالم والواعي والراضخ للحق والمستجيب إلى دعوة الهدى ولاموجب ـ والحال هذه ـ لغمّه وحزنه من موقف الأولين، وفي موقف الآخرين الذين استجابوا إليه الغنآء، فالعلماء الواعون هم الذين يدركون معاني دعوته ويستجيبون إليها ويخشون الله جل وعلا.

وقوله تعالى: «ان الله عزيز غفور» تعليل لحصول الخشية، ووجوبها للعلمآء لدلالته على أنّه معاقب للمصرّ على طغيانه، غفور للتآئب عن عصيانه، على طريق الإخبار من الله تعالى في انتقامه من أعدآئه، وغفور لأوليآئه والتآئبين من خلقه، الراجعين إلى طاعته عزوجل.

٢٩ ـ (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير صفات العلمآء الواعين المؤمنينَ العاملين الذين يخشون الله تعالى وحده، وتنويه بالعلمآء الذين هم جديرون بخوف الله عزوجل وتذكر أعمالهم الناتجة عن ذلك، تنويه وبشرى لهم من شأنهما أن يستوليا على أنفس العلمآء ويغمراها بأقوى الاغتباط، ويدفعاها إلى التزامهم بالأخلاق الفاضلة والكمالات النفسانية... مع كون الآية الكريمة تنطوي دعوة إلى التدبر في القرآن الكريم، والتفكر في آيات الله جل وعلا وما يقع للعقل منها من معرفة وعلم وايمان بالله تعالى وبما له عزوجل من علم وحكمة وتدبير وقدرة، وجلال وعظمة... وهي التي تملأ القلوب إجلالاً وخشية لله وعزوجل.

وقوله تعالى: «يرجون تجارة» في الإخبار من الله جل وعلا برجآئهم عدة قطعيّة بحصول مرجوّهم. و«لن تبور» صفة للتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسآئر التجارات الدآئرة بين الربح والخسران لأنّه إشترآء باق ليس بفان.

٣٠ ـ (ليوفّيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انّه غفور شكور)

تعليل لنفي البوار عن تجارة هؤلاء العارفين المؤمنين المتقين العلمآء العاملين انّها تجارة يتقبلها الله جلّ وعلا منهم ويزيدهم من فضله.

قوله تعالى: «انه غفور شكور» تعليل لما قبله من التوفية والزيادة، فغفور لفرطاتهم،

يغفر لزلاّتهم وآثامهم وخطيئاتهم، شكور لطاعاتهم فيثيبهم ويجازيهم عليها، ويزيدهم من فضله.

٣١ ـ (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه إنّ الله بعباده لخبير بصير)

إلتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير، أوّلاً ومن الغيبة إلى الخطاب ثانياً، والمواجهة للمتحابين: الله جل وعلا وحبيبه محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تعظيماً وتفخيماً للمتكلّم والمخاطب، وفي هذا ما يطمئنّ نفسه ويجعله لايعبأ بمواقف المكذبين والجاحدين، ويكل أمرهم إلى الله الذي هو العالم بأسرار الكون وظواهر الوجود...

وفي الآية الكريمة إلفات إلى هذا الكتاب الذي دعت الآية السابقة إلى تلاوته، وانه هو الحق الذي يقوم على أساس الواقع، وهو المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية السابقة التي تنطق بالصدق والعدل، فحقيق أن يُتلىٰ صباحاً ومساءً، فيجعل دستوراً ونقطة عطف لحياة الانسان اللائقة به، وفيها تسلية وتثبيت للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنها تنطوي توكيداً موجهاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ ما أنزلنا إليك من الكتاب هو الحق...

وقوله تعالى: «ان الله بعباده لخبير بصير» تقرير وتأكيد الوحي حقاً، ومصدقاً لما بين يديه، وأن الموحىٰ إليه حق، وتعليل لاختيار محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم للرسالة بأن الذي يكون عالماً بأسرار الكون ونواميس الوجود، وعالماً بحقائق الامور وظواهرها... لايكون في كلامه شوب باطل، ولا في رسالة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم جزاف، فانّه أعلم حيث يجعل رسالته.

٣٢ ـ (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾

في التراخي دلالة على الفصل الزماني بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلماء امته صلّى الله عليه وآله وسلّم بناءً على أن علماء امته صلّى الله عليه وآله وسلّم ورثته، وأما الائمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين فكانوا نفس الكتاب وقليلاً ما عبّر عن المحدّثين والرواة بالعلمآء، فالعلماء هم الذين جاؤا بعد الغيبة الكبرى على صاحبها آلاف التحية والثنآء في الاسلام، وفي التعبير عن المستقبل بالماضي «أورثنا» دلالة على تحققه قطعاً أي نريد أن نورثه. كقوله عزوجل: «وكذلك جعلناكم امة وسطاً» البقرة: ١٤٣) و«كنتم خير امة اخرجت للناس» آل عمران: ١١٠)

في الآية الكريمة تنويه بالعلماء الدينية، ورفع قدرهم وعلوّ درجاتهم وحسبهم أن يكونوا مصطفين من عباد الله جل وعلا ليتلقّوا هذا الوحي السماوي، وجعله الله تعالى ميراثاً دائماً لهم، وفي إضافة العباد إلى نون العظمة «عبادنا» للتشريف والتكريم.

وقوله تعالى: «فمنهم ظالم لنفسه...» تقسيم العلماء الدينية على ثلاث طوآئف:

طائفة: ما عرفوا قدرهم، وما احتفظوا درجاتهم، وما عملوا ما علموا فظلموا أنفسهم...

وطائفة: عرفوا قدرهم حسب سعيهم... ولكنّهم ما جاهدوا في الله حق جهاده.

وطائفة: نالوا بالمعرفة والايمان والعلم والتقوى والعمل ما نالوا فكانوا قدوة لغيرهم. وفي تقديم الظالم على غيره إحتمالات كثيرة يمكن أن يكون من باب تقديم الخوف على الرجاء وتقديم الوعيد على الوعد، وتقديم الانذار على البشارة، وتقديم التزكية على التحلية، وتقديم الأدنى في الذكر على الأفضل كما في قوله تعالى: «يولج الليل في النهار» فاطر: ١٤) ومن المعلوم أنّ النهار هو أفضل من الليل، وقوله عزّوجلّ: «يهب لمن يشآء اناثاً ويهب لمن يشآء الذكور» الشورى: ٤٩) والذكور أفضل من الاناث... وقوله سبحانه: «هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن» التغابن: ٢) فذلك من باب الانتقال من الأدنى إلى الأعلى، أو يكون تقديم الظالم على غيره لكثرة

الظالمين منهم، والمقتصد منهم قليل بالنسبة إلى الظالمين، والسابق أقل من القليل، أو قدّم الظالم لئلاّ ييأس من رحمة الله تعالى وأخّر السابق لئلاّ يعجب بعلمه أورتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوالهم ثلاث: معصية وغفلة، ثم التوبة ثم القربة، فاذا عصى فهو ظالم وإذا تاب فهو مقتصد، وإذا صحّت توبته وكثرت مجاهدته اتصل بالله سبحانه وصار من جملة السابقين. وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن العلمآء ورثة الأنبيآء، وهم يرثون الكتاب، وتنطوي على تنويه عظيم بالعلمآء القادة الدينية وأذان بأنهم قد استقرّ عليهم الاصطفآء وإرث كتاب الله جل وعلا نهائيّاً، وأن دينهم قد أصبح الدين الحق للناس، وأنّ القرآن الكريم قد أصبح هو المستقر والمرجع والهادى العام لجميع البشر، وان العلماء الدينية هم مبيّنوه وليسوا مشرعين، وهم مروّجوه وليسوا مقننين، وفيها تلقين وحضّ وتنبيه وتحميل تبعات جسام لمن خالف قوله فعله، وتهديد شديد لمن خالف عقيدته بيانه، ووعيد لطائفة المتخلفين منهم، وتحذير لهم من التقصير عن وظائفهم الثقيلة، ووعد لطائفة المقتصدين وتفضيل للآخرين.

وقوله جل وعلا: «ذلك هو الفضل الكبير» إشارة إلى حال السابق بالخيرات، ومعنى البُعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه للايذان ببعد منزلة المشار إليه وعلوّ رتبته في الشرف. وفي الجملة تنويه بسبق الخيرات الذي هو فضل عظيم للسابقين من العلماء على المقتصدين فضلاً على الظالمين منهم، إشارة إلى ما ينال العلماء الكاملون من عطآء ربهم، ومايتلقّونه من فضل الله تعالى وإحسانه، فذلك هو الفضل الكبير حقاً لايعدل القليل منه كل ما في الدنيا من مال ومتاع وجاه...

٣٣ ـ (جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

في «جنات عدن» وجهان: أحدهما ـ بدل من «الفضل الكبير» على تنزيل السبب بمنزلة المسبّب، فعلى هذا فـ«يدخلونها» مستأنف وجمع الضمير لانّ المراد بالسبق: «سابق» الجنس، وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر، والسكوت عن

ذكر الظالم والمقتصد و إن لم يدل على حرمانها من الجنة مطلقاً تحذير لهما من التقصير، وتحريض على السعي في إدراك شأن السابقين. ثانيها ـ بيان للفضل كأنه قيل: ما ذلك الفضل؟ فقال: هي جنات عدن.... وفي تقديم «جنات عدن» وبنآء الكلام عليها دون أن يقول: «يدخلون جنات عدن» من غيرحاجة إلى ضمير الجنات ايذان بأن الإهتمام بشأن الجنات أكثر من دخولها، فانّ نظر السامع على المدخول فيه لا على نفس الدخول.

وقوله تعالى: «يحلّون فيها» إشارة إلى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج الجنة تأخيراً للدخول، وفي تحليتهم بالسوار إشارة إلى أمرين: أحدهما ـ الترفه والتنعم. ثانيهما ـ أنّهم لايحتاجون فيها إلى عمل من الطبخ وتهيئة سآئر الأسباب...

إن تسئل: ما وجه نصب «ولؤلؤاً» ؟ ولِمَ خُصَّ التحلّي بالرجال دون النسآء؟

تجيب عنه: ان «لؤلؤاً» معطوف على محل «من أساور» لأنه منصوب والتقدير: يحلّون أساور وهي مجرورة بـ«من» الزآئدة للتأكيد أي يحلّون فيها لؤلؤاً. و إنّما خصّ الرجال بالذكر لأنّ الله تعالى حرّم لبس الحرير والذهب على الرجال في الحياة الدنيا، وشوّقهم إليها في الدار الآخرة، فأخبرهم أنّ ذلك معدّلهم في الجنّة، وأما النسآء فقد أخذن حظّهن من الذهب والحرير إذ لم يحرم عليهنّ.

وفي انتهآء جمع «أساور» وتنكيرها، وتنكير «ذهب» و«لؤلؤاً» و«حرير» إشعار بكثرتها وتنوعها، وفخامة شأنها، فليست كأساور الدنيا وذهبها ولالؤلؤها وحريرها.

۳٤ ـ (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور)

إخبار من الله عزّوجل عن حال من يدخل الجنّة أنهم إذا دخلوها يقولون عند تنعمهم من نعم الجنة: الحمد لله تعالى إعترافاً منهم بنعمته على وجه الالجآء، لهم في ذلك سرور لا على وجه التكليف، وشكراً له تعالى على أن أذهب الغمّ الذي كانوا عليه في الحياة الدنيا. وفي ايثار الماضي: «قالوا» دلالة على التحقق لامحالة.

٣٥ ـ (الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نَصَبٌ ولا يمسّنا فيها لُغُوبٌ)

تقرير لتوصيفهم لله جل وعلا في الجنّة، ولما هم فيه فيها من راحة وسرور..

إن تسئل: ماالفرق بين «نصب» و«لغوب» ؟

تجيب عنه: ان النصب هو التعب الذي يصيب المنتصب للأمر المزاول، وأمّا اللغوب فهو ما يلحقه من الفتور بسبب النَصَب، فالنصب نفس المشقة والكلفة، واللغوب نتيجته، وما يحدث عنه من الكلال والفتور. ويمكن أن يُردّد هذا بأن يكون انتفآء الثاني معلوماً من انتفآء الأوّل. تجيب: ان في التصريح بنفي الثانية مع استلزام نفي الأول له، وتكرير الفعل المنفي: «لا يمسّنا» مبالغة في بيان انتفآء كل منها. ولايخفي انّ ذكر الثاني التابع للاول للتصريح بنفيه.

٣٦ ـ (والذين كفروا لهم نار جهنم لايُقضى عليهم فيموتوا ولايُخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور)

مستأنف بياني سيق لبيان مصير الكافرين وخلودهم في نار جهنّم بالمقابلة لمصير المؤمنين وخلودهم في جنات عدن، وتنعمهم بنعيمها، في الآيات السابقة جرياً على الاسلوب القرآني، فدار الكافرين غير دار المؤمنين يوم القيامة، وحياتهم غير حياتهم، وأحوالهم غير أحوالهم، ومقالاتهم غير مقالاتهم... فان دار الكافرين جهنم وهم يعذّبون بنارها، ودار المؤمنين الجنة وهم يتنعمون بنعيمها...

إن تسئل: إن الله عزوجل قال: «لايخفف عنهم من عذابها» فاطر:٣٦) وقال: «إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لايفتّر عنهم» الزخرف: ٧٤ ـ ٧٥) أو لايناقضها قوله تعالى: «كلّما خبت زدناهم سعيراً» الاسرآء: ٩٧) ؟

تجيب عنه: لا، لأنه ليس فيه انها تخبو عنها بزيادة السعير كقوله عزوجل: «كلّما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها» السجدة: ٢٠) يعني متى راموا الخروج منعوا من ذلك، والمعنى الجامع بينها: انه لايخفف عنهم شيء من عذابها الذي وُضِعَ عليهم.

وقوله تعالى: «كذلك نجزي كل كفور» تعليل لعذاب الكافرين على طريق تعليق الحكم على الوصف المشعر بعلّيّة الوصف للحكم.

٣٧ ـ (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)

بيان لاستغاثة الكافرين إلى الله جل وعلا وهم في نار جهنم ـ وقد كانوا نسوا الله تعالى في الحياة الدنيا ـ وتقرير لوصفهم، وإخبار عن أحوالهم بأنهم سوف يندمون على ما فرطوا ويتمنّون على الله جل وعلاً ويستغيثون به ليخرجهم منها، ويعيدهم ثانية، إلى الحياة الدنيا ليصلحوا حالهم، ولكن لاينفعهم الندم، فيقال لهم: لقد منحتم الفرصة الكافية بطول عمر ودعوة الرسل وإنذارهم، ولكنكم أضعتموها فليس للظالمين أمثالهم من مهرب ولانصير.

إن تسئل: فما فائدة اصطراخ الكافرين وإستغاثتهم في نار جهنم: «ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» مع أنّ هذا الكلام يوهم أنّهم كانوا يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه وهم ما عملوا صالحاً قط بل كانوا يعملون سيئآت...؟

تجيب عنه بأجوبة: منها: انهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كقوله تعالى: «وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً» الكهف: ١٠٤) فمعناه: غير الذي كنّا نحسبه صالحاً فنعمله.

وفيه إشارة إلى أنهم في الآخرة أيضاً ضالّون كما كانوا ضالّين في الحياة الدنيا، لانهم لو كانوا مهتدين لقالوا: ربنا زدت للمحسنين حسنات بفضلك لابعملهم، ونحن أحوج إلى تخفيف العذاب منهم إلى تضعيف الثواب، فافعل بنا ما أنت أهله نظراً إلى فضلك كما فعلت بالمؤمنين، ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظراً إلى عدلك، وانظر إلى مغفرتك الهاطلة، ولا تنظر إلى معذرتنا الباطلة.

وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين هداهم الله عزوجل في العقبى كما كانوا

مهتدين في الحياة الدنيا فدعوه تعالى بأقرب دعآء إلى الاجابة، وأثنوا عليه جل وعلا بأطيب ثنآء عند الانابة فقالوا: «الحمد لله...» وقالوا: «ربنا لغفور» إعترافاً بتقصيرهم «شكور» إقراراً بوصول ما لم يخطر ببالهم إليهم، وأحالوا الكل إلى فضله، تصريحاً بأنّه لاعمل لهم بالنسبة إلى بحار نعمه.

ومنها: ان فآئدة قولهم: «غير الذي كنا نعمل» زيادة التحسر على ما عملوه منّا غير الصالح. وغيرهما فتأمل جيداً واغتنم.

وقوله عزوجل: «أولم نعمّركم» هذا جواب إستغاثة الكافرين وإصطراخهم من جهته تعالى على طريق التوبيخ والتبكيت والانكار عليهم، والهمزة للانكار والنفي، والواو للعطف على مقدّر يقتضيه المقام، و«ما» نكرة موصوفة فالتقدير: فيقال لهم كلاّ: ألم نمهلكم أو ألم نؤخّر ولم نعمّركم عمراً يتذكّر فيه من تذكّر أي يتمكّن فيه المتذكر من التذكّر والتفكر.

وقوله تعالى: «وجآءكم النذير» إشارة إلى أنّه مع العمر الذي **عاشوا** في الحياة الدنيا، ومع ما معهم من عقول، لو استعملوها لاهتدوا بها، ولعرفوا الطريق إلى الله عزوجل، مع هذا فقد بعث الله تعالى فيهم رسولاً ينذرهم بين يدي هذا العذاب الأليم، فما استمعوا له ولاالتفتوا إليه، فوقعوا في العذاب ماوقعوا!

وقوله سبحانه: «فذوقوا» الفآء لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير، ومجيىء النذير وهذا اللوم الزاجر الذي أُجيبوا به على استصراخهم، فما لهم إلاّ هذا العذاب.

وقوله عزوجل: «فما للظالمين من نصير» الفاء للتعليل، وفي الجملة من تعليق الحكم على الوصف المشعر بعليّة الوصف في الحكم مالايخفى على القارئ الخبير المتدبر. فلابد لهم من ذوق العذاب وما لهم هنا من نصير يستجيب لهم ويخلصهم مما هم فيه، لكونهم ظالمين، وهذه حال كل من تلبّس بالظلم.

والآيتان: (٣٦ ـ ٣٧) في بابهما قوية نافذة من شأنهما أن تثيرا الخوف والفزع في

نفوس الكافرين، وتحملا السامعين على الارعوآء...

٣٨ ـ (إنّ الله عالم غيب السموات والأرض إنّه عليم بذات الصدور)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير شمول علم الله جل وعلا بكل شيء، وبيان لحقيقة غفل عنها أهل الشرك والضلال، والكفر والعناد، أو غابت عنهم، وهي أنّ الله عزّوجل هو الاله الذي لا إله إلّا هو لأنّه وحده عالم بكل شيء، غاب في السموات والأرض، وبكل ماتنطوي عليه الصدور وماتكنه الضمآئر... ومن كان هذا شأنه كان سلطانه قائماً على كل شيء، وكانت عادته وحده واجب على كل مخلوق... والآية الكريمة تمهيد للآيات التالية...

وقوله تعالى: **«انه عليم بذات الصدور»** في موضع تعليل لما قبله، بأنه جل وعلا إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون، كان أعلم بغيرها، وإن لم يكن علمه تعالى قابلا للتشكيك بأنه سبحانه عالم بالأسرار والخفيات كما أنه عالم بالظواهر... فان الخفاء والشهود، والظاهر والباطن عنده سوآء، فالله عزّوجل يعلم كل سرّ وجهر في السموات والأرض كما يعلم كل خطرة من خطرات النفوس ومكنونات الصدور، فلايخفى عليه شيء مما غاب عن جميع الخلائق علمه.

٣٩ ـ (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربّهم إلّا مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير الحجّة على توحّد الله تعالى في الوهيّته وربوبيته، وإنتفائهما عن شركآئهم... على طريق الخطاب لسامعي القرآن الكريم في كل زمن ومكان، بأن الله تعالى هو الذي جعلهم خلائف لمن سبقهم من الأجيال مما هو سنّة من سنن الكون ونواميس الوجود في جعل البشر خلائف يخلف بعضهم بعضاً، فيقوم كل لاحق منهم مقام سابقه، وسلطته على التصرف والانتفاع منها كما كان السابق

مسلطاً عليه، وان الناس إنما ينالون هذا النوع من الخلافة أي مطلق الخلافة لا الخلافة المطلقة من جهة نوع الخلقة، وهو الخلقة من طريق النسل والولادة، فانّ هذا النوع من الخلقة يقسّم المخلوق إلى سلف و خلف.

أما الالوهية فظاهرة، وأما الربوبية فانّ جعل الخلافة الأرضية نوع من التدبير مشوب بالخلق غير منفك عنه، ولذلك استدل به على توحّده عزّوجل في ربوبيته لأنه مختص بالله جل وعلا لامجال لدعواه لغيره، فالذي جعل الخلافة الأرضية في العالم الانساني هو ربّهم المدبّر لأمرهم كما أنه إلههم، وجعل الخلافة لاينفكّ عن نوع الخلقة، فخالق الانسان هو رب الانسان، لكن الخالق هو الله عزّوجل حتى عند الخصم فالله تعالى هو رب الانسان.

وأمّا فقد العاطف هنا خلاف ما في سورة الأنعام: «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض» ١٦٥) فللعدول عن خطاب أهل الآخرة إلى خطاب أهل الدنيا، وقال ههنا: «خلائف في الأرض» بزيادة «في» المفيدة لتمكن المظروف في الظرف لأجل المبالغة، والترقي من الأدنى إلى الأعلى كأنّه قيل: أمهلتم وعمّرتم وأمرتم على لسان الرسل بما امرتم وجعلتم خلفآء الهالكين الماضين فأصبحتم بحالهم راضين. وفي الجملة نقاش للمشركين بتعداد نعم الله تعالى عليهم وعلى الناس جميعاً وبيان كمال قدرته جل وعلا مع تسليط الأضواء الكشافة على آلهتهم وأصنامهم لتعرف أثرها وحقيقتها.

وقوله تعالى: «فمن كفر فعليه كفره» تقرير لكون الانسان مختاراً في عقيدته، فانّه يكفر بارادته وانّ ما يصيبه من شرّ وخسارة ومقت إنّما هو بسبب إختياره الكفر ونتيجة له، فانّ من كفر من الناس فاثم كفره وتبعته عليه فحسب، والكفر إنّما يؤدّي بصاحبه إلى زيادة من مقت الله جل وعلا وزيادة من الخسران، وانّ اختيار الكافر الكفر، وإختيار المؤمن الايمان إنّما يقعان بما أودعه الله عزّوجل في الانسان من العقل وقوّة التميز بين الكفر والايمان، بين الحق والباطل، بين الضلالة والهداية، وبين الصلاح والفساد... **والإقدار** على اختيار أحدهما... وبهذا يصبح الجدل الكلامي في اثر إرادة

الله تعالى ومشيئته في مفردات أعمال الانسان وعدمه في غير محله، وان إرادة الله عزّوجل وحكمته اقتضتا أن يكون الانسان قادراً على التميز ومختاراً في أفعاله...

فاختيار الانسان للهدى والخير والحق والعمل الصالح... أو الضلال والشر والباطل والعمل الفاسد هو من كسبه، وهو المتسق مع روح القرآن الكريم عامّة، ومع حكمة إرسال الرسل وتبشير المؤمنين وإثابتهم، وإنذار الكافرين والمجرمين وتعذيبهم. فلو كان الانسان مجبوراً في عقآئده وأعماله وأقواله لكان إرسال الرسل عبثاً، وخلق الجنّة والنار لعباً.

وقوله عزوجل: «ولايزيد الكافرين كفرهم...» بيان لوبال الكفر وغآئلته، وتكرير الفعل «ولايزيد» لزيادة التقرير والتنبيه على أنّ إقتضآء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين القبيحين، مستقل باقتضآء قبحه ووجوب التجنّب عنه. فالكفر الذي لبسه الكافرون بعد أن خلعوا نعمة الخلافة التي ألبسهم الله عزوجل إيّاها، لايزيدهم عند ربهم إلّا بغضاً وبعداً من رحمته، حيث ينزع عنهم ثوب الكرامة الذي خلعه عليهم، ويلبسهم الذلة والمهانة ويُلقىٰ بهم في نار جهنّم مذمومين مدحورين. فمن تبعات الكفر وثمراته الشومة المقت عند ربهم والمقت هو شدة البغض لأن فيه إعراضاً عن عبوديته واستهانة بساحته جل وعلا.

وقوله جل وعلا: «ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً» بيان لتبعة اخرى من تبعات الكفر ونتآئجه... وهي الخسران في الدنيا والآخرة لأنّهم بدّلوا بسوء إختيارهم السعادة الانسانية شقآءً ووبالاً سيصيبهم في منقلبهم إلى دار الجزآء. وفي التعبير عن أثر الكفر بالزيادة إشعار إلى أنّ الفطرة الانسانية بسيطة ساذجة واقعة في معرض الاستكمال والازدياد، فان أسلم الانسان زاده ذلك كمالاً وقرباً من الله عزّوجل، وإن كفر زاده ذلك مقتاً عند الله وخساراً في أنفسهم. وفي تقييد «مقتاً» بقوله: «عند ربّهم» دون الخسار دلالة على أنّ الخسار من تبعات تبديل الايمان كفراً والسعادة شقآءً، وهو أمر عند أنفسهم، وأما المقت وشدة الغضب والبغض فمن عند

الله عزّوجل.

وقوله سبحانه: «**إلّا خساراً**» تكرير الاستثنآء للدلالة على أن الكفر يقتضي كل واحد من الأمرين على الاستقلال والاصالة باقتضآء قبحه ووجوب التجنّب عنه، فهم مع هذا الكفر في كفر ينمو على الأيام... فهم يزدادون كل يوم مع هذا الكفر خسراناً، حيث تخف موازينهم يوماً فيوماً، انهم يحملون في كيانهم، دآءً خبيثاً وهو الكفر الذي يمتصّ مآء الحياة منهم قطرة قطرة حتى يتحولوا إلى أعواد من الحطب لا تصلح إلّا وقوداً للنار!!!.

٤٠ ـ (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بصورة الأمر تبكيتاً للمشركين وتوبيخاً لهم بسؤالهم **أوّلاً:** عما خلقه شركآئهم من الأرض؟ **وثانياً:** عن أيّ شيء لهم شركة في السموات؟ **وثالثاً:** عما اذا كان لديهم كتاب منزل من الله تعالى فيه دليل على صحة ما هم عليه من دين وعقآئد يجعلهم على ثقة وبيّنة من أمرهم؟

في الآية الكريمة إحتجاج قويّ على المشركين بثلاثة امور:

الأول: قوله تعالى: «أروني ماذا خلقوا من الأرض» ومن البديهي! أن لله تعالى لابد من آثار في الخلق تدل على وجوده ونفي الشريك أيضاً لأن القانون الذي يسير الذرة الصغيرة هو نفس القانون الذي يسير المجرات الكبيرة، فهل للشريك المزعوم من آثار في خلق شيء من الأرض؟ وأين هي؟

الثاني: قوله عزّوجل: «أم لهم شرك في السموات» المراد بالشرك هنا النصيب والأثر، والمعنى أيضاً: لا أثر للشريك المزعوم في السماوات...

الثالث: قوله سبحانه: «أم آتيناهم كتاباً...» أي أم أنزلنا على المشركين كتاباً من السمآء يقول: إن لله سبحانه شركآء.

فلاشيء من عالم التكوين ولاكيان التدوين، ولاأثر في نواميس الوجود يدل على الشريك المزعوم، فلا شركة لشركائهم في الالوهية ولا في الربوبيّة، ولاشيء في شؤن الله جل وعلا لاذاتية ولاجعليّة ولاأثر لها في السّموات...

قوله عزوجل: «شركآئكم» يعني آلهتهم، إضافة الشركآء إلى ضمير الخطاب لأنّهم جعلوهم شركاء لله سبحانه، فالاضافة لامية مجازية أو شركآء لانفسهم فيما يملكونه أو لملابسة العبادة أو كونهم شركآئهم في النار، توبيخ لهم وإفحامهم وتسفيههم.

إن اسلوب الآية الكريمة قويّ لاذع في تحدّي المشركين وتقرير الواقع من أمرهم، وتنتهي بتقرير أن كل ما هم عليه وكل ما يقوله بعضهم لبعض ليس إلّا كذباً وخداعاً وتغريراً، وهذه النهاية بمثابة جواب على السؤال وبيان حقيقة الأمر في حال المشركين ، فالله عزّوجل أورد أسئلة ثلاث على عقول المشركين ليجيبوا عنها إن كانوا يجدون لها جواباً ، فاذا كان العقل يأبىٰ أن يضيف إلى آلهتهم شيئاً، أو يجعل لهم شأناً في هذا الوجود، وإذا لم يكن بأيدي هؤلاء المشركين كتاب من عند الله تعالى أقامهم على هذا الرأي السقيم الباطل الذي رآوه في آلهتهم، فلم يبق إذن شيء يصل بين هؤلاء المشركين وآلهتهم إلّا ما تلقوه من ضلالات الضالين وأهوآء ذوي الأهوآء منهم... وفي الآية الكريمة دلالة على نفي أنحآء أربعة من الشرك : **الأول:** الشرك في الوجود **الثاني:** الشرك في الايجاد **الثالث:** الشرك في التدبير **الرابع:** الشرك في العبادة. فالبحث سيأتي في التفسير والتأويل فانتظر.

وقوله تعالى: «بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً» إضراب عما سبق من الاحتجاج بأن الذي حملهم على الشرك ليس هو حجة تحملهم عليه، ويعتمدون عليها، بل ان هذا الذي هم فيه من شرك وضلال مع تلك المعبودات التي يعبدونها، هو من وحي بعضهم إلى بعض بالباطل، ومن تزيين بعضهم لبعض بالخداع والغرور.

وفي الحديث عنهم بضمير الغائب إعراض عنهم، وإنزالهم منزلة الغائب إذ لم يكونوا أهلاً لأن يخاطبوا، وقد استرخصوا عقولهم واستخفّوا بها.

٤١ ـ (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً)

مستأنف بياني سيق لتقرير عظم قدرة الله عزّوجل وسعة مملكته، وكمال قيموميته، وجلال قدسه ووفور فيضه وسعة جوده وسبق رحمته، وان الامساك كناية عن الابقآء وهو إستمرار الوجود إلى أجل مسمّى، بأنّ الله جل وعلا هو الذي يمسك السموات والأرض من الزوال والسقوط والاضمحلال والبطلان والفنآء، وحينما يريد ذلك لن يستطيع أحد أن يحول دونه، وانه تعالى مع ذلك يحلم على عباده لايعجل عليهم بالنقمة رغماً عمّا يصدر منهم من موجباتها، وانه سبحانه لغفور تتسع مغفرته لذنوبهم إذا ما استغفروه وتابوا إليه.

ومن المحتمل أن تكون الآية مستأنفة سيقت لبيان غاية قبح الشرك وهوله، أن تكون تتمة لما قبلها بصدد ما احتوته من تحدّ للمشركين لتوكيد تصرّف الله عزوجل المطلق في السموات والأرض خلقاً وابقآءً وزوالاً دون ما شريك ولامعارض ولامانع، وفيها تهديد لهؤلاء المشركين بأن يسقط الله عزّوجل عليهم السمآء، أو يخسف بهم الأرض، فهو تعالى يمسكهما بموضعيهما اللذين هما فيهما إلى وقت معلوم عنده جل وعلا.

وقوله تعالى: **«وكان الله حليماً غفوراً»** يشير إلى أنّ الله عزوجل قد وسع بحلمه الناس، ولم يأخذهم بما كسبوا، ولولا هذا لأهلكهم وأفسد عليهم حياتهم، وانّ الله تعالى مع حلمه غفور يحبّ رجعة الظالمين إليه، ويقبل توبة المذنبين، ويغفر ذنوب المستغفرين وفي الجملة تلقين جليل لما ينطوي في صفتي الحلم والغفران الربانيتين من المعنى العظيم وخاصّة عند فرصة الصلاح والاصلاح والانابة إلى الله تعالى للمذنب والمتصر والجاهد، كما هو من المباديء المحكمة التي شغلت حيّزاً مهمّاً في التنزيل

القرآني والدعوة الاسلامية.

٤٢ - (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الامم فلمّا جآءهم نذيرما زادهم إلاّ نفوراً)

مستأنف بياني سيق لتقرير حكاية الأيمان المغلظة التي كان المشركون أوعتاتهم يحلفونها قبل البعثة النبوية بأنّهم لو جآءهم نذير لا تبعوه، ولكانوا به أهدى من احدى الامم السابقة، وما كان من أمرهم حينما جآءهم النذير وهو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث ازدادوا كفراً ونفوراً!

والمستفاد من الآية الكريمة: أنّ العرب أو الفريق المستنير منهم كانوا يرون ما عليه اليهود والنصارى من خلاف ونزاع وتشاد بل وقتال، فيعجبون من ذلك ويقسمون بأنهم لو جآءهم نذير أو بعث فيهم نبيّ مثل ماجآءهم لا تبعوه واهتدوا بهداه وغدوا أهدى من إحداهم، كما يستفاد منها: أنّ فريقاً منهم قد وصلوا إلى طورٍ شعروا فيه بأنّ ما عليه العرب من عقآئد وتقاليد دينية باطل وضلال، فأنفوا منها ونزّهوا أنفسهم عنها وأنفوا من النصرانية واليهودية لما كان عليه أهلها من نزاع وخلاف وتهاتر وقتال وأحزاب، فادّاهم ذلك إلى ما حكته هذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية عنهم...

منها: «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود علي شي وهم يتلونالكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم...» البقرة:١١٣).

وفي سورة الأنعام آيات تلهم أنّ مستنيري العرب كانوا يتمنّون إنزال كتاب بلغتهم أيضاً، ويقولون: إنهم لم يكونوا يعرفون لغة الكتب المنزلة السالفة حتى يهتدوا بها وانهم لو انزل عليهم كتاب لكانوا أهدى من اليهود والنصارى وهي هذه: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلّكم ترحمون أن تقولوا إنّما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنّا عن دراستهم لغافلين أوتقولوا لوأنّا انزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها

سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون» الأنعام: ١٥٥ـ ١٥٧).

وهناك روايات عديدة تذكر أسمآء عدد غير يسير من هؤلاء المستنيرين وأنفتهم من عقآئد وتقاليد قومهم وانصرافهم عنها، وتَنَصُّرُ بعضهم، وتهوّد بعضهم، وأنفة بعضهم عن التهوّد والتنصّر أيضاً، وبحثهم عن ملّة إبراهيم الحنيفية التوحيدية الخالصة، وادعآء بعضهم أنهم عليها، كما أنّ هناك روايات تفيد أنّ اليهود كانوا يذكرون للعرب أنّ نبيّاً عربياً سيبعث وكتاباً عربياً سينزل، وأنهم سيكونون حزبه مما انطوى على ذلك قرينة قوية في آيات كريمة...

منها: «ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جآءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ـ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدّق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله ورآء ظهورهم كأنّهم لايعلمون» البقرة: ٨٩ و ١٠١).

ومنها: «الذين يتبعون الرسول النبيّ الامّيّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبآئث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...» الأعراف: ١٥٧) التي يمكن أن تلهم: أنّ اليهود والنصارى معاً في الحجاز ومكّة كانوا يتحدّثون عن نبي عربي امّيّ يبعث، ويذكرون صفاته التي يجدونها في التوراة والانجيل، فكان العرب أو الفريق المستنير منهم ينتظرون تحقق ذلك ويقسمون بأنهم سيكونون حينئذ أهدى به من النصارى واليهود.

وإنّ الآيات التي تذكر ايمان من آمن من اليهود والنصارى وفرحهم بما نزل من القرآن الكريم على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهادتهم بأنّه منزل بالحق من الله تعالى وكونهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنآءهم وانّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» البقرة: ١٤٦) وما ورد

في سياق تفسير الآيات مما يدعم ذلك. وبذلك كلّه استحكمت حجة آيات سورتي فاطر والأنعام الدامغة القوية على كفار العرب و بخاصّة الفريق المستنير الذي كان يقود حركة الصدّ والمناوأة للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعونه لأنّ ما كانوا ينتظرونه ويتمنّونه قد تحقّق، وحقّ عليهم التنديد القوي الذي إحتوته، لأنّهم نكثوا أيمانهم، وخالفوا أقوالهم، و وقفوا مواقف الظلم والبغي والعناد واللجاج!.

وقوله تعالى: «لئن جآءهم نذير» في الاقتصار على وصف الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه نذير إشارة إلى أنّ الانذار هو أوّل ما يتلقّاه الأقوام من رسلهم، إذ كان الرسل يبعثون في أقوامهم حين يكثر فيهم الفساد، وتختلط في قلوبهم وعقولهم وأفكارهم معالم الدين الصحيح، فيكون أوّل ما يلقي به الرسول قومه هو الالفات إلى هذا الضلال الذي هم فيه، وتحذيرهم منه، وانذارهم سوء عاقبته. ونعم ما قيل في النذير:

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

لشيب رأسي بكت دمعي ولاعجبا تجري العيون لوقع الثلج في القلل

٤٣ ـ (إستكباراً في الأرض ومكر السيّئ ولايحيق المكر السيّئ إلاّ بأهله فهل ينظرون إلاّ سنت الأوّلين فلن تجد لسنّت الله تبديلاً ولن تجد لسنّت الله تحويلاً)

بيان لسبب الموقف الناكث الذي وقفوه، وهو إستكبارهم عن اتباع النذير الذي جآئهم، ورغبة في معاكسته والكيد له، فالسبب الذي حدا إلى نكث من نكث أيمانه من هذا الفريق الباغي، حينما تحقق ما انتظروا، وبعث محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بكتاب عربي وهو الاستكبار عن شخص رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المبعوث فيهم الذي أداهم إلى الوقوف منه موقف التصامم والمناوأة والكيد والبغي والمكر السيّئ، ومن المتبادر أنهم كانوا من طبقة الزعمآء والأغنيآء من المشركين، وفي ذلك الظرف قلّ أن ينبه نابه من غير هذه الطبقة، فأنفوا أن يتبعوا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لم يكن من طبقتهم.

ولعلّ منهم من حسد النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لاختصاصه بالرسالة دونهم، فأعمى الهوى بصيرته، وكان مثله كمثل الذي آتاه الله تعالى آياته.. فانسلخ منها فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين على ما جآء في آيات عديدة...

منها: قوله تعالى: «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين» الأعراف: ١٧٥) وقد ورد في سياقها إسمان من أسماء نابهي العرب الذين كبر عليهم إختصاص النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنبوة والرسالة من دونهم وهما امية بن الصلت وأبوعامر الراهب.

ومنها: قوله عزوجل: «وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شكّ من ذكري بل لمّا يذوقوا عذاب» ص: ٦ - ٨).

ومنها: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣١) وهذه الآية أكثر صراحة بالنسبة إلى الموضوع والمعنى: انهم استغربوا واستكبروا أن يكون النبي ينزل عليه القرآن الكريم محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لم يكن معدوداً من طبقة الزعمآء وقالوا: كان ينبغي أن ينزّل هذا القرآن على عظيم من عظام مكة أو الطآئف: ولقد كان بنوامية أكثر بروزاً من بني هاشم في مكة، وكانت لهم قيادة الحرب، فحسبوا حساب إستعلاء بني هاشم عليهم إذا نجحت دعوة النبي الهاشمي، فحفزهم ذلك إلى مناوأته ولقد أثر عن عمروبن هشام المخزومي الذي يكنّى في الاسلام بأبي جهل أن مثل هذا الحساب هو الذي جعله موقف العدآء والمناوأة الشديد الذي وقفه.

وقد ورد في سياق الآيات: (٣٣ - ٣٦) من سورة الأنعام: أن أباجهل قال: «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، واعطوا فأعطينا حتّى إذا تجاثينا على الركب وكنّا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من اسمآء فتى ندرك هذا والله لانؤمن به ولانصدقه».

فكل هذا يفسّر ما كثرت حكايته في القرآن الكريم من مواقف العناد والجدل والمكابرة والتأليب والتكذيب والتحدّي والأذى والتهم الباطلة التي وقفها الزعمآء والنبهآء الذين لم يكونوا أو لم يكن أكثرهم أغبيآء وضعفآء الادراك على ماتلهمه نصوص القرآن الكريم، وما كثرت حكايته كذلك من الحملات الشديدة التي نزلت فيهم مما لا تكاد تخلو منه سورة مكيّة، وممّا مرّ منه أمثلة كثيرة في السورة السابقة، ونكتفي بذلك دون ايراد نصوص اخرى لأنّ الأمثلة مبثوثة في مختلف السور القرآنية وبنوع خاص في المكيّة منها، وفي القرآن الكريم إلى هذا آيات تذكر ما كان من أثر تأليب الزعمآء للسواد الأعظم ضد النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته حتّى جعلوهم ينقبضون عنه مما كان من أسباب حكاية تلك المواقف والحملات...

ومن الآيات الكريمة: «وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولابالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسرّوا الندامة لـمّا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون» سبأ: ٣١ ـ ٣٣) «يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربّنا انّا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلّونا السبيلا» الاحزاب: ٦٦ ـ ٦٧).

ولقد كانت هذه المواقف الاستكبارية الناكثة الماكرة المؤذية المعجّزة المتحدية المكابرة مما يحزّ في نفس النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ويثير فيه الألم والحسرات، فاقتضت حكمة التنزيل أن تتوالى الآيات التي تضمنت تسلية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتطمينه والتهوين عليه مما مرّ منه أمثلة كثيرة في هذه السورة وماقبلها.

وقوله تعالى: «ولايحيق المكر السيّئ» تعقيب على استكبارهم في الأرض ومكر

السيّئ مندداً منذراً، فان المكر السيّئ لن يضرّ غير أصحابه، وإنّ الناكثين الماكرين في موقفهم كأنّما ينتظرون ويستعجلون سنّة الله التي قد خلت في الأوّلين باهلاك المكذبين لرسل الله الماكرين بهم مكر السوء، وإنّ سنّة الله لن تتبدّل معهم ولن تتحوّل عنهم.

ان قلت: إنا نرى كثيرًا ما يفيد الماكر من مكره وبه يغلب على خصمه؟

قلت: يمكن أن يجاب عنه بامور: **أحدها** ـ ان المكر في الآية الكريمة هو المكر برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من عزمهم على قتله أو إخراجه أو إثباته، فلا يحيق إلّا بهم حيث قتلوا ببدر. **ثانيها** ـ معناه عام، وذلك ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عن المكر إذ قال: «لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً» فالله تعالى قال: «ولا يحيق المكر السيّئ إلّا بأهله» فعلى هذا يكون ذلك الممكور به أهلاً فلا نقض. **ثالثها** ـ ان الامور بعواقبها، ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر، في الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك.

إن تسئل: كيف يحيق المكر السيّئ بأهله؟

تجيب عنه: ان الكلام مرسل إرسال المثل كقوله عزوجل: «يا أيها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم» يونس: ٢٣) وقال الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام: «من سلّ سيف البغى قتل به» فالمعنى: ان مكرهم بالمؤمنين عائد بالوبال عليهم، فكأنّهم وجهوا الضرر إلى أنفسهم لا إلى غيرهم.

وقوله عزوجل: «فهل ينظرون إلّا الأوّلين» تفريع وإستنتاج مما تقدم الجملة، والاستفهام للانكار. والمعنى: وإذ مكروا المكر السيّئ والمكر السيّئ يحيق بأهله فهم لاينتظرون إلّا السنّة الجارية في الامم السالفة، وهي العذاب الالهي النازل بهم إثر مكرهم وتكذيبهم بآيات الله عزوجل، وذلك ان المشركين كانوا يتحدون النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بانزال العذاب وتعجيله عليهم باسلوب المستهتر الساخر، فأكّدت الآية الكريمة لهم عدم تبدل سنّة الله تعالى التي خلت في مَنْ قبلهم توكيداً يتضمّن

الانذار، و ان الآيتين التـالـيتين تتضمّـنـان تدعيماً لهذا التوكيد مما ينطوي فيه صحّة الاستلهام وإستعجال الكفار العذاب الموعود بالاسلوب الساخر الجاحد، قد حكى عنهم في آيات عديدة...

منها: قوله تعالى: «وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلّا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» الأنبياء: ٣٦ ـ ٣٨).

ومنها: قوله عزوجل: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده و إنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون» الحج: ٤٧)

هذا ومع خصوصيّة الموقف وزمنه فان ما في الآيات الكريمة من تنديد بالذين يستكبرون على ما يعلمون أنّه الحق، ويكابرون فيه، ويصدّون عنه، وينكثون بعهدهم في صدده بباعث الحسد والكبر وقصد المكر والكيد يمكن أن يكون تلقيناً مستمر المدى ضدّ هذه الأخلاق وضد المتصفين بها.

وقوله عزوجل: «فلن تجد لسنت الله تبديلاً...» الفآء لتعليل مايفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه، ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد إنتفآئهما. ولايخفى! ان السنة اضيفت تارة إلى القوم وتارة اخرى إلى «الله» لتعلق الأمر بالجانبين وهو كالأجل اضيف تارة إلى «الله» في قوله تعالى: «فان أجل الله لآت» العنكبوت: ٥) وتارة اخرى إلى القوم: «فاذا جاء أجلهم» الأعراف: ٣٤).

٤٤ ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوة وماكان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنّه كان عليماً قديراً)

إستشهاد على ما قبله من جريان سنّة الله تعالى على تعذيب المكذّبين بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العاتية، والهمزة

للانكار والنفي، والواو للعطف على مقدّر يليق بالمقام أي أقعدوا في دورهم ومساكنهم ولم يسيروا في الأرض؟! وقد كانوا هم يطوفون في مختلف البلاد ويرون آثار عذاب الله تعالى في مساكن الأُمم السابقة أو بعضها، وكانوا يعرفون أنّ ما حلّ بها كان عذاباً ربّانياً بسبب كفرهم وطغيانهم، وإنحرافاتهم وآثامهم وتكذيبهم رسل الله جل وعلا، مع كون اولئك الأقوام أشد قوة وشوكة من مشركين مكة، فهم مع شدة قوتهم وكثرة عَدَدهم وعُدَدهم ونهاية شوكتهم ما أعجزوا الله جل وعلا لأنه لايمكن أن يعجزه شيء في السموات والأرض، وهو العليم المحيط بكل شيء والقادر على كل شيء، وبذلك تستحكم عليهم الحجة.

وتدل على ذلك آيات كثيرة...

منها: قوله عزوجل: «ولقد أتوا على القرية التي أُمطِرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لايرجون نشوراً» الفرقان: ٤٠)

ومنها: قوله تعالى: «وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين» العنكبوت: ٣٨).

هذا ومع أنّ الآية الكريمة تدعو المخاطبين في كل ظرف إلى السير في الأرض، والنظر بأعينهم في سنّة الله تعالى التي لا تتبدّل ولا تتحوّل... فانهم سيرون أقواماً كانوا قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فأخذهم الله جل وعلا بذنوبهم، وقلّب عليهم دورهم: «فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطّلة وقصر مشيد» الحج: ٤٥).

وقوله تعالى: «وما كان الله ليعجزه من شيء» إعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة،وتتميم لسابق البيان لمزيد إنذارهم وتخويفهم.

وقوله سبحانه: «انه كان عليماً قديراً» في موضع تعليل لما قبله، سيق لبيان كمال علم الله جل وعلا ونهاية قدرته. وقيل: تعليل لما بعده: «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا...».

٤٥ - (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جآء أجلهم فانّ الله كان بعباده بصيراً)

مستأنف بياني سيق لتقرير سنّة من سنن الله عزوجل، وحكمة من حكم الله تعالى، على طريق الاخبار من الله سبحانه والامتنان بتأخير عقاب المذنبين الدنيوي من الهلاك والدمار بما كسبوا من الذنوب والآثام... وهذا جواب عن سُؤال مقدّر يمكن أن يقع في نفوس المشركين والمكذبين والآثمين عند سماعهم التهديد الذي حملته إليهم الآية السابقة، وذلك ان الله جل وعلا لمّا أنذر أهل المكر والغدر، والتكذيب والبغي والكفر من المشركين والطاغين في كل ظرف بالمؤاخذة واستشهد على ذلك بما جرى في الامم السالفة بأنه لايعجزه شيء في السموات والأرض، كأنّه قيل:

فاذا لم يعجزه شيء في السموات والأرض، فكيف يترك سآئر الناس على ما هم عليه من المعاصي والآثام؟ وماذا يمنعه أن يؤاخذهم بكفرهم وذنوبهم؟ وأين العذاب الذي تهدّد به؟ فأجاب أنه لو يؤاخذ جميع الناس بكفرهم وطغيانهم، بغيهم وآثامهم كما يؤخذ هؤلاء الماكرين المكذبين المشركين الآثمين والمذنبين بذنوبهم ما ترك على ظهر هذه الأرض أحداً منهم يدبّ ويتحرّك ، فان ذنوب المذنبين لجسامتها، وكفر الكافرين ومعاصي العاصين لشناعتها، لايغسل دنسها ورجسها إلا طوفان من العذاب يأتي على كل حياة قآئمة على وجه الأرض وقد قضى الله عزوجل أن يعيشوا في الأرض ويعمروها إذ قال: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين» الأعراف: ٢٤).

وقوله تعالى: «ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى» إستدراك عما سبق وتعليل لتأخير العقاب، وتقرير أن حكمة الله جل وعلا إقتضت إختبار الناس، ومنحهم الفرص التي يختارون فيها ماتدفعهم إليه قابلياتهم ومواهبهم ومداركهم المودعة فيهم من طريق وعمل، وعدم التعجيل في مؤاخذتهم لتكون لهم كذلك الفرصة للصلاح والاصلاح والانابة، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: «وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكر» فاطر: ٣٧) حيث

خاطب الله تعالى الظالمين الذين سيبطّلون يوم القيامة من الله عزوجل العودة لاصلاح حالهم فيردهم الله جل وعلا على أنّهم قد اعطوا الفرصة الكافية، وعمروا العمر الذي يمكن أن يتذكّر فيه من أراد أن يتذكّر، ورغب في الحق والهدى. وفي هذا تدعيم لفكرة كون الصلاح والاصلاح والانابة من المبادئ القرآنية المحكمة التي شغلت جزءاً مهمّاً في القرآن الكريم.

وقوله عزّوجلّ: «فان الله كان بعباده بصيراً» في موضع تعليل لما قبله، بأنّ الله عزّوجلّ يمهل الناس إلى الآجال المعينة في علمه، فاذا ما جآئت انزل بهم ما يستحقون لأنه بصير بكل مايستحقون لانّه مطلع على كل أمرٍ مِن امور عباده. وقيل: الجملة من باب وضع السبب موضع المسبب الذي هو الجزآء، بأنّ الله تعالى يجازي ان كلاً بما عمل فانه بصير بهم، عليم بأعمالهم لأنّها عباده، وكيف يمكن أن يجهل الخالق خلقه والرب عمل عبده؟ وفي الآية الكريمة وخاصّة هذه الجملة الأخيرة دلالة على غاية حلم الله تعالى ورحمته بعباده.

﴿الإعجاز﴾

ومن البيّن لكل خبير متعمّق في القرآن الكريم! ان كل آية من آياته معجزة في أبعاد مختلفة: بُعد عباراتها وإشاراتها، بُعد ألفاظها واسلوبها، بُعد نظمها وترتيبها، بُعد معانيها ومبانيها وبُعد مفاهيمها ودلالاتها... كما أنّ كل عضو من أعضآء الانسان من العين والاذن واللسان والأنف واليد والرجل... وحتّى الشَعْر مخلوق كالمجموع، في كل واحد منها أسرار لايعرفها الانسان إلّا واحداً من الألف، معجزة في أبعاد عديدة لايستطيع أحد في زمن من الأزمان أن يخلق مثله، وكما لايستطيع الجن والانس في أيّ ظرف من الظروف أن يأتوا بمثل هذا القرآن، كذلك لايستطيعون أن يأتوا بمثل آية من آياته ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً:

«فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» الطور: ٣٤).

«قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الاسراء: ٨٨).

ونحن لانستطيع أن نخوض في البحث عن تمام وجوه إعجاز آية من السورة، فضلاً عن كلها من السور القرآنيّة، فانّه ينتهي إلى عشرات مجلدة من الكتاب فنكتفي بالاشارة إلى وجه من وجوه إعجاز هذه السورة روماً للاختصار، فحقيق للقاريء الخبير أن يتدبّر فيما سواه.

ومن الاشارة إلى وجه من وجوه إعجاز هذه السورة: أنّ كلماتها تسعى إلى نفس القاريء الخبير المتعمق كأنّها مخلوق حيّ مستقلّ له حياته الخاصّة، وهذا سرّ من أعمق

الأسرار في التركيب القرآني، انه ليس بالشعر ولابالنثر ولابالكلام المسجوع، وإنّما هو بيان خاص من الألفاظ التي صيغت بطريقة تكشف عن حقائق ومعارف وحكم واسرار... لايشاركه فيه أيّ تركيب أدبيّ... انه محيّر لايدري أحد من أين؟ وكيف يتمّ؟ انه نسيج وحده بين كل ما كتب باللغة العربية سابقاً ولاحقاً، وتقليده محال جدّاً، وعند التأمل يشعر القاري بأنه من صنع الخالق كسآئر المصنوعات الالهية لا من صنع المخلوق. ولقد انفرد القرآن الكريم بخاصّة عجيبة تُحدِث الخشوع في النفس، و تؤثّر في الوجدان والقلب بمجرّد أن تلامس كلماته الأُذُن، وقبل أن يبدأ العقل في العمل، فاذا بدأ يحلل ويتأمّل اكتشف أشيآء جديدة تزيده خشوعاً، ولكنّها مرحلة ثانية قد تحدث، وقد لاتحدث، قد تكشف الآية عن سرّها، وقد لا تكشف قد تؤتي البصيرة، وقد لا تؤتي ولكن الخشوع ثابت ومستقرّ.

ومن آية السورة: «وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه» فاطر: ١١) يجد القاري المتأمل: أن تصوير علم الله جل وعلا المطلق على هذا النحو العجيب ليس من طبيعة الذهن البشري أن يتجه إليه لا في التصوّر ولا في التعبير فهو بذاته دليل على أن الله تعالى هو منزل هذا القرآن الكريم، وهذه إحدى السمات الدالّة على مصدره الالهي المتفرّد، ومثلها الحديث عن العمر في الآية الكريمة ذاتها بقوله عزّوجل: «وما يعمّر من معمّر ولاينقص» فان الخيال إذا مضى يتدبّر، ويتتبع جميع الأحيآء في هذا الكون من شجر وطير، من حيوان وانسان، من برّ وبحر، من سهل وجبل، ومن سمآء وأرض وما إليها من الموجودات على اختلاف في الأحجام والأشكال، والأنواع والأجناس، والمواطن والأزمنة...

ثم يتصوّر انّ كل فرد من أفراد هذا الحشد الذي لايمكن احصآئه، ولايعلم إلّا خالقه عدده يعمر، فيطول عمره أو ينقص فيقصر منه وفق قدر مقدور، و وفق علم متعلق بهذا الفرد متابع له عمر أم لم يعمر بل متعلّق بكل جزء من كل فرد يعمّر أو ينقص من عمره، فهذه الورقة من تلك الشجرة يطول عمرها أو تذبل أو تسقط عن

قريب، وهذه الريشة من ذلك الطائر يطول مكثها أو تذهب مع الريح، وهذا القرن من ذلك الحيوان يبقى طويلاً أو يتحطم في صراع وهذه العين في ذاك الانسان أو هذه الشعرة تبقى أو تسقط وفق تقدير معلوم.

وإذا مضى الخيال يتدبّر هذا ويتبعه، ثم يتصوّرما ورآئه انه لأمر عجيب، وانه لاتجاه إلى حقيقة لايتجه إليها التفكير البشري على هذا النحو، واتجاه إلى تصوّر هذه الحقيقة، وتصويرها على غير مألوف البشر، وإنّما هو التوجيه الالهي الخاص إلى هذا الأمر العجيب، ولايخفى ان تصوّر الأمر على هذا النحو لايقاظ القلب إلى تدبّر هذا الكون بحسّ جديد، واسلوب حديث وان القلب الذي يستشعر يد الله جلّ وعلا وعينه على كل شيء بمثل الدقة ليصعب أن ينسي أو يغفل أو يضلّ، وهو حيثما تلفت وجديد الله سبحانه، ووجد عين الله تعالى، ووجد عناية الله عزّوجل، ووجد قدرة الله جلّ وعلا متمثلة ومتعلقة بكل شيء في هذا الوجود.

فتكشف لنا حكمة الخلق والتنويع، وتضح فيه القصد والتدبير، ويعلم أنّه نظر في خلق الكون ونواميس الوجود إلى تناسقات وموازنات يقوم بعضها على بعض في حياة هذا الكون، ونظامه، ولايصنع هذا إلاّ الله عزّوجل خالق هذا الكون ومافيه ومن فيه، فان هذا التنسيق الدقيق لايجئ مصادفة واتفاقاً بحال من الأحوال...

ومنها: «ألم تر أن الله أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات...» في هذا أدقّ التعبير القرآني إذ تكلم على الدين، واختلاف الناس فيه، فقدم له بكلام على نظيره وشبيهه، وهو المآء بأنّ الشرائع أشبه شيء بالمآء حيث انّ المآء يحي موات الأرض ويزيل الظمأ والصدي، وان الدين يحي موات القلوب ويزيل ظمأها وصدأها، والناس معه مختلفون اختلافاً بيّناً.

وجدير للقاريء الخبير أن يتأمّل في آيات (٢٩ ـ ٣٧) كيف تدعو وجدان الانسان وشعوره وعقله وتمام وجوده إلى النظر في آيات الله القرآنية، ومايقع للعقل منها من معرفة بالله جل وعلا وماله تعالى من علم وحكمة، من جلال وعظمة، ومن تدبير

وقدرة، ومن فضل ورحمة، ومن إحسان ورأفة... يرى فيها الذين يتلونها تلاوة مبصرة، وشواهد ناطقة تشهد بما لله عزوجل من كمال وجلال تماماً كما يرى الرائونلآيات الله المادية المعجزة، تدعوا دعوة إلى التلاوة المتدبرة الفاقهة التي تحصّل علماً ومعرفة وحكمة ويقيناً، وايماناً وهي التي تملأ القلوب إجلالاً وخشية لله جل وعلا وتوقّياً لحرماته... وعندئذ يعرف القارئ كيف تقع الخشية لله تعالى في قلوب المؤمنين من العلمآء؟ وكيف تستولي على مشاعر عباد الله جل وعلا من العلمآء لامطلق العلمآء: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء»؟

ويعلم هذا القارئ لامطلق القارئ كيف كان القرآن الكريم حقاً: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه»؟ وكيف كان وحياً؟ وكيف كان مصدقاً لما بين يديه؟

يعلم ان هذا القرآن المجيد المعجز بكل كلمة حق بما في طبيعته من صدق ومطابقة لما في الفطرة البشرية من الحق الأزلي، وما في طبيعة هذا الكون كله من هذا الحق الثابت المستقر في كيانه، الملحوظ في تناسقه واطراد نظامه، وثبات هذا النظام وشموله، وعدم تصادم أجزائه أو تناثرها وتعارف هذه الأجزآء وتلاقيها... حق بترجمته لنواميس هذا الوجود الكبير ترجمة مستقيمة، وكأنّما هو الصورة اللفظية المعنوية لتلك النواميس الطبيعية الواقعية العاملة في هذا الوجود.

حق بما يحقّقه من إتصال بين البشر الذين يرتضون منهجه، وهذا الكون الذي يعبشون فيه ونواميسه الكلية، ومايعقده بينهم وبين قوي الكون كله من سلام وتعاون وتفاهم وتلاق حيث يجدون أنفسهم في صداقة مع كل ماحولهم من هذا الكون الكبير، حق تستجيب له الفطرة البشرية حين يلمسها ايقاعه في يُسر وسهولة، وفي غير مشقة ولاعنت، لانّه يلتقي بما فيها من حق ازلى قديم... حق لايتفرّق ولايتعارض وهو يرسم منهاج الحياة البشرية كاملاً، ويلحظ من هذا المنهاج كل قواها، وكل طاقاتها وكل حاجاتها، وكل مايعتورها من مرض أو ضعف أو نقص أو آفة تدرك النفوس

وتفسد القلوب...

حق لايظلم أحداًفي دنياه ولا في آخرته، بل يعطى كل من آمن به خيراً وسعادة وكمالاً ونجاةً فيهما معاً، ولايظلم قوة في نفس ولاطاقة، ولايظلم فكرة في القلب أو حركة في الحياة، فيكفها عن الوجود والنشاط مادامت متفقة مع الحق الكبيرالأصيل في صلب الوجود.

وحقيق لقاريئ الخبير أن يتدبّر في هذه الآية الكريمة: «ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً» ٤١) متى تشير إلى قانون الجاذبية وما تكلم به أحد قبلها؟ وانّ الله جل وعلا أمسك الكواكب والنجوم بقانون الجاذبية تماماً كما سيّر الطآئر بجناحيه، وجعل الانسان بصيراً بعقله وعينيه، وحرّكه برجليه.

وانّ الآية الكريمة تشير أيضاً باعجاز رآئع إلى إمكان إفنآء ما في الكون من سدم ومجرات... إذا هي تغير نظام توزيعها بأن تداخلت مثلاً أو اعترض بعضها بعضاً أثنآء سبحها في الفضآء، ثم هي بالاضافة إلى تقرير تلك الحقيقة تظهر ضعف الكائنات جميعاً وعجزها عن إمساك السموات والأرض من الزوال إذا قدر الخالق لها تلك النهاية: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات» ابراهيم: ٤٨) و«يوم نطوي السمآء كطي السجل للكتب» الأنبياء: ١٠٤)

وفي المقام نظرات جديدة منها لايخلو من فآئدة وهي:

«ان منذ سنوات معدودات تمّت كشوف جديدة في عالم الكونيات تناولت صميم تكوين الذرة، وأثارت إهتمام العلماء وعلى رأسهم رجال الفلك، وأهمّ نتآئج هذه الكشوف العثور على البروتون السالب ـ أو البروتون المضار للپروتون الذي نعرفه ـ والكهرب الموجب ـ وهو الاكترون المضاد للالكترون الذي نعرفه ـ ومعنى ذلك أن في هذا الوجود نوعين مختلفين من المادة تبنى منهما النجوم والشموس والكواكب وسآئر الأجسام: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» الذاريات: ٤٩).

وإذا حدث ان التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات إفنآء ذريّة تختفي معها معالم المادة من الوجود، بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي استخدمت في الأصل في ربط (جسيمات) نفسيات وذرات تلك المواد: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحق أولم يكف بربّك أنه على كل شيء شهيد» فصّلت: ٥٣) ونحن نستطيع أن نرمز للنوع الأول من المادة ذات البروتونات الموجبة بالحرف (م) مثلاً وهي التي تكون الكتروناتها سالبة التكهرب كما نستطيع أن نرمز للنوع الثاني من المادة المضادة ذات البروتونات السالبة والالكترونات الموجبة بالحرف (س) وقد استفاد علماء الفلك من هذه الكشوف عن طريق تلك الامكانيات والتطبيقات الواسعة التي تكمن من ورآئها وتفسر كثيراً من ظواهر الكون الغامضة، مثل ظهور أرجآء في المجرات برمتها مظلمة وخاصّة في السدم الحلزونية، ومثل ظاهرة النجوم البراقة ونحوها.

وهناك بعض كَهارب نووية أو (جسيمات) ذات شحنات كهربية في نويات الذرات الثقيلة تسمّى الميسونات، وإذا تحول پروتون إلى نيوترون فانه يفقد شحنته الموجبة التي تنفصل بانفصال ميسون موجب، أما إذا تحوّل نيوترون إلى پروتون فالميسون يحمل في هذه الحالة شحنة سالبة، وعند ما يتصادم پروتون موجب مع آخر سالب، أو عند ما يتصادم كهرب سالب مع آخر موجب، يعدم أحدهما الآخر من عالم الوجود بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب معادلة اكتشفها (أينشتاين): تساوي ك في س ٢: ط = ك س ٢. أي الطاقة المنطلقة تساوي الكتلة المادية المختفية في مربع سرعة الضوء.

وهكذا نرى عند ما تدخل ذرة من المادة (م) إلى عالم المادة (س) أو العكس تفنى الكهارب أوّلاً ثم يعقب ذلك إفنآء البروتونات، ومعهما يكن من شيء، فنحن لانعرف ـ ولو على وجه التقريب ـ ما إذا كان عدد البروتونات الموجبة المودعة في الكون يساوي تماماً عدد البروتونات السالبة فيه أم لا؟ إلّا ان هذه الحالة يرى فريق من

العلمآء ضرورتها ووجوبها في عالم نشأ من العدم الذي هو نفس النتيجة المتوقعة لو اتيحت الفرصة لتلاقى المجرات وتصادمها مع بعضها.

«وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر» القمر: ٥٠) «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام» الرحمن: ٢٦ - ٢٧) وعلى أيّة حال فان إمكان زوال السموات والأرض مسئلة يقرّها العلم ولاينكرها، ويفسّرها تفسيراً طبيعياً على النحو الذي وصفناه برغم انّنا قد لانستطيع أن نقرّر أنّ البروتونات الموجبة، والپروتونات السالبة نشأت أوّل ما نشأت كأكداس من الأزواج انفصلت إلى أفراد بحيث لم يزد مجموع شحناتها جميعاً على الصفر. لو أنّها نشأت هكذا حسب أي إحتمال (كجسيمات) فردية منفصلة، وكذلك برغم انه لم يقل أحد بتوزيع البروتونات والالكترونات توزيعاً منتظماً في سآئر أرجآء هذا الكون، أما إحتمال التعادل الكهربي بين الشحنات السالبة والشحنات الموجبة في مكان معين بمضي الوقت فهو أمر تدعمه المشاهد».

قال الله عزوجل: «أن تزولا» ولم يقل: أن تنزلا أو تسقطا؟ حيث انه ليس للسموات والأرض والكواكب والنجوم التي تدور على محورها ومدارها بالنسبة إلى الاخرى علو ولاسفل حتى ينزل أو يسقط العالي إلى السافل كما يتوهمه العوام! فقال الله تعالى: إنا نمسك السموات والأرض أن تخرج الكواكب والسّيارات والثوابت عن مدارها، حيث أنّ لكل واحد من الكواكب بالنسبة إلى الاخرى بُعداً ثابتاً لاتخرج من مكانها المعيّن ومدارها المعلوم كما يقول أصحاب النجوم: إذا قدّر البُعد بين كوكب وكوكب ثمّ مضي ألف سنة فهما على مدارٍ كانا قبل ألف سنة من غير تجاوز قليلاً عن مدارهما وهذا مما أخبره القرآن الكريم قبل إكتشافه.

﴿التكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ثلاثة عشر أمراً:

الأول: ان السور التي افتتحت بـ«الحمد لله» خمس سور: ١ ـ سورة «الفاتحة» ٢ ـ سورة «الانعام» ٣ ـ سورة «الكهف» ٤ ـ سورة «سبأ» ٥ ـ سورة «فاطر» ولايخفى ان السورتين منها في النصف الأوّل، والسورتين الآخرين منها في النصف الثاني من القرآن الكريم، والواحدة منها لها حظّ من النصفين، وهي سورة الكهف: «وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» القصص:٧٠) فحقيق أن يتدبّر القارئ الخبير فيما بين السور الخمس من الترابط والنظم واللطآئف والنكات والدقائق... كيف افتتحت سورة «الفاتحة» بأن الحمد لله جل وعلا وحده لكونه وحده رباً لجميع العوالم ماديها ومعنويها؟ وفي سورة «الأنعام» بتفصيل العالم المادي إلى ظلام وضيآء ولطيف وكثيف؟ وفي سورة «الكهف» بالتصرف في العالم العقلي بالديانات وإنزال القرآن الكريم، لتجعل للقلوب السليمة وجهة شريفة كما ازدانت المادة بالأنوار في سورة «الأنعام»؟ وفي سورة «سبأ» بأن العالم المادي يتصرّف فيه من حيث النتائج الحاصلة فيه إدخالاً وإخراجاً في الأرض، وتبياناً للتنوّع والتفنّن في المادة بالأثمار والأزهار، والنعم التي لانهاية لمداها ولاحدّ لأقصاها، وتسخير الأولين لنفع الآخرين كنزاً في الأرض ودفناً في الثرى، وبنياناً في العصور القديمة، ثم ظهوراً في الأجيال المتأخرة، وهكذا التصرف في عالم السمآء المناسب له؟

ثم كيف بيّن بوضوح في سورة «فاطر» بأنه كما كان الإدخال في الأرض

والاخراج منها بعضه من فعل الانسان الأول للآخرين، سبق ذكره في سورة «سبأ» يكون صعود الملائكة إلى عام السمآء ونزولهم إلى عالم الأرض نفعاً للعباد وتسخيراً لمنفعتهم بالتدبير في نظام الكون ونواميس الوجود وتبليغ الوحي والالهام، وكما يختلف الكانزون من نوع الانسان والمؤلفون والمعلمون الأوّل في أفكارهم وآرائهم وعقولهم وآثارهم... تختلف الملائكة أيضاً في درجاتهم وقواتهم ووظائفهم... ولايعرف الناس ذلك إلّا بمقياس وهو الطآئر ذوالجناحين والثلاثة والأربعة وما فوقها...

فتبيّن لك من ذلك: أن الحمد في سورة «الفاتحة» على مجمل وفي سورة «الأنعام» لتفصيل الكثيف واللطيف وفي سورة «الكهف» لتزيين العقول وتنوير الأفكار بالعلوم كما زينت المادة بالعجائب البهجة، وفي سورة «سبأ» بأنواع الجمال الأرضى من نبات وثمر وبما خزن الأولون للآخرين من مال وكمال، وفي سورة «فاطر» بنهاية النهايات وزينة الأرض والسموات وهوعالم الملائكة الذي إليه تتجه الأنظار بل هو مرمي أهل الجنّة ليتخلصوا من المادة، ويصلوا إلى مقام الكمال، فكأنّ العالم المجمل في الفاتحة فصل بعدها في الأمور المادية والمعنوية، وانتهى بأرق الأرواح وهم الملائكة، وليس بعد ذلك من نهاية لنوع الانسان.

ولذلك قال الله عزوجل في سورة «سبأ»: «وله الحمد في الآخرة» ومن المعلوم أن الحمد لايكون إلّا على النعم ولا تعرف النعم إلّا بالعلم، وقد ذكر العالم المادّي والمعنوي في المحامد المختلفة كأنّ الانسان لايصل الى العالم الأعلى عند سدرة المنتهى، ولايشاهد عالم الملائكة والأرواح إلّا بعد المرور على درجات هذه العوالم دراسة وتفكيراً، حتى ينتهي إلى عالم الجمال والكمال...

فانظر إلى النظم والترتيب، ثم فكّر ملياً في الترابط والتناسب بين السور الخمس كيف جاء الحمد في فواتحها لمقدّمتين ونتيجة:

المقدمة الاولى: حمد على نعم ظاهرية في العالم المشاهد في سورتي «الفاتحة» و«الانعام».

المقدمة الثانية: حمد على نعم العلم والحكمة في سورة «الكهف» وعلى حسن الترتيب في انتقالها من الأوّلين إلى الآخرين، ومن العلماء للجهلاء، فانّ بعض مايلج في هذه الأرض الالهامات للعقلاء والوحي للأنبيآء وبهما يخرج أنواع الأعمال الصالحات والمنافع العامة التي بها زينة الحياة الدنيا.

وأما النتيجة: فهي العوالم المفطورون على الحكمة والعلم فانهم الذين بهم ينزل العلم والوحي والحكمة في الأرض، ويخرج للفوآئد العامة، وهم ينزلون بأمر الله تعالى من السمآء بالوحي والحكمة والعلوم، فيلهمونها للناس ويعرجون بأعمال الناس، فالولوج في الأرض والخروج منها نتآئج للنزول من السمآء والصعود إليها من حيث التأثير و مقدّمات من حيث الدرس والتفكير، فالعوالم السفلية وعالم الناسوت نتآئج العوالم العلوية وعالم اللاهوت من حيث النظام، ولكنّها لايتوصّل إليها إلّا بعد المرور على العوالم السفلية وعالم الناسوت طبقة طبقة، فندرس العالم المشاهد كما في سورتي «الفاتحة» و«الأنعام» ثم العالم المعقول بالتفكير ونترك آثاراً لمن بعدنا كما في سورتي «الكهف» و«سبأ» وحينئذ نستحق الرقي إلى عالم اللاهوت مع الملائكة.

الثاني: سورتان، كل واحدة منها مشتملة لخمس وأربعين آية: ١ ـ سورة «فاطر» ٢ ـ سورة «ق».

الثالث: قوله عزوجل:«والله الذي أرسل الرياح» بلفظ الماضي موافقة لأوّل السورة: «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً» «فاطر» و«جاعل» للماضي.

ولايخفى ان الله تعالى كثيراً ما يستدل على المعاد وإحيآء الموتى يوم القيامة، وحتميّة البعث والنشر باحيآئه الأرض بعد موتها تنبيهاً على العباد عما يرون يوماً فيوماً، وشهراً بعد شهر ليعتبروا بهذا على ذلك، فانّ الأرض إذا كانت ميتة هامدة لانبات فيها، فاذا أرسل إليها السحاب تحمل المآء وأنزله عليها، فتحي فكذلك الأجساد... إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها أنزل مطراً أو غير ذلك على اختلاف الروايات،

فتنشر الأجساد كما تنبت الحبّة في الأرض كما قال الله جل وعلا: «وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج» الحج: ٥) وفي هذه السورة: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً...» ٩).

وقوله تعالى: «فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» للنشر والنشور معان:

أحدها - الحياة بعد الموت للحساب والجزآء كالآية الكري يعني هكذا نحي الأموات بعد الموت يوم القيامة كما نحي الأرض بالماء بعد موتها.

ثانيها - البعث كقوله عزّوجل: «ولايملكون موتاً ولا حياة ولانشوراً» الفرقان: ٣) يعني ولابعثاً. مع مابين البعث والنشور من الفرق، فانّ بعث الخلق إسم لاخراجهم من قبورهم إلى الموقف ومنه قوله سبحانه: «مَن بعثنا من مرقدنا» يس: ٥٢) والنشور إسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق ومنه قولك: نشرت إسمك ونشرت فضيلة فلان.

ثالثها - التفريق والتفرّق كقوله عزّوجل: «وجعل النهار نشوراً» الفرقان: ٤٧) يعني تفرّقاً يتفرّقون فيه لابتغآء الرزق.

رابعها - البسط كقوله عزوجل: «ينشر لكم ربكم من رحمته» الكهف: ١٦) يعني يبسط.

الأمر الرابع: قال الله تعالى: «من كان يريد العزّة فلّله العزّة جميعاً» فاطر: ١٠) وقد قال: «ولله العزّةولرسوله وللمؤمنين» المنافقون: ٨) فما وجه التوفيق؟ والجواب: ان الظاهر ان العزّة لله عزّوجل لالغيره بالذات وفي الحقيقة، ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بواسطة قربه صلّى الله عليه وآله وسلّم من الله تعالى و للمؤمنين بواسطة قربهم من رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم. مع أنّ للعزّة معان:

أحدها - العظمة والسيادة والحشمة كالآية الكريمة وهود: ٩١) والشعرآء: ٤٤) والنمل: ٣٤) وص: ٨٢) والنسآء: ١٣٩).

ثانيها - المنعة كقوله تعالى: «وكان الله عزيزاً حكيماً» النسآء: ١٥٨ و المنافقون: ٨).

ثالثها - الحميّة بالمعصية كقوله عزّوجل: «أخذته العزّة بالاثم» البقرة: ٢٠٦) يعني الحمية بالمعصية. وص: ٢).

رابعها - الغلظة كقوله عزوجل: «أعزّة على الكافرين» المآئدة: ٥٤) يعني غلظآء عليهم.

خامسها - الشدة كقوله سبحانه: «عزيز عليه» التوبة: ١٢٨ يعني شديد عليه. وابراهيم: ٢٠).

سادسها - القوّة كقوله جل وعلا: «فعزّزنا بثالث» يس: ١٤) أي فقوّيناهما.

سابعها - الذي لاندّ ولا كفوٌ له كقوله تعالى: «المهيمن العزيز» الحشر: ٢٣) يعني الذي لاندّله.

الأمر الخامس: قال الله تعالى: «وترى الفلك فيه مواخر» فاطر: ١٢) بتقديم «فيه» على «مواخر» وقد قال: «وترى الفلك مواخر فيه» النحل: ٤١) بتأخير «فيه» عن «مواخر» لوجوه:

أحدها - قدّم «فيه» في سورة فاطر موافقة لقوله تعالى: «ومن كل تأكلون» فوافق تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل، ولم يزد الواو على «لتبتغوا» لانّ اللام في «لتبتغوا» هنا لام العلّة وليس بعطف على شيء قبله. وقد جاء في سورة النحل على القياس، فان الفلك مفعول أول لـ«ترى» و«مواخر» مفعول ثان و«فيه» ظرف وحقه التأخير والواو في «ولتبتغوا» للعطف على لام العلّة في «لتأكلوا منه» وقوله وعزّوجل: «وترى الفلك» في السورتين إعتراض يجري مجرى المثل ولهذا وحّد الخطاب فيها وهو «ترى» وقبله وبعده جمع وهو «لتأكلوا -وتستخرجوا- ولتبتغوا» النحل: ١٤) و«تأكلون -تستخرجون- لتبتغوا» فاطر: ١٢) ومثله في القرآن الكريم كثير... منها قوله عزّوجل: «إعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو-فتراه مصفرّا- سابقوا إلى مغفرة من ربكم» الحديد: ٢٠ - ٢١) أي لو حصرت أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة كما تقول: أيّها الرجل وكلكم ذلك الرجل فتأمّل فان فيه دقيقة.

ثانيها ـ ان آية النحل مصدّرة بكلمة التسخير التي سيقت لبيان كيفيّة التسخير، ولذلك كان الأنسب تأخير «فيه» ليتعلّق بـ«مواخر» ويشير إلى مخر البحر فيصرّح بالتسخير بخلاف ما ههنا ثم التسخير له غايات منها ابتغآء الفضل، فالأنسب عطف «لتبتغوا» على محذوف دلالة على عدم انحصار الغاية في ابتغآء الفضل بخلاف ما ههنا، فان الغرض بيان أنّه الرازق المدبّر ليرتدع المكذّبون، ويكفي في ذلك بيان ابتغآئهم الفضل غاية من غير حاجة إلى العطف.

ثالثها ـ ان آية النحل سيقت لتعداد النعم كما يؤذن بذلك سوابقها ولواحقها، وتعقيب الآيات بقوله جل وعلا: «وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها» النحل: ١٨) فكان الأهمّ هناك تقديم ماهو نعمة وهو مخر الفلك للمآء بخلاف ما هنا فانه سيق إستطراداً أو تتمّة للتمثيل، فقدّم فيه «فيه» ايذاناً بأنّه ليس المقصود بالذات ذلك، وكان الاهتمام بما هناك اقتضى أن يقال: «ولتبتغوا» بواو العطف، ومخالفة ما هنا لذلك اقتضت ترك الواو في قوله: «لتبتغوا».

الأمر السادس: ان الله عزوجل قال: «وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى» فاطر: ١٣) وقال في سورة لقمان: «وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى» : ٢٩) لوجوه قدّمناها في سورة «لقمان» فراجع لما فيها من فوآئد جمّة... ونضيف عليها ههنا:

إن الغاية كما حقق في مباحث العلة والمعلول لها اعتباران: إعتبار انّها ما ينتهي إليه الفعل، واعتبار انّها ما لأجله الفعل، فبالاعتبار الأوّل يقع التعدي بـ«إلى» وبالاعتبار الثاني يقع بـ«اللام» وذلك لأن القوى العمّالة في تلك الأجرام العالية قوى جسمانية متناهية الوجود والتأثير، فلابد من وقوفها واندراسها وانتهآئها إلى غاية عقلية يتصل بها وينقلب إليها.

وبيان ذلك بوجه آخر عقلي، ان محرّك الأفلاك ومجرى الكواكب فاعل حكيم وقادر عليم هو أرفع من الطبيعة، مختار في صنعه وقدرته، وكل فاعل كذلك لابدّ أن

يكون لفعله غرض عقليّ وفائدة حكمية تترتب عليه، والغرض إن لم يحصل وقتاً من الأوقات، ولم يكن مما ينتهي إليه الفعل فلم يكن غرضاً صحيحاً، ومحرك هذه الأجرام العالية يمتنع أن يكون تحريكه إياها عبثاً وجزافاً كما قال: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين» الدخان: ٣٨) فاذن لابد أن يكون خلق الأفلاك وتحريكها إلى غرض واجب البلوغ إليه، وإذا بلغ الفاعل بفعله غرضه، فسبيله لامحالة أن يمسك عن فعله، فمحرّك الأفلاك ومجرى الكواكب سبيله أن يمسك عن تحريكها وإدارتها، ويقطع الفعل والعمل، فاذا أمسك عن فعله وعمله وقفت الأفلاك عن الدوران والكواكب عن الجريان.

وقد علمت أن الحركة ذاتية لهذه الطبايع الكونية، فاذا سكنت بطلت، وبطل ترتيب الزمان ووقف الكون والفساد، وانقطع الحرث والنسل، وانتقل الأمر إلى النشأة الآخرة.

الأمر السابع: إنّ في تكرير حرف النفي: «لا» بين الظلمات والنور، بين الظل والحرور، وبين الأحيآء والأموات دون الأعمى والبصير دلالة على امكان اجتماع العمى والبصيرة، وعدم إجتماع ما سواهما، وأما الجمع فبأن يكون المرء أعمى بعينه وبصير في دينه وقلبه والعكس.

الأمر الثامن: قوله تعالى: «مختلفاً ألوانها ـ مختلفٌ ألوانها ـ مختلف ألوانه» فاطر: ٢٧ ـ ٢٨) لأنّ الأول يعود إلى «ثمرات» والثاني إلى «الجبال» أو إلى «حمر» والثالث إلى بعض الدال عليه وهو قوله عزوجل: «ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه» لأنه ذكر «من» ولم يفسّره كما فسّره في قوله: «ومن الجبال جدد بيض وحمر» فاختصّ الثالث بالذكر.

الأمر التاسع: قال الله عزّوجل: «إن الله بعباده لخبير بصير» فاطر: ٣١) بصراحة لفظ الجلالة: «الله» ولام التأكيد، وقال في سورة الشورى: «انه بعباده خبير بصير» : ٢٧) بالكناية من دون اللام؟ وذلك لأن الآية المتقدّمة في سورة فاطر لم يكن فيها ذكر

«الله» وهي قوله سبحانه: «ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور» ٣٠) فصرّح باسم الجلالة، وفي سورة الشورى متصل بقوله: «ولو بسط الله الرزق» ٢٧) فخصّ بالكناية. وأما اللام فدخلت في الخبر ههنا موافقة لقوله عزوجل: «ان ربنا لغفور شكور» فاطر: ٣٤) ولم تدخل اللام في الخبر هنا موافقة لقوله سبحانه: «ان الله غفور شكور» الشورى: ٢٣).

الأمر العاشر: قال الله تعالى: «جعلكم خلائف الأرض» الأنعام: ١٦٥) وقال في هذه السورة: «جعلكم خلائف في الأرض» فاطر: ٣٩) وذلك ان المخاطبين قد تكرر ذكرهم في سورة الأنعام كرّات، فعرفهم بالاضافة، وقدجآء في سورة فاطر وسورة يونس: ١٤) على الأصل وهو قوله عزوجل: «إني جاعل في الأرض خليفة» البقرة: ٣٠)

الأمر الحادي عشر: في تكرار الفعل: «ولايزيد الكافرين كفرهم» تنبيه إلى اقتضاء الكفر تارة المقت والغضب الشديد الالهي عليهم، واخرى الخسران لايجبره شيء أبداً على سبيل الاستقلال، مع زيادة توبيخ لهم.

الأمر الثاني عشر: قال الله تعالى: «فلن تجد لسنّت الله تبديلاً ولن تجد لسنّت الله تحويلاً» فاطر: ٤٣) وقال في سورة الفتح: «ولن تجد لسنّة الله تبديلاً» :٢٣) وفي سورة الاسراء: «ولا تجد لسنتنا تحويلاً :٧٧) التبديل: هو تغيير الشيء عما كان عليه مع بقآء مادة الأصل كقوله عزّوجل: «بدّلناهم جلوداً غير جلودها» النساء: ٥٦) و «تبدّل الأرض غير الأرض والسموات» ابراهيم: ٤٨) والتحويل: هو نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنّة الله تعالى لا تبدّل ولا تحوّل. **وقدخص سورةفاطربالجمع بين الوصفين** لما وصف الكفار بوصفين، وذكر لهم غرضين وهو قوله تعالى: «ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربّهم إلّا مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً»، وقوله عزّوجل: «إستكباراً في الأرض ومكر السيّئ» وقيل: هما بدلان من «نفوراً» فكما ثنّي الأول والثاني، ثني الثالث ليكون الكلام كله على غرار واحد. والمراد ذكر اثنين من

الصفات: نذير، نفوراً ـ إستكباراً ومكر السيّئ ـ تبديلاً تحويلاً.

وقال في سورة الفتح: «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» ٢٣) فاقتصر على مرّة واحدة لما لم يكن للتكرار موجب فيها. وقد خص سورة الاسرآء بقوله تعالى: «تحويلاً»: ٧٧) لأن قريشاً قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو كنت نبياً لذهبت إلى الشام، فانها أرض المبعث والمحشر، فهمّ النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالذهاب إليها، فهيّأ أسباب الرحيل والتحويل، فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآيات: «وإن كانوا ليستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها ـ إلى أن ختم الايات بقوله ـ تحويلاً» تطبيقاً للمعنى.

وقيل: يحتمل أن يريد بـ«سنتة الأولين» إستمرارهم على الانكار كأنّه قال: أنتم تريدون الاتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنّة لا تبديل العذاب المعلوم بنوع آخر ولاتحوّله عن مستحقيه إلى من لايستحقه.

الأمر الثالث عشر: نشير في المقام إلى صيغ عشر لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ التي جآئت في هذه السورة وفي غيرها من السورة القرآنية:

١ ـ جآئت كلمة (الفطر) على صيغها في القرآن المجيد نحو: ٢٠ مرّة

٢ ـ جآئت كلمة (المسك) على صيغها في القرآن المجيد نحو: ٢٧ مرّة

٣ ـ جآئت كلمة (العزّ) على صيغها في القرآن المجيد نحو: ١٢٠ مرّة

٤ ـ جآئت كلمة (البور) على صيغها في القرآن المجيد نحو: **خمس مرّات**

١ ـ ٢ ـ سورة فاطر: ١٠ و ٢٩) ٣ ـ سورة الفرقان: ١٨) ٤ ـ سورة الفتح: ١٢) ٥ ـ سورة إبراهيم: ٢٨).

٥ ـ جآئت كلمة (السوغ) على صيغها في القرآن المجيد نحو: ثلاث مرات

١ ـ سورة فاطر: ١٢) ٢ ـ سورة إبراهيم: ١٧) ٣ ـ سورة النحل: ٦٦).

٦ ـ جآئت كلمة (الملح) على صيغها في القرآن المجيد نحو: مرّتين

١ ـ سورة فاطر: ١٢) ٢ ـ سورة الفرقان: ٥٣).

٧ ـ جآئت كلمة (الأجّ) على صيغها في القرآن المجيد نحو: ثلاث مرات

١ ـ سورة الفرقان: ٥٣) ٢ ـ سورة فاطر: ١٢) ٣ ـ سورة الواقعة: ٧٠).

٨ ـ جآئت كلمة (قطمير) في القرآن الكريم مرّة واحدةوهي في سورة فاطر: ١٣).

٩ ـ جآئت كلمة (اللغوب) على صيغها في القرآن المجيد نحو: مرتين

١ ـ سورة فاطر: ٣٥) ٢ ـ سورة ق: ٣٨).

١٠ ـ جآئت كلمة (الزوال) على صيغها في القرآن المجيد نحو: أربع مرّات

١ و٢ـسورةفاطر: ٤١) ٣و٤ـسورةإبراهيم: ٤٤و٤٦).

﴿التناسب﴾

واعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث:

احدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السوره نفسها.

أما الاولى: فانها نزلت بعد سورة «الفرقان» فالتناسب بين السورتين هو التناسب بين الاجمال والتفصيل بأنّ سورة فاطر إجمال ـ مع ما فيها من بيان حقائق وأسرار الكون ونواميس الوجود ـ لما فصّل في سورة الفرقان، وذلك ان الله عزوجل لمّا صرّح في سورة الفرقان بشمول دعوة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم دعوة حقة عن رسالة من الله جل وعلا لجميع الناس في كل زمان ومكان لينذرهم ويبيّن لهم طريق الحق والهدى ويدعوهم إليه، وتذكيرهم بآيات الله تعالى التي تدل على وحدانيته وعلى علمه وقدرته، وجلاله وعظمته وتدبيره وحكمته، ونواميسه في كونه ومنافع الناس منها، وبيّن صوراً عديدة لمواقف الكفار من النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم المواقف العنادية والانكارية والاستهزائية، و أقوالهم وتعجيزاتهم ومكابرتهم، مع حملة تقريعية وانذارية عليهم، وردود مفحمة ببراهين واضحة وأدلّة ساطعة على ربوبيّته.

وتذكيرهم ببعض الامم السالفة ومصآئرهم، وتنويه بعباد الله الصالحين وأخلاقهم وحسن عاقبتهم... لفّت نظر الانسان في سورة فاطر إلى الكون ونواميسه للبرهنة على وحدانية الله تعالى في خلقه وتدبيره ودعوتهم إلى الحق و إستحقاقه وحده

للخشية والعبادة إلى ما ذكرناه في غرض السورة فراجع.

فمن تدبّر في موضوعات هذه السورة وما قبلها نزولاً يجد تشابهاً وتساوقاً، وفصولها مترابطة بما يمكن أن يكون هو وحده قرينة على صحة ترتيب نزولها بعدها، فتدبر جيّداً واغتنم جداً.

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبوجوه:

أحدها ـ لمّا كانت سورة (سبأ) تدور على قضية البعث والجزآء، جآئت سورة (فاطر) لتواجه الناس عامّة والكفار خاصة تدعوهم إلى الحق بالتفكر في نظام الكون ونواميس الوجود تدل على قدرة الله تعالى على الخلق والبعث.

ثانيها ـ ان السورة السابقة بدئت بالحمد لله والثنآء عليه وإضافة ما في السموات وما في الأرض إليه جلّ وعلا، حتّى ختمت بعرض الكافرين على جهنم، وما يلقاهم من ضنك وبلاء هناك، ومايتمنّونه من العودة إلى الحياة الدنيا وأن ذلك مالايكون أبداً، وأنهم لو ردّوا لما آمنوا لأنّهم يحملون طباعاً لا تتعامل إلّا مع الضلال والكفر، وقد بدئت هذه السورة بحمد الله تعالى أيضاً والثنآء عليه، وإضافة الوجود إليه إضافة ايجاد وخلق، بعد أن أضافته سورة السابقة إضافة ملك وتصريف، ثم كان هذا الحمد ردّاً على كفر الكافرين وشكّهم وماجرّهم إليه هذا الكفر والشك من بلاء ونكال، فهو حمد من المؤمنين إذ عافاهم الله عزوجل مما يلقى أهل النار من عذاب أليم.

ثالثها ـ ان سورة (فاطر) ختام لسورة (سبأ) التي فصّلت فيها النعم الأربع التي هي مجامع النعم لأنّ نعم الله عزوجل قسمان: الاولى: نعمة عاجلة وهي وجود وبقآء. الثانية: نعمة آجلة وهي ايجاد مرّة وابقاء اخرى.

رابعها ـ ان السورة السابقة بصدد بيان النعم الظاهرة التي هي أو بها حياة الانسان وجوداً وجسماً، وقد جآئت هذه السورة لبيان النعم المعنوية التي بها حياة الانسان روحاً.

خامسها ـ إن الله تعالى لمّا ذكر في آخر السورة السابقة هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب لزم المؤمنين حمده تعالى وشكره كما جآء في قوله عزوجل: «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين».

سادسها ـ قد اتصلت هذه السّورة بالسّورة السابقة إذ جآء في آخر سورة (سبأ): «وحيل بينهم وبين مايشتهون...» فهؤلاء شاكون في أمر البعث وقلوبهم محجوبة، ونفوسهم محبوسة وذلك لان النفوس الضعيفة التي تنزل إلى هذا العالم ولم تستعد بعد إلى فهم العلم اللطيف والملائكة والأرواح والبعث والحشر.. تكون كل آمالها موجهة إلى عالم المادة، فلا تبغي به بديلاً، فافتتحت هذه السورة بالبشارة للمطيعين بالملائكة الذين هم يبشّرونهم عند الموت ويوم القيامة، ويحبّونهم ويلهمونهم مدة الحياة بالخيرات لأجل استعدادهم واختيارهم سبيلها.

سابعها ـ إن الله تعالى لمّا بيّن في آخر سورة (سبأ) انقطاع رجآء الشاك، وعدم قبول توبته في الدار الآخرة، اشار في أوّل هذه السورة حال الموفق المؤمن وبشّر بارسال الملائكة إليهم مبشرين.

ثامنها ـ إنّ الله عزّوجل لمّا ختم سورة السابقة بالردّ على أهل الشرك والشك واللجاج والعناد، افتتح هذه السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته وعظمته وجلاله، ودلائل التوحيد. وغيرها من الوجوه جدير أن يتأمل فيها القارئ الخبير المتدبر.

وأما الثالثة: فلمّا ابتدأت السورة بالحمد لله تعالى وحده أخذت بتقرير ما استحق به الله جل وعلا للحمد والثنآء من تعداد بعض مظاهر عظمته وقدرته، وعلمه وحكمته، وبراهينها في خلق الملائكة، وإرسالهم رسلاً لعباده وجعلهم وسآئط لايصال النعم إلى خلقه، القدرة على الزيادة على ذلك إذا شآء: «الحمد لله فاطر السموات...» بعبارة اخرى: إن الله عزّوجل لمّا بيّن قدرته في خلق السموات والأرض ذكر الملائكة بتكوينهم الخلقي وطبيعتهم وصفتهم ووظيفتهم لأنهم صلة مابين السمآء والأرض، وهم يقومون بين فاطر السموات والأرض وأنبيآئه إلى الخلق بأعظم

وظيفة وأجلّها، انهم صلة بينهما من صور الخلق والانشآء والتغيير والتبديل بحيث لا تبقي ورائه صورة لايتناولها مدلول تلك الصور إذا استقرّت في قلب بشرى يتمّ بها تحوّل كامل في تصوراته ومشاعره وموازينه وقيمه في هذه الحياة كلها، وانها تقطعة عن شبهة كل قوة في السموات والأرض، وتيئسة من مظنّة كل رحمة فيهما، فتصدّ كل المظنّات والشبهات وتفتح باب الله جل وعلا، وتغلق كل طريق يتوهم، وتشرع طريق الله تعالى. ثم ذكر ما هو كالدليل لما سبق: «ان الله على كل شيء قدير» كل ذلك لاثبات التوحيد وابطال الشرك وكمال قدرته وسعة علمه، إن الله عزوجل لمّا وصف نفسه بالقدرة الكاملة والارادة النافذة أقام دليلاً على كمال نفوذ المشيئة ونفاذ الأمر بما يشاهده كل إنسان في نفسه من الضيق حيناً، وسعة حيناً آخر، مع كون الانسان عاجزاً عن دفع البؤس إن وجد، وعن جلب النفع لو أراد: «ما يفتح الله للناس...» ٢).

فلمّا بيّن تعالى أنّه وحده هو المنعم بما يشاهده كل أحد في نفسه، أمر الناس كلّهم بذكر نعمه جل وعلا عليهم إقراراً بوحدانيّته، إعترافاً بنعمه، حمداً له، وشكراً عليها: «يا أيها الناس اذكروا...» ثم أشار إلى نعمة الايجاد ونعمة الابقآء معاً: «هل من خالق غير الله يرزقكم...» ٣) وذلك انه لما كانت نعم الله تعالى مع تشعّب فنونها منحصرة في نعمتي الايجاد والابقآء نفي الله تعالى أن يكون في الوجود شئ غيره سبحانه يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال: «هل من خالق غير الله» هل خالق مغاير له سبحانه موجود! وهذا هو التوحيد المحض لامحض التوحيد أي هو التوحيد المطلق لامطلق التوحيد، فتأمّل فتعرف.

إنّ الله تعالى لـمّا ذكر الأصل الأول من اصول الدين وهو التوحيد المطلق، أخذ بذكر الأصل الثاني من الاصول وهو الرسالة تسلية لنبيّه المكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم على تكذيب قومه في رسالته بأنه ليس ببدع بين الرسل بقوله: «وإن يكذبوك فقد

كذّبت رسل من قبلك...» ٤) ثم ذكر الأصل الثالث من الاصول وهو البعث والنشور: «يا أيها الناس إن وعد الله حق...» ٥) ثم أشار إلى مايوجب أن ينكر الانسان تلك الاصول، وهو الانهماك في لذآئذ الدنيا والغرور بزخارفها... ثم ذكر سبب الغرور والانهماك وهو وسوسة الشيطان مع بيان النهي عن تحمّل وسوسة الشيطان مع بيان علّتها وهي العداوة: «إن الشيطان لكم عدو...» ٦) فعداوة الشيطان علّة لأن يوسوس الانسان، وان الوسوسة هي سبب لاغترار الناس بالحياة الدنيا والانهماك في شهواتها، وان الاغترار هو الموجب للشرك وتكذيب الرسالة وإنكار البعث، ثم ذكر غرض الوسوسة بقوله: «إنّما يدعو حزبه...».

ثم أشار إلى اختيار الانسان تجاه وسوسة الشيطان، فمن اتبعه بسوء اختياره فقد كفر فمآله جهنّم وعذابها، ومن خالفه بحسن اختياره فقد آمن وعمل صالحاً فمصيره الجنّة ونعيمها بقوله تعالى: «الذين كفروا...» ٧) ثم أشار إلى عدم استواء الاختيارين، وعدم استواء المآلين مع الإرشارة إلى أن الضلالة والهداية تابعتان لما يختاره الانسان لنفسه، بأن الهداية والضلالة بيد الله تعالى يرتّب على نفس تستعدّ لكل واحد منهما من صفآئها وتهيئها لقبول الهداية أو تدسيتها وإرتكابها الاجرام والمعاصي وقبولها الضلالة كمن اختار شرب السمّ فهلك أو الدوآء فشفى: «أفمن زيّن له سوء عمله...» فيه بُعد مابين الفريقين، واختلاف حال الفئتين وترتّب الضلالة والهداية على نفس تستعد لهما، ثم ذكر ماهو كالنتيجة لما سلف بقوله: «فلا تذهب نفسك...» ثم هدّد الكافرين على سوء إختيارهم وقبيح أعمالهم، ووعدهم بوعيد تهد منه الجبال، وتدك منه الأرض دكاً بقوله: «إن الله عليم بما يصنعون» من القبائح فيجازيهم عليه بما يستحقون.

انّ الله عزّوجل لما ذكر البعث لاريب فيه، ضرب له المثل الذي يدل على تحقّقه لامحالة: «والله الذي أرسل الرياح..» ٩) بأن قدرة الله تعالى وعظمته، وعلمه وحكمته ما ثلة في الريح وماتحرّكه من سحاب، وماينزل من هذا السحاب من مآء على

الأرض التي تكون ميتة، فاذاً هي بعد ذلك تعج بالحياة مما فيه دليل على قدرة الله على بعث الناس ونشرهم بعد الموت. لما ذكر الله تعالى أن مغاليق السموات والأرض ومفاتيحهما بيده وله ملك السموات والأرض فلا تكون يد غيره دخيلاً في ذلك أردفه بأنّ العزّة لله تعالى وحده، فمن أراد العزّة فليطلبها منه تعالى، ولاتحصل إلّا بالايمان والعمل الصالح: «من كان يريد العزّة...» ١٠) فلاينبغي لأحد أن يتعزّز بعبادة غيره من الأصنام والأوثان، وطاعة الأحجار والجسمات... كما قال: «واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً» مريم: ٨١) لـمّا بيّن تعالى ان العزة لله وهو مصدرها ولايعطيها إلّا بأسبابها ذكرها وهي الايمان والاخلاص والعمل الصالح التي يمكن أن يصل الانسان بها إليها ثم ذكر مكر المسيئين وخدّاعهم بالمؤمنين ليمنعوهم من نيل العزّة: «والذين يمكرون...» ولمّا بيّن تعالى ان العمل الصالح مع الاخلاص يصعد إلى الله ذكر أنّ المرآئين لا يتقبل منهم عمل، مع الاشارة إلى مآل مكرهم بالفساد والبطلان: «ومكر اولئك هو يبور».

إنّ الله عزوجل لمّا بيّن الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة الآفاقية في التوحيد وكمال قدرته وسعة علمه، أخذ بذكر الأدلة الأنفسية المتقنة الدالة على وحدانيته في الوهيته وعلى كمال قدرته وسعة علمه، وليس لما سواه شأن مما يرى في الأنفس من اختلاف أطوارها حين ترابيتها ومنويتها، وكونها في الأرحام وبشريتها، والزيادة والنقصان في عمرها: «والله خلقكم من تراب...» ١١). ووجه آخر: ان الله تعالى لمّا بيّن نشأة الحياة كلها بالمآء في قوله: «و الله الذي أرسل الرياح...» ٩) أردفها بذكر النشأة الاولى للانسان، ومايلابس تلك النشأة من حمل في البطون ومن عمر طويل وقصير، وانّ كله في علم الله تعالى المكنون بقوله: «والله خلقكم من تراب...» ١١).

١٢ ـ (وما يستوى البحران...)

يحتمل أن يكون ضرب مثل للمؤمن والكافر، ودليل آخر على عظم قدرة الله جل وعلا على المعاد، وذلك أن الله تعالى لما ذكر الأدلة الواضحة على إثبات البعث والنشور، وضرب لذلك مثلاً باحيآء الأرض الميتة بعد إنزال الغيث عليها، أردفه بذكر البراهين المختلفة على وحدانيته وعظيم قدرته بخلقه الأشيآء المتحدة في الجنس، المختلفة في المنافع...

ولما كان بين الفلك في البحر وبين الشمس والقمر في مدارهما مناسبة حيث ان كلا منهما سارح في تلك العوالم الشاسعة أردفه بذكر الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر بقوله: «يولج الليل في النهار...» ١٣) ثم أكّد ماسلف مبيناً حقارة شأنهم وعظيم ضعفهم بقوله عزوجل: «إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم...» ١٤) ان الله تعالى لمّا نفى المقتضي من الأصنام والأوثان وكل مايعبده المشركون للعبادة وهو مجيئ النفع والضَّرّ من قِبَلهم، ذكر المانع من عبادتهم وهو كفرهم وبرآئهم من عابديهم يوم القيامة: «ويوم القيامة يكفرون بشرككم» فيتبرّؤن منكم ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون، بل كنتم تعبدون أهواءكم وشهواتكم، ومازيّنته لكم شياطينكم كما قال: «واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً» مريم: ٨١ ـ ٨٢) ثم اكّد صدق ماحكاه عنهم من أحوالهم بقوله: «ولاينبئك مثل خبير».

١٥ ـ (يا أيّها الناس أنتم الفقرآء إلى الله...)

خطاب ثالث عام للناس كان أوّلها تذكيراً لهم بنعم الله تعالى عليهم، وثانيها تحذيراً عليهم من الاغترار بنعم الله عزوجل وثالثها تهديداً لهم بسلب النعم منهم إذا اغتروا بها. ان الله جل وعلا لما ذكر أنّ له ملك السموات والأرض، وأن مايدعو المشركون من معبوداتهم على شتّى صورهم واختلاف أشكالهم، وتنوّع هيئاتهم

لايملكون شيئاً لينفعوهم نفعاً أو يدفعوا عنهم ضرّاً أعقب ذلك بما هو فذلكة ونتيجة لما تقدّم بأن الانسان يفتقر في حياته الوجودي وإدامتها إلى حين إلى الله تعالى الذي هو الغنيّ المطلق المحمود بالذات، وان النفع والضرّ مفاتيحها بيده، بحيث انّه وحده قادر على سلب النعم كلها منهم وعلى اذهاب العصاة وإهلاك المجرمين، وايجاد المطيعين بسهولة ثم أرشد إلى غناه المطلق وكمال قدرته: «إن يشأ يذهبكم...» وفيه تهديد ووعيد وزجر وتأنيب ثم بيّن ان كل نفس بما كسبت رهينة: «ولا تزر وازرة وزر اخرى...» ١٨) ووجه آخر: ان الله تعالى لمّا بيّن برآءة الآلهة من عبدتهم يوم القيامة أخذ بذكر أحوال كل انسان يوم القيامة بقوله: «ولا تزر وازرة...» ففيه إخبار من الله تعالى عن عدله في حكمه وهو الأصل الآخر من اصول الدين مع البيان القاطع بأنّ الخشية من الله تعالى لمن كان له الايمان والعمل الصالح والتقوى وتزكية النفس: «إنما تنذر الذين...» مع مافيه من التسلية للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على عدم قبول المشركين دعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم وإصرارهم على عنادهم، وحثّ المؤمنين على الأعمال الصالحة التي فوائدها عائدة إليهم.

إن الله تعالى لما بيّن أن الانسان مختار في الهدى والضلال، وأنه مستعدّ لقبول الهدى والاعراض عن الضلال وبالعكس، ذكر الفرق بينهما، وعدم إجتماعهما في شخص واحد بقوله: «وما يستوي الأعمى والبصير...» كل ذلك لبيان الفرق بين الكافر والمؤمن، ولذلك قال: «ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور».

إنّ الله تعالى لمّا ذكر الأعمى والبصير مثلاً للمؤمن والكافر، ثم البصير ولو كان حديد النظر لايبصر إلّا في ضوء، ذكر ما فيه الكافر من ظلمة الكفر، ومافيه المؤمن من نور الايمان، ثم ذكر مآلهما وهو الظل بأن المؤمن بايمانه في ظلّ وراحة، وان الكافر بكفره في حرّ وتعب، ثم ذكر مثلاً آخر فى حق المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير، فان الأعمى قد يشارك البصير في إدراك ما، والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً، فهو كالميّت، ولذلك اعاد الفعل فقال: ومايستوي الاحياء ولا الأموات...»

٢٢) كأنّه تعالى جعل مقام سئوال وكرّر «لا» فيما ذكر لتأكيد المنافات...

وذلك ان الظلمات تنافي النور وتضادّه، وكذلك الظل والحرور، وليس الأعمى والبصير كذلك لأن الشخص الواحد قد يكون بصيراً ثم يعرض له العمى، فلامنافاة إلّا من حيث الوصف وأمّا المنافاة بين الظل والحرور دائمة، لأنّ المراد من الظل عدم الحرّ والبرد، فلمّا كانت المنافاة أتم، أكدّ بالتكرار، وأما الأحيآء والأموات من حيث ان الجسم الواحد يكون محلاً للحياة، فيصير محلاً للموت، فالمنافاة بينهما أتم من المنافاة التي كانت بين الأعمى والبصير لأنّ هذين قد يشتركان في إدراك ما، وليس الحي والميّت كذلك حيث ان الميت يخالف الحيّ في الحقيقة لا في الوصف على ما بيّن في الحكمة الالهية.

وقدّم الأشرف في المثلين وهو الظل والحرور، وأخّر في مثلين وهما البصير والنور، وليس ذلك لأجل السجع فقط لأن معجزة القرآن الكريم ليست في ناحية **اللفظ فقط**، بل فيه وفي المعنى بخلاف الشاعر قد يقدّم وقديؤخّر لأجل السجع فقط، وأمّا القرآن المجيد فمعناه في نهاية علوّه، ولفظه في غاية فصاحته، وذلك ان الناس كانوا قبل بعثة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ضلالة الكفر وظلمة الشرك، فكانوا كالأعمى وطريقتهم الظلمة، فلمّا جآء النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم و اهتدى به من اهتدى، فصاروا بصيرين، وطريقهم النور، فقدّم ماكان متقدّماً من المتصف بالكفر وطريقته على ما كان متأخراً من المتّصف بالايمان وطريقته.

لما ذكر المآل والمرجع قدّم مايتعلّق بالرحمة على مايتعلّق بالغضب كما جآء: «سبقت رحمتي غضبي» فقدّم الظل على الحرور ثم إنّ الكافر المصرّ بعد البعثة صار أضلّ من الأعمى، فشابهه بالأموات في عدم إدراك الحق فقال: «وما يستوي الأحيآء» الذين آمنوا بما انزل الله «ولا الأموات» الذين تليت عليهم الآيات البيّنات ولم ينتفعوا بها، وهؤلاء كانوا بعد ايمان من آمن فأخرهم لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين، وافرد الأعمى والبصير لأنّه قابل الجنس بالجنس إذ قديوجد في أفراد

العميان مايساوي به بعض أفراد البصرآء كالأعمى عنده من الذكآء مايساوي به البصير البليد، فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لابين الأفراد...

وقد جمعت «الظلمات» لأن طرق الكفرة متعدّدة، وأفرد النور لأن التوحيد والحق مقياس واحد: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣) ولأن التفاوت بين كل فرد من تلك الأفراد، وبين هذا الواحد، فقال: «الظلمات» لاتجد فيها ما يساوي هذا النور، وأما الأحياء والأموات فالتفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميّت يساوي في الادراك حياً، فذكر أن الأحيآء، لايساوون الأموات سوآء قابلت الجنس بالجنس أم قابلت الفرد بالفرد فتأمّل جيّداً واغتنم جداً.

وقيل: إنّ الله تعالى لـمّا بيّن طريق الهدى والضلالة، وذكر موردهما ومتعلقهما، وأوضح أن المستعد للهداية يستهدي، والمستعدّ للضلالة يستضلّ ضرب لهما مثلاً تنجلي به حاليهما بقوله: «ومايستوي الأعمى والبصير...» ثم ذكر أن القلوب الموتى والمستعدة للضلالة لا تستهدي وأنّ وظيفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هي البيان، وأنهم كانوا قادرين على ذلك ولكنّهم لم يفعلوا ثم بيّن أن الهداية والتوفيق بيد الله جل وعلا: «إن الله يسمع من يشآء» إذا استعدت النفس للاستماع ثم ضرب مثلاً لهؤلاء المشركين وجعلهم كالأموات لايسمعون بقوله: «وما أنت بمسمع من في القبور» ٢٢).

ثم بيّن وظيفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «إن أنت إلّا نذير» ٢٣) ثم بيّن أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليس نذيراً من تلقآء نفسه بل من الله عزوجل وارادته بقوله: «انا أرسلناك بالحق...» ٢٤) ثم بيّن السنّة الالهية المطلقة في الرسالة بقوله: «وإن من امة...» ثم سلّى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم على مايلاقيه من قومه من التكذيب والاصرار على العناد، وأبان له صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه ليس ببدع من بين الرسل بقوله: «وإن يكذّبوك ...» ٢٥) ثم أشار إلى مآل الكافرين بالدمار والنار: «ثمّ أخذت الذين كفروا...» ٢٦).

إنّ الله تعالى لما بيّن دلائل وحدانيته وعظمته، وسعة علمه وحكمته، وكمال

تدبيره وقدرته التي أعرض عنها المشركون عناداً وإستكباراً على طريق الإخبار، ذكر أدلة اخرى على ذلك على طريق الاستخبار لِلفت الأنظار إلى بعض مظاهر الكون ونواميس الوجود يرونها مختلفة الأشكال والألوان، ومتنوّعة الهيئات والأحوال... لأنّ الشيء إذا كان خفياً ولايراه من بحضرتك كان معذوراً أما إذا كان بارزاً مكشوفاً فانك تقول: أما تراه؟ والمخاطب إما كل أحد وإمّا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ السيّد إذا نصح بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره: إسمع ولا تكن مثل هذا ويكرّر معه ماذكره مع الأوّل لعلّ ذلك يعيد إليهم أحلامهم وينبّه عقولهم إلى الاعتبار بما يرون ويشاهدون: «ألم تر أن الله...» ٢٧).

إنّ الله عزّوجل لمّا أقام الأدلّة القاطعة في اثبات التّوحيد وكمال القدرة في صنعه ممّا يشاهد من الأجناس الأربعة: النبات والجماد والانسان والحيوان على أنواعها وأشكالها وألوانها وطبائعها وخواصّها وآثارها وعجآئبها... بيّن أنّه لايعرف ذلك حق المعرفة إلّا العلمآء الخاشعون لعظمته، والخاضعون لكبريائه، والعاملون بشريعته، العلمآء باسرار الكون، العالمون بدقائق صنعه تعالى، العلماء الذين يكونون خادمين للشريعة، ولا يستخدمون الشريعة لأنفسهم، العلمآء الذين ليريدون أنفسهم لله جل وعلا، ولا يريدون الله سبحانه لأنفسهم، العلماء الذين يرون فضيلتهم وكرامتهم بالدين والعلم، ولا يرون فضيلة الدين وكرامة العلم بأنفسهم، فهكذا العلمآء فقط هم الذين يفهمون ذلك حق الفهم، ويعلمون شديد بطشه جل وعلا وعظيم **قهره** بقوله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء...» ٢٨).

ثم ذكر سبب خشيتهم من الله عزوجل بقوله: «إنّ الله عزيز غفور» فهم بين الخوف والرجآء في كل حال، فالعزة توجب الخوف من أليم عقابه، والمغفرة توجب الطمع في نعيمه وثوابه، ثم ذكر علائم العالمين بكتاب الله جل وعلا، العاملين بما فرض فيه من الأحكام من إقامتهم الصلاة، وايتآء الزكاة وتجارتهم مع الله تعالى بأنفسهم بقوله: «إن الذين يتلون كتاب الله...» ٢٩) ان الله تعالى لمّا وصف العلماء بالخشية

وهي عمل القلب، ذكر أنهم يتلون كتاب الله عزوجل حق تلاوته ويبلّغون رسالات ربهم وهو عمل الفكر واللسان، ثم ذكر إقامتهم الصلاة وهو عمل الجوارح، ثم ذكر إنفاقهم وهو عمل المال، وهم يقصدون بذلك وجه الله عزوجل لاريآء وسمعة وبه يتم الايمان ويربح صاحبه: «تجارة لن تبور» ثم أشار إلى مالهم من جزآء أعمالهم... ونفي البوار عن تجارتهم: «ليوفيهم اجورهم...» ۳۰) ولعلّ هذا هو جزآء المقتصدين من وارثي الكتاب بأنهم العلماء الذين يخشون الله تعالى.

إن الله تعالى لما ذكر رسالة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بصراحة في قوله: «إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» ۲٤) بيّن ههنا دليل الرسالة وما يبشّر به المؤمنين وينذر به الكافرين وهو الوحي السماوي بقوله: «والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق...» ۳۱) بأنّ الله تعالى لم يرسل محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بلادليل على رسالته، ولم يختره للرسالة جزافاً، ولاعلى سبيل الا تفاق، ولكنه أعلم حيث يجعل رسالته، ثم ذكر بأن رسالته مستمرّة وكتابه خالد اذ يرثه الوارثون بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم حافظوه ومبيّنوه إلى يوم القيامة: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»: ۳۲) ثم أشار إلى أن الوارثين ليسوا كلهم على شرع سوآء بل هم على ثلاث طوآئف: طائفة ظالمون لأنفسهم حيث لم يعملوا بوظيفة الوراثة، ولم يؤدّوا حق ماورثوه. وطائفة مقتصدون وهم يتلون كتاب الله تعالى ويعملون به ويؤدّون حق الوراثة ولهم الجزاء الذي سبق ذكره: «ان الذين يتلون كتاب الله ـ انه غفور شكور»: ۲۹ ـ ۳۰) الذين كان سعيهم للجزآء وهو نوع تجارة اشير إليها، فالله تعالى يغفر لهم لما جعلوا سعيهم في الدين لنيلهم بالجنّة ونعيمها ويشكر سعيهم هذا! وطائفة سابقون وهم عالمون بحقيقة الكتاب وهم راسخون في العلم وعندهم علم الكتاب وهم الأئمّة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين لا يريدون في سعيهم جزآء ولا شكوراً بقوله: ومنهم سابق بالخيرات...» وهذا أصل رابع من اصول الدّين ۳۲).

ثم أشار تعالى إلى جزآء السابقين بالخيرات بقوله: «جنات عدن يدخلونها ـ

ولايمسّنا فيها لغوب» ٣٣ - ٣٥) وهم الذين لايريدون بسعيهم في الدين و وراثتهم كتاب الله عزّوجل و بيان حقائقه ومعارفه وأسراره وحكمه للناس جزآء ولاشكوراً ولاتجارة، وهم الذين قال الله عزوجل فيهم: «إنّما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزآء ولاشكوراً - ان هذا كان لكم جزآء وكان سعيكم مشكوراً» الانسان: ٩ - ٢٢).

ثم ذكر جزآء الظالمين الذين نبذوا كتاب الله ورآء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون بقوله: «والذين كفروا لهم نار جهنّم - فذوقوا فما للظالمين من نصير» ٣٦ - ٣٧) لأنّهم لم ينصروا دين الله تعالى وما أدّوا حق الوراثة، بل جعلوا الدين الاسلامي وسيلة لنيلهم بمتاع الدنيا وشهواتها، ومقامها و إشتهارها وجاهها، وبيّن أن هذا هو العدل الالهي في الحكم: «كذلك نجزي كل كفور» ثم بيّن أحوالهم في النار: «هم يصطرخون...».

ثم ذكر أنه تعالى محيط بالأشيآء كلها علماً فلو كان للظالمين نصير في وقت مالعلمه: «إنّ الله عالم الغيب السّموات والأرض» ثمّ علّل ذلك بقوله: «إنّه عليم بذات الصدور»: ٣٨) فالله عزوجل يعلم بما تخلّف هؤلاء الوارثون عن حق وراثتهم، وعن خيانتهم أمانة الله تعالى، ثم ذكر وجهاً آخر لعذاب هؤلاء الوارثين الظالمين بأن الله جل وعلا جعلهم خلفآئه في أرضه كما كانوا ورثة أنبيائه، أفلا يعذّب خليفة إذا خالف مولاه وكفر بنعمة من نصبه بين الناس: «هو الذي جعلكم خلائف في الأرض...» ٣٩) مع الاشارة إلى ما يقتضيه العدل الالهي في الحكم بأن يدخل المؤمن في الجنّة والظالم في النار: «فمن كفر فعليه كفره...».

إنّ الله تعالى لما أقام الأدلة الواضحة للتوحيد و إبطال الشرك سابقاً: «ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دون الله...» ١٣ - ١٧) ثم بيّن أمر رسالة نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم و وراثة الكتاب ، أعاد الكلام إلى التوحيد والشرك فأمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يتحدّى على المشركين الذين لاطريق لهم إلّا الاعتراف بوحدانيّته تعالى و بطلان الشرك بقوله: «قل أرأيتم شركائكم...» ٤٠) بسلب القدرة عنهم

تماماً، وإنحصارها لله جل وعلا، فما سواه مخلوق له تعالى وهو وحده خالق الكون، وما فيه، ولما نفى الله عزوجل أنواع الحجج في الشرك وأبطله عقلا ونقلاً بأنّ الشرك ليس له دليل عقلي ولانقليّ أضرب عن ذلك بذكر ما حمل المشركين على الشرك، وهو تغرير الأسلاف للأخلاف، وإضلال الرؤسآء للأتباع، والثراة للمستضعفين بأنّهم شفعآء عند الله سبحانه إذا عبدوهم واتبعوهم، فيشفعون لهم بالتقريب منه سبحانه: «بل إن يعد الظالمون...» ومن المحتمل أن تكون آية ٤٠) تتمة لما سبق من أحوال هؤلاء الظالمين من وارثي الكتاب الذين كانوا يضلّون الناس ويصدّونهم عن سبيل الله تعالى، فالخطاب لأتباعهم ليعرضوا عن متبوعيهم المضلّين.

وقيل: إنّ الله تعالى لمّا بيّن صورتي الأمن والراحة، قابلها صورتي القلق والاضطراب، ولما بيّن صورتي نعمة الشكر والدعآء قابلها صورتي ضجّة الاصطراخ والندآء، ولمّا بيّن صورتي مظهر العناية والتكريم قابلها بصورتي مظهر الاهمال والتأنيب، ولمّا بيّن صورتي الجرس اللين والايقاع الرتيب قابلها بصورتي الجرس الغليظ والايقاع العنيف ليتمّ التقابل والتناسق في الجزئيّات والكليات على السوآء: «ما ذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات...» فأي أثر في جولة الأرض والسمآء لتلك الشركآء؟!

إن الله تعالى لما نفى الشركة من الآلهة التي يعبدها المشركون في خلق السموات والأرض وأبان حقارة الآلهة أردفه بسلب الشركة عنها في تدبيرهما، وأرشد إلى عظمة الله جل وعلا وتدبيره: «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا...» ٤١) فليس لتلك الأصنام والأوثان والهياكل والمجسّمات شركة في خلق السموات والأرض ولا في تدبيرهما ولا في حفظهما من الزوال والفساد.

إن الله عزوجل لمّا بيّن شرك المشركين وتكذيبهم للتوحيد، وبكّتهم على هذا أشدّ التبكيت، وضرب لهم الأمثال ليبيّن لهم سخف عقولهم وقبح معتقداتهم، أخذ بذكر إنكارهم للرسالة بعد أن كانوا مترقبين لها، ناعين على أهل الكتاب، تكذيب بعضهم

بعضاً إذ «قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء» بقوله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم...» ٤٢) ثم أشار إلى سبب الانكار وهو الاستكبار والمكر، ثم هدّدهم بان عاقبة مكرهم تعود عليهم بالوبال والهلاك الذي لامحيص عنه، وتلك سنة الله تعالى في الأولين من قبلهم، وماهم بخارجين منها، وإنماهم مكروا وترجع عاقبة مكرهم إليهم لامحالة، فيحلّ بهم مثل ما أحلّ بمن قبلهم من العذاب: «إستكباراً في الأرض ومكر السيّئ...» ٤٣).

ثم حثّهم ونبّههم إلى مشاهدتهم تلك السنّة التي مضت على المكذبين من قبلهم من الآثار في رحلاتهم للتجارة في الشام والعراق واليمن إذ خلت منهم منازلهم، وسُلِبوا ماكانوا فيه من النعيم بعد كمال القوّة وكثرة العَدَد والعُدَد، وكثرة المال والولد، وما أغنى ذلك عنهم شيئاً، ولادفع عنهم من عذابه لما جآء أمره لأنّه لايعجزه شيء إذا أراده بقوله تعالى: «أولم يسيروا في الأرض...» ٤٤) ثم بيّن محاليّة المانع لله سبحانه من إجرآء تلك السنة المقررة معلّلاً بقوله تعالى: «انه كان عليماً قديراً».

ثم ذكر حلمه تعالى بعباده من هذه الامة المسلمة، فأخّر إجرآء السنّة عليهم لا إلغآئها، مع بيان حكمة التأخير إلى وقت معلوم بقوله: «ولو يؤاخذ النّاس بما كسبوا...» ٤٥).

اللّهم اجعل عواقب امورنا خيراً بحق حبيبك محمّد خاتم أنبياءك وأهل بيته المعصومين صلواتك عليهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قال ابن حزم: قوله تعالى: «إن أنت إلّا نذير» ٢٣) منسوخ بآية السيف: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» التوبة: ٥).

ولايخفى على القارئ الخبير! انّ الآية الكريمة بصدد تسلية النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة، وفي مقام تحديد لمسئوليته صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة اخرى، ويؤيّد ذلك قوله عزوجل قبل ذلك: «وما أنت بمسمع من في القبور» ٢٢) وبعدها: «وإن يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم» ٢٥) وكلتا الجهتين لانسخ فيهما قطعاً.

فلا ناسخ ولا منسوخ ولامتشابه في هذه السورة، فآيها محكمات والله عزوجل هو أعلم.

﴿تحقيق في الأقوال﴾

١ - (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً اولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشآء إن الله على كلّ شيء قدير)

في **«السموات والأرض»** قولان: أحدهما - إن المراد بالسموات والأرض مجموع العالم المشهود فيشملهما ومافيهما من المخلوق كله، فيكون من قبيل إطلاق معظم الأجزآء وإرادة الكل مجازاً. ثانيهما - إن المراد نفس السموات والأرض إعتنآءً بشأنهما لكبر خلقتهما، وعجيب أمرهما كما قال الله عزّوجل: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» غافر: ٥٧) والمعنى -على الأول- ان الله تعالى شقّ العدم المحض فأخرج من بطنه العالم الشهود ومنه السموات والأرض. و-على الثاني- ان الله جل وعلا موجد السموات والأرض ايجاداً إبتدائياً من غير مثال سابق وأحكم تدبيرهما على أتم نظام.

أقول: وما يناسب السياق من المعنى هو إخراج الحادث من الوجود إلى الظهور، فشق السموات لخروج الملائكة منها، والأرض لنزول الملائكة عليها، وهكذا صعود الكلم الطيّب والعمل الصالح من الأرض إلى السمآء لاشق العدم باخراجهما منه فتأمل جيداً.

وفي **«الملائكة»** أقوال: ١ - قيل: هم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ملك الموت ٢ - قيل: هم ملائكة الوحي السماوي إلى الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. ٣ - قيل: هم الملائكة المقرّبون. ٤ - قيل: هم حفظة الأعمال...

أقول: والتعميم هو الأنسب لظاهر السياق لما فيه من الاشارة إلى مراتبهم ودرجاتهم

حسب وظائفهم...

وفي «جاعل الملائكة رسلاً» أقوال: ١ ـ عن يحيي بن سلام قال: أي جعلهم الله تعالى رسلاً إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام بالرسالات والوحي السماوي، فهم وسآئط بين الله عزوجل وأنبيائه، يبلّغون عنه رسالاته إليهم بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة... ٢ ـ عن السدي: أي جعلهم رسلاً إلى العباد برحمة أو نقمة. ٣ ـ قيل: أي جعل الله تعالى الملائكة رسلاً إلى النّاس تحمل إليهم رسالات السمآء بالهدى والنور وتستغفر للمؤمنين بالله عزوجل وتصلّي على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ٤ ـ قيل: أي جعلهم رسلاً لوحي الأنبياء وإلهام العلمآء وإنذار الألبآء وتذكير الصلحآء وتبشير الأتقيآء... ٥ ـ أي جعل الله تعالى الملائكة رسلاً بعضهم إلى بعض وبعضهم إلى البشر. ٦ ـ قيل: أي جعلهم الله تعالى وسآئط بينه وبين خلقه في حمل أنواع الرحمة الواسعة المفتوحة والنعم الموهوبة من عند الله عزوجل وايصالها إلى خلقه، ووكّلهم بامور العالم التكوينية والتشريعية، فهم عباد مكرمون لايعصون الله تعالى فيما أمرهم، ويفعلون مايؤمرون باجرآء أوامره في عالم الشهود ونظام الكون، ويراقبون نواميس الوجود، ويكتبون أعمال العباد ويحفظونها كما قال تعالى: «إن كل نفس لمّا عليها حافظ» الطارق: ٤).

أقول: والتعميم هو المؤيّد بظاهر السياق...

وفي «اولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع» أقوال: ١ ـ قيل: أي هم أصحاب أجنحة إثنين إثنين أي لكل واحد منهم جناحان، وثلاثة ثلاثة أي لكل واحد منهم ثلاث أجنحة، وأربعة أربعة أي لكل واحد منهم أربعة أجنحة. قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة ولبعضهم أربعة ينزلون بها من السمآء إلى الأرض، ويعرجون من الأرض إلى السمآء وهي مسيرة كذا في وقت واحد، فجعلهم أولي أجنحة ليتمكّنوا بها من العروج إلى السمآء ومن النزول إلى الأرض ٢ ـ قيل: إن أولي أجنحة معترض و«مثنى» حال والعامل فعل محذوف يدل عليه «رسلاً» أي

يرسلون مثنى وثلاث ورباع، فـ«مثنى...» وصف لذات الملائكة بأنّ الله تعالى يرسلهم إثنين إثنين، وثلا ثاً ثلا ثاً وأربع أربع، فليس صفات لأجنحتهم إذ لايكون لهم جناح.

٣ ـ قيل: إنّ الأجنحة في العالم المادّي تساعد على الطيران، وكثرتها تؤمئ إلى السرعة، وهي في عالم الأرواح ترشد إلى القدرة على السرعة في تنفيذ أوامره تعالى، وتبليغ رسالات ربهم إلى أنبيآئه، وذلك ان الأجنحة جمع جناح وهو من الطائر بمنزلة اليد من الانسان يتوصّل به إلى الصعود إلى الفضآء والنزول منه، والانتقال من أيّ مكان إلى أيّ مكان آخر بالطيران، و انّ وجود الملك المجهّز بما يفعل به نظير مايفعله الطآئر بجناحه، فينتقل به من السمآء إلى الأرض بأمر الله تعالى، ويعرج به منها إليها، من أيّ موضع إلى أيّ موضع آخر، وقد سمّاه القرآن الكريم جناحاً ولايستوجب ذلك إلّا ترتّب الغاية المطلوبة من الجناح عليه، وأمّا كونه من سنخ جناح غالب الطير ذاريش وزغب، فلايستوجبه مجرّد اطلاق اللفظ كما لم يستوجبه في نظآئره كألفاظ العرش والكرسي واللوح والقلم والحجب والسرادقات وما إليها...

٤ ـ قيل: يظهر من هذا الكلام أن للملائكة أجساماً، وليسوا هم مجرد أرواح، لأنّ لهم أجنحة، و الفرق أن للطير جناحين، ولبعض الملائكة أكثر من ذلك، ونحن على يقين من هذا لأننا عبيد لظاهر النّص إلّا أن يتعارض مع العقل والواقع، فنلجأ إلى تأويل الظاهر مما يتفق معهما على أساس المحافظة على قوانين اللغة. ٥ ـ قيل: إن كل جناح من الملائكة يشير إلى جهة خاصّة، فمن له جناحان إشارة إلى جهتين: جهة الأخذ من الله تعالى، وجهة الاعطآء لمن دونهم باذن الله كقوله عزوجل: «نزل به الروح الأمين على قلبك» الشعرآء: ١٩٣ ـ ١٩٤) و«علّمه شديد القوى» النجم: ٥) و «فالمدبّرت أمراً» النازعات: ٥) ومنهم من يفعل بواسطة، فلهم ثلاث جهات أو أكثر على حسب الوسائط...

أقول: إنّ للملائكة عالمان: عالَم الأرواح، وعالَم الأجسام، وجناحهم في

العالَمَيْن ماينـاسبه كما أنّ للمآء حالـتين: قبل تركيب جزئي اكسيجين مع ايدروجين وبعد تركيبهما، وهـذا لاينافي ماورد: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رآى جبرئيل عليه السلام ليلـة المعراج وله ستمأة جـناح أو سـتمأة ألف جنـاح، وقد كان ينزل على رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسلّم بـالوحي من الله تعـالى وهوعلى صورة دحية الـكلبي وغيرها من الـروايات الواردة في المقام، وسيأتي البحث حـول الملائكة مفصلاً في هذه السورة إن شاء الله تعالى.

وفي قوله تعالى: «يزيد في الخـلق مايشآء» أقوال: ١ ـ قيل: أي يزيـد الله عزوجل في خلق الملائكـة زيادة عما خلق لسائـر الخلق من البشـر والامم إذ لكل شيء مـلائكة: «له معقبات من بين يـديه ومن خلفه يحفظـونه من أمر الله» الرعد: ١١) فعـدد الملائكة أكثر وأكثر بمـراتب من سآئر الخلائق كـلّها... ٢ ـ قيل: أي يزيد مـن أجنحة الملائكة زيادة عما خلق لسآئر الخلائق... بـأنّ عدد جناح الملائكة أكثرمن كل ما خلق. ٣ ـ عن الحسن وقـتادة والزجاج والـفرّآء: أي يزيـد في أجنحة المـلائكة مايشآء لماورد: أن رسـول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّم قد رآى جبرئـيل عـليه السلام ليلـة المـعراج وله ستمأة جنـاح وفي بـعض الروايات: ستـمأة ألف جـناح. وقال بـعض المـفسرين: إنّ تـلك الأجنحـة من نـور تتشكل من هـذه الأنوار اللطيفـة كما تتشكل صور الأشيآء من عالم المادّة، وفيه ردّ على من زعـم أنّ ذوات الأجـنحة لا تكون إلّا بجناحين، وأنّ الـثلا ثة لايقـوم بها نظـام.الطآئر كما أن الأربعـة هي بمـنزلة الجناحين، وهـذا في تقـدير الخلق، ولكنّ الخلاّق العظيم المبدع يخلق مايشآء، ويزيد في الخلق مايشآء حسب حكمته، فاذا جعل لطائـر ثلا ثة أجـنحة أو أربعة أو ما شآء الله من أجـنحة كان ذلك بتقـدير وعلم وحكمـة كما جعـل لذوات الأرجل رجلين وأربـعة أرجل وأكثر حتى ألف رجل لبعض الحشرات... وإن للملائكة أجنحة حسب إختلاف درجاتهم...

وقال الزمخشري: الذين أجنحتهم ثلا ثة ثلا ثة لعلّ الثالث منها في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوّة أو لـعلّه لغير الطيران، فـلقد رأيت في بعض الكتب: انّ صنفاً من

الملائكة لهم ستة أجنحة، فجناحان يلفون بها أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من امور الله عزوجل، وجناحان مرخيان على وجوههم حيآءً من الله عزوجل.

وقيل: يمكن ان يخالف حال الملائكة حال الطيران كالحيوان الذي يدبّ بأرجل كثيرة أو يكون بعض الأجنحة للزينة، أو يكون جناح ذا شعب.

٤ ـ عن الزهري وابن جُرَيج: أي يزيد في صوت الحسن ٥ ـ قيل: أي يزيد في حسن الصورة ٦ ـ عن قتادة أيضاً: أي يزيد الملاحة في العينين والحسن في الأنف، والحلاوة في الفم. ٧ ـ قيل: أي يزيد في الخط الحسن لما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الخط الحسن يزيد الكلام وضوحاً» ٨ ـ قيل: أي يزيد في الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن. ٩ ـ عن النقاش: أي يزيد في الشعر الجَعد. ١٠ ـ قيل: أي يزيد في العقل والتميز ١١ ـ قيل: أي يزيد في العلوم والصنائع. ١٢ ـ قيل: إنّ الآية الكريمة مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة، وتمام في الأعضآء، وقوّة في البطش وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأتّ في مزاولة الأمور وما إليها من الامور التي لا تُحصىٰ من الاخلاق الفاضلة والكمالات النفسانية...

١٣ ـ قيل: أي يزيد في خلق الملائكة وغيرها من الخلائق كلها على مقتضى حكمته. ١٤ ـ قيل: أي يزيد في القضآء والقدر فانّهما خلقان من خلق الله تعالى ١٥ ـ قيل: معنى الزيادة عام يعمّ المال والجاه والقوي الظاهرة والباطنة، فكأنه قيل: لما فآئدة زيادة الجناح للملائكة حيث كل طائر يطير بجناحين، ولايحتاج إلى اكثر منهما؟ اجيب عنه بذلك على نحو العام. ١٦ ـ قيل: أي يزيد في حُسن الخُلْق والخَلق تمامها، فلاوجه لقصر ذلك على نوع خاص، بل يتناول كل زيادة في عالم الشهود من الامور التكوينية والتشريعية والحسيّة والمعنوية، فيزيد إذا اقتضت الحكمة على كل ماهو أهل للزيادة مادية أو معنوية كعقول الانسان كما قال الشاعر:

والنـــــاس ألـــف منهـــم كـــواحـــد ووواحـــد كـــالألـــف ان امـــر عـــنـــا

أقول: إن التعميم هو المستفاد من نفس الجملة: «يزيد في الخلق مايشآء» وان الجملة التالية التعليلية: «إن الله على كل شيء قدير» تؤيّد ذلك بلاخفآء.

٢ - (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)

في **«من رحمة»** أقوال: عن ابن عباس: أي من توبة. ٢ - عن الضحاك : أي من دعآء ٣ - قيل: أي من توفيق وهداية. ٤ - عن قتادة: أي من خير. -قيل: أي من رزق ومطر وعافية. ٦ - عن الحسن: أي من رسالة ونبوة لأن الرسل بُعِثُوا رحمة للناس، فلايقدر على إرسالهم غير الله عزوجل. فالمعنى: ما يرسل الله تعالى من رسول لهداية الناس فى وقت دون وقت فلامانع له لأن إرسال الرسول رحمة من الله عزوجل على عباده كما قال: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الأنبيآء: ١٠٧) ومايمسكه في زمن الفترة أو عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له. فلولا ناموس الشريعة فى الناس لانجرّ الأمر في الخلق إلى النفاق والدمار والهلاك ، فبيان الناموس للخلق من أعظم رحمة إلهية للناس، وان الدين هو غذآء الروح وبه يتكامل العقل، كما ينمو الجسم بالغذآء، وان الدين أعظم نعمة من نعمة ظاهرية حيث ان بقآء الروح وتكامل العقل يوجب بقآء الجسم، وإلّا فكان الجسم في خطر عظيم، ولولا الشريعة لآلت امور الناس إلى التباه، وهذا هو الموافق لغرض هذه السورة التي بصدد بيان النعم المعنوية إثر بيان النعم الظاهرية التي سبق ذكرها في سورة «سبأ».

٧ - قيل: اريد بالرحمة ههنا النعم الدنيوية من أموال وأولاد وأمن وصحة وجاه ورئاسة و ما إليها من متاع الدنيا ولذاتها وشهواتها... ٨ - قيل: أي من رزق، وقد عبّر عن الرزق الذي هو النعمة بالرحمة للدلالة على أنّ إفاضته تعالى لهذه النعمة ناشئة من مجرّد الرحمة من غير توقّع لنفع يعود إليه أو كمال يستكمل به. ٩ - قيل: أي من رزق

ولكنه من السمآء هو الدين و إرسال الرسل، ومن الأرض النعمة الظاهرية. ١٠ـ قيل: أي من رزق، ولكنّ المراد من رزق السمآء إرسال الملائكة رسلاً، والمراد من رزق الأرض إرسال الرسل من البشر إذ قال بعد ذلك: «وإن يكذبوك فقد كذّبت رسل من قبلك» ٤).

١١ ـ قيل: أي من أيّة نعمة؟ حسّيّة كانت أو روحانية خفيّة؟ مادية كانت أو معنوية؟ دنيوية كانت أو اخروية؟ من رزق ومطر وصحة وعافية وأمن وراحة وولد ومال وجاه وسرور وإحترام وحرمة، وعَدَد وعُدَد وعزّة وعقل وتميز وعلم وحكمة ونبوة وولاية وما إليها من أصناف نعمآئه جل وعلا التي لاتحصوها... من غير نظر إلى صفات الناس من ايمان وكفر، من طاعة ومعصية، من إخلاص ونفاق، ومن حق وباطل...

أقول: إن لفظ «رحمة» شامل لجميع ذلك، فانها نكرة للاشاعة والابهام، فهي متناولة لكل رحمة على البدل، فتعم الجميع وغيره مما لايُحصى ويدل على العموم قوله تعالى:

٣ ـ (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السمآء والأرض لا إله إلّا هو فأنى تؤفكون)

في «الناس» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس: خطاب لمشركي مكّة من قريش إذ أسكنهم حرمه، و منع الغارات عنهم، ويتخطف الناس من حولهم. والمعنى: يا أيها المشركون من أهل مكّة! اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم بفتحه لكم من خيراته مافتح، وبسطه لكم من العيش مابسط. ٢ ـ قيل: خطاب للمشركين عامة من أهل مكة وغيرهم في كل زمان ومكان. ٣ ـ قيل: خطاب للناس جميعاً تقريراً لهم أدلة التوحيد ليقرّوا به ويثبتوا عليه.

أقول: ومايظهر من السياق هو تعميم المنعم عليهم.

وفي «نعمة الله» أقوال: ١ ـ قيل: النعمة هي العافية. ٢ ـ قيل: هي المطر من

السمآء والبنات من الأرض. ٣ ـ قيل: عامة لجميع ما أنعم الله عزّوجل على عباده من النعم الظاهرة والباطنة.

أقول: الظاهر هو تعميم النعمة: نعمة الايجاد يدل عليها قوله تعالى: «هل من خالق غيرالله» ونعمة الابقآء يدل عليها عزوجل: «يرزقكم من السمآء والأرض».

وفي «فأنى تؤفكون» أقوال: ١ ـ قيل: أي كيف تصرفون عن طريق الحق والتوحيد إلى الباطل والشرك ، عن سبيل الهدى والصلاح إلى الضلال والفساد، وعن طريق الخير والايمان إلى الشرّ والكفر... ٢ ـ قيل: أي فأنى تولّون وجوهكم إلى غير الله وتلتمسون الرزق من غير الله. ٣ ـ قيل: أي أنى يعدل بكم عن هذه الأدلة التي أقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها؟ ومن أين يقع لكم الشرك بالله سبحانه والتكذيب برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ ٤ ـ قيل: أي كيف تصرفون عن توحيد الخالق مع اعترافكم بأنّه وحده هو الرازق؟ وكيف تشركون المنحوت بمن له الملك والملكوت؟ وأين تذهبون؟

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

٥ ـ (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور)

في «وعد الله» أقوال: ١ ـ قيل: أي بأس الله تعالى وعذابه على إصراركم على الكفر بالله سبحانه وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق، فأيقنوا بذلك، وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والانابة إلى طاعة الله تعالى والايمان به وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبصالح العمل. ٢ ـ قيل: أي العذاب بعد الموت في القبر قبل يوم القيامة. ٣ ـ قيل: هو ماوعد الله تعالى في آياته وعلى لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من البعث والحساب والجزآء والجنّة والنار.

أقول: وعلى الأخير أكثر المفسرين، ولكن التعميم غير بعيد.

وفي «الغرور» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس ومجاهد والحسن وابن السكّيت وأبي حاتم وقتادة والضحاك : الغرور هو الشيطان وهو إبليس، فانّه يزيّن للناس بوساوسه

المعاصي والآثام، ويمنّيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة، فلايخد عنكم بالله جل وعلا الشيطان، فيمنّيكم الأماني ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الاصرار على كفركم بالله. سمّى الشيطان غروراً لانّه يغرّ النّاس ويخدعهم ويزيّن لهم الضلال فيأتون كأنه الهدى. ٢ ـ قيل: كل مايشغل الانسان عن الله تعالى وعن صالح العمل فهو غرور لأنه يغرر بالانسان ويخدعه، ومنه الغَرَر في البيع وقد حرمه الاسلام لما فيه من مخاطرة وغبن.

٣ ـ قيل: الغرور مايغرّ به الانسان من مال وولد وعُدَد وعَدَد، من مُلك ومقام وجاه، ومن علم وشهوة وشباب ونفس الأمارة وكل شيء يقتدر به الانسان على أدناه ولو بالبطش والبسط في الجسم. ٤ ـ قيل: الغرور ـ بالضم ـ الاغترار والاستماع إلى وساوس الشيطان وعن ابن السكيت أيضاً: الغرور ـ بالضم ـ: ما اغترّ به الانسان من متاع الدنيا. ٥ ـ قيل: الغرور ـ بالفتح ـ: صيغة مبالغة من الغرور ـ بالضمّ ـ وهو الذي يبالغ في الغرور ومن شأنه أن يغرّ الانسان، وان الدنيا وزينتها بهذه الصفة لأن أكثر الناس يغترون بها.

٦ ـ قيل: الغرور الباطل فالمعنى: لايغرنكم الباطل. ٧ ـ قيل: الغرور: إرتكاب المعاصي ثم يسوّف التوبة ٨ ـ عن سعيدبن جبير: الغرور أن تحمل بالمعصية ثم تتمنّى المغفرة، فالغرور هي الأمانيّ الباطلة بأن يتمادى في المعصية، ويتمنّى على الله جل وعلا المغفرة. وقال: غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتّى يقول: «ياليتني قدمت لحياتي» الفجر: ٢٤) ٩ ـ قيل: الغرور: مايغرّ الانسان، ويدفع به إلى مواطن البلاء والشرّ من شيطان ومال أو ولد وصديق، أو زوج أو سلطان... ١٠ ـ عن أبي عبيدة: أيّ كل شيء غرّك حتّى تعصى الله وتترك ما أمرك الله عزوجل به، فهو غرور شيطاناً كان أو غيره.

ومعنى غرور الشيطان بالله جل وعلا توجيه أنظارهم إلى مظاهر حلمه وعفوه تعالى تارة، ومظاهر ابتلآئه وإستدراجه وكيده اخرى، فيرون أنّ الاشتغال بالدنيا

ونسيان الآخرة، والاعراض عن الحق والحقيقة لايستعقب عقوبة ولايستتبع مؤاخذة، وأنّ أبنآء الدنيا كلّما أمعنوا في طلبهم وتوغّلوا في غفلتهم واستغرقوا في المعاصي والذنوب زادوا في عيشهم طيباً وفي حياتهم راحة، وبين النّاس جاهاً وعزّة، فيلقي الشيطان عند ذلك في قلوبهم أن لاكرامة إلّا في التقدّم في الحياة الدنيا، ولاخبر عمّا وراءها، وليس ماتتضمّنه الدعوة الحقّة من الوعد والوعيد، وتخبر به النبوّة من البعث والحساب والجنّة والنار إلّا خرافة، فالمراد بغرور الشيطان الانسان بالله سبحانه إغترار الانسان بما يعامل به الله الانسان على غفلته وظلمه.

أقول: إن التعليل الواقع في الآية التالية مع ورود إسم الشيطان فيها مما يقوم قرينة أو دليلاً على الأوّل، وإن كان لكل وجه من غير تناف بين الأقوال... فتأمل جيداً في الأسباب والمصاديق...

٨ ـ (أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يُضلّ من يشآء ويهدي من يشآء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)

في المُزَيِّن أقوال: ١ ـ عن قتادة والحسن: هو الشيطان زيّن لهم سوء أعمالهم، فرأوها حسنات ٢ ـ قيل: هو النفس الأمارة بالسوء، فزيّنت لهم أعمالهم السيّئة فتصوروها حسنات بأن غلبتهم أوهامهم وأهواءهم على عقولهم، فانتكست آرائهم، فرأوا الباطل حقّاً، والخطأ صواباً، والقبيح جميلاً، والشر خيراً، والضلال هداية، والفساد صلاحاً... وبالعكس ٣ ـ قيل: هو الرؤسآء المستكبرون وعلمآء السوء والقادة الخونة...

أقول: وعلى الأول أكثر المفسّرين ولكن التعميم غير بعيد.

وفي المُزَيَّن ـإسم مفعول ـ أقوال: ١ ـ عن أبي قلابة انهم اليهود والنصارى والمجوس ويكون سوء أعمالهم، معاندة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ زيّن لهم الشيطان سوء أعمالهم، فيميلهم إلى الشبهات وترك النظر في الأدلة الدالة على رسالة

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحقانية دينه باغوآئهم الشيطان فتشاغلوا بمافيه اللذّة وطرحوا الكلفة، فعاندوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذّبوه. ٢ ـ عن الكلبي: هم كفار قريش، إذ حسّن لهم الشيطان سوء أعمالهم من الشرك بالله سبحانه وعبادة الأوثان، واتخاذهم الأصنام آلهة لهم، ومن تكذيب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعداوته، فأغواهم بما أغواهم... ٣ ـ عن عمر بن القاسم: هم الخوارج الذين أغووهم هؤلاء الرؤسآء الفسقة فخرجوا من الدين ماخرجوا. ٤ ـ قيل: هم العصاة والمجرمون من هذه الامة المسلمة الذين هم يغويهم علماء السوء والقادة الخونة، فيزيّنون لهم سوء أعمالهم، ويبدعون في دين الله جل وعلا، ويحملونهم على الآثام، ويضلّونهم، ويصدّونهم عن سبيل الله، ويحسّنونهم على سوء أفكارهم وعقائدهم وأعمالهم الفاسدة، ويحسبون كفرهم ايماناً، وشركهم توحيداً، وريائهم إخلاصاً، ونفاقهم وفاقاً، وشرهم خيراً، ومعصيتهم طاعة، وعداوتهم مودة، وفسادهم صلاحاً، وباطلهم حقاً، وضلالهم هداية، وخطأهم صواباً...

أقول: ان الاستفهام الانكارى واطلاق الموصول: «أفمن» والفعل الماضي المجهول: «زيّن» وضميري الجمع: «عليهم» و «يصنعون» كل ذلك يؤيّد التعميم.

وفي «بما يصنعون» أقوال: ١ ـ أي بعقآئدهم الباطلة من الشرك وعبادة الأوثان وكفرهم وتكذيبهم برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ٢ ـ قيل: أي يعلم بما يوجب صفاء النفوس، ويستعدّها لقبولها الهداية أو كدورتها ويستعدها لقبول الضلالة. ٣ ـ قيل: أي عليم بأحوال الكافرين والمجرمين. ٤ ـ قيل: أي عليم بما يفعل العصاة من المعاصي والأفعال الباطلة والأعمال الفاسدة ٥ ـ قيل: أي يعلم بما يفعلون من الكفر والايمان والطاعة والطغيان...

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر السياق.

١٠ ـ (من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح

يرفعه والذين يمكرون السيّئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور»

في قوله تعالى: «من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً» أقوال: ١ ـ عن مجاهد: أي من كان يريد العزّة بعبادة الأصنام والأوثان... فان العزّة لله جميعاً. وهذا تمثيل لقوله عزوجل: «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً» مريم: ٨١) وهذا ايئاس المشركين من عزته وتعريفهم أنّ ماوجب له من ذلك لامطمع فيه لغيره فتكون الألف واللام في «العزّة» للعهد عند العالمين به تعالى، وبما وجب له من ذلك وهو المستفاد من قوله عزّ وجل: «ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً» يونس: ٦٥).

٢ ـ عن قتادة: أي من كان يريد العزّة من الله تعالى فليتعزّز بطاعة الله تعالى لأن العزّة في طاعة الله جل وجلا وحده كما أنّ الذلة في معصية الله سبحانه. فالمعنى: من كان يريد طريق العزّة القويم، ويحبّ نيلها فالطاعة لله وحده هي طريقها، فانّ الله عزّوجل يعزّه بها فى الدنيا والآخرة. معناه: دعآء إلى طاعة من له العزّة جميعاً كما يقال لمن أراد المال: المال لفلان أي فليطلبه من عنده. فلايتعزّز بعبادة الأوثان والأصنام... فمن يودّ أن تكون له عزّة في الدنيا والآخرة وكان عزيزاً عند الله تعالى فليطلبها من الله تعالى فان العزّة لله جميعاً يعزّ من يشآء، يعزّ من تستعدّ نفسه لقبول العزّة بالايمان والعمل الصالح، فلن ينال بالعزّة من لم تستعدّ نفسه لقبولها بالكفر والمعصية كما يومي إليه قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» وهذان وحدهما يمهّدان نفس الانسان لافاضة العزّة من الله تعالى عليها.

٣ ـ عن الفرآء: أي من كان يريد علم العزّة وهي القدرة المطلقة على القهر والغلبة لمن هي لاذلّة بعدها فانّها لله تعالى جميعاً، فانّه جل وعلا وحده المتصف بها، لأن العزّة إذا كانت تؤدّي إلى ذلّة، فانّما هي تعرض للذلّة، وأما العزّة التي لاذلّ معها قط فهي لله وحده. فهذا تنبيه من الله تعالى لذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزّة، ومن أين تُستحق، فتكون الألف واللام في «العزّة» للاستغراق، وهو المستفاد من ظاهر سياق آيات هذه السورة.

فمن طلب العزّة من الله تعالى وصدقه في طلبها إفتقار وذلّ وسكون وخضوع وايمان واخلاص وطاعة وجدها عنده جل وعلا غير ممنوعة ولا محجوبة عنه. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من تواضع لله رفعه الله» ومن طلب العزّة من غير الله وكّله إلى مَن طلبها عنده، وقد ذكر قوماً طلبوا العزة عند من سواه في قوله: «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فان العزة لله جميعاً» النسآء: ١٣٩). فمن اعتزّ بالعبد أذلّه الله، ومن اعتزّ بالله أعزّه الله.

٤ ـ قيل: أي من كان يريد المغالبة فلّله الغلبة لا لغيره ولا تتمّ إلّا به. فالمعنى: من كان يريد القدرة على القهر والغلبة فلّله وحده القدرة عليهما. ٥ ـ قيل: أي من كان يريد عزّة الدنيا لايعقبها ذلّة ويصاربها إلى اللذة فلّله وحده عزّة الدنيا والآخرة جميعاً واقعاً فانّه هو الذي يتصرّف ويعطيها من يريد. ٦ ـ قيل: أي من كان يريد عزّة الدنيا والآخرة فلّله وحده عزّة الدنيا والآخرة جميعاً والعزة للعبد هي الشرف والمنعة والصلابة في الدين والمنعة، والعزة لله تعالى هي القدرة المطلقة بحيث يكون قاهراً غير مقهور، وغالباً غير مغلوب، وهي تختصّ بحقيقة معناها بالله عزوجل، فان غيره تعالى فقير في ذاته ذليل في نفسه لايملك لنفسه شيئاً إلّا أن يرحمه الله ويؤتيه شيئاً من العزّة التي تناسب العبد كما فعل ذلك بالمؤمنين: «ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين» المنافقون: ٨).

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق إذ قال: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» والمؤيّد بالروايات الآتية، وفي معناه سائر الأقوال فانها من لوازم المعنى.

وفي «**الكلم الطيب**» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس: هو ذكر الله تعالى. ٢ ـ عن شَهر بن حَوْشَب: هو القرآن. ٣ ـ قيل: هو التحميد والتمجيد والتقديس وذكر الله ونحوه ومن الذكر: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. ٤ ـ قيل: هو كلمة التوحيد: «لا إله إلّا الله» ٥ ـ قيل: الكلم الطيب هو كلمة الشهادتين. ٦ ـ قيل: هو

الكلام الحسن. ۷ ـ قيل: الكلم الطيب هي الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس وأحسنها: «لا إله إلّا الله» إذا كانت عن معرفة و إخلاص، وذلك ان المراد بالكلم مايفيد معنى تامّاً كلاماً، ويشهد عليه توصيفه بالطيّب، فالكلم الطيّب مايلائم لنفسه سامعه ومتكلّمه بحيث تنبسط منه وتستلذّ وتستكمل به، وذلك إنما يكون بافادته معنى حقاً يوافق الفطرة البشرية، وفيه سعادة النفس وفلاحها، فليس المراد بالكلم الطيّب مجرّد كلمة «لا إله إلّا الله» بل بما أن له معنى حقاً طيّباً على أساس الفطرة فالمراد به الاعتقادات الحقة التي يسعد الانسان بالاذعان لها، وبنآء عمله عليها، والمتيقّن منها كلمة التوحيد إذ كانت عن علم وإخلاص لأنها هي التي يرجع إليها سائر الاعتقادات الحقة، وهي المشمولة لقوله جل وعلا: «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها» إبراهيم: ۲۵) وتسمية الاعتقاد قولاً وكلمةً أمر شآئع بينهم. ۸ ـ قيل: الكلم الطيّب هو الدعآء.

أقول: والسابع هو المؤيّد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين سائر الأقوال على أنها من المصاديق...

وفي قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه» فى صعود الكلم الطيّب ورفع العمل الصالح وفي الرافع والمرفوع أقوال: ۱ ـ عن ابن عباس ومجاهد وسعيدبن جبير وقتادة والحسن وأبي العالية والضحاك وشهر بن حَوْشَب: أي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وذلك ان العبد إذا ذكر الله تعالى وقال كلاماً طيباً وأدّى فرآئضه إرتفع قوله مع عمله، وإذا قال، ولم يؤدّ فرآئضه رُدّ قوله على عمله، فان العمل الصالح شرط لقبول الكلام الطيب. ومعنى الصعود ههنا هو القبول من صاحبه والاثابة عليه، وكلّما يتقبّله الله تعالى من الطاعات يُوصَف بالرفع والصعود لأن الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شآء الله تعالى وهذا كقوله عزوجل: «إن كتاب الأبرار لفي علّيين» المطففين: ۸) فيحفظها لديه تعالى ويجازى

عليها.

وذلك ان العصود هو الحركة إلى فوق وهو العروج أيضاً، ولايتصوّر ذلك في الكلام لأنّه عَرَضٌ، لكن ضرب صعوده مثلاً لقبوله لأن موضع الثواب فوق، وموضع العذاب أسفل، وقال الزجاج: يقال: إرتفع الأمر إلى القاضي أي علمه فهو بمعنى العلم، وخصّ الكلام الطيّب بالذكر لبيان الثواب عليه. فيكون الكلام متصلاً لما قبله.

٢ ـ قيل: إن الكلام تمّ في قوله: «إليه يصعد الكلم الطيب» بأن الكلم الطيب يصعد بنفسه. ثم ابتدأ الكلام بقوله: «والعمل الصالح يرفعه» على معنى يرفعه الله تعالى. قال قتادة: أي والعمل الصالح يرفعه الله لصاحبه أي يقبله. وعلى هذا فيكون ابتداء اخبار لايتعلّق بماقبله. ٣ ـ عن ابن عباس أيضاً: أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح. فالرافع هو الكلم الطيب والمرفوع هو العمل الصالح إذ لايقبل العمل الصالح إلّا مع الايمان والاخلاص، ولاينفع عمل صالح إلّا إذا صدر عن التوحيد، فالكلام الطيب شرط لقبول العمل الصالح. ٤ ـ قيل: أي إلى الله يصعد الكلم الطيب بالعمل الصالح، والعمل الصالح يرفع بالكلم الطيب لما بينهما من التلازم، إذ كما أن الكلام الطيب شرط لقبول العمل الصالح، كذلك العمل الصالح شرط لقبول الكلم الطيب، فلايصعد الكلم الطيب وحده ولايرفع العمل الصالح وحده، فاذا انضمّا معاً صعداورفعا. كما أن الوضوء لايقبل من تارك الصلاة، كذلك لن تقبل الصلاة بدون وضوء عن اختيار. ٥ ـ قيل: إن المراد بالكلم الطيب هو الاعتقاد الحق كالتوحيد، وبصعوده تقرّبه من الله تعالى، والمراد بالعمل ماكان على طبق الاعتقاد الحق ويلائمه. والمعنى: الاعتقاد الحق هو المتقرّب من الله تعالى وان العمل الصالح يرفع الاعتقاد الحق. ٦ ـ قيل: أي يصعد الكلم الطيب إلى سمآئه تعالى، والمحل الذي لايجري فيه لأحد غير الله عزوجل حكم. فجعل صعوده إلى سمآئه صعوداً إلى الله تعالى كما يقال: ارتفع أمرهم إلى السلطان. ٧ ـ قيل: أي يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعات العبد

إلى السمآء. ٨ ـ قيل: أي العمل الصالح يرفع صاحبه. فالضمير في «يرفعه» إما راجع إلى الله تعالى وإما إلى العمل الصالح، وإما إلى «الكلم الطيب» وإمّا إلى صاحبه، وإما إلى السمآء.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السياق والمؤيد بالروايات...

وفي «الذين يمكرون السيئات» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وشهر بن حَوْشَب: هم أصحاب الريآء كأنّهم يُراؤاالمؤمنين في أعمالهم يوهمونهم أنهم في طاعة الله وهم في الكبآئر والمعاصي منهمكون، وهذا دأب المجرمين المرآئين في كل زمن ومكان. ٢ ـ عن أبي العالية: هم الذين مكروا بالنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لما اجتمعوا في دار الندوة، وذلك ان رؤساء المشركين من كفارقريش إجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وتداوروا في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إمّا حَبْسُه وإمّا قَتْلُه أو إخراجه كما حكي الله عزوجل عنهم: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك» الأنفال: ٣٠).

٢ ـ عن الكلبي: أي الذين يعملون السيئات ويرتكبون الكبائر... ٣ ـ عن مقاتل وقتادة أيضاً: هم أصحاب الشرك أي يشركون بالله ويكذّبون رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٤ ـ قيل: هم الذين يدبرون الأذى والاسآئة إلى الأبريآء الطيبين. وقال الفيض في الصافي: ويشمل مكرات أصحاب السّقيفة في ردّ وصيّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم للوصي وغير ذلك. ٥ ـ قيل: ان المراد بالسيّئات أنواع المكرات والحيل التي كان المشركون يتخذونها وسائل لكسب العزّة لأن إسم الاشارة: «اولئك» تدل على أنهم متعيّنون لايختلطون بغيرهم، والمعنى: انّ هؤلاء المشركين كانوا يمكرون أنواع المكرات السيئات وسآئل لكسب العزّة. ٦ ـ قيل: ان الفجار والفسّاق والعصاة في كل زمان ومكان يمكرون أنواع المكرات طلباً للعزّة الكاذبة، والغلبة الموهومة وقد يبدو في الظاهر أنّهم أعليآء وأنّهم أعزآء، وأنّهم أقويآء... ولكنّ المكر السّيئ ليس سبيلاً

إلى العزّة، ولو حقق القوّة الطاغية الباغية في بعض الأحيان إلاّ ان نهايته إلى البوار والفساد والتباه، و إن أمهل الله جل وعلا الماكرين بالسوء حتى يحين الأجل المحتوم في تدبير الله تعالى المرسوم.

أقول: ان اطلاق الآية يؤيد التعميم، وليست الاشارة ههنا للتعيين، بل لبعد المشار إليهم عن العزّة، وان المورد ليس بمخصّص ما لم يكن خاصّاً فتأمل جيداً.

١١ ـ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وماتحمل من انثى ولا تضع إلاّ بعلمه وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلاّ في كتاب إن ذلك على الله يسير)

في قوله تعالى: «والله خلقكم من تراب» أقوال: ١ ـ عن قتادة: أي آدم عليه السلام والتقدير: والله خلق أباكم وأصلكم آدم عليه السلام من تراب فان الشيء يضاف إلى أصله فنسبة الخلق من تراب إليهم على طريق المجاز العقلي ويمكن تأييد هذا القول بقوله تعالى: «خلق الانسان من صلصال كالفخار» الرحمن: ١٤) ٢ ـ قيل: أراد به آدم عليه السلام نفسه فلامجاز في النسبة ههنا وهو المؤيد بقوله تعالى: «وبدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من مآء مهين» السجدة: ٨) ٣ ـ قيل: أراد خلق الناس خلقاً إجمالياً من تراب في ضمن خلق آدم من تراب، وأما الخلق التفصيلي فهو من نطفة كما قال: «ثم من نطفة» ويمكن تأييد هذا القول بقوله عزوجل: «ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» الأعراف: ١١) فالمراد خلق كل واحد من الأفراد من التراب حقيقة من غير مجاز إلاّ أنه خلق إجمالي لا تفصيلي.

٤ ـ قيل: أي والله خلقكم أيها الناس كل واحد منكم من تراب، على أنّ الأغذية التي تتحوّل إلى الأجسام كلّها من التراب، والأغذية تصير دماً، ومن الدم النطفة، فالنطفة من الغذآء، والغذآء ينتهي بالمآل إلى المآء والتراب، فهم كل واحد في الحقيقة من تراب صار نطفة، فالخطاب لكل واحد من الانسان فلا مجاز في النسبة. وقيل: ان إبتداء خلق الانسان من تراب وهو المبدء البعيد التي تنتهي إليه الخلقة، ثم

من نطفة وهي مبدأ قريب تتعلق به الخلقة.

أقول: ولكل وجه ولكن الأوجه هو الرابع.

وفي **«أزواجاً»** أقوال: ١ ـ أي ذكوراً وإناثاً. ٢ ـ قيل: أي ضروباً وشعوباً وأصنافاً. ٣ ـ قيل: أي قبآئل وطوآئف. ٤ ـ قيل: أي أشكالاً من أسود وأبيض، وأحمر وأصفر... ٥ ـ قيل: أي أزواجاً وزوجات ٦ ـ قيل: أي قدّر بينكم الزوجيّة، فزوّج بعضكم ببعض.

أقول: والأول هو الأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله عزوجل: «وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس وسعيد بن جبير: أي ومايعمّر من معمّر أي من أحد إلّا كتب عمره كم هو سنة؟ كم هو شهراً؟ كم هو يوماً؟ كم هو ساعة؟ ثم يكتب في كتاب آخر: نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة حتى يستوفي أجله، فما مضى من أجله فهو النقصان، ومايستقبل فهو الذي يعمره، فالهآء في «عمره» للمعمّر سمّاه معمّراً بما هو صآئر إليه. فالمعنى: لايطول عمر أحد فيصير معمّراً، ولاينقص من عمر هذا المعمّر المفروض. وقال سعيد بن جبير: يكتب عمر كل واحد كذا وكذا سنة، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب اسبوع، ذهب شهر، وذهب سنة حتّى يأتي آخر. وعن قتادة: المعمّر من بلغ عمره ستّين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستّين سنة. وعن أبي مالك: أي لايطول عمر أحد ولاينقص من عمر ذلك المعمر بانقضآء الأوقات عليه يعني ولايذهب بعض عمره بمضيّ الليل والنهار. وعن مجاهد: لم يخلق الناس كلهم على عمر واحد لهذا عمرو لهذا عمر أنقص من عمره ٢ ـ عن الحسن وابن زيد والضحاك والفرّآء: وثعلب: أي مايكون من عمره ولاينقص من عمره بمعنى معمّر آخر أي ولاينقص الآخر من عمره. فالضمير في «عمره» يرجع إلى آخر غير الأوّل، وكنّي عنه بالهآء كأنّه الأوّل كما تقول: عندي درهم ونصفه أي نصف آخر. والمعنى: ولاينقص من عمر غير ذلك المعمّر. فليس المراد تعاقب التعمير وخلافه على شخص

واحد، وإنّما المراد تعاقبهما على شخصين، فتسومح في اللفظ تعويلاً على فهم السامع كقولك: ماتنعمت بكذا ولاجتويته إلاّ قلّ فيه ثوائي، فالهآء راجع إلى مطلق الانسان لالطويل العمر.

٣ ـ قيل: إنّ الله عزّوجل كتب عمر الانسان مأة سنة إن أطاعه، وتسعين إن عصاه، فأيّهما بلغ فهو في كتاب، وهذا مثل قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أحبّ أن يُبَسط له في رزقه ويُنسأ ـ أي يتأخر ـ له في أثره فليصل رحمه» أي يكتب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة، فبيّن ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ: انه سيصل رحمه، فمن اطلع على الأوّل دون الثاني ظنّ أنه زيادة أو نقصان، فالضمير «من عمره» راجع إلى العمر لا إلى «معمّر». والمعنى: مايعلمه الله أنّ فلاناً لو أطاع لبقي إلى وقت كذا وإذا عصى نقص عمره فلايبقى ٤ ـ عن إبن عباس والضحاك أيضاً: ومايعمّر من معمّر أي هرم ولاينقص آخر من عمر الهرم إلاّ في كتاب أي بقضآء من الله تعالى، فالهآء راجع إلى «معمّر» ويجوز أن يرجع إلى غير معمّر. فالنقصان على ثلاثة وجوه: أحدها ـ أن يكون من عمر المعمّر. ثانيها ـ أن يكون من عمر معمّر آخر. ثالثها ـ أن يكون بشرط العصيان. فالزيادة والنقصان في عمر أحد باعتبار أسباب مختلفة ثبتت في اللوح المحفوظ بأنّ من حجّ فعمره ستون سنة وإلاّ فأربعون، ومن وصل رحمه فعمره سبعون سنة، ومن قطعه فخمسون، ومن تصدّق فعمره تسعون ومن بخل فثلاثون مثلاً... فلكل شخص عمران: عمر يموت بأجل محتوم، وعمر يموت بأجل مختوم، فمن عصى وطغى فيموت بأجله المحتوم ومن أطاع وأحسن فيموث بأجله المختوم. وعلى هذا يقال: أطال الله بقآءك وأدام ظلّك...

قيل: إن العمر الطبيعي عند الأطبآء مأة وعشرون سنة، وإن الانسان لايزال في ازدياد إلى كمال الستين سنة ثم يأخذ بعد ذلك بالنقص والهرم كما قال الشاعر: إذا بلغ الفتى ستين عاماً ـ فقد ذهبت المسرّة والفتاة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وإن لا يخلو لكل واحد من غيره وجه، مع أنّ الروايات الآتية تؤيّد الثالث من الأقوال...

وفي قوله تعالى: «في كتاب» أقوال: ١ ـ قيل: أي في علم الله تعالى. ٢ ـ قيل: أي في لوح محفوظ كتب فيه أن فلاناً يزاد في عمره كذا لسبب كذا وفلاناً ينقص من عمره كذا لسبب كذا ولاسبيل للتغيير فيه، وأما كتاب المحو والاثبات فهو مورد للتغيير. ٣ ـ قيل: أي في كتاب من عندالله تعالى. ٤ـقيل: أي في صحيفة المرء.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزوجل: «ان ذلك على الله يسير» أقوال: ١ ـ قيل: أي ان كتابة الأعمال والآجال... يسير غير متعذّر على الله جل وعلا. ٢ ـ قيل أي إن إحصآء طويل الأعمار وقصيرها، لايتعذّر على الله تعالى ولايعزب عنه شيء منها. ٣ ـ قيل: أي إن تعمير من يعمّره ونقصان من ينقصه وإثبات ذلك في الكتاب سهل على الله جل وعلا. ٤ ـ قيل: أي إنّ الذي ذكر من خلق الانسان من المادة المذكورة، وكيفيّة إحداثه وابقآئه وهذا التدبير الدقيق المتين المهيمن على كليّات الحوادث وجزئيّاتها في نظام الكون ونواميس الوجود، المقرّر كل شيء في مقرّه يسير على الله عزوجل. ٥ ـ قيل: أي إنّ ذلك النظام البديع لعالم هيّن على الله تعالى لعلمه الشامل وعدم خفآء شيء عليه. ٦ ـ قيل: أي إنّ ما ذكر من الخلق ومابعده من البعث يسير على الله تعالى لكمال قدرته واستغنآئه عن الأسباب...

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر السياق، وفي معناه بعض الأقوال الاخر.

١٢ ـ (ومايستوي البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون)

في قوله تعالى: «وما يستوي البحران...» أقوال: ١ ـ قيل: هذا تمثيل في حق

الايمان والكفر وفي المؤمن والكافر كقوله تعالى: «أفمن كان مؤمناً كمن فاسقاً» السجدة: ١٧) كأنّه شبّه الجنسين: المؤمن والكافر بالبحرين: العذب والاجاج، بأن الايمان والمؤمن لايشبهان بالكفر والكافر في الحسن والنفع كما لايشبه البحر العذب الفرات بالبحر الملح الاجاج. ثم فضّل البحر الاجاج على الكافر لأنّه يشارك العذب في استخراج السمك واللؤلؤ والمرجان والصدف وما إليها، وجرى السفن فيه، وأما الكافر فلانفع فيه قطّ إلاّ الفساد والافساد والشرّ والضرّ في المجتمع البشرى كقوله تعالى: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة - وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» البقرة: ٧٤) فالبحر الملح أفضل من الكافر إذ يستخرج منه اللؤلؤ والمرجان... والكافر لافضل ولاخير ولانفع، بل كله شرّ وضرّ وفساد...

٢ - قيل: أي ومايعتدل البحران فيستويان لأن أحدهما: عذب فرات سآئغ شرابه يجري في الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار والآخر ملح اجاج ساكن تسير فيه السفن الكبار. ٣ - قيل: ان المراد بذلك بيان كمال قدرة الله جل وعلا بأن البحرين يستويان في الصورة بأنها مآء، ولكنّهما يختلفان في السيرة، فان أحدهما عذب فرات، والآخر ملح اجاج، ولو كان ذلك بمقتضى الطبيعة عديم الشعور لما اختلف المتساويان، ثم إنّهما مع اختلافهما في السيرة توجد منهما امور متشابهة، فان اللحم الطريّ يوجد في كليهما، والحلية تؤخذ من كليهما، فعدم استوائهما في السيرة، واتحادهما في الصورة دليل قاطع وبرهان واضح على كمال قدرته وعظمته، وعلمه وحكمته، وتدبيره ونفوذ إرادته عزوجل. ٤ - قيل: إن المراد بالبحرين بحر تحت الأرض وهو عذب فرات سائغ شرابه ينال به الانسان بالبئر والقناة وما اليها... وبحر وجه الأرض تجري فيه السفن... ٥ - قيل: إنّ ذلك تمهيد وتوطئة لقوله تعالى: «وما يستوي الأعمى والبصير»: ١٩ - ٢٢).

أقول: ولكل وجه من غيرتناف بينها.

وفي قوله تعالى: «وتستخرجون حلية تلبسونها» أقوال: ١ - قيل: إنّ الحلية وهي

المرجان والدّر واللؤلؤ والأصداف والياقوت وغيرها إنما تستخرج من البحر المالح خاصّة. ٢ ـ عن قتادة: إنّ الحلية تستخرج من البحر الحلو والمالح لأنّهما مختلطان. ٣ ـ قيل: إنّما تستخرج الأصداف فيها الحلية من الدر وغيره من المواضع التي فيها العذب والملح نحو العيون فهو مأخوذ منهما لأن في البحر عيوناً عذبة وبينهما يخرج اللؤلؤ عند التمازج. وقيل: من مطر السمآء.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين، والثالث هو المؤيّد بالعلم الحديث.

وفي قوله عزوجل: «وترى الفلك فيه مواخر» قولان: أحدهما ـ عن النحاس: أي ترى الفلك في ماء الملح خاصة تذهب وتجيء ولولا ذلك لقال فيهما. ثانيهما ـ قيل: أي ترى السفن في كل واحد منهما تشقّهما بجريها فيهما مقبلة ومدبرة بريح واحدة فانها تشق المآء في جريانها شقاً.

أقول: وعلى الثاني جمهور المفسرين وهو واضح لاخفآء.

وفي قوله عزوجل: «لتبتغوا من فضله» أقوال: ١ ـ عن مجاهد: أي لتطلبوا التجارة في الفلك إلى البلدان البعيدة في مدّة قريبة. ٢ ـ قيل: أي لتطلبوا ما يستخرج من حلية البحار ويصطاد من حيتانها... ٣ ـ قيل: أي لتطلبوا بركوبكم في البحرين من معايشكم ولتتصرّفوا فيهما في تجاراتكم...

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

وفي قوله تعالى: «ولعلّكم تشكرون» أقوال: ١ ـ قيل: أي تشكرون على ما آتاكم من فضله. ٢ ـ قيل: أي تشكرون على ما أنجاكم من هوله. ٣ ـ قيل: أي تشكرون على تسخيره ذلك لكم، ومارزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحليّ.

أقول: الكلام فيه هو الكلام فيما قبله.

١٣ ـ ﴿يولج الليل في النّهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير﴾

في قوله تعالى: «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» أقوال: ١ ـ قيل: أي ينقص من الليل في النهار عند منقلب الصيف، ومن النهار في الليل عند منقلب الشتآء. ٢ ـ قيل: أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه ويتعقبه. ٣ ـ قيل: أي يدخل الليل في النهار فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر، ويدخل النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار كذلك. فايلاج الليل في النهار قصر النهار بطول الليل وايلاج النهار في الليل قصر الليل بطول النهار، ففي الايلاجين إشارة إلى اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر المستمرّ في أيّام السنة بتغيّر الأيام، ولذا عبّر بقوله: «يولج» الدال على استمرار التعبير بخلاف جريان الشمس والقمر فانّه ثابت على حاله ولذا عبّر فيه بقوله: «وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى» ٤ ـ قيل: أي يدخل الليل بظلامه الكثيف في أحشآء النهار فيشتمل عليه النهار و يستولي بسلطانه المشرق على ظلماته المتراكمة، فاذاً الدنيا وقد خلعت هذا الردآء الأسود ولبست ذلك الثوب النوراني كما تلبس العروس ثوب زفافها، فيدخل هذا النور الساطع في أحشآء الظلام، فيستولي الظلام بسلطانه على هذا النور.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها وفي معناها أقوال اخر سبقت في سورة لقمان: ٢٩) وستأتي في سورة الحديد: ٦) إن شاء الله تعالى فراجع.

وفي «قطمير» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس وقتادة والمبرّد: هو شقّ النواة. ٢ ـ عن عطية: أي القشرة الرقيقة البيضآء التي بين التمرة والنواة. ٣ ـ عن قتادة أيضاً: هو القِمْعُ الذي على رأس النواة. ٤ ـ عن الجوهري: هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة. ٥ ـ عن ابن عباس أيضاً: أي الجلدة التي تكون على ظهر النواة. ٦ ـ عن مجاهد: أي لفافة النواة كسحاة البيضة. ٧ ـ قيل: أي شرويَ نقير. ٨ ـ قيل: الحبّة في بطن النواة. ٩ ـ قيل: القطمير: القشرة الرقيقة التي تكون غلافاً للنواة في داخل التمر. ١٠ ـ قيل: إن في النواة أربعة أشيآء يضرب بها المثل في غاية الذلّة ونهاية الحقارة: **الأوّل:** الفتيل وهو ما في شقّ النواة كقوله تعالى: «ولايظلمون فتيلاً»

النسآء: ٤٩) **الثاني:** النقير وهو ما في ظهر النواة كقوله عزوجل: «فاذاً لايؤتون الناس نقيراً» النسآء: ٥٣) **الثالث:** الرقروق وهو مابين القمع والنواة. **الرابع:** القطمير وهو لفّافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها كما في المقام.

أقول: وعلى الرابع جمهور اللغويين.

١٤ - (إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبّئك مثل خبير)

في ضمير «هم» أقوال: ١ - قيل: هم آلهة المشركين من الأصنام والأوثان... ٢ - قيل: أي الجن والملائكة وعيسى بن مريم(ع) ٣ - قيل: أي أهواءهم: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» الجاثية: ٢٣) ٤ - قيل: أي أهوآء الرؤسآء المستكبرين والقادة الجبارين: «ولا تتبعوا أهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلّوا كثيراً» المآئدة: ٧٧).

أقول: ان اطلاق قوله تعالى: «والذين تدعون من دونه» شامل لما ذكر وما إليه.

وفي قوله عزوجل: «ولو سمعوا مااستجابوا لكم» أقوال: ١ - عن قتادة: أي لوسمعوا هؤلآء الآلهة فرضاً لم ينفعوكم لأنهم لايقدرون على أن ينفعوكم ويستجيبوا لشيء مما تطلبون لأنهم لايملكون شيئاً فكيف تعبدون مالاينفع ولايضرّ، وتدعون من بيده النفع والضرّ وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون. ٢ - قيل: أي لو جعلنا لهؤلاء الأصنام والأوثان المصنوعة عقولاً وحياة فسمعوا دعآءكم لكانوا أطوع لله منكم، ولما استجابوا لكم على الكفر. ٣ - قيل: أي ولو سمعوا دعآءكم ما استجابوا دعائكم إذ ليس كل سامع ناطقاً. ٤ - عن البلخي: يجوز أن يكون المراد بالمدعوّ الملائكة والجن وعيسى عليه السلام فالمعنى: ولو سمعوا إن كانوا من الانس أو الملائكة أو الجن مااستجابوا لكم لأنهم بحيث لايسمعون دعاءكم أو انهم مشتغلون عنكم لايلتفتون إليكم لان الله عزوجل لم يأذن لأحد أن يستجيب أحداً يدعوه بالوهية لقوله تعالى: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون» النسآء: ١٧٢).

أقول: والتعميم هو المستفاد من ظاهر الاطلاق السابق.

١٥ - (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)

في **«الحميد»** أقوال: ١ - قيل: أي محمود بذاته سواء حمده حامد أم لا. ٢ - قيل: أي حامدٌ بأنه جل وعلا يحمد لعباده مايلقون به من عطائه من حمد وشكر وحميد للمستجيبين إليه ٣ - قيل: أي هو حميد بذاته وحامد لمن آمن به واستجاب له.

أقول: وعلى الأول جمهور المحققين.

١٦ - (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - قيل: أي إن يشأ ربكم معاشر الخلق يفنيكم لا أثر لكم، ويأت بعالم آخر، وخلق جديد سواكم، غير ماتعرفونه، وماكان قريب عهد منكم كما فعلكم ولم تكونوا شيئاً، فيأت بخلق آخرين مكان الانس. ٢ - قيل: إن يشأ الله جل وعلا يهلككم أيها العصاة الفجرة والطغاة الكفرة في كل زمن أهلككم، ويأت بقوم آخرين سواكم يطيعون الله تعالى، ويأتمرون بأوامره، وينتهون عما نهاهم عنه. ٣ - قيل: أي إن يشأ ربكم أيها النّاس يفنيكم ويأت بقوم آخرين مثلكم، أطوع وأزكى وأتقى منكم. ٤ - قيل: أي إن يشأ ربكم أيها المشركون يهلككم، ويأت بخلق جديد مكانكم ليسوا على صفتكم الشرك والتكذيب والطغيان، ينصرون نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم ويوازرونه، ويعبدون الله وحده ولايشركون به.

أقول: وعلى الثالث جمهور المفسرين.

١٨ - (ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير)

في قوله تعالى: «بالغيب» أقوال: ١ ـ قيل: أي يخشونه تعالى غآئبين عن ما يخشون الله بسببه من أهوال الآخرة وعذابها. ٢ ـ قيل: أي يخشون الله عزوجل غآئبين عن الناس في خلواتهم و غيبتهم عن الخلق. ٣ ـ قيل: أي يخشون عذاب الله تعالى وهو غائب عنهم. ٤ ـ قيل: أي يخشون ربهم بالآخرة لايمانهم بها كقوله تعالى: «الذين يؤمنون بالغيب» البقرة: ٣) أي غائباً عنهم. ٥ ـ أي يخشون ربهم بالقلب الذي هو غائب عن الحواس...

أقول: إن المراد ههنا أنهم يخشون ربهم بايمانهم بالغيب كما يظهر من السياق: «والى الله المصير».

وفي قوله تعالى: «ومن تزكى فانّما يتزكى لنفسه» أقوال: ١ ـ قيل: أي من تطهر بفعل الطاعات وترك المعصية فانّما يتزكي لنفسه إذ نفعه لها كقوله عزوجل: «فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه» يونس: ١٠٨) ٢ ـ قيل: أي من أدّى زكاة ماله، وقام بما يجب عليه من الواجبات فانّما يتزكّى لنفسه. ٣ ـ قيل: اريد بالتزكّي تزكية النفس، وهي تطهيرها بالايمان والتقوى والعمل الصالح، وتطهيرها من أرجاس الشرك والآثام، وأدناس المعاصي والقبائح، ومن أوزار الذنوب والفواحش.

أقول: ولكل وجه، ولكنّ الأوجه هو التعميم.

١٩ ـ (وما يستوي الأعمى والبصير)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي لايتساوى الأعمى عن طريق الحق الذي ابتعث به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والذي اهتدى إليه قطّ. ٢ ـ قيل: في الآية الكريمة طعن على الكفرة وتمثيل فالكافر هو الأعمى والمؤمن هو البصير. والمعنى لايتساوى المشرك والمؤمن. ٣ ـ قيل: أي لايستوي الجاهل والعالم كقوله عزوجل: «قل لايستوي الخبيث والطيب» المائدة: ١٠٠) ٤ ـ قيل: أي ليس سوآء عند الله تعالى وفي الواقع من انحرف عن الحق والخير إلى الباطل والشرّ، عن العلم والحكمة إلى الجهل

و السفاهة، وعن مرضاة الله ونعيمه إلى غضبه وجحيمه. ٥ ـ قيل: هذا مثل للصنم الباطل وللاله المعبود بالحق، فالأعمى هوالصنم، والبصير هو الله تعالى فالمعنى: لايستوي معبود المشركين، ومعبود المؤمنين.

٦ ـ قيل: أي ومايستوي عند الله تعالى أعمى القلب وبصير القلب، حيث ان الكفر عمى في طبيعة القلب، وعمى عن رؤية دلائل الحق، وعمى عن رؤية حقيقة الوجود، وعن حقيقة الارتباطات فيه وحقيقة القيم والأشخاص والأحداث والأشيآء، وان الايمان بصيرة في طبيعة القلب، ونور في ذات الانسان، ونور في الجوارح كلها يرى بهذا النور حقائق الوجود ونواميس الكون.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين والباقي من لوازم المعنى.

٢٠ ـ (ولا الظلمات ولا النور)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي ولا تستوي ظلمات الكفر والضلالة، ونور الايمان والهداية، ولاظلمات الشرك والنفاق، ونور التوحيد والاخلاص. ٢ ـ قيل: أي ولا تستوي ظلمات المعصية ونور الطاعة، ولا ظلمات الظلم ونور العدل. ٣ ـ قيل: أي ولا تستوى ظلمات الجهل والسفاهة ونور العلم والحكمة. ٤ ـ قيل: أي ولايستوي الكافر والمؤمن ٥ ـ قيل: هذا تمثيل للباطل والحق ومايؤدّيان إليه من العقاب والثواب فالمعنى: ولايستوي الباطل ولاالحق. ٦ ـ قيل: أي ولايستوي العاصي والمطيع. ٧ ـ قيل: الظلمات هي نفس الكفر والنور هو نفس الايمان، وذلك ان الكفر ظلمات، فعند ما يبعد الناس عن نور الايمان يقعون في ظلمات من شتّى الأنواع والأشكال والجوانب، ظلمات تعزّ فيها الرؤية الصحيحة لشيء من الأشيآء، وان الكفر تخالف طبيعته طبيعة الايمان لأنّ الايمان نفسه نور يرى به المؤمن الحقائق، و يتعامل معها ولايخبط في طريقه، ولايلطش في خطواته... ولما كان الكفر ظلمة كان الكافر أعمى، وكذلك لما كان الايمان نوراً كان المؤمن بصيراً.

أقول: ولكل وجه، وكل من قبيل المصاديق ولوازم المعنى لاحقيقته فتأمل جيداً.

٢١ - (ولا الظل ولا الحرور)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - عن الكلبي والسدى: أي لا تستوي الجنّة والنار لأنّ الجنة ذات ظلّ دآئم لقوله: «اكلها دآئم وظلها» الرعد: ٣٥) والنار ذات حرور لقوله عزوجل: «قل نار جهنّم أشد حرّاً» التوبة: ٨١) ٢ - عن ابن عباس: أي لايستوي ظل الليل وحرّ سموم النهار. وقيل: الظل سواد الليل، والحرور حرارة الشمس في النهار. ٢ - عن الأخفش: الحرور لايكون إلّا مع شمس النهار، والسموم يكون بالليل. وقيل: بالعكس. ٣ - عن رؤبة: الحرور تكون بالنهار خاصة، والسموم يكون بالليل خاصة. وعنه أيضاً: عكس ذلك بأن الظل إنّما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه اريد بالحرور الذي يوجد في حال وجود الظل.

٤ - عن الفرآء: السموم لايكون إلّا بالنهار والحرور يكون في الليل والنهار. فالسموم يكون بالنهار فقط، والحرور أعمّ. ٥ - قيل: الظل يكون بالليل فالمؤمن بايمانه كمن هو في ظل وراحة والكافر في كفره كمن هو في حرّ وتعب. ٦ - قيل: الظل كلّما له ظل، والحرور كلّما له حرارة. عن قطرب: الظل: البرد، والحرور: الحرّ. وقيل: الحرور بمنزلة السموم وهي الرياح الحارة والجوّ المتوهّج بالحرارة. ٧ - قيل: السموم والحرور يكون بالليل والنهار. ٨ - قيل: الظل: الثواب، والحرور: العقاب. ٩ - قيل: أي لا تستوي الحسنة والسيئة.

أقول: إنّ الآية الكريمة كسابقها ولاحقها تمثيل لأهل الحق والباطل، ومن المعلوم أن الحق مع عليّ عليه السّلام وعليّ مع الحق يدور حيثما دار، وأنّ الباطل مَن خالفه أينما كان... والروايات في المقام مستفيضة.

٢٢ - (وما يستوي الأحيآء ولا الأموات إن الله يسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في

القبور)

وفي الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن قتيبة: الأحيآء: العقلآء والأموات الجهال. ٢ ـ عن قتادة: هذه كلّها أمثال أي كما لا تستوي هذه الأشيآء كذلك لايستوي الكافر والمؤمن فأراد نفس الأعمى والبصير، والظل والحرور والظلمات والنور والأحيآء والأموات على طريق ضرب المثل أي كما لا تستوي هذه الأشيآء، ولا تتماثل ولا تتشاكل، فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة غيره، ولايستوي المؤمن والكافر والحق والباطل، والعالم والجاهل... ٣ ـ قيل: الأحيآء هم العلمآء العاملون، والأموات هم العلمآء الفاجرون والسفهآء. ٤ ـ قيل: أي ومايستوي المؤمنون الذين آمنوا بما أنزل الله تعالى، والأموات الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات، فأخّرهم عن الأموات لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين.

٥ ـ قيل: الأحيآء: القلوب المؤمنة بالله ورسوله وكتابه، والأموات: القلوب الكافرة بالله ورسوله وكتابه لغلبة الكفر عليها حتّى صارت كالميّت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال. فالمؤمن عبد حيّ، حيّ الأثر، حيّ البصر، حيّ النيّة، حيّ العمل، والكافر عبد ميّت، ميّت البصر، ميّت القلب، ميّت العمل، فالمؤمن حيّ بايمانه والكافر ميّت بكفره لقوله عزوجل: «أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات» الأنعام: ١٢٢) فمن اهتدى بهدى الله تعالى واستجاب دعوته فهو على نور يمشي به في الناس، ومن ضلّ ولم يستجب إلى دعوته فهو في الحقيقة كالميّت في القبور فهما ضدّان لايجتمعان لان الحياة والموت متضادّة الماهية ومختلفة الطبائع من الأساس كالنور والظلمة، حيث ان الكفر موت في الضمير و إنقطاع عن مصدر الحياة الأصيل، وان الايمان حياة واتصال بمصدر الحياة الأصيل لقوله تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة» النحل: ٩٧).

أقول: ولكل وجه والمعاني متقارب.

وفي قوله تعالى: «إن الله يسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في القبور» أقوال: ١ - قيل: إنّ مشركي مكة بالنسبة إلى سماعهم كلام الوحي والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. دون حال الموتى، فانّ الله عزو جل يسمع الموتى، والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لايسمع من مات وقبر، فالموتى سامعون من الله تعالى، والمشركون كالموتى لايسمعون من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ٢ - قيل: ليس المراد من السماع ههنا سماع الاذن الحسّيّ، وإنّما المراد بالسماع ههنا، سماع اذن القلب المعنوي كما أنّ إسماع مَن في القبور ليس باذن الرأس، إذ ليس للميّت اذن، وإنّما المراد به اذن البرزخي المعنوي يرتبط بالأرواح والتموّج النفساني، ومن ثمّ يلقن الميّت بألفاظ عربية، والميّت عجميّ ما كان يعرف اللغات العربيّة حياً أصلاً، وإنّما اختلاف الألفاظ والألسنة واللغات بالنسبة إلى اذن الرأس الحسّيّ لا اذن القلب المعنوي الذي يعرف صاحبه كل لغة ولسان...

٣ - قيل: فيه تسلية للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك ان الله تعالى لما بيّن لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه لاينفعهم ولايسمعهم قال له صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ هؤلآء لايسمعهم إلّا الله تعالى، فانه يُسمع من يشآء ولو كان في صخرة صمّآء، وأما أنت فلا تسمع من في القبور. ٤ - قيل: إنّ الله يسمع من يشآء ممن استعدّ نفسه للهداية والايمان بالتوبة والانابة إلى الله تعالى كمن استهدى، وما أنت تهدي من لا يستهدي. ٥ - قيل: أي يُسمِعُ الله أوليآئه الذين خلقهم للجنّة، وما أنت بمسمع الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم، فكما لا تسمع من مات، كذلك لا تسمع من مات قلبه، فانهم بمنزلة أهل القبور في أنهم لاينتفعون بما يسمعونه ولايقبلونه. ولم يرد به نفي حقيقة الاسماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله تعالى.

٦ - قيل: إنّ الله ينفع بالاسماع من يشآء هدايته، فيلطف له، ويوفّقه للهداية، ولفهم آياته والاتعاظ بعظاته، فيجيبه بالايمان، وأمّا الكفار الذين هم بمنزلة الموتى في القبور، فلا تقدر على أن تنفعهم باسماعك إياهم كتاب الله تعالى إذ لم يقبلوا وما

أجابوا نداَء فطرتهم، كما لا تسمع من في القبور من الأموات... فالكفار المطبوع على قلوبهم الذين يصرّون على الكفر، ويجادلون في آيات الله جل وعلا هم كالموتى لايسمعون نصيحة ولايهتدون بعظة، ولايدينون بأيّ دين ولايفهمون أيّة لغة إلّا لغة: «أنا ومن بعدي الطوفان».

أقول: وعلى السادس أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الاخر فتأمل جيداً.

٢٤ - (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من امّة إلّا خلا فيها نذير)

في قوله تعالى: «وإن من امة إلّا فيها نذير» أقوال: ١ - قيل: أي وما مضى على امة من الامم الماضية غير العرب إلّا جاَء فيهم نذير منهم ومن غيرهم ينذرهم، فأنت مثلهم نذير لمن جحد وطغى، بشير لمن وحّد وأطاع، فهو رسول إليهم كما أُرسِلَ نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى العرب والعجم. ٢ - قيل: أي وماخلت امّة من بني آدم عليه السلام إلّا سلف فيها نبيّ أو وصيّ نبيّ من أنفسهم أو من غيرهم فان لكل زمان إماماً ينذر الناس. فالآية الكريمة خاصة بالبشر المكلفين. ٣ - قيل: أي وما من قرون سلفت من الجن والانس إلّا جاَء من أنفسهم فيها نبي ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله تعالى، فان كل امة لها رسول من الجن والانس، ينذرهم إذا كذبوا بآيات الله، ويبشّرهم إذا آمنوا بها. فالآية الكريمة شاملة للانس والجن لأن كلا الجنسين مكلّفون لقوله تعالى: «سنفرغ لكم أيّها الثقلان» الرحمن: ٣١) ٤ - قيل: أي وإن من امّة من الجن والانس والحيوان إلّا مضى فيها نبي يخوّفهم إذا عصوا الله تعالى لقوله عزّوجل: «وما من دابة في الأرض ولا طآئر يطير بجناحيه إلّا امم أمثالكم» الأنعام: ٣٨) فالآية الكريمة شاملة للانس والجن والحيوان على أنواعها... كل بحسبه فلكل شرآئط التكليف ماينا سبه، وإن فقدان شرآئط تكليف الانسان للحيوان لاينفي التكليف عنه كما قيل كما أن للجن شرآئط غير مايكون للانسان. ٥ - قيل: أي وما من امة أهل عصر إلّا مضى فيها نذير من نبيّ أو عالم ديني غير نبيّ ينذر الكافرين بالعذاب،

ويبشّر المؤمنين بالثواب، فان لكل جيل اناساً يبشرون ويخوّفون لتنتظم شئون الناس وان العالم الديني نذير لقوله تعالى: «ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» التوبة: ١٢٢).

٦ ـ قيل: أي وما مضى على امة من الامم الانسانية من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة إلّا جآء فيها منهم أو من غيرهم، نبيّ مرسل أو كتاب منزل أو حجة قائمة أو سنة عادلة أو عالم بدين الله تعالى أو عقل خالص من الشوآئب... ينذرهم إذا عصوا الله ويبشرهم إذا أطاعوه وذلك سنة من سنن الله عزوجل الجارية في خلقه.

أقول: والأول هو الأنسب بظاهر السياق، ولكن أكثر سآئر الأقوال لاتخلو من وجوه فتأمل جيداً.

٢٥ ـ (وإن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جآءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير)

في «وإن يكذّبوك» أقوال: ١ ـ قيل: أي وإن يكذّبك أهل مكّة من قريش وغيرهم ٢ ـ قيل: أي وإن يكذّبك مشركو قومك من كفار قريش. ٣ ـ قيل: أي وإن يكذّبك الكفار من أهل مكة وغيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم...

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين ولكن التعميم غير بعيد.

وفي قوله عزوجل: «بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير» أقوال: ١ ـ عن قتادة: البيّنات والزبر أي الكتب السماوية النازلة على أنبياء الله، والكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق من عند الله. ٢ ـ قيل: البيّنات هي الحجج واضحة الدلالة من الله تعالى، والزبر هي الكتب النازلة من عند الله، وإنّما كرر ذكر الكتاب وعطف عليه لاختلاف الصنفين لأنّ الزبر الكتابة الثابتة كالنقر في الحجر. وقيل: البينات: هي الحجج الواضحة الدّالة على صدق الأنبيآء وصحّة رسالاتهم، وحقّيّة مدّعاهم، وحقيقة

قولهم كما كانوا يقترحون ويطلبون منهم، والزبر هي الكتب التي فيها الحكم والمواعظ والزواجر، والكتاب المنير: الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه. وقيل: المنير: الهادي إلى الحق.

٣ ـ قيل: البينات أي الآيات المعجزات المادية، البيّنة الشاهدة على نبوّاتهم... والزبر: ماكان ينزل على الأنبيآء من آيات الله تحمل عظات وعبراً وبشريات ونذراً والكتاب المنير: الكتاب المنزل على موسى عليه السلام والكتاب المنزل على عيسى عليه السلام لا الكتاب المحرّف الذي بيد اليهود والنصارى. ٤ ـ قيل: البيّنات ـ جمع البينة ـ من أبان بمعنى ظهر وهي تطلق على المعجزة لوضوح كونها من الله تعالى، وايضاحها ماتدل على صدق من ارسل منه تعالى كما تطلق أيضاً على أحكام الرسالة لأنّها ظاهرة على كل ذي حسّ عاقل غير مشوبة ذهنه بالأوهام... والزبر: الصحف كصحف إبراهيم عليه السلام والكتاب المنير: هو التوراة والانجيل. وقال الزجاج: الزبر ـ جمع زبور ـ وهو كل كتاب فيه حكمة والكتاب المنير: هو توراة موسى وانجيل عيسى عليه السلام ٥ ـ قيل: البيّنات: الحجج القاطعة العذر، والأدلة الباهرة العقل، والآيات المعجزة الخلق والزبر: الصحائف والكتب التي فيها ذكر الله جل وعلا من غير أن تتضمّن الأحكام والشرائع... والكتاب المنير: الكتاب المنزل من السمآء المتضمّن للشرائع والأحكام ككتاب نوح وإبراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى عليهم السلام ٦ ـ قيل: البيّنات هي الدلالات والاشارات، والزبر: الكتب المزبورة أي المكتوبة والكتاب المنير هو التوراة كقوله تعالى: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور» المآئدة: ٤٤).

٧ ـ قيل: البيّنات هي معجزات الأنبيآء الدالة على صدقهم، وهي غير كتابهم النازل عليهم لأن الكتب السماوية النازلة على الأنبيآء غير نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما كانت معجزة لهم، والزبر: هي الصحف النازلة التي كانت فيها الحكم والمواعظ وللزواجر... والكتاب المنير هو النازل الذي فيه الشرائع والأحكام... إذ يعلم من عطف «الزبر والكتاب» على «البيّنات» أنّ معجزات غير نبيّنا محمّد صلّى

الله عليه وآله وسلّم من الأنبياء عليهم صلوات الله كانت مغايرة لكتبهم، إذ كانت معجزاتهم مختصّة بأزمنتهم، وكانت الحكم والمواعظ والزواجر... غيرمنضمة بكتابهم الذي فيه شرائعهم وأحكامهم، بخلاف القرآن الكريم الذي كان معجزة لنبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في زمنه وفي كل زمان إلى يوم القيامة، وفيه الحكم والأحكام، والشرائع والمواعظ، والقوانين والزواجر معاً لأنّه الجامع لجميع الكتب السماوية والصحف النازلة على الأنبياء والمرسلين وماجاؤا به من المعجزات لصدق نبواتهم وصحة رسالاتهم، وحقيّة مدعاهم من آدم إلى عيسى بن مريم عليهم السلام وهذا من خصائص القرآن الكريم ولذلك كان معجزة خالدة لدين خالد، وقد كانت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معجزة في زمنه صلّى الله عليه وآله وسلّم غير القرآن الكريم أيضاً لصدق دعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر من الأنبيآء الماضين، وقدكان يوحى إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم غير القرآن الكريم كان فيه الحكم والاحكام، والشرائع والمواعظ... تسمّى بالسّنّة النبويّة.

أقول: والسابع هو المستفاد من سور طرفي هذه السورة نزولاً ومصحفاً فتدبّر واغتنم فانه لطيف دقيق جدّاً.

٢٧ ـ (ألم تر أن الله أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)

في قوله عزّوجل: «ثمرات مختلفاً ألوانها» أقوال: ١ ـ قيل: إن المراد باختلاف ألوان الثمرات إختلاف نفس ألوانها من نوع واحد من أنواعها... بأن لنوع واحد من أنواع الثمرات ألواناً مختلفة بعضها أخضر، وبعضها أحمر وبعضها أصفر، وغيرها من الألوان... ويلزمه اختلافات أُخَر من حيث الطعم والرآئحة والخواص... فلنوع التفاح مثلاً ألوان وطعوم وروآئح وخواص مختلفة... ٢ ـ قيل: إن المراد باختلاف ألوان الثمرات إختلاف أصنافها وأجناسها وأنواعها من العنب والتمر والتفاح والرمان

والتين والبطيخ والحنطة والشعير والأرز... ولكل واحد أنواع وألوان وطعوم وروائح وخواص... ٣ ـ قيل: اريد باختلاف ألوانها الثمرات إختلاف هيآتها وأشكالها و هندستها من المدوّر والطويل والصغير والكبير...

٤ ـ قيل: اريد باختلاف الألوان إختلاف الأنواع... فان كثيراً ما يطلق اللون في الفواكه والأطعمة على النوع كما يقال: قدّم فلان ألواناً من الطعام والفاكهة فهو من الكناية. ٥ ـ قيل: اريد باختلاف الألوان إختلاف طعومها وروائحها من الحلو والمرّة والحمض... واقتصر على ذكر الألوان لأنها أظهر، ولدلالة الكلام على الطعوم والروائح...

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

وفي قوله تعالى: «ومن الجبال جدد بيض وحمر» أقوال: ١ ـ قيل: أي طريق في الجبل وغيره بيض وصفر وحمر مختلف ألوانها بالشدّة والضعف. ٢ ـ قيل: الجُدَد ـ جمع جُدَة ـ وهي **الطرائق** المختلفة الألوان... كذلك من حمر وبيض وسود. أي طرائق تخالف لون الجبال ومنه قولهم: ركب فلان جُدَةً في الأمر: إذا رآى فيه رأياً. ٣ ـ عن إبن بحر: الجُدَد: القِطَع مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعته أي من الجبال قِطَع بعضها بيض و بعضها حمر، مختلف ألوانها بالشدة والضعف وذلك ان البياض والحمر يتفاوتان بالشدة والضعف، فربّ أبيض أشدّ من أبيض، وأحمر أشد من أحمر فنفس البياض مختلف، وكذا الحمرة، فلذلك جمع ألوانها فيكون اللون قابلاً للتشكيك. ٤ ـ عن الجوهري: الجُدَة: هي الخطّة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. والمعنى: وفي بعض الجبال خطوط تخالف لونه ومنه: كسآء مجدّد فيه: خطوط مختلفة لونها يخالف لونها.

٥ ـ قيل: الجدَدَ ـ بفتحتين ـ الطريق الواضح المسفر، وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض. وقال المبرّد: الجُدَد: الطرآئق والخطوط فالجدد هي ألوان الطرق. وقال الفرّآء: هي الطرآئق التي تكون في الجبال كالعروق التي بعضها بيض وبعضها حمر وبعضها سود. ٦ ـ قيل: إن المراد بالجدد البيض والحمر

نفس الجبال التي هي خطوط مختلفة ممدودة على وجه الأرض بيض وحمر وسود مختلف ألوانها. ٧ ـ قيل: في الكلام تقدير: أي من الجبال ذو جدد بيض وحمر مختلف ألوانها في البياض والحمرة لأن الأبيض قديكون على لون الجصّ، وقديكون أدنى من ذلك، وكذلك الحمرة. وانّ الجدد كلها على لونين: بياض وحمرة، فالبياض والحمرة وإن كانا لونين إلّا انهما جمعا باعتبار محلهما.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر السياق، وخاصّة جمع «جدد وبيض وحمر» وتنكيرها في مقام البيان والتعريف.

وفي قوله تعالى: «غرابيب سود» أقوال: ١ ـ عن أبي عبيدة: **الغربيب**: الشديد السواد والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب: أسود غربيب. وفي الكلام تقديم وتأخير والمعنى: ومن الجبال سود غرابيب ٢ ـ عن الجوهري: تقول: هذا أسود غربيب أي شديد السواد، وإذا قلت: غرابيب سود تجعل السود بدلاً من غرابيب لأن توكيد الألوان لايتقدّم. وقيل: أي من الجبال ذوطرق مختلفة اللون، ومنها غرابيب متحدة اللون. ٣ ـ قيل: أي صخور شديدة السواد يقال كثيراً: أسود غربيب وقليلاً: غربيب اسود.

أقول: والمعاني متقارب.

٢٨ ـ (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماء إنّ الله عزيز غفور)

في قوله تعالى: «والدواب والأنعام» أقوال: ١ ـ قيل: الدوابّ: الطيور والأنعام: الابل والبقر والغنم. ٢ ـ قيل: الدواب: الحشرات والانعام كالابل والبقر والغنم. ٣ ـ قيل: الدوابّ كلّما يدبّ على الأرض والجو والبحر والبرّ غير الانسان، ومن الدواب الأنعام، فذكر «الأنعام» بعد «الدواب» من قبيل ذكر الخاص بعد العام. ٤ ـ قيل: إن المراد بالدابّة: الفرس، فجعله لشرفه رديف الناس، فذكر الأنعام بعد الدابة من

ذكر العام بعد الخاص. ٥ ـ قيل: الدابّة كل مادبّ على الأرض، و منه الناس والأنعام، فذكر الدابة بعد الناس من قبيل ذكر العام بعد الخاص، وذكر الأنعام بعد الدابة من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السياق والبلاغة.

وفي قوله عزوجل: «كذلك» أقوال: ١ ـ قيل: هنا تمّ الكلام أي كذلك تختلف أحوال الناس في الخشية ثم استأنف فقال: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» ٢ ـ قيل: تختلف ألوان الناس والدوابّ والأنعام كاختلاف الثمرات والجبال في ألوانها. ٣ ـ قيل: «كذلك» خبر لمبتدآء محذوف والتقدير: الأمر كذلك فهو تقدير إجماليّ للتفصيل المتقدّم من إختلاف الثمرات والجبال والناس والدواب والأنعام في الألوان. ٤ ـ قيل: «كذلك» متعلق بقوله: «يخشى» إشارة إلى ماتقدّم من الاعتبار بالثمرات والجبال وغيرهما، والمعنى: إنّما يخشى الله كذلك الاعتبار بالآيات من عباده العلمآء.

أقول: والثاني هو الأنسب بفصاحة الكلام وفي معناه الثالث من الأقوال.

وفي قوله جل وعلا: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» أقوال: ١ ـ قيل: إنّما شرط الخشية هو معرفة من يخشى منه والعلم بصفاته وأفعاله، فمن عرف الله تعالى وعلم بصفاته وأفعاله حق معرفته، فهو يخشى منه جل وعلا سوآء أكان عالماً دينياً أم لا، فمن لايعرف الله عزوجل حق معرفته فايمانه ليس ايمان مستقر، فلايخشى منه تعالى حق الخشية وإن كان عالماً دينياً وبلغ من العلم والاجتهاد مابلغ كعلمآء السوء الذين هم ذئاب في لباس الكبش، فملاك الخشية هو المعرفة بالله جل وعلا والعلم بصفاته وأفعاله، لاالعلم والاجتهاد في أحكامه... وإنّما الخشية على مقدار الكمال، فمن كان أعرف بالله تعالى وأعلم بصفاته وأفعاله في نظام الكون ونواميس الوجود كان أخشى منه جل وعلا.

٢ ـ قيل: هم المؤمنون من العلمآء بأنهم كانوا مؤمنين قبل أن يكونوا عالمين وهم الذين يعملون بما علموا وإليهم أشار جل وعلا بقوله: «يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته ـ ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» آل‌عمران: ١٠٢ ـ ١٠٤) وبقوله: «وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلو نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون» التوبة: ١٢٢).

٣ ـ قيل: هم الذين اوتوا العلم من غير تعلّم متداول في حوزات العلوم الدينيّة كالذين قال الله تعالى فيهم: «واتّقوا الله ويعلّمكم الله» البقرة: ٢٨٢) وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشآء» ٤ ـ قيل: العلماء: كل من يعلم بأنّ الله تعالى على كل شيء قدير. ٥ ـ قيل: العلمآء ههنا: هم الذين آمنوا بالله وحده ولم يرتابوا وأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، وحفظوا أحكامه، واجتنبوا عن معاصيه، وخشوا الرحمن بالغيب، وان الخشية حق الخشية هي التي تحول بين العبد، وبين معصية الله تعالى.

٦ ـ قيل: إنّما العلمآء ثلاث طوآئف: عالم بالله تعالى وعالم بأوامره ونواهيه، وعالم بحدوده وفرائضه... وهو الذي يخشى الله جل وعلا. الثاني: عالم بالله عزّوجل، وليس عالماً بأوامر الله تعالى ونواهيه، فهو يخشى الله جل وعلا ولا يعلم حدوده وفرآئضه... الثالث: عالم بأوامر الله عزوجل ونواهيه، وبحدوده وفرائضه، وليس عالماً بالله جل وعلا ولا بصفاته وأفعاله فهو لا يخشى الله تعالى، والمراد بالعلمآء في المقام هم الذين يعملون بما يعلمون. ٧ ـ قيل: ان الجملة شاملة لطبقتي العلمآء في العلوم الدينية والدنيوية على السوآء لأنّهم في معرض إدراك مافي مظاهر الخلق ونواميس كونه من دقة و إبداع ونظام وتنوّع.

٨ ـ قيل: إنّ الجملة تعمّ لطبقة النبهآء والعقلآء والمستنيرين والواعين، وإن لم يكن أفرادها متعمقين في العلم، فان جميع هؤلآء من الذين في قدرتهم إدراك ذلك سوآء أكان من ناحية القابلية العقلية. أم من ناحية الوقوف والاطلاع أو من ناحية القدرة على إعمال الفكر والنظر والنفوذ إلى حقائق الكون ونواميس الوجود ومشاهدة

آثارها...

أقول: إن السياق وخاصة الآية التالية، والروايات الواردة في المقام تؤيد الأول، وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر، فتأمل جيداً فان المقام مزلّة الأقدام نعوذ بالله جل وعلا منها.

٢٩ - (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

في **«الذين يتلون كتاب الله»** أقوال: ١ - قيل: هذه حال العالمين بكتاب الله تعالى، والعاملين بما فيه من الفرائض والأحكام والحدود، وهم العلماء الذين يخشون الله عزوجل سبق ذكرهم آنفاً، وهم يداومون على قرآئة كتابه، متفكّرين في آياته... وانهم كاملون في العلم والايمان، فانّ الخشية تشير إلى عمل القلب، وتلاوة القرآن الكريم تشير إلى عمل اللسان وإقامة الصلاة تشير إلى عمل الجوارح، والانفاق يشير إلى الشفقة على خلق الله تعالى، ورجآء التجارة يشير إلى الاخلاص في العقآئد والأعمال وحسن الأخلاق... ٢ - قيل: هذه حال الذين هم كاملون في الايمان الذين اجتمعت فيهم أركان الايمان من الاعتقاد بالجنان، والاقرار باللسان، والعمل بالأركان... وهم أقل درجة من العلمآء المذكورين قبلهم. ٣ - عن مطرف بن عبد الله: إن هذه حال القرّآء المؤمنين لامطلق القرّآء فانّ كم من قارئ القرآن الكريم، والقرآن يلعنه. ولاالمؤمنون غير القارئين.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين وهو المؤيد بظاهر السياق.

٣٠ - (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور)

في **«من فضله»** أقوال: ١ - أي ويزيدهم من فضله على ما يقابل أعمالهم... بأن يزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم لأنه تعالى وعد بأن يعطى الواحد عشرة

في قوله عزوجل: «من جآء بالحسنة فله عشر أمثالها» الأنعام: ١٦٠) فالمراد بالزيادة تضعيف الثواب أضعافاً كما في قوله تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مأة حبّة والله يضاعف لمن يشآء والله واسع عليم» البقرة: ٢٦١).

٢ ـ قيل: الزيادة من فضله تعالى هي الشفاعة في الآخرة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفاً في الدنيا. ٣ ـ عن الضحاك: الزيادة لهم من فضله: أن يفسح لهم في قبورهم. ٤ ـ قيل: ان المراد بالزيادة ليست من سنخ الثواب لأعمالهم كما في قوله تعالى: «لهم ما يشآؤن ولدينا مزيد» ق: ٣٥) ٥ ـ قيل: الزيادة ليست من سنخ ثواب الأعمال.

أقول: والثاني هو المروي ولسائر الأقوال وجه من غيرتناف بينها.

وفي «شكور» أقوال: ١ ـ قيل: أي يعامل بالاحسان معاملة الشاكر. ٢ ـ عن الجبائي: وصفه تعالى بأنّه شكور مجاز لأنّ معناه: انه يجازي على الطاعات. ٣ ـ قيل: إن «شكور» يدلّ على أنّ التالين لكتاب الله، المصلّين المنفقين هم الصالحون ولكن درجتهم أقلّ من العلماء العاملين الذين يخشون الله جل وعلا الذين ذكروا قبلهم. ٤ ـ عن الزجاج: أي شكور لطاعاتهم وحسناتهم. ٥ ـ قيل: أي لأنّه تعالى يثيبهم ويزيدهم من فضله. ٦ ـ قيل: أي لأنه يقبل اليسير والقليل من العمل الخالص، ويثيب عليه الجزيل والكثير من الثواب.

أقول: وعلى الأخير أكثر المحققين وهو الأنسب بالمبالغة وفي معناه بعض الأقوال الاخر.

٣٢ ـ (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

أقول: ان هذه الآية الكريمة من الآيات القرآنية التي جآئت فيها أقوال كثيرة، بل

هي أكثر أقوالاً من مماثلها بحيث لو ضربت الأقوال بعضها ببعض لجاوزت آلافاً، واني لست بصدد ذكر جميعها في المقام للاختصار، فنشير إلى ما هو منشأ إختلاف أنظار أكثر المفسرين:

١ ـ في قوله تعالى: «ثم» أقوال: ١ ـ قيل: هي للتراخي بحسب الاخبار بأنّ الله جل وعلا أخبر بايحآء الكتاب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم أخبر بايراث الكتاب المصطفين، وبين الخبرين فاصلة زمانية. ٢ ـ قيل: هي للتراخي الرتبي، فان رتبة الايراث بعد رتبة الايحآء. ٣ ـ قيل: هي للتراخي الزماني فانّ بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلمآء امته الذين هم ورثة الأنبيآء عليهم صلوات الله فاصلة زمانية. وقيل: إشارة إلى أنّ ما أوحى الله تعالى إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى نزول هذه الآية الكريمة إلّا بعضاً من الكتاب، وأنّ ميراث المصطفين هذا الكتاب لم يأت بعد لأن الكتاب لم يتمّ نزوله وسيتمّ ذلك بعد بضع سنين، فالعطف بـ«ثم» تفيد التراخي الزمني بين نزول هذه الآية وبين تمام نزول القرآن الكريم.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

٢ ـ في عطف «ثم» قولان: أحدهما ـ عطف على «الذي أوحينا» ثانيهما ـ عطف على «أو حينا».

أقول: وعلى الثاني أكثر المحققين وهو الأنسب بفصاحة الكلام.

٣ ـ في «أورثنا» أقوال: ١ ـ قيل: الميراث ههنا عطآء لجميع الورثة حقيقةٌ ٢ ـ قيل: الميراث في المقام للسابق حقيقة وللمقتصد والظالم مجاز. ٣ ـ قيل: ان الكتاب ميراث لأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله حقيقة وللمقتصد والظالم مجاز ٤ ـ قيل: ان الكتاب ميراث لأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله حقيقة وللعلماء الديني وللامة مجاز فانه يقال فيما صار للانسان بعد موت آخر بلافصل حقيقةً، ومع فصل مجازاً. ٥ ـ قيل: معنى الارث في المقام هو إنتهآء الحكم إلى الورثة ومصيره لهم كما قال جل وعلا: «وتلك الجنة التي اورثتموها» الزخرف: ٧٢) وقيل: معناه حكمنا بايراثه وقدّرناه. ٦ـ

قيل: الميراث هو انتقال الشيء من قوم إلى قوم بلا تعب ولامشقة كما يعطى الميراث الورثة يقال: أورثهم فلان مالاً كذا أي تركه فيهم يقومون بأمره بعده وقد كان هو القآئم بأمره المتصرّف فيه، وكذا ايراث العلم والمقام ونحوهما تركه عند غيره يقوم بأمره بعد ماكان عنده ينتفع به، فايراث المصطفين الكتاب تركه عندهم يتناولونه خلفاً عن سلف وينتفعون به.

وتصحّ هذه النسبة وإن كان القائم به بعض القوم دون كلهم قال الله عزوجل: «ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الألباب» الغافر:٥٤) وقال: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله» المآئدة: ٤٤) وقال: «وإنّ الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب» الشورى: ١٤) فبنو اسرآئيل اورثوا الكتاب وإن كان المؤدّون حقه القآئمون بأمره بعضهم لاجميعهم.

أقول: والثالث هو المؤيد بالروايات وبالسياق وخاصة قوله تعالى المتقدم: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء».

٤ ـ في «**الكتاب**» أقوال: ١ ـ عن أبي مسلم: الكتاب هو التوراة. ٢ ـ عن الجبائي: الكتاب ههنا الكتب السماوية النازلة على الأنبيآء عليهم السلام لأن الكتاب قد يطلق ويراد به الجنس فالكتاب هو مطلق الكتاب السماويّ المنزل على الأنبيآء قبل القرآن الكريم. قيل: إن قلت: كيف يجوز أن يكون المراد بالكتاب مطلق الكتاب وامّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لايتلون غير كتابهم ولا يعملون إلّا بما فيه من الأحكام والشرائع...؟ قلت: ان معناه: ثم أورثنا الايمان بالكتاب الذين اصطفينا فنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السمآء قبل القرآن وعاملون به لأن كل كتاب أنزل من السمآء قبل القرآن الكريم فانّه يأمر بالعمل بالقرآن عند نزوله، وباتباع من جآء به، وذلك عمل من أقرّ بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبما جآء به وعمل بما دعاه إليه وبما في القرآن وبما في غيره من الكتب النازلة السماوية قبل القرآن.

وكان المعنى كذلك لأن الله تعالى قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه» ثم أتبع ذلك قوله: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا» فكان معلوماً إذ كان معنى الميراث هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن امة على عهد نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غيرامته أنّ ذلك معناه، وإذ كان ذلك كذلك فبيّن أن المصطفين من عباده هم مؤمنو امّته صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد ورثوه كدين كل مؤمن يقول: الله الذي لا إلّا هو ربّي ومحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نبيّ والقرآن المنزل عليه كتابي وعليّ بن أبيطالب و أولاده المعصومون الأحد عشر أئمّتي.

٣ ـ قيل: اريد بالكتاب معانيه وعلمه وأحكامه وعقآئده، وكأن الله تعالى لما أعطى امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم القرآن وهو قد تضمّن معاني الكتب المنزلة، فكأنّه ورّث امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الكتاب الذي كان في الامم قبلنا. ٤ ـ قيل: إنّما المراد بالكتاب هو القرآن الكريم فاللام في الكتاب للعهد لما ذكر من قبل في قوله تعالى: «والذي أوحينا إليك من الكتاب» ٥ ـ قيل: الكتاب هو شهادة أن «لا إله إلّا الله».

أقول: وعلى الرابع جمهور المحققين وهو الانسب بظاهر السياق.

٥ ـ في «**الذين اصطفينا**» أقوال: ١ ـ عن الجبآئي: المصطفون هم الأنبيآء على تقدير: الذين اصطفيناهم خيرعباد من عبادنا. فان الاصطفآء هو أخذ صفوة الشيء وهو يقرب من معنى الاختيار، والفرق أن الاختيار هو أخذ الشيء من بين الأشيآء بما أنه خيرها، والاصطفآء هو أخذه من بينها بما أنّه صفوتها وخالصها، والمراد به في المقام إختياره جل وعلا لصفوة الخلق الذين تجب طاعتهم تماماً كطاعة الله جل وعلا لقوله: «وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع باذن الله» النسآء: ٦٤) وان الأنبيآء عليهم صلوات الله توارثوا الكتاب بمعنى أنه انتقل من بعضهم إلى آخر قال الله عزوجل: «وورث سليمان داود» النمل: ١٦) وقال: «يرثني ويرث من آل يعقوب» مريم: ٦) فاذا كانت

النبوة موروثة فكذلك الكتاب، فأنبيآء الله هم الذين اختارهم الله جل وعلا برسالته وكتبه. ۲ ـ عن ابن عباس: هم امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله على أنبيائه عليهم السلام وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل امّة إلاّ ان عبارة توريث الكتاب لم تكن إلاّ لامّة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والأُوَل لم يرثوه. وذلك ان امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كانوا خير امة: «كنتم خير امة اخرجت للناس» آل‌عمران: ۱۱۰) من بين الامم السابقة اورثوا القرآن الكريم الجامع لجميع الكتب السماوية المنزلة على جميع الأنبيآء عليهم السلام فقد اورثوه من نبيّهم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إليه يرجعون و به ينتفعون علمآؤهم بلاواسطة وغيرهم بواسطتهم.

۳ ـ عن أبي مسلم: هم بنو إسرائيل وهم المصطفون الداخلون في قوله عزوجل: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» آل‌عمران: ۳۳) يريد بني إسرآئيل، لأن الأنبيآء لايرثون الكتب بل يورث علمهم. ٤ ـ قيل: إن مفعول الاصطفآء مضاف مقدر كما حذف المضاف في «واسئل القرية» يوسف: ۸۲) أي اصطفينا دينهم، فبقي إصطفيناهم فحذف العائد إلى الموصول كما حذف في قوله تعالى: «ولا أقول للذين تزدري أعينكم» هود: ۳۱) أي تزدريهم فالاصطفآء إذاً موجّه إلى دينهم كما قال تعالى: «إن الله اصطفى لكم الدين» البقرة: ۱۳۲).

٥ ـ قيل: هم الأئمّة المعصومون من أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم اجمعين وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم صلوات الله في روايات كثيرة مستفيضة، فانهم أحق الناس بوصف الاصطفآء والاجتباء وايراث علم الأنبياء عليهم السلام وعلم القرآن الكريم وفيهم قال الله جل وعلا: «ومن عنده علم الكتاب» الرعد: ٤۳) وهم الراسخون في العلم: «وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم» آل‌عمران: ۷) وهم المتعبدون بحفظ القرآن الكريم: «هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه» «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف

الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم» «وعندنا أهل بيت أبواب الحكم وضيآء الأمر» وإن للكتاب لمعي مافارقته مذصحبته» هذه كلمات مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام في كونهم عدل القرآن الكريم، وقد نصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على علمهم بالقرآن المجيد وإصابة نظرهم فيه وملازمتهم وعدلهم إياه بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث المتواتر المتفق عليه: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

وهم صفوة الخلق الذين تجب طاعتهم تماماً كوجوب طاعة القرآن الكريم على السواء، فانّ طاعتهم طاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال الله عزوجل: «يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم» النسآء: ٥٩) وانهم الذين كانوا متعبدين ببيان حقآئق القرآن الكريم ومعارفه، عارفين بجلائله ودقائقه، وحافظين أسراره وحكمه...

٦ ـ قيل: هم علمآء امة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما ورد صحيحاً: «العلماء ورثة الأنبيآء» وقال الامام على عليه السلام: «العلم وراثة كريمة» والمراد بالمصطفين الوارثي القرآن الكريم هم المؤمنون من العلماء الدينيّة اشير إليهم في قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وفي قوله عزوجل: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ـ ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٤) ولا مطلق العلمآء من غير العاملين كعلماء السوء، ولاعلماء غير الدينية كعلمآء الدنيويّة.

٧ ـ قيل: المصطفون هم مطلق العلماء الدينية من امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فانهم الذين أخذ الله جل وعلا منهم ميثاق الكتاب، فهم مشتركون في أصل الوراثة، مختلفون في أنحآء الانتفاع من الارث كورّاث الأموال في الانتفاع بها، وإليهم أشار بقوله جل وعلا: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه

فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ - ١٨٨)

أقول: ان الروايات الواردة شاملة للثلاثة الأخيرة، والجمع بينها بالمراتب والحقيقة والمجاز.

٦ - في قوله: «من عبادنا» أقوال: ١ - قيل: إن «من» بيانية و «عبادنا» هم المصطفون كقوله تعالى: «قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى» النمل: ٥٩) ٢-قيل: «من لتلعيض كقوله تعالى: «وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم» النور: ٣٢) و«عبادنا» امّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وقيل: الأمم السابقة وقيل: النّاس كلّهم كقوله تعالى: «إنّ الأرض لله يورثها من يشآء من عباده والعاقبة للمتّقين» الأعراف: ١٢٨) أيّ من الناس. ٣- قيل: «من» للإبتدآء و«عبادنا» كالسابق. ٤- قيل هم جميع المؤمنين من كلّ امة.

أقول: ولكل وجه ولكن الأوجه هو الاوّل.

٧ - في قوله تعالى: «فمنهم» أقوال: ١ - عن ابن عباس والحسن وقتادة: ان الضمير في «منهم» عآئد إلى «عبادنا» والمعنى: فمن الناس أو من الامم السابقة أو من المؤمنين من كل امة ظالم وذلك انه لمّا علّق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بيّن عقيبه انّه إنّما علّق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأنّ فيهم من هو ظالم لنفسه، ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات فلا تفيد الاضافة في «عبادنا» تشريفاً، وقوله: «فمنهم» مفيد للتعليل والمعنى: إنّما أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفون لاجميع العباد لأن بعض عبادنا ظالم لنفسه، وبعضهم مقتصد وبعضهم سابق فلايصلح الكل للوراثة. ٢ - عن ابن عباس أيضاً وعكرمة: الضمير راجع إلى المصطفين من العباد، فالمعنى: فمن المصطفين ظالم لنفسه وهو الفاسق وأهل الآثام وأصحاب الأجرام وهو من النار. فالمسلمون هم الذين أورثهم الله القرآن الكريم وهم جميعاً ـ الظالم والمقتصد

والسابق- كلّهم مصطفون من الله عزوجل من بين عباد الله، فالمسلمون كلّهم فريق وسائر الناس جميعاً فريق آخرون. ٣ ـ قيل: إن الضمير راجع إلى «الذين اصطفينا» على أنّهم علماء امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فانهم ورثة الأنبياء عليهم السلام، فيكون الطوائف الثلاث: الظالم والمقتصد والسابق شركآء في الوراثة، وإن كان الوارث الحقيقي العالم بالكتاب والحافظ له هو السابق بالخيرات.

أقول: والأخير هو المؤيّد بالروايات الكثيرة... وبعدم منع نسبة الوراثة إلى الكل مع قيام البعض بها حقيقة كما في قوله تعالى: «وأورثنا بني إسرائيل الكتاب» الغافر:٥٤).

٨ ـ في قوله تعالى: «**ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**» أقوال: ١ ـ عن عائشة وعمربن الخطاب وكعب الأحبار: كلهم في الجنّة، قالت عائشة: أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالجنّة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم، وأمّا الظالم فمثلي ومثلكم. وروي عنها أيضاً قالت: السابق الذي أسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي أسلم بعد الهجرة، والظالم نحن. وقال عمربن الخطاب: سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. وقالت عائشة أيضاً: الظالم من لم يسلم إلّا بالسيف.

أقول: لوكان ظلم عمربن الخطاب وعائشة وكعب الأحبار مغفوراً لما كان للظلم مفهوم، ولن يوجد في العالم ظلم!!! كيف وقد قال الله تعالى في هذا السياق: «فذوقوا فما للظالمين من نصير»: ٣٧)؟

٢ ـ قيل: «فمنهم ظالم لنفسه» من آل محمّد غير الأئمّة وهو الجاحد للامام ولايعرف إمام زمانه، «ومنهم مقتصد» وهو يعرف إمام زمانه ويقرّبه، «ومنهم سابق بالخيرات» وهو الامام المعصوم عليه‌السلام نفسه. ٣ ـ قيل: «فمنهم ظالم لنفسه» بركوبه المآثم واجترامه المعاصي، واقترافه الفواحش وانكاره الحق «ومنهم مقتصد» أي المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسوآء الطريق، «ومنهم سابق بالخيرات» أي

من سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب فهو إمام غيره بإذن الله بسبب فعل الخيرات.

٤ ـ قيل: «فمنهم ظالم لنفسه» هو الراجح السيّئات، والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذي ترجحت حسناته. ٥ ـ قيل: الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد من تساوي ظاهره وباطنه، والسابق من كان باطنه خير من ظاهره. ٦ ـ قيل: الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه، والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف، والسابق هو الموحد الذي ينسيه التوحيد عن التوحيد. ٧ ـ قيل: الظالم صاحب الكبائر، والمقتصد صاحب الصغآئر والسابق هو المعصوم منهما. ٨ ـ قيل: الظالم هو التالي للقرآن غير العالم به وغير العامل بموجبه، والمقتصد هو التالي العالم به، والسابق هو التالي العالم العامل به.

٩ ـ عن سهل بن عبدالله: الظالم هو الجاهل، والمقتصد هو المتعلّم، والسابق هو العالم المعلّم. ١٠ ـ عن مجاهد وقتادة: «فمنهم ظالم لنفسه» أصحاب المشئمة «ومنهم مقتصد» أصحاب الميمنة «ومنهم سابق بالخيرات» هم السابقون المقرّبون من الناس كلهم كما قال الله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلاثة» الواقعة: ٧) وعن عكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك والفرّآء وابن عباس: ان الظالم لنفسه هو المنافق والمقتصد هو المؤمن العاصي والسابق هو التقيّ على الاطلاق. ثم قالوا: وهذه الآية نظير قوله تعالى في سورة الواقعة: «وكنتم أزواجاً ثلاثة» وقالوا: وبعيد أن يكون الظالم ممن اصطفاه للوراثة.

وقال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة، أما الدنيا فكانوا مؤمن ومنافق ومشرك ، وأما عند الموت فان الله تعالى قال: «فأما إن كان من المقرّبين فروح وريحان وجنّة نعيم» و«أما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم» وأما في الآخرة فكانوا أزواجاً ثلاثة وأصحاب الميمنة ما

أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقرّبون.

١١ ـ قيل: الظالم هو الذي يحاسب حساباً شديداً يوم القيامة فيدخل النار، والمقتصد هو الذي يحاسب حساباً يسيراً فيدخل الجنة، والسابق هو الذي يدخل الجنّة بغير حساب. ١٢ ـ قيل: الظالم أهل النار، والمقتصد أصحاب الأعراف والسابق أهل الجنّة. ١٣ ـ قيل: الظالم هو المصرّ على المعصية، والمقتصد هو النادم التآئب، والسابق هو غير العاصي. ١٤ ـ قيل: الظالم هو الكافر المشرك ان الشرك لظلم عظيم، والمقتصد هو المسلم، والسابق هو المؤمن. ١٥ ـ قيل: الظالم هو الذي أخذ القرآن ولم يعمل به، والمقتصد هو الذي يعمل به، والسابق هو الذي أخذه وعمل به ويبيّن للناس العمل به.

١٦ ـ قيل: الظالم من خالف الأوامر والنواهي، فوضع كل واحد منهما في غير محلهما، والمقتصد هو الساعي في ترك المخالفة وإن صدر منه ذنب قليلاً، والسابق هو الذي لم يخالف أبداً. ١٧ ـ قيل: الظالم هو صاحب الكبآئر الذي يستحق النار، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة، والسابق هو المستحق لدخول الجنة. ١٨ ـ عن ذي النون المصرى: الظالم من يذكر الله تعالى بلسانه فقط، والمقتصد من يذكر الله تعالى بقلبه فقط، والسابق من يذكر الله تعالى بهما معاً ولاينساه قطّ. ١٩ ـ عن الأنطاكي: الظالم صاحب الأقوال بلاعمل ولااعتقاد، والمقتصد صاحب الأقوال والأعمال بلا اعتقاد، والسابق صاحب الأقوال والأفعال والاعتقاد فهو الجامع لامور ثلاثة يشترط في الايمان الكامل.

٢٠ ـ عن إبن عطآء: الظالم هو الذي يحبّ الله تعالى لأجل الدنيا، والمقتصد يحبّه لأجل العقبى، والسابق يحبّه لكونه جل وعلا أهلاً لأن يحبه العبد، وأسقط مراده بمراد الحق ٢١ ـ قيل: الظالم هو الذي يعبد الله خوفاً من ناره، والمقتصد هو الذي يعبده طمعاً في جنّته، والسابق هو الّذي يعبد الله

لكونه تعالى أهلاً للعبادة لالسبب آخر. ٢٢ ـ قيل: الظالم هو الّذي يحبّ نفسه، والمقتصد هو الّذي يحبّ دينه، والسابق هو الذي يحبّ ربّه. ٢٣ ـ قيل: الظالم الذي ينتصف ولاينصف، والمقتصد هو الذي ينتصف وينصف والسابق هو الذي ينصف ولاينتصف. ٢٤ ـ قيل: إنّ الظلم يصدق على من ظلم لنفسه بمجرد إحرامها للحظّ والتفويت ما هو خير لها فتارك الإستكثار من الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار مافوّتها من الثواب، وإن كان قائماً بما أوجب الله تعالى عليه تاركاً لما نهاه الله جل وعلا عنه، فهو من هذه الحيثية ممن اصطفاه الله ومن أهل الجنة.

فلا اشكال في هذه الآية الكريمة ومن هذا قول آدم عليه السلام: «ربنا ظلمنا أنفسنا» الأعراف: ٢٣) وقول موسى عليه السلام: «رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي» القصص: ١٦).

وقول يونس عليه السلام: «إنّي كنت من الظالمين» الأنبيآء: ٨٧).

وأما المقتصد فهو المؤمن الذي يتوسّط في أمر الدين ولايميل إلى جانب الافراط ولا إلى جانب التفريط، وهذا من أهل الجنّة بلا ريب، وأما السابق فهو الذي سبق غيره في امور الدين وهو خير الثلاثة. ٢٥ ـ قيل: «فمنهم ظالم لنفسه» بالصغائر، «ومنهم مقتصد» بالطاعات في الدرجة الوسطى، «ومنهم سابق بالخيرات» في الدرجات العليا. عن جعفر بن حرب ومحمّد بن يزيد: الظالم الذي عمل الصغائر، والمقتصد هو الذي يعطى الدنيا حقّها، والسابق هو الذي يُعطي الآخرة حقها. ٢٦ ـ عن ابن عباس أيضاً: الظالم هو الكافر والمقتصد هو المسلم والسابق هو المؤمن والناجي هو المسلم والمؤمن اللذان يدخلان الجنّة. ٢٧ ـ عن الحسن: الظالم هو الفاسق الذي يدخل النار دون المقتصد والسابق فانهما يدخلان الجنّة. ٢٨ ـ عن ابن عباس أيضاً: الظالم هو المنافق، والمقتصد والسابق من جميع الناس. ٢٩ ـ عن الحسن: «فمنهم ظالم لنفسه» هم المنافقون، و«منهم مقتصد» هم التابعون و«منهم سابق بالخيرات»

هم الصحابة.

٣٠ ـ عن الضحاك : «فمنهم ظالم لنفسه» هم من ذرّية المصطفين وهم المشركون منهم. ٣١ ـ عن الحسن ايضاً: أي من أمم الانبياء المصطفين ظالم لنفسه. ٣٢ ـ قيل: الظالم هو الزاهد في الدنيا لأنه ظلم نفسه فترك لها حظاً وهي المعرفة والمحبّة، والمقتصد هو العارف والسابق هو المحب. ٣٣ ـ قيل: الظالم الذي يجزع عند البلآء، والمقتصد الذي يصبر على البلاء و السابق الذي يتلذّذ بالبلاء. ٣٤ ـ قيل: الظالم هو الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد هو الذي يعبد الله على الرغبة والرهبة والسابق هو الذي يعبده على الهيبة. ٣٥ ـ قيل: الظالم الذي اعطي فمنع، والمقتصد الذي اعطي فبذل، والسابق الذي منع فشكر وآثر. وقد روي: أنّ عابدين التقيا فقال: كيف حال إخوانكم بالبصرة؟ قال: بخير إن اعطوا شكروا و إن مُنِعُوا صبروا فقال: هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ! عُبّادنا إن مُنِعُوا شكروا و إن أُعطوا آثروا.

٣٦ ـ قيل: الظالم من استغنى بما له، والمقتصد من استغنى بدينه، والسابق من استغنى بربه. ٣٧ ـ قيل: الظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيمت الصلاة لأنه ظلم نفسه الأجر، فلم يحصل لها ما حصله غيره والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذّن، والسابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذّن. ٣٨ ـ قيل: الظالم الغافل عن الصلاة حتّى يفوت الوقت والجماعة، والمقتصد الذي إن فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت، والسابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين. ٣٩ ـ قيل: «فمنهم» أي من المسلمين الوارثين للقرآن الكريم أباً عن جدّلا عن الصفوة لأن الشيء الواحد لاينقسم إلى نفسه وغيره «ظالم لنفسه» وهو المتهاون في فعل بعض الواجبات وترك بعض المحرمات، «ومنهم مقتصد» أي معتدل وهو الذي زحزح عن النار لخروجه عن عهدة ما كلّف به «ومنهم سابق بالخيرات» وهو من جاهد وضحى في سبيل الحق والدين أو ترك أثراً ينتفع به الفرد والمجتمع.

٤٠ ـ قيل: هم علماء امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم **وارثوا الكتاب** وهم

طوآئف ثلاث:

طآئفة: غلبتهم النفس الأمّارة بالسوء، وأمرتهم فأطاعوها فنبذوا كتاب الله تعالى الموروث ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون، وهم الظالمون الخائنون الذين يعبّر عنهم بعلمآء السوء والفجرة من العلماء الدينيّة.

وطائفة: تقع النفس الأمّارة بالسوء في قلوبهم فتردّدها، وهم يجاهدون أنفسهم فيغلبونها تارة، ويقعدون تارة اخرى فهم بين الغالب والمغلوب وهم المقتصدون من أصحاب النفس اللوّامة الذين يعبّر عنهم في الكتاب الموروث بالقاعدين من العلمآء.

وطائفة: وهم الذين إذا وقع الخير في أنفسهم سبقوا إليه قبل تسويل النفس، وهم القاهرون الغالبون على أنفسهم في كل حال، قد عبّر عنهم في الكتاب الموروث بالمجاهدين من العلمآء. أما الطائفة الاولى ففي نار جهنّم خالدون، وطائفتين الآخرين وعد الله تعالى الحسنى كلاً حسب سعيه. وقد أشار إليهم بقوله: «و إذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل‌عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨) وبقوله: «فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً» النسآء: ٩٥).

أقول: إن المختار في المقام هو المختار في قوله تعالى: «الذين اصطفينا» فراجع.

٩ ـ في تقديم «فمنهم ظالم لنفسه» على «ومنهم مقتصد» «ومنهم سابق بالخيرات» أقوال: ١ ـ قيل: قدّم الظالم في الذكر لكثرة عدد الظالمين من وارثي الكتاب في كل ظرف، وقلّة المقتصدين بالنسبة إلى هؤلاء الظالمين، وأما السابقون فهم أقلّ قليل في كل زمان ومكان جداً: «وقليل من عبادي الشكور» سبأ: ١٣) «انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون» هود: ١٧) «إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون» الغافر: ٦١) «بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون»

الأنبيآء: ٢٤) «بل أكثرهم لايعقلون» العنكبوت: ٦٣) «ولكن أكثركم للحق كارهون» الزخرف: ٧٨) «وأن اكثركم فاسقون» المائدة: ٥٩) «ولكن أكثرهم يجهلون» الأنعام: ١١١) «وما وجدنا لأكثرهم من عهد» الأعراف: ١٠٢) «وما يتبع أكثرهم إلّا ظناً» يونس: ٣٦) «وأكثرهم الكافرون» النحل: ٨٣) «واكثرهم كاذبون» ٢٢٣) «كان أكثرهم مشركين» الروم:٤٢) «فأعرض اكثرهم فهم لايسمعون» فصلت: ٤) «مافعلوه إلّا قليل منهم» النساء: ٦٦) «وما آمن معه إلّا قليل» هود:٤٠) «فلايؤمنون إلّا قليلاً» النسآء: ٤٦) «ولايذكرون الله إلّا قليلاً» النساء:١٤٢) «ولا تزال تطّلع على خائنة منهم إلّا قليلاً» المائدة: ١٣) «لأحتنكنّ ذريته إلّا قليلاً» الأسراء: ٦٢) «لايفقهون إلّا قليلاً» الفتح: ١٥).

٢ ـ قيل: إن التقديم في الذكر لايقتضي تشريفاً على الاطلاق بل قد يقدّم الأدنى على الأفضل للتوهين والتحقير كقوله تعالى: «وما يستوي الأعمى والبصير ولاالظلمات ولا النور» فاطر: ١٩ ـ ٢٠) ٣ ـ قيل: قدّم الظالم لتأكيد الرجآء في حقه، إذ ليس له شيء يتكل عليه إلّا رحمة ربه، وأما المقتصد فيتكل على حسن ظنّه، وأمّا السابق فعلى طاعته. ٤ ـ قيل: قدّم الظالم لئلاّ ييأس من رحمة الله تعالى وأخّر السابق لئلاّ يعجب بعمله، وأما المقتصد فهو الملازم للقصد وهو ترك الميل إلى طرفيه وهو الواسط بينهما.

٥ ـ قيل: قدّم الظالم ليخبر أنّه لايتقرّب من الله جل وعلا إلّا بصرف رحمته وكرمه، وأنّ الظلم لايؤثر في الاصطفآئية إذا كانت ثمّة عناية، ثم ذكر المقتصد لأنّه بين الخوف والرجآء ثم أخّر السابق لئلاّ يأمن أحد مكر الله سبحانه. ٦ ـ قيل: جمعهم في الاصطفآء إزالة للعلل عن العطآء لأن الاصطفآء يوجب الارث، وأما الارث فلايوجب الاصطفآء ولذلك قيل في الحكمة: صحّح النسبة ثم ادّع في الميراث. ٧ ـ قيل: قدّم الظالم ليُبعِدَه عما يعطيه السابق من «جنات عدن...» وأخّر السابق ليكون أقرب إلى ما يعطيه من الجنات والثواب، وحتميّة دخوله فيها، ونيله بما فيها كما في قوله

تعالى: «وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقرّبون في جنّات النعيم» الواقعة: ٩ - ١٢) وقد يجيء عكس ذلك كقوله عزوجل: «يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم...» آل عمران: ١٠٦)

وكما قدّم «صوامع وبيع» على «مساجد» في قوله تعالى: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً» الحج: ٤٠) لتكون صوامع وبيع أقرب إلى الهدم والخراب، وتكون المساجد أقرب إلى ذكر الله، وأما المقتصد فهو بين خوف عذاب الظالم، ورجآء ثواب السابق ليزكّي نفسه ويُحسن اعتقاده وعمله، ويصلح قوله وفعله.

٨ - قيل: إنّ الملوك إذا أرادوا الجمع بين الأشياء بالذكر قدّموا الأدنى على الأفضل كقوله تعالى: «يولج الليل في النهار» الفاطر: ١٣) ٩ - قيل: إنّما رتّبهم هذا الترتيب على حالات الناس في الطاعة والطغيان لأن أحوال الناس ثلاث: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة، فاذا عصى فهو ظالم لنفسه، وإذا تاب فهو مقتصد، وإذا صحّت توبته وكثرت مجاهدته اتصل بالله تعالى وصار من جملة السابقين.

أقول: والسابع هو الأنسب بظاهر السياق وله نظائر في القرآن الكريم، من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر فتدبّر جيداً.

١٠ - في قوله تعالى: «ذلك هو الفضل الكبير» أقوال: ١ - قيل: أي ايراثهم الكتاب هو الفضل الكبير عليهم، وإن لم يقدره الظالم لنفسه حق قدره. ٢ - قيل: أي ذلك الاصطفآء مع علمنا بعيوب الظالم لنفسه هو الفضل الكبير. ٣ - قيل: أي وعد الجنّة لهؤلاء الثلاثة هو الفضل الكبير عليهم. ٤ - قيل: أي سبوق هذا السباق من سبقه بالخيرات باذن الله تعالى هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصّراً عن منزلته في طاعة الله من الظالم لنفسه والمقتصد. ٥ - قيل: أي هذا الميراث وذاك الاصطفآء فضل كبير من الله رب العالمين عليهم وإن لم يقدرهما بعضهم حق قدرهما. ٦ - قيل: أي هذا السبق بالخيرات هو الفضل العظيم الذي لاشيء فوقه. ٧ - قيل:

أي هذا التوفيق الذي يستفاد من قوله تعالى: «باذن الله».

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسّرين وإن كان الأنسب بظاهر السياق هو الرابع وفي معناه السادس.

٣٣ ـ (جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

في قوله تعالى: «**يدخلونها**» أقوال: ١ ـ قيل: ضمير الجمع راجع إلى «سابق بالخيرات» أي يدخلها السابقون، فان الجنّة مختصّة بالسابقين، وأما المقتصد فيكون أمره موقوفاً كقوله تعالى: «وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذّبهم و إمّا يتوب عليهم» التوبة: ١٠٦) أو كقوله عزوجل: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم» التوبة: ١٠٢) فالسابقون هم الذين لم يقترفوا السيئات، والمقتصدون هم الذين اقترفوا شيئاً من السيئات ولكن حسناتهم أرجح أو استوت حسناتهم مع سيّئاتهم فعسى الله أن يتوب عليهم، فيدخلون الجنّة بالشفاعة أو بفضل من الله تعالى وأما الظالم فيحبس في المقام ثم يدخل النار. وقيل: الظالم لنفسه هو صاحب الكبائر،والمقتصد هو الذي لم يستحق الجنّة بزيادة حسناته على سيئاته... فيكون «جنات عدن يدخلونها...» للذين سبقوا بالخيرات لاغير لأن ضمير الجمع في حقيقة النظر لما يليه أولى.

٢ ـ قيل: ان الضمير راجع إلى المقتصد والسابق، وأما الظالم لنفسه فى نار جهنم أشار تعالى بقوله: «والذين كفروا نار جهنم ـ فذوقوا فما للظالمين من نصير» **الفاطر: ٣٦ـ ٣٧)**

٣ ـ قيل: ان الضمير راجع إلى هؤلاء الطوائف الثلاث: الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات وهم الذين اصطفاهم وأورثهم الكتاب، فيدخلون الجنّة على أن الظالم ههنا ليس كافرا ولافاسقاً، لأن الكافر والمنافق والفاسق لم يصطفوا ولا اصطفى دينهم، ولكن الظالم لنفسه يدخل الجنّة بفضل من الله تعالى أو بالشفاعة. وقيل: أي

بشرط العفو أو بشرط التوبة. وقد استشكل كثير من المفسرين في هذا القول بأنّ الله جل وعلا كيف جعل هذا القسم: «ظالم لنفسه» من ذلك المقسم: «الذين اصطفينا من عبادنا»؟ أي كيف يكون من اصطفاه الله ظالماً لنفسه؟ أُجيبَ عنه: ان هذا القسم راجع إلى العباد أي فمن عبادنا ظالم لنفسه لامن المصطفين الذين اورثوا الكتاب. فضمير «يدخلونها» راجع إلى المقتصد والسابق.

وقيل: إنّ المراد بالظالم لنفسه هو المقصّر في العمل بكتاب الله جل وعلا وهو **المرجوُ** لأمر الله تعالى وليس من ضرورة ورثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى: «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب» الأعراف: ١٦٩) وقوله عزوجل: «وأورثنا بنىإسرائيل الكتاب» **الغافر**:٥٣) ثم استشكل على هذا القول بأنّ ظلم النفس لايناسب الاصطفآء فاجيب عنه: إن الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغآئر، وانّ العمل الصغآئر لاينافي الاصطفآء، ولايمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنّة، ويتنعّم فيها مما يتنعم المقتصد والسابق، ووجه كونه ظالماً لنفسه انه نقصها من الثواب بما فعل من الصغآئر المغفورة له فانّه لو عمل مكان الصغآئر طاعات لكان لنفسه فيها حظّاً عظيماً. ثم استشكل بأنّ الله تعالى منع إمامة الظالم في قوله: «إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين» البقرة: ١٢٤) فكيف اصطفى الظالم لنفسه وأورثه الكتاب لهداية الناس؟ اجيب عنه: إنّما المراد بمنع إمامة الظالم هي إمامة خاصة، وان المراد في المقام إمامة عامة.

أقول: والأول هو الأنسب بسياق الكلام، والثاني هو المروي من غير تناف بينهما ولكل درجات...

٣٤ - (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربّنا لغفور شكور)

في **«الحزن»** أقوال: ١ - قيل: أي خوف النار إذ كانوا خائفين في الحياة الدنيا ان لايد خلوا الجنّة في الدار الآخرة، فكانوا محزونين. ٢ - قيل: أي خوف الموت وحزنه.

٣ ـ قيل: أي حزن الخبز والرزق حتّى كرآء الدار. ٤ ـ قيل: أي الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الحياة الدنيا. وقيل: إنّ الدنيا ومافيها من قلق تعد حزناً بالقياس إلى هذا النعيم المقيم. ٥ ـ قيل: أي الحزن الذي ينال الظالم يوم الحساب. ٦ ـ قيل: هو ما أهمّهم من خوف سوء العاقبة وشرّ المصير. ٧ ـ قيل: أي حزن الأعراض والآفات ٨ ـ قيل: أي حزن وسوسة الشيطان في الدنيا وخاصّة عند الموت. ٩ ـ أي حزن المعاش ١٠٠ ـ قيل: أي حزن زوال النعم.

١١ ـ قيل: انه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا، وبعد الموت والآخرة. ١٢ ـ قيل: الحزن هو الذي كان يتوجه إليهم في الحياة الدنيا، ومايحقّ بها من الشدآئد والنوآئب ١٣ ـ قيل: هو الذي كان قد أحاط بهم بعد الموت وقبل دخول الجنّة إشفاقاً مما اكتسبوه من السيّئات، فانهم يخافون من دخول النار إذا كانوا مستحقين لها، فاذا تفضّل الله تعالى عليهم بأن يسقط عقابهم ويدخلهم الجنّة حمدوا لله وشكروه على ذلك: ١٤ ـ قيل: أي ماكان ينالهم في دار الدنيا من أنواع الأحزان والاهتمام بأمر المعاش، والخوف من الموت وماوقع في نفوسهم لما فاتهم من متاع الحياة الدنيا، ولما ابتلوا به فيها من مصآئب وفتن، ومايقع فيها من محذور في المستقبل.

أقول: والخامس هومايساعده السياق بعد ذلك حيث قالوا: «الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب» **الفاطر: ٣٥)**

وفي قوله تعالى: «شكور» أقوال: ١ ـ قيل: أي شكور لهم على طاعتهم إيّاه، وصالح ماقدّموا في الدنيا من الأعمال... ٢ ـ قيل: أي شكور للمطيعين. ٣ ـ قيل: أي شكور لذنوب عباده إذا تابوا مجاز لهم على شكرهم لنعمه. ٤ ـ قيل: إن مكافاته تعالى لهم على الشكر لنعمه والقيام بطاعاته جرى مجرى أن يشكره لهم، و إن كان حقيقة لايجوز عليه جل وعلا من حيث كان إعترافاً بالنعمة، ولايصحّ عليه عزوجل أن يكون منعماً عليه. ٥ ـ قيل: أي يقبل اليسير من محاسن أعمالهم...

أقول: وعلى الأخير أكثر المحققين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٣٧ ـ (وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجآءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)

في قوله: «غير الذي كنّا نعمل» أقوال: ١ ـ قيل: هذا زيادة تحسّر منهم على ماعملوه من غير الصالح. ٢ ـ قيل: أي نعمل صالحاً غير الذي كنّا نحسبه صالحاً لأنهم كانوا يعملون السّيئات ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً. ٣ ـ قيل: أي نؤمن بدل الكفر ونوحّد بدل الشرك، ونطيع بدل المعصية، ونمتثل أمر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: ولكل وجه، والاطلاق شامل للجميع.

وفي قوله تعالى: «أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس ومسروق: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم: «أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر» أربعون سنة. وهذا هو المقدار الذي يمكن أن يتذكر فيه متذكر. فمن بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله تعالى. قال الله عزوجل: «حتى اذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة» الأحقاف: ١٥) في الأربعين تناهي العقل، وما قبل ذلك ومابعده منتقص عنه. ٢ ـ عن ابن عباس ومسروق أيضاً والحسن. العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة. ٣ ـ عن مجاهد: هوما بين العشرين إلى الستين. ٤ ـ عن وهب وقتادة: هذا توبيخ لابن ثماني عشرة سنة.

٥ ـ قيل: سبع عشرة سنة. ٦ ـ قيل: هو عشرون سنة. ٧ ـ قيل: سبعون سنة. ٨ ـ قيل: هو ما بعد البلوغ إلى الموت وهو فسحة من العمر كافية للتذكر لمن أراد أن يتذكر.

أقول: والثاني هو المرويّ.

وفي قوله عزوجل: «وجآءكم النذير» أقوال: ١ ـ عن ابن زيد والجبائي وجماعة: النذير هو النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم. ٢ ـ عن زيد بن عليّ: النذير هو القرآن الكريم. ٣ ـ قيل: النذير هو كمال العقل. ٤ ـ عن عكرمة وسفيان بن عيينة والفرآء: النذير هو الشيب ومنه قيل:

رأيتُ الشيبَ من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
وقائلةٍ تبيّض والغواني نوافرُ عن معاينة القتير
فقلتُ لها: المشيبُ نذير عمري ولستُ مُسَوِّداً وجهَ النذير

الغواني جمع الغانية: الجارية الحسنآء، سمّيت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة والقتير: الشيب. فشيب الرأس علامة الموت، ومصفى شعلة الحياة ينذر بقرب الموت والفنآء فكأنه قال: قد عمرناكم حتى جآءكم الشيب وهو ينذركم بقرب الموت والفنآء.

٥ ـ قيل: النذير هو موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان فانّه إنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان. ٦ ـ قيل: النذير: الحمىّ فانّها رسول الموت أي كأنّها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الحمى رآئد الموت». ٧ ـ قيل: النذير ماجآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الكتاب والسنّة. ٨ ـ قيل: النذير الرسل الذين جاؤا لينذروا قومهم.

أقول: والأول هو المؤيد بظاهر السياق على أن اللام في «النذير» للعهد لما ذكر في قوله تعالى: «إن أنت إلّا نذير إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» فاطر: ٢٣ ـ ٢٤) كما أن الثامن غير بعيد، على أن اللام للعهد لما ذكر في قوله جل وعلا: «وان من امة إلّا خلا فيها نذير»الفاطر:٢٤) إلّا ان ظاهر السياق يخاطب امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٣٩ ـ (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلّا مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً)

في قوله تعالى: «جعلكم خلائف في الأرض» أقوال: ١ ـ عن قتادة أي جعلكم معاشر الكفار امّة بعد امة، وقرناً بعد قرن وخلفاً بعد خلف، والخلف هو التالي للمتقدم ٢ ـ قيل: أي جعلكم أيها النّاس خلائف القرون الماضية بأن احدثكم بعدهم وأورثكم ماكان لهم بأن يقوم كل لاحق منهم مقام سابقه وسلطته على

التصرف والانتفاع منها كما كان السابق مسلطاً عليه، وإنّما نالواهم هذه الخلافة من جهة نوع الخلقة وهوالخلقة من طريق النسل والولادة فان هذا النوع من الخلقة يقسّم المخلوق إلى سلف وخلف.

٣ ـ قيل: أي إنّ لكل واحد من أفراد البشر ناقصاً كان أو كاملاً له نصيباً من الخلافة بقدر حصّة إنسانية، وهذه سنّة من سنن الكون ونواميس الوجود. ٤ ـ قيل: أي إليكم مقاليد التصرف في الأرض. ٤ ـ قيل: أي يخلف بعضكم بعضاً.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين، ولكن الثالث هو الأنسب باستدلال نظام الخلق على توحيد الخالق، والمدبّر في نواميس الوجود، فتدبّر جيداً فانه دقيق قدخفي على كثيرمن الباحثين!

٤٠ ـ (قل أرأيتم شركآء كم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم هم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً)

في قوله تعالى: «أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه» أقوال: ١ ـ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك، فيجعلهم على ثقة وبيّنة من أمرهم. ٢ ـ قيل: أي أم آتيناهم كتاباً بأن الله لا يعذّبهم على كفرهم فهم واثقون به. ٣ ـ قيل: أي أم أنزلنا عليهم كتاباً من السمآء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام في العبادة. ٤ ـ قيل: أي أم أنزلنا عليهم كتاباً من السمآء بأنّ لآلهتهم شأناً في الخلق وتدبير الكون.

أقول: ولكل وجه، ولكن الأنسب بظاهر السياق هو الرابع.

وفي قوله تعالى: «بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً» أقوال: ١ ـ قيل: أي أباطيل تغرّ وهي قول السادة للسفلة: إن هذه الآلهة تنفعكم في الحياة الدنيا وتقرّبكم من الله في الدار الآخرة. ٢ ـ قيل: إنّ الشيطان يعد المشركين ذلك لاحقيقة له ٣ ـ

قيل: وعدهم بأنّهم ينصرون عليهم ويشفعون لهم.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين وفي معناه الثالث.

٤١ - (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً)

في قوله تعالى: «**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**» أقوال: ١ - قيل: أي إن الله يمسك السموات والأرض من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها. ٢ - قيل: أي إن خالق السموات والأرض وممسكها هو الله إذ لا يوجد حادث إلّا بايجاده ولا يبقى إلّا ببقآئه وذلك ان حدوث الشيء وأصل تلبّسه بالوجود بعد العدم غير بقائه وتلبّسه بالوجود بعد الوجود على نحو الاستمرار فبقآء الشيء بعد حدوثه يحتاج إلى ايجاد بعد ايجاد على نحو الا تصال والاستمرار، وإبقاء الشيء بعد إحداثه كما أنه ايجاد بعد الايجاد كذلك هو تدبير لأمره، فانك إذا دقّقت النظر وجدت أنّ النظام الجاري في الكون إنّما يجري بالاحداث والابقآء فقط، والموجد والخالق هو الله عزوجل حتّى عند الخصم، فالله تعالى هو الخالق المدبّر للسموات والأرض وحده لاشريك له. فالامساك كناية عن الابقآء وهو الايجاد بعد الايجاد على سبيل الا تصال والاستمرار، والزوال هو الاضمحلال والبطلان والفساد والفنآء.

٣ - عن الزجاج وقتادة: أي إنّ الله يمنع السموات والأرض أن تزولا من كفر الكافرين وقول المشركين: اتخذ الله ولداً... وقال الكلبي: لما قالت اليهود: عزير ابن الله وقالت النصارى: المسيح ابن الله كادت السموات والأرض أن تزولا عن أمكنتها فمنعها الله من أن ينتقل شيء منها عن مكانه الذي استقرّ فيه، فينخفض أو يرتفع وأنزل هذه الآية فيه وهو كقوله تعالى: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً» مريم: ٨٨ - ٩٠) فالزوال هو الانتقال المكاني.

٤ ـ قيل: أي إن الله يحفظ السموات والأرض برباط خاص وهو ما يسمّيه العلماء نظام الجاذبية، فأجرى الله تعالى تلك الأجرام **العظيمة والأجسام الكبيرة** من الشمس والقمر والأرض والنجوم والكواكب في مدارات خاصّة بهذا النظام الذي وضع لها، فلولا ذلك لتحطمت هذه الكرات المشاهدة وزالت عن أماكنها فهو وحده أثبتها في مدارها. ٥ ـ قيل: الإمساك هو الإسكان، والزوال هو السقوط والفنآء، فالمعنى: إنّ الله يسكن السموات والأرض حالاً بعد حال، ولايقدر على تسكينهما غير الله تعالى حالاً بعد حال لأنّه تعالى وحده يسكنهما بغير عمد يرى فالسموات ساكنة باسكانه، والأرضون ساكنة بلاعمد باسكانه، وهي غير الأفلاك التي تجري فيها النجوم...

عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: إن السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قدزالت ومنعهما بهذا التسكين من أن تزولا عن مواضعهما أو تهوى أوتسقط.

عن أبي وآئل قال: جآء رجل إلى عبد الله بن عباس فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعباً فقال: ماحدّثك كعب؟ قال: حدّثني! أن السموات تدور على منكب ملك قال: فصدّقته أو كذبته؟ قال: ماصدّقته ولاكذّبته قال: لوددت انك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها كذب كعب أما ترك يهوديته بعد! إنّ الله يقول: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا».

عن إبراهيم قال: ذهب جندب البجلي من أصحاب عبدالله بن مسعود إلى كعب الأحبار يتعلّم منه العلم، فلمّا رجع قال له ابن مسعود: ما الذي أصبت من كعب؟ قال: سمعت كعباً يقول: إن السمآء تدور على قطب مثل قطب الرحى، والقطب عمود على منكب مَلَك، فقال له عبدالله: وددت أنك إنقلبت براحتك ورحلها، كذب كعب ماترك يهوديته! إن الله تعالى يقول: «إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا» إن السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قدزالت.

أقول: والخامس هو المؤيد بالروايات، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيداً.

وفي قوله تعالى: «ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» أقوال: ١ ـ عن الفرآء: أي ولئن زالتا ما أمسكهما من أحد من بعد الله تعالى أي لو اضمحلتا وفسدتا لايقدر أحد غير الله أن يمسكهما. فالامساك أي القدرة على الامساك ، والزوال أي الاضمحلال والفساد. فالمعنى: ولئن قدر أن تزولا عن مراكزهما فلايقدر أحد على إمساكهما.

٢ ـ قيل: أي ولئن زالتا يوم القيامة ما أمسكهما من أحد من بعد زوالهما. ٣ ـ قيل: أي ولئن أشرفتا على الزوال ما استطاع أحد أن يحفظهما من السقوط والفنآء إلاّ الله الخالق المدبر إذ لامفيض للوجود غير الله تعالى. فالمراد بالزوال ههنا الإشراف على الزوال فان نفس الرزوال لايجتمع معه الامساك . ٤ ـ قيل: أي ولئن زالتا عن مقرّهما ليس يسكنهما أحد ولايقدر عليه أحد بعد الله تعالى.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السياق.

٤٢ ـ (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الامم فلمّا جآءهم نذير مازادهم إلاّ نفوراً)

في **«أهدى من إحدى الامم»** أقوال: ١ ـ قيل: ليس «أهدى» للتفضيل، بل المراد: أنّا نكون أهدى مما نحن عليه من الشرك وعبادة الأصنام والأوثان... فنكون من إحدى الامم التي جائتهم رسل الله كما تقول: زيد من المسلمين. وذلك أنه ماجآء مشركي مكّة قبل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال تعالى: «وماآتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سبأ: ٤٤) وقال «لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون» يس: ٦).

٢ ـ قيل: إن «أهدى» للتفضيل، واللام في «الامم» لتعريف العهد أي امة موسى وعيسى عليهما السلام. وذلك انه لما بلغ قريشاً قبل مبعث محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن الله اليهود والنصارىٰ أتتهم

رسلهم فكذبوهم فو الله لئن أتانا رسول من عند الله لكنّا أهدى منهم إلى قبول قوله واتباعه إذ كذّبوا هم رسلهم ونتبع نحن رسولنا. وقيل: اللام لتعريف العهد أي امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وموسى وعيسى والصآبئين.

٣ - قيل: اللام لعموم العهد أي أهدى من أيّة امة تفرض ويقال فيها: إحدى الامم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة أي من كل الامم الاخرى التي خلت من قبلهم أكثر منها إنقياداً لأنبيآئها. ٤ - قيل: أي أهدى إلى قبول قوله واتباعه من احدى الامم ممن كذّب الرسل من أهل الكتاب. ٥ - قيل: أي أهدى من احدى الامم الذين هُدوا إلى قبول قول رسلهم واتبعوهم. ولم يقل: «أهدى منهم» لأنّ المعنى: أنّهم كانوا امة ماجاءهم نذير لوجآءهم نذير كانوا امة ذات نذير كاحدى تلك الامم المنذرة ثم بتصديق النذير يصيرون أهدى من التي ماثلوها وهو قوله عزوجل: «أهدى من إحدى الامم».

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين ولكن الأول والخامس غير بعيد.

٤٣ - (إستكباراً في الأرض ومكر السيئ ولايحيق المكر السيئ إلاّ بأهله فهل ينظرون إلاّ سنة الأوّلين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً)

في «**مكر السيئ**» أقوال: ١ - مكر كفار قريش ومشركين مكة بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من الهمّ بالقتل أو الاخراج أو الاثبات كما في قوله تعالى: «واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك» الأنفال: ٣٠) أي مكروا المكر السيّئ، وقد حاق بهم يوم بدر. فاضيف المصدر «مكر» إلى صفة المصدر «السيّئ» ٢ - عن قتادة: مكر السيّئ هو مكر الشرك. ٣ - قيل: هو الكفر وخدع الضعفآء وصدّهم عن الايمان ليكثر أتباعهم، فانهم كانوا يصدّون الضعفآء عن اتباع النبي عليه السلام مع كفرهم به. ٤ - قيل: هو قصد الضرر بالمؤمنين. والمكر السيئ: كل مكر أصله الكذب والخديعة، وكان تأسيسه على فساد لأن من المكر ماهو حسن وهو مكر المؤمنين

بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذي يحسن أن يمكروا بهم. وذلك ان المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة وذلك على نوعين: أحدهما ـ محمود وهو أن يتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال الله سبحانه: «ويمكر الله والله خير الماكرين» الأنفال: ٣٠) ثانيهما ـ مذموم وهو أن يتحرّى به فعل قبيح وعلى ذلك قال تعالى: «ومكر السيئ».

٥ ـ قيل: مكر السيئ ههنا هو إقسامهم بالله جهد أيمانهم وإدّعائهم: لوجاءهم نذير ليكونوا أهدى من إحدى الامم، فظهر أن لا عهد لهم مع إدّعائهم انهم أو فى الناس، ولاصدق لهم مع إدّعائهم بأنهم أصدق الناس، فكان هذا الاقسام والادعآء مكرهم. ٦ ـ قيل: هذا عام من الشرك وغيره.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السياق، وإن كان التعميم غير بعيد.

وفي «سنة الأولين» أقوال: ١ ـ قيل: اضيف المصدر «سنة» إلى مفعوله: «الأوّلين» ولذلك جعل إستقبالهم لعاقبة مكرهم وإستعجالهم العقوبة إنتظاراً لها منهم والمعنى: ان سنة الله تعالى وهي الهلاك والدمار والعقوبة والعذاب ستحل بهم في عاجل الدنيا على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللتُ بمن قبلهم من أشكالهم من الامم فانهم كانوا ينتظرون هذه السنة الجارية في الامم الماضين جزآء على كفرهم ومكرهم. ٢ ـ قيل: إن المراد بسنّة الأوّلين إستمرارهم على شركهم بالله سبحانه وإنكارهم وتكذيبهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وطغيانهم كالكفار من الامم الماضين، كأنّه قال: أنتم كفار قريش و**مشركوا** مكة تريدون الا تيان بسنة الأوّلين ودأبهم وعادتهم بالشرك والكفر والطغيان وتكذيب الرسول. ٣ ـ قيل: أي لاينظر كفار قريش **ومشركوا مكة في** مكرهم السيئ إلّا دأب الأُمم الماضين في مكرهم.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين، وإن كان الثاني والثالث لايخلوان من وجه.

وفي «سنة الله» أقوال: قيل: اضيف المصدر: «سنة» إلى فاعله: «الله» والمراد بها إنزال العذاب على أمثال المشركين من مكذّبي الرسل، بأن الله عزوجل يأتي بسنّة لا تبدّل العذاب المعلوم بنوع آخر من العافية والنعمة موضع العذاب، ولاتحوّله عن

مستحقيه إلى من لايستحقه. ٢ ـ قيل: اريد بسنة الله تعالى خذلان المكذبين كما خذل عتاة الشرك وطغاة الكفر حين إستسلموا في النهاية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاغرين، وقد حاق بهم يوم بدر فقتلوا كلّهم. ٣ ـ قيل: اريد بها العام من إنزال أنواع العذاب والبلاء والهلاك والدمار، وحلول النقمة وسلب النعمة، والخزي والنكال...

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين، ولكن الثالث هو الأنسب بعموم التهديد والوعيد.

٤٥ ـ (ولو يؤاخذ الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً)

في «بما كسبوا» أقوال: ١ ـ أي من الشرك بالله سبحانه. ٢ ـ قيل: أي من تكذيب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وما جآء به. ٣ ـ قيل: أي من الذنوب والآثام والمعاصي والمكر...

أقول: التعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

وفي قوله تعالى: «ماترك على ظهرها من دابة» أقوال: ١ ـ عن ابن مسعود: اريد بالدابة جميع الحيوان مما دبّ ودرج، وقال: كاد الجُعَل أن يعذّب في جحره بذنب ابن آدم. وقال قتادة: وقد فُعِلَ ذلك زمن نوح عليه السلام وعن يحيى بن أبي كثير: أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر فقال له رجل: عليك بنفسك فان الظالم لايضرّ إلّا نفسه فقيل له: كذبت والله الذي لا إله إلّا هو، والذي نفسي بيده! ان الحبارى لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم. وقال الثمالي ويحيى بن سلام في هذه الآية: يحبس الله المطر فيهلك كل شيء. وعن مجاهد وعكرمة في قوله تعالى: «ويلعنهم اللاعنون» البقرة: ١٥٩) هم الحشرات والبهآئم يصيبهم الجَدْب بذنوب علمآء السوء الكاتمين، فيلعنونهم. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله عزوجل: «ويلعنهم اللاعنون»: دوابّ الأرض.

فالمراد بالدابة: كل ما يدبّ في الأرض من حيوان، وإهلاك غير الانسان من أنواع الحيوان إنّما هو لكونها مخلوقة للانسان كما قال الله عزوجل: «خلق لكم ما في الارض جميعاً» البقرة: ٢٩) وقال بعض المعاصرين: وقول بعضهم: ذلك لشؤم المعاصي وقد قال تعالى: «واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة» مدفوع بأن شؤم المعصية لايتعدّي العاصي إلى غيره، وقد قال تعالى: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» الفاطر:١٨)وأمّا الآية أعني قوله: «واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة» الأنفال: ٢٥) فمدلولها على ماتقدم من تفسيرها اختصاص الفتنة بالذين ظلموا منهم خاصة لاعمومها لهم ولغيرهم فراجع. انتهى كلامه.

أقول: إن هذا الدفع مدفوع بوجوب الدية على العاقلة، وبأنّ قوله عزوجل: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» يشير إلى جزآء الآخرة لاجزآء الدنيا، وتخصيص الفتنة بالذين ظلموا منهم خاصة بلا مخصص مردود بنفس السياق وبالروايات الكثيرة فيها، والأمر واضح في الحوادث والبلايا والمصآئب التي تعمّ المحسن والمسيئ، والبحث طويل أوردناه في محله فلا تغفل.

٢ ـ عن الكلبي: إنّ المراد «من دابة» الجن والانس دون غيرهما لأنهما مكلفان بالعقل. ٣ ـ عن ابن جرير والأخفش والحسين بن الفضل: أراد بالدابة ههنا الناس وحدهم دون غيرهم، فالمراد بالدابة كل ما يدبّ في الأرض على رجليه من إنسان ذكر أو انثى، صغير أو كبير.

أقول: وعلى الأول جمهور المحققين، وهو المؤيد بالآيات الكريمة والروايات... وبنفس السياق.

وفي قوله تعالى: **«ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمّى»** أقوال: ١ ـ عن مقاتل: الأجل المسمّى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ. ٢ ـ عن يحيى: هو يوم القيامة وهو جل وعلا يومئذ أعلم بأحوالهم علماً عيانياً فيجزي كلاً بحسب علمه. ٣ ـ قيل: أي إلى وقت الموت. ٤ ـ قيل: أي إلى الوقت المعلوم الذي قدره لتعذيبهم وهو أجل معلوم عند الله

عزوجل ومحدود لايقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه. ٥ ـ قيل: الأجل هو يوم لايوجد في الخلق من يؤمن ولا من يعمل عملاً صالحاً أو حين يجتمع الناس كلهم على الكفر والضلال، وعلى الشرك والفساد.

أقول: وعلى الرابع أكثر المحققين، وهو الأنسب بسياق التهديد والوعيد، و بكثير من الآيات الكريمة فانتظر.

وفي قوله عزوجل: «فان الله كان بعباده بصيراً» أقوال: ١ ـ قيل: أي بصير بمكانهم فيؤاخذهم حيث كانوا. ٢ ـ قيل: أي بصير بأعمالهم فيجازيهم عليها. ٣ ـ قيل: أي بصير بأفكارهم ونياتهم وعقآئدهم. ٤ ـ قيل: أي بصير بمن يستحق العقاب منهم، ومن لايستحق العذاب، وبمن يستحق الثواب ومن لايستحقه، و بمن كان منهم في الدنيا له مطيعاً، ومن كان فيها به مشركاً، فلايخفى عليه أحد منهم، ولايعزب عنه علم شيء من امورهم، فيفرق بعلمه بين الأبرار والأشرار، بين الأخيار والفجّار، وبين الأتقيآء والأغبيآء، وبعلمه يميّز الخبيث من الطيب، والعالم العامل من العالم الفاجر... فبصيربكل مايستحقون من العذاب والثواب لأنّه المطلع على كل أمر من امور عباده فيثيب المؤمنين ويعذّب الكافرين، فهو وحده عالم بأحوال عباده لايخفى عليه شيء منها، فيجازي كل إنسان على قدر فعله من طاعة أو معصية...

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً اولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشآء إن الله على كل شيء قدير)

الحمد كلّه يختصّ بالله جل وعلا وحده في كل زمان ومكان، وعلى كل حال حمداً تاماً للمحمود بذاته سوآء حمده الحامدون أم لا، فالحمد لله عزوجل على ذاته وعلى جميع نعمه لأنه وحده هو الذي شقّ السموات لخروج الملائكة منها، وشقّ الأرض وأطرافها لنزول الملائكة عليها، لأنه وحده هو الذي جعل الملائكة في السموات والأرض وسآئط بينه وبين العالم المشهود على صور مختلفات وأقدار متفاوتات في إجرآء أوامره في عالم الشهود ونظام الكون، ومراقبة نواميس الوجود، وكتابة الأعمال وحفظها... جعلهم حسب درجاتهم ومراتبهم ومراحلهم ورسالاتهم في عالمي اللاهوت والناسوت اولي أجنحة... **فلبعضهم** جناحان ولبعضهم ثلاث أجنحة، ولبعضهم أربع أجنحة، ولبعضهم، أكثر وأكثر إلى ستمأة ألف جناح لأنه جل وعلا يزيد في أجنحتهم كما يزيد في خلقهم وفي خلق غيرهم من الخلائق على مقتضى حكمته لأنه عزوجل على كل شيء قدير، قدير على الزيادة كما كان قديراً على أصل الخلقة.

وإلى هذا المعنى يشير مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام بقوله: «ثم فتق مابين السموات العلى، فملأهنّ أطواراً من **ملائكته**، منهم سجود لايركعون وركوع لاينتصبون، وصآفون لايتزايلون، ومسبّحون لايسأمون، لايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول، ولافترة الأبدان، ولاغفلة النسيان، ومنهم امنآء على وحيه،

وألسنةٌ إلى رسله، ومختلفون بقضآئه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسَدَنة لأبواب جِنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السمآء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوآئم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين مَن دونهم حُجُبُ العزّة وأستار القدرة، لايتوهمون ربّهم بالتصوير، ولايُجرون عليه صفات المصنوعين، ولايحدّونه بالأماكن ولايشيرون إليه بالنظآئر» نهج البلاغة: الخطبة الاولى ص٢٨)

وبقوله عليه السلام في صفة الملائكة: «وأنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات اولي أجنحة، تُسبّح جلالَ عزته، لاينتحلون ماظهر في الخلق من صنعه، ولايدّعون أنّهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به (بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحمّلهم إلى المرسلين ودآئع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات -إلى أن قال- منهم مَن هو في خلق الغمام الدُّلَّح، وفي عِظَم الجبال الشُّمَّخ، وفي قُتَرة الظلام الأيهم، ومنهم مَن قد خَرَقَتْ أقدامهم تُخُوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخاريق الهوآء، وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية -إلى أن قال- وليس في أطباق السمآء موضع إهاب إلّا وعليه ملك ساجد أو ساع حافدٌ» نهج البلاغة: الخطبة التسعون التي تعرف بخطبة الأشباح) ص٢٤٨ - ٢٥٠) وبقوله عليه السلام: «من ملائكة أسكنتهم سمواتك، ورَفَعْتَهم عن أرضك هم أعلم خلقك بك وأخوفهم لك وأقربهم منك» نهج البلاغة: الخطبة الثامنة والمأة) ص٣٢٩).

قوله تعالى: «جاعل الملائكة رسلاً» الجعل هو إضافة على أصل الخلق وهو العمل الوظيفي للمخلوق حسب طبيعته كقوله عزوجل «هو الذي جعل الشمس ضيآء والقمر نوراً» يونس: ٥) ومنه الفطرة وهي ماركّب الله تعالى في الانسان من غرآئز وميول يولد به الانسان كصفحة بيضآء نقية: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها» الروم: ٣٠) إنما رسالة الملائكة مجعولة على أصل خلقهم، وهي العمل

الوظيفي لهم حسب طبيعتهم، فلاوجه لتخصيص رسالتهم بالملائكة النازلين على أنبيآء الله عليهم صلوات الله مع أن القرآن الكريم اطلق الرسل على غيرهم من الملائكة كقوله عزوجل: «أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف: ٨٠) وقوله تعالى: «ولمّا جآءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ـ ولمّا أن جآئت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لاتخف ولاتحزن إنا منجّوك وأهلك إلّا امرأتك كانت من الغابرين» العنكبوت: ٣١ ـ ٣٣) وقوله جل وعلا: «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جآء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لايفرّطون» الأنعام: ٦١).

وقوله عزوجل: «اولي أجنحة...» إنّما جعل الملائكة اولي أجنحة حسب درجاتهم ورسالاتهم... متناسبة لعالمي الأرواح والأجسام، لعالمي التجرّد والتركيب، ولعالمي السمآء والأرض ليتمكّنوا بها من النزول من السمآء إلى الأرض، ومن العروج من الأرض إلى السمآء: «ليلة القدر خير من ألف شهر تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتّى مطلع الفجر» القدر: ٣ ـ ٥) «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون نزلاً من غفور رحيم» فصلت: ٣٠ ـ ٣٢) «تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج: ٤).

وقوله سبحانه: «ان الله على كل شيء قدير» من ايجاد وإعدام، من زيادة ونقصان ومن حسن أو قبح، فلا شيء إلّا وهو جل وعلا قادر عليه بعينه أو على مثله، فيزيد كل ما هو أهل للزيادة مادية أو معنوية كعقول الآدميين، فلا يمتنع عليه فعل شيء أراده لما له من القدرة المطلقة والسلطان المطلق على كل شيء.

٢ ـ (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز

الحكيم)

مايطلق الله عزوجل للناس باب نعمه حسّية كانت أو معنوية من مطر ورزق. من صحة وعافية، من أمن وراحة، من عقل وسرور، من إحترام وحرمة، من ولد ومال، من علم ونبوة وولاية وجاه من عزّة وفطانة وما إليها من أصناف نعمآئه تعالى التي لاتحصى... من غير نظر إلى صفاتهم من ايمان وكفر، من طاعة وطغيان، من اخلاص ونفاق، ومن حق وباطل... فلايقدر أحد أن يمنعها من إنسان حيث ان مفاتيح الخير ومغاليق الرحمة كلها بيد الله القادر المتعال، فما يعط من خير، فلايستطيع أحد منعه ولا إمساكه.

وأي خير يمسكه الله تعالى من أحد فلايقدر أحد بعد إمساكه أن يبسطه ولايفتحه لهم فاتح، وأيّة نعمة من تلك النعم يمنعها من إنسان، فلايستطيع أحد من بعد منعها عن انسان أن يعطيها بانسان لأن الامور كلها بيد الله جل وعلا، فعنه تعالى البذل والعطاء، ومنه المنع والامساك ... لأنه الغالب على كل شيء من امور التكوين والتشريع، منها الفتح والإمساك غالب لايُغلَب، لانّه الحكيم الذي يفعل كل مايفعل بحسب ماتقتضيه حكمته في الدين والدنيا، ومصلحة عباده، حكيم فيما يرسل ويمسك، حكيم في أوامره ونواهيه، حكيم في خلقه وتدبيره وحكيم في جميع أفعاله... فللّه وحده خزآئن الرحمة، وبيده وحده مغاليقها ومفاتيحها وهو وحده غالب على مايريد من إغلاقها وإفتاحها، وحكيم فيما يريد.

وان الآية الكريمة في معنى قوله عزوجل: «أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب» ص:٩) وقوله تعالى: «قل لو أنتم تملكون خزآئن رحمة ربي إذاً لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتوراً» الاسراء: ١٠٠) وقوله جل وعلا: «أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور» الملك: ٢١) وقوله سبحانه: «إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون» الزمر: ٣٨).

نعم! في كل وضع وفي كـل حال وفي كـل مكان حيثما كان وكـيفما كـان: فما من نعمة يمسك الله جل وعلا معها رحمته إلّا تنقلـب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفّها رحمة الله عـزوجل إلّا تكون هي بـذاتها نـعمة، فينـام الانسان على الشوك والتراب مع رحمة الله تعالى فاذاً هو سريـر ومـهاد، وينام على الحرير والسـريـر، وقد امسكت عنه، فاذاً هـو تراب وشوك القتـاد! ويعـالج أعسر الامور برحمـة الله تعـالى فاذاً هـي هوادة ويُسر، ويـعالـج أيسر الامـور، وقـد تخلـت رحمة الله سـبحـانـه فاذاً هـي مشقـة وعسر! ويخـوض الانسان برحمة الله عزوجل في المخـاوف والأخطار فاذاً هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فاذاً هي مهلكة بوار!!!

فاذا فتح باب رحمـة الله وحده عليك ، ويـغلق جميع الأبواب ويوصد جميع النوافذ، ويسدّ جميـع المسالـك ، فأنـت في فرج وفسحة ويُسر ورخآء... وإذا غـلق هـذا الباب وحده ويفتح جمـيع الأبواب والنوافذ والمسالك فما لها مـن نفع، وأنت في ضيق وكرب وشـدّة وقـلق وعـنآء... وإذا فـتح هـذا الـبـاب وحده ولـكـن يضيـق الـرزق ويضيق السكن، ويضيق العيش، وتخشـن الحياة ويشوك المضجع فلا تضرّك ، فأنـت في رخاء وراحة وطمأنينة وسعادة وإذا غلق هذا الباب وحده ولكن يفيض الرزق ويقبل إليك كـل شـيء، فـلا جـدوى، فـأنـت في ضنـك وحـرج وشـقآء وبلآء، فـتصير الأموال والأولاد والصحة والقوّة والجاه والمقام والسلطان مصادر قلق وتعب ونكد...

فـاذا فـتح الله جل وعـلا أبـواب رحمتـه كان فيهـا السـكـن والـراحـة والسعـادة والاطمينان، ولايضرّك شيء، فـاذا بسط الرزق مع الرحمة فاذا هو متاع طيّب ورخآء ورغد في الدنيـا، وزاد للآخرة، وإذا بسط الرزق ولـكن أمسكت عليه الـرحمة، فاذا هو مثار قلق وخـوف ومثار حسـد وبغض، و مـعه الحرمـان ببـخل ومرض، ومعه الـتلف بـافراط واستهتار، وإذا وهب الله تعـالى ولـداً مع الرحمة فاذاً هو زيـنة في الحياة الدنيا، ومصدر فـرح واستمتاع ومضـاعـفـة للأجر في الآخرة بالخلف الصـالح الذي يذكرالله عـزوجـل، وإذا وهبه ولكن امسـك منك الرحمة فاذا هـو بـلاء ونكد وعنت وشقآء

وسهر بالليل وتعب بالنهار، وإذا أعطاك الله تعالى الصحة والقوة مع الرحمة فاذاً هي نعمة وحياة طيبة، وإلتذاذ بالحياة، وإذا أمسك الرحمة فاذاً هي بلاء يسلّط الله تعالى على الصحيح القوي، فينفق الصحّة والقوّة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويذخر السوء ليوم الحساب.

و إذا اعطى الله عزوجل الجاه والمقام والسلطان والرئاسة مع الرحمة فاذاً هي أداة صلاح وفلاح ومصدر أمن ورخاء، ووسيلة لادّخار الطيب الصالح من العمل والأثر، وإذا أمسك الرحمة فاذاً هي مصدر قلق على فوتها، ومصدر طغيان وبغي بها، ومثار حقد وموجدة على صاحبها لايقر له معها قرار، ولايستمع بها أبداً، ويدخر بها لآخرته رصيداً ضخماً من النار! وإن العلم الغزير والعمر الطويل والمقام الطيب والمال الكثير والجاه الوجيه كلّها تتغيّر وتتبدّل من حال إلى آخر مع الامساك والارسال، وقليل من المعرفة يثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله تعالى فيه، وزهيد من المتاع يجعل الله عزوجل فيه السعادة، وإن الجماعات كالآحاد، والامم كالأفراد في كل أمر ووضع وفي كل حال...

ومن رحمة الله عزوجل التي وجدها إبراهيم عليه السلام في النار، ويوسف عليه السلام في الجبّ والسجن، ويونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، وموسى عليه السلام في اليمّ وهو طفل مجرّد من كل قوّة ومن كل حراسة، وفي قصر فرعون، وهو عدوّ له، متربّص به، ويبحث عنه، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف افتقدوها في القصور والدور فقال بعضهم لبعض: «فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيّئ لكم من أمركم مرفقاً» الكهف: ١٦).

ووجد هذه الرحمة رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم في الغار والقوم يتعقبونه، ويقصون الآثار، ووجدها كل من آوى إليها يأساً من كل ماسواها منقطعاً عن كل شبهة في قوة، وعن كل مظنّة في رحمة، قاصداً باب الله جل وعلا دون الأبواب، فمتى فتح الله تعالى أبواب رحمته فلاممسك لها ومتى أمسكها فلامرسل لها:

«مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده».

ومن ثمَّ لامخالفة له من أحد، ولا رجآء له في أحد، ولامخافة من شيء، ولا رجآء في شيء، ولاخوف من فوت وسيلة، ولارجآء مع الوسيلة، إنّما هي مشيئة الله جل وعلا مايفتح الله فلاممسك، وما يمسك الله فلامرسل، فيرسل ويمسك وفق حكمة تكمن ورآء الارسال والامساك، فأيّة طمأنينة وقرار، وأيّ وضوح في التصوّرات والمشاعر والقيم والموازين تقرّه هذه الآية في الضمير ترسم للحياة صورة جديدة، وتنشئ في الشعور قيماً لهذه الحياة ثابتة، وموازين لاتهتزّ ولا تتأرجح، ولا تتأثر بالمؤاثرات كلها ذهبت أم جآئت؟ كبرت أم صغرت؟ جلّت أم هانت؟ كان مصدرها الناس أم الأحداث أو الأشياء صورة واحدة لو استقرّت في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشيآء...

فلاضيق مع رحمة الله تعالى، ولاسعة في نقمته، إنّما الضيق في إمساك الرحمة، والسعة في إطلاقها، فلاضيف دون الامساك، ولو كان صاحب رحمة الله عزوجل في غياهب السجن أو في شعاب الهلاك، ولاوسعة مع إمساك الرحمة ولو في اعطاف النعيم وفي مراتع الرخآء، فمن داخل النفس برحمة الله تعالى تتفجّر ينابيع السعادة والرضى والطمأنينة، ومن داخل النفس مع إمساكها تدبّ عقارب القلق والتعب والكد والمعاناة... وان الأشخاص والقوي والقيم والاعتبارات ولو تضافر عليها الانس والجن هم لايفتحون رحمة الله عزوجل حين يمسكها، ولايمسكونها حين يفتحها! وهو العزيز في نقمته ممن ينتقم منه من خلقه بحبس رحمته ومنع خيراته منه، والحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة إذا كان الفتح صلاحاً، وفي إمساكه إياها عنهم إذا كان الامساك حكمة. ومن البداهة! أنّ رسالة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت رحمة إلهية للناس كلهم إلى يوم القيامة لقوله تعالى: «**ومارسلناك إلاّ رحمة للعالمين**» الأنبيآء: ١٠٧) وقد كانت الولاية لأهل بيت النبوّة مكمّل الرسالة ومبقيها وحصينها لقوله عزوجل: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الاسلام دينا ـ يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٣ و٦٧) لأن الرسالة حصن والولاية حصينها، وان النبوة جسم والولاية روحه، فلا شأن لحصن لاحصين له، ولا لجسم لاروح له!

٣ ـ (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السمآء والأرض لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون)

يا أيها النّاس عامّة، والمشركون والمنكرون خاصة، في كل زمن ومكان اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم: النعمة الظاهرة والباطنة، نعمة الايجاد والابقآء، والنعمة المادية والمعنوية... بأن خلقكم وخلق لكم ما في الأرض جميعاً، وسخّرلكم الشمس والقمر... تنتفعون بها، فاذكروها في كل حال وآمنوا بنعمها، واعترفوابها وأطيعوه وحده فلا تشركوا به شيئاً ولا تعثوا بها في الأرض فساداً، فاذكروها لعلكم تفلحون؛ قال الله تعالى: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩).

وقال: «ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان: ٢٠)

وقال: «خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم ـ وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها» النحل: ٤ ـ ١٨)

وقال: «فاذكروا آلآء الله لعلكم تفلحون» الأعراف: ٦٩).

وقوله تعالى: «هل من خالق غير الله يرزقكم من السمآء والأرض» هل من خالق في السموات والأرض غير الله موجود يرزقكم من السمآء والأرض ويدبّر أمركم، ولو كان لاختلّ نظام التكوين ونواميس الوجود **إذاً يذهب** كل إله إلى ماخلق، ولعلا بعضهم على بعض، فنظام التكوين والتدبير دليل قاطع على أن لاخالق على هذه الصفة إلّا الله عزّوجل إذ لايقدر في هذا النظام أحد غير الله أن يرزقكم من السمآء والأرض بالمطر والنبات وأنواع الثمار...

قال الله تعالى: «أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السمآء مآء فأنبتنا به حدآئق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ـ ومن يرزقكم من السمآء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» النمل: ٦٠ ـ ٦٤) وقال: «وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها» هود: ٦).

وقال: «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه» لقمان: ١١)

وقال: «أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكّرون» النحل:١٧).

وقال: «وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون» المؤمنون: ٩١) ولا يخفى أن الرزق يقلق على وجهين: **أحدهما** ـ انّ الله جل وعلا جعله يصلح للغذآء يتغذّي به الحيوان، وللملبس يلبسونه فالعباد من هذا الوجه لايأكلون ولاينتفعون إلّا بما جعله الله تعالى رزقاً لهم، **ثانيهما** ـ انّه عزوجل ملكه وحكم أنه له فهم يتظالمون من هذا الوجه.

وقوله عزوجل: «لا إله إلّا هو» لامعبود بالحق يليق للعبادة غير خالق السموات والأرض وغير رازقكم من السمآء والأرض: «ذلكم الله ربكم لا إله إلّا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل» الأنعام: ١٠٢).

وقوله سبحانه: «فأنّى تؤفكون» كيف تصرفون عن توحيد الخالق إلى الشرك بالله سبحانه مع اعترافكم بأنّه تعالى وحده هو الرازق من السمآء والأرض؟ من أيّ وجه تصرفون عن الله الخالق الرازق بعد أن استبان لكم الحق ووضح السبيل؟ كيف تشركون المنحوت بمن له الملك والملكوت بمن له الخلق والرزق، وبمن له الأمر والتدبير؟ كيف تقلبون عن طريق الحق إلى الباطل؟ عن طريق الهدى إلى الضلال؟ عن سبيل الصلاح إلى الفساد؟ عن سبيل الصدق إلى الكذب؟ وعن طريق الصواب إلى الخطأ؟؟؟ ومن أين يقع لكم الشرك بتوحيد الله جل وعلا، والتكذيب برسالة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والانكار بولاية أهل بيته؟ والجحد بيوم جزآئه؟؟؟ وأنّى يعدل بكم عن هذه الأدلة التي أقمتها لكم على التوحيد والعدل والنبوّة والولاية والمعاد؟ وإلى

متى تنكرون نعمة الله وأنتم تعرفونها؟ وإلى أي مخلوق تتوجّهون فتطلبون منه رزقكم؟؟؟ فاحفظوا نعم الله تعالى وأدّوا حقّها وحق منعمها، ولا تشركوا به سواه من الأصنام والأوثان بعد وضوح الدليل وسطوح البرهان؟!

«ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تُصرفون» الزمر: ٦).

«أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين» الصافات: ١٢٥).

«أم جعلوا لله شركآء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار» الرعد: ١٦).

«يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها» النحل: ٨٣).

٤ ـ (وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور)

وإن يكذّبوك هؤلاء الكافرون في رسالتك أيها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم واستمروا على التكذيب والأذى فيما بلّغت إليهم من الحق المبين بعد ما أقمتَ عليهم الحجّة الواضحة، والبراهين القاطعة لاثبات التوحيد وإبطال الشرك، واستمعوا ذلك كلّه وألقمتهم الحجر، فاصبر على ذلك ولاتحزن، فانّ ذلك ليس ببدع، فقد كذّبت رسل كثير أرسلناهم من قبلك إلى امم وأقوام كذّبوهم وآذوهم ولم يقبلوا منهم، فصبروا، فعليك أن تتأسّ باولئك الرسل في المصابرة على ما أصابهم من قِبَلِ قومهم من التكذيب والأذى، فاصبر أنت على تكذيب المكذبين وأذاهم إياك كما صبروا أُولئك الرسل، فانّ لك اسوة بمن كان قبلك من الرسل...

فلا تحزن فان ذلك سنّة أمثالهم من كفرة الامم بالله تعالى من قبلهم وتكذيبهم رسل الله الذين أرسلناهم إليهم من قبلك، ولن يعدو المكذبون بك أن يكونوا مثلهم فيتبعوا في تكذيبك منهاج سابقيهم ويسلكوا سبيلهم، فكما أن مكذبيك اتبعوا سنّة مكذبي الرسل من قبلهم، فاتبع أنت سنّة رسل قبلك من الصبر على تكذيب مكذبيك وأذاهم إياك وما على الرسول إلّا البلاغ كذّبوا أوصدّقوا، كفروا أو آمنوا.

قوله تعالى: «وإلى الله ترجع الامور» وإلى الله تعالى وحده لاإلى غيره ترجع الامور كلها، فانّه وحده مرجع أمرك وأمرهم في الدنيا والآخرة، فيجازي كلاً منك، ومنهم بما أنت عليهم من الأحوال التي من جملتها الصبر على تكذيب المكذبين وأذاهم إياك وبما هم عليه من تكذيبك وأذاك والشرك والطغيان والعناد واللجاج... فينصرك الله جل وعلا في الحياة الدنيا عليهم، ويحلّ بهم الخزي والعقوبة في الدنيا والآخرة إن لم ينيبوا إلى الله تعالى في اتباعك والاقرار بنبوتك وقبول مادعوتهم إليه من التوحيد والايمان والاخلاص والعبادة لله وحده، نظير ما أحل بنظرآئهم من الامم المكذبة رسلها قبلك، فينجيك ومن اتبعك، ويهلكهم ويعذّبهم هذه سنة الله الجارية في رسله وأوليآئه، وفي المكذبين وأوليآء الشيطان...

إن الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «وإن يكذّبوك فقد كذب الذين من قبلهم جآءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير» **الفاطر: ٢٥ ـ ٢٦) وقوله:** «حتى إذا استيئس الرسل وظنّوا أنهم قد كُذِبوا جآءهم نصرنا فنجّي من نشآء ولايردّ بأسنا عن القوم المجرمين» يوسف: ١١٠).

وقوله: «ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإي المرسلين» الأنعام: ٣٤).

وقوله: «كذّب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» الزمر: ٢٥ ـ ٢٦).

وقوله: «وإن تكذّبوا فقد كذّب امم من قبلكم وما على الرسول إلّا البلاغ المبين» العنكبوت: ١٨).

وقوله: «وإن يكذّبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين **وكذّب** موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير» الحج: ٤٢-٤٤).

وقوله: «ويوم نحشر من كل امة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا

جاؤا قال أكذّبتم بآياتي ولم يحيطوا بها علماً أمّا ذاكنتم تعلمون» النمل: ٨٣ - ٨٤)

٥ - (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولايغرّنكم بالله الغرور)

يا أيها الناس عامّة، والمشركون والمكذّبون خاصّة! إنّ وعد الله جل وعلا من بأس الله وتحذيركم نزول سطوته تعالى بكم في الدنيا على إصراركم على الشرك بالله سبحانه وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم و إنكار البعث والجزآء... ومن عذابه بعد الموت في القبر قبل يوم القيامة، ومن البعث والحساب والجزآء والنار يوم القيامة كلّها حق ثابت لامحالة، صدق لاخلف فيه، واقع لايتخلّف، انه حق، والحق لابد أن يقع، والحق لايضيع ولايبطل ولايتبدد ولايحيد. فاصبر يا أيّها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على تكذيب المكذبين وأذاهم حتى جآء نصرنا إياك وإهلاكنا إياهم!

إن الجملة مع اتصالها بما قبلها في معنى قوله عزوجل: «فاصبر إن وعد الله حق ولايستخفّنك الذين لايوقنون» الروم: ٦٠) وقوله تعالى: «كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جآءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتّعون» الشعراء: ٢٠ - ٢٠٧) وقوله سبحانه: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده» الحج: ٤٧) وقوله جل وعلا: «بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً» الكهف: ٥٨) وقوله تعالى: «إنّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين» الأنعام: ١٣٤).

وقوله عزوجل: «إنّما توعدون لصادق» الذاريات: ٥) وقوله سبحانه: «إنّما توعدون لواقع» المرسلات: ٧) وقوله تعالى: «يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نصب يوفضون خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون» المعارج: ٤٣ - ٤٤).

وقوله عزوجل: «فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور» إن وعد الله حق

لامحالة ولكن الحياة الدنيا ومتاعها، وبهجة الدنيا وحلاوتها تغرّ الانسان إتباعاً لوساوس الشيطان، ورئاسة الدنيا وجاهها، وزخارف الدنيا وشهواتها تخدع الانسان، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا لأنها أسباب غرور، فلا تمكنوه من أنفسكم لأنّ الغرور يوجد من وسوسة الشيطان، ومن عادته أن يغرّ الانسان ويخدعه بأيّ سبب من أسباب الدنيا، وكل ما يشغل الانسان عن الحق والايمان والعبادة لله وحده وعن صالح الأعمال فهو غرور بوساوس الشيطان لأن في طبعه أن يغرّ الانسان ويخدعه، وهو يزيّن للانسان بالحياة الدنيا، الشرك والضلال والفساد... فيأتيها وكأنها توحيد وهدى وصلاح...

فلا تغترّوا بالحياة الدنيا فتشركوا بالله سبحانه، وتكذّبوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنكروا البعث والحساب والجزآء، وتتركوا فعل ما امرتم به، وتفعلوا مانهيتم عنه وتشتغلوا بما ينسيكم عن الآخرة والسعي لها وعن تدارك مايهمّكم وما ينفعكم يوم حلول الميعاد، ولايغرنكم اتباعاً لوساوس الشيطان بالله الغرور بإملائه واستدراجه وتأخير بأسه وعقوبته تعالى بأن يمنّيكم المغفرة مع الاصرار على الكفر والمعصية قائلاً: إعملوا ماشئتم إن الله غفور يغفر الذنوب كلها، فتمنّوا المغفرة مع إصراركم على الشرك والطغيان، وذلك وإن أمكنت ولكن الذنب بهذا التوقع كتناول السّمّ إعتماداً على دفع الطبيعة!

كأنّ العصاة والكافرين، والطغاة والمشركين اتباعاً لوساوس الشياطين يقولون: اننا نعصي ونتمتع ونستلذ من كل شيء، وهؤلاء الأصنام والأوثان الذين نعبدهم لنا شفعآء عند الله فعسى الله أن يغفر لنا بهم ذنوبنا، وهم كالذين يشربون السمّ، ويقولون: نحن نشربونه عسى أن لايؤثّر فينا فيشربونه ويهلكون به.

قال الله عزوجل: «وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم» آل عمران: ١٨٥ - ١٨٦).

وقال: «وإن يدعون إلّا شيطاناً مريداً لعنه الله وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً

مفروضاً ولاضلّنّهم ولامنّينّهم ولآمـرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرن خلق الله ومـن يتّخـذ الشيطان ولـياً من دون الله فقـد خسر خسرانـاً مبينـاً يعدهـم ويُمنّيهم ومايعدهم الشيطان إلّا غروراً» النسآء: ١١٧ ـ ١٢٠)

٦ ـ (إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)

لا تغرنّـكم الشيطان، فـلا تركنوا إليه، ولا تـتخذوه ناصحاً لكم، ولا تـتبعوا خطاه لأن الشيطان لكم عـدوّ مبين عداوة عامة قديمة يعدوكم لا تعرفون طرق عداوته لا تكاد تزول إلى يـوم القيـامة، فـبعداوتـه يوسـوسكم، فـاتخذوه عـدواً لكم كما هـو عدوّ لكم، ولا تطيـعوه في وساوسه تسويـلا ته، بـل فعادوه أنتم أشدّ العـداوة، وخالـفوه وكذّبوه فيما يغرّنكم بـه، حيث ان العدوّ لايتبع خطى عدوّه، وهو لايدعوكم إلى خير ولاينتهي بكم إلى نجاة، فاتخذوه عـدوّاً بمخالـفتكم لـه في عقائـدكم وأقوالكم وأفعالـكم، وكونوا على حـذر منه في جميع أحوالـكـم... لأنّه يعد لكم عـن أفعال الخير والايمان، ويدعوكم إلى مافيه من الهـلكة والخسران، إنّما يدعـوا حزبه وأتباعه إلى الشرك والطغيان، الى الكفر والعصيان، وإلى اتبـاع الهوى والركون إلى لذات الـدنيا وشهواتهـا ليكونوا هـم وهو معاً من أصحاب السعير فهذه **عداوته!**

إنما يـدعوا أتبـاعه إلى مـا يستحـقون بـه النار مـن حيث لايشعرون، فـلاسلطان له على المخلصين فـان الحازم لايقبـل قـول عدوّه ولايعـتمـد عليـه، فهـل من عاقـل يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير النار الشديدة المسعرة؟! إن العداوة ضدّ الولاية، ولايمكن أن يكون أحـد عدوّاً من وجـه، ولـياً من وجـه، كما لايمكن أن يـكـون موجوداً مـن وجه، معـدوماً من وجـه لأن الصفتين متنـافيتان كما في قوله تعالى: «ماجعـل الله لرجل من قـلبين في جـوفه» الأحـزاب: ٤) **حتّى يجيب** بأحـدهما ـ الله جـل وعلا، وبـالآخر ـ عدوّه الشيطان!

فـكـل شرك وضـلال، وكـل مـنكـر وفساد، وكل بـاطـل وطغـيـان، وكـل شرّ

وعصيان... ورآئه شيطان يدفع الانسان إليه، ويزيّن له الطريق نحوه، فاذا واجه الانسان ضلالاً ومنكراً أو تلبّس به، فليذكر أنّه ضحية عدوّه هذا، وأنّه قد تمكن منه ونال فيه غايته، فليجتهد مااستطاع أن يخرج من سلطان هذا العدوّ، وأن يفسد عليه صنيعه به، وأن يشدّ عزمه وإرادته، وأن يستحضر جلال الله تعالى وعظمته، وأن يذكر أنّه في موقفه هذا على الطريق إلى جهنّم وعلى شفا حفرة من النار والشيطان هو الرآئد إليها والداعي إلى عذاب السعير فمن تبعه فهو حزبه.

قال الله عزوجل: «يا أيّها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيّباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدوّ مبين إنّما يأمركم بالسوء والفحشآء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون» البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩) وقال: «أفتتخذونه وذريته أوليآء من دوني وهم لكم عدوّ» الكهف: ٥٠)

وقال: «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» المجادلة: ١٩).

ويدلّكم على عداوته إخراجه أبويكم آدم وحوآء من الجنّة: «يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما» الأعراف: ٢٧).

وضمانه إضلالكم في قوله: «ولاضلّنّهم ولامنّينّهم» النسآء: ١١٩) وقوله: «لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمآئلهم» الاعراف: ١٦ ـ ١٧) وقد أخبر الله جل وعلا أن الشيطان لكم عدوّ مبين: «إنّ الشيطان للانسان عدوّ مبين» يوسف: ٥) وقد اقتصّ عليكم قصّته، ومافعل بأبويكم! فكيف انتدب لعداوتكم وغروركم من قبل وجودكم وبعده، وأنتم على ذلك تتولّونه وتطيعونه فيما يريد منكم مما فيه خسرانكم وانحطاطكم، وهوانكم وهلاككم وعذابكم...؟؟؟!!!

فلانجاة من شرّه وإغوائه، ومن غرّه وإغرآئه إلّا بالإيمان والاخلاص والتقوى

والاستعاذة بالله جل وعلا والحذر من الشيطان إذ لاسلطان له على المخلصين كما اعترف به إذ «قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢ - ٨٣).

٧ - (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير)

الذين كفروا بالله سبحانه ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبآياته ويوم جزآئه اولئك حزب الشيطان وأوليآئه لاغترارهم بغروره، وإجابتهم دعوته، واتباعهم خطواته، لهم في نار جهنّم عذاب شديد لايقادر قدره، مديد لايبلغ مداه، جزآء على كفرهم وتكذيبهم واغترارهم واتخاذهم الشيطان أولياء لهم: «انّهم اتخذوا الشياطين أوليآء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون - الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» الأعراف: ٣٠ - ٣٦) والذين آمنوا بالله جل وعلا وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآياته ويوم جزائه، هم أعدآء الشيطان الذين خرجوا عن سلطان هذا اللعين لاستجابتهم دعوة الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكفرهم بالطاغوت واتخاذهم الشيطان عدوّاً لهم، ولعملهم الصالحات بما أمرهم الله به وانتهائهم عمانهاهم عنه بعد ايمانهم لهم مغفرة عظيمة من الله جل وعلا لذنوبهم، وأجر كبير بصالح الأعمال لاغاية لها ولانهاية.

٨ - (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يُضلّ من يشآء ويهدي من يشآء فلاتذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون)

أفمن زين له سوء عمله من الشرك والطغيان، والكفر والعصيان بالتمويه بأن غلب وهمه وهواه على نفسه، واغترّ بوساوس الشيطان، واتخذه ولياً له، واستجاب دعوته بسوء إختياره، فانتكس رأيه فرآى الباطل حقاً، والضلال هدى، والقبيح حسناً،

والشر خيراً، والشقآء سعادة... والحق باطلاً، والهدى ضلالاً، والحسن قبيحاً، والخير شرّاً... كمن هداه الله جل وعلا ولم يُزَيِّن له ذلك، ولم ينتكس رأيه، فعرف الحق حقاً والباطل باطلاً، وعرف الحسن حسناً والقبيح قبيحاً.. فلايستوي الفريقان.

وبعبارة اخرى: ان مفتاح كل شرّ أن يزيّن الشيطان للانسان سوء عمله وقوله وعقيدته فتبعه واغترّ به، فيراها حسنة، فيعجب بنفسه وبكل مايصدر عنها، وأن لايفتش في عقائده وأقواله وأعماله ليري مواضع الخطاء والفساد والنقص فيها، بأنّه واثق أنه لايخطئ وأنه دائماً على صواب، فمعجب بكل مايصدر منه، مفتون بكل مايتعلق بذاته، ومغرور بكل مايعتقد به، ولايخطر على باله أن يراجع نفسه في شيء، ولا أن يحاسبها على أمر لأنه حسن في عين نفسه، مزيّن لنفسه وحسّه، فلايرى مجالاً فيه للنقد، ولاموضعاً فيه للنقصان، وهذا هو البلاء الذي يصبّه الشيطان على إنسان يغترّ به ويتبعه بسوء إختياره، وهذا هو الذي يقوده منه إلى الضلال والبوار!

وأما الّذي اتخذ الشيطان عدواً له، ولم يغترّ بوساوسه فهو لايرى عمله حسناً دائماً فهو دآئم التفتيش في عمله وعقيدته وقوله وفكره وفي جميع حركاته ومواقفه... دآئم الحساب لنفسه، دآئم الحذر من الشيطان، دائم التطلع لمعون الله جل وعلا، فلايأمن مكر الله تعالى ولايأمن تقلّب القلب، ولايأمن الخطآء، والزلل، ولايأمن النقص والعجز... وهذاهو المفرّق بين الموحد والمشرك، بين المؤمن والكافر، بين المخلص والمنافق، بين المحسن والمسيء... وبين طريق الهدى وسبل الضلال...

فمفتاح كل شرّ هو هذا التزيين وهذا الغرور، انه باب الشرّ ونافذة السوء ومفتاح الضلال والفساد... ودع الله عزوجل هذا السئوال بلاجواب ليشمل كل جواب كأنه يقال: أفمن يُرجىٰ له صلاح ومتاب؟ أفمن يُرجىٰ له هداية وخير؟ أفمن يحاسب نفسه ويراقب الله تعالى؟ أفمن يؤمن بالله جل وعلا وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه ويوم الآخر ويعمل صالحاً؟ أفمن يفتش عمله، ويستيقظ قلبه؟؟؟ كمن زيّن له سوء عمله؟؟؟ والعكس.

فقوله عزوجل: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً» في معنى قوله تعالى: «أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوآءهم ـ كمن هو خالد في النار وسقوا مآءً حميماً فقطّع أمعآءهم» محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: ١٤ـ١٥).

وقوله سبحانه: «فان الله يضل من يشآء ويهدي من يشآء» إن الله تعالى عزوجل يضلّ من يشآء وهو الكافر الذي يرى سيئاته حسنات، ويرى السّمّ دوآء فيشربه به فيميته الله عزوجل لشربه السّمّ بسوء اختياره، إذ جعل الله تعالى السّمّ قاتلاً، ويرتّب الضلالة على نفس تستعدّ لها ولا تقبل الهداية بالكفر، ويهدى من يشآء وهو المؤمن الذي يرى السيئات سيئات، ويرى السّمّ قاتلاً، فيجتنب منه ولايشربه ،فيبقاه الله تعالى حياً إلى حين، ويرتّب الهداية على نفس مستعدة لها لذلك ، فالاضلال والهداية تابعان لاقتضآء النفس للايمان والكفر، وللهدى والضلال، فنسبة الاضلال إلى الله سبحانه مقصورة على إضلاله تعالى من اختار الكفر والطغيان، فلا تدل بوجه على اضلاله سبحانه أحداً قبل كفره بسوء إختياره، فالله جل وعلا يضلّ ويهدي حسب ما تقضيه النفس لهما، فمن سلك طريق الكفر يذره الله تعالى حتّى يضلّ وهو المغرور الذي لو قال الجن والانس: أنت ضالّ، جاهل، حقير، ضعيف... كذّبهم، وصدّق الغرور لأن فيه العزآء والسلوى عن جحود الثقلين بخلاله الجلى! ويهدي من سلك طريق الهداية: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» العنكبوت: ٦٩) فمن مهّد نفسه وتهيّأ للهداية هداه الله تعالى إذ قال: «ويهدي إليه من ينيب» الشورى: ١٣).

وقوله عزوجل: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» فلا تذهب يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسك حسرات، ولاتهلكها على المزيّن لهم، ولاتحزن حزناً شديداً على غيّهم وإصرارهم على الشرك والطغيان، وعلى الكفر والعصيان، ولا تغتمّ على عدم ايمانهم وعدم اهتدآئهم، وعدم إجابتهم دعوتك : «لعلّك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين» الشعرآء: ٣) «ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر إنّهم لن يضرّوا الله شيئاً» آل عمران: ١٧٥) «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً»

الكهف: ٦).

فلاينفع تأسّفك على مقامهم على الشرك والكفر والاغترار بوساوس الشيطان، وانهم من أجل هذا لن يتحوّلوا عمّاهم فيه أبداً، فانّهم يرون الحق كل الحق، والخير كل الخير فيما هم فيه... ومن كان على هذا الرأي فيما عنده فلن يقبل بحال أو يستبدل به غيره أبداً، وهؤلاء المشركون قد زيّن لهم شركهم، فرآوه حسناً فأمسكوا بشركهم، وهؤلاء الكافرون قد زيّن لهم كفرهم فرأوه حسناً فأمسكوا بكفرهم، وهؤلاء المجرمون قد زيّن لهم آثامهم فرآوها حسنات فأمسكوا بآثامهم...

فاذاً فلايُرجىٰ منهم أن يستجيبوا لك أبداً، ومن هنا فان الأسى عليهم والجزع من المصير الذي هم صآئرون إليه لامحلّ له، إذ كان هو المنزل الذي تخيّروه ورضوا به، وإذا كان ذلك هو الزاد الذي لن يستسيغوا غيره.

وقوله تعالى: «**إن الله عليم بما يصنعون**» إن الله عزوجل عليم باستعداد النفوس للضلالة أو للهداية، عليم بما يصنع هؤلاء المشركون الطغاة، هؤلاء المكذّبون البغاة، وهؤلاء المغترون العصاة مما يوجب صفآء النفوس ويستعدها لقبول الهداية، أو يوجب كدورتها فيستعدّها لقبول الضلالة، فيترتّب عليها ما تقتضيه، وعليم بما يصنعون من الكفر والمعاصي والقبآئح... فيجازيهم عليها.

٩ ـ (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)

والله الذي أوجد الرياح من العدم، وأطلقها، فتحرّك الرياح بأمر الله جل وعلا سحاباً، وتهيّجه وتزعجه من حيث هو، فسقنا السحاب بسبب الرياح إلى بلد ميّت لانبات فيها، فأنزلنا من السمآء بسبب السحاب مآءً فأحيينا بالمطر النازل من السمآء البلد بعد موتها أي يبسها وتوقفها عن العمل وركوده في الشتآء فأنبتنا بالمآء الزرع والكلأ بعد ما لم تكن فيها، كذلك النشور أي البعث والإحياء بعد الموت فينشر

الخلائق بعد موتهم من القبور، ويحشرهم إلى المواقف للحساب والجزآء من ثواب وعقاب.

فمثل إحيآء الأموات، مثل نشور الأموات في صحّة المقدورية له جل وعلا، فليس بينهما إلّا احتمال إختلاف المادّة في المقيس عليه، وذلك لامدخل له فيها، أو في كيفية الاحيآء فانّه تعالى يرسل مآءً فتنبت منه أجساد الخلق... فاذا كانت الأرض الميتة المجدبة، ينزل عليها المآء فتلد هذه المواليد العجيبة من نبات شتّى وأزهار حسنآء وثمار مختلف ألوانها، فان هذه الأرض التي أودع في ترابها الناس ليس ببعيد أن يرسل إليها ماءً أو ينفخ فيها نفخة الحياة، فتخرج ما في بطنها من الناس كلهم.

قال الله عزوجل: «وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به المآء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكّرون» الأعراف: ٥٧).

أفلا تتدبّرون؟ أفلا تتفكّرون؟ أفلا تذكّرون؟ أفلا تعقلون؟ فتعلموا أنّ من أوجد الرياح بعد أن لم تكن، ثم جعلها تسيّر السحاب الثقال، فتنزل منها الغيث إلى الأرض الجرز التي لانبات بها، فتحي بعد أن كانت ميتة، وتهتزّ وتربو وتنبت كل زوج بهيج... أفليس ذلك القادر الحكيم الذي أحيى الأرض الميتة بقادر على أن يحيي الموتى بعد بلاها وبعد أن كانت عظاماً نخرة؟ بلى انه على كل شيء قدير.

قال الله عزوجل: «يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ـ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السمآء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله ـ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيئ قدير» الروم: ١٩ و ٤٨ و ٥٠)

١٠ ـ (من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيّئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور)

من كان يحبّ أن يكون عزيزاً في الحياة الدنيا، وفي الدار الآخرة فليطلب العزّة ممّن هو عزيز على الاطلاق، من له العزّة المطلقة التي ليس ورآئها ذلّة لأنّ العزّة بحقيقة معناها لله جل وعلا وحده لا توجد عند غيره بالذات: «وكان الله قوياً عزيزاً» الأحزاب: ٢٥) لأنّه وحده له القدرة المطلقة على القهر والغلبة على ما سواه، وانه قاهر غير مقهور، وغالب غير مغلوب وهو المالك والملك المطلق: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممّن تشآء وتعزّ من تشآء وتذلّ من تشآء بيدك الخير انك على كل شيء قدير» آل عمران: ٢٦) «ما قدروا الله حق قدره إنّ الله لقويّ عزيز» الحج: ٧٤).

فمن كان يودّ العزّة فللّه جل وعلا وحده العزة كلّها، فليتعزّز بالاعتقاد الحق الذي أساسه التوحيد والعدل والنبوّة والمعاد، والولاية لأهل بيت النبوة عليهم صلوات الله دليله، ثم الطاعة لله وحده بخلاف المشركين الذين كانوا يعتزّون بالشرك والعبادة للأصنام والأوثان: «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً» مريم: ٨١ ـ ٨٢) بخلاف المكذّبين الذين كانوا يعتزّون بتكذيب الرسالة والمعاد، وبالقبآئح والطغيان... بخلاف المخالفين الذين كانوا يعتزّون بمخالفة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتكذيب الولاية لأهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإطفآء نور الله تعالى، وتحكيم الطواغيت على المسلمين، وبخلاف المرائين الذين كانوا يرون عزّتهم وشوكتهم في النفاق والريآء والتذبذب، و سيادتهم في الاختلاف والتفرقة بين صفوف المؤمنين، واتخاذهم الكافرين أوليآء لهم: «الذين يتخذون الكافرين أوليآء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فان العزّة لله جميعاً» النسآء: ١٣٩).

فالعزّة المطلقة لله وحده لأنّه غنيّ بالذات عن كل شيء، وإليه يفتقر كل شيء

في كل شيء، ومن أعتزّ بغير الله تعالى وبغير طاعته فمآله إلى الذلّ والهوان، وإلى الخزي والخسران...

فلاينبغي لعاقل أن يطلب العزّة ممّن هو فقير في ذاته، ذليل في نفسه لايملك لنفسه شيئاً، فضلاً عمّن هو ذليل عند الله جل وعلا كالكافرين ومن إليهم...

قال الله عزوجل: «ولايحزنك قولهم إن العزّة لله جميعاً» يونس: ٦٥) فأنت عزيز عندنا لأن العزّ المطلقة لنا، فنعطي شيئاً منها مَن آمن بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه ويوم حسابه وبأهل بيت رسوله صلوات الله عليهم أجمعين وأطاع الله ورسوله وأوليائه عليهم صلوات الله: «ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لايعلمون» المنافقون: ٨).

في قوله عزوجل: «فان العزّة لله جميعاً» بيان حقيقة إذا استقرّت في القلوب تبدل الوسائل والخطط التي تنحرف إليها، حيث ليس شئ منها عند أحد سواه جل وعلا، فمن كان يريدها فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره تعالى، فليطلبها عنده، فهو واجدها بحقيقة معناها، ويعطيها لمن يطلبها منه جل وعلا، فالأصنام والأوثان والمجسمات والناس والحكّام والطواغيت وماكان مشركوا مكّة أو غيرها يعبدونها ليست مصدراً للعزّة، ولايملكون أن يعطوها أو يمنعونها، لأنّ من لم يكن له العزّة فكيف يقدر على إعطآئها؟ فكيف يكون فاقد الشيء معطيه؟؟؟

في الجملة بيان حقيقة أساسيّة من حقائق العقيدة الاسلامية المتقنة التي تكفل تعديل القيم والموازين، تعديل الحكم والتقدير، تعديل النهج والسلوك، وتعديل الوسآئل والأسباب... ويكفي أن تستقرّ هذه الحقيقة وحدها في أيّ قلب لتقف به أمام الدنيا كلها عزيزاً كريماً ثابتاً في وقفته، غير مزعزع عارفاً طريقه إلى العزة والكرامة، فلن يحني رأسه لمخلوق متجبّر عاجز ولا لعاصفة طاغية ضعيفة، ولاتحدث جلل ذليل، ولا لوضع ولا لحكم، ولا لدولة ولا لقوّة من قوى الأرض لأنه يرى أنّ العزّة لله كلها، وليس لأحد منها شيء إلّا برضاه، ولايعطيها إلّا من أوجد أسبابها ووسائلها

وهي الايمان وصالح العمل أشار إليها بقوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

فمن استقرّت له العزّة يستعلى بها على كل أسباب الذلّة والانحنآء لغير الله تعالى يستعلى بها على شهواته المذلّة ورغآئبه القاهرة ومخاوفه ومطامعه من الناس، ومتى استعلى على هذه واستقرّت له العزّة وكرامة النفس فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه لأنّ الناس تذلّهم شهواتهم ورغباتهم ومخاوفهم ومطامعهم، ومن استعلى عليها فقد استعلى على كل وضع، وعلى كل شيء، وعلى كل من ليس له العزّة ولا كرامة النفس، فانّها ذات قوّة واستعلآء وسلطان ليس فيها عناد واستكبار على الحق، وليس فيها طغيان وبغي يخضع الناس للنزوة، ويذلّهم للشهوة، وليس فيها قوة عميآء تبطش بلاحق ولاعدل ولاصلاح كلا! كلا!!!

إنّما العزّة إستعلآء على شهوة النفس، إستعلآء على القيد والذلّ، واستعلآء على الخضوع الخانع لغير الله تعالى، وإنّما هي خضوع لله وحده، وخشوع وخشية وتقوى ومراقبة لله وحده في السرّآء والضرّآء، ومن هذا الخضوع لله جل وعلا ترتفع الجباه، ومن هذه الخشية لله تعالى وحده تصمد لكل ما يأباه ومن هذه المراقبة لله وحده لا تعنى إلّا برضاه... ونعم ما قال الشاعر:

رفيع القدر في عزّ المكان ... كريم القول في لطف البيان

وقوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب» لن ينال أحد بالعزّة إلّا بالتوحيد والطاعة إذ إلى الله جل وعلا يصعد الكلم الطيب الذي هو الاعتقاد الحق الذي أساسه التوحيد ودليله الولاية لأهل بيت النبوة لأنها الوسيلة التي يسعدبها الانسان ويتقرّب بها من الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون» المآئدة: ٣٥) فان الولاية هي العروة الوثقى لاانفصام لها يتصعد بها الانسان إلى الدرجات العلى.

وقوله سبحانه: «والعمل الصالح يرفعه» والعمل الصالح مايكون على طبق

الاعتقاد الحق ويلائمه وهو الذي يرفع الكلم الطيب، فكما ان العمل الصالح بلا الكلم الطيّب لايقبل، كذلك الكلم الطيب بلا العمل الصالح لايصعد ولايرفع، فالجملة في معنى: «إنّما يتقبّل الله من المتّقين» المائدة: ۲۷) «اولئك نتقبّل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون» الأحقاف: ۱٦).

ونعم ماقيل في المقام: كلمة التوحيد بلاعمل صالح يرفعها كثريدٍ بلا دَسَمٍ، وسحاب بلامطر، وقوس بلاوتر، وشجر بلا ثمر، وقلم بلاجوهر، وصندق بلا دُرَرٍ وإبل بلا وَبَرٍ. وان التوحيد هو العلم والمعرفة بالله تعالى تقضيه الفطرة المستقيمة السليمة عن كل خبائث التوهمات والتخيّلات والعمل الصالح هو مايقتضيه التوحيد يرفعه دون غيره كما قال الإمام علي عليه السّلام: «العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان أجابه وإلّا ارتحل» فلايمكن الصعود إلّا بهما، فلايكفي العلم بالله تعالى إلّا بالعمل فان العلم بمنزلة عضادتي السُلّم والعمل بمثابة الدرجات، فلا تفيد عضدتان بدون درجات كما لايمكن الصعود بدرجات بدون العضدتين.

وقوله عزوجل: «والذين يمكرون...» المكرات السيئات بالنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ومَن تبعه، لهم بسبب مكراتهم وحيلهم عذاب شديد لايقادر قدره، ويؤبه عنده لما يمكرون، ومن أنواع المكر والحيلة أن مشركي مكة كانوا يتخذوه وسآئل لكسب العزّة ويعتزّون بآلهتهم ويعبدونها ولكنها لا تنفعهم شيئاً بل تكون عليهم ضداً. «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً» مريم: ۸۱ - ۸۲).

ومن أنواع المكر أنّهم أخرجوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكة: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكرالله والله خير الماكرين» الأنفال: ۳۰) إذ أخرجهم الله عزوجل من مكّة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع الله تعالى عليهم مكراتهم جميعاً وحقّق فيهم كما قال: «ولايحيق المكر السيّيء

إلاّ بأهله» الفاطر: ٤٣).

ومن أنواع المكر والحيلة ما مكروا هؤلآء الماكرون في السقيفة السخيفة بني ساعدة، فصارت سبباً لانحطاطهم فانحطوا ماانحطوا حتّى اليوم، إذ نقضوا عهد الله تعالى، وقطعوا عروة الاسلام، وأسّسوا بنيان الفرقة بين المسلمين، وكذّبوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقول عمربن الخطاب المضلّ الماكر: «حسبنا كتاب الله» وبنفس هذا القول السخيف المضل الماكر كذّبوا كتاب الله جل وعلا ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ففرّقوا بين الثقلين: كتاب الله وعترة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخانوا في الاسلام ماخانوا!!!

وقوله جل وعلا: «ومكر اولئك هو يبور» ومكر هؤلآء المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتابه وبأهل بيته عليهم صلوات الله وبالمؤمنين ظهر وسيظهر زيف مكرهم لاولي البصآئر... فانّه ما أسرّ أحد سريرة إلاّ أبداها الله عزّوجل على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسرّ أحد سريرة إلاّ كساه الله ردآءها إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرّاً.

المكر هو في ذاته أن يحبط ويفسد ويبطل، ويرجع إلى الماكر، فلايستعقب أثراً حياً فيه سعادته وعزّته: «فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنّا دمرّنا هم وقومهم أجمعين» النمل: ٥١) «قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون» النحل: ٢٦).

١١ ـ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وماتحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلاّ في كتاب إن ذلك على الله يسير)

والله عزوجل هو الذي خلقكم أيها الناس كل واحد منكم من تراب، وهو مبدأ بعيد تنتهي إليه خلقة الانسان، ثم من نطفة الآباء ـ من مآء الرجل والمرأة ـ وهي مبدأ قريب تتعلق به خلقتكم: «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم

من تراب ثم من نطفة» الحج: ٥) «فلينظر الانسان مم خلق خلق من مآء دافق يخرج من بين الصلب والترآئب» الطارق: ٥ - ٧).

وقوله تعالى: «ثم جعلكم أزواجاً» ذكوراً واناثاً بقدر معلوم بحيث يكاد الفريقان يستويان عدداً، ولو لم يكن كذلك لفنى الانسان والحيوان، بل لفنى كل شيء، فانّ حفظ النوع لايتم إلّا بتلك المساوات على وجه التقريب: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون» الذاريات: ٤٩) ولا تكون تلك المساوات إلّا بتدبير الله وعلمه وقدرته وحكمته، فيتزوّج الذكر بالانثى، فيتناسلان بعلم الله تعالى وتدبيره وهذا معنى قوله جل وعلا:

«وماتحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه» ولاتحمل من انثى الانسان والحيوان والنبات والجماد حملاً ولا تضعه إلّا بعلم الله جل وعلا لايخفى عليه: «الله يعلم ما تحمل كل انثى وماتغيض الأرحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار» الرعد: ٨) فلو لم تكن تلك المساوات في الأزواج بتدبير الله تعالى وعلمه، وكانت المصادفة العميآء هي صاحبة السلطان في هذا الوجود على ما خرصه الخرّاصون: «ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون» الزخرف: ٢٠) لما تمّ التوازن في العدد بين الزوجين، فيفني الانسان والحيوان وكل شيء!

فلاتحمل من انثى الانسان والحيوان والطير والأسماك والزواحف والحشرات والبنات وغيرها على أنواعها مما نعلمه ومالا نعلمه، ولا تضع حملها إلّا بعلم الله جل وعلا وحكمته، وبتدبيره وقدرته، فكلها تحمل وتضع حتى ما يبيض منها لأن البيضة حمل من نوع خاص جنين لايتمّ نموّه في داخل جسم الأُمّ، بل ينزل بيضة ثم يتابع نموّه خارج جسم الامّ بحضانتها هي أو بحضانة صناعية حتى يصبح جنيناً كاملاً ثم يقفس ويتابع نموّه العادي.

فنشاة الاولى للانسان هي من التراب، وان التراب عنصر لاحياة فيه ظاهراً، وإن كان فيه حياة واقعاً، ثم ذكر الله تعالى أوّل مراحل الحمل وهو النطفة، وهي

عنصر لها الحياة، ومن المعجزة في خلقة الانسان وحياته: أنّه كيف جآئت هذه الحياة؟ وكيف تلبّست بالعنصر الأول لاحياة له؟ وهو حقيقة قائمة مشهودة لامفرّ من مواجهتها والاعتراف بها ودلالتها على الخالق المحي القدير دلالة لايمكن دفعها، ولا المماحكة فيها حيث انّ النقل من غير الحيّ إلى الحيّ بعيد أكبر وأضخم من كل أبعاد الزمان والمكان، وتأمّل هذه النقلة لاينتهي ولايمله القلب الحيّ الذي يتدبّر في أسرار هذا الوجود العجيب، ثمّ تنقل هذه النطفة التي تمثل مرحلة الخلية الواحدة إلى الخلقة الكاملة السوية للجنين حين يتميّز الذكر من الانثى، وتتحقّق الصورة التي يشير إليها قوله تعالى: «ثم جعلكم أزواجاً» سوآء كان المقصود: جعلكم ذكراً وانثى وأنتم أجنة أم كان المقصود جعلكم أزواجاً بعد ولادتكم وتزاوج الذكر والانثى... «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الروم: ٢١).

هذه النقلة من النطفة إلى هذين النوعين المتميّزين نقلة بعيدة، فأين الخلية الواحدة في النطفة من ذاك الكائن الشّديد التّركيب، والتّعقيد الكثير الأجهزة المتعددة الوظائف؟ وأين تلك الخلية المبهمة من ذلك الخلق الحافل بالخصآئص المتميّزة ان تتبّع هذه الخلية الساذجة؟ وهي تنقسم وتتوالد وتتركّب كلّ مجموعة خاصّة من الخلايا المتولّدة... منها لتكوين عضو خاص له وظيفة معيّنة وطبيعة خاصّة، ثم تعاون هذه الأعضآء وتناسقها وتجمعها لتكون مخلوقاً واحداً على هذا النحو العجيب، ومخلوقاً متميزاً من سائر المخلوقات الاخرى من جنسه، بل من أقرب الناس إليه، بحيث لايتماثل أبداً مخلوقان اثنان، وكلّهم من نطفة لا تميز فيها يمكن إدراكه...!!!

ثم إنّ تتبع هذه الخلايا حتى تصير أزواجاً قادرة على إعادة النشأة بنطف جديدة تسير في ذات المراحل دون إنحراف! ان هذا كله لعجيب لاينقضي منه العجب! ومن ثمّ يردّد القرآن الكريم كثيراً في تلك الخارقة المجهولة السّرّ والأسرار، لعلّ الناس يشغلون قلوبهم بتدبرها، فتستيقظ أرواحهم على الايقاع المتكرر عليها!

قال الله عزوجل: «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ـ ولعلكم تعقلون» الغافر: ٦٧).

وقوله تعالى: «وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب» ولايعمّر منكم أيّها الناس أحد إلّا كتب الله عزوجل عمره: كم هو سنةً؟ كم هو شهراً؟ كم هو اسبوعاً؟ كم هو يوماً؟ كم هو ساعةً؟ وكم هو دقيقةً؟ ولاينقص من عمر أحد إلّا كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ بأنّ فلاناً لوأطاع الله جل وعلا وعمل عملاً صالحاً لكان عمره مثلاً مأة سنة، ولو عصاه عزوجل وبغي في الأرض لنقص من عمره بضع سنين مثلاً حسب درجات المعصية والبغي مع أن الأعمار ليس كلّها على حدّ معيّن، بل لكل أحد عمر معيّن خاصّ به، كتب الله تعالى قدره في اللوح المحفوظ، وذلك لحفظ التوازن في الأرض، فينتظم العمران.

ولو لم يكن على هذا النحو لاختلط الحابل بالنابل، وسآء حال النظام إذ يكثر الناس وتزدحم الأرض، ويشتدّ الكرب، ولو أنّ الأعمار طالت مئات السنين، وتناسلت الذرية، وكثرت لكان على القدم ألف قدم، ومن ثمّ تفاوتت الأعمار في جميع الأمصار والأعصار فقد كانت بمقدار بحيث لا تطول فوق ماتقتضيه الحكمة ومصلحة النظام العام، وقد يعتدل النظام بالمرض والموت والوبآء والحرب والسيل والزلازل والصواعق وما إليها من الحوادث المميتة والوقائع المهلكة، وهذا هو النظام العجيب!

قال الله تعالى: «إنّا كل شيء خلقناه بقدر» القمر: ٤٩).

وقال: «وكل شيء عنده بمقدار» الرعد: ٨).

ولايخفى على المتدبّر الخبير! أن التعمير قد يكون بطول الأجل، وعدّ الأعوام... وقديكون بالبركة في العمر، والتوفيق إلى إنفاقه إنفاقاً مثمراً واحتشاده بالمشاعر والحركات والأعمال والآثار... كما أنّ نقص العمر قد يكون بقصره في عدّ السنين، وقد يكون بنزع البركة والتوفيق منه، وإنفاقه في اللهو والعبث والكسل والفراغ، فربّ

ساعة تعدل عمراً بما يحتشد فيها من أفكار ومشاعر، وبما يتمّ فيها من أعمال وآثار... ورب عام يمرّ على الانسان خاوياً فارغاً لاحساب له في ميزان الحياة، ولاوزن له عند الله جل وعلا!!!

ولايخفى أيضاً على المتأمل البصير! أن الجماعات كالأفراد، كل منها يعمر أو ينقص من عمره، وانّ الآية الكريمة وإن كانت بصدد بيان خلق الانسان، ولكن يمكن أن يستفاد منها معنى العام، فيعمّ الأحيآء كلها، والأشيآء أيضاً، فالصخرة المعمّرة، والكهف المعمّر، والنهر المعمّر، والصخرة التي إنتهى أجلها أو قصر فاذاً هي فتات، والكهف الذي ينتهي أجله أو يقصر فاذاً هو محطّم أو مسدود، والنهر الذي ينتهي أجله أو يقصر فاذاً هو غائض او مبدد، وماتضمنه يد الانسان من البنآء المعمّر أو القصير العمر، والجهاز المعمّر أو قصير العمر، والثوب المعمّر أو قصير العمر كلها ذات آجال وأعمار... وقال الشاعر:

حياتك أنفاس تعد فكلّما مضى نفس منك انتقصت به جزأ

وقوله جل وعلا: «إن ذلك على الله يسير» إن ما ذكر من خلق الانسان من تراب، وكيفيّة إحداثه وإبقآئه، وكتابة آجاله بهذا التدبير الدقيق المتين المهيمن على كليات الحوادث وجزئياتها في نظام الكون، ونواميس الوجود المقرّر كل شيء في مقرّه هيّن يسير غير متعذّر على الله جل وعلا لأن قدرة الله تعالى ليست واقفة عند هذا الحدّ من خلق الانسان من تراب... بل إنّما قدرته جل وعلا قآئمة على كل مخلوق قبل خلقه وبعد خلقه، **وفي كلّ لحظة من لحظات** وجوده وقبل وجوده وبعده... إذ قد أحاط علمه وحكمته وقدرته وتدبيره بكل شأن من شئون الانسان من حمل ووضع، وطول عمر وقصره كما أحاط بكل شيء علماً: «وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً» الطلاق: ١٢).

فاذا ثبت لكم بالبراهين القاطعة والدلائل الواضحة: أن الله تعالى هو الذي أبدأكم على هذا التدبير الدقيق، وكان ذلك على الله هيّن: «هو عليّ هيّن وقد

خلقتك من قبل ولم تك شيئاً» مريم: ٩) فاعلموا ان إعادتكم ليوم الحساب على تدبير دقيق، أهون على الله تعالى: «وهو الذي يبدؤ الخق ثم يعيده وهو أهون عليه» الروم: ٢٧) فاعادتكم كابدائكم على الله جل وعلا سهل يسير غير متعذّر: «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير» العنكبوت: ١٩).

١٢ ـ (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

ولايعتدل البحران المختلفان فيستويان لأنّ هذا مآئه حلو لذيذ طعمه، عذب زلال شديد العذوبة، يجري في الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار في الأقاليم والأمصار، وفي البراري والقفار، يسق منه الانسان والحيوان، ويُنبِتُ النبات الذي فيه غذآء لهما، فرات مرئ شهي، طيّب بارد، كاسر للعطش مزيل له، سآئغ شربه، إذ تستسيغ النفس شرابه، ويلذ لها طعمه، سهل إنحداره لخلوّه مما تعافه النفس، وهذا الآخر ملح اجاج شديد الملوحة والمرارة تسير فيهما السفن الكبار.. فالفرات أعذب العذب، والاجاج أشدّ الملوحة والمرارة كانه يحرق من مرارته وحرارته.

وهذا دليل قاطع على وحدانية الله تعالى، وعلى علمه وحكمته، وعلى عظمته وجلاله، وعلى قدرته وتدبيره في نظام الوجود، فعلينا من معرفته وشكره إذ ينعمنا في برّه وبحره... قال الله عزوجل: «وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً» الفرقان: ٥٣).

وقوله تعالى: «ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً» ومن كل واحد من البحرين المختلفين تأكلون لحماً طرياً فيه لذّة للآكلين، من أنواع السمك الطرى والطير البحري مماهو حلال أكله لاكلّه، فضلاً من الله عزوجل، وكرامة علينا: «ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات» الاسرآء: ٧٠) وهذا برهان ساطع آخر

على وحدانية الله عزوجل وعلمه وتدبيره... إذ سخّر لنا البحر لنأكل منه أنواع اللحوم الطيّبة المحللة من السمك والطير البحري: «وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً» النحل: ١٤) فعلينا أن نعرفه تعالى ونشكره في كل حال.

وقوله عزوجل: «وتستخرجون حلية تلبسونها» وأنتم تستخرجون من البحرين المختلفين حلية من أنواع الدر والصدف واللؤلؤ والمرجان: «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان ـ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الرحمن: ١٩ ـ ٢٢) وغيرها من أنواع الأشياء النفيسة تلبسونها للزينة وتنتفعون بها، وهذا دليل ثالث على وحدانية الله تعالى.

وقوله جل وعلا: «وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله» وترى السفن كل حين تجري في كل منهما، مواخر تشق المآء شقاً بجيازيمها حين جريها مقبلة مدبرة بريح واحدة، حاملة الضآئع والأمتعة، والأقوات والناس من بلد إلى بلد آخر، في البحر منافع كثيرة مادية ومعنوية... لتطلبوها من فضله تعالى بالتجارة فتدفع عنكم المخمصة، وقد تسدّ العوز.

قال الله عزوجل: «والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس» البقرة: ١٦٤).

وقال: «هو الذي يسيّركم في البرّ والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنّوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين» يونس: ٢٢).

وقال: «ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انّه كان بكم رحيماً» الاسراء: ٦٦) وهذا دليل رابع في الآية الكريمة على وحدانية الله تعالى وعلى علمه وحكمته وتدبيره.

«وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون إلّا رحمة منا ومتاعاً إلى حين» يس: ٤١ ـ ٤٤) «ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظلن

رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور» الشورى: ٣٢ - ٣٣).

وقوله سبحانه: «ولعلكم تشكرون» الله تعالى على تسخير البحار لكم، وتصرّفكم فيها كيف شئتم، وذهابكم فيها متى أردتم.

١٣ - (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير)

يُدخل الله عزوجل الليل في النهار عند منقلب الصيف، فيأخذ هذا من طول ذاك فيزيد على النهار، فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر، ويُدخل النهار في الليل عند منقلب الشتآء، فيزيد هذا في قصر ذاك ، فيكون الليل أطول من طول النهار ساعة فأكثر، فيعتد لان ثم يتقارضان صيفاً وشتآءً، مع أنّه جل وعلا ينقص من الليل في كل آن يدخل في النهار كذلك ، وما ينقص من النهار في كل آن، يدخل في الليل، فيزيد كل منها بما ينقص من الآخر فهما في كل آن في تزايد ونقصان بالنسبة إلى الآفاق المختلفة وإلى القطبين المختلفين.

قال الله عزوجل: «يكوّر الليل على النهار و يكوّر النهار على الليل» الزمر: ٥).

وقوله تعالى: وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى» وسخّر الله جل وعلا لكم الشمس والقمر، كل يجري في مدارهما لأجل مسمّى، ومقدار معيّن على نهج ثابت لايتغيّر، ولايقصران دونه ولايتعديانه بتقدير العزيز العليم إلى يوم القيامة: «وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين» ابراهيم: ٣٣) «والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يس: ٣٨ - ٤٠) إن تسخير الشمس هو نزولها في بروج مخصوصة في أوقات معينة كل فصل منها لنوع آخر من المنافع لايختلف الحال فيه، وتسخير القمر جريانه على وتيرة واحدة فيستدلّ به على السنين والشهور... كل ذلك نعمة من الله تعالى عليكم ورحمة بكم لتعلموا عدد

السنين والحساب، ولتسكنوا في الليل وتبتغوا فضلاً منه في النهار: «هو الذي جعل الشمس ضيآءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلّا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون» يونس: ٥) «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصّلناه تفصيلاً» الاسراء: ١٢) «الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لايشكرون» الغافر: ٦١).

وقوله سبحانه: «ذلكم الله ربكم له الملك» أي الذي يفعل هذه الأفعال... أي الذي أرسل الرياح لا ثارة السحاب، الذي أحيى الأرض بعد موتها، الذي له العزّة جميعاً، الذي خلق الانسان من تراب، الذي جعل الانسان أزواجاً، الذي يعلم ما تحمل كل انثى وماتضع، الذي يعلم مايعمر وماينقص من عمره، الذي خلق البحرين: العذب والمالح، الذي أحدهما أن يختلط بالآخر، الذي يولج الليل في النهار والعكس، والذي سخّر لكم الشمس والقمر لايقدر على شيء من هذه الأفعال غيره، ومن له وحده هذه الصفات هو معبودكم الذي لا تصلح العبادة إلّا له هو الله ربكم الذي له وحده الحكم والأمر، له وحده الملك المطلق والسلطان التام في نظام الوجود، وله وحده القهر والجبروت في نواميس الكون، وكل من في السموات والأرض فهو عبد له وحده، وتحت قبضته وبطشه وحده في الدنيا والآخرة، وهو وحده يليق للخضوع والعبادة والذكر والشكر، فانه وحده خالق كل شيء ومدبّر النظام، وهو وحده الحكيم والعليم المطلق. إن الجملة في معنى قوله تعالى: «ذلكم الله ربكم لا إله إلّا هو خالق كل شيء فاعبدوه» الأنعام: ١٠٢) «ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكّرون» يونس: ٣) «ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون» الزمر: ٦).

وقوله سبحانه: «والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير» والذين تدعونهم أيها المشركون وتعبدونها من دون الله تعالى من الأصنام والأوثان وما إليها لايملكون شيئاً لا

في خلق شيء ولا في تدبيره في حال من الأحوال... ولو من مقدار لفافة نواة التمر، فضلاً عن النواة نفسها، فلايملكون لكم نفعاً ولاضراً بل وضرّهم أقرب من نفعهم، فالله عزوجل هو الحق المطلق والمعبود الحق. ان الجملة في معنى قوله جل وعلا: «قل أندعوا من دون الله مالاينفعنا ولايضرّنا» الانعام: ٧١) «إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ـ لا يستطيعون لهم نصركم ولا أنفسهم ينصرون» الأعراف: ١٩٤ ـ ١٩٧) «فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيءٍ لمّا جآء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب» هود: ١٠١) «والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون» النحل: ٢٠) «ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العليّ الكبير» الحج: ٦٢) «والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لايقضون بشيء إنّ الله هو السميع البصير» الغافر: ٢٠) «يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير» الحج: ١٣).

١٤ ـ (إن تدعوهم لايسمعوا دعآءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئّك مثل خبير)

ان الدليل القاطع على أنّ هؤلاء الآلهة المزعومة لايملكون لكم شيئاً: أنكم أيها المشركون إن تدعوا تلك الأصنام والأوثان لكشف ضرّ عنكم أو جلب نفع لكم، وإن تستغيثوا بهؤلآء الأجسام والمجسمات والهياكل المنحوتة في النوائب وفي أيّ أمر ولأية حاجة وإن تضرّعوا إلى تلك الهيئات والأشجار.. لايسمعوا دعآءكم لأنها جمادات لاأرواح لها، فلا تبصر ولا تسمع، وإن تدعوا تلك الأهوآء والرؤسآء والقادة الجبّارين... ومَن إليهم من الآلهة المزعومة لايملكون لأنفسهم نفعاً، فضلاً عن عابديهم مع أنهم عباد الله أمثالكم في حاجة شديدة، وفاقد الشيء لايعطيه.

قال الله عزوجل: «والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلّا كباسط كفّيه إلى المآء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعآء الكافرين إلّا في ضلال» الرعد: ١٤)

وقوله تعالى: «ولو سمعوا ما استجابوا لكم» ولو سمع الآلهة المزعومة فرضاً

دعاءكم كالجن والملائكة والشياطين ومن إليهم أو يخلق الله تعالى لهم سمعاً ماستجابوا لكم إذ ليس كل سامع ينطق، وماقدروا أن ينفعوكم ويستجيبوا لشيء مما تطلبون، مع أنهم لايملكون سمعاً من عند أنفسهم، فلايسمعون إلّا باسماعه، فلاقدرة لهم على الاستجابة قولاً ولافعلاً، فانّ قدرتهم من الله جل وعلا ولن يأذن الله سبحانه لأحد أن يستجيب أحداً يدعوه بالربوبية.

قال الله عزوجل: «ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولايستطيعون» النحل: ٧٣).

وقال: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون» النساء: ١٧٣)

وقال: «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامّي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنتُ قلتُه فقد علمته تعلم ما في نفسي ولاأعلم ما في نفسك» المائدة: ١١٦)

فكيف تعبدون أيها المشركون في كل زمان ومكان، من لاينفع لكم؟ كيف تدعون من لايضرّكم؟ وكيف تذرون مَن بيده النفع والضرّ في الدنيا والآخرة وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون؟؟؟

وقوله تعالى: «ويوم القيامة يكفرون بشرككم» وهؤلاء الآلهة المزعومة هم يوم القيامة يكفرون باشراككم إياهم بالله سبحانه، فيتبرّؤن منكم ومن عبادتكم إيّاهم، فضلاً أن يكونوا شفعآء لكم: «إذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» البقرة: ١٦٦) بأن ينطقهم الله جل وعلا يوم القيامة لتوبيخ عابديها، فيقولون لهم: لِمَ عبدتمونا ومادعوناكم إلى ذلك؟ ونحن عباد الله أمثالكم... ما كنتم إيانا تعبدون بل كنتم تعبدون أهواءكم وشهواتكم وما زينته لكم شياطينكم: «ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيّلنا بينهم وقال شركاؤهم ماكنتم إيّانا تعبدون» يونس: ٢٨) «ويوم

يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل قالوا سبحانك ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أوليآء» الفرقان: ١٧ - ١٨) «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً» مريم: ٨١ - ٨٢) «وإذا حشر الناس كانوا لهم أعدآء وكانوا بعبادتهم كافرين» الأحقاف: ٦) فالآلهة المزعومة يجحدون أنكم أيها المشركون عبدتموهم، فيتبرّؤن منكم، أما الملائكة والأنبيآء والجن والسلاطين والشياطين فيجحدون أن يكون مافعلتموه حقاً وأنهم أمروكم بعبادتهم كما اخبر تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام وغيرهم وأما الأصنام والأوثان والأجسام والهياكل المنحوتة فيمكن أن يحييها الله تعالى حتّى تخبر أنها ليست أهلاً للعبادة والشرك بالله سبحانه.

وقوله عزوجل: «ولاينبئك مثل خبير» ولايخبرك يا أيها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عن حقيقة أمر تلك الآلهة، وعن أمر عبدتها، وعن بواطن الامور يوم القيامة إلّا ذوخبرة بأمرها وأمرهم وهو الله تعالى الذي لايخفى عليه شيء في الأرض ولافي السماء، ولايخبرك بأحوال الدارين مثل خبير عليم: «فسئل به خبيراً» الفرقان: ٥٩) وهو الله عزوجل وحده إذ لاخبير بخلق الله كخالقهم، فلايخبرك بما فيه الصلاح والفساد، والمنافع والمضار مثل الله عزوجل العليم بالأشياء كلّها، وكل علم يخالف هذا العلم فهوباطل وضلال!

١٥ - (يا ايّها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد)

يا أيها الناس! لاتزعموا أنّ الله عزوجل فقير، وأنكم أغنيآء، فيحتاج إليكم وايمانكم وعبادتكم وذكركم وحمدكم: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء» آل‌عمران: ١٨١) إنّما أنتم الفقرآء إلى الله جل وعلا أنتم المحتاجون إليه تعالى في وجودكم وحياتكم، في بقائكم وأنفسكم وفي كل أحوالكم... لأنّ

الانسان كغيره من الخلائق في حاجة شديدة دائمة في الوجود والبقآء إلى خالقهم وحده فيعينهم ويقضي حوائجهم... من الهوآء والجوّ والشراب والطعام والأمن والصحّة... حتّى لوحُبِسَ عنكم العطآء آناً واحداً لبطلت حياتكم ولهلكتم وفنيتم وإنّ عطآء الله جل وعلا حسب ماتقتضيه الحكمة الالهية والمصلحة العامّة جارية مستمرة على خلقه بلافترة ومنهم الانسان بدون نظر إلى صفاتهم من الكفر والايمان، من الفاسد والصّالح، من المفسد والمصلح، من المسيء والمحسن، من المنافق والمخلص، ومن المشرك والموحّد... لأنّ مآئدة الخالق عامّة بسيطة على سعة وجودات الخلائق كلّها، وهذه رحمة عامة شاملة لهم بما أنهم مخلوقون، وإن كانت له جل وعلا مآئدة اخرى خاصّة بالمؤمنين. قال الله عزوجل: «كُلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطآء ربك وما كان عطآء ربك محظوراً» الاسرآء: ٢٠) وقال: «قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة» الأنعام: ١٢).

وقال: «ورحمتي وسعت كل شيء» الأعراف: ١٥٦).

وقال: «وسعت كل شيء رحمة وعلماً» الغافر:٧)

فلوضاق عليكم الهواء دقيقة واحدة أو تعفّن الجوّ بدقيقة واحدة، أو أمسكت الافاضة الالهية عن وجوداتكم بثانية لايمكن تصوّر الحياة لكم، وقيسوا عليها سآئر حوآئجكم المادّية والمعنوية، فالمخلوق بما أنّه مخلوق، فقير مطلق، مفتقر إلى خالقه في وجوده وبقآئه، وفي جميع حركاته وسكناته... كما أن الخالق بما أنّه خالق غنيّ مطلق، غير محتاج إلى خلقه، فالله جل وعلا هو خالقكم ورازقكم ومدبّر أمركم فايّاه فاعبدوه و إلى رضاه فسارعوا لحاجتكم إليه جل وعلا، لالحاجته سبحانه إليكم.

قال الله عزوجل: «إن تكفروا فانّ الله غنيّ عنكم ولايرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزمر: ٧)

وقال: «إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فان الله لغنيّ حميد» ابراهيم: ٨)

وقال: «والله الغني وأنتم الفقرآء»: محمد صلى الله عليه وآله وسلّم: ٣٨)

وقوله تعالى: «والله هو الغني» بذاته عن خلقه على الاطلاق، هو وحده غنيّ عنكم، وعن ايمانكم وعبادتكم وغيرها، وعن غيركم من الخلق أجمعين: «ومن كفر فانّ الله غنيّ عن العالمين» آل‌عمران: ٩٧) وهو المتفرّد بالغني وحده لاشريك له، غنيّ غير محتاج إلى غيره، وماسواه مفتقر إليه، حيث لايقدر أحد سواه تعالى على إصلاح أمره ولا إدامة حياته إلّا منه جل وعلا، وهو المنعم على خلقه أجمعين الذي لا تنفد خزآئنه، ولا تنقص بالعطآء أبداً، فمن كفر بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن أنكر نعمة الله وجحد آياته، ومن خالف أحكام الله وأوامره... فانّ الله جل وعلا غنيّ عنكم وعن العالمين.

وقوله سبحانه: «الحميد» حميد بذاته، محمود في صنعه وخلقه، تكويناً وتشريعاً، قلّ عطآئه ظاهراً بعباده أو كثر ظاهراً إذ ربّ كثير الظاهر فهو قليل في الواقع، ورب قليل الظاهر فهو كثير في الواقع، وإن كنّا لانعلم سرّ ذلك جدّاً كجهلنا بسآئر أسرار الكون ونواميس الوجود، فلايفعل الله جل وعلا إلّا عن علم مطلق، وحكمة بالغة وتدبير تام، فهو محمود بذاته يليق هو وحده أن يُحمَد على جميع أفعاله، فانّه لايفعل شيئاً لاينبغي له الحمد فهو حميد في جميع مايفعله ويقوله ويقدره ويشرّعه ويدبّره... حمده الحامدون أم لا، عبده العابدون أم لا إذ لاحاجة له عزّوجل إلى شكر شاكر ولا إلى حمد حامد، ولا إلى عبادة عبد، فانه الغني المطلق، وحميد في ذاته وصفاته، حميد في صنعه وفعاله، ومحمود في أرضه وسمآئه، وله الحمد في الاولى والآخرة: «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده» الاسراء:٤٤) «وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» القصص: ٧٠)

١٦ ـ (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)

معاشر الناس! ان البرهان القاطع على الغنى المطلق لله وحده، وفقركم المطلق،

وحاجتكم إلى الله جل وعلا في وجودكم وحياتكم وبقاءكم وتدبير أمركم ـ كما أن وجود الخلائق وحياتهم وبقائهم كلها في حاجة إليه تعالى: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» الفاطر: ٤١) ـ: أنّه إن يشأ الله عزوجل أن يذهبكم، ويهلككم ويفنيكم أذهبكم... كما هو الذي أنشأكم من غير حاجة إليكم لأنّه غنيّ عنكم لايضرّ بذهابكم ولا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، ويأت بدلاً منكم بخلق جديد، وقوم آخرين سواكم ـ كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ـ يؤمنون بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويحمدونه وحده ويطيعونه، ويأتمرون بأوامره وينتهون عمّا نُهُوا عنه، لاحاجة منه سبحانه إليهم، بل لأنّه جل وعلا حميد، ومقتضاه أن يجود فيحمد، فهم ليسوا أمثالكم في الشرك والطغيان، في الكفر والعصيان، وفي البغي والخسران... وإن كانوا هم أمثالكم في الخلقة.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله عزوجل: «إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً» النسآء: ١٣٣) «وربك الغنيّ ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشآء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين» الأنعام: ١٣٣) «فان تولّوا فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرّونه شيئاً» هود: ٥٧) «ألم تر أنّ الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» ابراهيم: ١٩) «والله الغنيّ وأنتم الفقرآء وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٣٨) «يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم» المائدة: ٥٤) «على أن نبدّل خيراً منهم ومانحن بمسبوقين» المعارج: ٤١) «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً» الانسان: ٢٨)

١٧ ـ (وما ذلك على الله بعزيز)

وليس ما ذكر من إذهاب الموجودين، والاتيان بقوم آخرين على الله جل وعلا بمتعذّر ولاشديد، ولابمتعسّر ولاصعب يعجز عنه، بل هو على الله تعالى سهل يسير لقدرته المطلقة عل كل شيء، فليس عسيراً على الله عزوجل أن يستبدل خلقاً بخلق آخر، وعالماً بعالم آخر، كيف وهو خالق كل شيء؟ وهو مدبّر كل شيء؟ وهو خبير بكل شيء؟ وهو بصير بكل شيء؟؟؟

نعم! من خَلَقَ العالم ودبّر نواميس الوجود وعلم بما فيه ومَن فيه فهو قادر أن يفنيه، ويأتي بغيره بمجرّد أن يريد ذلك بلا آلآت وأدوات، وبلا جوارح وموادّ...

قال الله تعالى: «أو لم يسيروا في الأرضْ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً» الفاطر: ٤٤)

وقال: «أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨١ ـ ٨٢)

فاتقوا الله معاشر الناس! وآمنوا بالله عزّوجل وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه وبيوم حسابه وجزآئه، وأطيعوه، وأتمروا بما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه، قبل أن يفعل بكم ذلك وما أنتم بمعجزين: «إنّ ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين» الأنعام: ١٣٤).

١٨ ـ (ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيئ ولو كان ذاقربى إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكّى فأنّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير)

وانّ الدليل القاطع والبرهان الساطع على عدل الله جل وعلا في حكمه: أنه لاتحمل نفس آثمة طاغية باغية، نفس حملت حملاً ثقيلا من الآثام والطغيان،

النفس التي أثقلتها الذنوب والأوزار.. أو نفس حملت حملاً خفيفاً من الآثام... لاتحمل هذه النفس إثم نفس اخرى وذنبها، لتحمل كل نفس وزرها، وليحمل كل صاحب إثم، إثم نفسه فحسب، وليؤاخذ كل نفس بماتقترفه من الآثام خفيفها وثقليها: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. ولا تكسب كل نفس إلّا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى» الأنعام: ٣١ و١٦٤) «تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون» البقرة: ١٣٤) «من يكسب إثماً فانّما يكسب على نفسه» النسآء: ١١١)

«قل لا تسئلون عمّا أجرمنا ولانسئل عمّا تعملون» سبأ: ٢٥)

وقوله تعالى: **«وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى»** وإن تدع ذات حمل ثقيل من الآثام والذنوب... مَن يحمل عنها بعض ذنوبها أو كل آثامها... لم تجد مَنْ يجيبها إلى ماتطلب، فلايُحمَلُ منها شيء وإن كانت النفس المدعوّة لحمل الأوزار كلّها أو بعضها ذات قرابة من الداعي كالأب والامّ والإبن والأخ... كما قال الله تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة» المدثر: ٣٨)

مع أنّ كل واحد منهم يومئذ مشغول بنفسه وحاله، فلاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولا تستطيع دفع ضرّ عنها، ولو كانت ذات قرابة منها، ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. قال الله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربّكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئاً» لقمان: ٣٣)

وقال: «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم» الغافر: ١٧)

وقال: «يوم يفرّ المرء من أخيه وامّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس: ٣٤-٣٧)

وقال: «فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون» المؤمنون: ١٠١)

فلايحمل إنسان يوم القيامة اثم غيره ولايعينه في حمله ثقيلاً كان الحمل أو خفيفاً، وإن كان المدعوّ خفيف الحمل، والداعي ثقيل الحمل، وإن كان المدعوّ

قريباً من الداعي، فأقرب الناس إلى الداعي لايحمل عنه شيئاً من حمله يوم القيامة، هذا هو ميزان الحساب للناس يومئذ، فان فيها لكل إنسان عند الله تعالى جزآء ماعمل، فلايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد: «فيومئذ لايعذّب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد» الفجر: ٢٥ ـ ٢٦) وهذا هو العدل الالهي في الحكم يوم القيامة.

وأما قوله تعالى: «وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم» العنكبوت: ١٢) ففي الضّالّين المضلّين، فانهم يحملون أثقال إضلالهم مع حمل أثقال ضلالهم، وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم، فلايؤاخذ أحد بذنب غيره ولايؤاخذ إلا بجنايته إلّا أن يكون سبباً لذنب أحد وجناية غيره... فالمعنى: ولاتحمل نفس آثمة إثم نفس اخرى ما لم تكن أضلتها، فانها تحمل وزرها ووزراً مثل وزر من أضلّوا بها. ولكن هذا وزرها هي بالاضلال، فأما وزر النفس الضالة فلايحمل عنها، فكل نفس تحمل أوزارها وأثقالها...

قال الله عزوجل: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألاساء مايزرون» النحل: ٢٥).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولاينتقص اولئك من أوزارهم شيئاً».

وقوله عزوجل: «إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب» انّما تنذر أيها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذه الا نذارات الذين يخشون ربّهم بايمانهم بالغيب، يخافون ربهم في غيبتهم وخلواتهم في كل حال، ويجتنبون معاصيه في سرّهم وعلنهم في كل زمان ومكان، وهم يصدقون بالآخرة وحسابها وجزآئها، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «إنّما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب» يس: ١١) «الذين يؤمنون بالغيب ـ وبالآخرة هم يوقنون» البقرة: ٢ ـ ٣) هم يخافون ربهم لأنهم المنتفعون بالانذار وأما المكذّبون فلا تنفع فيهم دعوتك وإنذارك لانهم مطبوع على قلوبهم...

وقوله جل وعلا: «وأقاموا الصلاة» في أوقاتها وأداموها لأنّها عمود الدين فمن أقامها حق إقامتها فقد أقام الدين، وأنّها أفضل العبادات وأهمّها، وأنّها التي تطهر القلوب، وتقرّب العباد من ربهم، وأنها تنهى عن الفحشآء والمنكر...

قال الله تعالى: «والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون» الانعام: ٩٢) وقال: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر» العنكبوت: ٤٥).

وقوله سبحانه: «ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه» من يتطهّر من أدناس الشرك والذنوب، ومن اوزار المعاصي والآثام... وتطهر بالايمان والتقوى، وبالطاعات وصالح الأعمال... وتلبّس بالخشية من الله تعالى على الغيب فانّما يتزكّى لنفسه حيث ان نفع ذلك كله عآئد إليه، كما أنّ مَنْ يتدسّى بالكفر والقبآئح... فضرّ ذلك راجع إليه، فصلاحه مختص به كما أنّ فساده عائد إليه.

قال الله عزوجل: «قد أفلح من زكّاها وقدخاب من دسّاها» الشمس: ٩ ـ ١٠)

وقال: «قل يا أيها الناس قدجاء كم الحق من ربكم فمن اهتدى فانّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فانّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل» يونس: ١٠٨)

وقوله تعالى: «وإلى الله المصير» يرجع امور الخلق كلّها إلى الله جل وعلا وحده إذ لايملك الأمر والنهي يومئذ إلّا الله تعالى، فكل عامل منكم معاشر الناس! مؤمنكم وكافركم، برّكم وفاجركم، محسنكم ومسيئكم، صالحكم وفاسدكم... وهو مجاز جميعكم في الدار الآخرة، فيجازى كلّ نفس على قدر عملها إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، فمن تزكّى نفسه وخشي ربه، وأقام صلاته... فهو لايذهب سدًى.

قال الله عزوجل: «ألا إلى الله تصير الامور» الشورى: ٥٣) «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله» الانفطار: ١٩) «قل للذين لايؤمنون إعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون ـ وإليه يُرجع الأمر كله» هود: ١٢١ ـ ١٢٣) «ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى» النجم: ٣١)

١٩ - (وما يستوي الأعمى والبصير)

لايستوي المشرك والموحّد، ولاالكافر والمؤمن، ولاالمفسد والمصلح، ولا المنافق والمخلص، ولاالفاجر والمتقي، ولاالجاهل والعالم، ولاالمسيئ والمحسن... لايستوي مَن ضلّ طريقه الفطري بنفسه ولم يهتد إليه لابتعاده عن صاحب السراج المنير بسوء اختياره، ومن أبصر الطريق الفطري الواضح، فاهتدى بهدى الله تعالى لا تباعه الهادي، ولاستجابته ندآء الفطرة ونداء خالقها، ولايستوي أعمى القلب الذي ضلّ عن طريق الحق وعدل عن دين الله جل وعلا، وبصير القلب الذي إهتدى إلى سبيل الحق واتبع دين الله تعالى لأنّ الأوّل يستحق الخزي والنار، والثاني يستحق العزّة والجنّة فشتّان بينهما!

قال الله تعالى: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار» ص: ٢٨)

وقال: «أم حسب الذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سوآء محياهم ومماتهم سآء مايحكمون» الجاثية: ٢١)

وقال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستون» السجدة:١٨)

وقال: «قل لايستوي الخبيث والطيّب» المائدة: ١٠٠)

وقال: «قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون» الأنعام: ٥٠)

وقال: «لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون» الحشر: ٢٠)

٢٠ - (ولا الظلمات ولاالنور)

ولا تستوي ظلمات الشرك والكفر ونور التوحيد والايمان، لا تستوي ظلمات الباطل والضلالة، ونور الحق والهداية، لا تستوي ظلمات الشر والطغيان ونور الخير و الطاعة، لا تستوي ظلمات الظلم والنفاق ونور العدل والاخلاص، ولا تستوي

ظلمات الجهل والسفاهة، ونور العلم والحكمة...

وذلك ان الشرك والكفر والباطل والضلالة... عمى في طبيعة القلب الانساني، وعمى عن رؤية دلائل التوحيد والايمان والحق والهداية، وعمى عن رؤية حقيقة الوجود وحقيقة الارتباطات فيه، وعمى عن رؤية حقيقة القيم والأشخاص والأحداث والأشياء... وان الشرك والكفر.. ظلمات فعند مايبعد الناس عن نور التوحيد والايمان يقعون في ظلمات من شتّى الأنواع والأشكال... ظلمات تعزّ فيها الرؤية الصحيحة لشيء من الأشياء... وإن الشرك والكفر والباطل تخالف طبيعتها طبيعة التوحيد والايمان والحق، لأن الايمان نور في القلب وان التوحيد نور في الجوارح، وان الحق نور في الحواس، نور يكشف حقائق الأشياء والقيم والأحداث ومابينها من ارتباطات ونسب وأبعاد...

قال الله عزوجل: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» الأنعام: ١٢٢)

وقال: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة» النحل: ٩٧)

وقال: «إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين» يس: ٦٩ - ٧٠)

حيث ان الايمان نور والمؤمن بصير فلايخفى عليه نور، فيمشي به في الناس، وان الكفر ظلمة، والكافر أعمى فله صادّ فوق صادّ... فالمؤمن ينظر بهذا النور، وحيّ بهذا النور، ويمشي بهذا النور، ويتفكّر بهذا النور ويعمل بهذا النور نور الله تعالى، فيرى الحقآئق بهذا النور ويتعامل معها، ولايخبط في طريقه، ولايلطش في خطواته، وان الايمان بصر يرى رؤية حقيقيّة صادقة غير مهزوزة، ولامخلخلة، ويمضى بصاحبه في الطريق على نور وثقة واطمينان، وان الكفر ظلمة بعد ظلمة لما في معنى الكفر من ستر بعده ستر، فعقل الكافر وقلبه وفكره... مستور بسترات، فلايرى معها

الحقائق.

۲۱ - (ولا الظل ولا الحرور)

ولا تستوي الجنّة وهي الثواب لأهل الايمان، والنار وهي العقاب لأهل الكفر والطغيان، فكما أنّ الايمان ظل ظليل تستروحه النفس ويرتاح له القلب، ظل من هاجرة الشكّ والقلق والحيرة في التيه المظلم بلا دليل، وثواب أهل الايمان وهو الجنّة هي ذات ظلّ دآئم: «اكلها دائم وظلّها» الرعد: ۳٥) فكذلك الكفر هاجرة حرور تلفح القلب فيه لوافح الحيرة والقلق وعدم الاستقرار على غرض ولا ثبات على هدف، وعدم الاطمينان إلى نشأة أو مصير، ثم تنتهي إلى حرّ جهنّم ولفحة العذاب هناك وهي عقاب أهله، وهي النار ذات حرور «قل نار جهنم أشد حرّاً» التوبة: ۸۱)

۲۲ - (وما يستوي الأحيآء ولا الأموات إن الله يسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في القبور)

ولايستوي المؤمنون الموحدون الذين هم أحيآء القلوب بالايمان وصالح الأعمال، ولاالكفار المشركون الذين هم أموات القلوب بغلبة الشرك والكفر والطغيان عليها، حتّى صارت لا تعقل عن الله تعالى أمره ونهيه، ولاوعده ووعيده، بل ترى الضلالة هداية: «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً» الكهف: ۱۰٤)

فلايستوي عند الله تعالى الايمان والكفر، الخير والشر، الهدى والضلال، كما لايستوي العمى والبصر والظلمة والنور والظل والحرور والحياة والموت لأنّها مختلفة الطبائع ومتضادّة الماهية من الأساس، حيث انّ الكفر موت في الضمير، وانقطاع عن مصدر الحياة الأصيل، وان الايمان حياة واتصال بمصدر الحياة الاصيل، وانّ الكفر انفصال عن الطريق الواصل، وانّ الايمان اتصال في الطريق الواصل، وانّ

الكفر عجز عن الانفعال والاستجابة الآخذين من النبع الحقيقي المؤثرين في سيرة الحياة عكس الايمان، فلكل طبيعة وجزآء وأثر، فلايستوي عند الله عزوجل هذا وذاك ، وان الفوارق بين البصر والعمى، والظل والحرور، والنور والظلمة، والحياة والموت، من طبائعها وخلقها التكويني.

ومن الضرورة: أن الشيء ونقيضه لايستويان أبداً سوآء أكان التضاد بين ذوات الأشيآء أم بين صفاتها، فاذا لم يتساو ولم يتشاكل ولم يتماثل الأشيآء المتضادة كالوجود والعدم، كالنور والظلمة، كالظلّ والحرور، كالحيّ والميّت، وكالبياض والسواد... فكيف يتساوي بين المؤمن والكافر، بين الحق والباطل، بين المتقي والفاجر، بين الهدى والضلال، بين المطيع والعاصي، بين الاستقامة والانحراف، بين المحسن والمسيئ وبين ذوي النوايا الحسنة والقلوب السليمة والعقول الواعية الراغبة في الحق، وذوي النوايا الخبيثة والقلوب المريضة والعقول السقيمة العنيدة المكابرة؟!

وإن عدم جواز التسوية ولا إمكانها بين كل ضدّ وضدّ واضح بيّن لاينكره أي عاقل، فضلاً عن فاضل، فلايستوي المستجيب إلى دعوة الحق والمعاند المكابر المستكبر، وانها عملية تدعو إلى تحريك العقل والفكر، وإلى أن يعمل عملاً جاداً على تسوية هذه المتناقضات... فاذا اتجهت العقول إلى هذا الاتجاه كان من طبيعة الامور ألّا ترضى العقول بهذه المتناقضات التي تقوم في كيان المشركين الطاغين، وفي كيان الكافرين المجرمين... حيث يؤثرون الشرك على التوحيد، والطغيان على الطاعة، والكفر على الايمان، والضلال على الهدى، والباطل على الحق... وهكذا تجيء آيات الله تعالى بهذه الايحاءات النفسيّة التي تدخل العقل في رفق ولطف إلى مواطن التوحيد والايمان والهدى، وإلى مواقع الخير والحق والفلاح...: «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون» هود: ٢٤)

حيث ان المؤمن بصير سميع نيّر القلب يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، وان الكافر أعمى وأصمّ يمشي في ظلمات لاخروجه منها فهو يتيه في غيّه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضى به ذلك إلى حرور وسموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم.

قال الله عزوجل: «أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوآءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من مآء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا مآءً حميماً فقطّع أمعآءهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٤ ـ ١٥)

وقوله تعالى: «إنّ الله يسمع من يشآء» إنّ الله عزوجل يسمع آياته ويهدي مَن علم أنّ فيه خيراً: «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم» الأنفال: ٢٣) يسمع مَن مهّد نفسه بحسن إختياره للايمان لايريد الكفر والطغيان واهتدى: «وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فقل إنّما أنا من المنذرين» النمل: ٩٢) ويسمع من أناب إليه: «ويهدي إليه من أناب» الرعد: ٢٧) ويسمع من اعتصم بالله جل وعلا وأجاب دعوة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالايمان: «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» آل عمران: ١٠١).

فيوفّقه لفهم آياته، والا تعاظ بعظاته، وقدكان ميتاً فأحياه بكتابه، ولذلك قال الله عزوجل: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس» الأنعام: ١٢٢) وأما النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فهو منذر ووسيلة للهدى، وإن الهدى هدى الله جل وعلا: «قل إنّ هدى الله هو الهدى» الأنعام: ٧١)

وقوله عزوجل: «وما أنت بمسمع من في القبور» وما أنت أيّها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بمسمع الكفار والمشركين، والفجار والمجرمين الذين أمات الكفر والشرك قلوبهم فطبع على قلوبهم فيصرّون على الشرك والطغيان، وعلى الكفر والعصيان إذا استولي

عليهم الشرك والعناد والضلالة واللجاج، بحيث كأنّهم صاروا أمواتاً دُفِنُوا في القبور في عدم استماعهم لآيات الله، وعدم تعقلهم في كتاب الله جل وعلا، فلايقبلون الهداية، ولايستمعون كلمة الحق ولايرون الحقيقة الساطعة ولا يستجيبون لداعيها، فكما أنت لا تقدر أن تسمع الموتى الذين دفنوا في القبور كتاب الله تعالى، فتهديهم به إلى سبيل الرشاد لا تقدر أن تنفع بمواعظ الله وحججه عزوجل من كان ميّت القلب الذي لايستطيع فهم كتابه، ومعرفة مغازي الدين وأسراره وهو على حاله من الشرك والكفر والعناد واللجاج والطغيان...

فمن لايهتدي بسوء اختياره فلايهديه الله إلى صراط مستقيم بالاكراه والاجبار: «إن الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله» النحل: ١٠٤) ولايهدي من هو كاذب كفار: «إن الله لايهدي من هو كاذب كفار» الزمر: ٣) ولايهدي من هو مسرف كذّاب: «ان الله لايهدي من هو مسرف كذّاب» الغافر: ٢٨) «وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً» الكهف:٥٧) «أفأنت تسمع الصّمّ أوتهدي العمي ومن كان في ضلال مبين» الزخرف: ٤٠) انك تسمع من استمع لآياتنا وتعقل فيها واهتدى: «أنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون. أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لايبصرون» يونس: ٤٢ ـ ٤٣) «إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعآء إذا ولّوا مدبرين وماأنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» النمل: ٨٠ ـ ٨١)

٢٣ ـ (إن أنت إلّا نذير)

ما أنت يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا رسول تنذر هؤلاء المشركين الطاغين والمكذّبين الباغين بالخزي والدمار وبالعذاب والنار لشركهم وتكذيبهم وطغيانهم... إنّما الانذار هو من وظائف الرسالة وعمل الرسول، وما على الرسول إلّا البلاغ: «إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد» الرعد: ٧) «فان تولّوا فانّما عليك البلاغ المبين»

النحل: ٨٢) «قل إنّما الآيات عند الله وإنّما أنا نذير مبين» العنكبوت: ٥٠)

وأما الاهتداء والاستجابة والايمان فليست من عمل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فليسُ لهؤلاء المكذّبين إلّا أن تحمل إليهم من بلآء ونكال، ومن نار وعقاب، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن لم تسمعوا آيات الله جل وعلا ولم يستجيبوا لك، إذ ليس عليك أن تسمعهم آيات الله تعالى ولاعليك هداهم: «ليس عليك هداهم» البقرة: ٢٧٢) لأنهم مصرّون على الكفر والطغيان، وعلى الضلالة والعدوان، وانّ الله جل وعلا لايهدي المصرّين عليها، فهم لن يؤمنوا أبداً إذ طبع على قلوبهم بسوء اختيارهم الكفر والضلالة.

قال الله عزوجل: «زيّن لهم سوء أعمالهم والله لايهدي القوم الكافرين» التوبه: ٣٧)

وقال: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون» النحل: ١٠٧ - ١٠٨)

وقال: «فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدىً من الله إن الله لايهدي القوم الظالمين» القصص: ٥٠).

٢٤ - (انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من امّة إلّا خلا فيها نذير)

إنّا أرسلناك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحق، وهو دين الاسلام والكتاب الحق وهو القرآن الكريم وأنت الحق، أُرسلْتَ بالحق، لاتحدّثُ إلّا الحق، ولا تقنعُ إلّا بالحق، ولا تعرضُ إلّا الحق، ولا تشير بغير الحق، وما جئناك إلّا بالحق، ولا تبيّنُ إلّا الحق، تبشّر المؤمنين بالوعد الحق وهو العزّة والكرامة في الحياة الدنيا والجنّة ونعيمها في الدار الآخرة، وتنذر الكافرين بالوعيد الحق وهو الخزي والوبال في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة كما كان هذا هو عمل جميع الأنبيآء

والمرسلين وأوصيائهم قبلك بالامم الماضية:

قال الله عزوجل: «وما نرسل المرسلين إلّا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذّبوا بآياتنا يمسّهم العذاب بما كانوا يفسقون» الأنعام: ٤٨ ـ ٤٦)

وقوله تعالى: «وإن من امة إلّا خلا فيها نذير» وما من أمة أهل عصر خلت ومضت من بني آدم إلّا وقدبعث الله عزوجل إليهم رسولاً دعاهم إلى الله تعالى وطاعته: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبياء: ٢٥) و وعد المؤمنين بالعزّة والفلاح في الدنيا، وبالجنة ونعيمها في الآخرة، ووعد الكافرين بالذلّة والخسران في الدنيا وبالنار وجحيمها في الآخرة، وأزاح عنهم العلل، وذلك سنة من سنن الله تعالى الجارية في خلقه.

قال الله عزوجل: «رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» النسآء:١٦٥)

وقال: «ولقد بعثنا في كل امّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» النحل: ٣٦)

وقال: «وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً» الاسرآء: ١٥)

٢٥ ـ (وإن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جآءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير)

وإن يكذّبك أيها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كفّار مكة وغيرهم من المكذّبين الضالّين المضلّين فلا تبتئس بما يفعلون، فانّه قد كذّب الكفار من الامم السالفة أنبيآئنا ورسلنا، الكفار الذين كانوا هم قبل كفار مكّة ومن إليهم، كذّبوا إذ جائتهم رسلنا الذين أرسلنا إليهم بالمعجزات الباهرة والأدلّة القاطعة، والبراهين الواضحة التي تشهد على حقّيّة رسلنا، وتدلّ على صدق نبوّة أنبيآئنا فيما يدّعون،

ومايدعونهم إليه، أرسلنا رسلنا إليهم بالصحآئف والكتب التي كانت فيها الحكم والمواعظ والزواجر.. وفيها ذكر الله جل وعلا من غير أن تتضمن الاحكام والشرائع... وأرسلنا إليهم رسلنا بالكتاب المنير الذي كان متضمّناً للشرائع والأحكام الواضحة... ولكنّهم مع ذلك كله كفروا بالله جل وعلا وعصوه وخالفوا رسله وكذّبوا أنبيآئه... فاصبر كما صبروا.

قال الله تعالى: «وقال الذين كفروا إن هذا إلّا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جآؤا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملىٰ عليه بكرة وأصيلاً ـ وقال الذين كفروا لولانزّل عليه القرآن جملة واحدة ـ وإذا رأوك إن يتخذونك إلّا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً» الفرقان: ٤ و ٥ و ٣٢ و ٤١)

وقال: «وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبّئكم إذا مزّقتم كل ممزّق إنكم لفي خلق جديد ـ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ـ وما أرسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنابما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أمولاً وأولاداً ومانحن بمعذّبين ـ وكذّب الذين من قبلهم ومابلغوا معشار ما آتيناهم فكذّبوا رسلي فكيف كان نكير» سبأ: ٧ و ٣١ و ٣٤ و ٤٥)

وقال: «فان كذّبوك فقد كذّب رسل من قبلك جآؤا بالبيّنات والزبر والكتاب المنير» آل‌عمران: ١٨٤)

وقال «وإن تكذّبوا فقد كذّب امم من قبلكم» العنكبوت: ١٨)

وقال: «الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا» الغافر: ٧٠)

وقال: «وإن يكذبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكُذِّبَ موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير» الحج: ٤٢ ـ ٤٤)

وقال: «ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذّبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا» الانعام: ٣٤)

٢٦ ـ ﴿ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾

ثم أخذت الذين كذّبوا رسلنا بالنقمة والبلاء والاهلاك والدمار في الحياة الدنيا، والنار والعذاب في الدار الآخرة، تلك عاقبة المكذّبين برسل الله جل وعلا وهي سنة من سنن الله تعالى لا تبديل لها، ومكذّبوك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ليسوا خيراً من مكذّبي الامم السالفة فانظر أنت ولينظروا هم كيف كان شديد عقابهم وإنكاري عليهم بالعقوبة، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

قال الله تعالى: «إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد ـ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» آل عمران: ١١ ـ ١٢ و ١٣٧)

وقال: «فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها، وبئر معطّلة وقصر مشيد ـ وكأيّن من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير» الحج: ٤٤ ـ ٤٨)

وقال: «أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوّة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله انه قويّ شديد العقاب» الغافر: ٢١ ـ ٢٢)

وقال: «كذّبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفّاركم خير من اولئكم أم لكم برآءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولّون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمّر» القمر: ٤٢ ـ ٤٦)

وقال: «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى» النازعات:٢٦)

٢٧ - ﴿ألم تر أنّ الله أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾

ألم تر أيها المخاطب العاقل الرآئي في كل زمن ومكان؟ أولا تستدل على وحدانية الله عزوجل وعلى علمه وحكمته، على جلاله وعظمته، على تدبيره وقدرته، وعلى اختصاصه جل وعلا من الصفات بما لايختصّ به سواه؟ أنّ الله تعالى أنزل من السمآء مطراً وغيثاً، فاهتزّت به الأرض ونمت: «وترى هامدة فاذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت وربت وانبتت من كل زوج بهيج» الحج: ٥)

فأخرجنا بما لنا من القدرة والعظمة بالمآء المنزل من السمآء ثمرات كثيرة الأجناس من الأرض كالرمان والتفاح والعنب والتمر والتين وما إليها من الأجناس الكثيرة، مختلف أنواع الثمرات بأن يكون لكل جنس أنواع مختلفة من الثمرات فانّ العنب مثلاً على أنواع مختلفة وهكذا، ومختلف ألوان الثمرات إذ لكل نوع ألوان مختلفة من البياض والسواد، والحمرة والخضرة والصفرة ونحوها مما لاحصر له من ألوان، مختلف طعوم الثمرات وروائحها وخواصّها، إذ لكل نوع طعوم وروائح وخواص، ومختلف أشكالها وهيئاتها وهندستها من المدوّر والطويل والصغير والكبير.. وقد أحصى العلماء أنواع النبات إلى (٣٢٠) ألفاً لاتجد إثنين منها اتفقا خضرة وبياضاً وصفرة وسواداً، وطعماً ورآئحة...

قال الله عزوجل: «وهو الذي أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنّات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغيرمتشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون» الانعام: ٩٩)

وقال: «ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرصنوان يُسقى بمآء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الاكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» الرعد: ٣ و ٤)

وقال: «وأنزل من السمآء مآءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم» إبراهيم: ٣٢)
وقال: «هو الذي أنزل من السمآء مآءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون» النحل: ١٠ - ١١)

وقال: «أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السمآء مآءً فأنبتنا به حدآئق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون» النمل: ٦٠)

وقوله تعالى: «ومن الجبال جدد بيض...» وفي بعض الجبال خطوط مختلفة يعبّر عنها في الفارسي بـ«رگه ها» بعضها بيض وبعضها حمر، مختلف ألوانها في الشّدة والضعف وإن كان الجميع حجراً أو تراباً، وبعض الجبال غربيب سود على لون واحد لاخطوط فيها، وإن كانت الجبال نفسها خطوط ممدودةٍ مهندَسَة خاصّة على وجه الأرض مختلف ألوانها، ماعرفت أسرارها حتى اليوم جدّاً: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنعَ الله الذي أتقن كل شيء» النمل: ٨٨)

٢٨ - (ومن الناس والدوابّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلمآء إن الله عزيز غفور)

ومن غير مراء ان الناس مختلف ألوانهم، فبعضهم سواد، ومنهم بياض، وبعضهم حمر، ومنهم صفر وغيرها من الألوان... مع اختلاف الألوان في الشدّة والضعف، بأنّ السود ليسوا بويترة واحدة، فنهم سواد، ومنهم شديد السواد وهكذا... وهذا دليل قاطع على وحدانية الله عزوجل وعلمه وحكمته، وقدرته وتدبيره: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين» الروم: ٢٢) فالانسان في نوعه مختلف ألوانه، له صور وأشكال... بعدد أفراده إذ لكل واحد من الانسان صورة ولون ولسان ومشاعر

وتفكير وتصورات وخواطر.. بحيث لايتفق إثنان على ذلك .

وقوله عزوجل: «والدواب» وكذلك كل مايدبّ على وجه الأرض وبطنها، وجوّها من الحشرات والطيور البريّة والبحرية على أصنافها وأقسامها حتى في النوع الواحد مختلف ألوانها لاحصر لها إلّا بعدد أفرادها، إذ كل حيّ منها، وإن بدا أنّه قريب الشبه بغيره، ولكن لكل حيّ منها صفات ظاهرة وباطنة تميّزه من غيره.

وهذا أيضاً دليل قاطع كالسابق على وحدانية الله جل وعلا لمن تفكّر في نظام الكون ونواميس الوجود: «وفي خلقكم ومايبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون» الجاثية: ٤)

وقوله تعالى: «والأنعام مختلف ألوانه كذلك» وكذلك الأنعام على أنواعها من البقر والغنم والابل وما إليها، ومن الوحشية والأهلية، ومن البرية والبحرية، مختلف ألوان كل نوع من الأنواع حتى أفراد النوع الواحد، كاختلاف الثمار والجبال من حيث ألوانها وهيئتها، وأشكالها واختلافها صغراً وكبراً، طعوماً وروائح، خواصّ وتراكيب، ونظماً ومشكّلاً من مدوّر واسطواني وهرمي ومخروطي، وطبّاً وغذآءً ودواءً وحلوة وزيتية وعطرية، ومرّة ومائية وحمضية... «وإنّ لكم في الأنعام لعبرة» النحل: ٦٦)

فكما أنّ تلك الأجناس الثلاثة من الجماد والنبات والحيوان في أنفسها دلائل واضحة على وحدانية الله عزوجل وكمال علمه وحكمته، وعلى غاية تدبيره وقدرته، في أنواع الأجناس ومميزاتها أيضاً براهين قاطعة على ذلك ،فعليكم بهذه الأدلة والبراهين لمعرفتكم بخالقكم، وطاعته، والخشية منه وحده.

وقوله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» العاملين الذين يتفكّرون في تلك الأجناس المختلفة وأنواعها ومميّزاتها من اختلاف الثمرات والجبال والناس والدواب والأنعام، وفي أسرارها وحِكَمِها... ويستدلّون بها على وحدانية الله تعالى وعلى علمه وحكمته، على جلاله وعظمته، وعلى قدرته وتدبيره، ويتلون كتاب الله جل

وعلا ليلاً ونهاراً، متفكرين في آياته، فهم يعرفون الله عزوجل حق معرفته، يعرفونه بأسمآئه وصفاته، وأفعاله في نظام الكون ونواميس الوجود، معرفة تامّة تطمئنّ بها قلوبهم، وتزيل بها وصمة الشك والقلق عن نفوسهم، ولذلك يخشون ربهم بالغيب، وهم أقاموا الصلاة وزكّوا أنفسهم من أدناس الرياء و النفاق، وعن أوزار حب الدنيا وشهواتها وأهوائها... وهم الذين قال الله تعالى فيهم:

«إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكّى فانّما يتزكى لنفسه» فاطر: ١٨) من أن الانذار إنّما ينجح في العلماء العاملين لامطلق العلماء ولاعامّة الناس، فان الخشية حق الخشية إنّما توجد في العلمآء الذين عرفوا الله جل وعلا حق معرفته، ولامعرفة بالله تعالى إلّا عن نظر في نظام الوجود، وتفكر في نواميس الكون، وتدبّر في الآفاق والأنفس كما أن لاخشية إلّا عن معرفة الذات التي تخشى ويخشى سلطانها، ويخاف بأسها، فمن كان أكثر معرفة وعلماً بما له من صفات الكمال والجلال كان أكثر خشية منه تعالى، وأكثر عاملاً بأوامره، وأكثر توقياً لحرماته... لماورد: «من كان أعلم بالله كان أخشى منه» و«من لم يعرف الله حق معرفته ولم يعمل بما علم فهو ليس بعالم» وإن كان عارفاً بقواعد علمية، وعالماً باصطلاحات العلوم والفنون الكثيرة...

إذ ليس العلم من كثرة الحديث، ولامن التكلم بالقواعد والاصطلاحات الموضوعة... وقال الله تعالى فيهم: «إن الذين يتلون كتاب الله ـ انه غفور شكور» الفاطر: ٢٩ ـ ٣٠) فظهرت آثار المعرفة والخشية في أعمالهم إذ صدّق فعلهم قولهم، وهم الخاشعون في ظاهرهم باطنهم والعاملون بما علموا قبل أن يدعوا الناس إليه.

قال الله عزوجل في الفريقين من العلمآء: «وإن منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عندالله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ـ ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننه

للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ٧٨ و ٧٩ و ١٨٧ و ١٨٨)

وقال: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلّا الحق ودرسوا مافيه» الأعراف: ١٦٩)

وقال: «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً» النسآء: ٥١ ـ ٥٢)

وقال: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» البقرة: ٤٤)

وقال: «لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» الصف: ٢ ـ ٣)

وقال: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد» الفاطر: ٣٢).

وقوله تعالى: «إن الله عزيز غفور» هؤلاء المؤمنون العاملون من العلمآء الدينيّة يخشون ربّهم بالغيب، ويعملون بما علموا ويتقرّبون إليه، ويأتمرون بما امروا به، وينتهون عمانهوا عنه لأنّهم عرفوا أن الله تعالى غالب غيرمغلوب، وقاهر غير مقهور في كل جهة فيفعل مايشأ ومايريد إذله العزّة جميعاً، وله القدرة المطلقة، وله القوة التامة شديد العقاب لمن كفر به وعصاه: «أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب» البقرة: ١٦٥) وأنه كثير المغفرة لمن تاب وأناب إليه.

قال الله تعالى: «وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً» طه: ٨٢)

فمن عرف حق المعرفة! أن الله غالب قاهر في انتقامه على من كفر به، وقادر على عقوبة العصاة، وقهرهم، وعلم أنه تعالى يغفر ذنوب من آمن به وأطاعه،

ويثيب أهل الطاعة ويعفو عنهم، فمن حق المعاقِب والمُثيب أن يُخشىٰ يخشاه من عرفه حق معرفته، فيتقى عقابه بطاعته، لأنّ من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية أن يعاقبه فيطيعه رجاءً لفضله وثوابه مما وعده بعباده...

٢٩ ـ ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾

إن الذين يقرؤن كتاب الله جل وعلا الذي أنزله على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تدبّر وإدراك وتأثر، لامجرّد مرور بكلماته بصوت أو بغير صوت، وبالتدبّر والادراك والتأثر ينتهي إلى عمل بكتاب الله واتباع رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هم يقرؤن القرآن الكريم قرآءة مبصرة يقع منها للعقل والقلب والفكر ولتمام وجود الانسان من المعرفة بالله عزوجل، وعلمه وحكمته، وقدرته وتدبيره، ومايقع منها له من شواهد ناطقة تشهد بما لله تعالى من كمال وجلال وعظمة: «أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النسآء: ٨٢) «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٢٤) «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩)

إنّما هذه القرآءة هي التي تملأ القلوب إجلالاً وخشية لله جل وعلا وتطهّر النفس من أدناس النفاق والريآء، وتزكّيها من اوزار حبّ الدنيا وشهواتها...

فهم يقرؤن القرآن الكريم ويعملون به، قبل أن يدعوا الناس إلى كتاب الله تعالى والعمل به، وهذه التلاوة هي حق التلاوة توجب الايمان والعمل بالكتاب: «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به» البقرة: ١٢١) وإلّا فربّ تال القرآن والقرآن يلعنه، ولأن القرآن الكريم بصراحته يلعن من يقرأه ويكتم حقآئقه ومعارفه: «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما

بيّناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلّا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم» البقرة: ١٥٩ - ١٦٠) ويلعن من يقرأهُ ويؤذي الله ورسوله وأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً» الاحزاب: ٥٧) أو ليس ايذاء أهل بيت الوحي صلوات الله ايذآء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وايذآء الله تعالى؟!

ويلعن الكاذبين: «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» آل‌عمران: ٦١) ويلعن الظالمين: «لعنة الله على الظالمين» الأعراف: ٤٤) ويلعن المفسدين: «ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار» الرعد: ٢٥)

بل ويلعن كلّ مجرم وآثم، فاذا قرأ الفاسق والمجرم القرآن الكريم فقد لعن نفسه بنفسه، إضافة إلى لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقوله تعالى: «وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية» وهم أدّوا الصلاة المفروضة، وحافظوا حدودها «والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة» الاعراف: ١٧٠)«وهم على صلاتهم يحافظون» الأنعام: ٩٢) وهذه الصلاة هي التي تنهى الانسان عن الفحشآء والمنكر: «إن الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر» العنكبوت: ٤٥) وأنفقوا في طاعة الله تعالى بعض مارزقناهم وملكناهم التصرف فيه، سرّاً تحذّراً من الريآء وزوال الاخلاص في الانفاق المسنون مالم يكن وجه للعلن، وعلانية من زكاة وغيرها ليشيع بين الناس كما في الانفاق الواجب، مالم يكن للسّرّ وجه مشروع: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان ذلك قواماً» الفرقان: ٦٧).

وقوله عزوجل: «يرجون تجارة لن تبور» هم بتلاوة القرآن الكريم حق التلاوة والعمل به وباقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله تعالى يرجون ما وعد الله عزوجل من الثواب لمن عرف الله جل وعلا حق معرفته وآمن به حق الايمان، عمل صالحا ويخشاه بالغيب، وان هذه التجارة مع الله جل وعلا ولوجهه، رأسها

وأثمانها النفوس والأموال، والثمن المبيع هو الثواب والجنة والسفر والتقرّب بها إلى الله تعالى فهي تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك بالخسران.

قال الله عزوجل: «يا أيّها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» الصف: ١٠ - ١١)

وقال: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ١١١)

٣٠ - (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)

إن الله عزوجل لن يضيع أجر المؤمنين، ولن يفسد تجارتهم لأنها كانت تجارة عن تراض من الله تعالى تقبّلها منهم لأن يوفّيهم اجورهم وثواب أعمالهم المذكورة وفآءً بعهده الذي عاهده بالمؤمنين الذين أوفوا بعهدهم، فعلى الله تعالى أن يوفى بعهده: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم- من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النحل: ٩١-٩٧)

«الذين يوفون بعهدالله ولاينقضون الميثاق- اولئك لهم عقبى الدار» الرعد: ٢٠-٢٢) فيثيبهم على ماوعدهم ويزيدهم من فضله على اجورهم من خزآئن رحمته، فيضاعف لهم الأجر، فضلاً وكرماً وإحساناً منه تعالى سواء أكانت الزيادة من سنخ ثواب الأعمال... أم لا كالشفاعة، وإن كانت بلاغة اللفظ تستدعي أن تكون الزيادة من جنس المزيد عليه فالمراد بالزيادة تضعيف الحسنات...

قال الله تعالى: «إن الله لايظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» النسآء: ٤٠)

وقال: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفّرنّ عنهم سيئاتهم ولنجزينّهم

أحسن الذي كانوا يعملون» العنكبوت: ٧)

وقال: «ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشآء بغير حساب» النور: ٣٨) وقال: «من خشي الرحمن بالغيب وجآء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣٣-٣٥).

وقوله تعالى: «انه غفور شكور» لأن الله جل وعلا كثير المغفرة لذنوب مَن تاب إليه وكثير الستر لعيوب مَن آمن به، وكثير التجاوز من سيّئآت مَن أخلص وعمل صالحاً: «وهوالذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات» الشورى: ٢٥) «إن ربنا لغفور شكور» الفاطر: ٣٤) كثير الشكر لأنه يشكر اليسير من حسناتهم وطاعاتهم وصالح أعمالهم، ويعطيهم كثيراً من الثواب والجزآء، فيقابل القليل من الطاعة بالجزيل من العطآء، والقليل من العمل بالكثير من الجزآء...

٣١ - (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير)

والذي أوحينا إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من الكتاب وهو القرآن الكريم هو الحق الثابت الذي لايشوبه باطل ولافساد ولاكذب قط: «وانّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت: ٤١-٤٢) حق قام على أساس الحق، أنزله الحق على الحق: «يا أيّها الناس قدجاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم» النسآء: ١٧٠) «والذي أُنزلَ إليك من ربك الحق - له دعوة الحق» الرعد: ١ و١٤) «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» الاسرآء: ١٠٥) «فتعالى الله الملك الحق»طه: ١١٤) هو الحق الذي يبيّن الحق، ويدعوا الناس إلى الحق، ويصدّق الحق، ويصرف عن الباطل، يصدق لما تقدّمه من الكتب السماوية النازلة على الأنبيآء الذين كانوا من قبلك، وجآء موافقاً لما بشرت به تلك الكتب من حاله وحال من أتى به.

قال الله عزوجل: «بل جآء بالحق وصدّق المرسلين» الصافات:٣٧)

وقال: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» الجاثية: ٢٩)

وقال: «قالوا ياقومنا إنّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم» الأحقاف: ٣٠)

فعلى معاشر الناس! أن يعملوا بهذا الكتاب، ويتبعوا مافيه دون غيره من الكتب السماوية التي أُوحيت إلى الرسل، وهو مصدّق لما مضى بين يديه مما انزل إلى الرسل من قبله، فصار هذا الكتاب إماماً لكل كتاب ينطق بالصدق والحق والعدل فلا يدعوا إلّا إلى خير ولاينهى إلّا عن شرّ.

وقوله تعالى: «إن الله بعباده لخبير بصير» لخبير بأحوال عباده لايخفى عليه شيء منها، بصير بالبواطن والظواهر، بصير بما يصلح لهم فيشرع لهم من الاحكام ويرسل إليهم من الرسل، وينزل عليهم من الكتب مايناسب أحوال الناس في كل زمان ومكان: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) فيجازيهم على استعمال الحق بالجنة ونعيمها، وعلى استعمال الباطل بالنار وجحيمها.

٣٢ ـ (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

ثم أعطينا القرآن الكريم أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله بعد رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم وهم وارث القرآن الكريم بالأصالة وحقيقةً لأنّهم كما قال الامام أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حِكَمِه، وكهوف كتبه وجبال دينه بهم أقام إنحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه ـ نحن شجرة النبوة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ـ عندنا أهل البيت أبواب الحِكَم وضياء الأمر ألا وإنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذبها لحق وغِنمَ، ومن وقف عنها ضلّ وندم ـ فانهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يُخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم

عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لايخالفون الدين ولايختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق» نهج البلاغة: ٤٤ و ٣٣٧ و ٣٧٠ و ٤٥٠).

ومعنى الإرث ههنا هو إنتهآء الحكم إليهم ومصيره لهم صلوات الله عليهم أجمعين كما جآء في قوله عزوجل: «وتلك الجنّة التي اورثتموها بما كنتم تعملون» الزخرف: ٧٢) ومن غير مرآء أن أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله هم صفوة الخلق الذين تجب طاعتهم تماماً كطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلّى الله عليه آله وسلّم وطاعة القرآن الكريم نفسه، لأنهم أحد الثقلين بنصّ حديث الثقلين.

قال الله عزوجل: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله» النسآء: ٥٩ و ٨٠)

وقال: «إتّبعوا ماانزل إليكم من ربكم ـ فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون» الأعراف: ٣ و١٥٧)

فهل يطاع ويتبع أحد الثقلين دون الآخر؟ وهل يجب على المؤمنين إطاعة من خالف رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى إذ قال: «إن الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله»؟! وإطاعة من لامرآء في كفره كمعاوية وأضرابه من الطواغيت الجبابرة فضلاً عن ايمانهم: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدّي إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» يونس: ٣٥)؟! أو ليس قول هذا الفتّاك بنفسه تكذيباً بكتاب الله؟؟؟!!!

ولو لم يكن السابقون بالخيرات هم أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله فمن هم؟ وأهل بيت النبوّة هم معصومون عن الخطأ والزلل والعصيان صغيرها وكبيرها، وهم مع القرآن الكريم، والقرآن معهم يدورون حثيما دار، فهم وارثو الكتاب بالأصالة وحقيقة، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «والسابقون السابقون اولئك المقرّبون في جنات النعيم» الواقعة: ١٠ ـ ١٢) هم السابقون بالخيرات باذن الله تعالى وإرادته وأمره وتوفيقه ولطفه.

وقال: «وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات» الأنبياء: ٧٣) ثم العلماء الدينية بعد الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالتبع ومجازاً وهم على طائفتين:

طائفة منهم: ظالمون لأنفسهم بالتقصير في العمل بالكتاب المجيد وفي التبعية عن الامام المعصوم عليه السلام ونقضوا ماعاهدهم الله تعالى عليه وخانوا أمانات الله ولم يؤدّوا حقها!

وطائفة منهم: مقتصدون في العمل بالقرآن الكريم وهم يتبعون الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله بعد معرفتهم حق المعرفة بهم، ويضمّون إلى العلم، التعليم والارشاد إلى العمل فيعملون بما علموا من الكتاب ورسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم وأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله وقداشير إلى الطائفتين في قوله جل وعلا: «وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولاكريم ـوأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين» الواقعة: ٤١ ـ ٤٤ و ٩٠ ـ ٩١) فالظالمون لانفسهم من العلماء الدينية هم أصحاب المشئمة فهم في جهنم داخلون، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون الذين يدخلون الجنة وتكون درجتهم دون درجة السابقين قطعاً.

وفي قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب للتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨)

وهؤلاء الظالمون ليسوا بأهل القرآن الكريم لأنّهم ماحفظوه، وماعملوا بأحكامه، وما تأدّبوا بآدابه، وماحسنوا القيام عليه والرعاية له، ولذلك أفلت من أيديهم هذا الميراث الالهي كما يفلت الميراث من يد الوارث السفيه، ولذلك هدّدهم الله جل وعلا بقوله: «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» الفاطر: ١٦)

ان العلمآء الدينية هم خير امة: «كنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» آل‌عمران: ١١٠) إذا عملوا بوظائفهم، كانوا هم للدين ولم يكن الدين لهم، كانوا هم في خدمة الدين، ولم يكن الدين في خدمتهم، كان شرفهم وكرامتهم وعزتهم لعلم، ولم يكن شرف العلم بهم، وبالجملة كانوا إنساناً قبل أن يكونوا عالمين ولذلك قال الله عزوجل: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ـ ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» آل‌عمران: ١٠٢ ـ ١٠٤) ولم يقل: يا أيها المسلمون ولا يا أيها الناس، ولا يا أيها الذين يؤمنون... وقال أيضاً: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة...» التوبة: ١٢٢) ولم يقل: وما كان المسلمون، ولم يقل: وما كان الناس، ولم يقل: وما كان الذين يؤمنون... حيث ان الوصف حقيقة فيما يتلبّس، فلابد للعالم الديني من الايمان قبل التعلّم وحين التعلم وبعد التعلم إلى «ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون» آل‌عمران:١٠٢)

وقوله عزوجل: «ذلك هو الفضل الكبير» ايراث الله جل وعلا أهل‌بيت الوحي عليهم صلوات الله القرآن الكريم بالأصالة وحقيقة، واصطفا الله تعالى إياهم، وسبقهم بالخيرات بارادة الله هو الفضل الكبير على غيرهم لاشيء من الفضل فوقه ولايماثله.

٣٣ ـ (جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

جنات خلود وبساتين إقامة لايقدر قدرها ولايصفها الواصفون إذ لم ترها عين، ولم يسمعها اذن، ولم تخطر على قلب بشر، يدخلها السابقون بالخيرات لايخرجون منها أبداً لأنهم خير البرية، الذين رضي الله عنهم رضًى كاملاً، ورضوا عنه رضاية تامة: «اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه» البيّنة: ٧ ـ ٨)

هم يحلّون ويُـزَيَّـنون في تلك البساتين من أنواع أساور ـ جمع أسورة وهي جمع سوار من سوار المرأة معرّب وأصله دستواره ـ مرصّعة بالذهب، وهم يحلّون فيها لؤلؤاً خاص بهم ولباسهم في تلك البساتين من جنس حرير محض خاصّ بهم لايماثله أبريسم الدينا.

هذه بعض نعيم جنات الخلود للسابقين بالخيرات وهم الذين قال الله عزوجل فيهم: «إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ـ إن هذا كان لكم جزآء وكان سعيكم مشكوراً» الانسان: ٥ ـ ٢٢)

٣٤ ـ (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور)

وقال السابقون بالخيرات عند دخول جنّات الخلود: الحمد لله الذي أذهب عنّا الخوف من كل مانحذره يوم القيامة، وأراحنا من كلّ ماكنّا في الحياة الدّنيا نتخوّف من غموم الآخرة وشرّها وأهوالها... «إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً» الانسان: ١٠ ـ ١١)

وإذا كان السابقون بالخيرات يخافون شرّ ذلك اليوم، وهم معصومون من أقل الخطأ و الزلل... فكيف لنا؟

وهم يحمدون في كل حال، ومع كل نعمة تطلع عليهم من نعيم جنات الخلود التي لاينقطع نعيمها لحظة... «وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين» الزمر: ٧٣ ـ ٧٤) «دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» يونس: ١٠)

وقوله تعالى: «إن ربنا لغفور شكور» لأنّ ربّنا لكثير المغفرة لعظيم ذنوب من تاب وأناب إليه، ولكثير القبول من قليل طاعات المطيعين، ولكثير الجزآء على قليل من

حسنات المحسنين.

٣٥ - (الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب)

هؤلاء السابقون بالخيرات يقولون في الجنّة: ربّنا هو الذي أدخلنا دار الاقامة والخلود لاخروج منها ولاتحوّل فيها، وأحلّنا دار حياة طيّبة دائمة ودار القرار لاموت فيها: «وازلفت الجنّة للمتقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أوّاب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجآء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشآؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣١-٣٥) «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» العنكبوت: ٦٤) «وإن الآخرة هي دار القرار» الغافر: ٣٩) دار لاانتقال عنها أبداً، فلايريد النازل بها إرتحال منها ولايراد به ذلك. ومن آمن وعمل صالحاً من امّة محمد رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم فله حياة طيّبة دآئمة في الجنّة، فكيف عترة رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياةً طيّبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النحل: ٩٧)

هذا من فضل ربّنا يعطيه من يشآء من عباده: «في روضات الجنات لهم مايشآؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير» الشورى: ٢٢)

وقوله تعالى: «لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب» لايمسّنا في جنات الخلود أدنى تعب وعنآء من العمل، ولامشقّة وفتور من الجهد، ولايصيبنا في دار القرار أقل عيّ وكلال من التعب، ولاكسل وضجر فيما نريد فيها لأنّ لنا فيها مانشآء ومانريد، وذلك انهم ينالون في دار الاقامة مايشآؤن من نعيمها، وينعمون بما اشتهوا من طيبات، دون أن يبذلوا جهداً أو يعملوا له عملاً لأن جوّ بساتين الخلود كله هناك راحة وريحان ويُسر ونعيم...: «فأما إن كان من المقرّبين فروح وريحان وجنّة نعيم» الواقعة: ٨٩)

٣٦ ـ (والذين كفروا لهم نار جهنّم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور)

والذين كفروا بالله جل وعلا، وكذّبوا برسوله صلّى الله عليه آله وسلّم وجحدوا بآياته... لهم نار جهنّم، عقوبة لهم على كفرهم، يعذّبون فيها عذاباً شديداً لاخلاص لهم منه، فلهم دار غير هذه الدار، وحياة غير تلك الحياة، فانّ دارهم هي النار، وحياتهم فيها عذاب لاينقضي ولاينقطع، إذ لايُقضى عليهم بموت ثان، فيموتوا حتى يستريحوا من عذاب النار، فهم أحيآء على ماهم فيه من شدّة العذاب الدائم، انها لحياة يتمنّي أصحابها الموت ولايجدونه: «إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لايفترّ عنهم وهم فيه مبلسون ـ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون» الزخرف: ٧٤ـ٧٧) «الذي يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى» الأعلى: ١٢ ـ ١٣) وقال رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلايموتون فيها ولايحيون» فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لاسبيل إلى ذلك.

وقوله تعالى: «ولايخفّف عنهم من عذابها» ولايخفّف عن الكافرين من عذاب نار جهنم لاكيْفاً ولافترة باستراحة، ولاباماتتهم، ولاباخراجهم من النار طرفة عين أبداً بل «كلّما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بأنّهم كفروا بآياتنا» الاسراء: ٩٧ـ٩٨) «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلنا هم جلوداً غيرها ليذوقواالعذاب» النسآء: ٥٦) «فذوقوا فلن نزيدكم إلّا عذاباً» النبأ: ٣٠)

وقوله عزوجل: «كذلك نجزي كل كفور» بمثل هذا العذاب الأليم، وتلك الحياة المشؤمة النكدة نجزي كل شديد الكفر، كثير الكفران بنعمة ربهم الذين هم يبالغون في الكفر والطغيان، يريدون الكفر بالله عزوجل وتكذيب رسوله صلّى الله عليه آله وسلّم وجحد آياته، ولو يبقون مابقي الدهر، فالنار جزآء لهم لاينفكّ عذابها عنهم:

«إن الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبّل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم» المائدة: ٣٦ - ٣٧)

٣٧ - (وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجآءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)

واولئك الكفّار والباغون، والفجّار والظالمون هم يضجون بشدّة، غاية الصيحة الآسفة، ويضجّون بعويل، ضجّة الثكلى، ويستغيثون بجهد، غاية الاستغاثة المولة بصوت عال في نار جهنم! ينادون فيها نهاية الندآء، يجأرون إلى الله تعالى بأصواتهم، متحسّرين، متأسّفين شديد التحسّر والتأسف على ما أضاعوا أيام حياتهم، ومايذوقون من عذاب نار جهنّم، يقولون: «ربنا أخرجنا» من نار جهنم وأعدنا إلى الدنيا أو إلى دار التكليف، حتى نعمل عملاً صالحاً، فنؤمن بك وبرسولك صلّى الله عليه آله وسلّم وبكتابك بدل الكفر، ونهتدي بدل الضلالة، ونطيع بدل المعصية، نطيعك بكل ما أمرتنا به، نعمل جميع الأعمال الصالحات التي يجب العمل بها «غير الذي كنّا نعمل» من قبل في الحياة الدنيا من الكفر والمعاصي والذنوب والجرآئم والظلم و...

ولكن الله عزّوجلّ يعلم بأنّهم يكذبون فانهم «ولوترى إذ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولانكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون» الأنعام: ٢٧ - ٢٨) ومن هنا لايجيبهم إلى سئوالهم كما أخبر الله تعالى عنهم في قولهم: «وترى الظالمين لـمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل» الشورى: ٤٤) «فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا» الغافر: ١١ - ١٢) أي لايجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ولو رددتم لعدتم إلى ماكنتم من قبل، وإلى مانهيتم عنه،

ولذا قال أو يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً:

«أو لم نعمّركم» أولم نجعلكم تعمرون وقتاً؟! فعمّرتم في الدنيا مقدار ما يمكن أن يتذكّر فيه من يريد أن تذكّر، وينظر ويتفكّر ويعتبر حتى عرفتم الامور كلّها... أو عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدّة عمركم وقد كنتم عصاة كافرين! فما انقضيتم في الدنيا أعماراً؟ وما عشتم فيها سنين؟ فلم تنتفعوا بهذه الفسحة من العمر وهي كافية للتذكر لمن أراد أن يتذكّر، وأنتم لم تتذكّروا ولم تحذروا!!! هذه إنابة غير وقتها، واعتراف في غير زمانه، وندم من غير إفادة، وحسرة بعد وقت أوانها! ومن هنا ردّ عليهم: «أو لم نعمّركم»؟!

وقوله تعالى: «وجاءكم النذير» وجآءكم الرسول صلّى الله عليه آله وسلّم من الله عزوجل ومعه الكتاب يبين لكم الحق ويدعوكم إليه، ويخوّفكم بالعقاب إن خالفتم أمره وتركتم طاعته، فماذا أجبتم رسولنا؟ إلّا خالفتموه وعصيتموه وكذّبتموه!

قال الله عزوجل: «وللذين كفروا بربهم عذاب جهنّم وبئس المصير إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميّز من الغيظ كلّما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجآءنا نذير فكذّبنا وقلنا مانزّل الله من شيء إن أنتم إلّا في ضلال كبير وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا من أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير» الملك: ٦-١١) «وماكنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً» الاسراء: ١٥) «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون» المؤمنون: ١٠٥-١٠٨) فهم لايلقَوْن لهذا الاستصراخ إلّا الردع والزجر:

«فذوقوا» أيها الكافرون عذاب نار جهنم وحسرة الندم هنيئاً لكم، جزآءً لكفرهم بالله عزوجل ومعصيتكم إيّاه، وتكذيبكم آياته، ومخالفتكم رسوله صلّى الله عليه آله وسلّم وطغيانكم في الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: «ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ـ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الأنفال: ١٣و٣٥)

وقال: «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزآء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزآءً بما كانوا بآياتنا يجحدون» فصّلت: ٢٦ ـ ٢٨)

وقوله تعالى: «فما للظالمين من نصير» فما للظالمين الذين وضعوا عقائدهم وأفكارهم وأعمالهم وأقوالهم في غير موضعها واتخذوا الشرك بدل التوحيد، الكفر بدل الايمان، الباطل بدل الحق، الشر بدل الخير، والمعصية بدل الطاعة... في الحياة الدنيا، وأتوا في الدار الآخرة بالمعذرة في غير وقتها فما لهم من معين يدفع عنهم عذاب نار جهنم، فانّ مَن نصر ظالماً فهو ظالم يعذّب، فلن تجدوا أيها الظالمون لكم ناصراً ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والسلاسل والأغلال والنار..

قال الله عزوجل: «من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار» المائدة: ٧٢)

وقال: «وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل ـ ألا إنّ الظالمين في عذاب مقيم وماكان لهم من أولياء ينصرونهم» الشورى: ٤٤ ـ ٤٦)

٣٨ ـ (إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور)

لو ردّكم الله سبحانه أيها الكافرون إلى الدنيا لن تؤمنوا ولن تعملوا عملاً صالحاً: «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون» الأنعام: ٢٨) لأن الله عزوجل يعلم كل سر وجهر في السموات والأرض، يعلم كل غائبة في السموات والأرض، يعلم كل خطرة من خطرات النفوس، يعلم كل ما تكنّه الضمآئر، يعلم كل ماتنطوي عليه الصدور، ويعلم كل شيء غاب عن جميع الخلائق علمه: «بديع

السموات والأرض أنّىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم» الأنعام: ١٠١)

إذا علم الله جل وعلا بما في القلوب ودقائقها، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس فيعاملكم بما في صدوركم من العقآئد الباطلة، وبما في ضمآئركم من الأعمال الفاسدة، وبما في قلوبكم من الأقوال السيئة اذ لايخفى عليه خافية، فيحاسبكم عليها يوم القيامة، يوم تبلى السرائر، سوآء أوافق ظاهركم باطنكم في الحياة الدنيا أم لا، فاتقوا الله عزوجل واحذروا أن تضمروا في قلوبكم مايكرهه الله تعالى.

قال الله عزّوجل: «ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور» هود: ٥)

وقال: «إنّه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون» الأنبيآء: ١١٠)

وقال «يعلم خآئنة الأعين وماتخفي الصدور» الغافر: ١٩)

وقال: «أولا يعلمون أنّ الله يعلم مايسرّون ومايعلنون ـ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ـ لله مافي السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٧٧ و ٢٣٥ و ٢٨٤) «يوم تبلى السرآئر» الطارق: ٩)

٣٩ ـ (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلّا مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً)

الله تبارك وتعالى هو الذي جعلكم أيّها الناس خلائف في الأرض، على أنّ لكل واحد من أفراد البشر ناقصاً كان أو كاملاً له نصيب من الخلافة بقدر حصّة إنسانية، وهذه سنّة من سنن الكون ونواميس الوجود، وذلك ان كل واحد من أفاضل البشر وأراذلهم خليفة من خلفآئه في أرض الدنيا، أما الأفاضل فهم مظاهر جمال صفاته عزوجل في مرآة أخلاقهم الربانية، إذ تجلّى سبحانه بذاته وصفاته لمرآة

قلوب الكاملين منهم، المتخلقين بأخلاق الله جل وعلا، ليكون مرآة قلوبهم مظهراً لجلال ذاته وجمال صفاته، وأما الأراذل فهم يظهرون جمال صنايعه وكمال بدايعه في مرآة حرفهم وصنايعهم، ومن خلافتهم أن الله عزوجل استخلفهم في خلق كثير من الأشيآء كالخبز والخياطة والبنآء ومااليها... فان الله عزوجل يخلق الحنطة بالاستقلال، والانسان بخلافته يطحنها وبعجنها ويخبزها، وكالثوب فانه جل وعلا يخلق القطن والانسان يغزله، وينسج منه الثوب بالخلافة، وهكذا سائر الصنايع الجزئية والحرف...

مع كونكم أيها الناس خلائف في الأرض ممن مضى قبلكم من الامم إذ جعلكم الله تعالى تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم، وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا، ومنحكم العقل والحرية والقدرة على التحكّم بها وبخيراتها، وسلّطكم على ما فيها وألقى إليكم مقاليد التصرف وأباح لكم الانتفاع بما في الأرض، وأمهلكم وعمّركم وأمركم على لسان الرسل بما أمركم به، وجعلكم خلفآء الهالكين الماضين، فأصبحتم بحالهم راضين، فترثونهم جيلاً بعد جيل، ونهاكم عن الكفر والفساد، عن الظلم والطغيان، وعن البغي والمشاحنات...

وكان مقتضى ذلك أن تحتفظوا مقام الخلافة، وتعرفوا الله جل وعلا حق معرفته، وتؤمنوا به وبرسله وكتبه، وتعرفوا لله تعالى فضله عليكم وإحسانه إليكم، وأن تشكروه بالقلب واللسان والعمل، وأن تذكروا أنكم خليفة الله عزوجل في أرضه، وأن تعلموا بهذه الخلافة في الأرض التي هي ملك لله تعالى... فمن أحسن واتقى فله أجر كريم، ومن أعرض ونأى فله عذاب مقيم.

وعلى هذا فكيف يسوغ لكم أيّها الكافرون أن تخرجوا عن سلطان الله جل وعلا، وأن تجعلوا ولآئه لغيره مما على الأرض من كآئنات تعبدونها، وتتخذونها آلهة له من دونه؟؟؟!!!

قال الله تعالى: «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجآئتهم رسلهم

بالبيّنات وماكانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون» يونس: ١٣-١٤)

وقوله تعالى: «فمن كفر فعليه كفره» فمن كفر منكم أيّها الناس بعد ذلك بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتابه، وخرج عن استخلاف الله عزّوجل إيّاه، وغمط مثل هذه النعمة العظيمة، فيعود وبال كفره وتبعات كفرانه إلى نفسه، وسيلقى الجزآء الذي يستحقه من الخزي والهوان في الدنيا، والعذاب والنار في الآخرة.

قال الله عزّوجل: «فأما الذين كفروا فاعذّبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين» آل‌عمران: ٥٦) وقال: «جزآءً وفاقاً انهم كانوا لايرجون حساباً وكذّبوا بآياتنا كذّاباً» النبأ: ٢٦-٢٨)

وقوله جل وعلا: «ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلّا مقتاً» ومن كفر بالله عزوجل فقد خلع نعمة الخلافة التي ألبسه الله إياها، وذلك لايزيد عند ربه إلّا بغضاً شديداً وبُعداً بعيداً من رحمة الله، فينزع عنه ثوب الكرامة، ويلبسه بدلاً منه ثوب الذلّة والمهانة في الدنيا، وثوب العذاب في الدار الآخرة. والمقت: البغض الشديد، فكلّما أصرّ الكافر على كفره وطغيانه إشتدّ عليه بغض الرحمن وعلى شدّة البغض والغضب، شدة العذاب. قال الله عزوجل: «الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون» النحل: ٨٨)

وقوله تعالى: «ولايزيد الكافرين كفرهم إلّا خساراً» في الدنيا والآخرة، حيث ان عمر الانسان بمنزلة رأس مال، فان اشترى به صاحبه رضا الله تعالى بالايمان، والطاعة فقد ربح ربحاً لن يبور، وإن اشترى به سخطه تعالى بالكفر والطغيان خسر خسراناً مبيناً وكلّما اطمأنّ الكافر إلى كفره خسر نفسه في الدنيا والآخرة وحق عليه سوء العذاب لانّه بدّل السعادة بالشقاء، والنجاة بالدمار، والجنّة بالنار وذلك هو الخسران المبين قال الله تعالى: «ومن خفّت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم

في جهنم خالدون» المؤمنون: ١٠٣)

وقال: «ألم تـر إلى الذين بدّلوا نـعمت الله كفراً وأحلّوا قـومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار» ابراهيم: ٢٨ ـ ٢٩)

وقال: «قـل إن الخاسرين الذيـن خسروا أنفسهم وأهليهم يـوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزمر: ١٥)

وقـال: «خسر الـدنـيـا والآخرة ذلك هـو الخسـران المـبين يـدعوا من دون الله مالايضرّه ومالا ينفعه ذلك هوالضلال البعيد» الحج: ١١-١٢).

٤٠ ـ (قـل أرأيتم شركآءكم الذين تدعـون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتينـاهم كتـاباً فـهم على بيّنة مـنه بل إن يـعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً)

قـل يـا محمّد صلّى الله عليـه وآله وسلّم لهؤلاء المشركين: أخـبروني عن شركآئكم الذيـن تدعـونهم وتعـبدونهـم من دون الله مـن تلك الأصـنام والأوثـان وما إليها من الآلهـة المجـعولة من عنـد أنـفسكم من الصور والهيـاكـل والهـيئات والمجسّمات التي جـعـلتموها شـركآئي في الـوجـود والايجاد والتدبير والعبـادة، فـبأي شيء أوجبتم له شركآء مع الله سبحانه؟

«أروني مـاذا خلقـوا مـن الأرض» أخـبـروني أيّـها المشركـون مـاذا خلق آلهـتكم المجعولة المصنوعة عـندكم التي تدعونها وتعبدونها؟ أيّ جزء خلقوا من الأرض وأهلها بالاستقلال أو على وجه المعاونة لله سبحانه من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد؟ من برّ أو بحر؟ ومن سهل أو جبال؟؟؟ حتى يستحقوا الالهية! ولايقدر على خلق شيء من الأرض إلّا الله جل وعلا وحده، فآلهتكـم مخلوق أمثالكم، لـن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له.

قال الله عزوجـل: «والذين يدعـون من دون الله لايخلـقون شيئـاً وهم يخلقون»

النحل: ٢٠)

وقال: «ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل - يا أيها الناس ضُرِبَ مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الحج: ٦٢ و ٧٣) وقال: «قل أروني الذين ألحقتم به شركآء كلاّ بل هو الله العزيز الحكيم» سبأ: ٢٧)

وقوله تعالى: «أم لهم شرك في السموات» أم لهؤلاء الآلهة المنحوتة شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ومافيها ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية؟! قال الله عزوجل: «أم جعلوا لله شركآء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار» الرعد: ١٦)

وقال: «أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يُخلَقون» الأعراف: ١٩١)

وقال: «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه» لقمان: ١١)

وقال: «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير» سبأ: ٢٢)

وقوله عزوجل: «أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه» أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً ينطق أن تلك الآلهة المصنوعة شركائنا في الوجود، فكانت في السموات والأرض آلهة متعددة على سبيل الاستقلال فلكل وجود مستقل وإلهيّة ذاتية؟ أو ينطق أن تلك الآلهة شركآئنا في خلق السموات أو في خلق شيء من الأرض وأهلها؟ أو أنهم شركائنا في تدبير الكون.ونظام الوجود؟ أو ينطق بأنّا اتخذنا تلك الآلهة شركائنا في العبادة حتى يعبدها هؤلاء المشركون بتلك البيّنة؟ ألكم بينة من ذلك الكتاب أن لتلك الآلهة شركة ذاتية أو جعلية لنا؟!

فما تلك الصور التي تتخذونها أيها المشركون شركائنا وتعبدونها؟ أعلمتم أن تلك الصور المنحوتة بأيديكم أو في أذهانكم ماهي؟ وعلى أيّ حال هي؟ فان علمتم

أنها عاجزة عن طرد الذباب والبعوضة عنها، فكيف تتخذونها شركائنا وتعبدونها؟ وإن توهمتم فيها القدرة فأروني أثرها؟ وإن الالهية والعبادة لابد إما بدليل من العقل، فهو لايحكم بشرك المخلوق الذي لايخلق شيئاً ولايدبّر في شيء من نواميس الكون، ولاقدرة له على شيء من الخلق والتدبير أبداً، وإما بدليل من النقل، ولم يؤت المشركين كتاب يدل على ذلك ، فان جميع ذلك محال لايمكنهم إدّعآء شيء من ذلك ، ولا إقامة حجة، ولا شبهة عليه. فأنتم بأيّ الدليلين تتخذون تلك الآلهة المجعولة عندكم شركآئنا فتعبدونها؟! إلّا انكم جاهلون.

قال الله سبحانه: «قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين» الأحقاف: ٤)

وقال: «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون» الروم: ٣٥)

وقال «ويعبدون من دون الله ما لم ينزّل به سلطاناً وما ليس لهم به علم» الحج: ٧١) فلا دليل للمشركين على شركهم من العقل والنقل إلّا الجهل والغرور:

«**بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً**» بأنهم يتبعون في ذلك كغيره آرآء أسلافهم وأفكار ضلّالهم، يغترّون بها لاحقيقة لها، إضلال الرؤسآء لأتباعهم من غير تعقل وتفكّر فيها، وما هي إلّا غرور وأباطيل...

قال الله تعالى: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون» البقرة: ١٧٠)

وقال: «إنا وجدنا آبائنا على امّة وإنا على آثارهم مقتدون» الزخرف: ٢٣)

وقال: «وقالوا ربّنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلّونا السبيلا» الأحزاب: ٦٧)

٤١ ـ (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً)

انّ الله عزوجل يسكن السموات والأرض حالاً بعد حال، ولايقدر على إسكانهما، حالاً بعد حال غير الله تعالى، فانه جل وعلا وحده خلق السموات والأرض ويسكنهما بغير عمد ترونها إذ لايوجد حادث إلّا بايجاده ولايبقى إلّا بقآئه، ولاموجد ولامبقٍ في نظام الكون إلّا الله تعالى وحده، فان ماسواه يحتاج إلى موجد في وجوده وإلى مبق في بقآئه: «ومن آياته أن تقوم السمآء والأرض بأمره» الروم: ٢٥)

إن الله عزوجل «خلق السموات بغير عمد ترونها» لقمان: ١٠) فلها عمد غير مرئية، وهي إمساكها بأمره تعالى، ونحن عاجزون عن إدراكها، ولانقدر على رؤيتها، بل ولكل من السموات السبع والأرضين السبع عمادغير مرئي «ويمسك السمآء أن تقع على الأرض إلّا باذنه» الحج: ٦٥) فيمنع ويحفظ ويبقى أن تضطرب السموات من أماكنها، فترتفع أو تنخفض، ويمنع الأرض كذلك، فيحفظهما من أن تقعا وتزولا ولايخفى ان السمآء بمنزلة السقف المحفوظ، وتلك الأجرام العظيمة والاجسام الكبيرة من الشمس والقمر والنجوم والكواكب بمنزلة القناديل المعلّقة في الفضآء، زيّن الله تعالى السمآء الدنيا بها، وأجراها في مداراتها الخاصّة، يحفظها برباط خاص يسمّيه العلماء نظام الجاذبية كل في فلك يسبحون، والأرض بمنزلة المهد الذي يعيش فيه الانسان.

قال الله عزوجل: «أفلم ينظروا إلى السمآء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها وما لها من فروج» ق: ٦)

وقال: «وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً» الأنبيآء: ٣٢).

وقال: «فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سمآء أمرها وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم» فصّلت: ١٢)

وقال: «إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد» الصافات: ٦ - ٧) وقال: «ولقد جعلنا في السمآء بروجاً وزيّنّاها للناظرين وحفظناها

من كل شيطان رجيم» الحجر: ١٦ - ١٧)

وقال: «والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يس: ٣٨ - ٤٠)

وقال: «الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون» الزخرف: ١٠)

وقوله عزوجل: «ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» واقسم بالله عزوجل: لو اشرفت السموات والأرض على السقوط، لن يستطيع أحد سوى الله تعالى أن يحفظهما من الزوال والفنآء، إذ لامفيض للوجود غير الله جل وعلا، فلايقدر على إسكانها وإمساكها غير خالقها، فلاشأن لما سواه في الايجاد والابقآء، فان كل ماسوى الله يحتاج في وجوده إلى موجد، وفي بقآئه إلى مبق، وهو غيره إذ فاقد الشيء لايعطيه، كل ذلك دليل على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وتدبيره وعلى عظمته وجلاله: «ومن آياته أن تقوم السمآء والأرض بأمره» الروم: ٢٥)

وقوله تعالى: «إنه كان حليماً غفوراً» إن الله جل وعلا كان حليماً في تأخير عقاب المشركين، غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم إذ أمسك السموات والأرض، وكانتا جديرتين بأن تهدّ هدّاً كما قال الله عزوجل: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً أن دعوا للرحمن ولداً» مريم: ٨٨ - ٩١) فيؤخر عقوبتهم لعلهم يرجعون عن الشرك والطغيان، وكان كثيرا الغفران لمن تاب إليه وآمن وأصلح، وستّاراً لذنوب من أناب إليه فلايفضحه بها على رؤوس الأشهاد... «أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخّركم إلى أجل مسمّى» ابراهيم: ١٠)

٤٢ ـ (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الامم فلمّا جآءهم نذير مازادهم إلاّ نفوراً)

وأقسم عتاة قريش ومشركو مكّة قبل بعثة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالله جل وعلا أغلظ الأيمان وآكد الأحلاف! إن جآءهم من الله تعالى رسول من أنفسهم ينذرهم بأس الله عزوجل ليكوننّ أطوع لهذا الرسول، وأهدى إلى قبول قوله، وأسلك لطريق الحق، وأحسن اتباعاً لما يأتيهم به النذير من عند الله من كل امّة من الامم السالفة التي مضت وخلت من قبلهم، وأكثر انقياداً منها لأنبيائها وخاصّة اليهود والنصارى، فيؤمنون به مسرعين إذ ماجآءهم نذير من الله تعالى قبل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله عزوجل: «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سبأ: ٤٤)

وقال: «لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون» يس: ٦)

وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآئتهم آية ليؤمننّ بها ـ أن تقولوا إنّما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أُنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقد جآءكم بيّنة من ربّكم وهدى ورحمة» الأنعام: ١٠٩ و ١٥٦ و ١٥٧) وقال: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتّى تأتيهم البيّنة» البيّنة: ١) إن الله تعالى لم يصرّح باليهود والنصارى مع أن المشركين لايعنون غيرهم، استصغاراً لشأنهم، لمابينهم من خلاف ونزاع وتشاد بل وقتال قبل بعثة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي أثنآئها... فهم ليسوا المثل الذي يُحتَذىٰ به في الاستقامة والهدى... «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب...» البقرة: ١١٣) وغيرها من الآيات التي تبيّن اختلافهم قبل البعثة الاسلامية.

وقوله عزوجل: «فلمّا جآءهم نذير مازادهم إلاّ نفوراً» فلمّا جاء كفار مكة

وعتاة قريش من أنفسهم نذير من أشرف قبآئلهم وهو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم رسولاً من عند الله جل وعلا اليهم ليتلوا عليهم آيات الله تعالى نفروا واستكبروا وبالغوا في حربه وايذائه... عكس ماكانوا يوعدون ويتمنّونه، فما زادهم مجيئ محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا بُعداً من الايمان، تباعداً عن الهدى، هرباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإعراضاً عن الحق الذي جآءهم! «بل لجّوا في عتوّ ونفور» الملك: ٢١) «ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذّكروا ومايزيدهم إلاّ نفوراً ـ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً» الاسرآء: ٤١ و ٤٦) «وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً» الفرقان: ٦٠)

فلاعهد للمشركين مع ادّعآئهم أنهم أوفى الناس، ولاصدق لهم مع جزمهم بأنّهم أصدق الخلق، وصار مثلهم مثل الابل التى نفرت من ربّها، فضلّت عن الطريق، فدعاها، فازدادت بدعآئه نفرتها، وصارت بحيث يتعذّر أو يتعسّر ردّها أو يأخذها السارق الماكر أو تأكلها السباع... «فما لهم عن التذكرة معرضين كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة» المدثر: ٤٩ ـ ٥١)

مع أنهم كانوا يحلفون بآبآئهم وأصنامهم، فاذا اشتدّ عليهم الحال، وأرادوا تحقيق الحق يحلفون بالله تعالى مع شركهم بالله سبحانه، ويبالغون في حلفهم وأيمانهم أشدّ المبالغة: لئن جآءهم من الله عزوجل رسول من أنفسهم، ونبي من العرب، إذ ما جآء العرب، قبل بعثة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم نذير من الله جل وعلا، ولو جآءهم نذير من غير العرب او كتاب غير عربي لم يؤمنوا به: «ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين» الشعراء: ١٩٨ ـ ١٩٩) «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته ءأعجميّ وعربيّ» فصلت: ٤٤)

فكانوا يتمنّون مجيئ النذير من أنفسهم، وإنزال الكتاب بلغتهم، وهم يقولون: إنّهم لايعرفون لغة الكتب المنزلة حتى يهتدوا بها، ولايعرفون ألسنة الأعجمين، فلو

أرسل إليهم رسول من أنفسهم، وأنزل عليهم كتاب بلغتهم لكانوا أهدى من اليهود والنصارى، وقد كان كثير من الأنبيآء قبل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من بني اسرائيل، و كانوا هم يتمثلون فيهم العلم والدين لما كان بين أيديهم من كتاب، ومابينهم من علمآء يذكرون للعرب أن نبياً عربياً سيبعث وكتاباً عربياً سينزل كما كانوا هم يستفتحونهم: «أولم يكن لهم آية أن يعلمه علمآء بني اسرآئيل» الشعرآء: ١٩٧) «ولمّا جآءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جآءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» البقرة: ٨٩)

٤٣ ـ (إستكباراً في الأرض ومكر السيّئ ولايحيق المكر السّيّئ إلّا بأهله فهل ينظرون إلّا سنّت الأوّلين فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً)

فلمّا تحقّق ماكانت عتاة قريش وزعمآ مشركي مكّة يتمنّونه وينتظرونه، وعاهدوا بالايمان به إذا جآءهم، نكثوا أيمانهم ونقضوا عهدهم، وخالفوا أقوالهم، فوقفوا مواقف الصدّ والمناوأة والبغي والعداوة للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته، فظهر أن لاعهد لهم، فلم يزدهم إرسال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إليهم إلّا إعراضاً عن الحق والهدى، إلّا استعلاء على العباد وصدّهم عن سبيل الله تعالى، إلّا إمعاناً في تدبير المكر السيّىء للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والفساد في الأرض، إلّا تثبيت الشرّ له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولمن تبعه، وإلّا إستكباراً عن اتباع آيات الله جل وعلا تكبّراً وتجبّراً وعتوّاً على الله تعالى وأنفة من أن يكونوا تبعاً لمن لايرونه من أنفس زعمآئهم، فالاستكبار هو سبب نفارهم عن الحق والايمان، سبب البغي والعناد، وسبب العداوة واللجاج!

وذلك انّه لما جآء عتاة قريش نذير من أنفسهم كانوا يتمنّونه وينتظرونه نكثوا عهدهم ونقضوا أيمانهم، فكفروا به لاستكبارهم عن اتباع النذير الذي جآءهم من

غيرطبقة الزعمآء فأنفوا أن يتبعوا النبي الذي لم يكن من هذه الطبقة، وكبر عليهم إختصاص محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالرسالة من دونهم: «كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشآء» الشورى: ١٣) فكذّبوه وصدّوا الناس عن الايمان به لقوله عزوجل: «وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا الشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق أانزل عليه الذكر من بيننا» ص: ٤ ـ ٨) وقوله تعالى: «وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣١)

فاستغربوا واستكبروا أن يكون النبي الذي ينزل عليه القرآن محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لم يكن معدوداً من طبقة الزعمآء، ولقد كان بنواميّة أكثر بروزاً من بني هاشم في مكّة، وكانت لهم قيادة الحرب، فحسبوا حساب إستعلاء بني هاشم عليهم إذا نجحت دعوة النبي الهاشمي، فحفزهم ذلك إلى مناوأته، ولقد أثر عن عمروبن هشام المخزومي الذي كنّي في الاسلام بأبي جهل ان مثل هذا الحساب هو الذي جعله يقف موقف العدآء والمناوأة الشديد الذي وقفه، وهذا هو دأب الزعمآء والمترفين في كل زمان ومكان يقفون تجاه الدين الحق مواقف العناد والجدل، والمكابرة والتأنيب والتكذيب والتحدّي والأذى والتهم الباطلة... لا الأغبيآء ولا الفقرآء والمستضعفين، ولاضعفآء الادراك وعامة الناس، ولذلك جآئت حملات شديدة في القرآن الكريم على هؤلاء الزعمآء المستكبرين ضدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته...

منها: قوله تعالى: «وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ـ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين ـ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً» سبأ: ٣١ ـ ٣٣)

ومنها: قوله عزوجل: «وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراؤنا فأضلّونا السبيلا» الاحزاب: ٦٧)

ومنها: قوله سبحانه: «وقال الذين لايرجون لقآئنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوّاً كبيراً - يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جآءني» الفرقان: ٢١ - ٢٩)

فكروا بالناس مكراً سيّئاً إذ صدّوهم عن الايمان والهدى، عن الخير والفلاح، وعن الصلاح والنجاة ليكثروا أتباعهم، وكانوا هم تبعاً لزعمآئهم...

قال الله عزوجل: «وإذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفآء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنّا كل فيها إن الله قدحكم بين العباد» الغافر: ٤٧ - ٤٨)

وقوله تعالى: «ولايحيق المكر السيّئ إلّا بأهله» المكر السيّئ ههنا هو تمنّي زعمآء المشركين بمجيىء النذير من أنفسهم، وحلفهم بالله تعالى لوجآءهم لكانوا أوّل المؤمنين، وادّعآئهم: أنهم أو فى الناس وأصدقهم فيما يدّعون، فلمّا جآءهم كفروا به وصدّوا الناس عن الايمان، وقصدوا الضرر بالنذير وبالمؤمنين به على طريق خداع وكيد للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن تبعه. والمعنى: لايصيب ولايقع ولاينزل ولايحيط جزآء المكر السيئ الذي مكروه إلّا بالماكرين، فانّهم حفروا حفرة سيقعون فيها، وفتلوا حبلاً يشنقون به، ورموا حجارة يقتلون بها، فلايعود وبال مكرهم إلّا على أنفسهم دون غيرهم. قال الله عزوجل: «ومن أظلم ممن ذُكِّرَ بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون» السجدة: ٢٢)

وقال: «و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم أوّل مرّة» التوبة: ١٢ - ١٣) قال الامام على عليه السلام: «من سلّ سيف البغي قتل به» وقال: «فمن نكث فانّما ينكث على نفسه» الفتح: ١٠) فالمشركون

المراوغون يحاولون الخداع بالنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ويقومون بأساليب هم يزعمونها خداعة، ولكن الواقعية تعاكسه، ويكونون هم المنخدعون بالمآل، وذلك ان دسآئسهم تفتضح على الملأ ويعود وبالها عليهم في نهاية المطاف، وان عيشتهم القلقة لا تغمض جفنيهم عن إرتياح نفسي أبداً، خوف الفضح وانكشاف واقعهم الخبيث، وهدم بنيانهم من الأساس كما هدم بنيان الماكرين الذين كانوا من قبلهم من الاساس تجاه ماقاموا من الدسآئس والخيانات... «قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد» النحل: ٢٦) أي عاكستهم الواقعية «ولايحيق المكر السيّئ إلّا بأهله» فدبّروا وقدروا، ودبّر الله جل وعلا وقدر، فتدبيرهم فسد وبطل وتدبير الله عزوجل نفذ وثبت. مع أن أهل البصيرة يعرفون وجوه الخلط والتلبيس، ويدفعون خداع أصحاب الوهم والظلمات، وأوهامهم بانوار الالهامات وأضوآء اليقينيّات...

وقوله عزوجل: «فهل ينظرون إلّا سنّة الأوّلين» فهل ينتظر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلاء المشركون المكذّبون، هؤلاء المستكبرون الباغون الاّ أن يؤخذوا بما أُخِذَ به الأوّلون فأُحِلَّ بهم من نقمتي وعذابي على شركهم واستكبارهم، على عتوّهم وطغيانهم، وعلى كبرهم وتكذيبهم برسولي وآياتي... مثل ما أحللتُ بمن كان قبلهم من أمثالهم الذين كذّبوا برسلنا من بلآء وهلاك ، من خزي وهوان، ومن عذاب ودمار في الدنيا، ومن جحيم ونار في الآخرة، فقل لهم: انتظروا وأنا من المنتظرين، إنّ الله عزّوجل يمهل ولايهمل.

ان الجملة في معنى قوله تعالى: «إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً» الطارق: ١٥-١٧)

وقوله: «فهل ينتظرون إلّا مثل أيّام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين» يونس: ١٠٢)

وقوله: «فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون

عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأت بعض آيات ربك لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون» الأنعام: ١٥٧ - ١٥٨)

وقوله: «قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون» السجدة: ٣٠)

وقوله: «واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلا وذرني والمكذّبين اولي النعمة ومهّلهم قليلاً إن لدينا أنكالاً وجحيما وطعاماً ذاغصّة وعذاباً أليماً» المزمل: ١٠ - ١٣)

وقوله تعالى: «فلن تجد لسنّة الله تبديلاً» فلن تجد يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لسنة الله تبديلاً وهي سنة الخذلان وسلب النعمة وحلول النقمة والنكال في الدنيا، والعذاب والنار للمشركين والمكذّبين في الآخرة، وإن سنّة الله تعالى قائمة على طريق مستقيم لاينحرف أبداً، وهي سنة مطردة، لا تتبدّل اتجاهاً باتجاه، ولا تتحوّل من حال إلى حال، وسنة الله عزوجل هي هذا النظام الذي أقام عليه الوجود، وربط المسببات بأسبابها... ومن سنّة الله سبحانه في الكافرين والباغين أن يأخذهم بكفرهم وبغيهم، وهذه سنة في كل مكذّب ومستكبر لا تغيّر ولا تبدّل كما أن سنة الله تعالى في المؤمنين والمحسنين أن يجزيهم بايمانهم وإحسانهم: «الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير» الفاطر: ٧) فأجرى الله تعالى العذاب على الكفار وجعل ذلك سنّة فيهم، وأجرى الثواب للمؤمنين وجعل ذلك سنة فيهم، ولايقدر أحد أن يبدّل ذلك إذ لامردّ لقضائه ولاهو يبدّل سنته.

قال الله تعالى: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون» الغافر: ٨٤ - ٨٥)

فقل يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلاء المشركين وعتاتهم ومستكبريهم وطغاتهم أنتم تريدون سنّة الأوّلين أي الاستمرار في الشرك والاستكبار، والله جل وعلا يأتي بسنّة وهي أن يعذّب الكافرين ويجزي المحسنين، ولايبدّل العذاب بالرحمة، ولايحوّله عن مستحقيه إلى من لايستحقه، فلن يوضع الرحمة موضع العذاب، ولا الجنة مكان النار، ولايقدر أن يبدّل ذلك . قيل: ان التبديل هوتصيير الشيء مكان غيره أي تغيير الصورة مع بقآء المادّة.

وقوله عزوجل: «ولن تجد لسنّة الله تحويلاً» فلا ينقل عذابه من المكذبين الباغين، من المشركين الطاغين، ومن المستكبرين العاصين إلى غيرهم، ولن يحوّل العذاب من نفس إلى اخرى كما قال عزوجل: «ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى»الفاطر: ۱۸)ولايستطيع أحد أن يحوّل العذاب عن نفسه إلى غيره. قيل: إنّ التحويل هو تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه.

فلا تمضي الامور في الكون جزافاً، ولا تجري الحياة في الأرض عبثاً، فهناك نواميس ثابتة تتحقق لا تتبدّل ولا تتحوّل، وإن القرآن الكريم يقرّر في مواضع عديدة هذه الحقيقة، ويعلمها للناس كيلا ينظروا الأحداث فرادى، ولايعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصيلة، محصورين في فترة قصيرة من الزمن، وحيّز محدود من المكان، ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة وسنن الوجود، فيوجههم دائماً إلى ثبات السنن واطراد النواميس، ويوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم، ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن واطراد النواميس...

٤٤ - (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)

أو لم يسر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلاء المشركون بالله سبحانه، والمكذّبون برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجاحدون بآياته...؟ ليتتبّعوا أخبار الماضين من أهل

الأرض وتاريخهم بعين مفتوحة، وقلب يقظ، والوقوف على مصارع الغابرين، وتأمّل ما كانوا فيه وما صاروا إليه؟ أو يسيروا في الأرض التي أهلكنا فيها أهلها بشركهم وطغيانهم، وبتكذيبهم رسلنا وعصيانهم...؟ كيف أهلكهم من قبلهم كقوم لوط وعاد وثمود وقوم فرعون وأصحاب المدين... فيعتبروا بهم؟ أو لم يسيروا فيها أثناء رحلاتهم التي يسلكونه إلى طريق الشام واليمن والعراق وما إليها في تجاراتهم... لينظروا تتابع الأجيال فيها، وذهاب جيل، ومجيء جيل، وإنتهآء دولة وقيام اخرى، وانطفاء شعلة واتقاد اخرى...؟ لينظروا كيف كان عاقبة المكر والبغي، ومآل أمر الماكرين والباغين الذين كانوا من قبلهم، وهم يرونها في مسايرهم ومتاجرهم من آثار الهالكين الأقدمين... ألم نهلكم؟ ألم نخرّب مساكنهم؟ ألم نجعلهم مثلاً لمن بعدهم؟ فيتعظوا بهم، وينزجروا عماهم عليه من الكفر والمكر والتكذيب والمعصية... وهذه سنة من سنن الله الجارية فى الامم السالفة، وهي لا تتغيّر ولا تتبدّل! فلاتحزن ولا تكن في ضيق مما يمكرون بك.

قال الله عزوجل: «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين» آل‌عمران: ١٣٧)

وقال: «وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنا وجدنا آبائنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبآءكم قالوا إنا بما أُرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين» الزخرف: ٢٣ ـ ٢٥)

وقال: «كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكه اولئك الأحزاب إن كل إلّا كذّب الرسل فحق عقاب وماينظر هؤلاء إلّا صيحة واحدة مالها من فواق» ص: ١٢ ـ ١٥)

وقال: «ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنّا دمّرنا وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم

يعلمون ـ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولاتحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون» النمل: ٥٠ ـ ٥٢ و ٦٩ ـ ٧٠)

وقال: «ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ـ بل زُيّن للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق ومالهم من الله من واق» الرعد: ٣٢ ـ ٣٤).

فيا أيها الكافرون! فانظروا عاقبة المكذّبين لأنبيآئهم من قبلكم إلى أيّ نوع انتهوا من الهلاك والنكال والدمار في الدنيا، ومن العذاب والنار في الآخرة؟! أفليس في ذلك عبرة وبيان لكم؟ والعاقل من اتعظ بغيره، فان التفكير في تلك الحركة يوجد في القلب عبرة وعظة، ويشعر الحاضرين انهم سيكونون بعد حين غابرين، فيتامّل الآتون بعدهم آثارهم، ويتذاكرون أخبارهم، فجدير أن يوقظ الغافلون إلى اليد التي تدير الأعمار، وتقلب الصوجان، وتديل الدول، وتورث الملك ، وكل شيء يمضي وينتهي ويزول، وان الله تعالى وحده هو الباقي الدائم الذي لايحول ولايفنى، ولايزول ولايهلك .

وقد كان المشركون وخاصّة عتاتهم يطوفون في مختلف البلاد، ويرون آثار الامم الماضية أو بعضها، ويعرفون أنّ ما حلّ بهم كان عذاباً ربّانيّاً بسبب شركهم وطغيانهم، وإنحرافاتهم وعصيانهم، وبسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلهم، وبذلك تستحكم عليهم الحجّة كما يدل على ذلك كثير من الآيات القرآنية...

منها: قوله تعالى: «ولقد أتوا على القرية التي أُمطِرَتْ مطر السوء أفلم يكونوا يرونها» الفرقان: ٤٠).

ومنها: قوله عزوجل: «وعاداً وثموداً وقد تبيّن لكم من مساكنهم» العنكبوت: ٣٨).

ومنها: قوله جل وعلا: «وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون» الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨)

ولم يعتبر بذلك مشركوا مكة وخاصّة عتاتهم، لذلك جرت سنّة الخذلان والنكال فيهم إذ أخذهم الله عزوجل يوم بدر فقتل عامتهم، وفي فتح مكة إذ أخذهم بالعذاب وخذلهم ماخذلهم ومن المعلوم: أن قانون الفعل يقابله ردّ الفعل، وأنّ هذا الردّ يعمّ ويشمل الأشياء الطبيعية والحياة الاجتماعية كلّها، وهذا صحيح بلامرآء لأن العلم هو ردّ فعل للجهل، والاصلاح هو ردّ فعل للفساد تماماً كالدوآء بالنسبة إلى الدآء.

فليعلم أئمّة الكفر وعتاة المشركين: أن الذي فعل باولئك الكافرين وقادة المكذّبين السابقين وأتباعهم الهالكين من الامم الماضية مافعل من الهلاك والدمار، ومن الخزي والنكال في الدنيا كانوا هم أشد قوة وبطشاً، وأكثر أموالاً وأولاداً من هؤلاء المشركين الموجودين واللاحقين من العرب وغيرهم، فأهلكهم الله عزوجل ودمّرهم تدميراً في الدنيا، ويعذّبهم أشد العذاب في الآخرة فكيف أنتم أيها المكذّبون؟!

قال الله عزّوجل: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقّبوا في البلاد هل من محيص» ق: ٣٦)

وقال: «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لامولى لهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٠ - ١١)

وقال: «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله انه قويّ شديد العقاب» غافر: ٢١ - ٢٢).

وقوله تعالى: «وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض» وما من شيء في السموات ولا في الأرض أن يمنع الله جل وعلا من إجرآء سنّة الهلاك والدمار على المكذبين في الدنيا، وسنّة العذاب والنار في الآخرة، فلن يستطيع أحد من عتاة المشركين ولا من آلهتهم، ولا من أتباعهم ومردتهم أن يمنعه سبحانه من ذلك، فيسبقه

هرباً أو يفوته شيء، أو ينجو من الهلاك إذا أراد بهم ذلك، فلن يتعذّر على الله جل وعلا أن يفعل مثل الذي فعل باولـئك من حلول النقمة والعذاب لهم في زمانه، فانه لايفوته شيء يريده في السموات والأرض.

إنّ الجملة في معنى قوله تعالى: «وإن تكذّبوا فقد كذّب امم من قبلكم ـ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السمآء وما لكم من دون الله من وليّ ولانصير» العنكبوت: ١٨ ـ ٢٢)

وقوله: «وبدالهم سيئات ماكسبوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن ـ فأصابهم سيّئات ماكسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين» الزمر: ٤٨ ـ ٥١) وقوله: «أفأمن الذين مكروا السيّئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون أو يأخذهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوّف» النحل: ٤٥ ـ ٤٧) وقوله: «الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وماكان لهم من دون الله من أوليآء يضاعف لهم العذاب ـ لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون» هود: ١٩ ـ ٢٢) وقوله: «وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشآء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين إنّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون» الأنعام: ١٣٣ ـ ١٣٥)

وقوله عزوجل: «انه كان عليماً قديراً» لأن الله جل وعلا كان عليماً بالأشيآء كلها، قديراً عليها، عليم بمن يستحق أن تعجّل له العقوبة، وبمن تاب وأناب إلى ربه ورجع عن ضلالته، عليم بمكانهم فيؤاخذ هم حيث كانوا، وعليم بأعمالهم فيجازيهم عليها، قدير على الانتقام ممن شآء منهم حيثما شآء، وعلى جزآء ماكسبوا، فهم سيرون عاقبة أمرهم.

قال الله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم

لهم جند محضرون فلايحزنك قولهم إنا نعلم مايسرّون ومايعلنون» يس: ٧٤ ـ ٧٦) وقال: «وانهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ـ فاما نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون أو نرينّك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون» الزخرف: ٣٧ ـ ٤٢)

وقال: «وذروا الذين يلحدون في أسمآئه سيجزون ما كانوا يعملون» الاعراف: ١٨٠).

٤٥ ـ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جآء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً)

ولو يؤاخذ الله جل وعلا جميع الناس، ويعاقب كلّهم بما كسب أكثرهم من الشرك بالله سبحانه والكفر بآياته، والتكذيب برسله، وبما يجاهرون بالمعاصي، ويجترحون من السيّئات... وعجّل لهم بالعقوبة جزآءً على تلك الأجرام والآثام والذنوب... ما ترك على ظهر هذه الأرض من نسمة تدبّ عليها، فان ذنوب المشركين، وطغيان الكافرين، وتكذيب المكذّبين، وآثام المجرمين لجسامتها وشناعتها لايغسل دنسها ورجسها إلّا طوفان من العذاب يأتي على كل حياة قائمة على هذه الأرض.

وذلك ان الله تعالى خلق السموات والأرض ومافيها وما بينهما وسخّر كلّها للانسان: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩) «وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» الجاثية: ١٣) وقدقضى الله تعالى أن يعيش فيها الناس ويعمروها مؤمنهم وكافرهم، بارّهم وفاجرهم، محسنهم ومسيئهم، مطيعهم وعاصيهم... إذ قال جل وعلا: «ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون» الأعراف: ٢٤ ـ ٢٥)

فلو يؤاخذ الله تعالى جميعهم بما ظلم أكثرهم لأخذ ما خلقه لهم كلّهم إذ مابنت الدار للمؤمنين ولا للكافرين بل بنت للناس إطلاقاً من حيث الوجود لامن حيث الصفات ومن المعلوم أنّ أكثر أهل الدار في كل زمان هم الكافرون، ولاهلاك الكافرين أو إخراجهم منها موعد إذا جآء لايتقدّم ولايتأخر.

وقوله تعالى: «ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جآء أجلهم» ولكن الله جل وعلا يؤخّر عقوبة المكذّبين إلى وقت معلوم في الحيـاة الدنيا لاقامة الأدلة وتمامها، وقيام الحجة ولزومها عليهم، ولفتح باب التوبة بمصراعيه لهم، ولتظهر نيّاتهم وأفكارهم وعقائدهم وأفعالهم التي يستحقون بها الثواب والعقاب، فلفنآء كل امة وجزآئها أجل مسمّى ووقت معلوم لابدّ منه.

قال الله عزوجل: «ولو يعجّل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضِيَ إليهم أجلهم فنذر الذين لايرجون لقائنا في طغيانهم يعمهون ـ لكل امة أجل إذا جآء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون» يونس: ١١ و ٤٩)

وقال: «ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جآء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون» النحل: ٦١)

وقال: «وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً» الكهف: ٥٨ ـ ٥٩).

وقوله تعالى: «فان الله كان بعباده بصيراً» فاذا جآء أجلهم فان الله جل وعلا كان بعباده كلهم بصيراً، فيجازي كلاً على ماكانوا يكسبون، فينجي المؤمنين ويهلك المكذّبين في الحياة الدنيا في موعدهم، ويثيبُ المتقين، ويعاقب الفاجرين يوم القيامة، فان الله عزوجل بصير بمن كان موحّداً مؤمناً، ومن كان مشركاً كافراً، بصير بمن كان مطيعاً مخلصاً، ومن كان عاصياً منافقاً، بصير بمن كان صادقاً مصلحاً، ومن كان كاذباً مفسداً، وبصير بمن يستحق أن يعاقب منهم، وبمن الذي يستوجب الكرامة، فلايخفى عليه أحد منهم، ولايعزب عنه علم شيء من أمرهم.

وإن الجملة مع سياقها في معنى قوله تعالى: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السمآء ولاأصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين ـ فهل ينتظرون إلّا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من

المنتظرين ثمّ ننجّي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقّاً علينا ننج المؤمنين».

وقوله: «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلّا قليلاً وكنّا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امّها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنّا مهلكي القرى إلّا وأهلها ظالمون» القصص: ٥٩)
وقوله: «وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السمآء ـ ليجزي الله كل نفس ما كسبت» إبراهيم: ٣٨ و ٥١)

وقوله: «يعلم ما يلج في الأرض ومايخرج منها وماينزل من السمآء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير» الحديد: ٤)

وقوله: «واعلموا أن الله بما تعملون بصير» البقرة: ٢٣٣)

﴿جملة المعاني﴾

٣٦٦١ ـ ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً اولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشآء إن الله على كل شيء قدير﴾

الحمد كلّه يختصّ بالله تعالى وحده في كل زمان ومكان، وعلى كل حال حمداً تاماً للمحمود بذاته الذي فطر السموات لخروج الملائكة منها، وشقّ الأرض وأطرافها لنزول الملائكة عليها، لأنّه وحده جعل الملائكة وسآئط بينه وبين العالم المشهود على صور مختلفات، حسب درجات رسالاتهم في عالمي اللاهوت والناسوت، جعلهم أصحاب أجنحة متفاوتة فلبعضهم جناحان، ولبعضهم، ثلاث أجنحة، ولبعضهم أربعة أجنحة، وللآخرين أكثر وأكثر... لأنّ الله عزوجل يزيد في أجنحة الملائكة كما يزيد في خلقهم وفي خلق سائر الخلائق... حسب مقتضى حكمته لانّه تعالى على كل شيء قدير.

٣٦٦٢ ـ ﴿مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾

إذا فتح الله جل وعلا باب رحمته للناس، فلن يستطيع أحد أن يسدّ الباب ويمنعهم من الرحمة، وإذا أمسك الله عزوجل خيراً من أحد، فلن يقدر أحد أن يبسطه، بعد إمساكه، لأنه تعالى وحده هو الغالب القاهر الذي لايُغلَبُ ولايقهر، الحكيم الذي يفعل كل مايفعل حسب ماتقتضيه حكمته منها الفتح والامساك .

٣٦٦٣ ـ (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السمآء والأرض لا إله إلاّ هو فأنّى تؤفكون)

يا أيّها الناس عامة والمكذّبون خاصّة في كل ظرف! اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم، ثم تفكّروا فيها مليّاً، هل تعرفون خالقاً في العالَم غير الله يرزقكم من السمآء والأرض، ويدبّر أمركم؟ فاذا لم تعرفوه فاعلموا أنه لا إله إلاّ هو الذي خالق كل شيء ورازقه، فاذاً كيف تصرفون عن توحيد الخالق إلى الشرك بالله سبحانه مع اعترافكم بوحدانية الرازق؟!.

٣٦٦٤ ـ وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور)

وإن يكذّبك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلاء المكذّبون بعد ما بلّغت إليهم رسالتك، وأقمت عليهم الحجّة القاطعة على وحدانية الخالق الرازق، وعلى إبطال الشرك فاصبر ولاتحزن فان ذلك ليس ببدع، إذ كذّبت رسل كثير أرسلناهم من قبلك إلى امم، فكذّبوهم، فلا تكن في ضيق من صدرك لأن الامور كلها ترجع إلى الله جل وعلا وحده وهو الحاكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

٣٦٦٥ ـ (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور)

يا أيها الناس! إن وعد الله تعالى من بأس الله جل وعلا وتحذيركم نزول سطوته بكم في الحياة الدنيا لاصراركم على الشرك بالله سبحانه، وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحد آياته... وعده حق يقع لامحالة، ولكن زخارف الدنيا وشهواتها تغرّ الانسان فيغفل عن وعده، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا لأنها أسباب الغرور، ولايغرنّكم بالله تعالى هذه الأسباب، إذا لم يعجّل وعده، فانّ للوعد لايتقدّم ولايتأخّر.

٣٦٦٦ ـ ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾

لا تغرنّكم الحياة الدنيا بوسوسة الشيطان، فانّه عدوّ لكم، فاتخذوه أنتم عدواً لكم ومن عداوته أنه إنّما يدعوا تابعيه من الناس ليكونوا من أصحاب السعير.

٣٦٦٧ ـ ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾

الذين كفروا بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبآياته ويوم جزآئه أولئك حزب الشيطان لهم خزي في الدنيا ولهم في نار جهنّم عذاب شديد، والذين آمنوا بالله جل وعلا وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعملوا الصالحات فهم حزب الله وأوليآئه، لهم العزّة والمغفرة من الله، وأجر كبير من عنده.

٣٦٦٨ ـ ﴿أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يضلّ من يشآء ويهدى من يشآء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾

أفمن زُيّن له سوء عمله من الشرك بالله سبحانه، وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فانتكس رأيه، فرآى الحق باطلاً، والضلال هدى، كمن هداه الله جل وعلا، فعرف الحق حقاً والباطل باطلاً؟! فلايستويان، فانّ الله تعالى يضلّ من يرى سيئاته حسنات، ويرى السمّ دواءً، ويهدي من يرى الحسنات حسنات فيأتيها، والسيئات سيئات فيجتنبها، فلا تذهب نفسك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على هؤلاء المغترّين حسرات، فلاتحزن ولا تأسّف عماهم عليه من الشرك والضلالة، ان الله عزوجل عليم بما يصنعون.

٣٦٦٩ ـ ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به

الأرض بعد موتها كذلك النشور)

والله جل وعلا هو الذي أرسل الرياح وأطلقها، فتهيّج الرياح بأمر الله تعالى السحاب، فسقناه بسبب الرياح، السحاب إلى بلد ميّت لانبات فيها، فأنزلنا من السمآء بسبب السحاب مآءً فأحيينا بالمطر النازل من السمآء، البلد بعد موتها، كذلك البعث والنشور، وإحيآء الأموات بعد موتهم.

٣٦٧٠ ـ (من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور)

من كان يريد العزّة في الدنيا والآخرة، فليطلبها ممن له العزّة المطلقة، ليست ورآئها ذلّة، فانه إلى الله جل وعلا يصعد الكلم الطيب الذي هو الاعتقاد الحق الذي أساسه التوحيد، ودليله الولاية لأهل بيت النبوّة بعد الرسالة، والعمل الصالح الذي يكون على طبق الاعتقاد الحق هو يرفع الكلم الطيّب، والذين يمكرون السيئات ويلقونها على الناس، فيأخذون السيئات بدلاً عن الحسنات، ويقدّمون الأراذل المفضولين على الأفاضل، على سبيل المكر والخداع والحيل، لهم عذاب شديد، ومكر اولئك هو الماكرين يبطل ويرجع إلى الماكرين.

٣٦٧١ ـ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وماتحمل من انثى ولا تضع إلاّ بعلمه ومايعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلاّ في كتاب إن ذلك على الله يسير)

والله تعالى هو الذي خلقكم أيها الناس كل واحد منكم من تراب، ثم من نطفة الآبآء، ثم جعلكم ذكوراً واناثاً بقدر معلوم، ولاتحمل من انثى ولا تضع حملها إلاّ بعلم الله جل وعلا، ولايطول عمر أحد منكم إلاّ كتبه الله تعالى، ولاينقص عمر أحد إلاّ كتبه في اللوح المحفوظ، ان كل ذلك يسير غير متعذّر على الله جل

وعلا.

٣٦٧٢ ـ (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

ولايستوي البحران المختلفان لأنّ مآء أحدهما حلو لذيذ طعمه، سآئغ شربه، والآخر ملح اجاج، شديد الملوحة والمرارة، ومن كل واحد من البحرين تأكلون لحماً طرياً فيه لذّة للآكلين، وأنتم تستخرجون من البحرين أنواعاً من الحلل التي تلبسونها للزينة وتنتفعون بها، وترى السفن كل حين تجري في البحرين تشقّ المآء شقاً بحيازيمها حين جريها مقبلة مدبرة، لتطلبوا من فضل الله تعالى، ولعلكم تشكرون على ذلك كله.

٣٦٧٣ ـ (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير)

يدخل الله تعالى الليل في النهار عند منقلب الصيف، ويدخل النهار في الليل عند منقلب الشتآء، وسخّر لكم الشمس والقمر كل يجري في مدارهما على نهج ثابت ومقدار معيّن لأجل مسمّى، ذلكم الله ربكم، له وحده الملك المطلق، والذين تدعون أيها المشركون وتعبدون من دون الله من الأصنام والأوثان وما إليها من الآلهة المصنوعة والمزعومة لايملكون شيئاً من مقدار لفافة نواة التمر، فضلاً عن النواة.

٣٦٧٤ ـ (إن تدعوهم لايسمعوا دعآءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبّئك مثل خبير)

إن تدعو أيها المشركون هؤلاء الآلهة الموهومة لكشف ضرّ عنكم أو جلب نفع لكم فهم لايسمعون دعآءكم، ولو تفوّه محالاً أن يسمعوا دعاءكم، فلايستطيعون أن يستجيبوا لشيء مما تطلبونه منهم، واعلموا أيها المشركون أنّ آلهتكم تلك يوم القيامة يكفرون بشرككم إياهم بالله سبحانه، فيتبرّؤن منكم ومن عبادتكم إياهم، ولايخبرك يامحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن حقيقة أمر تلك الآلهة الموهومة وعن أمر عبدتها، وعن بواطن الامور إلّا ذوخبرة بأمرها وأمرهم وهو الله تعالى وحده.

٣٦٧٥ ـ (يا أيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد)

يا أيها الناس! لا تظنّوا أنّ الله جل وعلا فقير وأنكم أغنياء، فيحتاج إليكم وإلى عبادتكم إياه، إنّما أنتم فقرآء في حياتكم وبقآئكم، وفي كل حال إلى الله عزوجل، والله تعالى هو بذاته غني مطلق عن خلقه، حميد بذاته سوآء حمده الحامدون أم لا.

٣٦٧٦ ـ (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)

معاشر الناس! إن يشاء الله عزوجل أن يذهبكم، أذهبكم، ويأت بدلاً منكم بخلق جديد ليسوا هم أمثالكم في الشرك والطغيان.

٣٦٧٧ ـ (وما ذلك على الله بعزيز)

وليس إذهاب الموجودين، واتيان الآخرين على الله جل وعلا بمتعذّر.

٣٦٧٨ ـ (ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكّى فانّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير)

ولاتحمل نفس آثمة، إثم نفس اخرى، وإن تدع ذات الحمل، مَن يحمل عنها بعض إثمها أو كلّه، لم تجد نفساً تجيبها إلى ما تطلبه، وإن كانت النفس المدعوّة للحمل ذات قرابة من الداعي كالأب والامّ... يا أيّها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّما أنت تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم في خلواتهم فضلاً عن علانيتهم، وهم الذين يقيمون الصلاة حق إقامتها ويحافظون شرائطها... ومَن تطهّر من رجس الشرك ودنس الكفر بالايمان والطاعة، فانّما يتطهر لنفسه، وإلى الله جل وعلا ترجع امور الخلق كلها.

٣٦٧٩ ـ (ومايستوي الأعمى والبصير)

ولايستوى أعمى القلب الذي ضلّ عن طريق الحق، وبصير القلب الذي اهتدى إلى سبيل الحق.

٣٦٨٠ ـ (ولا الظلمات ولا النور)

ولا تستوي ظلمات الشرك والطغيان والضلالة، ونور التوحيد والايمان والهداية.

٣٦٨١ ـ (ولا الظل ولاالحرور)

ولا تستوي الجنة التي هي ثواب لأهل التوحيد والايمان، والنار التي هي عقاب لأهل الشرك والعصيان.

٣٦٨٢ ـ (وما يستوي الأحيآء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في القبور)

ولايستوي الموحّدون الذين هم أحيآء القلوب بنور الايمان وصالح الأعمال، ولاالمشركون الذين هم أموات القلوب بظلمات الكفر وفساد الأعمال... إن الله

عزوجل يسمع آياته ويهدي مَن علم أنّ فيه خيراً ونفسه مستعدّ للايمان ولست يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن تسمع المشركين الذين أمات الشرك قلوبهم وهم في سيرتهم أموات دفنوا في القبور، وإن كانوا بصورتهم أحيآء يدبّون على وجه الأرض كالدّوابّ...

٣٦٨٣ - ﴿إن أنت إلّا نذير﴾

ما أنت يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا رسول تنذر المشركين والكافرين بالخزي في الدنيا، وبالنار في الآخرة.

٣٦٨٤ - ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من امة إلّا خلا فيها نذير﴾

إنا أرسلناك يامحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالدين الحق، والكتاب الحق، وأنت الحق من جانب الحق المطلق، تبشّر المؤمنين بالوعد الحق وهو العزّة والكرامة في الدنيا، والجنّة ونعيمها في الآخرة، وتنذر الكافرين بالوعيد الحق وهو الخزي والدنائة في الدنيا، والنار وعذابها في الآخرة، وما من امة مضت من بني آدم عليه السلام إلّا وقد بعث الله تعالى فيهم رسولاً دعاهم إلى الله جل وعلا وبشّر المؤمنين بالعزّة والجنّة، وأنذر الكافرين بالذلة والنار.

٣٦٨٥ - ﴿وإن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جآئتهم رسلهم بالبيّنات وبالزبر وبالكتاب المنير﴾

وإن يكذّبك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عتاة قريش ومن إليهم، فلا تبتئس بما يفعلون، فانّه قدكذّب الكفار من الامم السالفة أنبيآئنا قبل كفار مكّة إذ جآئتهم رسلنا الذين أرسلناهم إليهم بالمعجزات التي تشهد على حقّية رسلنا، وبالصحائف التي كانت فيها المواعظ والزواجر.. وبالكتاب المنير الذي كان

متضمّناً للشرائع والأحكام الواضحة وهم مع ذلك كله كفروا بالله سبحانه وعصوه وخالفوا رسله، فاصبر كما صبر أنبيآئنا...

٣٦٨٦ ـ (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير)

ثم أخذت الذين كذّبوا رسلنا بالخزي والهوان في الدنيا، وبالنار والعذاب في الآخرة، تلك عاقبة المكذبين برسلنا، وهي سنة من سنتنا لا تبديل لها، فانظر أنت، ولينظروا هم كيف كان شديد عقابي بالمكذّبين!

٣٦٨٧ ـ (ألم تر أنّ الله أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)

ألم تر أيّها المخاطب العاقل يقظ القلب! أن الله جل وعلا أنزل من السمآء مآءً، فاهتزّت به الأرض ونمت وأنبتت، فأخرجنا بالماء ثمرات كثيرة الأجناس من الأرض، مختلفاً أنواع الثمرات وألوانها، ومن الأدلة القاطعة على وحدانية الله تعالى! أن الله عزوجل جعل في بعض الجبال خطوطاً مختلفة، بعضها بيض، وبعضها حمر، مختلف ألوانها في الشدة والضعف، وبعض الجبال غرابيب سود على لون واحد لاخطوط فيها.

٣٦٨٨ ـ (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلمآء إن الله عزيز غفور)

وكل واحد من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، كذلك لكل نوع من الثلاثة ألوان مختلفة، إنّما يخشى الله تعالى من عباده العلماء العاملين الذين يتفكّرون في آيات الله التكوينية والتدوينية، وهم يعلمون أن الله عزوجل غالب غير مغلوب، يغفر لمن تاب وآمن وأصلح.

٣٦٨٩ ـ (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

إن الذين يتلون القرآن الكريم حق تلاوته ويعملون به، وأقاموا الصلاة حق إقامتها، وحافظوا حدودها، وأنفقوا بعض ما رزقناهم سرّاً وعلانية، هم بأعمالهم هذه يرجون ما وعدهم الله تعالى من الثواب وهو تجارة لن تكسد ولاتخسر.

٣٦٩٠ ـ (ليوفّيهم اجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)

إن الله تعالى لايضيع أجر المؤمنين لأنه جل وعلا يوفّيهم اجورهم ويزيدهم من فضله، لأنه عزوجل كثير المغفرة لذنوب من تاب وآمن وأصلح، وكثير الشكر إذ يقبل قليلاً من حسنات المحسنين، ويعطيهم كثيراً من الثواب.

٣٦٩١ ـ (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير)

والذي أوحينا إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من القرآن الكريم الذي هو الثابت الذي لايشوبه باطل ولافساد، حالكونه مصدّقاً لما سبق عليه من الكتب السماوية النازلة على الأنبيآء الماضين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد أنزله كذلك لان الله تعالى لخبير بأحوال عباده، بصير بما يصلح لهم، فيشرّع لهم من الاحكام، ويرسل إليهم من الرسل، وينزّل عليهم من الكتب مايناسب أحوالهم في كل زمان ومكان.

٣٦٩٢ ـ (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

ثم أورثنا القرآن الكريم الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير

في العمل بالكتاب المجيد، فنقض ماعاهد الله عليه، ومنهم مقتصد في العمل بالقرآن الكريم، فيعمل بما يتعلّم من الكتاب، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله تعالى وهو أحد الثقلين اللذين تاركهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في امته، ذلك السبق بالخيرات بالعناية الخاصّة الالهية بالسابق هو الفضل الكبير له على غيره.

٣٦٩٣ ـ (جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

للسابقين بالخيرات جنّات خلود، وبساتين إقامة، هم يدخلونها، حالكونهم يزيّنون فيها من أنواع أساور مرصّعة بالذهب، ويزيّنون فيها لؤلؤاً، وهو خاص بهم ولباسهم في تلك البساتين الكثيرة المتنوّعة من جنس حرير محض خاص بهم لايماثله أبريسم الدنيا.

٣٦٩٤ ـ (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور)

وقال السابقون بالخيرات عند دخول جنات الخلود، وفي كل حال: الحمد لله الذي أذهب عنّا الخوف من كل مانحذره يوم القيامة، وأراحنا من كل ماكنّا في الحياة الدنيا نتخوّف من غموم الآخرة وشرّها وأهوالها... لأن ربنا لكثير المغفرة لعظيم ذنوب من تاب وآمن وأصلح، ولكثير القبول من قليل طاعات المطيعين، ولكثير الجزآء على قليل من حسنات المحسنين.

٣٦٩٥ ـ (الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب)

ربنا هو الذي أدخلنا دار الاقامة من فضله، لامن أعمالنا، دار لايمسّنا فيها أدنى تعب و عنآء، ولايمسّنا فيها أقلّ كلال وعيّ من التعب.

٣٦٩٦ - ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لايُقضىٰ عليهم فيموتوا ولايخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾

والذين كفروا بالله تعالى وكذّبوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحدوا بآياته، لهم نار جهنّم، عقوبة لهم على كفرهم وكفرانهم، لايُقضىٰ عليهم فيها بموت ثان فيموتوا حتى يستريحوا من عذاب النار، ولايخفّف عنهم من عذابها طرفة عين، بمثل هذا العذاب الأليم نجزي كل كافر بالله سبحانه وبأنعمه عليه، وهذه سنّة جارية على كل كافر لا تتبدّل ولا تتحوّل أبداً.

٣٦٩٧ - ﴿وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجآءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾

واولئك الكفار يصيحون في نار جهنّم غاية الصيحة، وينادون فيها متحسّرين نهاية التحسّر على ما أضاعوا أيام حياتهم: ربنا أخرجنا من نارجهنّم وأعدنا إلى الدنيا، إن أخرجتنا منها وأعدتنا إلى الدنيا نعمل فيها عملاً صالحاً غير الذي كنّا نعمل من قبل من الكفر والمعاصي... يقول الله جل وعلا عندئذ على سبيل التوبيخ والعتاب: أولم نجعلكم تعمرون وقتاً؟! فعمّرتم في الدنيا مقدار مايمكن أن يتذكّر فيه من يريد أن يتذكّر، وجآءكم رسول من الله تعالى يدعوكم إلى الله جل وعلا، وينذركم من عذابه إن كفرتم به وعصيتموه، فما أجبتم رسولنا إلّا أن كذّبتموه، فذوقوا أيها المكذّبون عذاب نار جهنّم جزآءً لكفركم وكفرانكم، وتكذيبكم وطغيانكم، فما للظالمين من نصير ينصرهم أو ينجيهم من عذاب النار.

٣٦٩٨ - ﴿ان الله عالم غيب السموات والأرض إنّه عليم بذات الصدور﴾

لو ردّكم الله جل وعلا أيها المكذّبون إلى الدنيا لن تؤمنوا بالله تعالى، ولن تعملوا عملاً صالحاً لأن الله عزوجل يعلم كل سرّ من اسرار السموات والأرض،

بل إنّه عزوجل يعلم كل ما تنطوي عليه الصدور وما تكنّه الضمآئر...

٣٦٩٩ ـ (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاّ مقتاً ولايزيد الكافرين كفرهم إلاّ خساراً)

الله تبارك وتعالى هو الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض لما فيكم من استعداد الخلافة فيها، فمن كفر منكم بعد ذلك وأضاع إستعداده بالكفر والكفران، فيعود وبال كفره وتبعات كفرانه إلى نفسه، ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاّ بغضاً شديداً، ولايزيد الكافرين كفرهم إلاّ خساراً في الدنيا والآخرة.

٣٧٠٠ ـ (قل أرأيتم شركآءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلاّ غروراً)

قل يا أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تدعونهم وتعبدونهم من دون الله! أخبروني ماذا خلق آلهتكم الموهومة من الأرض على طريق الاستقلال أو على سبيل المعاونة لله سبحانه؟ أم لهولاء الآلهة المجعولة شركة مع الله سبحانه في خلق السموات؟ أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً ينطق أن تلك الآلهة المزعومة شركآئنا في الوجود أو في ايجاد الكون أو في تدبير النظام أو في العبادة، فهم على بيّنة من ذلك الكتاب؟! كلاّ ثم كلاّ! ليس لهم دليل من العقل ولامن النقل على شيء من ذلك، بل لايعد عتاة الظلمة أتباعهم إلاّ غروراً، فيغرّ الرؤسآء المكذّبون، الضعفاء المرؤسين غروراً.

٣٧٠١ ـ (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد

من بعده انه كان حليماً غفوراً)

إن الله تعالى يسكن السموات والأرض حالاً بعد حال لئلا تزولا، ويمسكهما لئلا تسقطا، واقسم بالله جل وعلا! لو اشرفت السموات والأرض على السقوط لن يستطيع أحد سوى الله عزوجل أن يحفظها من الزوال والسقوط إذ لامفيض لعالم الوجود غير الله تعالى، ولايقدر على إمساكهما غير خالقهما، فلايعجّل الله تعالى على زوالهما بسبب شرك المشركين وتكذيب المكذّبين لأن الله جل وعلا كان حليماً في تعجيل عقاب المشركين قبل موعده، كثير الغفران لمن تاب وآمن وأصلح.

٣٧٠٢ - (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلمّا جآءهم نذير مازادهم إلاّ نفوراً)

وأقسم عتاة قريش قبل بعثة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالله تعالى أغلظ الأيمان: إن جآءهم من الله عزوجل رسول من أنفسهم ينذرهم بأس الله جل وعلا ليكوننّ أطوع لهذا الرسول، وأهدى إلى قبول قوله من كل امّة من الامم السالفة، فلمّا جآء عتاة قريش من أنفسهم نذير، مازادهم مجيئ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ بعداً عن الايمان والهدى!

٣٧٠٣ - (إستكباراً في الأرض ومكر السّيئ ولايحيق المكر السّيئ إلاّ بأهله فهل ينظرون إلاّ سنّت الأوّلين فلن تجد لسنّت الله تبديلاً ولن تجد لسنّت الله تحويلاً)

فلمّا تحقّق ماكانت زعمآء مشركي مكة يتمنّونه وينتظرونه نقضوا عهدهم وخالفوا أقوالهم لارادتهم إدامة إستكبارهم في الأرض - وقد كانت رسالة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مانعة من الاستكبار - ولمكرهم السّيئ على عامّة الناس وضعفآء الادراك لبقآء زعامتهم عليهم، ولايقع المكر السّيئ ولايحيط جزآئه إلاّ بالماكرين، وهذه سنّة من سنن الله جل وعلا، فهل ينتظر يا محمّد صلّى الله عليه وآله

وسلّم هؤلاء المستكبرون إلاّ أن يؤخذوا بما اَخذَ به المستكبرون الأوّلون؟ فلن تجد يامحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لسنة اَللّه تبديلاً فلايبدّل العذاب بالرحمة ولن تجد لسنة اللّه تحويلاً فلن يحوّل العذاب من نفس إلى اخرى.

٣٧٠٤ - (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً)

أولم يسر يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم زعمآء المشركين وعتاة قريش في الأرض ليتتبّعوا أخبار الماضين من أهلها بعين مفتوحة وقلب يقظ، فينظروا أثنآء رحلاتهم التي يسلكونه إلى طريق الشام واليمن والعراق... في تجاراتهم، كيف كان عاقبة مكر الذين كانوا من قبلهم؟ ألم نهلكهم؟ ألم نخرّب مساكنهم؟ وقد كانوا اولئك الماكرون السابقون أشد قوة من هؤلاء الماكرين الموجودين، ولكنّ الله عزوجل أخذهم أخذ عزيز مقتدر فكيف هم؟ وما من شيء في السموات ولا في الأرض أن يمنع الله جل وعلا من إجرآء سنّة الهلاك والدمار على الماكرين لأن الله تعالى كان عليماً بمن يستحق الهلاك والدمار، وبمكانهم فيؤاخذهم حيثما كانوا، وكان قديراً على عقوبتهم، فهم سيرون عاقبة مكرهم.

٣٧٠٥ - (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جآء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً)

إن الله عزوجل يعاقب الماكرين بلا ريب، ولكنّه لايعجل في العقوبة إذ لو يؤاخذ الله الناس بمجرّد ما كسبوا من الكفر والمعاصي... ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدبّ عليها، وذلك إن الله تعالى خلقها لهم، فاذا أهلكهم بمجرّد إرتكابهم معصيته، فبفنآئهم فنآئها، فما ترك على ظهرها من دابة، ولكن الله تعالى يؤخر عقوبة المجرمين إلى وقت معلوم، ليقيم عليهم الحجّة، وليمكن أن يتوب تائب في هذه الفرصة، فاذا جآء وقتهم المعلوم ولم يتوبوا، فان الله جل وعلا كان بعباده بصيراً لايخفى عليه شيء فيجازى كلاً على ما كسبوا إن خيراً فخير، و إن شراً فشرّ.

﴿بحث روائي﴾

في المجمع: قال ابن عباس رآى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرآئيل ليلة المعراج وله ستمأة جناح.

وفيه: وروى أبو هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن.

وفي الكشاف: في قوله تعالى: «يزيد في الخلق مايشآء» قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن.

وفي العيون ـ في باب ماجآء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة ـ باسناده عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حسّنوا القرآن بأصواتكم فانّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً وقرأ: «يزيد في الخلق مايشآء».

وفي الجامع لاحكام القرآن: وقال الهيثم الفارسي: رأيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في منامي فقال: أنت الهيثم الذي تُزيّن القرآن بصوتك جزاك الله خيراً.

وفيه: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الخطّ الحسن يزيد الكلام وضوحاً».

وفي التوحيد: باسناده عن زرارة عن عبد الله بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ القضآء والقَدَر خلقان من خلق الله يزيد في الخلق ما يشآء.

أقول: ان الروايات الست من باب الجري والانطباق.

وفي الكافي: باسناده عن عبدالله بن طلحة رفعه قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: الملائكة على ثلاثة أجزآء جزء له جناحان، وجزء له ثلاثة أجنحة وجزء له أربعة

أجنحة.

أقول: ومن المحتمل انه لم يرد خصوصيّة الأعداد، ونفى مازاد عليها لما روي عنه عليه السلام: أنه رآى جبرئيل ليلة المعراج وله ستمأة ألف جناح. كما اشير إلى ذلك في قوله عزوجل: «يزيد في الخلق مايشآء» وفي الروايات رمز إلى قوة إستعداد الملائكة الروحي وقربهم من الملأ الأعلى وسرعة تنفيذهم مايؤمرون به.

وفي الجامع لاحكام القرآن: عن ابن مسعود أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم رآى جبرئيل عليه السلام له ستمأة جناح.

وفيه: عن الزهري أن جبرئيل عليه السلام قال له: يا محمّد لو رأيت إسرافيل إن له لاثنى عشر ألف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، وإنّ العرش لعلى كاهله، وإنّه في الأحايين ليتضاءل لعظمة الله حتّى يعود مثل الوَصَع -والوَصَعْ عصفور صغير- حتى مايحمل عرش ربك إلّا عظمته.

وفي الكافي: باسناده عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس خلق أكثر من الملائكة انه لينزل كل ليلة من السمآء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم.

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام: إن لله ملكاً مابين شحمة اذنه إلى عاتقه مسيرة خمسمأة عام خفقان الطير.

وفيه: باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لله عزوجل ديكاً رجلاه في الأرض السابعة وعنقه مثنية تحت العرش وجناحاه في الهوآء إذا كان في نصف الليل أو الثلث الثاني من آخر الليل ضرب بجناحه، وصاح: «سبّوح قدّوس ربنا الله الملك الحق المبين فلا إله غيره رب الملائكة والروح» فتضرب الملائكة بأجنحتها وتصيح.

وفي الخصال: في احتجاج الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام على أبي بكر قال: «فانشدك بالله أخوك المزيّن بالجناحين في الجنّة يطير بهما مع الملائكة أم

أخي؟ قال: بل أخوك.

وفيه: في احتجاج مولى الموحدين أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الشورى على الناس: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر المزيّن بالجناحين في الجنّة يحل فيها حيث يشآء غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وفيه: ـ في مناقب إمام المتقين أميرالمؤمنين علي عليه السلام وتعدادها ـ قال: وأما السادسة والعشرون فان جعفراً أخي الطيار في الجنّة مع الملائكة المزيّن بالجناحين من درّ وياقوت وزبرجد.

وفيه: أيضاً ـ في مناقبه عليه السلام ـ قال: وأما الثامنة والأربعون فان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أتاني في منزلي ولم نكن طعمنا منذ ثلاثة أيام، فقال: يا عليّ! هل عندك شيء؟ فقلت: والذي أكرمك بالكرامة واصطفاك بالرسالة ماطعمت وزوجتي وابناي منذ ثلاثة أيام فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا فاطمة! ادخلي البيت وانظري هل تجدين شيئاً؟ فقالت: خرجت الساعة، فقلت: يا رسول الله ادخله أنا؟ فقال: ادخل وقل: بسم الله فدخلت فاذاً أنا بطبق موضوع عليه رطب وجفنة من ثريد فحملتها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا علي رأيت الرسول الذي حمل الطعام؟ فقلت: نعم فقال: صفه لي؟ فقلت: من بين أحمر وأخضر وأصفر، فقال: تلك خطط جناح جبرئيل مكللة بالدر والياقوت، فأكلنا من الثريد حتى شبعنا فما أرى إلّا خدش أيدينا وأصابعنا، ولم ينقص من الطعام شيء فخصّني الله بذلك من بين أصحابه.

وفي رواية: عن ابن عمر قال: كان على الحسن والحسين عليهما السلام تعويذان حشوهما من زغب جناح جبرئيل عليه السلام.

الزغب: صغار الريش وقيل: هو أوّل مايبدو منه.

وفي نور الثقلين: عن ثابت بن أبي صفية قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: رحم الله العبّاس يعني ابن عليّ فلقد آثر أبي وفدى أبي بنفسه قطعت يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وان للعباس عند

الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهدآء يوم القيامة.

وفي البحار: عن الدر المنثور عن أبي العلاء بن سعد أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يوماً لجلسآئه: أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ ليس منها موضع قدم إلّا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ: «وإنّا لنحن الصافّون وإنا لنحن المسبّحون».

وفي التوحيد: باسناده عن أبي حيّان التيميّ عن أبيه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: ليس أحد من الناس إلّا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردّى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فاذا حان أجله خلّوا بينه وبين مايصيبه... الحديث.

وفيه: عن زيد بن وهب عن أميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام انّه سُئِلَ عن قدرة الله عزوجل فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقته وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجن والانس أن يصفوه ما وصفوه لبعد مابين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبعمأة عام مابين منكبيه (منكبه خ) وشحمة اذنيه، ومنهم من يسدّ الافق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السموات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهوآء الأسفل والأرضون إلى ركبته (ركبتيه خ) ومنهم من لو ألقى في نقرة ابهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفينة من دموع عينيه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفي نور الثقلين: عن أبي ايوب الأنصاري عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم -في حديث طويل يقول فيه لفاطمة الزهرآء سلام الله عليها-: يا فاطمة! انا أهل بيت اعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأوّلين قبلنا ولايدركها أحد من الآخرين بعدنا: نبيّنا خير الأنبيآء وهو أبوك ووصيّنا خير الأوصيآء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهدآء وهو عمّ أبيك (ابن عمّ أبيك ظ) ومنّا مَن له جناحان يطير بهما في الجنّة وهو جعفر، ومنّا سبطا هذه الامة وهما إبناك.

وفي الكافي: عن الثمالي قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليهما السلام فاحتبست

في الدار ساعة ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وادخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أيّ شئ هو؟ قال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا نجعله سبحاً لأولادنا قلت: جعلت فداك فانهم ليأتونكم؟ فقال: يا أباحمزة انهم ليزاحمونا على تكائنا.

تكأة ـ كهمزة ـ مايعتمد عليه حين الجلوس.

وفي بصائر الدرجات: عن الأزهر البطيخي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزوجل عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلتها الملائكة وأباها ملك يقال له: فطرس، فكسر الله جناحه فلمّا ولد الحسين بن علي عليهما السلام بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يهنئهم بولادته، فمر بفطرس فقال له فطرس: إلى أين تذهب؟ قال: بعثني الله إلى محمّد أهنئهم بمولود ولد في هذه الليلة فقال له فطرس: احملني معك وسل محمّداً يدعو لي، فقال له جبرئيل: إركب جناحي فركب جناحه فأتى محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم فدخل عليه وهنّأه فقال له: يا رسول الله! ان فطرس بيني وبينه اخوة، وسئلني أن أسئلك أن تدعو الله أن يرد عليه جناحه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا فطرس أتفعل؟ قال: نعم، فعرض عليه رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ولاية اميرالمؤمنين فقبلها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: شأنك المهد فتمسح به وتمرغ فيه، قال: فمشى فطرس إلى مهد الحسين بن عليّ ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: فنظرت إلى ريشه وانه ليطلع ويجري فيه الدم ويطول حتى لحق بجناحه الآخر وعرج مع جبرئيل إلى السمآء وصار إلى موضعه.

وفي الخصال: باسناده عن محمّد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن جبرئيل أتاني فقال: إنا معشر الملائكة لاندخل بيتاً فيه كلب ولا تمثال جسد ولا إنآء يبال فيه.

وفي نور الثقلين: عن عمار الساباطي قال: أصبت شيئاً كان على وسآئد كانت في

منزل أبي عبد الله عليه السلام فقال له بعض أصحابنا: ما هذا جعلت فداك ؟ ـ وكان يشبه شيئاً يكون في الحشيش كثيراً كأنّه جوزة ـ فقال له أبوعبد الله عليه السلام: هذا مما يسقط من أجنحة الملائكة ثم قال: يا عمار إن الملائكة لتزاحمنا على نمارقنا.

النمارق: جمع نمرقة وهي وسادة صغيرة يتكأ عليها.

وفيه: عن المفضل بن عمر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فبينا أنا عنده جالس إذا أقبل موسى ابنه عليهما السلام وفي رقبته قلادة فيها ريش غلاظ، فدعوت به فقبلته وضممته إليّ ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أيّ شيء هذا الذي في رقبة موسى؟ فقال: هذا من أجنحة الملائكة، قال: قلت: وانها لتأتيكم؟ فقال: نعم انّها لتأتينا وتعفر في فرشنا، وان هذا الذي في رقبة موسى من أجنحتها.

وفيه: عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ان الملائكة لتنزل علينا في رحالنا وتنقلب على فرشنا وتحضر موآئدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه رطب ويابس، وتقلب علينا أجنحتها وتقلب أجنحتها على صبياننا.

أقول: ان الروايات الواردة حول الملائكة كثيرة نذكرها تحت عناوين عديدة في هذه السورة إن شاء الله تعالى.

وفي تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: عن ابن أبي عمير بن مرازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قول الله عزوجل: «مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها» قال: هي ما أجرى الله على لسان الامام.

يعنى أن الذي يجريه الله على لسان الامام عليه السلام من الكلام هو رحمة منه فتح بها على الناس لأنّه لاينطق عن الهوى وماينطق إلاّ عن الله، وكل مايكون من الله فهو رحمة، ومنه قوله تعالى: «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» وكذلك أهل بيته الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين

وفي تفسير القمي: عن رجل من الكوفيين عن أبي عبدالله عليه السّلام: في قول الله: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها» قال: والمتعة من ذلك.

وفي رواية: «إذا انصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الصلاة يقول: لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لامانع لما أعطيت، ولامعطي لما منعت، ولاينفع ذا الجدّ منك الجدّ».

وفي رواية: عن أبي سعيد الخدري: «قال: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملأ السماء والأرض، وملأ ماشئت من شيء بعد، اللهم أهل الثنآء والمجد أحق ماقال العبد، وكلّنا لك عبد، اللهم لامانع لما أعطيت ولامانع لما منعت ولاينفع ذا الجدّ منك الجدّ».

وفي التوحيد: باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى! احفظ وصيّتي لك بأربعة إلى أن قال: والرابعة: ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره.

وفيه: باسناده عن أبان الأحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنّه جآء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وامّي عظني موعظة؟ فقال عليه السلام: إن كان الشيطان عدوّاً فالغفلة لماذا؟... الحديث.

وفي الكافي: باسناده عن علي بن سويد عن أبي الحسن عليه السلام قال: سئلته عن العجب الذي يفسد العمل فقال: العجب درجات منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعاً.

وفي نور الثقلين: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ماابتلى مؤمن بذنب أبداً.

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل ابليس وعليه برنس ذو ألوان فلمّا دنى من موسى عليه السلام خلع البرنس وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: أنت فلاقرّب الله دارك قال: إنّي انّما جئت لاسلّم بمكانك من الله، فقال له موسى: فما هذا البرنس؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم، فقال له موسى:

فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه.

وفي الجامع لاحكام القرآن: وكان الفضيل بن عياض يقول: يا كذّاب يا مفترٍ! اتق الله ولا تسبّ الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السّرّ. وقال ابن السماك: يا عجباً لمن عصى المحسن بعد معرفته باحسانه، وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته.

وفي الاحتجاج: عن أبي الحسن علي بن محمّد العسكرى عليهما السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سئلوه عن الجبر والتفويض، وذكر الرسالة إلى أن قال عليه السلام: «يهدي من يشآء ويضلّ من يشآء» وما أشبه ذلك. قلنا: فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين: أحدهما أنّه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشآء وضلالة من يشآء لو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولاعليهم عقاب على ما شرحناه. والمعنى الآخر: أنّ الهداية منه التعريف كقوله تعالى: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» وليس كل آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي امر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله: «هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ ام الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغآء الفتنة وابتغآء تأويله» الآية وقال: «فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب».

وفي تفسير القمي: عن حارث الأعور عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: سُئِلَ عن السحاب أين يكون؟قال: يكون على شجر كثيف على ساحل البحر يأوي إليها، فاذا أراد الله أن يُرسله أرسل ريحاً، فأثاره ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع.

وفي روضة الكافي: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: وسُئِلَ عن السحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوى إليه، فاذا أراد الله عزوجل أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق، فيرتفع ثم قرأ

هذه الآية: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت» الآية والملك إسمه الرعد.

وفي تفسير القمي: في قوله عزوجل: «كذلك النشور» عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمر السمآء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم.

وفي الدر المنثور: عن أبي رزين العقيليّ قال: قلت: يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى؟ قال: أما مررت بأرض مجدبة ثم مررت بها مخصبة تهتزّ خضرآء؟ قال: بلى قال: كذلك يحيى الله الموتى وكذلك النشور.

وفي الجامع لاحكام القرآن: عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررتَ بوادي أهلك مُمْحِلاً ثم مررت به يهتزّ خَضِراً؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته في خلقه.

وفي تفسير القمي: قال: ثم احتجّ على الزنادقة والدهرية فقال: «والذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت» وهو الذي لانبات فيه «فأحيينا به الأرض بعد موتها» أي بالمطر ثم قال: «كذلك النشور».

١٠ ـ (من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه...)

في المجمع: ماروواه أنس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز.

وفي الكافي: باسناده عن عمّار الأسدى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجل: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه» ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده إلى صدره: فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً.

وفي مناقب ابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه: عمّاربن يقظان الأسدى عن أبي عبد الله عليه السلام الحديث.

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ في الحكم المنسوبة إلى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام رقم ٣٣٢ ـ قال عليه السلام: «أجلّ ماينزل من السمآء التوفيق، وأجلّ مايصعد من الأرض الاخلاص».

وفي علل الشرائع: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنّ المؤمن مكفّرو ذلك ان معروفه يصعد إلى الله تعالى فلاينتشر في الناس، والكافر مشهور وذلك ان معروفه للناس ينتشر في الناس ولايصعد إلى السمآء.

وفي تفسير القمي: وقوله عزوجل: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» قال: كلمة الاخلاص والاقرار بما جاء به من عند الله من الفرآئض والولاية، يرفع العمل الصالح إلى الله عزوجل.

يعني أنّ الولاية هي العمل الصالح الذي يرفع الكلم الطيّب إلى الله تعالى ويؤيّده مارواه الكليني رضوان الله تعالى عليه عن الامام على بن موسى عليهما السلام في قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه» قال: الكلم الطيّب هو قول لا إله إلّا الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله وخليفته حقاً، وخلفآؤه خلفآء الله «والعمل الصالح يرفعه» فهو دليله. وعمله: إعتقاده الذي في قلبه بأن هذا الكلام صحيح كما قلته بلساني.

يعني أنّ قوله بلسانه غير كاف إذا لم يكن بقلبه ولسانه وجوارحه وأركانه...

وفيه: وعن الصادق عليه السلام أنه قال: الكلم الطيب قول المؤمن: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله وخليفة رسول الله قال: والعمل الصالح الاعتقاد بالقلب، ان هذا هو الحق من عند الله لاشك فيه من رب العالمين.

وفي نور الثقلين: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ لكل قول مصداقاً من عمل يصدّقه أو يكذّبه، فإذا قال ابن

آدم وصدّق قوله بعمله رفع قوله بعمله إلى الله، وإذا قال وخالف عمله قوله ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى به في النار.

وفي التوحيد: باسناده عن زيد بن عليّ عن أبيه -في حديث طويل- قال الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام: وإنّ لله تبارك وتعالى بقاعاً في سمواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله عزوجل يقول: «تعرج الملائكة والروح إليه» ويقول عزوجل في قصّة عيسى بن مريم عليه السلام: «بل رفعه الله إليه» ويقول عزوجل: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه».

وفي تفسير النيشابورى: عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: الكلم الطيب هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السمآء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه.

وفي نهج البلاغة: قال الامام أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «ولو لا إقرارهنّ له بالربوبية وإذعانهنّ له بالطواعية لما جعلهنّ موضعاً لعرشه ولامسكناً لملائكته، ولامصعداً للكلم الطّيب والعمل الصالح من خلقه.

قوله عليه السلام: «اقرارهنّ» الضمير راجع إلى السموات، و«بالطواعية» أي الطاعة، يقال: فلان حسن الطواعية لك أي حسن الطاعة لك.

وفي الاحتجاج: عن الأصبغ بن نباتة عن الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام -في حديث- وقد سئله ابن الكواء قال: يا أميرالمؤمنين كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك ؟ قال: ثكلتك امّك يابن الكوّاء إسئل متعلّماً ولا تسئل متعنّتاً، من موضع قدمى إلى عرش ربي أن يقول قائل مخلصاً: لا إله إلّا الله قال: يا أميرالمؤمنين فما ثواب من قال: لا إله إلّا الله؟ قال: من قال: لا إله إلّا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض، فاذا قال ثانية: لا إله إلّا الله مخلصاً خرقت أبواب السمآء وصفوف الملائكة حتى تقول (يقول خ) الملائكة بعضها لبعض: إخشعوا لعظمة الله، فاذا قال ثالثة مخلصاً: لا إله إلّا الله لم تنته دون العرش، فيقول الجليل: اسكنى

فوعزّتي وجلالي لاغفرنّ لقائلك بما كان فيه، ثم تلا هذه الآية: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه» يعني إذا كان عمله خالصا إرتفع قوله وكلامه.

وفي مجالس الشيخ باسناده عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهبآء وقد خرج علماء نيسابور في استقباله، فلمّا صاروا إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته، وقالوا: يابن رسول الله بحق آبائك الطاهرين حدّثنا عن آبائك صلوات الله عليهم، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال: حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن على عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي بن أبيطالب سيّد شباب أهل الجنّة عن أميرالمؤمنين عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أجمعين أخبرني جبرئيل روح الأمين عن الله عزّوجل تقدّست أسمآئه وجلّ وجهه قال: إنّي أنا الله بشهادة أن لا إله إلّا الله أنا وحدي، عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله مخلصاً بها انّه قد دخل الجنّة حصنى من عذابي قالوا: يابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام.

وفي الكافي: باسناده عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث: «من شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً وجبت له الجنّة» قال: قلت له: انه يأتيني من كل صنف أفأروى لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين فتسلب لا إله إلّا الله منهم إلّا من كان على هذا الأمر.

أقول: يعنى أمر الولاية فانها دليل التوحيد، فمن لادليل له فهو ضالّ بلامرآء.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب» يعني يكتب في كتاب وهو ردّ على من ينكر البدآء.

وفي الكافي: باسناده عن محمّد بن عبد الله قال أبوالحسن الرضا عليه السّلام: يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيّرها الله ثلاثين سنة ويفعل

الله مايشآء.

وفيه: عن اسحق بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام: ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلّا صلة الرحم حتى ان الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين.

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: كان في بني اسرائيل أخوان ملكان على مدينتين وكان أحدهما باراً برحمه عادلاً على رعيته، وكان الآخر عاقاً برحمه جآئراً على رعيته وكان في عصرهما نبيّ، فأوحى الله إلى ذلك النبي انه قد بقي من عمر البارّ ثلاث سنين، وبقي من عمر هذا العاق ثلاثون سنة، فأخبر النبي رعيّة هذا ورعية هذا، فأحزن ذلك رعية العادل، وأحزن ذلك رعية الجائر، ففرّقوا بين الامهات والأطفال، وتركوا الطعام والشراب و خرجوا إلى الصحرآء يدعون الله تعالى أن يمتعهم بالعادل، ويزيل عنهم الجآئر فأقاموا ثلاثاً فأوحى الله إلى ذلك النبي أن أخبر عبادي أني قد رحمتهم وأجبت دعآئهم، فجعلت مابقي من عمر هذا البارّ لذلك الجائر، ومابقي من عمر الجآئر لهذا البار.

فرجعوا إلى بيوتهم ومات العاق لتمام ثلاث سنين، وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة ثم تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ومايعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب إن ذلك على الله يسير».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الصدقة وصلة الرحم تعمران الديار وتزيدان في الأعمار».

وفي الخصال: عن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: من سرّه أن يبسط في رزقه وينسى له في أجله فليصل رحمه.

وفي الجامع لاحكام القرآن: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من أحبّ أن

يُبسَط له في رزقه ويُنسَأ له في أثره فليصل رحمه» الأثر: الأجل لأنه تابع للحياة في أثرها.

وفي نور الثقلين: عن أبي جعفر عليه السلام قال: في كتاب علي عليه السّلام: ثلاث خصال لايموت صاحبهنّ حتى يرى وبالهنّ: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها إلى قوله عليه السلام: وان القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم فيبرّون فيزاد في أعمارهم، فانّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها.

قوله عليه السّلام: «بلاقع» جمع بلقع وبلقعة وهي الأرض القفر التي لا شئ بها.

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زاد الله في رزقه ومن حسن برّه في أهله زاد الله في عمره.

وفي كامل الزيارات: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام فانّ اتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع السوء واتيانه مفروض على كل مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالامامة من الله تعالى.

وفيه: باسناده عن منصور بن حازم قال: سمعناه يقول: من أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام انتقص من عمره حولاً ولو قلت: ان أحدكم يموت قبل أجله بثلاثين سنة كنت صادقاً، وذلك انكم تتركون زيارته فلا تدعون زيارته يمد الله في أعماركم وأرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وارزاقكم، فسابقوا في زيارته، ولا تدعون ذلك فان الحسين بن عليّ عليهما السلام شاهد لكم في ذلك عند الله وعند رسوله وعند عليّ وفاطمة عليهم السلام.

وفيه: باسناده عن داود الحمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من لم يزر قبر الحسين عليه السلام فقد حرم خيراً كثيراً ونقص من عمره سنة.

وفي التهذيب: باسناده عن الهيثم بن عبد الله عن الرضا علي بن موسى عن أبيه عليهم السلام قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ أيام زآئري الحسين بن عليّ عليهما السلام لا تعد

من آجالهم.

وفي التوحيد: ـفي باب مجلس الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي ـ قال الرضا عليه السلام: لقد أخبرني أبي عن آبآئه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ الله عزوجل أوحى إلى نبيٍّ من أنبيآئه أن أخبر فلان الملك انّي متوفّيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير، فقال: يا رب أجّلني حتى يشب طفلي وأقضى أمري، فأوحى الله عزوجل إلى ذلك النبيّ أن ائت فلان الملك فاعلمه اني قد انسيت في أجله، وزدت في عمره خمس عشرة سنة، فقال ذلك النبيّ: يا ربّ إنّك تعلم أني لم أكذب قطّ، فأوحى الله عزوجل إليه إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لايُسئَل عما يفعل.

وفي روضة الكافي: باسناده عن أبي اسحق الجرجاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجل جعل لمن جعل سلطاناً أجلاً ومدة من ليالي وأيام وسنين وشهور فان عدلوا في الناس أمر الله عزوجل صاحب الفلك أن يبطئ بادارته، فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزوجل صاحب الفلك فأسرع بادارته فقصرت لياليهم وأيامهم وسنيهم وشهورهم، وقد وفى عزوجل بعدّ الليالي والشهور.

وفي إرشاد المفيد رضوان الله تعالى عليه: وروى المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى الناس عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لايولد له فيهم انثى.

وفي نورالثقلين: عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا معشر المسلمين إيّاكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أمّا التي في الدنيا فانّه يذهب بالبهآء ويورث الفقر وينقص العمر.. الحديث.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا

عليّ كرامة المؤمن على الله انه لم يجعل لأجله وقتاً حتّى يهمّ ببآئقة فاذا همّ ببائقة قبضه إليه.

وفي رواية: قال جعفر بن محمد عليهما السلام: تجنبوا البوآئق يمدّ كم في الأعمار.

قوله عليه السلام: البوآئق جمع البائقة: الشر والظلم.

وفي تفسير ابن كثير: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أعمار امّتي مابين الستين والسبعين، وأقلهم من يجوز ذلك».

وفيه: قال حذيفة: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم! أنبئنا بأعمار امّتك؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مابين الخمسين إلى الستين قالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأبنآء السبعين؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: قلّ من يبلغها من امّتي رحم الله أبنآء السبعين ورحم الله أبنآء الثمانين.

وفي وسائل الشيعة: محمّد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة.

١٢ ـ (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سآئغ شرابه وهذا ملح اجاج...)

في تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وما يستوى البحران هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج» الاجاج: المرّ.

وفيه: باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال للابرش: يا أبرش هو كما وصف نفسه كان عرشه على المآء، والمآء على الهوآء، والهواء لايحد، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والمآء يومئذ عذب فرات ـ إلى أن قال ـ وكانت السمآء خضرآء على لون الماء الأخضر، وكانت الأرض غبرآء على لون المآء العذب... الحديث.

وفي الدر المنثور: عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا شرب المآء قال: الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً اجاجاً بذنوبنا.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «مايملكون من قطمير» قال: الجلدة الرقيقة على ظهر النوى.

وفي الخصال: باسناده عن الأعمش عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: فيما وصف لي من شرائع الدين: إنّ الله لايكلف نفساً إلّا وسعها، ولايكلّفها فوق طاقتها، وأفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لاخلق تكوين، والله خالق كل شيء ولايقول بالجبر ولا بالتفويض ولايأخذ الله عزوجل البريئ بالسقيم، ولايعذّب الله عزوجل الأطفال بذنوب الآبآء، فانّه قال في محكم كتابه: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» وقال الله عزوجل: «وأن ليس للانسان إلّا ماسعى وأنّ سعيه سوف يرى» ولله عزوجل أن يعفو ويتفضّل وليس له أن يظلم... الحديث.

وفي التوحيد: باسناده عن الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ولا تقبلوا له الشهادة، إنّ الله تبارك وتعالى لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها، ولايحملها فوق طاقتها، ولا تكسب كل نفس إلّا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى.

وفي العيون: باسناده عن الفضل عن الرضا عليه السلام -فيما كتب للمأمون من محض الاسلام-: «إن الله تبارك وتعالى لايكلّف نفساً إلّا وسعها، وإنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى خلق تقدير لاخلق تكوين، والله خالق كل شيء ولانقول بالجبر والتفويض ولايأخذ الله البريئ بالسقيم، ولايعذّب الله تعالى الأطفال بذنوب الآباء ولا تزر وازرة وزر اخرى وأن ليس للانسان إلّا ماسعى... الخبر.

وفيه: باسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يابن رسول الله ماتقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام انه قال: إذا خرج القآئم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبآئهم؟ فقال عليه السلام: هو كذلك، فقلتُ: وقول الله عزوجل: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» مامعناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال

آبآئهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قُتِلَ بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عزوجل شريك القاتل وإنّما يقتلهم القآئم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبآئهم، قال: فقلت له: بأيّ شيء يبدأ القآئم عليه السلام منكم إذا قام؟ قال: يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم لأنهم سرّاق بيت الله عزّوجل.

وفي المجمع: قال ابن عباس: يقول الأب والام: يا بنيّ أحمل عنّي؟ فيقول: حسبي ماعليّ.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «أيّها الناس! إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقرناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه: «فعقروها فأصبحوا نادمين» فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة».

قوله عليه السلام: «السكة المحماة»: حديدة الفدان إذا حميت بالنار، والأرض الخوارة: السهلة اللينة فالسكة إذا كانت محماة فهي أسرع غوراً واثارة للأرض إذا كانت خوارة، وإنّما قال الله تعالى: «فعقروها فأصبحوا نادمين» فانّ قتل الناقة كانت بتوطئة من رؤسائهم ومشايخهم، فبعثوا واحداً من الأشرار فعقرها،فالجناية تنسب إلى المشايخ والرؤسآء أوّلاً ثم تنسب إلى أتباعهم وأفراد صفوفهم، حيث انّهم بأجمعهم صفّوا قبال صالح النبي عليه السلام وناقته، فخرج واحد منهم، وحمل على الناقة فعقرها، وبذلك حق القتال معهم، فقاتلهم الله تعالى وليس قتاله إلّا كما قاتل قوم لوط أو قوم شعيب أو قوم صالح ولايعلم جنود ربك إلّا هو.

ولذلك كان الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام لايبدأ بقتال أهل البغي إلّا أن يبدؤا هم بالقتال كما فعل ذلك في جمل وصفّين وغيرهما من الغزوات...

وفي الكافي: باسناده عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه: أن أميرالمؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدوّنا، فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم فانكم

بحمد الله على حجة وترككم إيّاهم حتّى يبلؤكم حجة لكم اخرى... الخبر.

وفي الدر المنثور: عن عمرو بن الأحوص ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال في حجة الوداع: ألا لايجنى جان إلّا على نفسه، لايجنى والد على ولده ولامولود على والده.

قال الله تعالى: «واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولامولود هوجازعن والده شيئاً» لقمان: ٣٣).

وفيه: عن أبي رمثة قال: انطلقت مع أبي نحو النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلمّا رأيته قال لأبي: إبنك هذا؟ قال: اي ورب الكعبة قال: أما انّه لايجنى عليك ولاتجنى عليه ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ولا تزر وازرة وزر اخرى».

وفي وسائل الشيعة: عن يعقوب بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ثلاث من لم تكن فيه فلايرجى خيره أبداً: من لم يخش الله في الغيب، ولم يرع في الشيب، ولم يستح من العيب.

وفي تفسير القمي: قال في قوله: «ولا تزر وازرة وزر اخرى»: يعني لايحمل ذنب أحد على أحد إلّا من يأمر به -يعني بالذنب- فيحمله الآمر والمأمور.

وفي كنز الفوائد: روى عن أنس بن مالك بن شهاب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «قوله عزّوجلّ: «وما يستوي الأعمى والبصير» قال: الأعمى أبوجهل، والبصير أميرالمؤمنين «ولا الظلمات ولا النور» فالظلمات أبوجهل والنور أميرالمؤمنين «ولاالظل ولاالحرور» فالظلّ ظلّ أميرالمؤمنين عليه السلام في الجنة والحروريعني جهنم لأبي جهل ثم جمعهم جميعاً فقال: «ومايستوى الأحياء ولا الأموات» فالأحيآء عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام والأموات كفار مكة.

أقول: رواه السيد الاسترابادي في (تأويل الآيات) والحسكاني في (شواهد التنزيل) والمجلسي بمواضع من البحار.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرةعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال: «قالت النار ربّ أكل بعضي بعضاً فأذن لي أتنفّس فأذن لها بنفسين: نَفَسٍ في الشتآء ونَفَسٍ في

الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نَفَس جهنّم وما وجدتم من حرّ أو حرور فمن نَفَس جهنم».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «إن الله يسمع من يشآء وما أنت بمسمع من في القبور» قال: هؤلاء الكفار لايسمعون منك كما لايسمع أهل القبور.

وفيه: في قوله عزوجل: «وان من امة إلّا خلا فيها نذير» قال: لكل زمان إمام.

وفي الكافي: باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: يامعشر الشيعة خاصموا بسورة «إنا أنزلناه» تفلحوا فوالله انها لحجّة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وانّها لسيّدة دينكم، وانّها لغاية علمنا،يا معشر الشيعة خاصموا: «بحم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين» فانها لولاة الأمر خاصّة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم،يا معشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى: «وإن من امة إلّا خلا فيها نذير» قيل: يا اباجعفر نذيرها محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: صدقت فهل كان نذير وهو حيّ من البعثة في أقطار الأرض؟ فقال السائل: لا قال أبوجعفر عليه السّلام: أرأيت بعيثه أليس نذيره؟ كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعثته من الله عزّوجلّ نذير؟ فقال: بلى قال:فكذلك لم يمت محمّد إلّا وله بعيث نذير قال: فان قلت: لا فقد ضيّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَن في أصلاب الرجال من امّته قال: ومايكفيهم القرآن؟ قال: بلى ان وجدوا له مفسّراً قال:وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: بلى قدفسرّه لرجل واحد، وفسّر للامّة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبيطالب عليه السّلام. الحديث.

وفيه: باسناده عن محمد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انكم لاتكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفوا حتى تصدقوا، ولا تصدقوا حتى تسلموا أبواباً أربعة لايصلح أولها إلّا بآخرها ـإلى أن قال عليه السلام ـ إنّ الله قد استخلص الرسل لأمره ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره فقال: «وإن من امة إلّا خلا فيها نذير» تاه من جهل واهتدى من أبصر وعقل... الخبر.

وفي الاحتجاج: في احتجاج الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال السآئل: فأخبرني عن المجوس أفبعث إليهم نبيّاً، فانّي أجدهم كتباً محكمة ومواعظ بليغة وأمثالاً شافية، ويقرّون بالثواب والعقاب، ولهم شرائع يعملون بها؟ قال عليه السلام: «ما من أمّة إلّا خلا فيها نذير» وقد بعث إليهم نبيّ بكتاب من عند الله فأنكروه وجحدوا كتابه.

وفي الدر المنثور: في قوله تعالى: «فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» عن ابن عباس قال: جآء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فقال: أيصبغ ربك؟ قال: نعم صبغاً لاينقض أحمر وأصفر وأبيض.

٢٨ - (إنّما يخشى الله من عباده العلمآء إنّ الله عزيز غفور)

في مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الايمان، ومن حرم الخشية لايكون عالماً، وإن شقّ الشعر في متشابهات قال الله عزوجل: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» وآفة العلمآء ثمانية أشيآء: الطمع والبخل والرّياء والعصبية وحبّ المدح والخوض فيما لم يصلوا إلى حقيقته، والتكلف في تزيين الكلام بزوآئد الألفاظ وقلّة الحياء من الله والافتخار وترك العمل بما علموا.

وفيه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. وباب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكرة، وسبب الخلوة القناعة، وترك الفضول من المعاش، وسبب الفكرة الفراغ، وعماد الفراغ الزهد، وتمام الزهد التقوى، وباب التقوى الخشية، ودليل الخشية التعظيم لله، والتمسّك بتخليص طاعته وأوامره، والخوف والحذر والوقوف عن محارمه، ودليلها العلم قال الله عزوجل: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء».

وفي رواية: وصف أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام هؤلاء العلماء بقوله عليه السلام: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في أعينهم».

وفي اصول الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: ان من العبادة شدّة الخوف من الله عزوجل يقول الله عزوجل: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» الحديث.

وفي روضة الكافي: باسناده عن أبي حمزة قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: وما العلم بالله والعمل إلّا إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله وانّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» الحديث.

وفي المجمع: وروى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: يعني بالعلمآء من صدّق قوله فعله، ومن لم‌يصدق فعله قوله فليس بعالم. وفي الحديث: أعلمكم بالله أخوفكم لله.

وفي مصباح الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه - في دعآء يوم الأربعآء - اللهم أشدّ خلقك خشية لك أعلمهم بك، وأفضل خلقك لك عملاً أخوفهم لك، لاعلم إلّا خشيتك ولاحكم إلا الايمان بك، ليس لمن لم‌يخشك علم، ولا لمن لم‌يؤمن بك حكم.

فشرط الخشية هو معرفة المخشيّ، والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أخشاكم لله أتقاكم له».

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن ابن عباس في قوله عزوجل: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» قال: يعني به عليّاً عليه السلام كان عالماً بالله ويخشى الله ويراقبه ويعمل بفرآئضه ويجاهد في سبيله، ويتّبع جميع أمره برضآئه ومرضاة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: رواه الحسكاني في شواهد التنزيل، والبحراني في البرهان باختلاف يسير.

وفي روضة الواعظين: عن ابن عباس في قوله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» قال: كان عليّ عليه السلام يخشى الله ويراقبه، ويعمل بفرآئضه، ويجاهد في سبيله، وكان إذا صفّ في القتال كأنّه بنيان مرصوص يقول الله: «إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص» يتبع في جميع أمره مرضاة الله ورسوله

صلّى الله عليه وآله وسلّم وما قتل المشركين قبله أحد.

وفي الجامع لاحكام القرآن: عن عليّ عليه السلام قال: «إنّ الفقيه حقّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله تعالى، ولم يؤمّنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنّه لاخير في عبادة لاعلم فيها، ولا علم لافقه فيه، ولاقرآءة لا تدبّر فيها».

وفيه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثمّ تلا هذه الآية: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» إنّ الله وملائكته وأهل سماواته وأهل أرضيه والنون في البحر يصلّون على الذين يعلّمون الناس الخير».

وفي الدر المنثور: عن مكحول قال: سُئِل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن العالم والعابد فقال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثمّ تلا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» ثم قال: إن الله وملائكته وأهل السماء وأهل الأرض والنون في البحر ليصلّون على معلّمي الخير.

وفيه: عن الحسن قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: العلم علمان: علم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجّة الله على خلقه.

وفي المجمع: في قوله تعالى: «وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية» وعن عبد الله بن عبيد الله بن عمر الليثى قال: قام رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله مالى لااحبّ الموت؟ قال: ألك مال؟ قال: نعم قال: فقدّمه قال: لا أستطيع، قال: فإن قلب الرجل مع ما له إن قدّمه أحبّ أن يلحق به وان أخّره أحبّ أن يتأخر معه.

وفي الفقيه: وقال عليه السلام: إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله عزوجل ولم يعطكموها لتكثروها.

وفي الخصال: عن هشام بن معاذ قال: كنت جليس عمر بن عبد العزيز حيث دخل المدينة فأمر مناديه فنادى: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتاه

محمد بن علي يعني الباقر عليه السلام فدخل إليه مولاه مزاحم، فقال: إنّ محمد بن علي بالباب، فقال له: ادخله يا مزاحم قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع، فقال محمد بن عليّ: ما أبكاك يا عمر؟ فقال هشام: أبكاه كذا وكذا يابن رسول الله، فقال محمد بن عليّ: يا عمر إنّما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم، ومنها خرجوا بما يضرّهم -إلى قوله عليه السلام-: واجعل في قلبك إثنتين تنظر الذي تحبّ أن تكون معك إذا قدمت على ربك فقدّمه بين يديك، وتنظر الذي تكره أن يكون معك إذا قدمت على ربك، فابتغ به البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بادت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك... الحديث.

وفي المجمع: روى ابن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم انه قال في قوله: «ويزيدهم من فضله» هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفاً في الدنيا.

٣٢ - ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾

في اصول الكافي: باسناده عن سالم قال: سئلت أباجعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجل: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله» قال: السابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف للامام، والظالم لنفسه: الذي لايعرف الامام.

وفيه: باسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئلته عن قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فقال: أيّ شيء تقولون أنتم؟ قلت: نقول: إنّها في الفاطميّين قال: ليس حيث تذهب ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى خلاف (ضلال خ) فقلت: فأيّ شيء الظالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لايعرف حق الامام، والمقتصد: العارف بحق الامام، والسابق بالخيرات: الامام.

وفيه: باسناده عن أحمد بن عمر قال: سئلت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجلّ: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية قال: فقال: ولد فاطمة عليها السلام والسابق بالخيرات: الامام والمقتصد: العارف بالامام، والظالم لنفسه: الذي لايعرف الامام.

قوله عليه السلام: «ولد فاطمة عليها السلام» ينبغي تخصيصهم بمن لايدعو الناس بسيفه إلى خلاف ليوافق الحديث السابق.

وفي الاحتجاج: عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» قال: أيّ شيء تقول؟ قال: أقول: إنّها خاصّ لولد فاطمة سلام الله عليها فقال عليه السلام: أمّا مَن سَلَّ سيفه ودعا الناس إلى نفسه (إلى الضلال خ) من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في هذه الآية قلت: من يدخل فيها: قال: الظالم لنفسه الذي لايدعو الناس إلى ضلال ولاهدى، والمقتصد منّا أهل البيت: العارف حق الامام، والسابق بالخيرات: الامام.

وفي بصائر الدرجات: عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ورث علم النبيين كلّهم؟ قال لي: نعم، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم ورثهم النبوّة، وما كان في آبائهم من النبوّة والعلم، قال: مابعث الله نبيّاً إلّا وقد كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أعلم منه، قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيى الموتى باذن الله، قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير قال: وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقدر على هذه المنازل فقال: إنّ سليمان بن داود قال لهدهد حين فقده وشكّ في أمره: «ما لي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين» وكانت المردة والريح والنمل والانس والجنّ والشياطين له طائعين، وغضب عليه فقال: «لاعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين» وإنّما غضب عليه لأنه كان يدلّه على المآء، فهذا وهو طير قد أُعطي ما لم يعط سليمان، وإنّما أراده ليدلّه على

المآء، فهذا لم يعط سليمان وكانت المردة له طآئعين، ولم يكن يعرف المآء تحت الهوآء وكانت الطير تعرفه.

إنّ الله يقول في كتابه: «ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى» فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ماتسير به الجبال، وتقطع به البلدان، ويحيىٰ به الموتىٰ باذن الله، ونحن نعرف الماء تحت الهوآء، وإن كان في كتاب الله لآيات مايراد بها أمر من الامور التي أعطاها الله الماضين النبيين والمرسلين إلّا وقد جعله الله ذلك كلّه لنا في امّ الكتاب، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: «وما من غآئبة في السمآء والأرض إلّا في كتاب مبين» ثم قال جلّ وعزّ: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء.

أقول: رواه الصفار في موضع آخر من كتابه (بصائر الدرجات: ص٣٢) والمجلسي في البحار والبحراني في البرهان والحويزي في نورالثقلين وغيرهم باختلاف يسير.

وفيه: عن سورة بن كليب عن أبي جعفر عليه السلام انه قال في هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا...» الآية قال: السابق بالخيرات الامام فهي في ولد عليّ وفاطمة عليها السلام.

وفي الخرائج: عن الزكيّ عليه السلام في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا...» قال: كلهم من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الظالم لنفسه: الذي لايقرّ بالامام عليه السلام والمقتصد: العارف بالامام، والسابق بالخيرات: الامام عليه السلام.

وفي المجمع: والمرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا: هي لنا خاصّة وإيّانا عنى.

وفيه: عن أبي الدردآء قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول في الآية: أما السابق فيدخل الجنّة بغير حساب، وأمّا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأمّا الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنّة فهم الذين قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنّا

الحزن.

وفيه: وروى أصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الظالم لنفسه منّا من لايعرف حق الامام، والمقتصد منّا العارف بحق الامام والسابق بالخيرات هو الامام وهؤلاء كلّهم مغفور لهم.

وفيه: وعن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمّا الظالم لنفسه منّا فمن عمل عملاً صالحاً وآخر سيّئاً وأمّا المقتصد فهو المتعبّد المجتهد، وأمّا السابق بالخيرات فعليّ والحسن والحسين عليهم السّلام ومن قتل من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم شهيداً.

وفي تفسير الامام الحسن العسكري: عن الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام ـ في حديث ـ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا الحسن! إنّ الله عزوجل قد أوجب لك بذلك من الفضائل والثواب مالايعرفه غيره: ينادى مناد يوم القيامة: أين محبّو علي بن أبيطالب؟ فيقوم قوم من الصالحين فيقال لهم: خذوا بأيدي من شئتم من عرصات القيامة، فادخلوهم الجنة، فأقلّ رجل منهم ينجو بشفاعته من أهل تلك العرصات ألف ألف رجل، ثم ينادي منادٍ: أين البقيّة من محبّي علي بن أبيطالب عليه السلام فيقوم قوم مقتصدون فيقال لهم: تمنّوا على الله عزوجل ماشئتم، فيتمنّون فيفعل بكل واحد منهم ما تمنّى، ثم يضعّف له مأة ألف ضعف.

ثم ينادي منادٍ: أين البقيّة من محبّي علي بن أبيطالب؟ فيقوم قوم ظالمون لأنفسهم، معتدون عليها، فيقال: أين المبغضون لعليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فيؤتى بهم جمّ غفير وعدد عظيم كثير فيقال: ألا نجعل كل ألف من هؤلاء فدآء لواحد من محبّي علي بن أبيطالب عليه السلام ليدخلوا الجنّة فينجّي الله عزوجل محبيك ويجعل أعدآءك فدآءهم.

وفي تأويل الآيات الظاهرة للسيد الاسترابادي عن أبي اسحق السبيعي قال: خرجت حاجّاً، فلقيت محمّد بن عليّ عليهما السلام فسئلته عن هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا اسحق؟ ـ يعني أهل الكوفة ـ قال: قلت: يقولون: إنّها لهم، قال: فما يخوّفهم إذا كانوا من أهل الجنّة؟!

قلت: فما تقول أنت جعلت فداك ؟ قال: هي لنا خاصّة يا أبا إسحق! أمّا السابقون (السابق خ) بالخيرات فعليّ والحسن والحسين والامام منّا عليهم السلام والمقتصد فصآئم بالنهار وقآئم بالليل، والظالم لنفسه ففيه ما في الناس وهو مغفور له، يا أبا اسحق! بنا يفكّ الله رقابكم، ويحلّ الله وثاق الذُّلّ من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح وبنا يختم، ونحن كهفكم ككهف أصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطّتكم كباب حطة بني إسرآئيل.

وفيه: عن سورة بن كليب قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: ما معنى قوله عزّوجل: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...»؟ قال: الظالم لنفسه الذي لايعرف الامام قلت: فمن المقتصد؟ قال: الذي يعرف الامام قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: الامام، قلت: فما لشيعتكم؟ قال: تكفّر ذنوبهم (نكفّر ذنوبهم خ) وتقضى لهم (نقضى خ) ديونهم ونحن باب حطّتهم وبنا يغفر لهم.

وفيه: عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» قال: فهم آل محمد صفوة الله، فمنهم ظالم لنفسه وهو الهالك، ومنهم مقتصد وهم الصالحون، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فهو عليّ بن أبيطالب عليه السلام يقول الله عزّوجل: «ذلك هو الفضل الكبير» يعني القرآن يقول الله عزوجل: «جنّات عدن يدخلونها» يعنى آل محمد يدخلون قصور جنّات كلّ قصر من لؤلؤة واحدة ليس فيها صدع ولا وصل، لو اجتمع أهل الاسلام فيها ما كان ذلك القصر إلّا سعة لهم، له القباب من الزبرجد كل قبّة لها مصراعان (مصراعين خ) المصراع طوله اثناعشرميلاً يقول اللهعزوجل: «يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور» قال: والحزن ما أصباهم (ما أصابهم خ) في الدنيا من الخوف والشدة.

وفيه: عن أبي ذر رحمه الله قال: رأيت سلمان وبلالاً يقبلان إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ انكبّ سلمان على قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقبّلها، فزجره النبي

صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك ثم قال له: يا سلمان لا تصنع بي ماتصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبد من عبيد الله آكل مما يأكل العبيد، وأقعد كما يقعد العبيد فقال له سلمان: يامولاى سئلتك بالله إلّا أخبرتني بفضل (بفضآئل خ) فاطمة يوم القيامة قال: فأقبل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ضاحكاً مستبشراً ثم قال: والذي نفسي بيده إنّها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقة رأسها من خشية الله، وعيناها من نور الله، وخطامها من جلال الله، وعنقها من بهآء الله وسنامها من رضوان الله، وذنبها من قدس الله، وقوائمها من مجد الله، إن مَشَتْ سبّحت، وإن رغت -يعني صوّتت وضجّت- قدّست، عليها هودج من نور فيه جارية إنسيّة حوريّة (جارية أشبه حورية خ) عزيزة جمعت فخلقت وصنعت ومثّلت ثلاثة أصناف:

فأوّلها من مسك أذفر، وأوسطها من العنبر الأشهب، وآخرها من الزعفران الأحمر، عجنت بمآء الحيوان لو تفلت تفلة في سبعة أبْحر مالحة لعذبت، ولو أخرجت ظفر خنصرها إلى دار الدنيا لغشي الشمس والقمر، جبرئيل عن يمينها وميكآئيل عن شمالها، وعليّ أمامها والحسن والحسين وراءها، والله يكلأها ويحفظها، فيجوزون في عرصة القيامة، فاذا الندآء من قبل الله جل جلاله: معاشر الخلائق غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم، هذه فاطمة بنت محمّد نبيّكم، زوجة عليّ إمامكم، امّ الحسن والحسين، فتجوز الصراط وعليها ريطتان بيضاوتان، فاذا دخلت الجنة ونظرت إلى ما أعدّ الله لها من الكرامة قرأت: بسم الله الرحمن الرحيم:

«الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب» قال: فيوحي الله عزّوجل إليها: يا فاطمة سليني أعطك، وتمنّي عليّ أرضك، فتقول: إلهي أنت المُنى وفوق المنى، أسئك أن لا تعذّب محبيّ ومحبّ عترتي بالنار، فيوحى الله إليها! يا فاطمة وعزّتي وجلالى وارتفاع مكاني لقد آليتُ على نفسي من قبل أن أخلق السموات والأرض بألفي عام أن لاأعذّب محبيّك ومحبيّ عترتك بالنار.

قوله: «ريطتان» الريطة -بالفتح فالسكون-: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً، كل ثوب يشبه الملحفة.

وفي معاني الأخبار: مسنداً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن قول الله عزوجل: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه، والسابق بالخيرات يحوم حوم ربه عزوجل.

قوله عليه السلام: «يحوم حوم» الحوم والحومان: الدوران، فدوران الظالم دورنفسه: اتباعه أهوآءها وسعيه في تحصيل مايرضاها، ودوران المقتصد دورقلبه: إشتغاله بما يزكّي قلبه ويطهّره بالزهد والتعبّد والتقوى، ودوران السابق حوم ربه: إخلاصه له جل وعلا فيذكره وحده وينسى غيره، فلايرجو إلّا إيّاه ولايقصد غيره.

وفي البرهان: عن أبي هاشم الجعفرى قال: كنت عند أبي محمد يعنى الحسن عليه السلام فسئلناه عن قول الله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله» قال عليه السّلام: كلهم من آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الظالم لنفسه الذي لايقر بالامام والمقتصد العارف بالامام، والسابق بالخيرات باذن الله الامام قال: فدمعت عيناي و جعلت افكر في نفسي ما اعطى الله آل محمد، فنظر إليّ وقال: الأمر أعظم بما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد، فاحمد الله وقد جعلك مستمسكاً بحبلهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل اناس بامامهم، فابشريا أبا هاشم فانك على خير.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» قال: وهم الائمة عليهم السلام، ثم قال: «فمنهم ظالم لنفسه» من آل محمد غير الأئمة وهو الجاحد للامام «ومنهم مقتصد» وهو المقرّ بالامام «ومنهم سابق بالخيرات باذن الله» وهو الامام.

وفي الخرآئج: روى عن الحسن بن راشد قال: قال لي أبوعبد الله عليه السلام: يا

حسن ان فاطمة لعظمها على الله حرّم الله ذرّيتها على النار، وفيهم نزلت: «ثم أورثنا الكتاب...» فأما الظالم لنفسه فالذي لايعرف الامام والمقتصد العارف بحق الامام، والسابق بالخيرات هو الامام.

وفي تفسير المراغي: روى عن ابن عمر أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأنّي بأهل لا إله إلّا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربّنا لغفور شكور»

رواه النيشابوري في تفسيره (غرائب القرآن).

أقول: ليس كل من قال: لا إله إلّا الله داخلاً في الجنّة إذ ثبت أن لكلمة التوحيد شروطاً أوّلها الولاية لأهل بيت النبوة عليهم صلوات الله، وإلّا فليس أحد من المسلمين داخلاً في النار حتى شمر بن ذي الجوشن وابن ملجم ويزيد بن معاوية وأضرابهم فانهم كانوا يقولون: لا إله إلّا الله ويقتلون أوليآء الله جل وعلا.

وفي تفسير القمي: باسناده عن محمّد بن اسحق عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا دخل المؤمن في منازله في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة، والبس حلل الذهب والفضّة والياقوت والدّرمنظوماً في الاكليل تحت التاج، وألبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، وذلك قوله: «يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير».

وفي الدر المنثور: عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تلاقول الله: «جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً» فقال: إنّ عليهم التيجان إنّ أدنى لؤلؤة منها لتضيئ مابين المشرق والمغرب.

وفي نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «وأكرم أسماعهم عن أن تسمع حسيس نار أبداً، وصان أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً».

وفي الفقيه: باسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «ومن مات يوم الأربعآء من المؤمنين وقاه الله بخس يوم القيامة وأسعده بمجاورته، وأحلّه دار المقامة من فضله، لايمسّه فيها نصب ولايمسّه فيها لغوب».

وفي سعد السعود للسيد بن طاووس رضوان الله تعالى عليه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث يذكر فيه ما أعدّ الله لمحبّي عليّ عليه السلام يوم القيامة ـ فاذا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنؤنهم بكرامة ربهم حتى إذا استقرّوا قرارهم قيل لهم: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم» ربّنا رضينا فارض عنّا، قال: برضاي عنكم وبحبّكم أهل بيت نبيّي حللتم داري، وصافحتم الملائكة، فهنيئاً هنيئاً عطآء غير مجذوذ، ليس فيه تنغيص، فعندها «قالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن واحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولايمسّنا فيها لغوب إنّ ربّنا لغفور شكور» ـ إلى أن قال ـ ان محبّي عليّ عليه السلام يقولون لله عزوجل إذا دخلوا الجنّة: فائذن لنا بالسجود قال لهم ربهم عزّوجل: إنّي قد وضعت عنكم مؤنة العبادة، وأرحت لكم أبدانكم، فطالماً انصبتم في الأبدان، وعنيتم لي الوجوه، فالآن افضيتم إلى روحي ورحمتي.

وفي الكافي: عن الامام محمد بن على الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا دخل المؤمن منازله في الجنّة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة، والبس حلل الذهب والفضّة والدرّ والياقوت منظوماً في الاكليل تحت التاج، وألبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر وذلك قوله تعالى: «يحلّون فيها من أساور..» الآية قال: فتخرج عليه زوجته الحورآء من خيمتها تمشي مقبلة، وحولها وصفاؤها عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد صبغن بالمسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة وفي رجلها نعلان من ذهب مكلّلتان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت أحمر.

فاذادنت من وليّ الله وهمّ أن يقوم إليها شوقاً تقول له: يا وليّ الله ليس هذا يوم

تعب ولانصب ولا تقم أنا لك وأنت لي، فيغشّيها مقدار خمسمأة عام من أعوام الدنيا لايملّها ولا تملّه، قال: فينظر إلى عنقها فاذا عليها قلادة من قصب ياقوت أحمر وسطها لوح مكتوب أنت يا وليّ الله حبيبي، وأنا الحورآء حبيبتك إليك تناهت نفسي، وإليّ تناهت نفسك، ثم يبعث الله إليه ألف ملك يهنّونه بالجنّة، ويزوّجونه الحورآء.... الحديث.

وفي التوحيد: باسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام -في حديث- قلت: جعلت فداك بقيت مسئلة؟ قال: هات، لله أبوك قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك ان مسآئلك لصعبة أما سمعت الله يقول: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» وقوله: «ولعلا بعضهم على بعض» وقال يحكى قول أهل النار: «ارجعنا (أخرجنا خ) نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل» وقال: «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه» فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون.

وفي وسائل الشيعة: محمّد بن عليّ بن الحسين قال: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل: «أو لم نعمّركم مايتذكر فيه من تذكّر»؟ فقال: توبيخ لابن ثمانية عشر سنة.

وفي البرهان: عن عليّ بن الحسين عن جدّه أميرالمؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ ما بين من يحبّك وبين ما يرى ماتقرّ به عيناه إلّا أن يعاين الموت ثم تلا: «ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل» يعني أعدآء عليّ عليه السلام.

أقول: رواه السيد شرف الدين الاسترابادي في (تأويل الآيات الظاهرة) ثم قال: يعنى أنّ أعدائه عليه السلام إذا أُدخلوا النار قالوا: «ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً» في ولاية عليّ عليه السلام «غير الذي كنّا نعمل» في عداوته، فيقال لهم في الجواب: «أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجآءكم النذير» وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

«فذوقوا فما للظالمين» لآل محمد «من نصير» ينصرهم ولاينجيهم منهم (منه ظ) أي من العذاب وهو الصواب ولا يحجبهم عنه.

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس: أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبنآء الستين وهو العمر الذي قال الله: «أو لم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر».

وفيه: عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أعذر الله إلى امرئ أخّر عمره حتى بلغ ستين سنة.

رواه القرطبي في الجامع لاحكام القرآن عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وفيه «حتى بلّغه» بدل «حتى بلغ».

وفيه: عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أعمار امتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلّهم من تجاوز ذلك».

وفي تفسير الطبري: عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام في قوله: «أولم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير» قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة.

وفي نهج البلاغة: قال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم ستون سنة.

٤١ ـ (إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً)

في الفقيه: باسناده عن سليمان الديلمي أنه سئل أبا عبد الله عليه السلام عن الزلزلة ماهي؟ فقال: آية، فقال: وما سببها؟ ـ فذكر سببها إلى أن قال ـ قلت: فاذا كان ذلك فما أصنع؟ قال: صلّ صلاة الكسوف، فإذا فرغت خررت لله عزوجل ساجداً وتقول في سجودك: يا من يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً يا من يمسك السمآء أن تقع على الأرض إلّا باذنه أمسك عنّا

السوء انك على كل شيء قدير» .

وفي العلل: مرفوعاً عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنه كان يقرأ: «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً» يقولها عند الزلزلة ويقول: ويمسك السمآء أن تقع على الأرض إلّا باذنه إنّ الله بالناس لرؤف رحيم.

وفي التهذيب: باسناده عن علي بن يقطين قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: من أصابته الزلزلة فليقرأ: يا من يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً صلّ على محمّد وآل محمّد وأمسِكْ عنّا السوء إنك على كلّ شيء قدير، وقال: إنّ من قرأها عند النوم لم يسقط عليه البيت إن شآء الله.

وفي ثواب الأعمال: باسناده عن عباس بن هلال الشامي عن أبي الحسن الرضا عن أبيه عليهما السلام قال: لم يقل أحد قط إذا أراد أن ينام: «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً» فيسقط عليه البيت .

وفي الفقيه: ـ في وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام ـ: يا عليّ أمان لامّتي من الهدم: «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً».

وفي اصول الكافي: باسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لبعض الزنادقة: يا أخا أهل مصر! ان الذي تذهبون إليه وتظنّون أنّه الدهر، إن كان الدّهر يذهب بهم لِمَ لايردّهم؟ وإن كان يردّهم لِمَ لا يذهب بهم القوم مضطرون؟ يا أخا أهل مصر! السمآء مرفوعة، والأرض موضوعة، لِمَ لاينحدر السمآء على الأرض؟ لِمَ لاينحدر الأرض فوق طباقها؟ ولايتماسكان ولايتماسك من عليها؟ قال الزنديق: أمسكهما الله ربّها وسيّدهما، قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله عليه السلام.

وفي نورالثقلين: مرفوعاً: قال: جآء الجاثليق أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الله عزوجل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: الله عزوجل حامل العرش والسموات ومافيهما ومابينهما وذلك قول الله: «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفوراً» الحديث.

وفي تفسير ابن كثير: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو على المنبر: انه وقع في نفس موسى عليه السلام: هل ينام الله عزوجل فأرسل الله تعالى إليه ملكاً فأرقه ثلا ثاً وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ، فيحبس إحداهما عن الاخرى حتى نام نومة، فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ضرب الله له مثلاً: انّ الله عزوجل لو كان ينام لم تستمسك السمآء والأرض.

أقول: رواه السيوطي في الدر المنثورعن أبي هريرة.

وفي الدر المنثور: عن عبدالله بن سلام إنّ موسى عليه السلام قال: يا جبرئيل هل ينام ربك ؟ فقال جبرئيل: يا ربّ إنّ عبدك موسى يسئلك هل تنام؟ فقال الله: يا جبرئيل قل له: فليأخذ بيده قارورتين وليقم على الجبل من اوّل الليل حتّى يصبح، فقام على الجبل، وأخذ قارورتين فصبرفلمّا كان آخرالليل غلبته عيناه فسقطتا فانكسرتا، فقال: يا جبرئيل انكسرت القارورتان؟ فقال الله: يا جبرئيل قل لعبدي: إنّي لو نمتُ لزالت السموات و الأرض.

وفيه: عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ العبد إذا دخل بيته وأوى إلى فراشه ابتدره ملكه وشيطانه، يقول شيطانه: اختم بشرّ، ويقول الملك : اختم بخير، فان ذكر الله وحده طرد الملك الشيطان، وظل يكلؤه و إن هو انتبه من منامه ابتدره ملكه وشيطانه، يقول له الشيطان: افتح بشرّ، ويقول الملك : افتح بخير، فان هو قال: الحمد لله الذي ردّ إليّ نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها الحمد لله

الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً وقال: الحمد لله الذي يمسك السمآء أن تقع على الأرض إلّا باذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم قال: فإن خرج من فراشه فات كان شهيداً وإن قام يصلّي صلّى.

وفي كمال الدين: باسناده عن أبي ابراهيم بن أبي محمود عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ في حديث ـ قال: بنايمسك الله السموات والأرض أن تزولا.

وفيه: باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قلت له: أيبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت.

وفيه: باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: لا، قلت: فانّا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام انها لا تبقى بغير إمام إلّا أن يسخط الله على أهل الأرض أو على العباد فقال: لو تبقى إذاً لساخت.

وفيه: باسناده عن أحمد بن عمر الحلال قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: انا روينا عن أبي عبدالله عليه السلام: ان الأرض لا تبقى بغير إمام أو تبقى ولا إمام فيها؟ فقال: معاذ الله لا تبقى ساعة إذاً لساخت.

وفيه: باسناده عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها، ولعذّبهم الله بأشدّ عذابه، إنّ الله تبارك وتعالى جعلنا حجة في أرضه، وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لن يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض مادمنا بين أظهرهم فاذا أراد الله أن يهلكهم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا من بينهم، ورفعنا إليه ثم يفعل الله ماشآء وأحبّ.

وفيه: عن عليّ بن الحسين عليهما السلام ـ في حديث ـ قال: «ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها».

٤٣ ـ (إستكباراً في الأرض ومكر السيّىء ولايحيق المكر السيّىء إلّا بأهله...)

في الدر المنثور: ان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إيّاكم والمكر السيّىء فانه لايحيق المكر السيّىء إلّا بأهله ولهم من الله طالب.

وفي الجامع لأحكام القرآن: وروى الزهري أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «لا تمكر ولا تعن ماكراً فان الله تعالى يقول: «ولايحيق المكر السيّىء إلّا بأهله» ولا تبغ ولا تُعِن باغياً فإن الله تعالى يقول: «فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه» وقال تعالى: «إنّما بغيكم على أنفسكم»».

وفيه: وفي الحديث: «المكر والخديعة في النار» فقوله: «في النار» يعني في الآخرة تدخل أصحابها في النار لأنها من أخلاق الكفار لامن أخلاق المؤمنين الأخيار ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في سياق هذا الحديث: «وليس من أخلاق المؤمن المكر والخديعة والخيانة»».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «ولا يحيق المكر السيّىء إلّا بأهله» قال أميرالمؤمنين عليه السلام في كتابه الذي كتبه إلى شيعته يذكر فيه خروج عآئشة إلى البصرة وعظم خطأ طحلة والزبير، فقال: وأيّ خطاه (خطيئة خ) أعظم مما أتيا؟ أخرجا زوج (زوجة خ) رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بيتها وكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها، وصانا حلائلهما في بيوتهما ما أنصفا لا لله ولا لرسوله من أنفسهما ثلاث خصال، مرجعها على الناس في كتاب الله عزوجل: البغي والمكر والنكث قال الله عزوجل: «يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم» وقال: «ومن نكث فانما ينكث على نفسه» وقال: «ولايحيق المكر السيّىء إلّا بأهله» وقد بغيا علينا ونكثا بيعتي ومكرا بي.

نعم ما قال الشاعر:

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم

وفي الكافي: باسناده عن أبي الربيع الشامي قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم»

فقال: عنى بذلك أي انظروا في القرآن، فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم.

وفي تفسير القمي: باسناده عن السكوني عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: سبق العلم وجفّ القلم، ومضى القضآء وتمّ القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل، وبالسعادة من الله لمن آمن واتقى، وبالشقآء لمن كذب وكفر بالولاية من الله عزوجل للمؤمنين، وبالبرآئة للمشركين، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ان الله عزوجل يقول: يا ابن آدم! بمشيتي كنت أنت الذي تشآء لنفسك ماتشآء، وبارادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ماتريد وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبقوّتي وعصمتي وعافيتي أدّيت إليّ فرآئضي، وأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بذنبك منّي.

الخير منّي إليك واصل بما أوليتك به، والشرّ منك إليك بما جنيت جزآء، وبكثير من تسلّطي لك انطويت على طاعتي، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزآء الحسن عندي بالاحسان، لم ادع تحذيرك ولم آخذك عند غرّتك وهو قوله عزوجلّ: «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة» لم اكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلّا ما قرّرت بها على نفسك، ورضيت لنفسي منك مارضيت به لنفسك منّي، ثمّ قال عزّوجل: «ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فاذا جآء أجلهم فإنّ الله كان بعباده بصيراً».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «الحذر الحذر، فو الله لقد سترحتّى كأنه قدغفر».

﴿بحث فقهي﴾

واعلم انّ في هذه السورة فصولاً من البحث:

الفصل الأول: أن يستدل بقوله تعالى: «والذين يمكرون السيّئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور ـ ومكر السيّىء ولايحيق المكر السيّيء إلّا بأهله» فاطر: ١٠ و ٤٣) على جواز المكر الحسن في دفع الأعدآء والأشرار ورفعهم في القتال وغيره، على أن تقييد المكر بالسيّىء يدلّ على أنّ القيد دخيل في الحكم، فاذا رفع القيد، رفع الحكم، مع أن تعليق الحكم على الوصف مشعر بعليّة الوصف في الحكم، ويدل على ذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليس منّا مَن ماكر مسلماً».

ويدل على أنّ المكر على ضربين: **أحدهما** ـ حسن ممدوح وهو أن يتحرى الانسان بذلك فعل جميل من دفع الأعداء والأشرار في القتال وغيره من لصّ أو قاتل أو موذ ومَن إليهم... **ثانيها** ـ سيّىء مذموم وهو أن يتحرّى به فعل قبيح من طلب الدنيا وشهواتها... والانبعاث في المعاصي والفساد، والعدل عن الحق، وقصد الضرر بالمؤمنين وما إلى ذلك ...

و ذلك ان المكر ـ في الأصل ـ: هو التدبير على العدوّ و ارادة إهلاكه بسبب خفيّ أو صرفه عما يقصده بحيلة كما يفعله أصحاب الحروب بقصد إهلاك أعدائهم... فاذا تدبّر الماكر على العدوّ وأراد هلاكه من غير مايوافق للقوانين الشرعية والمصالح الدينية وهو المكر السيّىء، فيحرم إذ يخرجه إلى رذيلة الفجور، فلاحسن لمكر جرّ إلى رذيلة، و إذا كان موافقاً لهما فهو المكر الحسن، فيجوز لأنّه يجرّ إلى العدل كما يمكر المؤمنون بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذي يحسن أن يمكروا بهم.

الفصل الثاني: أن يستدل بقوله عزوجل: «وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» فاطر: ١٢) على أصل إباحة الأشياء إلّا ماخرج بالدليل، إذ أباح جل وعلا صيد البحر مطلقاً لكل أحد كما قال: «أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة» المائدة: ٩٦) إن المراد من «صيد البحر» ما أخذ منه طرياً وأما العتيق فلا خلاف في كونه حلالاً، وإذا حلّ صيد البحر حلّ صيد الأنهار لأنها في حكم البحر، وصيد السمك إخراجه من المآء حياً على أيّ وجه كان.

إن قلت: إن ظاهر قوله تعالى: «احل لكم صيد البحر» يقتضى أن جميع صيد البحر حلال؟

قلت: لا تتناول ظاهره الخلاف في هذه المسئلة لأنّ الصيد مصدرصدت،وهويجرى مجرى الاصطياد الذي هوفعل الصآئد، وإنّما يسمّى الوحش وماجرى مجراه صيداً مجازاً أوعلى وجه الخلاف لأنّه محل للاصطياد سمي باسمه، وإذا كان كلامنا في تحريم لحم الصيد فلا دلالة في إباحة الصيد لأن الصيد غير المصيد.

والمراد من «طعامه» ما كان منه مملوحاً لأنّ مايقذف البحر ميتاً لا يجوز عندنا أكله للمحرم ولالغيره إلّا إذا قذف به البحر حياً ويحضره الانسان فيجوز له أكله، وإن لم يكن صائده، وقال الزجاج: «وطعامه» أي ماينبت بمائه من الزرع والنبات، وقيل اريد به البرّ والشعير والحبوب التي تسقى بذلك. ولو سلّمنا ان لفظة الطعام ترجع إلى لحوم مايخرج من حيوان البحر لكان لنا أن نقول: قوله تعالى: «وطعامه» يقتضي أن يكون ذلك اللحم مستحقاً في الشريعة لاسم الطعام، لانّ ما هو محرّم في الشريعة لايسمّى بالاطلاق فيه طعاماً كالخنزير والميتة، فمن ادّعى في شيء مما عددنا تحريمه: أنّه طعام في عرف الشريعة فليدل على ذلك، وانه يتعذرعليه.

فلايؤكل من حيوان البحر إلّا ماكان سمكاً له فلس، أو طيراً يجوز أكله بلاخلاف

بين أصحابنا لانصراف «لحماً طرياً» إلى السمك والطير كما ينصرف عموم حل الصيد الشامل لما عدا السمك في قوله عزوجل: «أحل لكم صيد البحر» إلى السمك والطير.

قال الشيخ قدس سرّه في الخلاف: لايؤكل من حيوان المآء إلّا السمك، ولايؤكل من أنواع السمك إلّا ماكان له فلس، ما من شيء من البرّ إلّا ومثله في المآء، فإنّ جميع ذلك لايحل أكله بحال، دليلنا إجماع الفرقة.

وقال العلاّمة أعلى الله مقامه في القواعد: ويحل من حيوان البحر السمك الذي له فلس خاصة سوآء بقي عليه كالشبوط أولا كالكنعت، ويحرم مالا فلس له كالجريّ، ويحرم جميع حيوان البحر، وإن كان جنسه خلالاً في البرّ سوى السمك.

وفي وسآئل الشيعة: سئل زرارة أبا جعفر عليه السّلام عن طير الماء؟ فقال: «ماكانت له قانصة فكل، ومالم تكن له قانصة فلا تأكل».

في الآية الكريمة مسآئل:

المسئلة الاولى: يستدل بقوله عزوجل: «ومن كل تأكلون لحماً طرياً» على إباحة حيوان البحر وأكل مايصاد من السمك، ولكن الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين وإجماع فقهآء الامامية الا ثنى عشرية خصّا الحيوان بالسمك الذي له فلس، وبالطير الذي يجوز أكله، ولعلّ في تنكير «لحماً» ايمآءاً إلى ذلك، وتقييد «لحماً» بـ«طريّا» ليس مخصّصا له بالتحليل للاجماع على إباحة غير الطريّ، وإنّما قيّده بالطراوة لأن طيبته في طراوته، فاذا لبث تغيّر طراوته وذهب طيبه، فالجملة خرجت مخرج الامتنان، فلاينبغي الامتنان إلّا بما هو لذيذ، أو يكون التقييد بالطرى إشارة إلى أنه أطيب، فالامتنان به أكمل.

المسئلة الثانية: يستدل بقوله تعالى: «ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً» على أن السمك لحم، فمن حلف أن لايأكل لحماً، يحنث بأكل السمك. قال بعض متفقّهي العامة: لايحنث لأن السمك لحم لغة لاعرفاً، والحلف مبنيّ على الحقيقة العرفية لا اللغوية لما تقرّر في الاصول من تقديم العرف على اللغة لكونه طارئاً ناسخاً لحكمها. وهذا مردود

لأن العرف تابع للشرع لا العكس، فاذا اطلق الوحي السماوي على السمك لحماً، فالعرف تابع له، والحنث متحقق بلا مرآء، مع أن الاصول ما لم يكن لها أصل في أحد الثقلين فهي مختلقة مدفوعة، وأما الحقيقة العرفية فلو كانت مطلقة فلا شأن لها في تشريع الحكم، ولو كانت خاصّة متشرّعة فهي متخذة من الشرع فلا يحكم عليه، فتأمّل جيّداً فان المقام مزلّة الأقدام جدّاً.

المسئلة الثالثة: يستدل بقوله عزوجل: «وتستخرجون حلية تلبسونها» على إباحة إستخراج الحلية من البحار، وجواز إستعمالها والتزيّن بها للمذكر والمؤنّث. والمراد من الحلية المرجان والدرّ واللؤلؤ والصدف والياقوت وغيرها مما يتحلّى به مما يستخرج من البحار.

المسئلة الرابعة: لو حلفت المرأة أن لا تلبس حلية، فلبست لؤلؤاً لحنثت بلاخلاف. وقال بعض متفقهي العامة: فلاتحنث لو تلبس لؤلؤاً بلا تذهب بالذهب لأن اللؤلؤ وحده ليس بحليّ عادة، بل تلبس مع الذهب، ومع ذلك فان اطلاق لفظة الحلية عليه في القرآن لايوجب حمل اليمين عليه.

أقول: وفساده بنفس النص: «حلية تلبسونها» ظاهر لايحتاج إلى بيان.

الفصل الثالث: استدل الأصمّ من متفقّهي العامة وكذا الخوارج بقوله سبحانه: «ولا تزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى» فاطر: ١٨) على عدم وجوب الدية في قتل الخطأ على العاقلة.

اجيب عنه **أوّلاً:** إنّ الأصل هو ايجاب العقوبة على مباشر القتل وهو القاتل، وان القرآن الكريم ينطق بذلك كالآية الكريمة وغيرها من الآيات الدالة على عدم وجوب الدية في قتل الخطأ على العاقلة، ولكن النصوص وإجماع الامّة على أنّ دية قتل الخطأ على عاقلة القاتل، فبقي الباقي على أصله، فتضمين غير القاتل فعل القاتل بعيد عن الأصل والقواعد الاصولية، فيقتصر فيها على محل النص والاجماع، كما أن ظاهر قوله تعالى: «ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله» النسآء: ٩٢)

يقتضي أن يكون تحرير الرقبة ـأي الكفّارةـ والدية معاً على القاتل إلّا أنّ النصوص والاجماع فرّق بينهما، فأوجب الكفارة على القاتل، والدية على العاقل فهو معلوم من خارج.

قتل الخطأ كمن قصد مثلاً بسهمه صيداً أو كافراً محارباً فقتل به مؤمناً، والعاقلة كل عصبة خرجت عن الوالدين والمولودين وهم الاخوة وأبناءهم إذا كانوا من جهة أب وامّ أو من جهة أب، والأعمام وأبنائهم، وأعمام الأب وأبنائهم والموالى.

في الخلاف: قال: دية النفس على العاقلة في قتل الخطأ وفي أطرافه كذلك بلا خلا ف وقال أيضاً: دية قتل الخطأ على العاقلة، دليلنا إجماع الفرقة وأخبارهم وأيضاً إجماع الامة.

وفي القواعد: قال: وإنّما يتحمل العاقلة دية الخطأ المحض.

وفي الجواهر: وعلى كل حال فهي ـدية قتل الخطأـ على العاقلة بلاخلاف أجده بيننا، بل وبين غير نافيه كما اعترف به بعضهم، بل عن الخلاف دعوى إجماع الامّة عليه، كل ذلك مضافاً إلى النصوص التي إن لم تكن متواترة، فلاريب في القطع بذلك منها.

وثانياً: ان الآية الكريمة بصدد بيان عقوبة الآخرة لايحملها أحد من أحد: «يوماً لايجزي والد عن ولده ولامولود هو جازعن والده شيئاً» لقمان: ٣٣) لاعقوبة الدنيا التي يحملها كثيراً أحد من أحد، أو الأفراد من أحد أو من الأفراد كما في الحوادث الواقعة وغيرها... «واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أن الله شديد العقاب» الانفال: ٢٥).

الفصل الرابع: وقد استدل بعض الفقهآء بقوله تعالى: «ألم تر أنّ الله انزل من السمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» فاطر: ٢٧) على عدم جواز التيمم على الأحجار المعدنية لأنها ليست بأرض، وما ورد في الكتاب والسنّة من جواز التيمم هو على الأرض، وذلك ان الأرض بمنزلة الشجرة والمعادن التي تستخرج من الجبال ومن جوف الأرض من النفط وغيره

بمنزلة الثمرات، فالمعادن غير الأرض كما أن الثمرة غير الشجرة، فلايجوز التيمم على الأحجار المعدنية.

الفصل الخامس: يستدل بقوله تعالى: «إن الذين يتلون كتاب الله ـ والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقاً لما بين يديه ـ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ـ أو لم نعمّركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير» فاطر: ٢٩ و ٣١ و ٣٢ و ٣٧) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص في الكتاب والسنة عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو الناسخ، وعدم حجّيتها قبله، فيشترط في جواز التمسك بالعمومات الواردة في الكتاب وكذلك السنة، الفحص عن المخصص... لا جل الاطلاع على مايزاحم الدليل ويمنع من الأخذ به بعد الفراغ عن تحقق المقتضي للأخذ به في نفسه، على أن الظهور في الكلام قد انعقد بتمامه مع عدم الا تيان بالقرينة المتصلة، وذلك مقتضٍ للعمل به، فالفحص عن المخصص... إنّما هو لرفع إحتمال المانع والمزاحم...

وذلك انا نعلم إجمالاً بوجود مخصصات كثيرة للعمومات الواردة في الكتاب والسنة ومقتضى ذلك عدم جواز العمل بها إلّا بعد الفحص عن المخصص، فيجب الرجوع إلى نفس القرآن الكريم أوّلاً، ثم إلى الكتب المعتبرة المعتمدة للشيعة الامامية الا ثنى عشرية الحقة لأجل الفحص عن المخصص... فمع عدم الظفر بها فيه وفيها يرجع إلى التسمك بالظواهر من العموم... ضرورة انه مع ارتفاع المقتضي للفحص لايكون هناك مانع من التمسك بها، حتى عند إحتمال وجود المخصص أو الحجّة على التكليف المحتمل.

فلايجوز التمسك بالاصول العملية قبل الفحص عقلاً لانّه يستقلّ بأنّ وظيفة العبد إنما هو الفحص عن تكاليف المولى التي شرعها وأظهر بالطرق العادية لئلاّ يقع في مخالفتها، فيهلك من حيث لايعلم، فالعقل لايرى العبد معذوراً في مخالفة تكاليف مولاه إلّا بعد الفحص بالمقدار اللازم عليه عند العقلاء، وعدم الظفر بها، وأمّا قبله فيستقلّ بعدم كون العبد معذوراً في المخالفة وبلزوم الفحص عليه، ولافرق في استقلال العقل بذلك بين الظفر بالمقدار المتيقن ثبوته من التكاليف المعلومة إجمالاً، وعدم الظفر به،

والملاك في كلتا الصورتين أمر واحد. وأما مقدار الفحص في المخصص... ففيه أقوال:

١ - يجب الفحص حتّى يحصل القطع واليقين بعدم وجود المخصص...

٢ - يجب تحصيل العلم والاطمئنان بعدمه.

٣ - يكفي فيه مطلق الظن بعدمه.

أقول: أما تحصيل القطع بعدم وجود المخصص... ففيه عسر وحرج نفيا في الشريعة المحمدية صلّى الله عليه وآله وسلّم وإن يمكن لنا تحصيل اليقين من ملاحظة طريقة أعلام العلماء الشيعة رضوان الله تعالى عليهم في جمع الأخبار وتصدّيهم لاستقصآئها وتبويبها في مجاميعهم بعدم المخصص بعد المراجعة إلى الأبواب المناسبة، وعدم وجدان المخصص فيها، ولايضرّ في ذلك تقطيع الأخبار الصادر عنهم كما لايخفى. وأما الظنّ فلا دليل على جواز الاكتفآء بمطلق الظن في الفحص بعدم وجود المخصّص... مع أنه مردود بنفس الكتاب والسنة: «وما لهم به من علم إن يتبعون إلّا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً» النجم: ٢٨) فالنهى عن اتباع الظن دليل على عدم الاكتفاء به فيما يجب من تحصيل العلم لو أمكن، ومع العجز عنه كان معذوراً.

فيجب في التمسك بظواهر الكتاب والسنّة، بعد الفحص، العلم بعدم وجود المخصص... وقد استقل العقل بقبح المؤاخذة على مخالفة التكليف المجهول بعد الفحص واليأس عن الظفر بما كان عليه حجة، فان العقوبة بدون الحجة عقاب بلابيان، وهو قبيح بشهادة الوجدان فتأمل جيداً ولا تغفل فان ربك لبالمرصاد.

الفصل السادس: قد تشبّث بعض المتفقهين بقوله سبحانه: «ولباسهم فيها حرير» فاطر: ٣٣) على إباحة لباس الحرير للرجال في الحياة الدنيا!

أقول: أوّلاً ان الجملة تجوّز لباس الحرير للرجال في الجنّة دون الحياة الدنيا ولا إطلاقاً.

وثانياً: لو سلّمنا سكوت الآية الكريمة عن جوازه لهم في الدنيا، أو تكون عامّة لخصّصتها الروايات الواردة عن أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله من حرمة لباس

الحرير للرجال في الدنيا، وجوازه في الجنّة.

«بحث مذهبي»

إعلم أن في المقام مباحث:

الأوّل: أنّ بعض المفسّرين قد ذهب إلى أنّه يظهر من قوله تعالى: «وجاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع» فاطر: ١) أن الملائكة جسم ردّاً على الذين يزعمون أنهم مجرّدات محضة، وأن تأويل ذلك على القوى الجسمانية كالقوة النامية والمصورة في النبات والحيوان، أو كالقوّة الجاذبة والدافعة والنور ونحو ذلك غير صحيح، وقالت الفلاسفة: إنّ العقول وإن كانت مجرّدة ذاتاً وليست بأجسام، ولكن يمكن أن تتجسّم كالطبيعيات الكلية من الانسان وغيره كما أن تمثّل جبرئيل عليه السلام لمريم عليها السّلام في قوله عزوجل: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً» مريم: ١٧).

وقد كان يتمثّل بصور مختلفه لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما أن الانسان بما هو إنسان ليس بجسم، وإنّما يتعلق بجسم.

ففي الآية الكريمة دلالة على نزول الملائكة بشتّى الصور المختلفة، ولم ينزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ملائكة واحدة أو على صورة واحدة، وان الأجنحة في العالم المادّي تساعد على الطيران وكثرتها تؤمي إلى السرعة، وهي في عالم الأرواح ترشد إلى القدرة على السرعة في تنفيذ أوامر الله تعالى، وتبليغ رسالات ربّهم إلى أنبيآئه، وفي هذا ايمآء إلى أنّ الملائكة تتفاوت أقدارهم وقواهم عندالله عزّوجلّ بحسب إستعدادهم الروحي والجسمي أيضاً كماورد في الخبر: «أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رآى جبرئيل في صورته له ستمأة ألف جناح». وفي هذا رمز إلى قوّة إستعداديه الروحي والجسمي،

وقربه من الملأ الأعلى، وسرعة تنفيذه مايؤمر به.

الثاني: وقد تشبّثت الأشاعرة ـ وقآئدهم أبوالحسن الأشعري ـ وأذنابهم من أهل الجبر بقوله سبحانه: «هل من خالق غير الله» فاطر: ٣) على نفي الاستطاعة وسلب القدرة عن العباد، بأن لايقع فعل، ولايتحقّق عمل من الأعمال إلّا بارادة الله فلامدخل لاختيار العباد ولا إرادتهم، بل لاإختيار ولاإرادة لهم فيما يعتقدون ومايفعلون... كآلة صمّاء في يد الفاعل المختار وهو الله الواحد القهار، فانه وحده خالق كلّ شيء، ولاخالق غيره ومن المجبّرة هو التفتازاني إذ قال في قوله سبحانه: «ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيء» غافر: ٦٢) : إنّ فعل العبد شيء فهو داخل في عموم مخلوقاته...

وبذلك حاولوا ـ فيما زعموا ـ نفي الشريك عن الله تعالى، وطعنوا على أهل العدل و هم الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة بأنّهم يثبتون لله شركآء لاحصر لها ولاحدّ، وقالوا: إنّ المجوس أسعد حالاً من أهل العدل حيث لم يثبتوا لله إلّا شريكاً واحداً، وهؤلاء يثبتون شركآء لا تُحصىٰ.

أقول: ونحن لن نتوقّع من هؤلآء الأفاكين المفترين على الله جلّ وعلا غير تلك الإفتراءات الكذبة على الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقة، فإنهم بتلك الافتراءات بقوا على عقآئدهم السخيفة وهم يتقوّلون التوحيد، ويهدمون أركانه من الأساس إذ لا تعدو قولة المشركين: «سيقول الذين أشركوا لو شآء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولاحرّمنا من شيء كذلك كذّب الذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلّا الظن وإن انتم إلّا تخرصون» الانعام: ١٤٨) ـ في الجبر وانّ إشراكهم مفروض عليهم من قبل الله تعالى ـ قولة الأشاعرة في أن الكفر والايمان مخلوقان في الكافر والمؤمن بمعزل عن إختيارهما ـ كما تقوّله قائدهم أبوالحسن الأشعري بالذات ـ ومن ثمّ فهذه الآية الكريمة ردّ صريح على مذهبهم السخيف، ويوجّه إليهم الاعتراض: هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلّا الظن، وإن أنتم ـ أيّتها العصابة الأشعرية ـ إلّا تخرصون.

وأما الآية التي بعدها: «قل فللّه الحجة البالغة فلو شآء لهداكم أجمعين» الأنعام: ١٤٩) فالمشيئة هنا هي المشيئة التكوينية، أما المشيئة التشريعية فقد شآءها الله عزوجل بلاشك لأنه جل وعلا يوجّه دعوته في كل زمان ومكان إلى عامّة الناس: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» البقرة: ٢١) «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً» النسآء: ٣٦) «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم» آل عمران: ٣٢) ماهذا الأمر؟ وما هذا الطلب؟ لوكانت الاطاعة والعصيان خارجتين عن قدرة المطيع والعاصى، ولايستطيعان الايمان ولا الكفر إلّا إذا خلق الله سبحانه فيهم؟! فهل هذا إلّا طلب مالايقدر العباد على فعله؟!

أفلا تكون عقآئد الأشاعرة السخيفة هي عقآئد المشركين الفاسدة بعينها: «وقال الذين أشركوا لو شآء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبآئنا ولاحرّمنا من دونه من شيء» النحل: ٣٥) «وقالوا لو شآء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون» الزخرف: ٢٠) أفلا تقول الأشاعرة: لوشاء الرحمن ماكفر الكافر ولاعصى العاصي؟ ما هم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون.

إن الآيات الكريمة التي تسند الاطاعة والعصيان، والكفر والايمان وغيرها من أفعال العباد إلى أنفسهم واختيارهم ـ إن شاؤا فعلوا و إن شاؤا تركوا ـ كثيرة في القرآن الكريم:

منها: قوله تعالى: «وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد» إبراهيم: ٨) وقد أرجع تبعات أعمال العباد إلى أنفسهم بالذات، من خير أو شر، من صلاح أو فساد، من صدق أو كذب، ومن حق أو باطل... فكيف هذا الكلام لو كان الله هو خلق فيهم الكفر؟!

ومنها: قوله عزوجل: «ولكنّ الله حبّب إليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان» الحجرات: ٧) كيف حبّب الله تعالى الايمان وكرّه الكفر والفسوق والعصيان، وهو خلق الكفر والايمان في الانسان؟!

ومنها: قوله سبحانه «إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتـآء ذي القربى وينهى عن

الفحشاء والمنكر والبغي» النحل: ٩٠) كيف يأمر الله تعالى الانسان بالعدل والاحسان، وينهاه عن الفحشآء والمنكر والبغي وهو سبحانه خلقها فيه؟!

وغيرها من الآيات التي لايمكن لنا أن نذكر جميعها على كثرتها، ونحن على جناح الاختصار.

أو ليست الأشاعرة وأذنابهم هم أوليآء الشياطين الذين قال الله عزوجل فيهم: «إنا جعلنا الشياطين أوليآء للذين لايؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشآء أتقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربي بالقسط» الأعراف: ٢٧-٢٩).

ومن ثمّ نقول للأشاعرة وأذنابهم: «إن تكفروا ـ أنتم أيضاً ـ فإن الله غنيّ عنكم ولايرضى لعباده الكفر» الزمر: ٧) إذ كيف يخلق فيهم الكفر والفسوق والعصيان والفحشاء والمنكر والبغي... مريداً منهم الكفر والفسوق... حسب تعبير الأشعري على ما في كتاب (الابانة ص٦ ـ ٧ و ص٦٦ ـ ٦٧)ـ وهو تعالى لايرضى لعباده الكفر وكرّه الفسوق والعصيان، وينهى عن الفحشآء والمنكر والبغي؟! نعم «فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» هود: ٢٨) «فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» الحج: ٤٦).

وبعد هذا العمآء والعمه والانحراف في قلوبكم ـ أيتها الأشاعرة وأذنابهم حتى اليوم ـ «لاينفعكم نصحي إن اردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم» هود: ٣٣) بسوء إختياركم.

أما الشيعة الامامية الإثنى عشرية الحقة الذين يتمسكون بالثقلين اللذين تركهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في امته فوقفوا في معتقداتهم وأعمالهم كلها مواقف الثقلين اللذين هما يقولان: إنّ الله جل وعلا خلق الخلائق لاشريك له في الخلق، ولاخالق سواه، وركب في كل مخلوق صفة، وجعل لكل موجود أثراً، وجعل من أوصاف الأشيآء وآثارها نوعين:

أحدهما ـ مايصدر عنها صدوراً لاباختيارها، ولاهي مقيّدة بارادتها كطلوع الشمس وإشراقها، ونبت الشجر وإثماره، وتنفّس الانسان وشيبته، وحركة يد المرتعش ونبت لحيته...

ثانيها ـ مايصدر عنها صدوراً تحت إختيارها، ومقيّدة بارادتها كمشي الدابة ووقوفها وطلبها للحشآئش وأكلها، وتحريك يد الانسان لتناول الطعام والشراب، المنضبط تحت إختياره، والتكلم وحلق رأسه...

وان الفعل الاختياري هو ما إذا شآء الانسان فعله، أو شآء تركه، الأمر الذي يجده الانسان في صميم فطرته فارقاً بين النوعين بديهياً لاغبار عليه، كما يجد الانسان من نفسه الفرق بين تعلق الارادة بالعمل الذي يريده؛ وتعلق العلم به، حيث لاأثر للعلم في تحقق المعلوم، أما الارادة فهي الباعثة على تحقق المراد، وكذا القدرة على عمل هي التي جعلته تحت اختياره إن شآء فعله، وإن شآء تركه، ولاهكذا أثر للعلم بالنسبة إلى المعلوم.

وبالجملة: ان هناك أفعالاً إختيارية تصدر عن الفاعل المختار حسب إرادته واختياره، يكون هو المسئول عنها، تحسيناً أوتقبيحاً، مدحاً أو ذمّاً، ثواباً أو عقاباً، لايسئل عنها غيره بتاتاً، وتستند إليه تبعاته من خير أو شرّ، من صلاح أو فساد، ومن حق أو باطل...

وهذا ما تشهد عليه ضرورة العقل وبداهة الوجدان، وعليه صحّ التكليف والتشريع، وبعث الرسل وإنزال الكتب، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب وما إليها، وإلّا لغى التكليف وبطل التشريع والبعث والزجر، ولم يكن موقع لتحسين أو تقبيح، ولااستحقاق جزآء، ولأصبح تحسين المحسن على إحسانه عبثاً كمدح الجميل على حسن صورته، وللغى ذمّ المسيىء على إسآئته كذمّ اللميم على قبح منظره، وقدح القصير على قصر قامته، أو الأعرج على عرج رجله.

فههنا نتساءل الأشاعرة وأذنابهم: فهل تجدون من أنفسكم الفرق بين جود الكريم وصفآء اللؤلؤ؟ أو شحّ البخيل وسواد الفحم؟ فإن قالوا: نعم، سئلناهم: فإلى من يرجع مدح الجود إذا جاد الكريم؟ وإلى من يعود ذمّ الشّحّ إذا بخل البخيل؟ فإن أجابوا: إلى

الله قلنا: فلم يكن فرق بين الكريم واللئيم إذا كان كرم ذاك ولؤم هذا كلاهما من عند الله سبحانه، غير داخلين تحت إختيارهما وإرادتهما، وبالتالي لم يكن فرق بين كرم الكريم وصفآء اللؤلؤ أو بين شحّ البخيل وسواد الفحم، فقد نقضتم مااعترفتم به أوّلاً!

وقد دلّ صريح القرآن المجيد في محكمات آياته الكريمة والروايات الصحيحة الواردة عن أهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجمعين على ماشهدت به العقول، واعترفت به العقلاء وعلى ذلك جميع الآيات الكريمة والروايات الصحيحة الواردة التي جآء فيها ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والدعوة إلى الايمان والخروج عن طاعة الشيطان، والتكليف والتشريع والثواب والعقاب، ومدح المخلصين وذمّ المنافقين، وهي تشكل غالبية آي القرآن المجيد وكثيراً من الروايات الصحيحة الواردة عن أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله، لايسعها مقام الاختصار.

في الجامع لأحكام القرآن: قال حميد الطويل: قلت للحسن ـ البصري ـ: من خلق الشرّ؟ فقال: سبحان الله! هل من خالق غير الله جل وعزّ، خلق الخير والشرّ.

وفيه: قال القرطبي: والآية حجّة على القدرية لأنّه نفى خالقاً غير الله وهم يثبتون معه خالقين.

المبحث الثاني: قال الشيخ قدّس سرّه الشريف في التبيان في قوله تعالى: «أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً» فاطر: ٨) وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إنّ المعارف ضرورة لأنه دلّ على أنّهم رأوا أعمالهم السيّئة حسنة وهذا رأى فاسد.

المبحث الثالث: وقد تشبثت الأشاعرة وأذنابهم من أهل الجبر بقوله سبحانه: «فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشآء» فاطر: ٨) على تحتيم الله سبحانه الضلالة والهداية على اناس بأعيانهم تحتيماً لا تبديل فيه، على أن لاسبيل للعبد إلى اختيار طريق الضلالة أو الهداية اطلاقاً وإنّما هي إرادته تعالى يهدي من يشآء بلا سبب ذاتي، ويضلّ من يشاء بلا إستحقاق موجب، لأنه تعالى يفعل مايريد ولايسئل عما يفعل وهم يسئلون.

وقال ابو الحسن الأشعري ـ قائد الأشاعرة ـ: إن الايمان والكفر كلاهما من فعل الله يخلقهما فيمن يشاء من عباده، من شآء جعله مؤمناً، ومن شآء جعله كافراً بلا اختيار ولا إرادة للعبد فيهما.

أقول: هذا هو تطبيق القرآن الكريم على أغراضهم ومذهبهم الجبر لا تطبيق المذهب على القرآن المجيد ليكشف لهم فساد مذهبهم ليهتدوا بهدى الله جل وعلا وينجوا من الخذلان ثم أقول **أولاً:** إنّ قوله عزوجل: «فإنّ الله يضلّ من يشآء ويهدي من يشآء» بصدد بيان خذلان من يستحقه، والعناية بشأن من يستأهله. **وثانياً:** إن الله عزوجل علّق الهداية والضلالة قبل هذه الآية وبعدها على العمل الانساني، وبيّن أنّه كما ان استحقاق الكافر للعذاب والمؤمن للثواب معلّق على عمل الفريقين، كذلك ترتيب الهداية والضلالة على النفس معلّق على تهيّئها لذلك باختيار الانسان، فمن تهيّئ نفسه للهداية بالتوبة والايمان وصالح العمل فاستنارت واهتدت، فترتب عليها الهداية، وإلّا فضلّت، فيتركها الله جل وعلا تعمه في ظلمات غيّها، جزآءً متناسباً مع عنادها وإصرارها على الجهالة والطغيان كسآئر على مزالق هاوية سحيقة، لايعرف درب النجاة، وغمته ظلمات السمآء والأرض، فيناديه الدليل العارف القادر: ناولني من يدك لاهديك سوآء السبيل واتبعني أهدك صراطاً سوياً، لكنّه لسوءاختياره يترفع بنفسه ـ علواً واستكباراً ـ أن ينحرط مع سآئر المهتدين أو يسير مع ركب المؤمنين: «وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهآء»؟! «ألا إنّهم هم السفهاء ولكن لايعلمون» البقرة: ١٣) فيتركهم الله في ظلمات الغيّ يعمهون التي هم اختاروها.

وثالثاً: ان مجموع الآيات القرآنية التي تضمن نسبة الاضلال إلى الله تعالى وهي نحو (٤٠) آية مقصورة على إضلاله تعالى لمن اختار طريق الضلالة من الشرك والطغيان، والكفر والعصيان، والفسق والعدوان... وليس فيها دلالة بوجه من الوجوه على أنّه جلّ وعلا يُضلّ أحداً قبل إختياره طريق الضلالة، كمن اختار الموت فأسقط نفسه من شاهق باختياره فأماته الله تعالى، فهل أماته الله سبحانه قبل سقوطه أو بعده؟ فهل نسبة

الاماتة هذه إلى الله عزوجل تلزم الجبر؟ حيث ان الانسان اختار طريق الموت فأماته الله تعالى على ما اختاره!

وقد سبق منّا كلام في الهداية والضلالة بمواضع من هذا التفسير فان شئت فراجع.

المبحث الرابع: قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في قوله تعالى: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» فاطر: ٨): وهذه الآية تردّ على القدرية.

أقول: ولم يبيّن القرطبي مَن المراد بالقدرية: الأشاعرة أو المعتزلة، حيث كل من الفريقين سمّى الآخرين بالقدرية، وذلك ان المعتزلة أطلقت القدرية على الأشاعرة باعتبار قولها بالقدر، إذ توهّمت أن الله سبحانه قدر الشر والكفر، وان أفعال العباد خارجة عن استطاعتهم في الاختيار، بل هي مقدّرة بقدر الله وقضآئه في علمه الأزليّ القديم، على ما تقوّل به أبوالحسن الأشعري قائد الأشاعرة.

وحاول الأشعري ردّ هذا الاسم على المعتزلة بحجّة قولهم بقدرة العبد على فعله وإستطاعته فيما يختار إذ قال في كتابه (الإبانة ص٦١): «وزعمت القدرية -يعني المعتزلة- أنا نستحق إسم القدر لأنا نقول: إنّ الله عزوجل قدر الشر والكفر، فمن يثبت القدر كان قدرياً دون من لم يثبته، يقال لهم: القدري هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عزوجل، وانه يقدر أفعاله دون خالقه، وكذلك هو في اللغة لأنّ الصائغ هو من زعم انه يصوغ، دون من يقول: إنه يُصاغُ له، فلمّا كنتم -خطاب للمعتزلة- تزعمون أنكم تقدرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم، وجب أن تكونوا قدرية، ولم نكن نحن قدرية لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا، ولم نقل: إنا نقدرها دونه، وقلنا: إنها تقدر لنا».

أقول: إن مثل الفريقين كمثل اليهود والنصارى إذ «قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم» البقرة: ١١٣) مع أنهم يقولون: نحن أبنآء الله وأحبائه: «وقالت اليهود والنصارى نحن أبنآء الله وأحبّآئه» المآئدة: ١٨) ونحن نتبرأ منهم جميعاً

لقوله جل وعلا: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء بعضهم أوليآء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنّ الله لايهدي القوم الظالمين» المائدة: ٥١).

فنتبرأ نحن الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقّة تابعوا أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين أيضاً من المعتزلة والأشاعرة كليهما إذ تقول المعتزلة:

«إن الله تعالى خلق العباد، وجعل فيهم القدرة والاختيار على أفعالهم، وفوّض إليهم امورهم من دون أن يكون لله تعالى فيها مشية وتعلق قدرة، فهم مستقلّون في أفعالهم حسناتها وسيئاتها».

أقول: بطلان هذا المذهب وفساده ظاهر غير خفي على العاقل فضلاً عن الفاضل، لأنه يستلزم إنكار عونه وإمداده جل وعلا لعباده وإنكار سلطنته عزوجل على بعض ما في مملكته مع اطباق ألسنة أصحاب الوحي عليهم صلوات الله على ردّ هذه المقالة السخيفة الشبيهة بمقالة الزنادقة والملاحدة قال الإمام السادس جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام: «مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا الله عزوجل بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه».

وفي الكافي: باسناده عن أبي مسروق قال: سئلني أبو عبد الله عليه السلام عن أهل البصرة فقال لي: ماهم؟ قلت: مرجئة وقدرية وحرورية قال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شيء».

المرجئة هم يؤخّرون الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن مرتبته في الخلافة، ويقولون: لايضرّ مع الايمان معصية. والقدرية ههنا هم الذين يقولون بالتفويض وان أفعالنا مخلوقة لنا وليس لله تعالى فيه صنع ولامشيئة ولا إرادة. والحرورية: فرقة من الخوارج ينسب إلى حرورآء وهي قرية بقرب الكوفة.

وأما الأشاعرة فتقول: إن العبد متصف بقدرة وإرادة وفاعل لأفعاله بمعنى الكاسب لها، وانّ الله تعالى هو خالق لأفعال العبد بقدرته وإرادته تعالى، فالعبد كآلة صمّآء لااختيار لها في أعماله، فلا تأثير لقدرة العبد، وهو مُلجأ في مقام قدرته وإرادته، والفعل واقع بقدرة الله تعالى وحدها وهو تعالى جرت عادته بخلق قدرة وإرادة في العبد مقارنة

للفعل الذي يخلقه فيه، والعبد محل لما يخلقه الله فيه من دون دخل ولا تأثير له في شيء، وسمّوا هذه المقارنة بالكسب، وقالوا: العبد كاسب للفعل.

أقول: وفساد هذا المذهب وبطلانه ظاهر مما سبق منّا الكلام في هذا البحث.

في كنز الفوائد: عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ انه لعن القدرية ـ وقال: انهم مجوس هذه الامة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم».

أقول: وسوسة بعض المتجددين من المعاصرين في الرواية إسمها معها لايعتنى بها.

وأما الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقة، المتمسّكون بالثقلين: كتاب الله وأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله فهم يعتقدون بما جآء في الثقلين وهو: أن الممكن محتاج إلى الواجب بالذات في وجوده وبقآئه، وفي جميع شئونه وأفعاله... وكما أن وجوده ممكن كذلك أفعاله ممكنة، فلا استقلال له في شيء، فبيده تعالى ملكوت كل شيء، وله الملك المطلق، والقدرة المطلقة، وله العزّة والقوة جميعاً، وان الممكن بذاته خال عن الكل وواجد بمبدأه لكل ماله في حدوده، وان الله جل وعلا لاحدّله، ومالا حدّ له لايستند إليه مايستند إلى المحدود بما هو محدود لوجوب التحدّد في المستند إليه في هذا الاستناد، بل المستند إلى الله عزوجل إنّما هو ايجاد المحدود وإبقآئه وإعدامه، وتنقيصه وتزييده وإعطائه ومنعه، وتخليته وغيرها من الاضافات والمنوع...

فالقوى بقيد الحد للمحدود، والمحدود بحدّه لله عزوجل وفي قبضته، فلكل محدود أحكام حدوده، لا تستند تلك الأحكام إلى الذي ليس له حدّ ولامنتهًى كما لايستند وجود المحدود بما هو محدود إلى غير محدود، لتنافي الحدية واللاحدّية، بل المنسوب إليه وجوده بلا حدّه وتحديد وجوده بحدّه، فحركات الانسان بما هي حركات للانسان ليست بحركات صادرة من الله سبحانه، تعالى الله عن ذلك كما تقول الفلاسفة والمجبرة بنآءً على وحدة الوجود والحلول والاتحاد، وانه ليس في دار الوجود إلّا موجود واحد، يتعيّن بالتعيّن الخلقي، ويتجلّى في الصور والمظاهرة الامكانية بعد تعيّنه بذاته، نازلاً عن المرتبة الأحدية إلى منازل الأشيآء المختلفة محدوداً بحدودها وغيرها من الألفاظ البارقة المكيدة

الواهيـة... على مـافصّـل في أسفارهم المضلّـة...

بل الحركات الاختيارية كلها من الانسان وإنّما الله جل وعلامِلك الايجاد، ومُلك التصرف، ومَلك الاختيار في الانسان وفي جميع شئونه وحركاته قبلاً ومعاً وبعداً، لا كما تقول المعتزلة بانقطاع عونه وسلطنته عنه وعن شئونه... هذا ماأثبته الصادرعن معادن الوحي والعلم ومهبط الحكمة والرسالة، ويساعده العقل والوجدان، والفطرة والبرهان، وهو الأمر بين الأمرين المرويّ عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

وبعبارة اخرى: إنّ الله عزوجل أودع في الانسان قدرة يستطيع بها على الأفعال والعقائد المتضادة، وبيّن له خيرها وشرّها، حقها وباطلها، حسنها وقبيحها، وبيّن له مآل أمرها من الثواب والعقاب، وجعله مختاراً في اتيانها إذ قال: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّٰها» الشمس: ٧ ـ ١٠) «إنّا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإما كفوراً» الانسان: ٢ ـ ٣) «وقل الحقّ من ربّكم فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر» الكهف: ٢٩) فالقدرة من الله جل وعلا، وإعمالها باختيار الانسان وإرادته كمن يؤتي أحداً رأس مال ليتجربه، ويبيّن له طريقي الربح والخسران، ويجعله مختاراً في تجارته، فهو قادرعلى أن يتجربه فيما يربح فيزيد على رأس ماله، وفيما يخسر ويفلس، فرأس المال للمؤتي، والعمل لمن يتجربه، فلو لم يكن إعمال القدرة بيد الانسان لما كان مختاراً في عمله، ولو لم يكن مختاراً لكان التكليف عبثاً، ولكان إنزال الكتب وإرسال الرسل، والوعد والوعيد والجنّة والنار لغواً.

وإن قوله عزوجل: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» بصددنفى لمسئولية النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم تجاه الدعوة وتأثيرها في قلوب القوم، وإلّا فالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مسئول عن تبليغ الدعوة والبيان: «إن أنت إلّا نذير» فاطر: ٢٣) «وانك لتهدي إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢) وأما اهتدآئهم فخارج عن مسئوليته صلّى الله عليه وآله وسلّم.

المبحث الخامس: إن قوله تعالى: «والله الذي أرسل الرياح...» فاطر: ٩) دليل حسّيّ على إمكان البعث والنشور.

المبحث السادس : ان قوله عزوجل: «فأحييناه به الأرض بعد موتها» فاطر: ٩) يدل على أنّ للقوى الطبيعية آثاراً في النظام ردّاً على الطبيعيين بأنهم زعموا أنّ لكل شيء سبباً طبيعياً لايحتاج إلى اثبات واجب الوجود، وردّاً على العوام من بعض المسلمين إذ أنكروا الأسباب الطبيعية، وينسبون الأفعال كلها إلى الله تعالى مباشرة، ولكن الله عزوجل يقول: إنا نرسل الرياح، وان الرياح تثير السحاب، والسحاب تنزل المطر، وبالمطر تخرج النبات، ولكن كل ذلك بأمر الله تعالى، وهي أسباب طبيعية لها آثار في النظام فلا تغفل عنها.

المبحث السابع: وقد تشبّث الأشعري وأذنابه من المشبهة والمجسّمة والمجبرة بقوله سبحانه: «إليه يصعد الكلم الطيّب» فاطر: ١٠) إلى أنه سبحانه كآئن في جهة «فوق» مستوياً على عرشه فوق اطباق الثرى، وانه ينزل ويصعد ويتحرّك من مكان إلى مكان، فيحويه مكان، ويخلو منه مكان.

أقول: إن الأشاعرة وأذنابهم من المشبهة والمجسمة اثبتوالله سبحانه أعضآء وجوارح كما في المخلوقين، وقد حكى الشهرستاني في (الملل والنحل: ج١ ص١٠٥) عن داود الجواربي أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية، واسئلوني عماورآء ذلك وقال: إن معبوده جسم ولحم ودم، وله جوارح وأعضآء، من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين، ومع ذلك هوجسم لاكالاجسام، وله لحم لاكاللحوم، ودم لاكالدمآء، وكذلك سآئر الصفات...».

وهم أجروا ماورد في التنزيل من الاستوآء والوجه والعين واليدين والجنب والمجئ والاتيان والفوقية على ظاهرها مما يتعارف من صفات الأجسام... وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي الأقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم زوراً وبهتاناً!

وأما الآيات التي جآء فيها ذكر العلوّوالفوقية... فلا تعني الجهة التي هي إحدى

الجهات الست التي تحدّد بها الأجسام... من فوق وتحت، من يمين ويسار،ومن خلف وأمام، إذ بعد ما انتفت الجسمية عن ذاته المقدسة، لم يبق مجال لتصوير الجهة لله سبحانه إطلاقاً، وأما هذه التعابير الواردة في الآيات الكريمة، فإنّ لها تأويلات حكمية دقيقة أوضحها أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين وتابعوهم من مفسّري الشيعة الامامية الا ثنى عشرية الحقة ومتكلميهم...

قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام:

«أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غيرالموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومَن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: على مَ؟ فقد أخلى منه، كآئن لاعن حدث، موجود لاعن عدم، مع كل شيء لابمقارنة، وغير كلّ شيء لابمزايلة، فاعل لابمعنى الحركات والآلة...».

ومن البديهي أن الله سبحانه ليس بمتحيّز لامور أهمها:

١ ـ لوكان الله سبحانه متحيّزاً لم ينفكّ عن الاكوان الحادثة، وكل مالاينفكّ عن الحوادث فهو حادث، وكل حادث ممكن فلايكون واجباً، هذا خلف ويلزم من نفي التحيّز نفي الجسمية.

٢ ـ ان كل متحيّز منقسم، وكل منقسم مركب، وكل مركب ممكن فكل متحيّز ممكن فما ليس بممكن ليس بمتحيّز.

٣ ـ ان كل متحيّز حادث، ولاواجب وجود بحادث، فلامتحيّز بواجب الوجود.

٤ ـ ان كل متحيّز واجب التناهي، وكلّ متناه قابل للزيادة والنقصان، فكلّ متحيز قابل لذلك والواجب يمتنع عليه ذلك لانه تغير وهو من آيات الحدوث.

٥ ـ لو كان الله سبحانه متحيّزاً لكان جسماً، فامّا مباثن لهذه الأجسام في الحقيقة، أو مشترك في جزء ذاتي أو مساولها فيها، فعلى الأول فاطلاق الجسم عليه مجرد لفظ بالاشتراك ولايصحّ شرعاً ولاعقلاً، وعلى الثاني يلزم التركيب، وعلى الثالث يلزم المماثلة، وامتناعهما على الله سبحانه ظاهر بيّن.

وذلك ان الله جل وعلا كان ولامكان، لاخلأ ولاملأ، فلم يكن فوق ولاتحت، ولاجهة من الجهات، إذ لاموجود بالذات سوى الله تعالى، وانّ الله عزوجل لمّا خلق هذا الكون ذا الجهات الست انتزعت له سبحانه صفة الخالقية والابداع وتكوين الأكوان من صفات الفعل، ولاريب انّه جل وعلا قبل أن يكوّن الكون لم يكن في كون، وهكذا بعد ما خلق الكون لم يحلّ في كون ولم يتّحد معه، فلم يزل كائناً لافي كون، ولم يزل موجوداً لافي جهة، كما كان قبل أن يخلق الكون ويوجّه الجهات... ثم إن نسبة ذاته المقدّسة إلى الأكوان والجهات نسبة الترفع والتعالى عنها، لأنها محدثات، ولاتناسب بين الحادث الممكن بالذات، والأزلي الواجب بالذات انه جل وعلا فوق كل شيء ومتعال عنها لأنه أوجدها وأحدثها، والمخلوق تحت الخالق والصانع فوق المصنوع، تحتية لابالجهة وفوقية لابالجهة، بل بالاعتبار والسببية المنتزعة مما بينهما من نسبة قائمة.

وهذا إذا مالا حظنا من تباين مابين عالم المادّة، وعالم ماورآء المادة، وبما أنّنا عآئشون في وسط من العالم المادي، فاذا أردنا الاشارة إلى العالم الآخرغير المادّي أشرنا ـطبعاًـ إلى خارج عالمنا هذا، وهذه الاشارة تقع إلى جهة «فوق» لابما أنه «فوق» بل باعتبار أنّ كلّ خارج عن هذا العالم المادي ـفي المحسوسـ فوق من كلّ الجهات، حيث الواقف في مركز كرة إذا أراد الاشارة إلى خارجها، لابد أن يشير إلى خارج سطح الكرة، الذي هو فوق بالنسبة إليه من كل الجهات... وهكذا بالنسبة إلينا، ونحن عآئشون على الأرض إذا أردنا الاشارة إلى خارج عالمنا هذا، إشارة بالحسّ، لابد أن تقع إشارتنا إلى خارج هذا المحيط وهو فوق في جميع جوانب هذه الأرض.

وعليه فاذا مااعتبرنا أن تدابير هذا العالم المادّي في جميع أرجائه، تنحدر من عالم ماورآء المادة من عند ربنا العزيز الحكيم: «يُدبّر الأمر من السمآء إلى الأرض» السجدة: ٥) صحّ إطلاق الفوق على الله جل وعلا، وهكذا التعبير بالنزول من عنده والصعود إليه وما أشبه ذلك لالإرادة التحديد والجهة الماديين، بل الاعتباريين بالنظر إلى مابين العالمين من تباين وفرق ذاك إلى ذروة العلى والشرف والغنى، وهذا إلى حضيض الخسّة والذلّ والافتقار. وإنما المراد بالصعود في الآية الكريمة معنوى لاحسّيّ أي التوحيد مع دليله وهو الولاية لأهل بيت الوحي يصعد إلى الله جل وعلا بالعمل الصالح الذي يكون على أساس الاعتقاد الحق، من هذا العالم المادي لتنقلب درجات في عالم غير مادّي، هو فوق هذا العالم شأناً ورفعة.

في تفسير الجامع لأحكام القرآن: فى قوله تعالى: «والعمل الصالح يرفعه» قال ابن عباس: «فاذا ذكر العبد الله وقال كلاماً طيّباً وأدّى فرآئضه، ارتفع قوله مع عمله، وإذا قال ولم يؤدّ فرآئضه ردّ قوله على عمله» قال ابن عطية: «وهذا قول يردّه معتقد أهل السنة ولايصحّ عن ابن عباس، والحق أن العاصي التارك للفرآئض إذا ذكرالله وقال كلاماً طيباً فانه مكتوب له متقبل منه، وله حسناته وعليه سيئاته...».

أقول: وهذا المعتقد السخيف مردود بنفس الكتاب والسنة إذ صرّح فيهما بطلان أعمال المنافقين، وحبط أعمال الفاسقين، وذهاب حسنات المسيئين مع اعترافهم ظاهراً بالتوحيد وقولهم كلاماً طيباً.

قال الله عزوجل: «إنّما يتقبّل الله من المتقين ـ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين» المائدة: ٢٧ و ٥٣).

وقال: «قل أنفقوا طوعاً أوكرهاً لن يتقبّل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين ـ اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون» التوبة: ٥٣ و ٦٩) وإلّا كان الشيطان الموحّد العاصي أسبق السابقين في دخول الجنّة فانه لم يشرك بالله سبحانه بل

عصاه وخالف أمره.

وان الآيات الكريمة والروايات الواردة عن أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله كثيرة لايسعها مقام الاختصار.

المبحث الثامن: وقد تشبّث الأشاعرة وأذنابهم بظاهر قوله سبحانه: «وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه» فاطر: ١١) على أن الله جل وعلا عالم بعلم، قادر بقدرة، حيّ بحياة، ومتكلم بكلام... بناءً على ماتوهموا من اقتران ذاته المقدّسة بهذه المبادي وهو الموجب لتعدد القديم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

إنّما الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة المتمسّكون بالثقلين: كتاب الله جل وعلا وأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله هم يعتقدون بما بيّن فيهما: انّ لله عزوجل صفات ذاتية قديمة بأنّه كان حيّاً، حكيماً، عالماً، قادراً لم يزل ولايزال، وان هذه الصفات هي عين ذاته المقدّسة، لابصفة زائدة على الذات، فهو عزوجل حيّ بذاته، حكيم بذاته، عالم بذاته، وقادر بذاته، وينزّهونه تعالى عن اقتران مبادئ هذه النعوت بذاته المقدسة ـ بأن يكون حياً بحياة، عليماً بعلمه، قادراً بقدرة كما زعمه الأشعري ـ لأن اقتران ذاته المقدسة بهذه المبادى ـ وهي قديمة فرضاً ـ يستدعى تعدد القديم تعالى الله عزوجل عمّا يصفون.

ومن ثمّ! فمعنى أنّه تعالى حيّ: انه يدرك ويريد ويفعل، ومعنى أنه جل وعلا عالم: ان الأشيآء لديه شهود، لايحتجب عنه شيء، ومعنى أنه عزوجل قادر: انه يفعل مايريد، لايعجزه شيء ولايحول دون إرادته شيء، وغيرها من صفاته الذاتية المقدّسة، وهذا التفسير التنزيهي لجميع صفاته عزوجل يتلخص في قول الشيعة: «خذ الغايات واترك المبادئ» وهذا هو مرادهم من نفي الصفات عنه جل وعلا: إنهم يصفونه عزوجل بما وصف به نفسه، وينزّهونه عن اقتران مبادئها بذاته المقدسة، ويدل على قوله تعالى: «وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب» فاطر: ١١) على أن المراد من الكتاب عبارة اخرى عن علمه الأزلي، وهو قدره تعالى بمعنى إحاطته بمزايا الامور وخباياها قبل أن تتكوّن في عالم الوجود، إذ ذاك بالنسبة إلى علمه جل وعلا المحيط

شيء ضئيل جداً.

في تفسير القمي: قال في قوله تعالى: «ومايعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب»: يعني يكتب في كتاب، وهو ردّ على من ينكر البدآء.

أقول: وقد ثبت بالكتاب والسنّة: أن لكلّ حادث كالأجل وغيره صورة علمية عند الله عزوجل، وواقعة في الوجود، وهما متوافقتان دائماً لأن الواقع لايتخلّف عما علمه تعالى وإن لم يكن العلم مؤثّراً تامّاً في ذلك، وصورة تقديرية عند عمّال الملكوت باذن الله جل وعلا واعلامه، والواقع قد يتخلّف عن هذه الصورة لأن الله عزوجل «يمحوا الله مايشآء ويثبت وعنده ام الكتاب» الرعد: ٣٩).

ومن هذا ينشأ كون الأجل أجلين: أحدهما ـ ما عند الله تعالى وثانيهما ـ ما في لوح التقدير قال الله عزوجل: «هوالذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمّى عنده ثم أنتم تمترون» الأنعام: ٢).

فما عند الله تعالى هو الواقع بتّاً باسبابه الكاملة، وماقضاه في لوح التقدير قد تتمّ أسبابه فيوافق ذلك أو لا تتمّ فيتخلّف، والله جل وعلا مع علمه بذلك أزلاً لسرّ سلطان الربوبية: «وما كان الله ليطلعكم على الغيب» آل عمران: ١٧٩) لايطلعهم على أنّ أسباب هذا المقتضى تتمّ أولا، فربّ مقدر في اللوح لا تتمّ أسبابه، والله عزوجل يعلم وهم لايعلمونه فيمحى فلايقع، ويقال عند ذاك: بدا الله جل وعلا فالأجل لكل نفس بحسب ما في علم الله تعالى والواقع ليس إلّا واحداً وتعدده باعتبار ماقلنا، هكذا يستفاد من كلمات أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله.

وقد تحيّر المخالفون المبتدعون عن الوحي السماوي وأهل بيته في أمر البدآء وتفسير الأجل وتعيين الأجلين غاية الابتعاد، فملأوا زبرهم وتفاسيرهم مما لايسمن ولايغني من جوع، ومن الطعن على المتمسكين بالثقلين في مذهب البدآء، وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد.

المبحث التاسع: إن في قوله عزوجل: «يولج الليل في النهار.. الآية» فاطر: ١٣) ردّاً

على عبـدة الكواكب الذين ينسبون حوادث هذا الكـون إلى الكـواكب بالذات لا إلى تسخير مبدعها.

المبحث العاشر: إن قوله جل وعلا: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد» فـاطر: ١٥) ردّ على الأشاعـرة وعلى من شاكلتهـم من المشبهة والمجسّمة والحشوية بأنّ لله سبحـانـه يداً ورجلاً وساقاً ووجهاً وعيناً وغيرها من أعضـآء وجـوارح... هي حاجة المفتقر إلى عضو وآلة في مزاولة الامور.. تعالى الله عمّا يصفون!

ان الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة المعتصمين بحبل الله المتين وأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله في غنى عـن إقامة البرهـان عن استغنآئه عزوجل عن الاستعانة بشيء على الاطـلاق لأن الحاجة مطـلقاً صفة الممكن بـالذات، والله عزوجـل واجب الوجود بالذات، وهو مرجع الحوائج والافتقـارات، وملجأ كل ذي حـاجة وفقير، ويستحيل أن تـعرضه سبحانه حـاجة أو افتقار إلى شـيء سوى ذاتـه المقدّسة، وإلاّ لانقـلب الغني الواجب بالذات إلى الفقير الممكن، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وإذا لاحظنا صفة الغنى في ذاته المقدسة، ورجعنا إلى الآيات الكريمة التي تصفه تعالى بالغنى الذاتي في جميع شؤونه تبارك وتعالى كفانا مؤونة البحث عن تنزهه عزوجل عن الأعضآء والجوارح... وانـه تعالى هو الـغني بالذات المفتقر إلـيه سآئر الموجودات، وهو جل وعلا منتهـى كل مقصود وغايـة كل مأمول، منـه المبدأ وإليه المعاد إذ «كل ما بـالغير لابد أن ينتهي إلى ما بـالـذات» وفق قانون إحتيـاج الممكن إلى الواجب وهو الله الواجب الوجود.

المبحث الحاديعشر: إن قوله جـل وعـلا: «إن يشأ يذهبكـم ويأت بخلق جديد» فاطر: ١٦) يدلّ على تبـدّل الطبيعة بـأن كل إنسان متجـدّد متبدّل في كل يـوم من حيث وجوده المادّي الوضعي الزماني، إذ له كون تـدريجي متبدّل غيرمستقرّ الذات: «بل هم في لبس من خـلق جديد» ق: ١٥) ومـن حيث وجوده العقلي وصورتـه المفارقة باق، وإن كل ما هو تـدريجي الوجود فزمان حدوثـه بعيـنه زمان بقآئه تدريجاً، وهـذا سرّ من أسرار

التنزيل.

المبحث الثاني عشر: ان قوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر اخرى...» فاطر: ١٨) ردّ على ما في التوراة المتحرّفة (سفر العدد اصحاح ٢٤): «الرب طويل الروح ولكنه لايبرئ بل يجعل ذنب الآبآء على الأبنآء.»

أقول: وفساده ظاهرة لمن يتدبّر، فانه خلاف ماتقتضيه حكمته تعالى، ولما فيه من مجانبة عدله عزوجل ومنا فاته له.

المبحث الثالث عشر: إن قوله جل وعلا: «ومايستوى الأعمى والبصير...» فاطر: ١٩) ردّ على مَن قدّم المفضول على الفاضل من أهل التسنّن الذين قالوا: إن أبابكر وعمر بن الخطاب وعثمان كانوا مفضولين، وقد كان على بن أبيطالب عليه السلام فاضلاً عليهم ولا إشكال في تقديم المفضول على الفاضل.

ان الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة لايقولون: إن اولئك الثلاثة كانوا مفضولين، ولاعلياً عليه السلام فاضلاً عليهم، وإنّما الشيعة يثبتون بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة التي لايمكن إحصآئها منها مااعترفت الثلاثة بأنفسهم في مواضع كثيرة وكذلك أتباعهم حتى اليوم: أن الثلاثة كانوا جاهلين، وقد كان علي بن أبيطالب عليه السلام عالماً لم يُرَ ولايُرىٰ مثله قط غيرالنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فقدّم أهل التسنّن هؤلاء الجهلة على العالم الذي لايرى مثله قط، وهذا باطل بالعقل والوجدان ويا للعقل والوجدان!!!

المبحث الرابع عشر: في قوله تعالى: «وإن من امّة إلّا خلافيها نذير» فاطر: ٢٤) دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلّا وقد بعث إليه نذير من الرسول أو النبي أو الوصي أو العالم الروحاني، وأنه تعالى أقام الحجّة على جميع الامم من العرب والعجم، فلايكون لأحد على الله سبحانه حجة.

المبحث الخامس عشر: وقد تشبث الطبيعيون بقوله تعالى: «مختلف ألوانها ـ مختلف ألوانه» فاطر: ٢٧ ـ ٢٨) على أن اختلافها واختلافه منوط باختلاف العوامل المؤثرة فيها، ومنها اختلاف العناصر الموجودة فيها نوعاً وقدراً وخصوصيّة التأليف. هذا مدفوع بأن

الكلام حينئذ منقول إلى اختلاف نفس العناصر، وهي منتهية إلى المادة المشتركة التي لا اختلاف فيها، فاختلاف العناصر المكوّنة منها يدلّ على عامل آخر ورآء المادة يدبّر أمرها ويسوقها إلى غايات مختلفة... وذلك ان الله عزوجل ينزّل من السمآء مآءً بالامطار وهو أقوى العوامل المعيّنة لخروج الثمرات، ولو كان خروجها عن مقتضى طباع هذا العامل وهو واحد لكان جميعها ذا لون واحد، فاختلاف الألوان يدلّ على وقوع التدبير الالهى.

المبحث السادس عشر: قال الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن على بن شهر آشوب السروي المازندراني رضوان الله تعالى عليه في كتابه (متشابه القرآن ومختلفه) في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فاطر: ٣٢): الاصطفآء لايليق إلّا بمن هو معصوم كالأنبيآء والأئمة عليهم السلام، فكيف قال بعد ذلك: فمنهم ظالم لنفسه؟ فنقول: «فمنهم» يرجع بالكناية فيه إلى العباد لا إلى الذين اصطفوا لأنه أقرب إليه في الذكر، فكأنه قال تعالى: «ومن عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات».

وقال في موضع آخر من الكتاب في الآية الكريمة: «الظاهر يقتضي أن يكون الذين اصطفاهم ورّاث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب وأحكامه، ومن جملة ما كان يتعاطاه القيام بامور المسلمين، فيجب أن يرث منه من صفته مابيّنه تعالى دون أمر آخر لتنعقد الوراثة ولايقول: إن المقام يورث ولايزيد بالوراثة ههنا إلّا التمليك على اموره الدينية من الله تعالى كما فسّره في قوله: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض... الآية» وليس يمكن حمله على الشيوخ لأن الظاهر لوا قتضاهم لكانوا أئمة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من دون الاختيار والنص والشورى ولاحمله على الامة لأنّ فيهم فسّاقاً والله لايصطفى الفاسق.

وانه بيّن أنهم يدخلون الجنّة، وكل الامة لا تدخل الجنّة على أن من قال: المراد به الامّة، قال: بأن العترة مرادين بالآية أيضاً، ومن قال: إنّ العترة هي المراد قال: لم يرد به الامة، فحمله على الا تفاق أولى مما خولف فيه، فثبت أن السابقين منهم بالخيرات

هم المعصومون، وهم المعنيون بها لأن الله تعالى لم يطلق لفظ الاصطفاء في القرآن إلّا في المعصومين مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وطالوت ومريم والملائكة، وإن حملناه أيضاً على غير المعصومين من عترته يكون فيهم مجازاً، وفي المعصومين حقيقة، فيكونون بمنزلة المحكم والمتشابه من الصحف، فاذا ثبت أن المعصومين من أهل البيت مرادين بالآية، وقد أورثهم الله تعالى ذلك يجب أن يرثوا القيام بامور المسلمين وهو الامامة.

في نهج الحق قال العلامة الحلّي قدس سره في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»: وهو علي عليه السلام.

وقال الفضل بن رزبهان ردّاً على العلامة الحلّي رضوان الله تعالى عليه: «عليّ من جملة ورثة الكتاب لأنه عالم بحقائق الكتاب، فهذا يدل على علمه ووفور توغله في معرفة الكتاب ولايدل على النص».

قال العلامة الشيخ محمّد حسن المظفر أعلى الله مقامه الشريف ردّاً على الفضل بن رزبهان في كتابه: «دلائل الصدق»: «سبق في الآية السابعة والعشرين: ان المراد بمن عنده علم الكتاب» هو عليّ عليه السلام فيتعيّن أن يكون المراد بمن أورثه الله الكتاب واصطفاه فان الكتاب فيهما واحد وهو القرآن كما هو المنصرف، ويدلّ عليه الآية التي قبل الآية التي نحن فيها وهي قوله تعالى: «والذي أوحينا إليك من الكتاب» فانّ إعادة المعرّف باللام تفيد الوحدة، ويشهد أيضاً لارادة عليّ بمن أورثه الكتاب واصطفاه الأخبار المستفيضة الدالة على أنّ علياً مع القرآن والقرآن معه، فانّ المعية تستدعي أن يكون علم القرآن عنده وانّه وارثه، فاذا أفادت الرواية الّتي أشار إليها المصنّف رحمة الله تعالى عليه وحكاها السيّد السعيد رحمة الله تعالى عليه عن ابن مردويه: أن المراد بمن أورثه الكتاب هو عليّ عليه السلام كانت مؤكّدة لغيرها، وحينئذ فلا معنى لقول الفضل: عليّ من جملة ورثة الكتاب، ولاسيّما انه قد أراد أن يشرك معه من لا يعرف معنى الأب والكلالة، ومن كانت المخدّرات أفقه منه.

هذا كلّه مضافاً إلى أن اصطفاء الشخص لميراث الكتاب يدلّ على أنّه حافظ له غير

مضيع لمافيه عمداً وسهواً، فيكون معصوماً، وغير عليّ عليه السّلام من الصحابة غير معصوم بالاجماع، فيتعيّن أن يكون هو المراد بالآية وحده أو معه أبنآؤه المعصومون بشهادة حديث الثقلين، وإنّما تركت الرواية ذكرهم لأنّهم غير موجودين في وقته أو لأن ذكره أهم وهو الأصل وهم فرعه، فاذا ثبت ثبتوا جميعاً.

فان قلت: لايمكن أن يراد وحده أو مع الأئمّة خاصّة لأنهم معصومون عندكم، والآية قسمت من أورثه الله الكتاب واصطفاه إلى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات فيتعيّن أن يراد بالآية مطلق المؤمنين؟

قلت: التقسيم راجع إلى العباد والضمير في قوله تعالى: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» عائد إلى قوله تعالى: «عبادنا» لالمن أورثه الكتاب واصطفاه منهم إذ لايصحّ تقسيم من اصطفاه إلى الظالم وغيره، ولاشمول من أورثه الكتاب لكل مؤمن عالم وجاهل، فهي نظير قوله تعالى في سورة الحديد: «ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيتهما النبوّة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون».

واما قول آدم عليه السلام: «ربنا ظلمنا أنفسنا» مع أنه من المصطفين فتأوّل بارادة فعل المكروه للأدلّة العقلية والنقلية بخلاف ذلك، نعم يمكن أن يكون التقسيم راجعاً إلى مَن أورثه الكتاب واصطفاه على أن تكون الوراثة والاصطفآء بلحاظ اشتماله على البعض الوارث المصطفى، فيصحّ تقسيم الجنس إلى هذه الأقسام الثلاثة، لكن المراد بالبعض الوارث المصطفى هو عليّ عليه السلام وحده في وقته أو مع أبنآءه عليهم صلوات الله بلحاظ جميع الأوقات للأدلّة السابقة ونحوها، كما وردت بذلك الرواية عندنا، وحينئذ، فتدل الآية على إمامته لدلالتها على العصمة التي هي شرط الامامة، ولامعصوم غيره من الصحابة بالضرورة والاجماع، ولأنّ وراثة الكتاب بالاصطفآء شأن خلفآء الأنبيآء فيكون هو الخليفة والامام» انتهى كلامه.

المبحث السابع عشر: استدل الرماني بقوله عزوجل: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا...» فاطر: ٤١) على أن السموات غير الأفلاك لأن الأفلاك تتحرك

وتدور وأما السموات فلا تتحرك ولا تدور.

المبحث الثامن عشر: استدل بعض المفسّرين بقوله عزوجل: «فهل ينظرون إلّا سنّة الأوّلين ـ إلى ـ فان الله كان بعباده بصيراً» فاطر: ٤٣ ـ ٤٥) على عدم نزول العذاب المستأصل العام على امة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى يوم القيامة كما كان ينزل على الامم السابقة وهذا دليل على كون محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رحمة للعالمين. فتدبّر جيّداً.

المبحث التاسع عشر: تشبّث بعض الطبيعيين بقوله سبحانه: «فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً» فاطر: ٤٣) على انكار المعجزات وخوارق العادات... إذ زعموا أن ليس شيء إلّا له سبب طبيعيّ، ولايمكن أن يوجد ولايقع شيء إلّا بسبب طبيعي، وهذه سنّة إلهية لا تبديل فيها ولا تغيير لها، فمن ادّعى بوقوع شيء بدون سبب طبيعي عادى له فهو كاذب، والأوّل كتولد الشيء من الأبوين، وخروج النبات بالمآء، والثاني كنبت الشعر مثلاً من راحة الكفّ حيث ان هذا خلاف أمر طبيعي لم تجر عليه السنّة الالهية، فالمعجزات والكرامات والخوارق العادات إدّعاء لايمكن الوقوع.

أقول: ومن غير مرآء أن لكل شيء سبباً طبيعياً، ولكن السبب الطبيعي على قسمين:

أحدهما ـ ما هو مأنوس لنا، وظاهر نعرفه.

ثانيهما ـ ماهو خفيّ لانألف به، وهو غيرظاهر لانعرفه، سوآء أقلنا: إنه قوة روحانية أي سبب روحاني أم قلنا: انه أيضاً سبب مادّي طبيعي، ولكنّه غيرمأنوس لنا أو قلنا بكلا الأمرين: سبب روحاني وسبب مادّي غير مألوف كولادة عيسى بن مريم عليهما السلام من غير أب أو وجود آدم من دون أبوين، وكخلق عيسى عليه السلام الطير من طين، و و و ... وهذا لايوجب تبديل السنّة الالهية ولا تغييرها، بأن جرت السنّة على وجود كل شيء بسببه الطبيعي الذي نألف به، فما لم يكن له سبب طبيعي مأنوس، فهو

خارج من السنّة، فيلزم إما تغيير السنّة، وإما خروج الشيء من السنّة!

﴿في اشتقاق الملائكة ومعناها﴾

قال الله عزوجل: «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشآء إن الله على كل شيء قدير» فاطر: ١)
وقد اختلفت كلمات اللغويين والنحويين والمفسّرين في اشتقاق الملائكة أهي من ملك أو من ألك أو من لأك ، ولكل وجه.

في المفردات: قال الراغب: وقال بعض المحققين: هو من المِلك، قال: والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له: مَلَك بالفتح، ومن البشر يقال له: مَلِك بالكسر، فكل مَلَك ملائكة، وليس كل ملائكة مَلَكاً، بل المَلَك هم المشار إليهم بقوله عزوجل: «فالمدبّرات ـ فالمقسمات ـ والنازعات» ونحو ذلك ومنه ملك الموت قال: «والملك على أرجآئها ـ على الملكين ببابل ـ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم».

وفي النهاية: الملائكة: جمع مَلأك في الأصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: مَلَك، وقد تحذف الهآء، فيقال: ملائك. وقيل: أصله: مألَك بتقديم الهمزة من الألوك : الرسالة، ثم قدّمت الهمزة وجُمِعَ.

وفي القاموس وشرحه: الملك واحد الملائكة والملائك يكون واحداً وجمعاً كما في الصحاح. قال الليث: الملك إنّما هو تخفيف الملأك ، وأجمعوا على حذف همزة وهو مفعل من الألوك . وقال الكسائي: إن أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك ـ بمعنى الرسالة ـ ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: ملأك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل: ملك فلمّا جمعوه ردّوها إليه، فقالوا: ملائكة وملائك أيضاً. والمألك بمعنى الرسالة وان الملائكة هم

الذين يحملون رسالات الله تعالى إلى رسله وعباده...

وفي مجمع البحرين: فزيدت التآء للمبالغة أو لتأنيث الجمع. وعن ابن كيسان هو فعال من الملك وعن أبي عبيدة: مفعل من لاك إذا ارسل.

وفي التبيان: أصل الملأك الرسالة، والملائكة جمع، وسمّيت الملائكة ملائكة لأنها رسل الله بينه وبين أنبيآئه ومن أرسل من عباده.

إنّ الله عزوجل أتى بلفظ إسم الفاعل: «جاعل» لاالماضي ولاالمستقبل تنبيهاً إلى استمرار رسالتهم ما داموا ملائكة، فكأنّ الرسالة اخذت من ذاتها.

وقد تكرر ذكر الملائكة في القرآن الكريم بمناسبات عديدة، وأوّل مرّة جاء ذكرها في خامسة سورة أنزلها الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله: «وما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة» المدثر: ٣١) ولم يذكر من الملائكة بالتسمية الّا جبرئيل وميكال، لفضلهما على غيرهما وذكر غيرهما بالوصف:من ملك الموت، والكرام الكاتبين، والسفرة الكرام البررة، والرقيب والعتيد والحفظة وما اليها...

وأكثر المفسرين على أنّ الاسم مشتق من الألوكة بمعنى الرسالة، وأنّ الكلمة تعني الرسل، واستدلّوا على هذا بقوله عزوجل: «جاعل الملائكة رسلاً» فاطر: ١) وبقوله: «ينزّل الملائكة بالروح من أمره» النحل: ٢) وغيرهما من الآيات الكريمة...

وقد اختلف بين الأعلام بأنها كلمة عربية أم عبرانية؟ وليس لنا أن نطول كلامنا في كونها عربية الأصل أو معربة من لغات اخرى؟ ومالاريب فيه انها كانت مستعملة في اللسان العربي قبل نزول القرآن الكريم، مع أن أجنحة الملائكة ورسالاتهم إلى أنبياء الله تعالى مما ورد في أسفار العهد القديم والجديد، فلم يكن ذكر الملائكة غريباً على أذهان العرب السامعين، وقد حكت آيات عديدة تحدّيات كفّار العرب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم باستنزال الملائكة: «وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا انزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ـ وقال الذين لايرجون لقائنا لولا انزل علينا الملائكة» الفرقان: ٧ و ٢١).

وتعدّ من هذا اللسان لاتخاذ العرب الملائكة آلهة وشفعآء لهم قبل الاسلام، واعتقادهم انهم بنات الله سبحانه على ماحكته عنهم آيات كثيرة...

منها: قوله تعالى: «ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً» آل عمران: ٨٠).

ومنها: قوله سبحانه: «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً» الزخرف: ١٩).

قيل: إنّما اطلق المشركون لفظ «البنات» على الملائكة لانّهم لمّاكانوا مستورين عن العيون، اشبهوا النساء في الاستتار لأنّ من لوازم معنى النساء التستّر، فمن لم تستتر خرجت عن معنى النساء كما أنّ قرص الشمس يجري مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر اطلق عليه لفظ التأنيث.

وقد سمّى الله عزّوجلّ جبرئيل روحاً في كتابه الكريم: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً» مريم: ١٧) لوجوه:

١ ـ لأن جبرئيل عليه السلام روحانيّ لايشبه شيئاً من غير الروح، وأنه وإن كان قديتمثّل بأمر الله تعالى بأشكال إلّا الكلب والخنزير والمسوخات، بل بأحسن صور الرجال، ولكن لاتدرك حقيقته ولاماهيته كنفس الروح: «ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» الاسراء: ٨٥) وخصّه الله عزوجل بهذه الصفة تشريفاً له.

٢ ـ لأنّه تحيى به الأرواح بما يؤدّيه إليهم من أمر الأديان والشرائع... «يلقى الروح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التلاق» غافر: ١٥).

٣ ـ لأن الدّين يحيى به وبوحيه.

٤ ـ سمّاه الله تعالى روحه مجازاً محبّة له، وتقريباً كقولك لحبيبك: «أنت روحى».

٥ ـ لأن جبرئيل عليه السلام خلق من ريح.

٦ ـ لأنه يحيى به الأرواح بما ينزل من البركات...

٧ ـ لأنه نفخ الريح، فخلق عيسى عليه السلام من ريحه بمريم عليه السلام: «والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا» الأنبياء: ٩١).

٨ ـ لأنّه جسم روحانيّ.

قيل: إنّما سمّى الملائكة ملائكةً لأنهم ملكوا زمام الشيطان لئلاّ يخرّب العالم بشيطنته وفساده وإفساده.

﴿القرآن الكريم وخلق الملائكة﴾

واعلم أنّ القرآن الكريم قدأشار إلى أن خلق الملائكة والشيطان والجن كان قبل خلق الانسان: «إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» ص: ٧١ - ٧٦).

وقد تعرض لخلق الانسان فقال: «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة...» غافر: ٦٧) وتعرّض إلى خلق الجن والشيطان فذكر: «والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم» الحجر: ٢٧) ولم يتعرض لخلق الملائكة، وقد وردت روايات كثيرة أنها خلقت من نور، فنشير إلى مايسعه المقام:

١ - في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

«ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، وملأبهم فروج فجاجها، وحشابهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زَجَلُ المسبّحين منهم في حظآئر القدس، وسترات الحُجُب، وسرادقات المجد، و وراء ذلك الرجيج الذي تستكّ منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها، وأنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات اولى أجنحة، تسبّح جلال عزّته، لاينتحلون ماظهر في الخلق من صنعه، ولايدّعون أنهم يخلقون شيئاً

معه مما انفرد به (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون).

جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحمّلهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدّهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة، وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده، ونصب لهم مناراً واضحةً على أعلام توحيده، لم تثقلهم موصرات الآثام، ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم، ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم، ولاقدحت قادحة الإحَن فيما بينهم، ولاسلبتهم الحيرة مالاق من معرفته بضمائرهم، وسكن من عظمته وهيبة جلاله في أثنآء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فِكرهم.

منهم من هو في خلق الغمام الدّلّح، وفي عظم الجبال الشمّخ، وفي قُترة الظلام الأيهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية، قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته، وقطعهم الايقان به إلى الوله إليه، ولم تجاوز رغباتهم ماعنده إلى ماعند غيره، قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الروية من محبّته، وتمكّنت من سويدآء قلوبهم وشيجة خيفته.

فحنوا بطول الطاعة إعتدال ظهورهم، ولم ينفد طول الرغبة إليه مادّة تَضَرُّعِهِمْ، ولاأطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم، ولم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ماسلف منهم، ولا تركت لهم إستكانة الاجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم، ولم تغِضْ رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم، ولم تجفّ لطول المناجات أسلات ألسنتهم، ولاملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم، ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم، ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم، ولا تعدو على عزيمة جِدّهم بلادة الغفلات، ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات.

قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين

برغبتهم، لايقطعون أمد غاية عبادته، ولايرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلّا إلى موادّ من قلوبهم غيرمنقطعة من رجائه ومخافته، لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فَينُوا في جدّهم، ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم، ولم يستعظموا مامضى عن أعمالهم، ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وَجَلِهِمْ، ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم، ولم يفرّقهم سوء التقاطع، ولا تولاّهم غلّ التحاسد، ولا تشعّبتهم مصارف الريب ولااقتسمتهم أخياف الهمم.

فهم اسرآء ايمان لم يفكّهم من ربقته زيغ ولاعدول، ولاوَنَى ولافتور، وليس في أطباق السماء موضع إهاب إلّا وعليه ملك ساجد أوساع حافد، يزدادون على طول الطاعة بربهم علماً، وتزداد عزّة ربهم في قلوبهم عظماً».

٢ ـ في روضة الكافي باسناده عن الحكم بن عتيبة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن في الجنّة نهراً يغتمس فيه جبرئيل عليه السلام كل غداة ثم يخرج منه فينتقض فيخلق الله عزوجل من كل قطرة تقطر منه ملكاً».

٣ ـ في مجالس الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبد الله بن عباس قال: «إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لـمّا أُسرِي به إلى السمآء انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له: «النور» وهوقول الله عزّوجل: «خلق الظلمات والنور» فلما انتهى به إلى ذلك النور قال له جبرئيل: يا محمد اعبر على بركة الله، فقد نوّر الله لك بصرك ومدّلك أمامك، فان هذا نهرلم يعبره أحد لاملك مقرّب ولانبيّ مرسل، غير أنّ لي في كل يوم اغتماسة فيه، ثم اخرج منه فانفضّ أجنحتي، فليس من قطرة تقطر من اجنحتي إلّا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرّباً له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان، في كل لسان يلفظ بلغة لايفقهها اللسان الآخر، فعبر برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى انتهى إلى الحجب، والحجب خمسمأة حجاب، من حجاب إلى حجاب مسيرة خمسمأة عام، ثم قال: تقدّم يا محمّد، فقال له: يا جبرئيل ولم لا تكون معي؟ قال: ليس لي أن اجوز هذا المكان، فتقدّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ماشاء الله أن يتقدّم حتى سمع

ماقال الرب تبارك وتعالى:

«أنا المحمود وأنت محمد، شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك بتكته، أنزل على عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك ، وانّي لم ابعث نبياً إلّا جعلت له وزيراً وانك رسولي وانّ علياً وزيرك ... الحديث».

٣ ـ في الدر المنثور: عن أبي سعيد عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إن في الجنّة لنهراً مايدخله جبرئيل من دخلة، فيخرج فينتفض إلّا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكاً» .

٤ ـ في رواية: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار».

٥ ـ في تفسير القمي قال الصادق عليه السلام: خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رآى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل عليه السلام وله ستمأة جناح على ساقه الدّرّمثل القطرعلى البقل، قد ملأ مابين السمآء والأرض، وقال: إذا أمر الله عزوجل ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السمآء السابعة والاخرى في الأرضين (الارض خ) السابعة، وإن لله ملائكة انصافهم من برد وانصافهم من ناريقولون: يامؤلّفاً بين البرد والنارثبّت قلوبنا على طاعتك ، وقال: إن لله ملكاً بُعد مابين شحمة اذنيه (أُذنه خ) إلى عينيه (عينه خ) مسيرة خمسمأة عامبخفقان الطير، وقال: إن الملائكة لايأكلون ولايشربون ولاينكحون، وإنّما يعيشون بنسيم العرش، وإن لله ملائكة ركّعاً إلى يوم القيامة، وإن لله عزوجل ملائكة سجّداً إلى يوم القيامة.

ثم قال أبوعبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مامن شيء مما خلق الله عزوجل أكثرمن الملائكة وانه ليهبط في كل يوم أو في كل ليلة سبعون ألف ملك ، فيأتون البيت الحرام، فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم يأتون أميرالمؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه ثم يأتون الحسين عليه السلام فيقومون (فيقيمون خ) عنده فاذا كان عند السحر وضع لهم معراج إلى السمآء ثم لايعودون أبداً.

٦ ـ وفيه: وقال ابوجعفر عليه السلام: «إن الله خلق إسرافيل وجبرئيل وميكائيل من نسبيحة واحدة، وجعل لهم السمع والبصر وجودة العقل وسرعة الفهم».

٧ ـ وفيه: وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في خلق الملائكة: ومن ملائكة خلقتهم وأسكنتهم سمواتك فليس فيهم فترة ولا عندهم غفلة ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك وأقرب خلقك إليك وأعملهم بطاعتك لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان لم يسكنوا الأصلاب ولم تتضمّنهم (لم يضمّهم خ) الأرحام ولم تخلقهم من مآء مهين أنشأتهم إنشآءً فأسكنتهم سمواتك وأكرمتهم بجوارك، وائتمنتهم على وحيك وجنّبتهم الآفات، ووقيتهم البليّات وطهّرتهم من الذنوب، ولولا قوتك لم يقووا ولولا تثبيتك لم يثبتوا ولولا رحمتك لم يطيعوا، ولولا أنت لم يكونوا أما انّهم على مكانتهم منك وطاعتهم إياك، ومنزلتهم عندك وقلّة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا ماخفى عنهم منك لاحتقروا أعمالهم، ولأزروا على انفسهم، ولعلموا أنّهم لم يعبدوك حق عبادتك، سبحانك خالقاً ومعبوداً ما أحسن بلاءك عند خلقك».

٨ ـ في التوحيد بالاسناد عن عمرو بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار يقولون: «يا مؤلّفاً بين البرد والنار ثبّت قلوبنا على طاعتك».

٩ ـ في نهج البلاغة: قال الامام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «من ملائكة أسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن أرضك، هم أعلم خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقربهم منك، لم يسكنوا الأصلاب، ولم يضمّنوا الأرحام، ولم يُخلقوا من مآءٍ مهين، ولم يتشعّبهم ريب المنون، وإنهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوآءهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلّة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ماخفي عليهم منك لحقّروا أعمالهم، ولزروا على أنفسهم، ولعرفوا أنّهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعوك حق طاعتك».

قال ابن ابي الحديد في الشرح: «من أراد أن يتعلّم الفصاحة والبلاغة، ويعرف

فضل الكلام بعضه على بعض، فليتأمّل هذه الخطبة، فانّ نسبتها إلى كل فصيح من الكلام عدا كلام الله ورسوله- نسبة الكواكب المنيرة الفلكيّة إلى الحجارة المظلمة الأرضية، ثم لينظر الناظر إلى ماعليها من البهاء والجلالة والرّواء والديباجة، وماتحدثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية حتى لوتليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث والنشور لهدّت قواه، وأرعبت قلبه، وأضعفت على نفسه، وزلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها عن الاسلام أفضل ماجزى به ولياً من أوليائه! فما أبلغ نصرته له! تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره! إن قيل: جهاد وحرب فهو سيّد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل: وعظ وتذكير، فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل: فقه وتفسير، فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل: عدل وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحّدين:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

قوله عليه السّلام: «أسكنتهم سمواتك» لايقتضي أن جميع الملائكة في السموات، فانّه قد ثبت أن الكرام الكاتبين في الأرض، وإنّما لم يقتض ذلك لأنّ قوله: «من ملائكة» ليس من صيغ العموم، فانه نكرة في سياق الا ثبات، وقد قيل أيضاً: إن ملائكة الأرض تعرج إلى السماء ومسكنها بها، ويتناوبون على أهل الأرض.

وقوله عليه السلام: «هم أعلم خلقك بك» ليس يعني به أنّهم يعلمون من ماهيته تعالى مالايعلمه البشر، أما على قول المتكلمين فلأنّ ذاته تعالى معلومة للبشر، والعلم لايقبل الأشد والأضعف، وأما على قول الحكماء فلأنّ ذاته تعالى غير معلومة للبشر ولا للملائكة، ويستحيل أن تكون معلومة لأحد منهم، فلم يبق وجه يحمل عليه.

قوله عليه السلام: «هم أعلم خلقك بك» إلّا أنّهم يعلمون من تفاصيل مخلوقاته وتدبيراته مالايعلمه غيرهم، كما يقال: وزير الملك أعلم بالملك من الرعية، ليس المراد أنّه أعلم بذاته وماهيته، بل بأفعاله وتدبيره ومراده وغرضه.

وقوله عليه السلام: «وأخوفهم لك» لأن قوّتي الشهوة والغضب مرفوعتان عنهم، وهما

منبع الشر، وبها يقع الطمع والإقدام على المعاصي، وأيضاً فانّ منهم مَن يشاهد الجنّة والنارعياناً، فيكون أخوف لأنّه ليس الخبر كالعيان.

وقوله عليه السلام: «وأقربهم منك» لايريد القرب المكانيّ لأنّه تعالى منزّه عن المكان والجهة، بل المراد كثرة الثواب وزيادة التعظيم والتبجيل.

وقوله عليه السلام: «يتشعّبهم ريب المنون» أي يتقسّمهم، والشّعْب: التفريق، ومنه قيل للمنيّة: شعوب، لأنّها تفرّق الجماعات، وريب المنون: حوادث الدهر.. ثم ذكر عليه السلام أن الملائكة على كثرة عبادتهم واخلاصهم لوعاينوا كنه ماخفي عليهم من الباري تعالى لحقّروا أعمالهم، وعابوا أنفسهم...

فان قلت: ماهذا الكنه الذي خفي عن الملائكة، حتى قال: «لوعاينوه لحقروا عبادتهم، ولعلموا أنّهم قد قصروا فيها»؟

قلت: إن علوم الملائكة بالباري تعالى نظريّة كعلوم البشر، والعلوم النظرية دون العلوم الضرورية في الجلاء والوضوح، فأميرالمؤمنين عليه السلام يقول: لو كانت علومهم بك وبصفاتك الاثباتية والسلبية والاضافية ضرورية، عوض علومهم هذه المتحققة الآن، التي هي نظرية لانكشف لهم ما ليس الآن على حدّ ذلك الكشف والوضوح، ولاشبهة أن العبادة والخدمة على قدر المعرفة بالمعبود، فكلّما كان العابد به أعرف، كانت عبادته له أعظم، ولاشبهة أنّ العظيم عند الأعظم حقير.

فان قلت: فما معنى قوله: «واستجماع أهوآئهم فيك» وهل للملائكة هوى؟ وهل تستعمل الأهواء إلّا في الباطل؟

قلت: الهوى: الحبّ وميل النفس، وقد يكون في باطل وحق، وإنّما يحمل على أحدهما بالقرينة، والأهواء تستعمل فيهما، ومعنى إستجماع أهوائهم فيه أن دواعيهم إلى طاعته وخدمته لاتنازعها الصوارف، وكانت مجتمعة مائلة إلى شق واحد».

١٠ ـ في الاختصاص عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلق الملائكة من نور».

١١ ـ في الدر المنثور: وأخرج أبو الشيخ عن أبي العلاء بن هارون قال: لجبرئيل في كل يوم إنغماسة في نهر الكوثر ثم ينتفض فكل قطرة يخلق منها ملك».

١٢ ـ في البحار: «وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أن له سبعين ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يسبّح الله بتلك اللغات كلها، يخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة، ولم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولوشاء أن يبلع السموات والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل».

﴿نظرات في حقيقة الملائكة وآراء في ماهيتهم﴾

وقد اختلفت أنظار الحكماء والمفسّرين، وآراء الفلاسفة والمتكلمين... قديماً وحديثاً في حقيقة الملائكة وماهيتهم إختلافاً كثيراً، فنشير إليها على طريق الاختصار:

فمن الحكماء من يقول: إن الجن جواهر مجرّدة لها تصرّف وتأثير في الأجسام العنصرية من غير تعلّق بها تعلّق النفوس البشرية بأبدانها والشياطين هي القوى المتخيّلة في أفراد الانسان من حيث استيلائها على القوى العقلية وصرفها عن جانب القدس واكتساب الكمالات العقلية إلى اتباع الشهوات واللذات الحسّيّة والوهميّة.

ومنهم: من زعم أن النفوس البشرية بعد مفارقتها عن الأبدان وقطع العلاقة عنها إن كانت خيّرة مطيعة للدواعي العقلية فهم الجن، وإن كانت شريرة باعثة على الشرور والقبائح معينة على الضلال والانهماك في الغواية فهم الشياطين.

فليس عندهم سوى الجن والشياطين، ملائكة، فالملائكة إما جن وإما شياطين...

ومنهم: من يقول بالعالم بين العالمين وعالم المثال، وانهم جعلوا الملائكة والجن والشياطين والغيلان ـ جمع غول: موجود وهميّ ـ من هذا العالم.

في شرح الحديد: «وقال قوم من متأخرى الحكماء: إن نفوس البشر إذا فارقت الأبدان بالموت بقيت قائمة بأنفسها غير مدبّرة لشيء من الأبدان، فان كانت خيّرة صالحة فهي الملائكة، وإن كانت شريرة رديئة الجوهر فهي الشياطين، فالملائكة عند هؤلاء محدثون، وعندهم أن هذه النفوس تساعد نفوساً اخرى متعلقة بتدبير الأبدان، إما على الخير أو على الشر، فما ينسب في الكتب الالهية أنّ اغواء الشياطين للناس

وإضلالهم، فالمراد به تلك النفوس الشرّيرة، ومايتسب فيها إلى إعانة الملائكة لهم على الخير والصلاح، فالمراد به تلك النفوس الخيّرة».

وفي الشفاء لابن سينا: «فالوجود إذا ابتدأ من عندالأوّل لم يزل كلّ تال منه أدون مرتبة من الأول، ولايزال ينحطّ درجات، فأول ذلك درجة الملائكة الروحانية المجرّدة التي تسمّى عقولاً، ثم مراتب الملائكة الروحانية التي نفوساً وهى الملائكة العملة...»

ومن الفلاسفة من يقول: «ان الملائكة هي العقول المفارقة وهي جواهر مجرّدة عن المادة لا تعلّق لها بالأجسام تدبيراً، واحترزوا بذلك عن النفوس لأنها جواهر مفارقة إلّا أنها تدبير الأبدان، و زعموا أنهم أثبتوها نظراً».

وفي شرح الحديد: «البحث السادس في قدم الملائكة وحدوثهم، أما الفلاسفة القائلون بأنهم العقول المفارقة، فانهم ينذهبون إلى قدم الملائكة. وقال غيرهم من أهل الملل: إنّهم محدثون».

وفي الشفاء ـ الطبيعات ـ قال ابن سينا:

«فنقول: إن معاني جميع الامور الكائنة في العالم مما سلف ومما حضر ومما يريد أن يكون موجودة في علم البارئ والملائكة العقلية من جهة، وموجودة في أنفس الملائكة السماوية من جهة ـ وإن الأنفس البشرية أشد مناسبة لتلك الجواهر الملكية منها للأجسام المحسوسة...»

ومنهم من يقول: «إن الموجودات المعلولات الثواني تحاكى أحوال الموجودات الاولى التي هي علل لها، وإن الأشخاص الفلكية ـ الملائكة ـ علل أوائل لهذه الأشخاص التي في عالم الكون والفساد، وإن عالم النفوس متقدم الوجود على عالم الأجسام، وفي طباع العقلاء اشتياق إلى أحوال الملائكة والتشبّه بهم كما ذكر في حدّ الفلسفة انها التشبّه بالاله بحسب الطاقة الانسية».

ومنهم من يقول: ان الملائكة تخالف لنوع النفوس الناطقة البشرية، وانها أكمل قوة وأكثر علماً، ونسبتها إلى النفوس البشرية نسبة الشمس إلى الأضواء، فمنها نفوس ناطقة

فلكية، ومنها عقول مجردة، ومنهم من أثبت أنواعاً آخر من الملائكة، وهي الأرضية المدبرة لأحوال العالم السفلى، خيرها الملائكة، وشريرها الشياطين...».

فالملائكة عندهم جواهر قائمة بأنفسها ليست بمتحيّزة.

وفي الحديد: «والكرّوبيون عند أهل الملّة سادة الملائكة كجبرائيل وميكائيل، وعند الفلاسفة أنّ سادة الملائكة هم الروحانيون ـ يعنون العقول الفعالة وهي المفارقة للعالم الجسماني المسلوبة التعلّق به، لابالحول ولابالتدبير، وأما الكروبيون فدون الروحانيين في المرتبة وهي أنفس الأفلاك المدبّرة لها، الجارية منها مجرى نفوسنا مع أجسامنا.

ثم هي على قسمين: قسم أشرف وأعلى من القسم الآخر، فالقسم الأشرف ماكان نفساً ناطقة غيرحالّة في جرم الفلك كأنفسنا بالنسبة إلى أبداننا، والقسم الثاني ماكان حالاً في جرم الفلك، ويجري ذلك مجرى القوى التي في أبداننا كالحسّ المشترك والقوّة الباصرة».

الكروبيون ـ مخففة الراء ـ هم أقرب الملائكة إلى حملة العرش، وأصله من الكرب بمعنى القرب.

فتقول الفلاسفة: ان الوحي هو إلهام يفيض من نفس النبي الموحى إليه لامن الخارج، وذلك ان نفسه العالية وسريرته الطاهرة وقوّة ايمانه بالله وبوجوب عبادته، وترك ماسواه من عبادة وثنية وتقاليد وراثية يكون لها من التأثير مايتجلّي في ذهنه ويحدث في عقله الرؤى والأحوال الروحية، فيتصور مايعتقد وجوبه إرشاداً إلهيّاً نازلاً عليه من السمآء بدون واسطة أو يتمثّل له رجل يلقّنه ذلك، يعتقد انه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنّما يرى ويسمع مايعتقده في اليقظة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الأنبياء، فكل مايخبر به النبي من كلام ألقي في روعه أو ملك القاه على سمعه فهو خبر صادق عنده.

وتقول: نحن لانشك في صدق محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم في خبره عمارآى وسمع، وإنّما نقول: إن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي وراء

عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس، فان هذا شيء لم يثبت عندنا وجوده كما انه لم يثبت عندنا ماينفيه ويلحقه بالمحال، وإنّما نفسّر الظواهر غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون مالم يثبت.

وفي دائرة المعارف لفريد وجدي: «الوحي وفلاسفة الغرب، كان الغربيون إلى القرن السادس عشر ـ المسيحي ـ كجميع الامم المتدينة يقولون بالوحي لأن كتبهم مشحونة بأخبار الأنبياء، فلمّا جاء العلم الجديد بشكوكه ومادياته ذهبت الفلسفة الغربية إلى أنّ مسئلة الوحي من بقايا الخرافات القديمة، وتغالت حتى أنكرت الخالق والروح معاً، وعللت ماورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنّه إما اختلاق من المتنبأة أنفسهم لجذب الناس إليهم، تسخيرهم لمشيئتهم وإما إلى هذيان مرضي يعتري بعض العصبيين، فيخيل إليهم أنهم يرون أشباحاً تكلمهم وهم لايرون في الواقع شيئاً».

أقول: ومن نتائج تقليد فلاسفة الغرب من فلاسفة الشرق، إنكار الخالق والوحي بتاً، ولكنهم إرتقوا وتمدّنوا أخيراً فندموا عما كانوا عليه من الانكار، فتقهقروا إلى ما كان عليه فلاسفة الشرق فتقول الآن ماقالت هؤلاء من قبل: إن الله منزّه عن المكان، وان الملائكة مهما قيل في روحانيتهم وتجرّدهم عن المادة، فلايعقل أنهم يقابلون الله ويسمعون منه كلاماً لأن هذا كله يقتضي التحيّز وعدم التنزيه المطلق، ولأن الملائكة مهما ارتقوا فلايكونون أعلى من الروح الانساني التي هي من روح الله نفسه، فمثلهم ومثلها سوآء.

فالوحي عند هؤلاء المتمدنين المتجددين في عصرنا هذا كالوحي عند اولئك المتقدمين المتحجرين لايكون إلّا بظهور الشخصية الباطنة للرسول ووحيها إليه ماينفعه وينفع قومه المعاصرين له وبهذه النظرية التي يعدونها حقيقة ظاهرة بالتجربة يحلون ماعسى أن يصادفوه في بعض الكتب السماوية من أنواع المعارف المناقضة للعلم الصحيح، فهم لايقولون بأن تلك الكتب قد حرفت ولكنهم يقولون بأن الشخصية الباطنة لكل رسول إنما تؤتي صاحبها بالمعلومات على قدر درجة تجلّيها فيه، وإستعداده لقبول آثارها، ولذلك قد تختلط معارفها العالية بمعارف باطلة من شخصيته العادية،

فيقع في الوحي خلط كثير بين الغث والسمين، فترى بجانب الاصول العالية التي لم يعرفها البشر إلى ذلك الحين اصول اخرى عامية اصطلح عليها الناس إلى ذلك الزمان.

وعلى هذا فقد اعترف هؤلاء المتجددون المتمدنون المتقهقرون بنبوّات الأنبياء وحلّوا المعضلة العويصة التي كانت تمنعهم قبل هذا الاكتشاف من اعتقاد صدقهم، تلك المعضلة من الأخطار والامور المنافية للعلم والعدل المطلق في بعض كتب الوحي.

نعم! إن الفلاسفة ماداموا على الفلسفة التي لايكون أساسها إلّا وهماً واهياً لايستطيعون أن يعرفوا الله جل وعلا ولاالملائكة ولاأنفسهم، ولاأسرار الكون ولانواميس الوجود على طاقة البشرية مهما ادّعوا الرقى والتمدّن...

وأما المشركون وعبدة الأوثان فكانوا هم أرقى وأحسن تمدّناً من هؤلاء الفلاسفة، لأنهم لاينكرون وجود الملائكة، بل كانوا ينكرون الوحي والرسالة لاستبعادهم اختصاص الله تعالى بعض البشر بهذا التفضيل على سائرهم، وهم متساوون في الصفات البشرية بزعمهم، ولهذا الضلال كرّر موضوع الوحي في القرآن الكريم بأن الرسل بشر كسائر البشر يوحى إليهم وبأنهم ليسوا إلّا مبلّغين لدين الله تعالى الموحى إليهم قال الله عزوجل لخاتمهم المكمل لدينهم بقوله جل وعلا: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنّما إلهكم إله واحد» الكهف: ١١٠).

إن الله تعالى أرسل جميع رسله كان مقاصد جميعهم هداية البشر وإصلاحهم وإعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة، وإنّما تختلف صور العبادات والشرائع باختلاف استعداد الأقوام ومقتضيات الزمان والمكان، وكلهم جاؤا من الله عزوجل وكانوا بشراً يجب الايمان بجميعهم كما قال تعالى: «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله» البقرة: ٢٨٥) والنساء: ١٥٠ - ١٥٢) فالايمان بالجميع بغير تفرقة هو الايمان حق الإيمان، والايمان ببعضهم دون بعض، هو اتباع للهوى في الايمان، وجهل بحقيقة الدين، فلايعتد به لأنه عين الكفر كما عليه

اليهود والنصارى الذين ينحصرون الرسالة والنبوة ببني اسرائيل، غفلة أو عناداً ولجاجاً، فالايمان ببعضهم والكفر بالآخرين هو الكفر بالجميع قطعاً.

ومن المتكلمين من يقول ـ مع أنهم ينكرون الجواهر المجردة ـ: إن الملائكة والجن أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة.

في شرح العقائد: قال المحقق الدواني: الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكلات المختلفة...

وفي شرح المقاصد: قال: ظاهر الكتاب والسنة وهو قول أكثر الامة أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة، كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقّة، شأنها الطاعة، ومسكنها السموات، هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه وامنائه على وحيه، يسبّحون الليل والنهار لايفترون ولايعصون الله ما أمرهم وهم يفعلون مايؤمرون.

وقال: الملائكة عند الفلاسفة هم العقول المجردة والنفوس الفلكية، ويخصّ باسم الكرّوبيّين مالا تكون له علاقة مع الأجسام ولو بالتأثير، وذهب أصحاب الطلسمات إلى أنّ لكلّ فلك روحاً كلّيّاً يدبّر أمره، ويتشعّب منه أرواح كثيرة مثلاً للعرش أعني الفلك الاعظم روح يرى أثره في جميع ما في جوفه يسمّى بالنفس الكلّيّة والروح الأعظم، ويتشعّب منه أرواح كثيرة متعلقة بأجزاء العرش وأطرافه، كما أن النفس الناطقة تدبّر أمر بدن الانسان ولها قوّة طبيعيّة وحيوانية ونفسانية بحسب كل عضو، وعلى هذا يحمل قوله تعالى:

«يوم يقوم الروح والملائكة صفاً» النبأ: ٣٨).

وقوله تعالى: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربهم» الزمر: ٧٥).

وهكذا سائر الأفلاك ، واثبتوا لكل درجة روحاً يظهر أثره عند حلول الشمس تلك الدرجة وكذا لكل من الأيام والساعات والبحار والجبال والمفاوز والعمران وأنواع

النبات والحيوانات وغير ذلك على ما ورد في لسان الشرع من ملك الأرزاق وملك البحار، وملك الأمطار، وملك الموت و نحو ذلك. وبالجملة: فكما ثبت لكل من الأبدان البشرية نفس مدبّرة فقد أثبتوا لكل نوع من الأنواع، بل لكل صنف روحاً يدبّره يسمّى بالطبائع التام لذلك النوع تحفظه عن الآفات والمخافات، ويظهر أثره في النوع ظهور أثر النفس الانسانية في الشخص.

وفي شرح الحديد: قال: وقال أصحابنا المتكلمون: الطريق إلى اثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه، وفي المتكلّمين من زعم أنّه أثبت الملائكة بطريق نظريّ، وهو أنه لمّا وجد خلقاً من طين وجب في العقل أن يكون في المخلوقات خلق من الهواء وخلق من النار، فالمخلوق من الهواء هو الملك، والمخلوق من النار الشيطان.

ثم قال ابن ابي الحديد: البحث الثاني في بنية الملائكة وهيئة تركيبهم، قال أصحابنا المتكلمون: إن الملائكة أجسام لطاف، وليسوا من لحم ودم وعظام، كما خلق البشرمن هذه الأشياء، وقال أبو حفص المعوّد القرينسيّ من أصحابنا: إن الملائكة من أجسام من لحم وعظم، انه لافرق بينهم و بين البشر، وإنّمالم يُروالعبدالمسافة بينا و بينهم.

وقد تبعه على هذا القول جماعة من معتزلة ما وراء النهر وهي مقالة ضعيفة لأن القرآن يشهد بخلافه في قوله: «ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف: ٨٠) وقوله: «إذ يتلق المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد» ق: ١٧) فلو كانوا أجساماً كثيفة كأجسامنا لرأيناهم».

وفيه: قال قوم من الباطنية: السبيل إلى اثبات الملائكة هو الحسّ والمشاهدة وذلك أن الملائكة عندهم أهل الباطن.

وفي البحار: وقيل: تركيب الأنواع الثلاثة من إمتزاج العناصر الأربعة إلّا أن الغالب على الشيطان عنصر النار، وعلى الآخرين عنصر الهواء، وذلك أن لمتزاج العناصر قدلايكون على القرب من الاعتدال بل على قدر صالح من غلبة أحدهما، فان كانت الغلبة للأرضية يكون الممتزج مائلاً إلى عنصر الأرض، وإن كانت

للمائيّة فالى المآء أو للهوائية فالى الهواء أو للنارية فالى النار، لايبرح ولايفارق إلّا بالاجبار أو بأن يكون حيواناً فيفارق بالاختيار وليس لهذه الغلبة حدّ معيّن بل تختلف إلى مراتب بحسب أنواع المتزجات التي تسكن هذا العنصر، ولكون الهواء والنار في غاية اللطافة والشفيف، كانت الملائكة والجن والشياطين بحيث يدخلون المنافذ والمضايق حتى أجواف الانسان، ولايرون بحسّ البصر إلّا إذا اكتسبوا من المتزجات الأُخر التي تغلب عليها الأرضيّة والمائية جلابيب وغواشي، فيرون في أبدان كأبدان الناس أو غيره من الحيوانات، والملائكة كثيراً ماتعاون الانسان على أعمال يعجز هو عنها بقوّته كالغلبة على الأعداء والطيران في الهوآء والمشي على المآء، ويحفظه خصوصاً المضطرّين عن كثير من الآفات».

وفي مجمع البحرين: «ونقل عن المعتزلة انهم قالوا: الملائكة والجن والشياطين متحدون في النوع ومختلفون باختلاف أفعالهم. أما الذين لايفعلون إلّا الخير فهم الملائكة، وأما الذين لايفعلون إلّا الشرّفهم الشياطين، وأما الذين يفعلون الخيرتارة و الشر اخرى فهم الجن، ولذلك عُدّ إبليس تارة في الجن وتارة في الملائكة».

وأما المفسّرون: فمنهم من يقول: إن الملائكة جنس من خلق الله تعالى ذوو أجسام لطيفة نورانية يستطيعون أن يتشكلوا باذن الله عزوجل فيما يشاؤن من الصور.. ومنهم الرسل إلى الأنبياء عليهم صلوات الله بالوحي، ومنهم من يتنفذ من الامور في هذا العالم مايؤمر به ومنهم من تخصص للعبادة.

ومنهم من يقول: إن الملائكة من عالم لطيف غيبيّ غير محسوس، وان الملائكة وإن كانوا غير مرئيين لنا لاينفي العقل وجودهم، فالعلماء اليوم لايدّعون ان الانسان قد أحاط بكل شيء علماً ففي كل يوم يكشف لنا العلم عن كائنات حيّة لم نكن نعلمها من قبل، فهل كانت قبل اكتشافها عدماً ثم وجدت يوم اكتشفها الانسان؟! وتختلف الملائكة عن البشر في أنها كائنات ليس لها قوّة الاختيار، وأنها موكّلة بصفة خاصة بالقوى الطبيعية، وفي طبيعتهم الطاعة وعدم العصيان قال الله تعالى في وصفهم: «ولله

يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون» النحل: ٤٩ ـ ٥٠).

ومنهم من يقول: إن الملائكة موجودات مكرمون هم وسائط بين الله عزوجل وبين العالم المشهود، فما من حادثة أو واقعة صغيرة أو كبيرة إلّا وللملائكة فيها شأن، وعليها ملك موكّل أو ملائكة موكّلون بحسب مافيها من الجهة أو الجهات، وليس لهم في ذلك شأن إلّا إجراء الأمر الالهي في مجراه وتقريره في مستقرّه كما قال تعالى: «لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الأنبياء: ٢٧) فهم لايعصون الله عزوجل فيما أمرهم به، فليست لهم نفسيّة مستقلّة ذات إرادة مستقلّة تريد شيئاً غير ما أراد الله جل وعلا، فلايستقلّون بعمل ولايغيّرون أمراً حمّلهم الله تعالى إياه بتحريف أو زيادة أو نقصان قال تعالى: «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحرم: ٦).

وانهم غير مغلوبين لأنهم يعملون بأمر الله و إرادته «وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض» فاطر: ٤٤).

وانهم موجودات منزّهة في وجودهم عن المادّة الجسمانية التي هي في معرض الزوال والفساد والتغير، ومن شأنها الاستكمال التدريجيّ الذي تتوجه به إلى غايتها، وربّما صادفت الموانع والآفات، فحرمت الغاية، وبطلت دون البلوغ إليها.

وأما ماورد في الروايات من صور الملائكة وأشكالهم وهيآتهم الجسمانية... فانّما هو بيان تمثّلاتهم وظهوراتهم للواصفين من الأنبيآء والأئمّة عليهم السلام وليس من التصوّر والتشكّل في شيء، ففرق بين التمثّل والتشكّل، فتمثّل الملك انساناً هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الانسان فهو في ظرف المشاهدة والادراك ذوصورة الانسان وشكله وفي نفسه، والخارج من ظرف الادراك ملك ذوصورة ملكية، وهذا بخلاف التشكّل والتصوّر فانه لو تشكّل بشكل الانسان وتصوّر بصورته صار إنساناً في نفسه من غير فرق بين ظرف الادراك والخارج عنه، فهو إنسان في العين والذهن معاً.

وأما ماشاع في الألسن أن الملك جسم لطيف يتشكّل بأشكال مختلفة إلّا الكلب

والخنزير والجن جسم لطيف يتشكّل بأشكال مختلفة حتى الكلب والخنزير، فمّا لادليل عليه من عقل ولانقل من كتاب أو سنّة معتبرة، وأما ماادّعاه بعضهم ـ العلامة المجلسي وكثير من المحققين ـ من إجماع المسلمين على ذلك فضافاً إلى منعه لا دليل على حجّيّته في أمثال هذه المسائل الاعتقادية».

أقول: وسيظهر فساد اعتقاده في تضاعيف البحث إن شاء الله تعالى فتأمل جيداً.

ومنهم من يقول: ان حقيقة الملائكة هي وجود خفية طيبة لها صلة بالله تعالى مما كان يعتقده غير العرب، وبخاصة أهل الكتاب الذين كانوا منهم جماعات كثيرة في جزيرة العرب، وأطرافها، وفي مهبط الوحي أيضاً، فتسرب ذلك إلى العرب، وصار إسم الملائكة عَلَماً عليه ثم تطوّر على الوجه الذي حكته الآيات الكثيرة... ولقد أيّد القرآن الكريم ذلك حيث يفيد ماورد فيه عن الملائكة انهم ذوصلة بالله تعالى وانهم يقومون بخدم متنوعة له من تبليغ الأنبياء والرسل أوامر الله تعالى، ومن تولى أمر الجنّة والنار واستقبال المؤمنين والكافرين حسب مايستحق كل منهم فيهما، ومن إنزال العذاب الرباني بمستحقيه في الدنيا، ومن تأييد الأنبياء والمؤمنين، ومن إحصآء أعمال الناس، ومن حمل عرش الله تعالى والتسبيح بحمده، ومن استعدادهم للقيام بكل مهمّة يأمرهم بها الله تعالى دون أن يعصوا له أمراً.

وليس في القرآن الكريم شيء عن ماهيتهم، وكل مافيه في صفتهم انهم أو أن منهم ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع... وقد وردت روايات كثيرة بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يراهم، والآيات العديدة مصرّحة بنزولهم لنزول الوحي وغيره... ومن الروايات تصرح ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يرى جبرئيل حينما ينزل عليه الوحي ويكلّمه حينما يكون بين الناس، وقديراه الناس ولكنّهم لايعرفونه بأنه جبرئيل عليه السلام.

ومهما يكن من أمرهم فانّ وجودهم واختصاصهم بخدمة الله تعالى ثابت بصراحة القرآن الكريم، والايمان بذلك واجب بنص القرآن الكريم على ما جاء في آيات كثيرة:

منها: قوله تعالى: «ولكن البرّمن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» البقرة: ١٧٧ و ٢٨٥).

ومنها: قوله عزوجل: «ومن يكفربالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النساء: ١٣٦).

وليس وجود الملائكة مما هو خارج عن نطاق قدرة الله جل وعلا بطبيعة الحال، ولو لم تدركه عقولنا التي يعنيها إدراك كثير من قوى الكون ونواميس الوجود: وكما أنه ليس في القرآن الكريم تقرير لماهيّتهم فانه لم يرد شيء وثيق في ذلك عن رسول الله وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فعلى هذا يجب علينا الوقوف من أمرهم عند الحدّ الذي وقف عنده القرآن الكريم أو ثبت فيه حديث من أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله، فلايجوز أن يجري في أمر ماهيتهم أو كيفية مايقومون به من أعمال، وما يكونون عليه من حالات في صورهم واشكالهم على التخمينات والاحتمالات والبيانات التي لا تستند إلى القرآن الكريم أو أثر من أهل بيت الوحي عليهم السلام.

نعم! وقد وردت روايات كثيرة من أهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم وهم مهبط الوحي تؤيد بصراحة القرآن الكريم في أن لهم أجنحة، وأنهم ليسوا إلّا عباد الله: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» الأنبياء: ٢٦) فالقرآن الكريم يخبر عن الملائكة ويتحدّث عنهم في شتّى المواضع والمناسبات... يخبر ويتحدّث عن قوى ومخلوقات يعترف السامعون بوجودها. وان الروايات الواردة في كون الملائكة أجساماً لطيفة في غاية الكثرة لايمكن إنكارها، ولا إنكار وجود الأجنحة لهم.

وما قال بعض المفسرين: لابدلنا أن نأوّل الجناح بالجهة لأن للملائكة وجهاً إلى الله تعالى يأخذون منه نعمه ويعطون مَن دونهم مما اخذوه باذن الله سبحانه غير وجيه إذتوهّم ان المشي والجناح ومااليها تنحصر في الأجسام التي نعرفها، جموداً عليها، ومن غير ريب ان لغير الماديات والأجسام المألوفة أيضاً أجزاء وجوارح وأعضاء... كما كانت للأجنة الذين كانوا يعملون لسليمان بن داود عليهما السلام:

«وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب ـ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بنّاء وغواص وآخرين مقرّنين في الأصفاد» ص: ٢١-٣٨).

«ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ـ يعملون له ما يشآء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات» سبأ: ١٢ ـ ١٣).

«قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقوي أمين» النمل: ٣٩).

«هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» آل عمران: ١٢٥).

«إذيوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» الأنفال: ١٢).

ومنهم من يقول: من المعقول أن لله تعالى ملائكة خلقهم أرواحاً مجرّدة كما خلق الناس مواد وأرواحاً ممتزجة، وأن لهم في عالمهم حياة تناسب حالتهم، وأعمالاً تليق بقابلياتهم والقدرة التي خلقت كائنات متمتعة بمادة وروح لا تعجزعن خلق كائنات من أرواح صرفة، وقد جائت العلوم النفسية الحديثة، فأثبتت ان الروح شيء مستقل عن المادة، وانها تستطيع أن تقوم بدونها.

وفي غرائب القرآن: قال النيسابورى: «للناس في حقيقة الملائكة مذهب:

منهم: من زعم أنهم أجسام لطيفة هوائية تقدرعلى التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات وهوقول أكثر المسلمين.

ومنهم: عَبَدة الأوثان القائلون: ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها أحياء ناطقة، فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب.

ومنهم: معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة، وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران مضادا النفس والصورة، مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل خيّرتقى طيب الريح كريم النفس، يسرّو لايضرّ وينفع ولايمنع ويحيى ولايبلى.

وجوهر الظلمة ضد ذلك، فالنور يولّد الأولياء وهم الملائكة لاعلى سبيل التناكح

بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء عن المضيء، وجوهر الظلمة يولد الأعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه. فالملائكة عند هؤلاء الطوائف الثلاث أشياء متحيّزة جسمانية، وتكون ذوات قائمة بأنفسها.

ومنهم: القائلون بأنّها جواهر غير متحيزة. ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى: انها هي النفس الناطقة المفارقة لأبدانها، فان كانت صافية خيّرة فالملائكة وإن كانت خبيثة كثيفة فالشياطين.

وقال الرازي في تفسيره: و«أما الدلائل النقلية فلانزاع البتة بين الأنبياء عليهم السلام في إثبات الملائكة، بل ذلك كالأمر المجمع عليه بينهم».

وفي تفسير البحر المحيط: في قوله تعالى: «انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» الأعراف: ٢٧) قال ابن حيان: لا تدل الآية على عدم إمكان رؤيتنا الجن والشيطان، بل أثبت انهم يروننا من جهة لانراهم نحن فيها وهي الجهة التي يكونون فيها على أصل خلقتهم من الأجسام اللطيفة، ولكن يمكن أن نراها في بعض الصور في بعض الأحيان كما وقعت الرؤية لبعض الناس وتدل الرواية بذلك أيضاً».

ومن المحدثين من يقول وهو العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه:

«تكملة: إعلم أنّه أجمعت الامامية بل جميع المسلمين إلّا من شذّ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب اصولهم وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة، وأنهم أجسام لطيفة نورانية اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكّل بالأشكال المختلفة، وأنّه سبحانه يورد عليهم بقدرته مايشآء من الأشكال والصور على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً، وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. والقول بتجرّدهم وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبائع وتأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلاً على شبهات واهية واستبعادات وهميّة زيغ عن سبيل الهدى واتباع لأهل الجهل والعمى»

وفي البحار: «وبالجملة فالقول بوجود الملائكة والشياطين مما انعقد عليه اجماع

الآراء ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم السلام، وحكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات من الأولياء فلاوجه لنفيها»

وفي الأنوار النعمانية: «والملائكة أجسام نورانية أي مخلوقة من النور. وقيل: انها مخلوقة من الريح مادّية لامجرّدة أقدرها الله تعالى على التّشكّل بالأشكال المختلفة وإن كان لها شكل واحد في ابتداء الخلق».

وقال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «فالامّة مطبقة على أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يرى جبرئيل عليه السلام وملائكة الله المقرّبين ببصره الجسماني، ويسمع كلام الله الكريم على لسانهم القدسيّ بسمعه الجسماني».

وقال رحمة الله تعالى أيضاً: «إن أكثر المسلمين قالوا: بتجسّم الملائكة ـ ان المخالف في ذلك ليس إلّا النصارى والفلاسفة الذين لم يؤمنوا بشريعة، وتكلّموا في جميع امورهم على آرائهم السخيفة وعقولهم الضعيفة».

﴿نزول جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة دحية الكلبي﴾

قال الله عزوجل: «انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين وماصاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين» التكوير: ١٩ ـ ٢٣).

وقد صرّح القرآن الكريم بمواضع عديدة على نزول الملائكة على الأنبياء والأولياء عليهم صلوات الله في مواقع كثيرة، وبنزول جبرئيل عليه السلام لنزول الوحي السماوى على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

في البحار: وفي الحديث: ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لجبرئيل: ما أحسن ما اثنى عليك ربك: «ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين» فما كانت قوّتك؟ وماكانت أمانتك؟

فقال: أما قوّتي فانّي بُعثت إلى مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن، في كل مدينة أربعمأة ألف مقاتل سوى الذرارى، فحملتهم من الأرض السفلى حتّى سمع أهل السموات أصوات الدجاج ونياح الكلاب، ثم هويت بهنّ فقلّبتهنّ، وأما أمانتي فاني لم أومر بشيء فعدوته إلى غيره ـ وقوله: «ولقد رآه بالافق المبين» أي رآى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل عليه السلام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق».

ومن الآيات الكريمة التي تصرح على نزول الملائكة بصورة الانسان على الأنبياء والأولياء عليهم صلوات الله: «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ـ قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا ارسلنا إلى

قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسوّمة عند ربك للمسرفين» الذاريات: ٢٤ ـ ٣٤) والحجر: ٥١ ـ ٧٧) وهود: ٦٩ ـ ٨٣).

ومنها: «كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشآء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيّبة انّك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب إن الله يبشّرك بيحيى مصدّقاً بكلمة من الله وسيّداً وحصوراً ونبياً من الصالحين إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين» آل عمران: ٣٧ ـ ٤٥).

ومنها: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً» مريم: ١٧).

ومنها: «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة ـ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٥) وغيرها من الآيات الكريمة...

وقد وردت روايات كثيرة: ان جبرئيل أمين الوحي عليه السلام كان ينزل على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بصورة دحية الكلبي لنزول الوحي السماوي وغيره عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الدحية ـ بالكسر ـ: رئيس الجند ومقدّمهم، وسيّد القوم من دحاه يدحوه: إذا بسطه ومهّده لأن الرئيس والسيّد له البسط والتمهيد.

وفي الحديث: «يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف دحية، مع كل دحية سبعون ألف ملك».

وبه سمّي دحية بن خليفة بن فروة بن نضالة الكلبي الصحابي المشهور، وهو الذي كان جبرئيل عليه السلام يأتي بصورته، وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة.

في المناقب لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه: «قال ابن عباس: كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا نزل عليه القرآن تلقّاه بلسانه وشفتيه كان يعالج من ذلك

شدة، فنزل: «لاتحرّك به لسانك» وكان إذا نزل عليه الوحي وجد منه ألماً شديداً ويتصدع رأسه، ويجد ثقلا، قوله: «انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» وسمعت مذاكرة: انه نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ستّين ألف مرّة».

وفيه: وأما كيفية نزول الوحي فقد سئله صلّى الله عليه وآله وسلّم الحارث بن هشام: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ، فيفصم عنّى، فقد وعيت ما قال: و أحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعى مايقول».

وفي كمال الدين: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يكون بين أصحابه فيغمى عليه وهو ينصاب عرقاً، فاذا أفاق قال: قال الله عزوجل: كذا وكذا وأمركم بكذا ونهاكم عن كذا، وأكثر مخالفينا يقولون: إن ذلك كان يكون عند نزول جبرئيل عليه السلام عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم فسئل الصادق عليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أكانت تكون عند هبوط جبرئيل؟ فقال: لا إن جبرئيل عليه السلام كان إذا أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فاذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، و إنّما ذلك عند مخاطبة الله عزوجل إيّاه بغير ترجمان و واسطة».

وفي امالي الشيخ: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال بعض أصحابنا: أصلحك الله أكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: وقال جبرئيل (قال جبرئيل خ) وهذا جبرئيل يأمرني، ثم يكون في حال اخرى يُغمى عليه؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، و إذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك، فقال: قال لي جبرئيل وهذا جبرئيل».

وفيه: باسناده عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يغدو إليه عليّ عليه السلام في الغداة وكان يحبّ أن لايسبقه إليه أحد، فدخل فاذاً النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في صحن الدار وإذاً رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام

عليك، كيف أصبح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: بخير يا أخا رسول الله، فقال علي عليه السلام: جزاك الله عنّا أهل البيت خيراً قال له دحية: إنّي احبّك، وإنّ لك عندي مديحة أهديها إليك: أنت أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين وسيّد ولد آدم ماخلا النبيين والمرسلين، لوآء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفّ أنت وشيعتك مع محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وحزبه إلى الجنان، قد أفلح من والاك، وخاب من خسر من خلاّك، محبّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم محبّوك ومبغضه مبغضوك، ولا تنالهم شفاعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ادن من صفوة الله، فأخذ رأس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فوضعه في حجره، فانتبه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: ماهذه الهمهمة؟ فأخبره الحديث، فقال: لم يكن دحية، كان جبرئيل سمّاك باسم سمّاك الله تعالى به، وهو الذي ألقى محبّتك في قلوب المؤمنين ورهبتك في صدور الكافرين».

وفي فروع الكافي: باسناده عن عليّ عليه السلام قال: لمّا امر الله عزوجل رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم باظهار الاسلام وظهر الوحي رآى قلّة من المسلمين، وكثرة من المشركين، فاهتمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم همّاً شديداً، فبعث الله عزوجل إليه جبرئيل عليه السلام بسدر من سدرة المنتهى فغسل به رأسه فجلا به همّه».

وفي البحار: عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام إن يوم النيروز هو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل عليه السلام على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: لعلّ أول مرّة نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو يوم النيروز.

وفيه: قالوا: إن جبرئيل عليه السلام كان يأتي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في صورة الآدميّين، فسئله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فأراه نفسه مرّتين: مرّة في الأرض، ومرّة في السمآء، أمّا في الأرض ففي الافق الأعلى وذلك أن محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم كان بحراء فطلع له جبرئيل عليه السلام من المشرق فسدّ الافق إلى المغرب، فخرّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مغشيّاً عليه فنزل

جبرئيل عليه السلام في صورة الآدميّين فضمّه إلى نفسه»

وفي الأنوار النعمانية: روي ان جبرئيل عليه السلام كان يأتي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بصورة دحية الكلبي، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم له عليه السلام يوماً: يا جبرئيل! أُحِبُّ أن أراك بصورتك الأوّلية؟ فقال: لا تطيق يا رسول الله، فقال: بلى فقال: نعم آتيك غداً فلمّا أن كان الغدأتى جبرئيل عليه السلام فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاذا هو قد نزل من السمآء ونشر جناحين له: جناح في المشرق وجناح في المغرب، وملأ مابين الخافقين ببدنه فلم يتمكّن من النظر إليه حتّى غشى عليه، فتصور بصورة اخرى ثم أفاق النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من غشيته».

أقول: وذلك ان عالمنا الناسوتي بالنسبة إلى عالم جبرئيل اللاهوتي أقل مرتبة من القطرة بالنسبة إلى البحار كلها، فلايتسع عالم الناسوت مايكون من عالم اللاهوت على صورته وإلى ذلك أشار تعالى في قوله: «وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون» الأنعام:٨-٩).

لانّ عالم المادة الضيّق لايتسع لعالم الأرواح الواسعة، ولاأهل عالم المادة المتوغّلون فيها، القاطنون في دار الطبيعة لا تطيقون مشاهدة الملائكة لكون ظرفهم غير ظرفهم، فلونزلوا عليهم على صورتهم الأولية فلايتسعهم ظرفهم، ولو وقع الناس في ظرفهم لما كان ذلك إلّا انتقالاً منهم من حضيض المادة إلى ذروة ماوراءها وهو الموت.

فليس في هذا شيء على النّبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عالماً بضيق عالم المادة وسعة ماورا ئها، وعدم اتساعه لها، ولكنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم شآء أن ينبّهنا على ذلك فتأمل جيداً واغتنم جداً.

«قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السمآء ملكاً رسولاً» الاسراء: ٩٥)

فكان جبرئيل عليه السلام عند نزوله على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ينخلع من صورة الملكية إلى صورة البشرية، فيأخذ منه النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذلك

الملائكة عند نزولهم على أهل الأرض أحياناً...

إن قلت: كيف يمكن أن يتبدّل ماليس بمادة بمادة، ثم يعود إلى حالته الاولى؟

قلت: إن الملك روح عاقل محض مريد له قوّة التصرف في المادة، فهو يأخذ من مادة الكون الصورة التي يريدها كما أن علم الكيمياء في هذا العصر يقرب إلى التصور هذا التصور بما ثبت فيه من تحوّل كل مادة من الكثافة إلى اللطافة، والعكس، وما بينهما بقوّة الحرارة وأقواها حرارة الكهربائيه، وان الملك كان يتصرّف في الكهربائية كما يشاء، ويتمثل بصورة المادة باذن الله تعالى، وكان ذلك انتقال الملك من الروحانية المحضة إلى البشرية الجسمانية، كما يمكن العكس من الانسلاخ من البشرية الجسمانية والاتصال بالملكية الروحانية كما للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم حال الوحي، مع أن غلبة الروح على المادة ثابتة لاريب فيها، والله جل وعلا هو أعلم.

وفي الملل والنحل: «وقد يتمثّل الملك الروحاني له (للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم) بمثال صورة البشر تمثل المعنى الواحد بالعبارات المختلفة، أو تمثل الصورة الواحدة في المرايا المتعددة، أو الظلال المتكثرة للشخص الواحد، فيكالمه مكالمة حسّية، ويشاهده مشاهدة عينية، ويكون ذلك بطرفه الجسماني، وإن انقطع الوحي عنه لم ينقطع عنه التأييد والعصمة حتّى يقوّمه في أفكاره ويسدّده في أقواله ويوفقه في أفعاله.

ولا تستبعدوا معاشر الصابئة تلقي الوحى على الوجه المذكور، ونزول الملك على النسق المعقود، وعندكم أن هرمس العظيم صعد إلى العالم الروحاني فانخرط في سلكهم، فاذا تصور صعود البشر، فلم لايتصور نزول الملك؟ وإذا تحقق أنه خلع لباس البشرية، فلم لايجوز أن يلبس الملك لباس البشرية؟ فالحنيفية اثبات الكمال في هذا اللباس، أعني لباس الناس، والصبوة إثبات الكمال في خلع كل لباس، ثم لايتطرق ذلك لهم حتى يثبتوا لباس الهياكل أوّلاً، ثم لباس الأشخاص والأوثان ثانياً، ولقد قال لهم رأس الحنفاء متبرئاً عن الهياكل والأشخاص:

«إنّي بريء مما تشركون إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً

وما أنا من المشركين» الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩).

إن الله جل وعلا سخّر الهيولى، مطيعة للنفوس بازالة صورة واثبات صورة، وحيثما كانت النفوس الانسانية أشد مناسبة للنفوس الفلكية، بل وللعقل الفعّال كان تأثيرها في الهيولى أشد وأغرب، وقدتصفو النفس صفاءً شديداً لاستعداد ماللا تصال بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم مالايصل إليه من هو في نوعه بالفكر والقياس، فبالقوة الاولى يتصرّف في الأجرام بالتقليب والإحالة من حال إلى حال، وبالقوة الثانية يخبر عن غيب، ويكلمه ملك، فيكون ماللأنبياء عليهم صلوات الله وحياً وماللاولياء إلهاماً.

فللنفس القوية أن تتصل في اليقظة بعالم الغيب، فيرى صاحبها في اليقظة صورة جميلة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذي يراه النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ويسمع منه أصواتاً منظومة...

ولايخفى ان الوحي هو عرفان يجده الشخص الموحى إليه من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة، وهذا التعريف يشمل لأنواع الوحي الثلاثة الواردة في قوله تعالى: «و ماكان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء انه عليّ حكيم» الشورى: ٥١) فالوحي هنا إلقاء المعنى في القلب، والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام الله جل وعلا من حيث لايراه كما كلّم الله موسى عليه السلام، وأما الثالث فهو مايلقيه ملك الوحي المرسل من الله تعالى إلى نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه.

وفي التوحيد: فيما أجاب به الامام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام عن أسئلة الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن: قال عليه السلام: وأما قوله: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء» الشورى: ٥١) وقوله: «وكلّم الله موسى تكليماً» النساء: ١٦٤) وقوله: «وناداهما ربهما» الأعراف: ٢٢) وقوله: «يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة» البقرة: ٣٥) فأما قوله: «ما

كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب» فانه ماينبغي لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً وليس بكائن إلاّ من وراء حجاب «أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشآء» كذلك قال الله تبارك وتعالى علوّاً كبيراً، قدكان الرسول يوحى إليه من رسل السمآء، فتبلّغ رسل السمآء رسل الأرض، وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض و بينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السمآء، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

يا جبرئيل هل رأيت ربك؟ فقال جبرئيل: إن ربّي لايرى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أين تأخذ الوحي؟ فقال: آخذه من إسرافيل فقال: ومن أين يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين، قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً، فهذا وحي وهو كلام الله عزوجل، وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلّم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله فاكتف بما وصفت لك من كلام الله، فانّ معنى كلام الله ليس بنحو واحد فانه (فان خ) منه ماتبلّغ منه رسل السماء رسل الأرض، قال: فرّجت عنّي فرّج الله عنك، وحللت عنّي عقدة فعظّم الله أمرك يا أميرالمؤمنين».

ولايخفى: ان سؤال النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن رؤية الرب سبحانه بعد ما علم بالعقل أنه يمتنع عليه الرؤية ليعلم بالوحي أيضاً كما علم بالعقل وليخبر الناس بما اوحي إليه من ذلك وينبّههم على أنه سبحانه «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» الأنعام: ١٠٣).

وفي بصائر الدرجات: باسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّا لنزاد في الليل والنهار ولو لم نزد لنفد ما عندنا، قال أبوبصير: جعلت فداك من يأتيكم به؟ قال: إن منّا من يعاين، و إنّ منّا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، ومنّا من يسمع باذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطشت، فقلت له: من الذي يأتيكم بذلك؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل».

وفيه: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان جبرئيل عليه السلام يملي على النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يملى على عليّ عليه السلام فنام النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نومة ونعس نعسة، فلمّا رجع نظر إلى الكتاب فمدّيده قال؛ من أملى هذا عليك؟ قال: أنت، قال: لا بل جبرئيل».

وفيه: باسناده عن زرارة قال: سئلت أباجعفر عليه السلام مَنِ الرسول؟ مَنِ النبي؟ مَنِ المحدّث؟ فقال: الرسول: الذي يأتيه جبرئيل فيكلّمه قبلاً فيراه كما يرى أحدكم صاحبه الذي يكلّمه فهذا الرسول، والنبيّ: الذي يؤتى في النوم نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان يأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من السبات إذا أتاه جبرئيل في النوم، فهكذا النبيّ، ومنهم مَن تجمع له الرسالة والنبوّة، فكان رسول الله رسولاً نبيّاً يأتيه جبرئيل قبلاً فيكلّمه ويراه ويأتيه في النوم، وأما المحدّث فهو الذي يسمع كلام الملك فيحدّثه من غير أن يراه، ومن غير أن يأتيه في النوم».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعنى في حجره وأنا وليدٌ، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقّمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولاخطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله وسلّم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنتُ أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولايراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رَنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيسَ من عبادته، انك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلّا أنك لست

بنبيّ وللنك لوزير وانك لعلى خير».

وفي شرح الحديد: «وفي الأحاديث الصحيحة: أن جبرائيل كان يأتي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على صورة دحية الكلبي وإنه كان يوم بدر على فرس إسمه حيزوم، وإنه سُمِعَ ذلك اليوم صوته: أقدِمْ حيزوم».

وفي الاحتجاج: فيما أجاب الامام أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام عن أسئلة الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن الكريم فقال عليه السلام: «وأما قوله: «ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى» يعني محمّداً كان عند سدرة المنتهى حيث لايجاوزها خلق من خلق الله عزوجل وقوله ـ في آخر الآية ـ: «مازاغ البصر وماطغى لقد رآى من آيات ربه الكبرى» رآى جبرئيل في صورته مرّتين: هذه مرّة ومرّة اخرى، وذلك ان خلق جبرئيل خلق عظيم فهو من الروحانيين الذين لايدرك خلقهم ولاصفتهم إلّا الله رب العالمين».

وفي اصول الكافي: باسناده عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا اسرى بي إلى السمآء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قطّ جبرئيل، فكشف له فأراه الله من نور عظمته ما أحبّ».

وفي البحار: عن ابن عباس في قوله تعالى: «لقد رآه بالافق المبين» قال: إنّما عنى جبرئيل، إن محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم رآه في صورته عند سدرة المنتهى».

وفي الدر المنثور: عن ابن مسعود «لقد راه بالافق المبين» قال: جبرئيل في رفرف أخضر قد سدّ الافق قال: رآى صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل له ستمأة جناح قد سدّ الافق».

وفي البحار: عن ابن عباس قال: جلس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مجلساً فأتاه جبرئيل، فجلس بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واضعاً كفّيه على ركبتي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله! حدّثني عن الاسلام؟ قال: الاسلام أن تسلم وجهك لله عزوجل، وأن تشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله. قال: فاذا فعلت ذلك فقد أسلمت. فقال: يا رسول الله صلّى

الله عليه وآله وسلّم! حدّثني عن الايمان؟ قال: الايمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والموت والحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان، وتؤمن بالقدر كلّه خيره وشرّه. قال: فاذا فعلت ذلك فقد آمنتُ. قال: يا رسول الله! حدّثني ما الاحسان؟ قال: الاحسان أن تعمل لله كأنّك تراه فان لم يكن تراه فانه يراك».

وفيه: عن أنس وغيره بأسانيد قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالساً مع أصحابه إذ جآئه رجل عليه ثياب السفر يتخلّل الناس حتّى جلس بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فوضع يده على ركبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد ما الاسلام ـ وساقوا الحديث مثل ما مرّ إلى قولهم ـ يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وأدبر الرجل، فذهب، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليّ بالرجل فاتّبعوه يطلبونه فلم يروا شيئاً، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ذلك جبرئيل، جاءكم ليعلّمكم دينكم.

وفي الدر المنثور: وأخرج أبو الشيخ عن شريح بن عبيد: أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا صعد إلى السماء رآى جبريل في خلقته، منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت قال: فخيّل إليّ أنّ مابين عينيه قد سدّ الافق، وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة، وأكثر ماكنت أراه على صورة دحية الكلبي وكنت أحياناً أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال».

وفي البحار: روي أن ابن صوريا وجماعة من يهود فدك أتوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فسئلوه عن مسائل فأجابهم، فقال له ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك: أيّ ملك يأتيك بما أنزل الله (بما ينزل الله خ) عليك؟ قال: فقال: جبرئيل قال: ذلك (ذاك خ) عدوّنا وينزل بالقتال والشدّة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنّا بك فأنزل الله هذه الآية: «قل من كان عدوّاً لجبرئيل فانه نزّله على قلبك...» البقرة: ٩٧) لامن تلقاء نفسه، وإنّما أضافه

إلى قلبه لأنه إذا أُنزل عليه كان يحفظه ويفهمه بقلبه».

وفي المجمع: في قوله تعالى: «لجعلناه رجلاً» الأنعام: ٩) لانّهم لايستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن أعين الخلق تحارعن رؤية الملائكة إلاّ بعد التجسّم بالأجسام الكثيفة، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الانس، وكان جبرائيل يأتي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في صورة دحية الكلبي، وكذلك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب واتيانهم ابراهيم ولوطاً في صورة الضيفان من الآدميين».

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس قال: جاء ابليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان: «لاغالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم» الأنفال: ٤٨) وأقبل جبرئيل عليه السلام على إبليس وكانت يده في يد رجل من المشركين، فلمّا رآى جبرئيل انتزع يده وولىّ مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل: ياسراقة انك جار لنا؟ فقال: «إنّي أرى ما لا ترون» الأنفال: ٤٨) وذلك حين رآى الملائكة «إني أخاف الله والله شديد العقاب» الأنفال: ٤٨) قال: ولمّا دنا القوم بعضهم من بعض قلّل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلّل الله المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: وماهؤلاء «غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم»الأنفال: ٤٩).

وفيه: عن ابن عباس قال: لمّا تواقف الناس -يوم بدر- اغمى على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شاعة، ثم سرى -كشف خ- عنه فبشّر الناس بجبرئيل عليه السلام في جند من الملائكة ميمنة الناس، وميكائيل في جند آخر ميسرة -الناس- واسرافيل في جند آخر ألف، وإبليس قد تصوّر في صورة سراقة بن -مالك- جعشم المدلجي يجير (يؤيد خ) المشركين ويخبرهم أنه لاغالب لهم اليوم من الناس، فلمّا أبصر عدوالله الملائكة «نكص على عقبيه وقال اني بريئ منكم إنّي أرىٰ مالا ترون» الأنفال: ٤٨) فتشبّث به الحارث (الحرث بن هشام خ) -وهو يرى أنه سراقة لمّا سمع من كلامه، فضرب في صدر الحرث فسقط الحرث- وانطلق ابليس لايرى حتّى سقط في البحر، ورفع يده،

وقال: يا ربّ موعدك الذي وعدتني».

وفيه: عن الحسن في قوله: «اني أرى مالا ترون» قال: أرى جبرئيل عليه السلام معتجراً بردائه يقود الفرس بين يدي أصحابه ماركبه».

وفي روضة الكافي: باسناده عن الحسين أبي العلاء الخفّاف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا انهزم الناس يوم احد ـ وساق الحديث الطويل إلى أن قال ـ: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك، فأقبل علي عليه السلام إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله أسمع دويّاً شديداً وأقدم حيزوم، وما أهمُّ أضْرِبُ أحداً إلاّ سقط ميّتاً قبل أن أضربه؟ فقال: هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ثم جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد! إن هذه لهي المواساة فقال: إنّ علياً منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، ثم انهزم الناس ـ وساق الحديث إلى قوله ـ فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلّما سمعوا وقع حافر فرسه جدّوا في السير، وكان يتلوهم، فاذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمّد قد أقبل، فدخل أبوسفيان مكّة فأخبرهم الخبر، وجاء الرعاة والحطّابون فدخلوا مكّة، فقالوا: رأينا عسكر محمّد كلّما رحل أبوسفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبّخونه...» الحديث. حيزوم: اسم فرس جبرئيل عليه السلام وأشقر من الخيل: حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب.

وفيه: باسناده عن أبي يزيد الحمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل عليهم السلام فمرّوا بابراهيم عليه السلام وهم معتمّون فسلّموا عليه فلم يعرفهم ورآى هيئة حسنة، فقال: لا يخدم هؤلاء أحدٌ إلاّ أنا بنفسي وكان صاحب أضياف، فشوى لهم عجلاً سميناً حتى أنضجه ثم قرّبه إليهم فلمّا وضعه بين أيديهم «رآى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة» هود: ٧٠) فلمّا رآى ذلك جبرئيل عليه السلام حسر العمامة عن وجهه وعن رأسه، فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال: أنت هو؟ فقال: نعم ومرّت إمرأته

سارة فبشّرها باسحق ومن وراء إسحاق يعقوب، فقالت: ما قال الله عزوجل؟ فأجابوها بما في الكتاب العزيز...

فقال ابراهيم عليه السلام لهم: فيماذا جئتم؟ قالوا له: في إهلاك قوم لوط فقال لهم: إن كان فيها مأة من المؤمنين تهلكونهم؟ فقال جبرئيل عليه السلام: لاقال: فان كانوا خمسين؟ قال: لاقال: فان كانوا ثلاثين؟ قال: لاقال: فان كانوا عشرين؟ قال: لاقال: فان كانوا عشرة؟ قال: لاقال: فان كانوا خمسة؟ قال: لا،قال: فإن كانوا واحداً؟ قال: لاقال: إن فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين ـ وساق الحديث إلى قوله ـ فأتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب المدينة فسلّموا عليه وهم معتمّون، فلمّا رآهم هيئة حسنة عليهم عمائم بيض وثياب بيض فقال لهم: المنزل فقالوا: نعم فتقدّمهم ومشوا خلفه، فندم على عرضه عليهم المنزل وقال: أيّ شيء صنعت آتى بهم قومي وأنا أعرفهم فالتفت إليهم، فقال:

إنكم تأتون شرار خلق الله، وقد قال جبرئيل عليه السلام: لانعجل عليهم حتى يشهد ثلاث شهادات، فقال جبرئيل عليه السلام: هذه واحدة، ثم مشى ساعة ثم إلتفت إليهم فقال: إنكم تأتون شرار خلق الله، فقال جبرئيل عليه السلام هذه اثنتان، ثم مضى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم، فقال: انكم تأتون شرار خلق الله، فقال جبرئيل عليه السلام: هذه ثالثة ثم دخل ودخلوا معه فلمّا رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة، فصعدت فوق السطح وصعقت فلم يسمعوا، فدخنت فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون إلى الباب، فنزلت إليهم فقالت: عنده قوم مارأيت قطّ أحسن منهم هيئة، فجاؤوا إلى الباب ليدخلوها، فلمّا رآهم لوط قام إليهم فقال: يا قوم اتقوا الله «ولاتخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد» هود: ٧٨) فقال: «هؤلاء بناتي هنّ أطهرلكم» هود: ٧٨) فدعاهم إلى الحلال فقالوا: «لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد» هود: ٧٩) فقال: «لو أنّ لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد» هود: ٨٠).

فقال جبرئيل عليه السلام: لويعلم أيّ قوة له فكاثروه حتى دخلوا البيت قال:

فصاح به جبرئيل يا لوط! دعهم يدخلون فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قوله: «فطمسنا أعينهم» القمر: ٣٧) ثم نادى جبرئيل فقال: «إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل» هود: ٨١) وقال له جبرئيل: إنّا بعثنا في إهلاكهم، فقال: يا جبرئيل عجّل؟ فقال: «إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» هود: ٨١) قال: فأمره فتحمل ومن معه إلّا امرأته، قال: ثم اقتلعها جبرئيل بجناحيه من سبع أرضين ثم رفعها حتّى سمع اهل سماء الدّنيا نباح الكلاب، وصياح الديكة، ثم قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل».

وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اتّخذ الله عزوجل ابراهيم خليلاً أتاه بُشراه بالخلّة فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه مآءاً ودهناً فدخل ابراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه، ثم رجع ففتح، فاذا هو برجل قائم أحسن مايكون من الرجال فأخذه بيده وقال: يا عبد الله من أدخلك داری فقال: ربّها أدخلنيها فقال: ربّها أحق بها منّي فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، ففزع إبراهيم عليه السلام فقال: جئتني لتسلبني روحي؟ قال: لا ولكن اتخذ الله عبداً خليلاً فجئت لبشارته، قال: فمن هو لعلّي أخدمه حتى أموت؟ قال: أنت هو فدخل على سارة عليه السلام فقال لها: إن الله تبارك وتعالى اتخذني خليلاً».

قيل: لعلّ السّرّ في تخصيص ملك الموت بالبشارة بالخلة كونه سبباً للقاء الله سبحانه والوصول إليه وبالبشارة بالخلة يشتاق قلب الخليل إلى لقاء خليله ووصوله اليه.

﴿هل يستطيع الانسان أن يرى الملائكة﴾

وهل يمكن أن تكون الملائكة في أماكن مختلفة آناً واحداً؟

في الاحتجاج: عن أبي محمّد الحسن العسكري عليهما السلام ـ فيما احتجّ به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على المشركين ـ ثم قال رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: وأما قولك لي: «لو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا» فالملك لا تشاهده حواسّكم لأنه من جنس هذا الهوآء لاعيان منه، ولو شاهدتموه ـ بأن يزاد في قوي أبصاركم ـ لقلتم: ليس هذا ملكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأنّ مايقوله حق، بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جآء به انه معجزة، وان ذلك شهادة من الله بالصدق له، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما ـ تعجزون عنه ـ يعجز عنه ـ جميع ـ البشر لم يكن في ذلك مايدلكم ان ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً.

ألا ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأن لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنه آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فان الله عزوجل سهل عليكم الأمر وجعله بحيث تقوم عليكم حجته، وأنتم تقترحون عمل الصعب الذي لا حجة فيه».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فالملك لا تشاهده حواسكم لأنّه من جنس هذا الهواء لاعيان منه» كلام ما عرف حتى بعض معناه إلّا بعد مضيّ أكثر من عشرة قرن عليه

بأنّ الهواء جسم بسيط، مركّب من ٢٥٪ اوكسيجين، و ٧١٪ ازوت، وأن كل مقدار من الهواء بالوزن، مكوّن من (٢٣) من الاوكسيجين و (٧٧) من الأزوت، لا تشاهده حواسنا، وإن كنّا نستنشقه في كل آن ونعيش به، وبه تدوم الحياة الحيوانية والنباتية بما فيه من الاوكسيجين، وقد ثبت بالتجربة العلمية: ان كل إنسان يستهلك في الساعة الواحدة عشرة أمتار مكعبة من الهواء النقي، ولايحسّه إلّا عند هبوب الرياح...

وأمّا إذا ركّبت مادتا الاوكسيجين والايدروجين فصار ماءً، فتشاهده حواسنا... «وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» الأنبياء: ٣٠) فالماء مكوّن من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين، فاذا تحلل الماء فصار هواءً فلا تشاهده حواسّنا...

نعم: ان الماء النازل من السمآء وخلقه في ذاته خارقة، وإن كنّا نمرّ بهذه الخارقة سراعاً لطول الألفة وكثرة التكرار، غافلين عنها جداً، ولانتفكّر دقائق... في تحليل الماء وتركيبه لنعرف أن ما لم تشاهده حواسنا قبل التركيب، كيف صار مشهوداً لحواسّنا بعد التركيب؟ وما تشاهده حواسّنا قبل التحليل كيف صار غيرمشهود لحواسنا بعد التحليل.

ومهما عرفنا انه ينشأ من اتحاد ذرّتي ايدروجين بذرة اكسوجين تحت ظروف معينة، فان هذه المعرفة خليقة بأن توقظ قلوبنا إلى رؤية يدالله تعالى التي صاغت هذا الكون بحيث يوجد الايدروجين ويوجد الاوكسيجين، وتوجد الظروف التي تسمح باتحادهما، وبوجود الماء من هذا الاتحاد، ومن ثمّ وجود الحياة في هذه الأرض، ولولا الماء ماوجدت الحياة انها سلسلةمن التدبير حتى نصل إلى وجود الماء، ووجود الحياة، والله جل وعلا من وراء هذا التدبير، وكلّه مما صنعت يداه ثم نزول الماء بعد وجوده وهو الآخر خارقة جديدة ناشئة من قيام الأرض والكون على هذا النظام الذي يسمح بتكوّن الماء ونزوله، وتكوّن الملائكة ونزوله وفق تدبير الله جل وعلا.

فالانسان في حالته العادية غيرمستعدّ لرؤية الملائكة والجن والشيطان مع كونهم

على حالتهم التي خلقوا عليها، وأما إذا تصوّروا بصور فيدركها الانسان، كالماء قبل التركيب وبعده، وإن رؤية النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل عليه السّلام مرتين: مرة في الأرض ومرة في السّماء بأمر الله تعالى على صورته الأصلية فهي من مختصّاته صلّى الله عليه وآله وسلّم كما إنّ تصور الملائكة بصور يراها الانسان فهو من المعجزات قطعاً، لا تقع دائماً ولا لكل إنسان، فان كل إنسان إذا رأوا الملائكة أو الجن أو الشياطين على صور الاجسام فما كان للوحي والرسالة قدراً ولا للمعجزة منزلة!

ولا يخفى انه ليس للهواء ولا للماء لون ولاطعم ولا رائحة، ولذلك لا يوصف، فكذلك الملائكة... على خلقتهم الأصلية.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام:

«بل إن كنت صادقاً أيها المتكلّف لوصف ربك، فصِفْ جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مُرْجَحِنّين، متولّهة عقولهم أن يَحُدُّوا أحسن الخالقين وإنّما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات...».

قوله عليه السلام: «المتكلّف» من التكلّف: التجشم وإرتكاب الشيء على مشقّة، و«حجرات» حجرة القوم ـ بالفتح ـ: ناحية دارهم، و ـ بالضم ـ: الغرفة وقيل: الموضع المنفرد، و«مُرْجحنّين» من أرجحنّ الشيء كاقشعرّ أي مال من ثقله وتحرّك، وقيل: أي مائلين إلى جهت التحت خضوعاً لله جل وعلا، ولعل المراد بحجرات القدس: المواضع المعدّة لهم في السموات وهي محالّ القدس والتنزّه عن المعاصي ورذائل الأخلاق، و«متولّهة» من الوله: الحزن والحيرة والخوف، و«أن يحدّوا أحسن الخالقين» أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته وعلمه أو مقدار عظمته.

قال بعض الظرفاء: إن المعارف والمعاني والعلوم الشريفة تشرق على النفوس لتصلها بعوالم مشرقة فيها هذه المعاني، وماعقولنا إلّا كالعين، وماتلك العوالم إلّا كالكواكب

المضيئة، وما المعرفة إلّا إنكشاف المعاني بتلك الأنوار الباطنية، فنسبة تلك العوالم إلى عقولنا كنسبة الشمس إلى أبصارنا، ونسبة إنكشاف المعاني إلى بصائرنا كنسبة إنكشاف المرئيات إلى أبصارنا، فلولا الضياء مارآى الناس الأجسام، هكذا عالم الملائكة، فبالعين قد ترى الظواهر إذا تصوروا بصور، وبالعقول ترى البواطن والحقائق، وحقائق الظواهر...

ومنهم من قال: إن النفس الناطقة السارية في أقطار البدن وحواسّها الظاهرة وقواها الباطنة إذا تحققت بمظهرية الاسم الجامع كان التروحن ـ التروح ـ من بعض حقائقها اللازمة، فيظهر في صور كثيرة من غير تقيّد وانحصار، فيصدق تلك الصور عليها ويتصادق الاتحاد عينها كما يتعدد لاختلاف صورها كالنائم الذي يرى في منامه انه يسير في أماكن متعددة ويتعلّم ويتكلّم... وجسده في محلّه ولذا قيل في إدريس عليه السلام: انه هو إلياس المرسل إلى بعلبك لابمعنى أن العين خلع الصورة الادريسية ولبس الصورة الالياسيّة، بل إن هوية إدريس مع كونها قائمة في إنيته وصورته في السماء الرابعة، وظهرت وتعيّنت في انيّة إلياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدة، ومن حيث التعيّن الصوري إثنين كنحو جبرئيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام يظهرون في الآن الواحد في مأة ألف مكان بصور شتّى كلها قائمة بهم، وكما يمكن أن يرى إمام زمانا حجة بن الحسن المهدي صلوات الله عليه ويكون حاضراً في زمان واحد في مجالس متعددة وأماكن مختلفة، مشتغل في كل بأمر غير ما في الآخر.

وقال بعض المفسّرين في قوله تعالى: «إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» فصلّت: ٣٠ ـ ٣١): هذا في مقابلة ماذكره في وعيد الكفّار إذ قال: «وقيّضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم» فصّلت: ٢٥)

ومعنى كون الملائكة أوليآء للمؤمنين أنّ للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقيّة، كما أن للشياطين تأثيرات في

الأرواح بالقاء الوساوس فيها، وتخييل الأباطيل إليها، وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيّبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات، فهم يقولون كما أن تلك الولاية كانت حاصلة في الحياة الدنيا فهي تكون باقية في الدار الآخرة، فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال، بل كأنّها تصير بعد الموت أقوى وأبقى.

وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس، والقطرة بالنسبة إلى البحر، والتعلّقات الجسدانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات».

فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فقد زال الغطاء والوطاء، فيتّصل الأثر بالمؤثّر، والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس، فهذا هو المراد من قوله: «نحن أولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

﴿كثرة الملائكة وأجنحتهم﴾

قال الله عزوجل: «جاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشآء» فاطر: ١).

وقد وردت روايات كثيرة في أجنحة الملائكة فنشير إلى نبذة منها:

١ ـ في روضة الكافي باسناده عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس خلق أكثر من الملائكة إنّه لينزل كل ليلة من السماء سبعون ألف ملك فيطوّفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم».

٢ ـ في البحار: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ماخلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنّه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فاذاهم طافوا به، نزلوا فطافوا بالكعبة، فاذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر أميرالمؤمنين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم عرجوا وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة».

٣ ـ في تفسير القمي باسناده عن حمّاد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل: هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات (وفي الأرض خ) أكثر من عدد التراب في الأرض وما في السمآء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدسه، ولا في الأرض شجر ولامدر إلّا وفيها ملك موكّل بها يأتي الله كل يوم بعملها والله أعلم بها، ومامنهم أحد إلّا ويتقرّب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعدائنا، ويسئل الله ان يرسل عليهم العذاب إرسالاً».

٤ ـ في الدر المنثور: عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حدّثهم عن ليلة الاسراء قال: فصعدت أنا وجبرئيل إلى السماء الدنيا، فاذا أنا بملك يقال له: «اسمعيل» وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك جنده مأة ألف وتلاهذه الآية: «وما يعلم جنود ربك إلّا هو».

٥ ـ في البحار: أن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حين عرج به رآى الملائكة في موضع بمنزلة سوق بعضهم يمشي تجاه بعض، فسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّهم إلى أين يذهبون؟ فقال جبرئيل عليه السلام: لا أدرى إلّا أني أراهم منذ خلقت، ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك، ثم سئلوا واحداً منهم، وقيل له: منذكم خلقت؟ فقال: لا أدري غير ان الله تعالى يخلق كوكباً في كل أربعمأة ألف سنة، فخلق مثل ذلك الكوكب منذ خلقني أربعمأة ألف كوكب».

٦ ـ في تفسير غرائب القرآن: روي أن بني آدم عُشر الجن، والجن وبنو آدم عشر حيوانات البرّ، وهؤلاء كلّهم عشر الطيور، وهؤلاء عشر حيوان البحر، وكلهم عشر ملائكة الأرض الموكّلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية، وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السمآء السابعة، ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل، ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمأة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض ومافيها فانّها كلها يكون شيئاً يسيراً وقدراً قليلاً، ومامقدار موضع قدم إلّا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم، لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر، ولايعرف عددهم إلّا الله، ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل، والملائكة الذين هم جنود جبرائيل وهم كلهم سامعون مطيعون، لايستكبرون عن عبادته ولايسأمون».

٧ ـ في الأنوار النعمانية: وأما في جانب الكثرة فلايعلم عددهم سواه تعالى ثم قال: واعلم أن الملائكة على كثرتهم لايخلو أحد منهم من خدمة خاصة، وكلّ منهم له

مقام معلوم كما حكاه تعالى عنهم: «وما منا إلاّ له مقام معلوم» الصافات: ١٦٤) وهو مقام في السموات، فان كل جماعة منهم له مكان خاص وعبادة خاصّة والمثل ولله الأمثال العليا كما أن السلطان له أتباع وكل صنف منهم قد وكّل بخدمة، فمنهم من اولاه على رعيّته للحماية والحراسة والاطلاع على مايأتون ويذرون، وجماعة نسبهم إليه لكن على طريق التشريك بخدمته، وخدمة رعيّته كالوزير وأضرابه، وجماعة منهم إختصّهم به من غير شركة، وذلك كأصحاب السلطان المخصوصين لديه.

ومن ذلك إنقسمت الملائكة إلى ملائكة كروبيّين أي مقرّبين لديه، ذوي قوّة على امتثال أوامره من التقديس مأخوذ من الكرب وهو القوّة أو من الكرب وهو الحزن لشدة خوفهم من جنابه تعالى، وذلك انّه كلّما زيد في قرب الوزير زيد في خوفه من السّلطان لاطّلاعه على حقائق بطشه، و إلى ملائكة روحانيين أي أنهم يشبهون الأرواح في اللطّافة فهم ألطف من باقي الملائكة، وهؤلاء النوعان هما سادات الملائكة وهما المشار إليهم في الحديث الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكة الله عزوجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق وجوههم إلاّ وهو يسبّح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله، فسئلت جبرئيل عنهم فقال كما ترى خلقوا، انّ الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلّمه قطّ ولا رفعوا رؤسهم إلى مافوقهم ولاخفضوها إلى ماتحتهم خوفاً من الله وخشوعاً، فسلّمت عليهم فردّوا عليّ ايماء برؤسهم لاينظرون إليّ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل: هذا محمد نبيّ الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولاً ونبيّاً وهو خاتمَ النبيّين وسيّدهم أفلا تكلّمونه؟ قال: فلمّا سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسّلام وبشّروني وأكرموني بالخير لي ولأُمّتي» فالملائكة على كثرتهم على مراتب مختلفة علوّاً ودنوّاً، فان بعضهم فوق بعض، وبعضهم دون بعض، فنهم آمر مطاع، ومنهم مأمور مطيع لأمره، والآمر منهم آمر بأمر الله جل وعلا حامل له إلى المأمور، والمأمور مأمور بأمر الله

تعالى مطيع له، فليس لهم من أنفسهم شيء.

قال الله عزوجل: «وما منّا إلّا له مقام معلوم» الصافات: ١٦٤)

وقال: «مطاع ثم أمين» التكوير: ٢١)

٨ ـ في روضة الكافي: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: الملائكة على ثلاثة أجزاء: جزء له جناحان، جزء له ثلاثة أجنحة، وجزء له أربعة أجنحة»،

أقول: وهذا لاينافي ماورد من كثرة الأجنحة لبعض الآخرين من الملائكة كما تشير إليها الآية الكريمة: «يزيد في الخلق مايشاء» فاطر: ١)

٩ ـ في التوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمته، فقام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه، ثمّ قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ماوسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجن والانس أن يصفوه ماوصفوه لبعد مابين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبعمأة عام مابين منكبيه وشحمة اذنيه، ومنهم من يسدّ الافق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من في السّماوات إلى حجزته، ومنهم من قلمه على غير قرار في جوّ الهوآء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو القي في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين».

١٠ ـ في روضة الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لله عزوجل ملكاً مابين شحمة اذنه إلى عاتقه مسيرة خمسمأة عام خفقان الطير».

١١ ـ في تفسير الصافي: عنه صلى الله عليه وآله وسلّم إن لله تبارك وتعالى ملكاً يقال له: «دردائيل» كان له ستة عشر ألف جناح، مابين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض».

١٢ ـ في تفسير القمي: في قوله تعالى: «لقد رآى من آيات ربّه الكبرى» النجم: ١٨) قال: رآى صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل على ساقه الدرّ مثل القطر على

البقل له ستمأة جناح قدملأ مابين السّماء والأرض»

١٣ ـ في البحار: عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إن الله خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم فيما بين أطباق السموات يقدّسونه الليل والنّهار واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرئيل».

إن تسئل: ما الفائدة لتعدّد الأجنحة في الملائكة وزيادتها على المعتاد وهو الجناحين؟

اجيب عنه بأجوبة:

منها: أن يكون تعدد الأجنحة لزيادة القدرة والقوّة على الطيران والمسارعة إلى قطع المسافات السّماوية، لأن الوحي الذي يتلقّاه جبرئيل من العرش وحواليه، فيسعى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما هو أسرع من إرتداد طرف العين، وغلظ كل سمآء مسيرة خمسمأة عام وبين كل سمائين مسيرة خمسمأة عام على ما تقدّم. فالأجنحة في العالم المادي تساعد على الطيران وكثرتها تؤمى إلى السرعة، وهي في عالم الأرواح ترشد إلى القدرة على السرعة في تنفيذ أوامر الله تعالى...

ومنها: أن تكون فائدة التعدّد ماروي: أنّ صنفاً من الملائكة لهم ستّة أجنحة، فجناحان يلفون بهما أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من امور الله جل وعلا، وجناحان مرخيان على وجوههم حيآء من الله تعالى، فكل جناحين لفائدة من الفوائد... وبذلك تظهر فائدة الجناح الثالث في قوله سبحانه: «اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع» فيكون الثالث لفائدة اخرى غير الطيران، وأما محلّه، فيمكن أن يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوّة.

ومنها: يجوز أن يخالف حال الملائكة حال الطيور في الطيران كالحيوان الذي يدبّ بأرجل كثيرة أو بعض الحشرات كامّ أربع وأربعين يقال بالفارسي: (هزارپا).

ومنها: يجوز أن يكون البعض للزينة.

ومنها: يجوز أن يكون كل جناح ذاشعب.

ومنها: يحتمل أن تكون الأجنحة كناية عن القوي المتمتعة بها الملائكة للصعود

والهبوط بين الأجرام العلوية، فمن الملائكة من لهم من درجات تلك القوي مثنى ومنهم من له ثلاث ومنهم من له أربع إلى آخره والله جل وعلا هو أعلم.

ومنها: أن تكون الأجنحة للملائكة متناسبة لخلقتهم الأصلية، وأما إذا تصورنهم بصورة آدمية فما كان له جناح حتى تكون الأجنحة آلة للطيران في الأجواء الهوائية بحيث لا تقدر الملائكة أن يطيروا فيما وراء الجوّ المحيط بالكرة الأرضية، لفقدان الهواء فيه على مازعم بعض المتجدّدين بأن الأجنحة إنّما خلقت لتكون آلة للطيران في الأجواء الهوائية، وقد علمت أنّ الأهواء على العوالم ليست إلّا طبقات قليلة الكثافة، فالكرة الأرضية يحيط بها طبقة من الهواء قد لا تزيد عن عشرين ألف متر، ثم تنقطع فلايكون هواءً أصلاً، فاذا كان الملائكة يختلفون بين الأجرام السماوية فلايكون لأجنحتهم من فائدة إلّا في تلك الطبقات الرقيقة المحيطة بتلك الأجرام... مع أن سريان الملك بين الأجرام يجب أن يكون من السرعة بحيث لايتوهمّهوهم الواهم، وإلّا لما استطاع ملك أن يقطع مابين أحد الكوكبين إلّا في سنين عديدة، وليس للجناح من فائدة معقولة في قطع هذه المسافات بهذه السرعة، مضافاً إلى أنّ الأجنحة إنما خلقت للطير لتضرب بها الهواء فتعليها على الهواء لأن ثقل أجسادها يمنعها العلو عليه بدونها»

أقول: ان هذا المتجدد كأسلافه المتحجرين قاس خلقة الملائكة الأصلية وأجنحتهم المتناسبة لخلقتهم الأصلية على عالمنا هذا المادي، ولذلك قاس فوائد أجنحة الملائكة على فوائد أجنحة طيور عالمنا هذا المادي، فعلى هذا تكون الملائكة طيوراً لاملائكةً فتأمل جيداً واغتنم جدّاً.

ولعمري! انّ التدبّر في إحضار سليمان بن داود عليهما السلام بمن عنده علم الكتاب، عرش بلقيس ملكة سبأ، يدفع الشكوك والاضطراب والتزلزل كلّها عن المرتابين القدماء والمتجددين: «قال يا أيها الملأ ايّكم يأتيني بعرشها ـ فلمّا جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ـ قالت ربّ انّي ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» النمل: ٣٨ ـ ٤٤)

وفي شرح الحديد: وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في رواية أبي ذر: «إنّي أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطّت السماء وحق لها أن تئط، فما فيها موضع شبر إلّا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد واضع جبهته لله، والله لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وماتلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الفلوات تجأرون إلى الله»

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أطّت»من الأطيط: صوت الأقتاب وأطيط الابل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة مافيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت.

﴿أصناف الملائكة وأوصافهم﴾

في نهج البلاغة:

قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام:

«ثم فتق مابين السموات العلى، فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لايركعون، وركوع لاينتصبون، وصافّون لايتزايلون، ومسبّحون لايسأمون، لايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول ولافترة الأبدان ولاغفلة النسيان، ومنهم امنآء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين مَن دونهم حُجُب العزّة وأستار القدرة، لايتوهّمون ربّهم بالتّصوير، ولايجرون عليه صفات المصنوعين ولايحدّونه بالأماكن ولايشيرون إليه بالنّظائر».

قال ابن أبي الحديد في (الشرح): الملك عند المعتزلة حيوان نوريّ، فمنه شفّاف عادم اللون كالهواء ومنه ملوّن بلون الشمس، والملائكة عندهم قادرون عالمون أحياء، بعلوم وقُدَر وحياة كالواحد منّا، ومكلّفون كالواحد منّا، إلّا أنهم معصومون، ولهم في كيفية تكليفهم كلام، لأنّ التكليف مبنيّ على الشهوة، وفي كيفيّة خلق الشهوةفيهم نظر.

ان الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام جعل الملائكة في كلامه هذا أربع طوائف:

الطائفة الاولى: هم أرباب العبادة، فنهم من هو ساجد أبداً لم يقم من سجوده ليركع، ومنهم من هو راكع أبداً لم ينتصب قطّ، ومنهم الصّافّون في الصلاة بين يدي خالقهم لايتزايلون ومنهم المسبّحون الذين لايملّون التسبيح والتحميد له جل وعلا.

الطائفة الثانية: هم السفراء بين الله عزوجل و بين المكلّفين من البشر بتحمّل الوحي الالهيّ إلى الرسل، والمختلفون بقضائه وأمره إلى أهل الأرض.

الطائفة الثالثة: هم على صنفين: صنف منهم حفظة العباد وكالكرام الكاتبين، وكالملائكة الذين يحفظون البشر من المهالك والورطات، ولولا ذلك لكان العطب أكثر من السلامة. وصنف منهم سدنة الجنان.

الطائفة الرابعة: هم حملة العرش.

وفي الشرح: وروى أبو هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أن الله خلق الخلق أربعة أصناف: الملائكة والشياطين والجن والانس، ثم جعل الأصناف الأربعة عشرة أجزاء، فتسعة منها الملائكة وجزء واحد الشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء، فتسعة منها الشياطين، وجزء واحد الجن والانس، ثم جعل الجن والانس عشرة أجزاء، فتسعة منها الجن وجزء واحد الانس».

أقول: ان الله تعالى ذكر في القرآن الكريم أصناف الملائكة عشرة:

احدها ـ حملة العرش: «الذين يحملون العرش ومن حوله» غافر: ٧) والحاقة: ١٧).

ثانيها ـ الحافّون حول العرش: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش» الزمر: ٧٥).

ثالثها ـ أكابر الملائكة فنهم جبرئيل وميكائيل لقوله عزوجل: «من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدوّ للكافرين» البقرة: ٩٨).

ثم وصف جل وعلا جبرئيل بصفات:

الاولى: انه صاحب الوحي إلى الأنبياء عليهم صلوات الله: «نزل به الروح الأمين» الشعراء: ١٩٣).

الثانية: انه تعالى قدّم جبرئيل على ميكائيل في سورة البقرة: ٩٨)

الثالثة: إن الله عزوجل جعل جبرئيل ثاني نفسه: «فان الله هومولاه وجبريل» التحريم: ٤).

الرابعة: سمّاه روح القدس: «قل نزّله روح القدس من ربك بالحق» النحل: ١٠٢).

الخامسة: ينصر أوليائه ويقهر أعدائه مع آلاف من الملائكة مسوّمين: «هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» آل عمران: ١٢٥).

السادسة: أنه تعالى مدح جبرئيل بست صفات في قوله: «انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين» التكوير: ١٩-٢١).

رابعها: اسرافيل وهو صاحب الصور: «ويوم ينفخ في الصورففزع من في السموات ومن في الارض إلّا من شآء الله وكل أتوه داخرين» النمل: ٨٧).

خامسها ـ عزرائيل وهوقابض الأرواح وله أعوان عليه: «قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكل بكم» السجدة: ١١) «الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ـ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم» ٢٨ ـ ٣٢).

سادسها ـ ملائكة الجنة: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب» الرعد: ٢٣).

سابعها: ملائكة النار: «عليها تسعة عشروماجعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة» المدثر: ٣٠ ـ ٣١)

ورئيسهم مالك: «يا مالك ليقض علينا ربك» الزخرف: ٧٧) وأسماء جملتهم الزبانية: «سندع الزبانية» العلق: ١٨)

ثامنها ـ الموكّلون ببني آدم: «إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» ق:١٧ ـ ١٨) «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد: ١١).

تاسعها ـ ملائكة البشارة للمؤمنين ذوي الصلابة والاستقامة في الدين: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة التي

كنتم توعدون» فصّلت: ٣٠) فالملائكة تتنزّل على المؤمنين لتواسيهم وتبشّرهم بأنهم أعوانهم في امور دنياهم يلهمونهم الحق ويرشدونهم إلى مافيه خيرهم وصلاحهم، وتطمئنّهم بأن لايخافوا ممايقدمون عليه من امور الآخرة ولايحزنوا على مافاتهم من امور الدنيا من أهل ومال... كما أن الله تعالى يمدّ المؤمنين بالملائكة عند قتالهم أعداءهم لينصرهم عليهم.

عاشرها ـ الموكّلون بأحوال هذا العالم: «والصافات صفاً...» الصافات: ١ ـ ٣) «والمرسلات عرفاً ـ فالملقيات ذكراً» المرسلات: ١ ـ ٥) «والنازعات غرقاً ـ فالمدبّرات أمراً» النازعات: ١ ـ ٥).

وقد وصف الله جل وعلا في القرآن الكريم الملائكة:

الاولى: انهم رسل الله جل وعلا: «جاعل الملائكة رسلاً» فاطر: ١) «الله يصطفي من الملائكة رسلاً» الحج: ٧٥).

الثانية: قربهم من الله عزوجل بالشرف وهو المراد من قوله تعالى: «ومن عنده لايستكبرون عن عبادته» الأنبياء: ١٩) «بل عباد مكرمون» الأنبياء: ٢٦).

الثالثة: وصف طاعاتهم بوجوه حكاية عنهم:

منها: «نحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك» البقرة: ٣٠).

ومنها: «وإنا لنحن الصافّون وإنا لنحن المسبّحون» الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦) والله تبارك وتعالى ماكذبهم في ذلك، ثم أيّدهم في امتثالهم لأوامر الله تعالى بقوله: «فسجد الملائكة كلّهم أجمعون» ص: ٧٣) وأنّهم لايفعلون إلّا بوحيه وأمره: «لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الأنبياء: ٢٧) وانهم «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحرم: ٦).

الرابعة: وصف الله تعالى قدرتهم بوجوه:

الأول: أن حملة العرش وهم ثمانية: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» الحاقة: ١١) هم يحملون العرش والكرسيّ الذي هو أصغر من العرش، أعظم من جملة السموات السبع: «وسع كرسيّه السموات والأرض» البقرة: ٢٥٥).

الثاني: أن علوّ العرش شيء لايحيط به الوهم، ويدل عليه قوله عزوجل: «تعرج

الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج: ٤) ثم إنّهم لشدّه قدرتهم ينزلون منه في لحظة واحدة.

الثالث: قوله عزوجل: «ونفخ في الصور» يس: ٥١) فصاحب الصور بلغ من القوّة إلى حيث إن بنفخة واحدة منه يصعق من في السموات ومن في الأرض، وبالثانية منه يعودون أحياءً: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون» الزمر: ٦٨)

الرابع: ان جبرئيل عليه السلام بلغ من قوّته أن قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة: «فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها» هود: ٨٢).

الصفة الخامسة: وصف الله تعالى خوفهم ويدلّ عليه بوجوه:

الأول: أنهم مع كثرة عبادتهم وعدم اقدامهم على الزّلاّت يكونون خائفين وجلين حتّى كأنّ عباداتهم معاصي... «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون» النحل: ٥٠) «وهم من خشيته مشفقون» الأنبيآء: ٢٨).

الثاني: قوله عزوجل: «حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليّ الكبير» سبأ: ٢٣) وقد روي: أن الله عزوجل إذا تكلّم بالوحي سمعه أهل السموات مثل صوت السلسلة على الصفوان ففزعوا، فاذا انقضى الوحي قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العليّ الكبير.

وفي البحار: باسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: وكان من دعاء على بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرّب:

«اللهم وحملة عرشك الذين لايفترون من تسبيحك، ولايسأمون من تقديسك، ولايستحسرون عن عبادتك، ولايؤثرون التقصير على الجدّ في أمرك، ولايغفلون عن الوله إليك واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الاذن وحلول الأمر، فينبّه بالنفخة صرعي رهائن القبور وميكائيل ذو الجاه عندك، والمكان الرفيع من طاعتك، وجبرئيل الأمين على وحيك، المطاع في أهل سماواتك، المكين لديك، المقرّب عندك،

والروح الذي هو على ملائكة الحجب، والروح الذي هو من أمرك .

اللهم فصل عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم، من سكّان سماواتك ، وأهل الأمانة على رسالاتك ، والذين لايدخلهم سأمة من دؤوب، ولا إعياء من لغوب ولافتور، ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات، ولايقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات، الخشّع الأبصار فلايرومون النظر إليك ، النواكس الأعناق (الأذقان خ) الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك ، المستهترون بذكر آلآئك ، والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك ، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك .

سبحانك ماعبدناك حقّ عبادتك ، فصلّ عليهم وعلى الروحانيّين من ملائكتك ، وأهل الزلفة عندك ، وحملة الغيب إلى رسلك ، والمؤتمنين على وحيك ، وقبائل الملائكة الذين إختصصتهم لنفسك ، وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك ، وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك ، والذين هم على أرجآئها إذا نزل الأمر بتمام وعدك وخزّان المطر، وزواجر السحاب، والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود، وإذا سبحت به حفيفة (خفيفة خ) السحاب التمعت صواعق البروق، ومشيّعي الثلج والبرد، والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرياح، والموكّلين بالجبال فلا تزول.

والذين عرّفتهم مثاقيل المياه، وكيل ماتحويه لواعج الأمطار وعوالجها، ورسلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ماينزل من البلاء ومحبوب الرخاء والسفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير، ومبشّر وبشير ورومان فتّان القبور، والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة، ورضوان وسدنة الجنان، والذين لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون، والذين يقولون: «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» والزبانية الذين إذا قيل لهم: «خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه» ابتدروه سراعاً ولم ينظروه، ومن أوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك ، وبأيّ أمر وكلّته ، وسكّان الهواء والأرض والماء، ومن منهم على الخلق.

فصلّ عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد، وصلّ عليهم صلاة تزيدهم

كرامة على كرامتهم، وطهارة على طهارتهم، اللهم وإذا صلّيت على ملائكتك ورسلك وبلّغتهم صلواتنا (صلوتنا خ) عليهم فصلّ علينا بمافتحت لنا من حسن القول فيهم، انك جواد كريم»

قوله عليه السلام: «ولم نعلم مكانه منك وبأيّ أمر وكّلته» ينافي لما ورد من الروايات الكثيرة من سعة علمهم صلوات الله عليهم أجمعين واطلاعهم على جميع العوالم أو المخلوقات، وأنّ الله عزوجل أراهم ملكوت السماوات والأرضين؟

نجيب عنه بأجوبة: ١ ـ قال الامام عليه السلام ذلك على سبيل التواضع والتذلل.

٢ ـ أن يكون المعنى: لانعلمهم من ظاهر الكتاب والسنة، وإن علمنا من جهة اخرى لامصلحة في إظهارها.

٣ ـ أن يكون المعنى: لانعلم في هذا الوقت خصوص مكانه وعلمه، إذ لاإستبعاد في عدم علمهم عليهم السلام ببعض تلك الخصوصيات وإن كان هذا بعيداً جداً.

٤ ـ انه قال عليه السلام ذلك بلسان غيره ممن يتلو الدعاء فانّه عليه السلام جمع الأدعية وأملاها لذلك، بل هو من أعظم نعمهم على شيعتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

وقوله عليه السلام: «وسكّان الهواء والأرض والماء» يدل على أن لكل منها سكّاناً من الملائكة كما روى الشيخ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام إنه نهى أن يبول الرجل في المآءِ الجارى إلّا من ضرورة وقال: إن للمآء أهلاً.

وفي وصيّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام قال: قال كره الله لامّتى الغسل تحت السماء إلّا بمئزر وكره دخول الأنهار إلّا بمئزر، فانّ فيها سكّاناً من الملائكة. ورواية اخرى رواها الصدوق في المجالس قال: في الأنهار عمّار وسكّان من الملائكة. وروى أيضاً في العلل باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزوجل وكّل ملائكة بنبات الأرض من الشجر والنخل، فليس من شجرة ولانخلة إلّا ومعها من الله عزوجل ملك يحفظها وماكان فيها، ولولا أنّ معها من يمنعها لأكلها السباع وهوامّ الأرض إذا كان فيها ثمرها...» الخبر.

وقوله عليه السلام: «ومن منهم على الخلق» أي الملائكة الذين هم مع الخلق أو مستولون عليهم أو موكّلون بهم من جملة سائر الملائكة، وهم أصناف شتّى قد مرّ أكثرها ومايأتي ذكرها كالمعقّبات، ومن يثني برقبة المتخلّي ليعتبر بماصار إليه طعامه، والمشيّعين لعائد المريض ولزائر المؤمن، ومن يأتي منهم للسؤال ابتلاءً، ومن يمسح يده على قلب المصاب ليسكّنه، والموكّلين بالدعاء للصائمين، والذين يمسحون وجه الصائم في شدّة الحرّ، ويبشّرونه والملائكة الساكنين في حرم حائر الحسين عليه السلام يشيّعون الزآئرين، ويعودون مرضاهم ويؤمّنون على دعائهم، والذين يدفعون وساوس الشياطين عن المؤمنين، وأمثال ذلك كثيرة في الأخبار...

وهذا بنآء على أن الخلق بمعنى المخلوق، ويمكن حمله على المعنى المصدريّ، فيكون إشارة إلى ماروى في أخبار كثيرة أن لله ملكين خلاّقين، فاذا أراد أن يخلق خلقاً أمر اولئك الخلاّقين فاخذوا من التربة التى قال الله تعالى في كتابه: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى» فعجنوها في النطفة المسكنة في الرحم، فاذا عجنت النطفة بالتربة قالا: يارب ماتخلق؟ قال: فيوحى الله تبارك وتعالى مايريد من ذلك... الخبر.

﴿درجات الملائكة الأربعة: جبرئيل، ميكائيل﴾
إسرافيل، وعزرائيل وسائر الملائكة

قال الله عزوجل حكاية عن الملائكة:

«وما منّا إلّا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافّون وإنّا لنحن المسبّحون» الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦) إن الله عزوجل خلق طبقات الملائكة لاصلاح حال الانسان، وتبليغه إلى غاية الكمال، إذ خلق الكون، وسخّر نواميس الوجود، وجعل النظام ظرفاً لكمال الانسان:

«هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩).

«وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣).

ولاينال الانسان بالكمال إلّا بمعرفة الله جل وعلا والعبادة له وحده، وإن المعرفة بالله عزوجل التي تتبعها العبادة لله وحده هي حكمة إرسال الرسل إلى الناس إذ قال تعالى:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبياء: ٢٥) «إن الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» الزخرف: ٦٤).

وقد جعل الله عزوجل بعض الملائكة أمين وحيه إلى أنبيائه عليهم صلوات الله: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً» الحج: ٧٥) «أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء» الشورى: ٥١) «نزل به الروح الأمين» الشعراء: ١٩٣) وجعل الآخرين من الملائكة

الأرضية والسماوية الذين وكّلهم الله جل وعلا لانتظام الكون وحفظ النظام، ولكل مقام معلوم، لينتظم الانسان في جميع شئونه المادية والمعنوية، والدنيوية والاخروية، كما أن السلطان يتخذ له عمّالاً في نظام مملكته وانتظامها وإدارتها، ليعيش أهلها عيشاً هنيئاً، فالعمّال كلهم للرعية، وخدمة لهم، ولكل مقام معلوم، ولكن من الفروق بين العمّالين: أنّ عمّال السلطان الحق المطلق، معصومون لايعصون الله، ويفعلون مايؤمرون، ولذلك ليس بينهم تناقض وتقابل، بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس، فان البصر لايزاحم السمع في إدراك الأصوات، ولاالسمع يزاحم البصر في إدراك الألوان، ولا الشمّ يزاحمها، ولاهمايزاحمان الشمّ، ولا اللسان يزاحمها...

وأما عمال السلطان الموقت المفتقر الفاني، فمثالهم مثال اليد والرجل والرأس، إذ قد يبطش الانسان بالرجل، فيزاحم به اليد، وقد يضرب بالرأس ويزاحم اليد التي هي آلة الضرب أو ياخذ بالرجل والشفه بدل اليد التي هي آلة الأخذ، ولذلك نرى فساداً وإعوجاجاً وعدولاً عن الحق والعدل في نظام الاجتماع البشرى، ولانراها في نظام الملائكة، إذ ليس بين الملائكة في أعمالهم اختلاف، فلاجرم لايعصون الله جل وعلا ما أمرهم به ويفعلون مايؤمرون، لحفظ كل واحد منهم شئونه، فلايتجاوزعنها، ولافتور ولاسأمة لهم فيما امروا به، وإن طاعتهم لله جل وعلا من وجه يشبه طاعة طرف الانسان للانسان، فانه مهما جزم الارادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردّد واختلاف في طاعته مرّة، ومعصيته مرّة اخرى، بل لايستطيع خلافه، ولاعصى لأمره، ولكن هذا يخالفها من وجه آخر، فان الجفن لاعلم له بمايصدر منه من الحركة فتحاً واطباقاً، والملائكة أحياء وهم عالمون بما يفعلون.

فينبغي لنا أن نتفكّر في حكمة خلق الملائكة: لماذا خلقهم الله جل وعلا؟ فنعلم أنّ الله تعالى خلقهم لنا، لنعرف أنفسنا، عظمتنا، مقامنا، ومنزلتنا عند الله عزوجل، إذ خلق لكل ماهو دخيل في حياتنا المادية والمعنوية ملائكة لكل مقام معلوم، كيف لا

وان الانسان يعيش بالغذاء والهواء، وليس الغذاء إلّا بالأرض والماء والنار والهواء والغيم والمطر والشمس والقمر.. ولايقوم شيء منها إلّا بالسموات، ولاالسموات إلّا بالمدبّرات من الملائكة: «فالمدبّرات أمراً» النازعات: ٥) ولاالجميع إلّا بأمر الله و إرادته وقضائه وقدرته والله جل وعلا من ورائه محيط:

«ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً» النساء: ١٢٦).

فاذا علم الانسان أن كل ما سوى الله كالشيء الواحد، يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضآء الانسان، عرف الله جل وعلا بسلسلة الأسباب وربطها بمسببها ومبدئها، وكيفية صدور كل ذرّة من الكائنات من عللها وأسبابها القريبة والبعيدة إلى أن ينتهي إلى الأسباب القصوى والغايات الأخيرة من الأفلاك ... فعندئذ يكون علمه الذي يطابق معلوماته زينة لذاته وكمالاً لنفسه، فكل واحد من الأسباب والمسببات المعروفة عنده يكون له مدخل في تتميم ذاته وتكميل جوهره.

في الدر المنثور: عن عكرمة قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل عن اكرم الخلق على الله، فعرج ثم هبط فقال: أكرم الخلق على الله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبرئيل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط، وكل ورقة تنبت، وكل ورقة تسقط، وأما ملك الموت فهو موكّل بقبض روح كل عبد في برّ أو بحر، وأما اسرافيل فأمين الله بينه وبينهم» .

وفي الخصال: باسناده عن موسى بن بكر عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة: اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام»

ولعل سبب درجاتهم وتفاوت مراتبهم في القرب من الله جل وعلا ماورد في الروايات العديدة:

منها: عن الامام السادس جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «إن الله سبحانه

عرض ولايتنا على الملائكة فمن بادر إليها وعقد قلبه عليها صار من المقرّبين»

ولذلك صارت أنواع المخلوقات على نوعين، ومن هذا قال جبرئيل عليه السلام: أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل، وقسم منهم قد شركوا في الخدمات، فمنهم ملائكة العرش قال الله سبحانه: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا» غافر: ٧) ومنهم جبرئيل عليه السلام انه السفير بين الله وأنبيآئه وهي الساعي في تبليغ الوحي.

و في شرح الحديد: «واتّفق أهل الكتب على أن رؤساء الملائكة وأعيانهم أربعة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وهو ملك الموت، وقالوا: إن اسرافيل صاحب الصور، وإليه النفخة، وإن ميكائيل صاحب النبات والمطر، وإن عزرائيل على أرواح الحيوانات وإن جبرائيل على جنود السموات والأرض كلّها وإليه تدبير الرياح، وهو ينزل إليهم كلهم بما يؤمرون به»».

في المجمع: في قوله تعالى: «فالمدبرات أمراً» أقوال: أحدها ـ أن الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة إلى السنة عن علي عليه السلام وثانيها ـ إن المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام يدبّرون امور الدنيا، فأما جبرئيل فوكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فوكل بقبض الأنفس، وأما اسرافيل فهو يتنزل بالأمر عليهم.

إن الله تعالى أقسم في قوله: «والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً» الصافات: ١-٣) بثلاثة أشيآء يحتمل أن تكون صفات ثلاث لموصوف واحد، وأن تكون أشياء ثلاثة متباثنة.

أما على الأول: ففيه وجوه:

الأول: انها صفات الملائكة بأن الملائكة يقفون صفوفاً إما في السموات لأداء العبادات كما أخبر الله جل وعلا عنهم: أنهم قالوا: «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون» الصافات: ١٦٥-١٦٦).

الثاني: انهم يصفّون أجنحتهم في الهواء ويقفون منتظرين وصول أمر الله جل وعلا إليهم.

الثالث: أن تكون لكل واحد منهم مرتبة ودرجة معيّنة في الشرف والفضيلة أو في الذات والغلبة، وتلك الدرجات المترتبة لهم باقية غير متغيّرة، وذلك يشبه الصفوف.

والرابع: أن يكون لكل واحد منهم مقام معلوم في تدبير الكون ونظام الوجود.

وفي وصف الملائكة بالزجر: «فالزاجرات زجراً» وجوه:

الأول: قال ابن عباس: يريد الملائكة الذين وكّلوا بالسحاب، فيزجرونها، بمعنى انهم يأتون بها من موضع إلى موضع.

الثاني: بأن للملائكة تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الالهامات، فهم يزجرونهم عن المعاصي زجراً.

الثالث: بأن الملائكة يزجرون الشياطين عن التعرّض لبني آدم بالشرّ والايذآء.

الرابع: ان الملائكة يزجرون الشياطين عن التعرض للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

في الدر المنثور: عن الضحاك في قوله تعالى: «إلّا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً» الجن: ٢٧) قال: كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا بعث إليه الملك، بعث معه نفر من الملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبّه الشيطان على صورة الملك».

وفيه: عن ابن عباس في الآية الكريمة قال: هي معقّبات من الملائكة يحفظون النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من الشيطان، حتى يتبيّن الذي ارسل إليهم».

وفيه: عن سعيد بن جبير في الآية الكريمة: «فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً» قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبرئيل ليعلم محمد أن قد أبلغوا رسالات ربهم، قال: وماجاء جبرئيل بالقرآن إلّا ومعه أربعة من الملائكة حفظة»

وبعبارة اخرى: قدثبت في العلوم العقلية: أن الموجودات على ثلاثة أقسام:

قسم مؤثّر لايقبل الأثر وهو الله جل وعلا خالق كل شيء، قادر على كل شيء ومحيط بكل شيء. وقسم متأثر لايؤثر وهو عالم الأجسام، وهو أخسّ الموجودات...

وقسم مؤثّر في شيء من جهة، ومتأثر عن شيء آخر من جهة اخرى وهو عالم الأرواح، وذلك انّها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله جل وعلا، ثم إنّها تؤثر في عالم الأجسام، مع أن الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم الكبرياء غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الأجسام، وتقدر على التصرف فيها.

فقوله تعالى: «والصافات صفاً» إشارة إلى وقوف الملائكة صفاً صفاً في مقام العبودية والطاعة والخضوع والخشوع، وهو الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسيّة أصناف الأنوار الالهية والكمالات الصمدية.

وقوله تعالى: «فالزاجرات زجراً» إشارة إلى تأثير الجواهر الملكيّة في تنوير الأرواح القدسيّة البشرية، وإخراجها من القوّة إلى الفعل، وذلك لما ثبت ان هذه الأرواح النطقية البشرية بالنبسة إلى أرواح الملائكة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، وكالشعلة بالنسبة إلى الشمس، وأن هذه الارواح البشرية إنّما تنتقل من القوّة إلى الفعل في المعارف الالهيّة والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة، ونظيره قوله تعالى: «ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشآء من عباده» النحل: ٢) وقوله: «نزلّ به الروح الأمين على قلبك» الشعراء: ١٩٣) وقوله: «فالملقيات ذكراً» المرسلات: ٥).

وقوله عزوجل: «فالتاليات ذكراً» إشارة إلى الأشرف من الجهة التي باعتبارها يقوى على التأثير في عالم الأجسام...

وفي الآيات الثلاث دقائق اخرى...

منها: أن الكمال المطلق للشيء إنما يحصل إذا كان تامّاً وفوق التام، والمراد بكونه تاماً أن تحصل الكمالات اللائقة به حصولاً بالفعل، والمراد بكونه فوق التام أن يفيض منه أصناف الكمالات والسعادات على غيره، ومن المعلوم أنّ كونه كاملاً في ذاته مقدّم على كونه مكمّلاً لغيره إذا عرفت هذا فقوله جل وعلا: «والصافات صفاً» إشارة إلى

استكمال جواهر الملائكة في ذواتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الخدمة والطاعة.

وقوله تعالى: «فالزاجرات زجراً» إشارة إلى كيفيّة تأثيراتها في إزالة مالاينبغي عن جواهر الأرواح البشرية.

وقوله عزوجل: «فالتاليات ذكراً» إشارة إلى كيفيّة تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسيّة والأنوار الالهية على الأرواح الناطقة البشرية، فهذه مناسبات عقلية واعتبارات دقيقة تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة.

وأما على الثاني: بان تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدّسة المقبلة على عبودية الله تعالى فبوجوه:

الأول: أن يكون المراد بقوله: «والصافات صفاً» الصفوف الحاصلة عند أداء الصلاة بالجماعة، وبقوله: «فالزاجرات زجراً» الاستعاذة عند القرائة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» كأن القرّاء بالاستعاذة يزجرون الشياطين عن القاءالوساوس في قلوبهم، أثناء الصلاة، وبقوله: «فالتاليات ذكراً» قرائة القرآن في الصلاة.

الثاني: أن يكون المراد بقوله: «والصافات صفاً» الصفوف الحاصلة من العلماء المحقين الذين يدعون إلى دين الله تعالى وبقوله: «فالزاجرات زجراً» اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات، وبقوله: «فالتاليات ذكراً» اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله جل وعلا.

الثالث: أن نحملها على أحوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فالمراد بقوله: «والصافات صفاً» صفوف القتال لقوله عزوجل: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً» الصف: ٣) وبقوله: «فالزاجرات زجراً» رفع الصوت بزجرالخيل،وبقوله: «فالتاليات ذكراً» إشتغالهم وقت شروعهم في محاربة العدوّ بقراءة القرآن الكريم وذكر الله بالتهليل والتقديس.

وقال بعض المعاصرين: إن الملائكة وسائط بين الله جلا وعلا

وبين خلقه بدءاً وعوداً على مايعطيه القرآن الكريم بمعنى أنّهم أسباب للحوادث فوق الأسباب المادية في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده، أما في العود أعني حال ظهور آيات الموت وقبض الروح وإجراء السؤال وثواب القبر وعذابه وإماتة الكل بنفخ الصور وإحيائهم بذلك، والحشر وإعطآء الكتاب ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنّة والنار فوساطتهم فيها غني عن البيان، والآيات الدالة على ذلك كثيرة لاحاجة الى ايرادها، والأخبار المأثورة فيها عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأئمة أهل البيت عليهم السلام فوق حدّ الاحصآء.

وكذا وساطتهم في مرحلة التشريع من النزول بالوحي ودفع الشياطين عن المداخلة فيه، وتسديد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار، وأما وساطتهم في تدبير الامور في هذه النشأة، فيدلّ عليها ما في مفتتح سورة النازعات من اطلاق قوله: «والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً» وكذا قوله تعالى: «جاعل الملائكة رسلاً اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع» فاطر: ١) الظاهر باطلاقه في أنّهم خلقوا وشأنهم أن يتوسّطوا بين الله عزوجل وبين خلقه، ويرسلوا لانفاذ أمره الذي يستفاد من قوله تعالى في صفتهم: «بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الأنبيآء: ٢٧) وقوله: «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون» النحل: ٥٠) وفي جعل الجناح لهم إشارة إلى ذلك.

فلاشغل للملائكة إلّا التوسط بين الله تعالى وبين خلقه بانفاذ أمره فيهم، وليس ذلك على سبيل الاتفاق بأن يجرى الله سبحانه أمراً بأيديهم ثم يجرى مثله لابتوسيطهم، فلا اختلاف ولاتخلّف في سنّته تعالى: «إن ربي على صراط مستقيم» هود: ٥٦) وقال: «فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً» فاطر: ٤٣).

ومن الوساطة كون بعضهم فوق بعض مقاماً، وأمر العالي منهم السافل بشئ من التدبير، فانّه في الحقيقة توسّط من المتبوع بين الله تعالى وبين تابعه في ايصال أمر الله جل وعلا كتوسّط ملك الموت في أمر بعض أعوانه بقبض روح من الأرواح قال تعالى حاكياً عن

الملائكة: «ومامنّا إلّا له مقام معلوم» الصافات: ١٦٤) وقال: «مطاع ثم أمين» التكوير: ٢١) وقال: «حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق» سبأ: ٢٣).

ولاينافي هذا الذي ذكر من توسّطهم بين الله تعالى وبين الحوادث أعنى كونهم أسباباً تستند إليها الحوادث استناد الحوادث إلى أسبابها القريبة المادية، فان السببيّة طولية لاعرضيّة أيّ ان السبب القريب سبب للحادث والسبب البعيد سبب للسبب كما لاينافي توسّطهم وإستناد الحوادث إليهم إستناد الحوادث إليه تعالى، وكونه هو السبب الوحيد لها جميعاً على مايقتضيه توحيد الربوبية، فان السببيّة طولية كماسمعت لاعرضيّة، ولايزيد استناد الحوادث إلى الملائكة استنادها إلى أسبابها الطبيعية القريبة، وقد صدّق القرآن الكريم استناد الحوادث إلى أسبابها الطبيعية كما صدّق إستنادها إلى الملائكة.

وليس لشيء من الأسباب استقلال قباله تعالى حتّى ينقطع عنه، فيمنع ذلك استناد مااستند إليه إلى الله جل وعلا على مايقول به الوثنيّة من تفويضه تعالى تدبير الأمر إلى الملائكة المقربين فالتوحيد القرآني ينفى الاستقلال عن كل شيء من كل جهة: «لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضرّاً ولاموتاً ولاحياة ولانشوراً».

فمثل الأشياء في استنادها إلى أسبابها المترتبة القريبة والبعيدة وانتهائها إلى الله سبحانه بوجه بعيد كمثل الكتابة التي يكتبها الانسان بيده وبالقلم، فللكتابة إستناد إلى القلم ثم إلى اليد التي توسّلت إلى الكتابة بالقلم، وإلى الانسان الذي توسّل إليها باليد وبالقلم، والسبب بحقيقة معناه هو الانسان المستقل بالسببية من غير أن ينافي سببيّته استناد الكتابة بوجه إلى اليد وإلى القلم.

ولامنافاة أيضاً بين ماتقدّم أن شأن الملائكة هو التوسّط في التدبير، وبين مايظهر من كلامه تعالى أن بعضهم أو جميعهم مداومون على عبادته تعالى وتسبيحه والسجود له كقوله: «ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبّحون الليل والنهار لايفترون» الأنبياء: ٢٠) وقوله: «إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبّحونه

وله يسجدون» الأعراف: ٢٠٦)

وذلك لجواز أن تكون عبادتهم وسجودهم وتسبيحهم عين عملهم في التدبير وامتثالهم الأمر الصادرعن ساحة العزّة بالتوسّط كما ربّما يومى إليه قوله تعالى: «ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون» النّحل: ٤٩).

وفيه مالايخفى على المتأمل الخبير.

﴿رسالة الملائكة وعصمتهم﴾

قال الله عزوجل: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير» الحج: ٧٥) في الآية الكريمة دلالة على أنّه ليس جميع الملائكة رسلاً كما أن الناس ليس جميعهم رسلاً فكذلك الملائكة لأنّ «من» في كلا المصطفين للتبعيض، فكان بعض الملائكة رسلاً في إنزال الوحي السماوي وإبلاغه إلى أنبياء الله جل وعلا كما كان بعض الناس رسلاً في ابلاغ الوحي إلى الناس، فان الآية الكريمة تخبر بأن الله تعالى اختار بعض الملائكة وسائط بينه وبين أنبيائه ينزلون وحيه عليهم، واختار بعض الناس وسائط بينه وبين الناس يبلّغونهم وحيه، فالملائكة واسطة بين الله تعالى وبين رسله في انزال الوحي، والرسل واسطة بين الله جل وعلا وبين الناس في ابلاغ الوحي.

في المجمع: في قوله تعالى: «والمرسلات عرفاً» المرسلات: ١) عن أبي حمزة الثمالي عن علي عليه السلام: «أنها الملائكة أُرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه».

وفي أنوار التنزيل: قال: اقسم بطوائف من الملائكة أرسلهنّ الله بأوامره متتابعة، فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن الموتى بالجهل بما اوحين من العلم، ففرقن بين الحق والباطل، فالقين إلى الأنبياء ذكراً، عذراً للمحقين ونذراً للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكلّ عرف إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم فعصفن سائر الكتب أو الأديان بالنسخ، ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرقن بين الحق والباطل، فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين، أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها، فعصفن ماسوى الحق، ونشرن أثر ذلك في جميع

الأعضاء، وفرقن بين الحق بذاته، والباطل في نفسه، فيرون كل شيء هالكاً إلّا وجهه، فالقين ذكراً بحيث لايكون في القلوب والألسنة إلّا ذكر الله، أو برياح عذاب أُرسلن فعصفن، ورياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرقن فالقين ذكراً، أي تسبّبن له، فانّ العاقل إذا شاهد هبوبها أوآثارها ذكر الله تعالى وتذكّر كمال قدرته.

وفي الاختصاص: بإسناده عن ابن عباس قال عبد الله بن سلام للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما سئله: من أخبرك ؟ قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: جبرئيل، قال: عمّن؟ قال: عن ميكائيل، قال: عمّن؟ قال إسرافيل، قال: عمّن؟ قال: عن اللوح المحفوظ، قال: عمّن؟ قال عن القلم، قال: عمّن؟ قال: عن ربّ العالمين، قال: صدقت يامحمّد، فأخبرني عن جبرئيل في زيّ الاناث أم في زيّ الذكور؟ قال: في زيّ الذكور ليس في زيّ الاناث، قال: فأخبرني ماطعامه؟ وماشرابه؟ قال: طعامه التسبيح، وشرابه التهليل، قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ماطول جبرئيل؟ قال: إنّه على قدربين الملائكة ليس بالطويل العالي ولابالقصير المتداني له ثمانون ذوابة، وقصّة جعدة، وهلال بين عينيه، أغرّ أدعج محجّل، ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل، له أربع وعشرون جناحاً خضراء مشبّكة بالدرّ والياقوت مختّمة باللؤلؤ، وعليه وشاح بطانته الرحمة، وأزراره الكرامة، ظهارته الوقار، ريشه الزعفران، واضح الجبين، أقنى الأنف، سائل الخدّين مدوّر اللحيين، حسن القامة، لايأكل ولايشرب، ولايملّ ولايسهو، قائم بوحي الله إلى يوم القيامة، قال: صدقت يامحمّد ـ ثمّ ساق الحديث إلى قوله ـ: وما الثلاثة؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: جبرئيل وميكائيل واسرافيل، وهم رؤساء الملائكة، وهم على وحي رب العالمين».

قوله: «طعامه التسبيح وشرابه التهليل» أي يتقوّي بالتسبيخ والتهليل كما يتقوّى الانسان بالطعام والشراب، ولايبقى بدونهما. و«قصّة جعدة» القصّة ـ بالضم ـ شعر الناصية، و«أغرّ» من الغرّة ـ بالضم ـ بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، ويقال: «رجل أغرّ» أي شريف و«أدعج» من الدعج: شدّة سواد العين مع سعتها. والأدعج

من الرجال: الأسود، و«محجّل» من التحجيل: بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في رجليه قلّ أو كثر بعد أن جاوز الأرساغ، ولايجاوز الركبتين والعرقوبين لأنها مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود، و«عليه وشاح» الوشاح: ينسج من أديم عريضاً، ويرصّع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها، والمراد بالوشاح إما معنوي، فالصفات ظاهرة، وإما صوريّ فالمعنى: انّ بطانته علامة رحمة الله له أو للعباد.

وأما عصمة الملائكة: فقد وردت فيها روايات كثيرة:

منها ـ في البحار عن محمد بن زياد ومحمد بن سيّار أنهما قالا: فقلنا للحسن أبي القائم عليه السلام: فإنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت وماروت ملكان إختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى دار الدنيا، وأنهما افتتنا بالزهرة، وأرادا الزنا بها، وشربا الخمر، وقتلا النفس المحترمة، وأنّ الله تبارك وتعالى يعذّبهما ببابل، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر، وأنّ الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة فقال الامام عليه السلام:

معاذ الله من ذلك، إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله قال الله عزّوجلّ فيهم: «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» وقال عزوجل: «وله ما في السموات والأرض ومن عنده» يعنى من الملائكة «لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبّحون الليل والنهار لايفترون» وقال عزوجل في الملائكة أيضاً: «بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون» ثمّ قال عليه السلام: لوكان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفآء في الأرض وكانوا كالأنبياء في الدنيا أو كالأئمة فيكون من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام قتل النفس والزنا؟!

ثمّ قال عليه السلام: أو لست تعلم أنّ الله عزّوجلّ لم يخل الدنيا قطّ من نبيّ أو إمام من البشر؟ أو ليس الله عزوجلّ يقول: «وما أرسلنا قبلك ـ يعني إلى الخلق ـ إلّا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى» فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمّة

وحكّاماً، وإنّما أُرسِلوا إلى أنبياء الله.

قالا: قلنا لـه: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً ملكاً: فقال: لا بل كان من الجن، أما تسمعان الله عزوجل يقول: «وإذ قلنـا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا ابليس كان من الجنّ» فأخبر عـزّوجلّ أنّـه كـان من الجنّ، وهو الذي قـال الله عـزوجلّ: «والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم».

٢ـوفيه قال الامام الحسن بن عليّ عليهما السلام: حدّثني أبي عن جدّي عن الرّضا عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله عزّوجلّ اختارنا معاشر آل محمد واختار النبيّين، واختار الملائكة المقرّبين، وما اختارهم إلّا على علم منه بهم أنّهم لايواقعون مايخرجون بـه عن ولايته، وينـقلعون به عـن عصمته وينتمون به إلى المستحقين لعذابه ونقمته، قالا: فقـلنا له: فقد روي لنا أنّ علياً عليـه السّلام لما نصّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّـم بالامامة عرض الله عـزوجل ولايته في السماوات على فئام من الناس، وفئام من الملائكة، فأبوها فمسخهم الله ضفادع، فقال عليه السلام: معاذ الله! هؤلاء المكـذّبون لنا المفترون عـلينا، الملائكة هم رسل الله فهم كسـائر أنبياء الله ورسله إلى الخلق، فـيكـون منهم الكـفر بـالله؟ قلنـا: لا قال: فكذلك المـلائكة إنّ شأن الملائكة لعظيم وإنّ خطبهم لجليل» وغيرهما من الروايات الواردة في عصمة الملائكة... ويستدل عليها بآيات كثيرة:

منها: قـوله تـعالى: «والمـلائـكة يسبّحـون بحمد ربّهـم ويستـغفـرون لمن في الأرض» الشورى: ٥) و ذلك انّ الله جلّ وعـلا أخبر بأنّ الملائـكـة يسبّحونه، ويستـغفرون لمن في الأرض، فلو كانوا مذنبين لـكانوا يستغفرون لأنفسهم قبل إستغفارهم لغيرهم، مع عدم استغفارهم لأنفسهم في الآيات والروايات...

ومنها: قوله تعالى: «يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون» النحل: ٥٠).

ومنها: قوله تعـالى: «لايعصون الله ما أمرهـم ويفعلون مـايؤمرون» التحريم: ٧) وذلك أنّ الله عزّوجلّ نفى عن الملائكة المعصية نفياً عاماً..

ومنها: قوله جل وعلا: «جاعل الملائكة رسلاً» فاطر: ١) ورسل الله تعالى معصومون لقوله عزوجل: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) ولايجوز على رسل الله الكفر والعصيان ملائكة كانوا أم بشراً. وغيرها من الآيات الكريمة...

وللعلماء في عصمة الملائكة آراء ونظرات:

فمنهم من قال: لايجوز أن يعصى أحد من الملائكة، من غير ذكر العلّة لذلك.

ومنهم من قال: انّ الملائكة لايعصون، ولايجوز أن يعصوا لأنّهم غير مطيقين الشهوة والغضب فلا داعي لهم إلى المعصية، والفاعل لايفعل إلّا بداع إلى الفعل.

ومنهم: من قال: إنهم لايعصون لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله وآثار هيبته ما يبهرهم عن فعل المعصية والقصد إليها وكذلك قال تعالى: «وهم من خشيته مشفقون» الأنبياء: ٢٨).

ومنهم من قال: إنّما لم يجز أن يعصوا لأنّ الله تعالى أخبر عنهم أنّهم لايعصون، ولاينكر مع ذلك أن يكون منهم من يتغيّر حاله ويتبدّل بها حالة اخرى ويعصى، على ماورد من خبر الملكين ببابل وخبر إبليس، وإنما يسلب عنهم المعصية ماداموا على حالهم التي هي عليها.

ومنهم من قال: إنّ المعصية تجوز عليهم كما تجوز علينا، إلّا أنّ الله تعالى علم أنّ لهم ألطافاً يمتنعون معها من القبيح لفعلها، فامتنعوا من فعل القبيح إختياراً، فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشر يقدرون على المعصية ولايفعلونها إختياراً من أنفسهم باعتبار الألطاف المفعولة لهم، ولو كان لابليس أو فرعون أو نمرود ألطاف يعلم الله تعالى إذا فعلها فعلوا الواجب، وامتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم، ولكانوا معصومين كالأنبياء والملائكة لكنّه تعالى علم أنهم لايؤمنون، ولو فعل مهما فعل، فلاهم لطف في المعلوم، وهذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الانس والجن والملائكة».

«إعتراض الملائكة على السجدة لآدم!»
وهل كان ابليس من الملائكة؟

قال الله عزّوجلّ: «وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ـ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين» البقرة: ٣٠ ـ ٣٤).

وفي المقام بحثان: بحث في اعتراض الملائكة على السجدة لآدم عليه السلام وبحث في كون إبليس من الملائكة أم لا؟

أما الاول: فقد اختلفت كلمات المفسرين فيه اختلافاً كثيراً:

فمنهم: من قال: إنّ الآيات الكريمة من المتشابهات لانفهم معانيها...

في المنار: عن محمّد عبده أنّه قال: إنّ قوله تعالى: «وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة الخ هذه الآيات» من المتشابهات التي لايمكن حملها على ظاهرها لأنها على حسب قانون التخاطب إما استشارة، وذلك محال على الله تعالى، وإما إخبار منه تعالى للملائكة واعتراض منهم وجدال وذلك لايليق بالله تعالى، ولايجامع ماجاء به من وصف الملائكة: «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون».

ومنهم: وهم اكثر المحققين من المفسرين فقالوا: إنّ الآيات الكريمة ليست من المتشابهات فأجابوا عن ظاهر الاعتراض بوجوه:

الاول: قال الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه في (التبيان): «أقوى الوجوه قول من قال: إنّ الملائكة إنّما قالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها»على وجه التعجب من هذا

التدبير لا إنكاراً له فقال: «إني أعلم ما لا تعلمون» من وجه المصلحة في خلقهم، ومايكون منهم من الخير والرشد والعلم وحسن التدبير والحفظ والطاعة مالا تعلمون».

فالانسان إذا كان قاطعاً بحكمة غيره، ثمّ رآى أنّ ذلك الغير يفعل فعلاً لا يقف على وجه الحكمة فيه فيقول له: أتفعل هذا؟ كأنّه يتعجّب من كمال حكمته وعلمه.

الثاني: إنّ ظاهر الآية الاولى وإن كان يدلّ على أنّه قدحصلت محاورة بين الله تعالى وملائكته في شأن خلق آدم وذريته، ولكن ذات الدين لايسيغ قبول مثل ذلك لما ورد عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ الله جلّ وعلا قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وانّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم. ورد في الاسراء من أنّ جبرئيل عليه السلام انتهى من الصعود إلى حدّ محدود وقال: لو تقدّمت أنملة لاحترقت، فتركه رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وصعد وحده.

ثمّ إنّ الله سبحانه ليس كمثله شيء، وليس اكبر منه شيء، فلايجوز عقلاً أن تنبرى طائفة من خلقه لمحاورته في أمر اقتضته حكمته وتعلّقت به إرادته.

وعليه فتكون هذه المحاورة تمثيلاً لحال الملائكة حين علموا أنّ الله جل وعلا سيخلق في الأرض بشراً وجاءهم العلم بذلك إما من استعدادهم لادراك الامور قبيل حدوثها، وإما لظهور بوادرها، ووجه المماثلة بين حالهم حين علموا ذلك، وبين المحاورة أن وجدانهم تحرك بمثل هذه الاعتراضات، فأوحى الله تعالى إليهم أو ألهمهم مايفيد معنى قوله تعالى: «إني أعلم مالا تعلمون» فسلموا الأمر له.

الثالث: انّ ايراد الاشكال طلباً للجواب غير محذور عند العقلاء، فكأنّ الملائكة قالوا: إلهنا أنت الحكيم الذي لايفعل السفه ألبتة، ونحن نرى في العرف أن تمكين السفيه من السفه سفه، فاذا خلقت قوماً يفسدون ويقتلون، وأنت مع علمك أن حالهم كذلك خلقتهم ومكنتهم وما منعتهم عن ذلك فهذا يوهم السفه، وأنت الحكيم المطلق، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟ فكأن الملائكة أوردوا هذا السؤال طلباً للجواب وهذا يدلّ على أنّ الملائكة لم يجوّزوا صدور القبيح من الله سبحانه، وكانوا هم على

مذهب أهل العدل.

والذي يؤكّد هذا الجواب وجهان:

أحدهما ـ أنّ الملائكة أضافوا الفساد وسفك الدماء إلى المخلوقين لا إلى الخالق.

ثانيهما ـ انهم قالوا: «ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك» لأن التسبيح تنزيه ذاته عن صفة الأجسام، والتقديس تنزيه أفعاله عن صفة الذم ونعت السفه.

الرابع: انّ الشرور وإن كانت حاصلة في تركيب هذا العالم السفلى إلّا انّها من لوازم الخيرات الحاصلة فيه، وخيراتها غالبة على شرورها، وترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّ كثير، فالملائكة ذكروا تلك الشرور فأجابهم الله تعالى بقوله: «إنّي أعلم مالا تعلمون» يعني إنّ الخيرات الحاصلة من أجل التراكيب العالم السفلى أكثر من الشرور الحاصلة فيها، والحكمة تقتضى ايجاد ماهذا شأنه لا تركه.

الخامس: انّ الملائكة علموا أنّ في فطرة هذه الخليفة واستعداده علم مالم يعلموا، وتبيّن لهم وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الأرض، وانّ كلّ مايتوقّع من الفساد وسفك الدماء لايذهب بحكمة الاستخلاف وفائدته ومقامه.

السادس: انّما قال الله تعالى هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع إبليس لأنّ الله تعالى لمّا أسكن الجنّ في الأرض فأفسدوها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، بعث الله إبليس في جند من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحر فقال جل وعلا: للملائكة الذين كانوا جند ابليس في محاربة الجن: «إني جاعل في الأرض خليفة».

فقالت الملائكة مجيبين له تعالى: «أتجعل فيها من يفسد فيها» ثم علموا غضب الله عليهم فقالوا: «سبحانك لاعلم لنا إلّا ما علّمتنا».

فكان الاعتراض من بعض الملائكة لاكلّهم. ولكن أكثرالمحققين على أن ذلك القول كان لجماعة الملائكة من غير تخصيص لأن لفظ الملائكة يفيد العموم فيكون التخصيص خلاف الأصل.

في الدرالمنثور: عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ أوّل من لبّى الملائكة قال الله: «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» قال: فزادوه فأعرض عنهم، فطافوا بالعرش ست سنين يقولون: لبيك لبيك إعتذاراً إليك لبيك لبيك نستغفرك ونتوب إليك».

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمفسرين، والادباء والمحدّثين، والفلاسفة والمتكلمين في إبليس هل كان من الملائكة أم كان من نوع آخر اختلافاً كثيراً:

فمن الحكماء من قال: إن ابليس كان من الجن، والجن مغاير للملائكة وذلك ان الملائكة روحانيّون، مخلوقون من الريح في قول، ومن النور في قول، وهم لايطعمون ولايشربون وانّ الجنّ خلقوا من النار لقوله جلّ وعلا: «والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم» الحجر: ٢٧) وقد ورد في الأخبار النهي عن التمسّح بالعظم والروث لكونهما طعاماً لهم ولدوابّهم.

ومن المحققين من المفسرين من قال: إن ابليس ماكان من الملائكة، وإنّما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأموراً بالسجود، فهو مستثنىً من عموم المأمورين بالسجود لامن خصوص الملائكة، فابليس ماكان من جنس الملائكة، إنّما كان معهم، إذ لوكان منهم لما عصى وصفتهم الاولى أنهم: «والملائكة وهم لايستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون» النحل: ٤٩ ـ ٥٠) «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحرم: ٦) وإن الاستثناء: «فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر» البقرة: ٣٤) لايدل على أنه من جنسهم وقد كان ابليس من الجنّ بنص القرآن الكريم: «وخلق الجانّ من مارج من نار» الرحمن: ١٥): «ويوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة أهؤلاء ايّاكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون» سبأ: ٤٠ ـ ٤١) وهذا يقطع بأنّه ليس من الملائكة.

ومن المفسرين من قال: قد كان إبليس من الجنّ، ثمّ اختلفوا فمنهم من قال: إنّ إبليس كان خازناً على الجنان. ومنهم من قال: كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان

الأرض، ومنهم من قال: إنه كان يوسوس ما بين السماء والأرض».

ومن الادباء: من قال: إن ابليس كان من الملائكة فاحتجّوا بالإستثناء في قوله تعالى: «فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين» الحجر: ٢٩-٣٠) فقالوا: إنّ الاستثناء من غير الجنس خلاف الأصل: فالإستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل، ولذلك يوجب كونه من الملائكة.

في شرح الحديد: «قال شيخنا أبوعثمان وجماعة من أصحابنا: إنّه من الملائكة، ولذلك استثناه الله تعالى، فقال: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلّا ابليس».

اجيب عنه: بأنّ الإستثناء ههنا منقطع، وهو مشهور في كلام العرب، كثير في كلامه تعالى قال الله عزّوجلّ: «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلّا قيلاً سلاماً سلاماً» الواقعه: ٢٥-٢٦) وقال: «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم» النساء: ٢٩) مع أنّ ابليس كان جنّياً واحداً بين الالوف من الملائكة، فغلّبوا عليه في قوله: «فسجدوا» ثمّ استثنى هو منهم استثناءً واحداً منهم، وقد كان مأموراً بالسجود معهم، فلمّا دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالإستثناء منهم.

ومنهم من قال: إنّ إبليس كان من الملائكة، إذ لو لم يكن من الملائكة لما كان قوله جلّ وعلا: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا» متناولاً له، فلا يكون تركه للسجود إباء واستكباراً ومعصية، ولما استحقّ الذمّ والعقاب، فعلم أنّ الخطاب كان متناولاً له، ولا يتناوله الخطاب إلّا إذا كان من الملائكة.

اجيب عنه: إنّ ابليس ما كان من الملائكة ولكنه نشأ منهم، وطالت خلطته بهم والتصق بهم، فلا جرم تناوله ذلك الخطاب، وأيضاً يجوز أن يكون مأموراً بالسجود بأمر آخر، ويكون قوله جلّ وعلا: «ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك» الأعراف: ١٢) إشارة إلى ذلك الأمر.

ومنهم من قال: من قال: إنّ ابليس كان من الملائكة بدلالة قوله تعالى: «فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلّا ابليس» على ذلك، ولكنّ الله جلّ وعلا مسخه حيث خالف

الأمر، فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة، وقد كان قبل ذلك ملكاً، قالوا: ومعنى قوله: «كان من الجنّ» الكهف: ٥٠) أي من خزّان الجنة. وروي ذلك عن ابن عباس، قالوا: ويحمل على معناه أن صار من الجن، فيكون «كان» بمعنى «صار» كقوله تعالى: «كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً» مريم: ٢٩) أي من صار لأنّها لو كانت «كان» على حقيقتها لوجب ألّا يكلّم بعضهم بعضاً لأنهم كانوا صبياناً في المهود.

قالوا: ومعنى صيرورته من الجنّ صيرورته ضالاً كما أنّ الجنّ ضالّون لأنّ الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى: «والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض» التوبة: ٦٩) فمعنى «كان من الجنّ» صار من الجنّ كما أنّ قوله: «وكان من الكافرين» البقرة: ٣٤) معناه صار من الكافرين، ذكر ذلك الأخفش وجماعة من الادباء.

اجيب عنه: انه خلاف الظاهر فلايصار إليه إلّا بدليل، فلا دليل ههنا على ذلك.

ومنهم من قال: إنّ ابليس كان من طائفة من الملائكة يسمّون جنّاً من حيث كانوا خزنة الجنّة. وقيل: سمّوا جناً لاجتنانهم من العيون، واستشهدوا بقول الأعشى في سليمان عليه السلام:

وسخّر من جنّ الملائك تسعة ... قياماً لديه يعملون بلا أجر

وفيه مالايخفى على القارئ الخبير المتدبر.

ومنهم من قال: إن ابليس لم يكن من الملائكة فاحتجّوا بقوله عزوجل: «إلّا ابليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه» الحجر: ٣٠).

ومن المحدّثين من قال: إن ظاهر اكثر الأخبار والآثار يدل على أن إبليس ما كان من الملائكة وإنّه لمّا كان مخلوطاً بهم، وتوجّه الخطاب إليهم شمله هذا الخطاب، وقوله تعالى: «وإذ قلنا للملائكة» مبنيّ على التغليب الشايع في الكلام.

ومنهم من قال: إن إبليس كان من الملائكة، وأما ماروي عن ابن عباس من أنّ الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي إبليس وكان صغيراً مع الملائكة فتعبّد معها، فلمّا امروا بالسجود لآدم سجدوا إلّا ابليس أبى فلذلك قال تعالى: «إلّا إبليس كان من

الجن» فانّه خبر واحد لايصحّ».

اجيب عنه: ان الأخبار الواردة الكثيرة على عدم كون ابليس من الملائكة ليست مقصورة فيما روى عن ابن عباس البتة.

ومن المتكلمين من قال: انه ليس من الملائكة، وكان من الجنّ خاصة.

في البحار: قال: «فالذي ذهب إليه أكثر المتكلمين من أصحابنا وغيرهم أنه لم يكن من الملائكة، وقد مرّت الأخبار الدالة عليه».

وفي أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: إن ابليس من الجن خاصة وانه ليس من الملائكة ولا كان منها، قال الله تعالى: «إلّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» وجاءت الأخبار متواترة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام بذلك وهو مذهب الامامية كلها وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث».

ومنهم: من قال: ان ابليس كان من الجن وليس من الملائكة واحتجّوا بوجوه:

أحدها ـ بقوله تعالى: «إلّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» الكهف: ٥٠) قالوا: ومتى أُطلق لفظ الجن، لم يجز أن يعنى به إلّا الجنس المعروف الذي يقابل بالانس في الكتاب الكريم: «وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون» الذاريات: ٥٦) وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه.

ثانيها ـ بقوله عزوجل: «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحريم: ٦) إذ نفى الله تعالى عن الملائكة المعصية نفياً عاماً، فوجب أن لايكون ابليس منهم، مع أن الدلائل الدالة على عصمة الملائكة كثيرة جداً.

ثالثها ـ أن ابليس له نسل وذرية لقوله تعالى: «أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ» الكهف: ٥٠) والملائكة لاذرية لهم لأنه ليس فيهم انثى لقوله تعالى: «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً» الزخرف: ١٩) والذرية إنما تحصل من الذكر والانثى. وكان للجن رجال لقوله عزوجل: «وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن» الجن: ٦) فلو لم يكن للجن انثى، لم يطلق على طائفة منهم رجال.

رابعها ـ بقوله تعالى: «جاعل الملائكة رسلاً» وذلك لايجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب، وقالوا: إن استثناء الله تعالى إياه منهم لايدل على كونه من جملتهم، وإنما استثناه منهم لأنه كان مأموراً بالسجود معهم، فلمّا دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم، وقيل أيضاً: إنّ الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى: «ما لهم به من علم إلّا اتباع الظن» النساء: ١٥٧).

أقول: إن الآيات الكريمة والروايات الكثيرة التي أوردنا بعضها سابقاً تدل على أنّ إبليس ماكان من الملائكة، بل كان ممن اتخذ الله جل وعلا منهم على أن يسجدوا لآدم عليه السلام فسجد له غيره، فأبى هو واستكبر وكان من الكافرين.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام:

«واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيّته إليهم: في الاذعان، بالسجود له والخشوع لتكرمته فقال سبحانه: «اسجدوا لآدم» فسجدوا إلّا ابليس، اعترته الحميّة، وغلبت عليه الشقوة، وتعزّز بخلقة النار، واستوهن خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدة فقال: «إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم»».

وفي المجمع: عن ابن أبي عمير عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئلته عن إبليس أكان من الملائكة؟ أو كان يلي شيئاً من أمر السمآء؟ فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السمآء وكان من الجن وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله سبحانه يعلم أنه ليس منها، فلمّا أمر بالسجود لآدم كان منه الذي كان. وكذا رواه العياشي في تفسيره».

وفي اصول الكافي: عن جميل قال: كان الطيّار يقول لي: إبليس ليس من الملائكة، وإنّما امرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال إبليس: لا أسجد، فما لإبليس يعصى حين لم يسجدو ليس هو من الملائكة، قال: فدخلت أنا وهو على أبي عبد الله عليه

السلام قال: فأحسن والله في المسئلة فقال: جعلت فداك أرأيت ماندب الله عزوجل إليه المؤمنين من قوله: «يا أيها الذين آمنوا» أدخل في ذلك المنافقون منهم؟ قال: نعم والضلال وكل من أقرّ بالدعوة الظاهرة، وكان إبليس ممّن أقرّ بالدعوة الظاهرة معهم».

وفي روضة الكافي: عن جميل بن درّاج قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة أم كان يلي شيئاً من أمر السمآء؟ فقال لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السمآء ولا كرامة، فأتيت الطيّار فأخبرته بما سمعت فأنكره وقال: وكيف لايكون من الملائكة؟ والله عزوجل يقول: «و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس» فدخل عليه الطيار فسئله وأنا عنده فقال له: جعلت فداك رأيت قوله عزوجل: «يا أيّها الذين آمنوا» في غير مكان من مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذا المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذا المنافقون والضلال وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة».

﴿صلوات الملائكة وتسبيحهم﴾

قال الله عزوجل «ألم تر أنّ الله يسبّح له من في السموات والأرض والطير صافّات كلّ قد علم صلا ته وتسبيحه والله عليم بمايفعلون» النور: ٤١)

وقال: «هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً - إن الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» الاحزاب: ٤٣ و ٥٦).

وقد وردت صلوات الملائكة في القرآن الكريم على وجوه ثلا ثة:

أحدها - الصلاة لله جل وعلا.

ثانيها - الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ثالثها - الصلاة على المؤمنين.

وقد وردت في المقام روايات كثيرة نشير إلى مايسعه المقام ونحن على جناح الإختصار:

في التوحيد: باسناده عن الأصبغ قال: جاء ابن الكوّاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين! والله إن في كتاب الله تعالى لآية قد أفسدت عليّ قلبي وشكّكتني في ديني! فقال عليه السلام له: ثكلتك امّك وعدمتك وماتلك الآية؟ قال: هو قول الله تعالى: «والطير صافّات كلّ قد علم صلا ته وتسبيحه» فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: يابن الكوّا إن الله تعالى خلق الملائكة في صور شتّى، ألا إن لله تعالى ملكاً في صورة ديك أبح أشهب، براثنه في الأرضين السابعة السفلى، وعرفه مثنيّ تحت العرش، له جناحان:

جناح في المشرق، وجناح في المغرب، واحد من نار، والآخر من ثلج، فاذا حضر وقت الصلاة قام على براثنه ثمّ رفع عنقه من تحت العرش ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم، فينادى: أشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمّداً (عبده ورسوله) سيّد النبيين، وأنّ وصيّه سيّد الوصيين، وأن الله سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، قال: فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله، وهو قوله عزوجل: «والطير صافات كلّ قد علم صلا ته وتسبيحه» من الديكة في الأرض».

قوله عليه السلام: «أبح» من البحّة وهي غلظة الصوت، و«أشهب»: صعب، و «براثنه» جمع البرثن بمعنى الكف مع الأصابع، ومخلب الأسد، و«صفق» الصفق: الضرب يسمع له صوت.

وفي المجمع: عن أبي أيّوب الأنصاري عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين، وذلك انه لم يصلّ فيها أحد غيري وغيره».

وفي الدرالمنثور: عن إبن جبير أن عمر سئل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن صلاة الملائكة فلم يردّ عليه شيئاً، فأتاه جبرئيل، فقال: إن أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي العزّة والجبروت، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحيّ الذي لايموت ».

وقوله تعالى: «إن الله وملائكته يصلّون على النبي» الاحزاب: ٥٦) أي ينعطف تعالى على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالرحمة والرضوان، و بالكرامة والغفران، وينعطف ملائكته على النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بنزول الرحمة عليه والاستغفار له صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالثناء والتعظيم، وتعلية مقامه وتشريفه بمزيد كرامته...

وقوله جل وعلا: «هو الذي يصلّي عليكم وملائكته...» الاحزاب: ٤٣) إن الله جل وعلا يذكر المؤمنين بالعناية والمغفرة والرحمة، ويذكرهم ملائكته عزوجل بالاستغفار لهم، والاهتمام بما يصلحكم، وصلاح أمرهم، وظهور شرفهم، ودعائهم لهم.

في الكافي: باسناده عن إسحق بن فروخ مولى آل طلحة قال: قال أبوعبد الله عليه السلام: يا اسحق بن فروخ من صلّى على محمّد وآل محمّد عشراً صلّى الله عليه وملائكته ألفاً أما تسمع قول الله عزوجل: «هو الذي يصلّي عليكم وملائكته...».

وأما تسبيح الملائكة فالآيات الكريمة والروايات الواردة فيه كثيرة جداً لايسعها مقام الاختصار.

فمن الآيات القرآنيّة...

قوله تعالى حكاية عنهم: «ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك» البقرة: ٣٠).

وقوله جل وعلا: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا» غافر: ٧)

وقوله عزوجل: «تكاد السموات يتفطّرن من فوقهن والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض» الشورى: ٥) وغيرها من الايات الكريمة...

وقال بعض المفسرين: إن مخلوقات الله نوعان: نوع، عالم الجسمانيّات التي أعظمها هي السموات ونوع، عالم الروحانيات التي أعظمها هي الملائكة، فبيّن الله جل وعلا كمال عظمته باستيلاء هيبته على الجسمانيات إذ قال: «تكاد السموات يتفطّرن من فوقهنّ» ثم انتقل إلى ذكر الروحانيات، فقال: «والملائكة يسبّحون بحمد ربهم» والجواهر الروحانية لها تعلّقان: تعلّق بعالم الجلال والكبرياء وهو تعلّق القبول، فانّ الأضواء الصمدية إذا شرقت على الجواهر الروحانية استضائت جواهرها، وأشرقت ماهيّاتها، ثم إن الجواهر الروحانية إذا استفادت تلك القوى الروحانية قويت بها على الاستيلاء على عالم الجسمانيات، وإذا كان كذلك فلها وجهان:

وجه إلى حضرة الجلال، ووجه إلى عالم الأجسام، والوجه الأول أشرف من الثاني، إذا عرفت هذا فنقول: أما الجهة الاولى وهي الجهة المقدّسة العلوية فقد اشتملت على أمرين: أحدهما ـ التسبيح والثاني ـ التحميد لأن التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عمّا لاينبغي، والتحميد عبارة عن وصفه بكونه مفيضاً لكل الخيرات، وكونه منزّهاً في ذاته

عمّا لاينبغي مقدّم بالرتبة على كونه فيّاضاً للخيرات والسعادات، لأن وجود الشيء مقدم على ايجاد غيره، وحصوله في نفسه مقدّم على تأثيره في حصول غيره، فلهذا السبب كان التسبيح مقدّماً على التحميد، ولهذا قال: «يسبّحون بحمد ربهم» وأما الجهة الثانية وهي الجهة التي لتلك الأرواح إلى عالم الجسمانيات فالاشارة إليها بقوله: «ويستغفرون لمن في الأرض» والمراد منها تأثيراتها في نظم أحوال هذا العالم وحصول الطريق الأصوب فيها».

وفي العيون: باسناده عن دارم بن قبيصة عن الرضا عن آبائه عليهم السلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن لله ديكاً عُرفه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى إذا كان في الثلث الأخير من الليل سبّح الله تعالى ذكره بصوت يسمعه كل شيء ماخلا الثقلين الجن والانس، فتصيح عند ذلك ديكة الدنيا».

قال الله عزوجل: «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٤).

وفي التوحيد: باسناده عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى [ورأسه عند العرش باقي عنقه تحت العرش، وملك من ملائكة الله خلقه الله تعالى ورجلاه في تخوم الأرض السابعة] مضى مصعداً فيها مدّ الأرضين حتى خرج منها إلى افق السمآء ثم مضى فيها مصعداً حتّى انتهى قرنه إلى العرش وهو يقول: سبحانك ربّي وإن لذلك الديك جناحين إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب، فاذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح وهو يقول: سبحان الله الملك القدّوس الكبير المتعال، لاإله إلّا هو الحيّ القيّوم.

فاذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض كلّها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ، فاذا سكن ذلك الديك في السمآء سكنت الديكة في الأرض، فاذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوزا المشرق والمغرب وخفق بهما وصرخ بالتسبيح: سبحان الله

العزيز، سبحان الله العظيم، سبحان الله العزيز القهّار، سبحان الله ذي العرش المجيد، سبحان الله ذي العرش الرفيع، فاذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض، فاذا هاج هاجت الديكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله تعالى، ولذلك الديك ريش أبيض كأشد بياض ما رأيته قط، له زَغَب أخضر تحت ريشه الأبيض كأشد خضرة مارأيتها قط، فمازلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك».

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «تخوم» جمع التخم: منتهى كل قرية أو أرض، و«صرخ» الصراخ: الصوت، و «زغب» الزَغَب: الشُعَيرات الصفر على ريش الفَرْخ.

وفيه: باسناده عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إن لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل الثلج، فلاالنار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهوقائم ينادي بصوت له رفيع: «سبحان الذي كفّ حرّ هذه النار فلاتذيب هذا الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلايطفئ حرّ هذه النار اللهم يا مؤلّفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك».

وفيه: باسناده عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا وهو يسبّح الله تعالى ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة، لايرفعون رؤوسهم إلى السمآء، ولايخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عزوجل».

وفيه باسناده عن جميل بن درّاج قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام هل في السمآء بحار؟ قال: نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمأة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزوجل، والماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلّا وله ألف وأربعمأة جناح، في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه أربعة ألسن، ليس فيها جناح ولاوجه ولالسان ولافم إلّا وهو يسبّح الله تعالى بتسبيح لايشبه نوع منه صاحبه».

فلا تستبعد ذلك أيّها القاري الخبير، وقد نشر من الإذاعة في اخبار صباح يوم الثلثاء

-١٠/١٠/١٣٧٠ هـش = ٢٤ جمادي الثاني ١٤١٢ هـق- نقلا عن محقق الغرب: انه قد ثبت أخيراً ورؤي بآلات المناظر المكبّرة أن في هذا الفضاء نحو ستين ألف نوع من أنواع الموجودات، بُعدها عنّا من نحو ثانية واحدة إلى نحو عشرة ميليارد سنة نورية.

وفي الاقبال: عن الامام زين العابدين عليه السلام في دعاء عرفة: «اللهم إن ملائكتك مشفقون من خشيتك، سامعون مطيعون لك، وهم بأمرك يعملون لايفترون الليل والنهار يسبّحون».

﴿نوم الملائكة وأكلهم وشربهم﴾

قد اختلفت كلمات الأعلام في نوم الملائكة وأكلهم وشربهم اختلافاً كثيراً:

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «لايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول ولافترة الأبدان ولاغفلة النسيان».

في شرح الحديد: قال القطب الراوندي: معنى قوله عليه السلام: «لايغشاهم نوم العيون» يقتضي أنّ لهم نوماً قليلاً لايغفلهم عن ذكر الله سبحانه، فأما الباري سبحانه فإنّه لا تأخذه سنة ولانوم أصلاً مع أنّه حيّ وهذه هي المدحة العظمى.

ولقائل أن يقول: لوناموا قليلاً لكانوا زمان ذلك النوم ـ وإن قلّ ـ غافلين عن ذكر الله سبحانه لأن الجمع بين النوم وبين الذكر مستحيل. والصحيح أنّ الملك لايجوز عليه النوم كما لايجوز عليه الأكل والشرب، لأنّ النوم من توابع المزاج، والملك لامزاج له، وأما مدح الباريء بأنه لا تأخذه سنة ولانوم فخارج عن هذا الباب، لأنّه تعالى يستحيل عليه النوم إستحالة ذاتية، لايجوز تبدّلها، والملك يجوز أن يخرج عن كونه ملكاً، بأن يُخلق في أجزاء جسمه رطوبة ويبوسة وحرارة وبرودة، يحصل من إجتماعها مزاج، ويتبع ذلك المزاج النوم، فاستحالة النوم عليه إنما هي مادام ملكاً فهو كقولك:

الماء بارد أي مادام ماء لأنه يمكن أن يستحيل هواءً ثم ناراً، فلايكون بارداً لأنه ليس حينئذ ماء، والباريء جلّت عظمته يستحيل على ذاته أن يتغيّر، فاستحال عليه النوم استحالة مطلقة مع أنّه حيّ ومن هذا إنشاء التمدّح».

وهذامردود بأن نوم كل مخلوق حيّ بحسب خلقته، فلوكان نوم الملائكة كنوم

الانسان على حسب مزاجنا لكانوا إنساناً لاملائكة.

إن تسئل: ان قوله عليه السلام: «لايغشاهم نوم العيون» ينافي قوله تعالى: «لا تأخذه سنة ولانوم» فانه سبحانه قد تمدّح بهذه الحالة فلاينبغي أن يشارك فيها.

اجيب عنه باجوبة: منها: ان حالة السنة وهو أول النعاس يأخذ الملائكة، والتمدّح إنّما هوبمجموع الأمرين لابكل واحد.

ومنها: ان مثل هذه الحالات لا تأخذه معناه انها ليست لها عليه تصرّف ولا تسلّط ولاهي قابلة أن تكون من حالاته، فلايتّصف هوبقبولها، ولا تتصف بأنها من الحالات القابلة له، لأن من تداولت عليه حالات الغفلة لايكون ربّاً وهو ظاهر بخلاف أنواع الملائكة، فإنّ حالة النوم من الأحوال القابلة لإتصافهم بها بالنظر إلى الامكان والمخلوقية، ولو لحقتهم لم يكن ذلك الاختلال اللازم هناك لازماً هنا،لكن خالقهم كلّفهم بهذه الحالة فقبلوا تكليفه وامتثلوا أمره فأقدرهم على القيام بهذه الحالة بخلاف البشر فانّ أبدانهم لا تقدرعلى القيام بها، ولم تكن المصلحة الالهيّة موجودة بأقدارهم عليها، فمن كانت حالته من غيره كيف تكون حالته معارضة لمن كانت حالته من نفسه، وليس هذا إلّا من قبيل ماتمدّح الله جل وعلا بها من بعض نعوته كقوله تعالى: «ليس بظلام للعبيد» آل عمران: ١٨٢).

ونحن نقول: إنّ الله ليس بظلّام والأنبيآء والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين لهم هذه الصفة أيضاً، فقد شاركوه فيما تمدّح به.

في العلل: عن محمد بن علي بن ابراهيم: سئل أبوعبد الله عليه السلام عن الملائكة يأكلون ويشربون وينكحون؟ فقال: لا إنّهم يعيشون بنسيم العرش، فقيل له: ما العلّة في نومهم؟ فقال: فرقاً بينهم وبين الله عزوجلّ لأنّ الذي لا تأخذه سنة ولانوم هو الله».

وفي البحار: عن داود بن فرقد قال: قال لي بعض أصحابنا: أخبرني عن الملائكة أينامون؟ قلت: لا أدري، فقال: يقول الله عزوجل: «يسبّحون الليل والنهار لايفترون» ثمّ قال: لااطرفك عن أبي عبد الله عليه السلام بشيء؟ فقلت: بلى، فقال: سئل عن

ذلك، فقال: ما من حيّ إلاّ وهوينام خلا الله وحده عزوجل والملائكة ينامون، فقلت: يقول الله عزوجل: «يسبّحون الليل والنهار لايفترون» قال: أنفاسهم تسبيح».

فمعنى قوله عليه السلام «لايغشاهم نوم العيون» انه لايغشاهم النوم كما يغشى غيرهم بأن يشغلهم عن التسبيح والتقديس.

وهذا من باب ماروي في باب صفات النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وخواصّه من أنّ عينه تنام، وقلبه لاينام إنتظاراً للوحي الالهي، فالنوم وإن اعتراه لكن لايعطّله عن مراقبة ربه سبحانه كما يعطّل غيره. وقد تظافرت الأخبار بأنّ طعام الملائكة هو التحميد، وشرابهم هو التقديس.

في الاختصاص: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في جبرئيل عليه السلام: «طعامه التسبيح وشرابه التهليل».

فأحوال الروحانيات من الروح والريحان، والنعمة واللذة، والراحة والبهجة، والسرور في جوار ربّ الأرباب، طعامهم وشرابهم: التحميد والتقديس والتهليل والتمجيد، وانسهم بذكرالله تعالى وطاعته، فمن قائم، ومن راكع، ومَن ساجد، ومَن قاعد لايزيد تبديل حالته لماهوفيه من البهجة واللذة، ومن خاشع بصره لايرفع، ومن ناظر لايغمض، ومن ساكن لايتحرك، ومن متحرك لايسكن، ومن كروبي في عالم القبض، ومن روحاني في عالم البسط: «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحريم: ٦).

وقد قامت الأدلة القاطعة والبراهين الواضحة على أنّ الملائكة هم يسمعون، ويبصرون، ويعقلون ويعلمون ويكتبون ويقرؤن ويأخذون، ويسبّحون الليل والنهار لايفترون.

إن تسئل: فاذا كانوا كذلك فلهم شمّ وذوق وعين واذن ولسان ورجل ويد ولمس...؟

نجيب عنه: لايقاس عالم الملك والملكوت بعالم المادة والناسوت، فكلٌّ بحسبه.

وقال قوم: إنّ الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون، والجنّ يتوالدون وفيهم ذكور و إناث ويموتون، والشياطين ذكور واناث، و يتوالدون ولايموتون حتى يموت إبليس».

﴿المفاضلة بين الملائكة والأنبياء والائمّة﴾
صلوات الله عليهم أجمعين

قال الله عزوجل: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » البقرة: ٣٤).

في المجمع: قال: «والظاهر يقتضي أن الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل لقوله: «فسجد الملائكة كلّهم أجمعون» وفي هذا تأكيد للعموم.

ثم قال: واختلف في سجود الملائكة لآدم على أيّ وجه كان فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام أنه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل أصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة من حيث انه أمرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم، وإذا كان المفضول لايجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنه أفضل من الملائكة».

وفي أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: «اتفقت الامامية على أنّ أنبياء الله تعالى عزوجل ورسله من البشر أفضل من الملائكة ووافقهم على ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعم الجمهور منهم ان الملائكة أفضل من الأنبياء والرسل عليهم السلام وقال نفر منهم سوى من ذكرناه: بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر، وكان اختلافهم في هذا الباب على ما وصفناه وإجماعهم على خلاف القطع بفضل الأنبياء على الملائكة حسب ماشرحناه»

وفيه: «أما الرّسل من الملائكة والأنبياء عليهم السلام فقولي فيهم مع أئمة آل محمّد

صلّى الله عليه وآله وسلّم كقولي في الأنبياء من البشر والرسل عليهم السلام، وأما باقي الملائكة فإنهم و إن بلغوا بالملائكة (بالملكية أي بعنوان كونهم ملائكة) فضلاً، والأئمة من آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل منهم، وأعظم ثواباً عند الله عزوجل بأدلة ليس موضعها هذا الكتاب».

وفي شرح الحديد: قال: «البحث الخامس في أنّ أيّ القبيلين أفضل: الملائكة أو الأنبياء؟ قال أصحابنا: نوع الملائكة أفضل من نوع البشر، والملائكة المقرّبون أفضل من نوع الأنبياء وليس كلّ ملك عند الاطلاق أفضل من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بل بعض المقرّبين أفضل منه وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل من ملائكة اخرى غير الاولين، والمراد بالأفضل الأكثر ثواباً، وكذلك القول في موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

ثم قال: وقال الشيعة: الأنبياء أفضل من الملائكة والأئمّة أفضل من الملائكة».

وفي الأنوارالنعمانية: «ان المعتزلة وأبا عبد الله الحليمي والقاضي أبابكر من الأشاعرة ذهبوا إلى تفضيل الملائكة العلويين على الأنبيآء عليهم السلام وأما الملائكة السفليّة ـ الأرضية ـ فلاخلاف في تفضيل الانبياء عليهم.

ثم قال: وأما الأنبياء والأئمّة عليهم السلام فهم قد فعلوا أفعال الملائكة مع اتصافهم بالقوى الحيوانية، فهم أفضل من الملائكة كما انعقد عليه إجماعنا، ومن ثم كان العامل منّا بما يطيق من أنواع العبادات أفضل من الملائكة كما ذهب إليه بعض الأصحاب ودلّت عليه بعض الأخبار».

وفي الاحتجاج ـ فيما سئله الزنديق عن الامام الصادق عليه السلام ـ قال: فالرسول أفضل أم الملك المرسل إليه؟ قال عليه السلام: بل الرسول أفضل».

وفي العلل: باسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي ،قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت

أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك ، وأنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا يا عليّ! الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا عليّ لولانحن ماخلق الله آدم ولاحوّاء، ولاالجنّة ولا النار، ولاالسماء ولا الأرض، فكيف لانكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟ لأنّ أوّل ماخلق الله عزوجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده.

ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وانّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلمّا شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلّا الله وإنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلّا الله، فلمّا شاهد واكِبَر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلّا به، فلمّا شاهدوا ماجعله الله لنا من العزّ والقوة قلنا: لاحول ولاقوّة إلّا بالله لتعلم الملائكة أن لاحول لنا ولاقوة إلّا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة مايحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته.

فقالت الملائكة: الحمد لله فينا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزوجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لانكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون، وأنه لمّا عرج بي إلى السمآء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى ثمّ قال لي: تقدّم يا محمد! فقلت له: جبرئيل أتقدّم عليك ؟

فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصة فتقدمت فصلّيت بهم ولافخر، فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل:

تقدّم يا محمّد! وتخلّف عنّى، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمّد! إنّ انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزوجل إلى هذا المكان فإن تجاوزته إحترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزجّ بي في النور زجّة حتى إنتهيت إلى حيث ماشاء الله من علوّ ملكه، فنوديت يا محمّد!

فقلت: لبيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت يا محمّد! أنت عبدي وأنا ربك، فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل، فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي، وحجتي على بريتي، لك ولمن إتبعك خلقت جنّتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي، فقلت: يا ربّ ومن أوصيائى؟ فنوديت: يامحمّد! أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله الى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً، في كل نور سطر أخضر عليه إسم وصيّ من أوصيائي، أوّلهم:

علي بن أبيطالب، وآخرهم مهدي امّتي، فقلت: يا ربّ هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يامحمّد! هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي وهم أوصياءك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي، لأظهرنّ بهم ديني ولأعلين بهم كلمتي ولأطهّرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكّننّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخّرنّ له الرياح، ولأ ذللنّ له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الاسباب، ولأنصرنّه بجندي ولأمدّنّه بملائكتي حتّى تعلو دعوتي ويجتمع الخلق على توحيدي، ثمّ لأديمن ملكه ولأ داولنّ الأليام (الأيام خ) بين أوليائي إلى يوم القيامة».

وفيه: باسناده عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لايدخل حتى يستأذنه».

وفيه: باسناده عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما كان يوم احد انهزم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى لم يبق معه إلّا علي بن أبيطالب عليه السلام وأبو دجّانة سماك بن خرشة، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا دجانة:

أما ترى قومك ؟ قال: بلى قال: إلحق بقومك ؟ قال: ما على هذا بايعت الله ورسوله، قال: أنت في حلّ قال: والله لا تتحدث قريش بأنّي خذلتك وفررت حتّى أذوق ماتذوق، فجزاه النبي خيراً وكان علي عليه السلام كلّما حملت طائفة على رسول الله استقبلهم و ردّهم حتى أكثر فيهم القتل والجراحات حتى انكسر سيفه، فجآء إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار، فمازال يدفع به عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى أثر وانكسر، فنزل عليه جبرئيل وقال: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساات من عليّ لك ، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، وسمعوا دوياً من السمآء: لاسيف إلّا ذوالفقار ولافتى إلّا عليّ».

ثم قال الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه: «قول جبرئيل: وأنا منكما، تمنّى منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منهما لم يقل ذلك ، ولم يتمنّ أن ينحطّ عن درجته إلى أن يكون ممّن دونه، و إنّما قال: وأنا منكما ليصير ممن هو أفضل منه، فيزداد محلاً إلى محله، وفضلاً إلى فضله».

وفيه: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لما اسرى برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحضرت الصلاة أذّن جبرئيل وأقام الصلاة، فقال: يا محمّد تقدّم، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: تقدّم يا جبرئيل؟ فقال له: إنّا لا نتقدّم على الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم».

وفيه: باسناده عن محمّدبن عمار بن ياسر عن أبيه قال: «سمعت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: إنّ حافظي علي بن أبيطالب عليه السلام ليفتخران على جميع الحفظة لكينونتهما مع عليّ عليه السلام وذلك انهما لم يصعدا إلى الله تعالى بشيء منه يسخط الله تبارك وتعالى».

وفي اكمال الدين: باسناده عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «إنّ الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له: « دردائيل» كان له ستة عشر ألف

جناح، مابين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض، فجعل يوماً يقول في نفسه: أفوق ربّنا جلّ جلاله شيء؟ فعلم الله تبارك وتعالى ماقال، فزاده أجنحة مثلها، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح، ثم أوحى الله عزوجل إليه أن طر، فطار مقدار خمسمأة عام، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلمّا علم الله عزوجل اتعابه أوحى إليه: أيها الملك عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقي شيء ولاأُوصف بمكان، فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة، فلمّا ولد الحسين عليه السلام هبط جبرئيل في ألف قبيل من الملائكة لتهنئة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فمرّ بدردائيل: فقال له: سل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بحق مولوده أن يشفع لي عند ربّي، فدعا له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بحقّ الحسين عليه السلام فاستجاب الله دعائه وردّ عليه أجنحته، وردّه إلى مكانه...».

قوله عليه السلام: «أفوق ربّنا جلّ جلاله شيء؟» لعلّه كان ذلك بمحض خطور البال بغير شك لئلّا ينافي العصمة والجلالة.

﴿نزول الملائكة والروح على أهل بيت النبوّة﴾
عليهم صلوات الله

واعلم أن في المقام روايات صحيحة كثيرة فنشير إلى نبذة منها:

١ـ **في الكافي** باسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئلته عن علم الامام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: «يا مفضّل إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوّة فبه نهض وجاهد وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النسآء من الحلال، وروح الايمان فبه آمن وعدل وروح القدس فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم انتقل روح القدس فصار إلى الامام وروح القدس لاينام ولايغفل ولايلهو ولايزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به».

قوله عليه السلام: «دبّ»: مشى على اليدين والرجلين كالطفل، و«درج»: مشى على الرجلين، و«يزهو» من الزهو: الرجاء الباطل والكذب والاستخفاف، و«روح القدس كان يرى به» يعني كان يرى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والامام بروح القدس ما غاب عنه في أقطار الأرض، وما في أعنان السماء ومادون العرش إلى ما تحت الثرى.

٢ ـ **فيه**: باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان» قال: «خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخبره ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده».

٣ ـ **فيه**: باسناده عن أسباط بن سالم قال: سئله رجل من أهل هيت ـ وأنا حاضر ـ

عن قول الله عزوجل: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» فقال: منذ أنزل الله عزوجل ذلك الروح على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا»

قوله: «من أهل هيت» هيت: بلد بالعراق.

٤ـفيه: باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: «يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مع الأئمّة وهو من الملكوت».

قوله عليه السلام: «وهو من الملكوت» أي هو من المجردات أو العلويّات.

٥ ـ فيه: باسناده عن الأحول قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدّث، قال: «الرسول الذي يأتيه جبرئيل عليه السلام قُبُلاً فيراه ويكلّمه، فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أسباب النبوة قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حين جمع له النبوّة وجائته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل عليه السلام ويكلّمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوّة ويرى في منامه، ويأتيه الروح ويكلّمه ويحدّثه من غير أن يكون يرى في اليقظة، وأما المحدّث فهو الذي يحدّث فيسمع ولايعاين ولايرى في منامه».

قوله عليه السلام: «قبلاً» بالضمّ: مقابلة وعياناً كقوله تعالى: «أو يأتيهم العذاب قبلاً» الكهف: ٥٥) أي عياناً.

٦ ـ في الاختصاص: باسناده عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «انّا نقول: إنّ علياً عليه السلام كان ينكت في اذنه ويوقر في صدره، فقال: إن علياً عليه السلام كان محدّثاً، ولمّا رآني قد كبر عليَّ قوله فقال: إنّ علياً يوم بني قريظة والنضير كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يحدّثانه».

٧ ـ فيه باسناده عن علي بن عبد العزيز عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن الناس يزعمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجّه علياً عليه السلام إلى اليمن

ليقضي بينهم، فقال علي عليه السلام: فما وردت عليّ قضيّة إلّا حكمت فيها بحكم الله وحكم رسوله، فقال: صدقوا، فقلت: وكيف ذاك ولم يكن أُنزِل القرآن كله، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غائباً؟ فقال: كان يتلّقاه (يتلقى خ) به روح القدس».

٨ ـ فيه: باسناده عن محمدبن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام «إنّ سلمة بن كهيل يروي في عليّ عليه السلام أشيآء كثيرة، قال: ماهي ؟ قلت: حدّثني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان محاصراً أهل الطائف وانّه خلا بعليّ عليه السلام يوماً فقال رجل من أصحابه: عجباً لما نحن فيه من الشدّة وانه يناجي هذا الغلام منذ اليوم! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما أنا بمناجيه إنما يناجي ربه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: نعم إنّما هذه أشياء يعرف بعضها من بعض».

قوله عليه السلام: «نعم إنما هذه أشياء..» لعل مراده عليه السلام أنّ فضائله ومناقبه عليه السلام يشهد بعضها على صحة بعض، ففيه تصديق مع برهان، أو المعنى: أنّ هذه المناقب تدلّ على إمامته عليه السلام.

٩ ـ في كشف الغمة: من مناقب الخوارزمي عن جابر قال: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم علياً عليه السّلام يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: والله ما أنا انتجيته ولكنّ الله انتجاه» وذكره النسائي في صحيحه وأورده الترمذي أيضاً في صحيحه.

١٠ ـ في العمدة: باسناده عن جابر بن عبد الله قال: «ناجى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الطائف علياً عليه السلام وطال نجواه فقال أحد الرجلين: لقد طال نجواه لابن عمّه، فلمّا بلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: ما أنا انتجيته ولكنّ الله انتجاه».

رواه عن ابن المغازلي بستة أسانيد، ورواه ابن الأثير في (جامع الاصول) من صحيح الترمذي عن جابر، وراجع إلى (تيسير الوصول إلى جامع الاصول: ج٣ ص٢٣٨) فقد ثبت بنقل الفريقين هذا الخبر بأسانيد متعددة صحّته وتواتره، وهذه درجة تضاهي

النبوّة بل تربي على درجة بعض الأنبياء الذين كانت نبوّتهم بالنوم.

ومثل هذا لايكون رعية لمن لاينتجيه إلّا الشيطان باعترافه وهو أبوبكر بن أبي قحافة اذ قال: «أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً ولوددت أنّ فيكم من يكفيني، أفتظنّون أني أعمل فيكم بسنّة رسول الله؟ إذن لاأقوم بها، إنّ رسول الله كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني»:

راجع (طبقات ابن سعد: ج٣ ص١٥١) و (الامامة والسياسة: ج١ ص١٦) و (تاريخ الطبري: ج٣ ص٢١٠) و (الصفوة: ج١ ص٩٩) و (شرح ابن أبي الحديد: ج٣ ص٨) و (ج٤ ص١٤٧) و (كنز العمال: ج٣ ص١٢٦) وغيرها من كتب العامة وأسفارهم.

١١ ـ في الخرائج: باسناده عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نحن الذين تختلف الملائكة إلينا، فمنّا من يسمع الصوت ولايرى الصورة، وإنّ الملائكة لتزاحمنا على تكأتنا وإنّا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخاباً لأولادنا».

قوله عليه السلام: «تكأتنا» من التكأة ـ كهمزة ـ: مايتكأ عليه و«سخاباً»: قلادة تتخذ من سكّ وغيره ليس فيها من الجوهر شيء.

١٢ ـ فيه: باسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا» فقال: أما والله لربما وسّدناهم الوسائد في منازلنا. قيل: الملائكة تظهر لكم؟ فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم، وضرب بيده إلى مساور في البيت، فقال: والله لطال ما اتكأت عليه الملائكة، وربّما إلتقطنا من زغبها».

١٣ ـ في البحار: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بات آل محمد بليلة أطول ليلة ظنّوا أنّهم لاسماء تظلّهم ولا أرض تقلّهم مخافة، لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتر الأقربين والأبعدين في الله، فبينما هم كذلك إذ أتاهم آتٍ لايرونه ويسمعون كلامه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله

وبركاته، في الله عزاء من كلّ مصيبة ونجاة من كلّ هلكة، ودرك لما فات، إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم وجعلكم أهل بيت نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فاعتزّوا بعزاء الله، فانّ الله لم ينزع منكم رحمته ولم يُدل منكم عدوّه.

فأنتم أهل الله الذين بكم تمّت النعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياء الله، من تولاّكم نجى، ومن ظلمكم يزهق، مودّتكم من الله في كتابه واجبة على عباده المؤمنين، والله على نصركم إذا يشآء قدير، فاصبروا لعواقب الامور فانّها إلى الله تصير، فقد قبلكم الله من نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وديعة واستودعكم أوليائه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه، فأنتم الأمانة المستودعة والمودّة الواجبة، ولكم الطاعة المفترضة، وبكم تمّت النعمة، وقدقبض الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد أكمل الله به الدين، وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك للجاهل حجة فمن تجاهل أوجهل أو أنكر أونسي أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، فاستعينوا بالله على من ظلمكم، واسئلوا الله حوائجكم والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: «القول في سماع الأئمة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام وإن كانوا لايرون منهم الأشخاص».

قال: أقول: بجواز هذا من جهة العقل، وانه ليس بممتنع في الصديقين من الشيعة المعصومين من الضلال، وقد جائت بصحته وكونه للأئمة عليهم السلام ومن سمّيت من شيعتهم الصالحين الأبرار الأخيار واضحة الحجة والبرهان، وهو مذهب فقهاء الامامية وأصحاب الآثار منهم، وقد أباه بنو نوبخت و جماعة من أهل الامامة (من الإماميّة خ) لامعرفة لهم بالأخبار ولم يمعنوا النظر ولا سلكوا طريق الصواب».

أقول: إنّ الوحي هو الكلام الخفيّ، ثمّ قد يطلق على كلّ شيء قصد به إفهام المخاطب على السّرّ له على غيره، والتخصيص له به دون من سواه، وفي عرف الاسلام

وشريعة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم يختص الوحي بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم دون من سواه فلايطلق بعد استقرار الشريعة على غيره إسم الوحي، ولايقال بعد ذلك لمن طبعه الله جل وعلا على علم شيء: انه يوحى إليه، وعندنا الامامية: إنّ الله عزوجل يسمع الحجج بعد نبيّه الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم كلاماً يلقيه إليهم في علم مايكون، لكنه لايطلق عليه اسم الوحي لاجماع المسلمين على أنه لاوحي إلى أحد بعد نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم وانه لايقال في شيء مما ذكرناه انه وحي إلى أحد.

١٤-في دلائل الامامة للطبري باسناده عن يونس بن ظبيان قال: «استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فخرج إليّ معتّب فأذن لي فدخلت ولم يدخل معي كما كان يدخل، فلمّا أن صرت في الدار نظرت إلى رجل على صورة أبي عبد الله عليه السلام فسلّمت عليه كما كنت أفعل، قال: من أنت يا هذا؟ لقد وردت على كفر أو ايمان، وكان بين يديه رجلان كأنّ على رؤسهما الطير، فقال: ادخل فدخلت الدار الثانية، فاذا رجل على صورته عليه السلام وإذاً بين يديه خلق كثير كلّهم صورهم واحدة، فقال: من تريد؟ قلت: اريد أباعبد الله عليه السلام فقال: قد وردت على أمر عظيم إما كفر أو ايمان، ثمّ خرج من البيت رجل حين بدأ به البيت، فأخذ بيدي فأوقفني على الباب وغشي بصري من النور، فقلت:

السلام عليكم يا بيت الله ونوره وحجابه، فقال: وعليك السلام يا يونس، فدخلت البيت فاذا بين يديه طائران يحكيان، فكنت أفهم كلام أبي عبد الله عليه السلام ولاأفهم كلامهما، فلمّا خرجا قال: يا يونس: سل! نحن محل النور في الظلمات، ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمناً، نحن عترة الله وكبريائه، قال: قلت: جعلت فداك رأيت شيئاً عجيباً، رأيت رجلاً على صورتك؟ قال: يا يونس إنّا لانوصف، ذلك صاحب السماء الثالثة يسئل أن أستأذن الله له أن يصير مع أخ له في السماء الرابعة، قال: فقلت: فهؤلاء الذين في الدار؟ قال: هؤلاء أصحاب القائم من الملائكة، قال: قلت: فهذان؟ قال: جبرئيل وميكائيل نزلا إلى الأرض فلن يصعدا حتى يكون هذا

الأمر إن شاء الله وهم خمسة آلاف يا يونس، بنا أضاءت الأبصار وسمعت الآذان، ووعت القلوب الايمان».

قوله: «على كفر أو ايمان» أي إن انكرت ما رأيت كفرت، وإن قبلت آمنت، و«كأنّ على رؤوسهما الطير» أي لايتحرّكان.

﴿كلام في حكمة الايمان بالملائكة﴾

واعلم أنّ الله جل وعلا أوجب على الانسان، الايمان بالملائكة كما أوجب عليه الايمان بذاته وصفاته عزوجل، حتى وقد قرن الايمان بالملائكة، الايمان به تعالى، والكفر بهم، الكفر به سبحانه، والعداوة لهم، العداوة له تبارك وتعالىٰ في القرآن الكريم:

فقال: «من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنّ الله عدوّ للكافرين ـولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ـ آمن الرسول بما انزل إليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» البقرة: ٩٨و١٧٧و٢٨٥).

وقال: «ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النساء: ١٣٦).

وذلك أنّ الايمان بالملائكة يوجب الاعتقاد بأنّ للانسان حياة روحية، وأنه يجب عليه تنشيط هذه الحياة والاستجابة لعوامل الخير التي أودعها الله جل وعلا فيه، والغرض من ذلك، التسامي بالانسان والترقي به إلى أعلى درجات الكمال، ولهذا جعل الله عزوجل الايمان بالملائكة أصلاً من اصول الدين الاسلامي.

فمن غير ريب ان الملائكة وماهيتهم ومهماتهم وكيفيّة إتصالهم بالله جل وعلا وبالرسل من الحقائق الايمانية المغيبة التي يجب علينا الايمان بها مع الوقوف منها عند نصوص القرآن الكريم والثابت من الأحاديث النبوية وتجنّب كل تمحل وتزيد لاطائل من ورآئهما، كما أنّ أخبار البعث وأمر المبدأ والمعاد، وحديث الحشر والنشر والحساب

والميزان، والصراط وجزآء الأعمال في النشأة الآخرة ونعيم الجنان وعذاب النيران وما إليها من الامور الغائبة عن الحواس، البعيدة عن تصور الأوهام... من الحقائق الايمانية المغيبة التي يجب علينا الايمان بها كذلك.

ولايخفى ان الايمان يورث العلم لأنه متقدم الوجود على العلم، ولذلك كانت الأنبياء والمرسلون يدعون أقوامهم أوّلاً إلى الاقرار بما كانوا يخبرونهم به، وإلى التصديق بما كان غائباً عنهم عن إدراك حواسهم وتصوّر أوهامهم...

«قولوا آمنّا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما اوتي موسى وعيسىٰ وما اوتي النبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنّماهم في شقاق» البقرة: ١٣٦ - ١٣٧).

«ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشآء فآمنوا بالله ورسله - ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنّا» آل عمران: ١٧٩ و ١٩٣).

«يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به» الأحقاف: ٣١).

فاذا أقرّوا بألسنتهم سمّوهم عندئذ مؤمنين، ثمّ طالبوهم بتصديق القلب: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» التغابن: ١١) فاذا وقع التصديق بالقلب سمّوهم المتقين: «والذي جاء بالصدق وصدّق به اولئك هم المتقون» الزمر: ٣٣).

ولذلك قدّم الله جل وعلا الايمان والتقوى وتزكية النفس على تحصيل العلم إذ قال:

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون - واعتصموابحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا - ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون». آل عمران: ١٠٢ - ١٠٤).

وقال: «وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» التوبة: ١٢٢).

وقال: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلّمكم

الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون» البقرة: ١٥١).

فلابدّ من الايمان والتقوى وتزكية النفس قبل التعلّم، لأنّ الايمان... يورث العلم، وليس العلم كالايمان فإنّ كثيراً ما لايورث العلم، الايمان، بل يورث الكفر والطغيان إذ قال الله عزوجل: «فلمّا جآئتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن» غافر: ٨٣).

وقال: «وماتفرّقوا إلّا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم» الشورى: ١٤).

وقال: «يا أيّها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردّوكم بعد ايمانكم كافرين - لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل‌عمران: ١٠٠ و١٨٨).

وقال: «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً» النساء: ٥١).

فأوّل مايبدأ بالايمان الذي هو التصديق من الأنبياء عليهم السلام للملائكة بما يخبرونهم عما ليس في طاقة البشر تصوّرها قبل اخبار الملائكة لهم كما قال الله جل وعلا: «آمن الرسول بما انزل اليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» البقرة: ٢٨٥).

وانّ الملائكة مع اختلاف درجاتهم في العلوم: «ومامنّا إلّا له مقام معلوم» الصافات: ١٦٤) محتاجون إلى الايمان جل وعلا: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به» غافر: ٧) فكيف الانسان لايحتاج إلى الايمان والتصديق لقول المخبر الذي هو يخبره بما فيه سعادته وكماله، بما فيه نجاته وصلاحه، بما فيه خيره وفلاحه، وبما فيه شرفه وكرامته من المعارف والعلوم...؟ فان لم يؤمن الانسان بمخبر الوحي السماوي الذي به كماله وكرامته حرم من الكرامة والكمال قطعاً كما أنّ أحداً إذا أراد أن يتعلّم علماً من شخص، فلابدّ له أن يصدّقه بالعلم أوّلاً ثم يتعلّم منه ثانياً وإلّا حرم من العلم.

فليس للانسان طريق إلى تصديق مخبر الوحي السماوي في أوّل الأمر إلّا حسن الظنّ بصدقه ثمّ على ممرّ الأوقات تتبيّن له حقيقة ذلك، فليس له أن يطلبه بالبرهان في أوّل الأمر بل ينبغي أن يجتهد في أن يتصوّر في فكره مايسمع باذنه، ثم يطلب السبيل والبرهان بعد ذلك، ولايرض بالتقليد إذا توسّط في العلم، بل ليتصوّر عندئذ بصفآء جوهر نفسه، ولينظر بعين قلبه، ويرى بنورفكره، حتّى تنتبه النفس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، وتحيى بروح العلوم والمعارف الالهية، وتعيش عيش السعداء الصلحاء وتوفّق للصعود إلى ملكوت السماء لتنظر إلى الملأ الأعلى.

فيجب علينا أوّلاً الايمان بأنّ للعالم ونواميس الوجود صانعاً واحداً حياً قادراً حكيماً عليماً، وهو خالق الخلق كلّهم، وهو مدبّرهم لاشريك له في ذلك أحد، ثم الايمان بأنّ له ملائكة وهم صفوة الله جل وعلا من خلقه، نصبهم لعبادته وخدمته، وجعلهم حفظة لعالمه، ووكّل كلّ طائفة منهم بضرب من تدبير نظام الكون ونواميس الوجود لايعصون الله جل وعلا مانهاهم عنه ويفعلون مايؤمرون وجعل طائفة منهم واسطة بينه تعالى وبين رسلهم من الناس، فيلقون إليهم ماتلقّوه عن ربهم من الوحي والأنباء...
«الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» الحج: ٧٥).

ثمّ الايمان بالأنبياء والمرسلين، وما أخبروا به مما تلقّوه عن الملائكة من وحي ربّهم، ولذلك قدّم الله عزوجل الايمان بالملائكة على الايمان بالأنبياء والمرسلين والكتب السماوية... في قوله تعالى: «والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكة وكتبه ورسله» البقرة: ٢٨٥).

﴿المفاضلة بين الانسان والملائكة وتكاليفهم﴾

وقد اختلفت الكلمات في المفاضلة بين الملائكة والانسان بأنّ الملائكة أفضل من الانسان؟ أم الانسان أفضل من الملائكة اختلافاً كثيراً...

واعلم أنّ المعتزلة والفلاسفة والصابئة يقولون: إنّ الملائكة كلّهم أفضل من الانسان حتى الأنبياء والمرسلين، فنشير إلى أقاويلهم على طريق الاختصار:

أما المعتزلة فقال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٠٩) في عنوان [القول في آدم والملائكة أيّهما أفضل]: «فان قيل: فما الذي يقوله شيوخكم في آدم والملائكة: أيّهما أفضل؟ قيل: لاخلاف بين شيوخنا ـ أنّ الملائكة أفضل من آدم ومن جميع الأنبياء عليهم السلام، ولو لم يدلّ على ذلك إلّا قوله تعالى في هذه القصّة: «إلّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» لكفى. وقد احتجّ أصحابنا أيضاً بقوله تعالى: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون» وهذا كما تقول: لايستنكف الوزير أن يعظّمني ويرفع من منزلتي، ولا الملك أيضاً، فإنّ هذا يقتضي كون الملك أرفع منزلة من الوزير وكذلك قوله: «ولا الملائكة المقرّبون» يقتضي كونهم أرفع منزلة من عيسى.

ومما احتجّوا به قولهم: إنه تعالى لما ذكر جبرئيل ومحمّداً عليهما السلام في معرض المدح، مدح جبرئيل عليه السلام بأعظم مما مدح به محمداً عليه السلام، فقال: «إنّه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين وماصاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وماهو على الغيب بضنين» فالمدح الأوّل لجبريل، والثاني لمحمد عليهما السلام

ولايخفى تفاوت مابين المدحين».

وأما الفلاسفة: فقال ابن سينا في (الفصل الأول من المقالة العاشرة من إلهيات كتاب الشفاء: ص٤٣٥): «فالوجود إذا ابتدأ من عند الأول لم يزل كل تال منه أدون مرتبة من الأوّل، ولايزال ينحطّ درجات، فأوّل ذلك درجة الملائكة الروحانية المجرّدة التي تسمّى عقولاً، ثم مراتب الملائكة الروحانية التي تسمّى نفوساً، وهي الملائكة العملة، ثم مراتب الأجرام السماوية، وبعضها أشرف من بعض إلى أن يبلغ آخرها، ثم بعدها يبتدئ وجود المادّة القابلة للصور الكائنة الفاسدة،فيلبس أوّل شيء صور العناصر ثم يتدرج يسيراً يسيراً فيكون أول الوجود فيها أخس وأدون مرتبة من الذي يتلوه، فيكون أخس مافيه المادة ثمّ العناصر، ثمّ المركبات الجمادية ثمّ النباتات، وأفضلها الانسان، وبعده الحيوانات ثمّ النبات.

وأفضل الناس من استكملت نفسه عقلاً بالفعل، ومحصّلاً للأخلاق التي تكون فضائل عملية، وأفضل هؤلاء هو المستعدّ لمرتبة النبوّة وهو الذي في قواه النفسانية خصائص ثلاث ذكرناها وهي: أن يسمع كلام الله تعالى، ويرى ملائكته وقد تحوّلت له على صورة يراها، وقد بيّنا كيفية هذا، وبيّنا أن هذا الذي يوحى إليه تتشبح الملائكة له، ويحدث له في سمعه صوت يسمعه يكون من قبل الله والملائكة، فيسمعه من غير أن يكون ذلك كلاماً من الناس والحيوان الأرضي، وهذا هو الموحى إليه».

وأما الصابئة فقال الشهرستاني في (الملل والنحل: ج٢ ص٩) تحت عنوان [مناظرات بين الصابئة والحنفاء]: «وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني المحض وبين البشرية النبوية.

ونحن أردنا أن نوردها على شكل سؤال وجواب، وفيها فوائد لا تُحصىٰ:

قالت الصابئة: الروحانيات أبدعت ابداعاً لامن شيء، لامادة ولاهيولى، وهي كلّها جوهر واحد على سنخ واحد، وجواهرها أنوار محضة لاظلام فيها، وهي من شدّة ضيائها لايدركها الحسّ ولاينالها البصر، ومن غاية لطافتها يحار فيها العقل، ولايجول فيها

الخيال.

ونوع الانسان مركب من العناصر الأربعة، مؤلّف من مادّة وصورة، والعناصر متضادة ومزدوجة بطباعها، اثنان منها مزدوجان، واثنان منها متضادان، ومن التضاد يصدر الاختلاف والهرج، ومن الازدواج يحصل الفساد والمرج، فما هو مبدع لامن شيء، لايكون كمخترع من شيء.

والمادة والهيولى سنخ الشر و منبع الفساد، فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كمحض الصورة؟ والظلام كيف يساوي النور؟ والمحتاج إلى الازدواج والمضطر في هوة الاختلاف كيف يرقى إلى درجة المستغني عنهما؟

أجابت الحنفاء: بأن قالت: بم عرفتم معاشر الصابئة وجود هذه الروحانيات؟ والحسّ مادلكم عليه والدّليل ما أرشدكم إليه؟ قالوا: عرفنا وجودها، وتعرفنا أحوالها من عاذيمون وهَرمس: شيث و إدريس عليهما السلام.

قالت: الحنفاء: لقد ناقضتم وضع مذهبكم، فان غرضكم في ترجيح الروحاني على الجسماني: نفي المتوسط البشرى، فصار نفيكم اثباتاً وعاد إنكاركم إقراراً.

ثمّ من الذي يسلم أن المبدع لامن شيء أشرف من المخترع من شيء؟ بل وجانب الروحاني أمر واحد، وجانب الجسماني أمران:

أحدهما: نفسه وروحه. والثاني: حسّه وجسده فهو من حيث الروح مُبدَع بأمر الله تعالى، ومن حيث الجسد مخترع بخلقه ففيه أثران: أمريّ وخلقيّ: قولى وفعلى فساوى الروحاني بجهة وفضله بجهة، خصوصاً إذا كانت جهته الخلقية مانقصت الجهة الاخرى، بل كملت وطهرت. وإنّما الخطأ عرض لكم من وجهين:

أحدهما ـ أنكم فاضلتم بين الروحاني المجرد والجسماني المجرد، فحكمتم بأن الفضل للروحاني وصدقتم لكن المفاضلة بين الروحاني المجرد والجسماني والروحاني المجتمع، لايحكم عاقل بأن الفضل للروحاني المجرد، فانّه بطرف ساواه وبطرف سبقه، والفرض فيما إذا لم يدنس بالمادة ولوازمها، ولم تؤثر فيه أحكام التضاد والازدواج، بل كان

مستخدماً لها بحيث لا تنازعه في شيء يريده ويرضاه، بل صارت مُعينات له على الغرض الذي لأجله حصل التركيب،وعطلت الوحدة والبساطة، وذلك تخليص النفوس التي تدنست بالمادة ولوازمها وصارت العلائق عوائق.

وليت شعري: ماذا يشين اللباس الحسن الشخص الجميل؟ وكيف يزري اللفظ الرائق بالمعنى المستقيم؟ ونعم ماقيل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضُه فكلّ رِداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضَيمَها فليس إلى حسن الثناء سبيل

هذا كمن خاير بين اللفظ المجرد والمعنى المجرد: اختار المعنى، قيل له: لابل خاير بين المعنى المجرد والعبارة والمعنى حتى لايشكل، إذ المعنى اللطيف في العبارة الرشيقة أشرف من المعنى المجرد.

والوجه الثاني: أنكم ما تصوّرتم من النبوة إلّا كمالاً وتماماً فحسب، ولم يقع بصركم على أنها كمال هو مكمل غيره، ففاضلتم بين كمالين مطلقاً، وماحكمتم إلّا بالتساوى وترجيح جانب الروحاني! ونحن نقول: ماقولكم في كمالين: أحدهما كامل والثاني كامل ومكمل عالماً، أيّهما أفضل؟

قالت الصابئة: نوع الانسان ليس يخلو من قوتي الشهوة والغضب، وهما ينزعان إلى البهيمة والسبعية، وينازعان النفس الانسانية إلى طباعها، فيثور من الشهوية: الحرص والأمل ومن الغضبية: الكبر والحسد، إلى غيرهما من الأخلاق الذميمة فكيف يماثل مَن هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما وعن لوازمهما ولواحقهما: صافية أوضاعهم عن النوازع الحيوانية كلها، خالية طباعهم عن القواطع البشرية بأسرها، لم يحملهم الغضب على حب الجاه ولاحملتهم الشهوة على حبّ المال، بل طباعهم مجبولة على المحبّة والموافقة، وجواهرهم مفطورة على الألفة والاتحاد؟

أجابت الحنفاء: بأنّ هذه المغالطة مثل الاولى حذو النعل بالنعل، فإنّ في طرف البشرية نفسين: نفس حيوانية لها قوتان: قوة الغضب وقوة الشهوة، ونفس إنسانية لها

قوتان: قوة علمية وقوة عملية، وبتينك القوتين لها أن تجمع وتمنع، وبهاتين القوتين لها أن تقسم الامور وتفصل الأحوال، ثم تعرض الأقسام والأحوال على العقل، فيختار العقل الذي هو كالبصر النافذ له من العقائد: الحق دون الباطل، ومن الأقوال: الصدق دون الكذب ومن الأفعال: الخير دون الشر، ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية: الشدة والشجاعة والحمية دون الذلة والجبن والنذالة، ويختار بها أيضاً من لوازم القوة الشهوية: التألف والتودد والبذاذة دون الشره والمهانة والخساسة، فيكون من أشدّ الناس حمية على خصمه وعدوّه، ومن أرحم الناس تذللاً وتواضعاً لوليه وصديقه، وإذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين، واستعملها في جانب الخير، ثم يترقى منه إلى ارشاد الخلائق في تزكية النفوس عن العلائق، واطلاقها عن قيد الشهوة والغضب وابلاغها إلى حدّ الكمال.

ومن المعلوم أنّ كلّ نفس شريفة عالية زكية هذه حالها لا تكون كنفس لا تنازعها قوة اخرى على خلاف طباعها وحكم العنّين العاجز في امتناعه عن تنفيذ الشهوة لايكون كحكم المتصون الزاهد المتورع في إمساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه، فان الأول مضطر عاجز، والثاني؛ مختار، قادر، حسن الاختيار، جميل التصرف، وليس الكمال والشرف في فقدان القوتين وإنما الكمال كلّه في استخدام القوتين.

فنفس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كنفوس الروحانيين؛ فطرة ووضعاً، وبذلك الوجه وقعت الشركة، وفضلها وتقدمها باستخدام القوتين اللتين دونها، فلم تستخدمه، واستعمالها في جانب الخير والنظام فلم تستعمله وهو الكمال».

وان الشيعة الامامية الاثنى عشرية تقول: إن الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والمؤمنين أفضل من الملائكة كلهم، وهذا هو المستفاد من الآيات الكريمة والروايات الواردة عن أهل بيت النبوّة عليهم صلوات الله:

ومن الآيات قوله تعالى: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا» البقرة: ٣٤) وقد سبق بيانه فراجع.

في شرح ابن أبي الحديد: «وقال الشيعة: الأنبياء أفضل من الملائكة والأئمّة أفضل من الملائكة ـ إن المؤمنين أفضل من الملائكة» ابن أبي الحديد: ج٦ ص٤٣٤).

وفي العلل: باسناده عن عبدالله بن سنان قال: سئلت أباعبدالله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: إنّ الله عزّوجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم» علل الشرائع: ص٤).

وفي تفسير العياشي: باسناده عن أبي ولاّد عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث ـ قال عليه السلام: «إنّ طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللذات والشهوات أعني ذلكم الحلال ليس الحرام، قال: فأنف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكة لهم، قال: فألقى الله في همّة اولئك الملائكة اللذات والشهوات كيلا يعيبون المؤمنين، قال: فلمّا أحسّوا ذلك من هممهم عجّوا إلى الله من ذلك، فقالوا: ربّنا عفوك عفوك، ردّنا إلى ما خلقتنا له، واخترتنا عليه، فانّا نخاف أن نصير في أمر مريج، قال: فنزع الله ذلك من هممهم، قال: فاذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنّة في الجنّة استأذن اولئك الملائكة على أهل الجنّة فيؤذون لهم، فيدخلون عليهم فيسلّمون عليهم ويقولون لهم: سلام عليكم بما صبرتم في الدنيا عن اللذات والشهوات الحلال».

قوله: «في أمر مريج»: مختلط أوملتبس.

وفي بصائر الدرجات: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الكرّوبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش، لوقسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم».

أقول: إنّ نبيّنا محمّداً وآله الطاهرين خاصّة، والأنبياء والمرسلين على درجاتهم عامة صلوات الله عليهم أجمعين، والمؤمنين كلّهم أفضل من الملائكة أجمعين لأمور:

منها: وقد ثبت أنّ الله عزوجلّ خلق الكون ونواميس الوجود لنبيّه الخاتم محمّد

المصطفى وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وانهم سبب خلق الخلائق كلهم ومنهم الملائكة إذ خاطب نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

في البحار: عن ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم -في حديث- قال: قال الله تعالى: «يا محمّد انك رسولى إلى جميع خلقي وإنّ علياً وليّي وأميرالمؤمنين، وعلى ذلك أخذت ميثاق ملائكتي وأنبيائى وجميع خلقي من قبل أن أخلق خلقاً في سمائي وأرضي محبّة منّي لك يامحمد ولعليّ ولولدكما ولمن أحبّكما وكان من شيعتكما ولذلك خلقته من طينتكما -إلى أن قال-: يا محمّد وعزّتي وجلالي لولاك لما خلقت آدم ولولا عليّ ماخلقت الجنّة لأنّي بكم اجزى العباد يوم المعاد بالثواب والعقاب...» الحديث.

وفيه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم -في حديث-: «خلقنا الله نحن حيث لاسماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة ولاعرش ولاجنّة ولانار كنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلمّا أراد الله بدأ الصنعة فتق نوري، فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله وأنا أفضل من العرش، ثمّ فتق نور ابن أبيطالب فخلق منه الملائكة، فنورالملائكة من ابن أبي‌طالب، ونور ابن أبيطالب من نور الله ونور ابن أبيطالب أفضل من الملائكة...» الحديث.

وفيه: عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام: يا جابر كان الله ولاشيء غيره ولامعلوم ولامجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لاسماء ولا أرض ولامكان ولاليل ولانهار ولاشمس ولاقمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح الله تعالى ونقدّسه ونحمده ونعبده حق عبادته، ثم بدأ الله تعالى عزوجل أن يخلق المكان فخلقه، وكتب على المكان: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين ووصيّه، به أيّدته ونصرته، ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك ثم خلق السموات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثم خلق الجنة والنار فكتب عليها مثل ذلك، ثم خلق الملائكة

وأسكنهم السمآء ثم تراءى لهم الله تعالى وأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنبوة ولعليّ عليه السّلام بالولاية ـ إلى أن قال ـ ثم قال تعالى لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم:

وعزتي وجلالى وعلوّ شأني لولاك ولولا عليّ وعترتكما الهادون المهديّون الراشدون ماخلقت الجنّة والنار، ولا المكان ولا الأرض ولا السماء ولا الملائكة ولا خلقاً يعبدني، يا محمّد أنت خليلي وحبيبي وصفيّي وخيرتي من خلقي أحبّ الخلق إليّ، وأول مّن ابتدأت إخراجه من خلقي ـ ثم قال أبو جعفر عليه السلام فنحن أول خلق الله واول خلق عبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين، فبنا عرف الله وبنا وحّد الله وبنا عبد الله، وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب من أثاب، وبنا عاقب من عاقب...».

قوله: «تراءى» أي ان الله تعالى عرف نفسه للملائكة بنور محمد وآله صلّى الله عليه وآله وسلّم فعرفوه تعالى بنورهم.

وفي الكافي: باسناده عن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزوجل خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا خزّانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عبدالله عزوجل ولولانا ماعُبد الله».

قال الله عزوجل: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» الأحزاب: ٦) لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مبدأ وجودات المؤمنين الحقيقيّة ومبدأ كمالاتهم، ومنشأ الفيضين: الاستعدادي أوّلاً، والمقدس الكمالي ثانياً، فهو صلّى الله عليه وآله وسلّم الأب الحقيقي لهم، وهو الواسطة بينهم وبين الحق في مبدأ فطرتهم والمرجع في كمالاتهم، ولايصل إليهم فيض الوجود والحق بدونه لأنه الحجاب الأقدس واليقين الأوّل كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أوّل ما خلق الله نورى» فلو لم يكن أحب إليهم من أنفسهم لكانوا محجوبين بأنفسهم عنه، فلم يكونوا ناجين إذ نجاتهم إنّما هي بالفناء فيه لأنه المظهر الأعظم،

وسبب الكون.

ومنها: إن الله تعالى خلق نور محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين قبل آلاف عام من خلق الكون والملائكة، وخلق من نورهم شيعتهم المؤمنين، فليس أول ما خلق الله الملائكة كما زعم ابن سينا.

وقد وردت في المقام روايات كثيرة عن طريق الفريقين لايسعها مقام الاختصار، فنشير إلى نبذة منها:

في الكافي: باسناده عن أحمد بن علي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعلياً، فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لاشيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهم السلام».

وفي البحار: عن ابن عباس: إنّا كنّا عند رسول الله فأقبل علي بن أبيطالب عليه السلام فلمّا رآه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تبسّم في وجهه، وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام، فقلت: يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ قال: نعم ان الله تعالى خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم بهذه المدة، وخلق نوراً فقسّمه نصفين، فخلقني من نصفه، وخلق علياً من النصف الآخر قبل الأشيآء كلها، ثم خلق الأشياء فكانت مظلمة فنوّرها من نوري ونور عليّ، ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة، فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهللّنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ...» الحديث.

وفي الكافي: باسناده عن علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة؟ قال الملك: لست بجبرئيل يامحمد بعثني الله عزوجل أن ازوّج النور من النور

قال: مَن ممَّن؟ قال: فاطمة من عليّ قال: فلمّا ولّى الملك إذا بين كتفيه: محمّد رسول الله، عليّ وصيّه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: منذكم كتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام».

أقول: وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعرف هذا الملك، ويعلم بما جاء به، فسئله لبيان الفضائل والمناقب والحقائق من لسان الملك.

ولايخفي علي القارئ الخبير أن لامنافاة بين ما ورد من خلق نور محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين ألف عام وماكتب على كتفي الملك قبل أن يخلق آدم عليه السلام باثنين وعشرين ألف عام، وبين ماورد في خلق نور محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل خلق آدم عليه السلام بخمسة عشر ألف أو أربعة عشر ألف عام أو ألفي عام لمراتب الوجود والظهور والتجلّي...

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أول ماخلق الله نوري، وأنا وعليّ من نور واحد وأنا كالشمس وعليّ كالقمر».

وذلك ان الله جل وعلا أوّل ما أخرجه من ظلمة العدم بلطفه كان نور محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فأظهره في العالم.

وفي البحار: «وسئل المفضّل الصادق عليه السلام: ماكنتم قبل أن يخلق الله السموات والأرضين؟ قال عليه السلام: كنّا أنواراً حول العرش نسبّح الله ونقدّسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبّحوا فقالوا: يا ربّنا لاعلم لنا، فقال لنا: سبّحوا، فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنّا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور، فاذا كان يوم القيامة إلتحقت السفلى بالعليا ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبّابة والوسطى وقال: كهاتين، ثم قال: يا مفضّل أتدري لم سمّيت الشيعة شيعة؟ يا مفضّل شيعتنا منّا، ونحن من شيعتنا، أما ترى هذه الشمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق وقال: إلى أين تعود؟ قلت: إلى المغرب قال عليه السلام: هكذا شيعتنا، منّا بدؤا و إلينا يعودون».

وفيه: «وقال الصادق عليه السلام: الطينات ثلاثة: طينة الأنبيآء، والمؤمن من تلك الطينة إلّا أن الأنبياء هم صفوتها وهم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لازب، كذلك لايفرّق الله بينهم وبين شيعتهم...».

وفيه: عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: إن الله سبحانه تفرّد في وحدانيته ثم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمّداً وعلياً وعترته عليهم السلام ثم تكلّم بكلمة فصارت روحاً وأسكنها في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلمته احتجب بنا عن خلقه، فمازلنا في ظلّ عرشه خضراء مسبّحين نسبّحه ونقدّسه حيث لاشمس ولاقمر ولاعين تطرف، ثم خلق شيعتنا، وإنّما سمّوا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا».

ومنها: انه ليس للملائكة شهوة الحيوان ولاميل إلى أنواع اللذّات الدنيوية، فاذا كان الله تعالى قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في أنفسهم حتى يفضلوا غيرهم من الأنبياء والمرسلين والأوصياء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ومن صلحاء المؤمنين.

وقال قوم: ان الانسان بما أنّه إنسان مؤمناً كان ام كافراً، صالحاً كان أم فاسداً، برّاً كان أم فاجراً ومطيعاً كان أم طاغياً... أفضل من الملائكة لأن الشرف والكمال في التركيب لافي البساطة.

أقول: وفساده ظاهر لايحتاج إلى بيانه.

وقال بعض المعتزلة وأبوعبدالله الحليمي والقاضي أبوبكر من الأشاعرة: إن الملائكة العلويين أفضل من الأنبيآء، وأما الملائكة السفلية فالأنبياء أفضل منهم، وهم أفضل من سائر الناس لأن للملائكة نوعاً من الميل إلى اللذات الحسّيّة لكنّهم يجاهدون أنفسهم ويمنعونها عن الارادات البشرية حتى يكون لهم جزيلاً من الثواب، ويستحقوا محامد الثناء والتفضيل.

وقال بعض المتأخرين: «إن الله سبحانه قد أقدر الملائكة على أنواع العبادات كما أقدر البشر عليها وإن كان قوة الملائكة على العبادات أشد وأكثر، والبشر مع قدرتهم على أكثر

أنواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها وأقبلوا على تركها، وأما الملائكة فقد أقبلوا على فعلها والاتيان بما وصلت إليه قدرتهم، ومع هذا قدصارت العبادات مستلذّة عندهم كاستلذاذ الأكل والشرب عندنا، فهم يأتون بكل مايقدرون من أنواع العبادات على وجه الاستلذاذ، ونحن إنّما نأتي ببعض مانقدرعلى وجه التكليف والمشقة والخوف من العقاب، فهم فضّلونا باتيانهم بأفعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثم قد وقع من بعضهم الترك حتى عوقب عليه، فاحترقت أجنحته وسقط من مقامه كما وقع للملك الذي وقع من السمآء في زمن ادريس عليه السلام حتى لجأ إلى ادريس عليه السلام فدعا له فرجع إلى مقامه، وكالملك الذي فترعن العبادة في عصر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فسقط ايضاً من عالم الملكوت ولجأ إلى الحسين عليه السلام فتمسّح به، ورجع ببركة الحسين عليه السلام إلى مقامه».

أقول: وضعفه ظاهر لايخفى على القارئ الخبير فتأمل جيداً.

وقالت طائفة: إن الملائكة أفضل الموجودات العلوية، وان الإنسان أفضل الموجودات السفلية.

في تفسير مفاتيح الغيب: قال الرازي: أشرف الرتبة للعالم العلوي هو وجود الملائكة فيه، كما أن اشرف الرتبة للعالم السفلي هو وجود الانسان فيه».

وقال بعض أصحاب الحديث وطائفة من الأشاعرة: انّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وان الملائكة أفضل من سائر الانسان.

وأما تكاليف الملائكة فقد ثبت ان طوائف المكلّفين أربعة: ١ ـ الملائكة ٢ ـ الانس ٣ ـ الجن ٤ ـ الشياطين.

أما تكليف الملائكة فتدل عليه آيات كثيرة منها: قوله تعالى: «يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون» النحل: ٥٠) ففيه دلالة على أن الملائكة مكلّفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلّفين، وانهم بين الخوف والرجآء.

وسيجئ منّا كلام في تفسير سورة التحريم (ج٤٧ ص٥١٠) مايفيد المقام إن شاء الله تعالى فراجع.

﴿الملائكة وحفظة الأعمال﴾

قال الله عزوجل: «وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون» الانفطار: ١٠-١٢) انّ الله جل وعلا وكّل بالانسان ملائكة حفظة كراماً يحصون كل ما يعمل الانسان من خير وشرّ، من حق وباطل، ومن حسنة وسيّئة... ويكتبونها ليحاسب عليها.

وقال الله سبحانه: «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقّى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» ق: ١٦ - ١٨) فالمتلقيان في المقام هما الملكان اللذان يتلقيان عمل الانسان قاعدين عن يمين وعن شمال الشخص، فما يلفظ من قول إلّا وكل منهما يرقب عمله وفي نفس الوقت كل منهما (عتيد) أي مهيّأ لكتابة الأعمال من الخير والشر والحسنات والسيّئات...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «فاتقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلّبكم في قبضته، إن أسررتم عَلِمَه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكّل بكم حفظة كراماً لايُسقطون حقاً ولايُثبتون باطلاً».

وفيه: قال الامام علي عليه السلام: «الأقاويل محفوظة والسرائر مبلوّة و«كلّ نفس بما كسبت رهينة»».

وفي هذا لطف للعباد لأنّهم إذا علموا أنّ هناك ملائكة حفظة من عند الله جل وعلا تحصى عليهم أعمالهم وتشهد بها عليهم يوم القيامة، كان ذلك رادعاً لهم من

اقتران السيئات فينزجروا المعاصي والآثام ... لأن من آمن يعتقد جلالة الملائكة وعلوّ مراتبهم، فاذا حاول الإقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الاقدام عليها كما يزجره عنها إذا حضره من يعظمه من البشر، وإذا علم أن الملائكة تحصي عليه أعماله وأقواله وحركاته كان ذلك أيضاً رادعاً له عنها، وإذا علم أن الملائكة يكتبونها كان الردع أكمل.

في الاحتجاج: عن هشام بن الحكم قال: «سئل الزنديق -فيما سئل- أبا عبد الله عليه السلام قال: فاعلة الملائكة الموكلين بعباده، يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السرّ وماهو أخفى؟ قال: استعبد هم بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشد على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشد انقباضاً، وكم من عبديهمّ بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكفّ، فيقول: ربّي يراني وحفظتي عليّ بذلك تشهد، وان الله برأفته ولطفه أيضاً وكّلهم بعباده، يذبّون عنهم مردة الشيطان وهو امّ الأرض، وآفات كثيرة من حيث لايرون باذن الله إلى أن يجيئ أمر الله»

وفي الكافي: باسناده عن عبد الحميد عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: « إذا صعد ملكا العبد المريض إلى السمآء عند كل مسآء يقول الرب تبارك وتعالى: ماذا كتبتما لعبدي في مرضه؟ فيقولان الشكاية فيقول: ما أنصفت عبدي إن حبسته في حبس من حبسي ثم أمنعه الشكاية، اكتبا لعبدي مثل ماكنتما تكتبان له من الخير في صحته، ولا تكتبا عليه سيّئة حتى اطلقه من حبسي فانه في حبس من حبسي».

وفيه: باسناده عن درست قال: سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: « إذا مرض المؤمن أوحى الله عزوجل إلى صاحب الشمال: لا تكتب على عبدي مادام في حبسي ووثاقي ذنباً ويوحي إلى صاحب اليمين أن اكتب لعبدي ما كنت تكتب له في صحّته من الحسنات».

وفيه: باسناده عن صفوان الجمّال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عاد مريضاً من المسلمين وكّل الله به أبداً سبعين ألفاً من الملائكة يغشون رحله، ويسبّحون فيه،

ويقدّسون ويهلّلون ويكبّرون إلى يوم القيامة، نصف صلوتهم لعائد المريض».

وفيه: باسناده عن اسحق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله عزوجل الرحمة عليهما، فكانت تسعة وتسعين لأشدّهما حباً لصاحبه فاذا توافقا غمرتهما الرحمة وإذا قعدا يتحدّثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا، فلعل لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما، فقلت: أليس الله عزوجل يقول: «مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» فقال: يا اسحق إن كانت الحفظة لا تسمع فإنّ عالم السّرّ يسمع ويرى».

وفي الدر المنثور: «عن ابن عباس قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره»

وفيه: «عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله ينهاكم عن التعرّي، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم إلّا عند إحدى ثلاث حاجات: الغائط والجنابة والغسل».

وفي البحار: عن سعد بن معاذ قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نقّوا أفواهكم بالخلال، فانها مسكن الملكين الحافظين الكاتبين، وإنّ مدادهما الريق، وقلمهما اللسان، وليس شيء أشدّ عليهما من فضل الطعام في الفم».

وفي المناقب: «سئل الصادق عليه السلام أبا حنيفة: أين مقعد الكاتبين؟ قال: لا أدري، قال: مقعدهما على الناجدين، والفم الدواة واللسان القلم والريق المداد».

قيل: ومن المحتمل أن يكون المراد من «الفم» فم الملك ولسانه ريقه كما يحتمل أن يكون المراد تلك الأعضاء من الانسان، فيمكن أن يكون بمحض تكلّمه ينقش في ألواحهم، فيكون مخصوصاً بالكلام.

وفي البحار: وفي رواية: «أنهما -الملكين الموكلين بالعبد- إذا أرادا النزول صباحاً ومساءً ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ، فيعطيهما ذلك، فاذا صعدا صباحاً ومساءاً بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ الّتي انتسخ لهما حتى يظهر أنّه كان

كما نسخ منه».

قال الله تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون» الجاثية: ٢٩).

فيجب على الانسان الاهتمام بالتحفظ من الآثام والاجرام وتطهير الصحائف التي تقتضي الاحتياط على يد الملائكة الكرام.

وفي محاسبة النفس: عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إنّ الملك الموكّل بالعبد يكتب في صحيفة أعماله، فاعملوا بأولها وآخرها خيراً يُغفر لكم مابين ذلك».

وفيه: عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «لاتقطعوا نهاركم بكذا وكذا وفعلنا كذا وكذا فانّ معكم حفظة يُحصون عليكم وعلينا».

وفيه: عن ابن أبي النعمان عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا أبا النعمان! ولايغرّنّك الناس من نفسك فان الأمر يصل إليك دونهم ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك سيّئاً أو حسناً فانّي لا أرى شيئاً أسرع دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم».

وفيه: عن الصادق عليه السلام قال: «إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزوجل ملائكة من السماء إلى الأرض معها صحائف من فضّة بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلواة على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عند غروب الشمس».

وفيه: ـ فيما سئله ابن الكواء عن أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام ـ قال: يا أميرالمؤمنين فما البيت المعمور والسقف المرفوع؟ قال عليه السلام: ويلك ذلك الضّراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤ جوّ فيدخل كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه إلى يوم القيامة كتّاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة بأقلام من نور وفيه كتّاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود، فاذا كان القدار العِشارَ ارتفع الملكان فيستنسخون منهم ماعمل الرجل فذلك قوله تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون»

وفيه: عن الصادق عليه السلام انه قال: «إن لله ملكاً يقال له اسمعيل ساكن في السماء الدنيا، إذا قال العبد: يا أرحم الراحمين سبع مرّات قال له اسمعيل: قد سمع الله أرحم الراحمين صوتك فسْئَلْ حاجتك».

«الملائكة الموكّلون بالانسان»

قال الله عزوجل: «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لايفرّطون» الأنعام: ٦١).

وقال: «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد: ١١).

وقال: «إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ» الطارق: ٤).

في تفسير القمي: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» يقول: بأمر الله من أن يقع في ركيّ أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه يدفعونه إلى المقادير، وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبان».

قوله عليه السلام: «ركيّ» جمع الركيّة: البئر.

فالمعقبات هم الملائكة الموكّلون بالناس.

أقول: وللمفسرين في المعقبات أقوال:

فنهم من قال: انهم الملائكة الذين يتعاقبون تعقّب ملائكة الليل، ملائكة النهار، وملائكة النهار، ملائكة الليل، وهم الحفظة الذين يحفظون على الناس أعمالهم بأمر الله، وهم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر.

ومنهم من قال: انهم ملائكة يحفظون الانسان من المهالك والمعاطب، ومن الجن والانس والهوام حتى ينتهوا به إلى المقادير، فيحيلون بينه وبين المقادير، وما من عبد إلّا ومعه ملك موكل يحفظه من الجن والانس والهوام... في نومه ويقظته وهم عشر أملاك

على كل انسان يحفظونـه من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تعالى يعنى يطوفون به كما يطوف الملك الموكل بالحفظ.

في تفسير مفاتيح الغيب: روي انّه قيل: يا رسول الله! أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ملك عن يمينك يكتب الحسنات هو أمين على الذي على الشمال، فاذا عملت حسنة كتب عشراً، و إذا عملت سيّئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين: اكتب، قال: لالعلّه يتوب، فاذا قال ثلاثاً قال: نعم! أُكتب أراحنا الله منه فبئس القرين، ما أقلّ مراقبته لله واستحياءه منّا! وملكان من بين يديك ومن خلفك فهو قوله تعالى: «له معقبات من بين يديه ومن خلفه» وملك قابض على ناصيتك، فاذا تواضعت لربك رفعك، وإن تجبّرت قصمك، وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة عليّ، وملكان على فيك لايدع أن تدخل الحيّة في فيك، وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كلّ آدمي، تبدل ملائكة الليل بملائكة النهار فهم عشرون ملكاً على كل آدمى».

ومنهم من قال: انهم ملائكة يحفظون ما تقدم من عمل الانسان وما تأخّر إلى أن يموت فيكتبونه.

ومنهم من قال: هم ملائكة يحفظون الانسان مما لم يقدّر نزوله فاذا جاء المقدر بطل الحفظ.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «إنّ مع كلّ انسان ملكين يحفظانه، فاذا جاء القَدَر خلّيا بينه وبينه وإن الأجل جنّة حصينة».

أقول: وقد وردت روايات كثيرة: ان لله عزّوجلّ ملائكة موكّلة تحفظ الانسان من التردّى في بئر ومن إصابة سهم معترض في طريق، ومن رَفْس دابة، ومن نهش حيّة أو لسع عقرب وما اليها من الحوادث والبلايا...

وقوله عليه السلام: «وإن الأجل جنّة» أي درع يحفظ به الانسان، وذلك ان الله

عزوجل إذا علم أنّ في بقاء زيد إلى وقت كذا لطفاً له أو لغيره من المكلّفين صدّ من يهمّ بقتله عن قتله بألطاف يفعلها تصدّه عنه أو تصرفه عنه بصارف، أو يمنعه عنه بما نع كي لايقطع ذلك الانسان بقتل زيد، الألطاف التي يعلم الله أنّها مقرّبة من الطاعة، ومُبعد عن المعصية لزيد أو لغيره، فقدبان أن الأجل على هذا التقدير جنّة حصينة لزيد، من حيث كان الله جل وعلا بإعتبارذلك الأجل مانعاً من قتله، وإبطال حياته، ولاجنّة أحصن من ذلك.

ومنهم: من قال: انهم ملائكة يحفظون الانسان عن خلق الله، بحيث لولا أن الله وكّل بالانسان ملائكته يذب عنه خلق الله في مطعمه ومشربه وعوراته فيخطفنّه الجن.

ومنهم: من قال:انهم ملائكة يدعون الانسان إلى الخيرات والحسنات والطاعات... مقابل الشياطين الذين يدعونه إلى الشرور والقبائح والمعاصى... وذلك انّا نرى أن الانسان قد يقع في قلبه داع قويّ من غير سبب، ثم يظهر بالأخرة أن وقوع تلك الداعية في قلبه كان سبباً من أسباب مصالحه وخيراته، وقد ينكشف أيضاً بالآخرة أنه كان سبباً لوقوعه في آفة أو معصية ومفسدة، فظهر أنّ الداعي إلى الأمر الأوّل كان مريداً للخير والراحة، وإلى الأمر الثاني كان مريداً للفساد والمحنة، والأوّل هو الملك الهادي، والثاني هو الشيطان المغوي.

وفي التوحيد: باسناده عن أبي حيّان التيمي عن أبيه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «ليس أحدمن الناس إلاّ ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردّى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فاذا حان أجله خلّوا بينه وبين مايصيبه...».

وفي تفسير العياشي: عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «يحفظونه من أمر الله».

ثم قال: ما من عبد إلاّ ومعه ملكان يحفظانه، فاذا جاء الأمرمن عند الله خلّيا بينه وبين أمر الله.

وفي الكافي: باسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كتم صومه

قال الله عزوجل لملائكته: عبدي استجار من عذابي فأجيروه، ووكّل الله تعالى ملائكة بالدعآء للصائمين، ولم يأمرهم بالدعاء لأحد إلّا استجاب لهم فيه».

وفي البحار: عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن في السمآء ملكين موكّلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبّر وضعاه».

﴿دعاء الملائكة واستغفارهم وشفاعتهم للمؤمنين﴾

وقد ورد في القرآن الكريم ان الملائكة يدعون الله جل وعلا ليهدي عباده إلى طريق النجاة: «والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض» الشورى: ٥) على أن حصول المغفرة لمن في الأرض إنما هو بحصول سببها وهو سلوك سبيل العبودية بالاهتداء بهداية الله عزوجل.

وهم يستغفرون ليلاً ونهاراً للمؤمنين والتائبين، ويدعون الله تعالى أن يدخلهم جنات، وأن يقيهم السيئات...

«الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» غافر: ٧ ـ ٩).

وهم يشفعون في الآخرة لمن يستحق الشفاعة يومئذ لأن شفاعتهم كسائر الشفعاء متوقفة على إرادة الله تعالى: «وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشآء ويرضى» النجم: ٢٦).

وفي شفاعة الملائكة وإستغفارهم للمؤمنين مع الدعاء لهم ايحاء لهم للسير بهم في الطريق المؤدّي إلى رقيهم الروحى وهداهم إلى الصراط المستقيم الذي يخرجهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والهدى.

وهم لايشفعون يوم القيامة لمن لايستحق الشفاعة بل يوبخونهم على كفرهم وضلالهم وعلى طغيانهم وعصيانهم:

«وقال الذين في النار لخزنة جهنّم ادعوا ربكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاؤا الكافرين إلاّ في ضلال» غافر: ٤٩ ـ ٥٠).

في تفسير القمي: «باسناده عن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل: هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات (في الأرض خ) أكثر من عدد التراب في الأرض وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولافي الأرض شجر ولامدر إلاّ وفيها ملك موكل بها يأتي الله كل يوم بعملها والله أعلم بها، ومامنهم أحد إلاّ ويتقرّب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعدائنا ويسئل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً»

وفي روضة الكافي: عن أبي بصير قال: «قال أبوعبد الله عليه السلام: يا أبا محمّد إن لله عزّ ذكره ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق من الشجر في أوان سقوطه، وذلك قوله عزوجل: «يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا» والله ما أراد بهذا غيركم».

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الملائكة الذين في سماء الدنيا ليطلعون على الواحد والاثنين والثلاثة وهم يذكرون فضل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقولون: أما ترون هؤلاء في قلتهم وكثرة عدوّهم يصفون فضل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فتقول الطائفة الاخرى من الملائكة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذو الفضل العظيم».

وفي البحار: عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام عن قول الله تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا» قال: «هم الأئمة ويجري فيمن استقام من شيعتنا وسلّم لأمرنا وكتم حديثنا عند عدوّنا،

فتستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجنّة، وقد والله مضى أقوام كانوا على مثل ما أنتم عليه من الدين فاستقاموا وسلّموا لأمرنا وكتموا حديثنا ولم يذيعوه عند عدوّنا ولم يشكّوا كما شككتم، فاستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجنّة».

نزول الملائكة على المؤمنين والمرضى

قال الله جلّ وعلا: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون نزلاً من غفور رحيم» فصلت: ٣٠ - ٣٢)

انّ الملائكة يستقبلون المؤمنين في الحياة الدنيا بتقوية قلوبهم وتطييب نفوسهم، ويؤمّنونهم من خوف الأعداء، ومن حزن مكروه واقع أو متوقع، ثم يبشّرونهم بالجنة الموعودة.

في البحار: «عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لقي ملك رجلاً على باب دار كان ربّها غائباً، فقال له الملك: يا عبد الله ماجاء بك إلى هذه الدار؟ فقال: أخ لي أردت زيارته، قال: الرّحم ماسّة بينك وبينه أم نزعتك إليه حاجة؟ قال: مابيننا رحم أقرب من رحم الاسلام وما نزعتني إليه حاجة، ولكنّي زرته في الله ربّ العالمين، قال: فأبشر فانّي رسول الله إليك وهو يقرؤك السلام ويقول لك: إيّاي قصدت، وماعندي أردت بصنعك، فقد أوجبت لك الجنّة، وعافيتك من غضبي ومن النار حيث أتيته».

وفي الاختصاص: باسناده عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: استأذن ملك ربّه أن ينزل إلى الدنيا في صورة آدميّ، فأذن له، فمرّ برجل على باب قوم يسئل عن رجل من أهل الدار، فقال الملك: يا عبد الله أيّ شيء تريد من هذا الرجل الذي تطلبه؟

قال: هو أخ لي في الاسلام أحببته في الله جئت لأسلّم عليه قال: مابينك وبينه رحم ماسّة، ولانزعتك إليه حاجة؟ قال: لا إلّا الحبّ في الله عزوجل، فجئت لأسلّم عليه قال: فإنّي رسول الله إليك، وهو يقول: قد غفرت لك بحبّك إيّاه فيّ».

وفي روضة الكافي: باسناده عن الوصّافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان فيما ناجى الله عزوجل به موسى عليه السلام قال: يا موسى! أكرم السائل إذا أتاك بردّ جميل أو إعطاء يسير، فانّه يأتيك من ليس بانس ولاجانّ، ملائكة الرحمن يبلونك كيف أنت صانع فيما أوليتك وكيف مواساتك فيما خوّلتك؟».

وفي فروع الكافي: باسناده عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من صام لله عزوجل يوماً في شدّة الحرّ فأصابه ظمأ وكّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتى إذا أفطر قال الله عزوجل له: ما أطيب ريحك وروحك، ملائكتي اشهدوا أنّي قد غفرت له».

وفيه: بإسناده عن مسعدة عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السّلام: أن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إن الله عزوجل وكّل ملائكته بالدعآء للصائمين، وقال: أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربّه أنّه قال: ما أمرت ملائكتي بالدعآء لأحد من خلقي إلّا استجبت لهم فيه».

وفي اصول الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حدّثني جبرئيل عليه السلام أنّ الله عزوجل أهبط إلى الأرض ملكاً، فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع (دفع خ) إلى باب عليه رجل يستأذن على ربّ الدار، فقال له الملك: ماحاجتك إلى ربّ هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى، قال له الملك: ماجآء بك إلّا ذاك؟ فقال: ما جاء بي إلّا ذاك، فقال: إنّي رسول الله إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وجبت لك الجنّة وقال الملك: إنّ الله عزوجل يقول: أيّما مسلم زار مسلماً فليس إيّاه زار، إيّاي زار وثوابه عليّ الجنّة».

وفيه: باسناده عن أبي عزّة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «من زار أخاه في

الله في مرض أو صحّة، لايأتيه خداعاً ولا استبدالاً وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادون في قفاه: أن طبت وطابت لك الجنّة، فأنتم زوّار الله وأنتم وفد الرحمن حتى يأتي منزله، فقال له يسير: جعلت فداك وإن كان المكان بعيداً؟ قال: نعم يايسير وإن كان المكان مسيرة سنة، فإنّ الله جواد والملائكة كثيرة، يشيّعونه حتى يرجع إلى منزله».

قوله عليه السلام: «استبدالاً» الاستبدال: أن يتّخذ منه بدلاً، يعني لايأتيه لخداع أو عوض أو غرض دنيويين بل إنما يأتيه لله تعالى وفي الله جل وعلا و«وفد الرحمن» الوفد -بالفتح- جمع الوافد وهو الوارد القادم و«يسير» كأنّه الدهان الذي قد يعبّر عنه بيسير.

وفي شرح ابن أبي الحديد: وفي الحديث الصحيح: «إنّ الملائكة كانت تصافح عمران بن الحصين وتزوره ثمّ افتقدها، فقال: يا رسول الله إنّ رجالاً كانوا يأتونني لم أر أحسن وجوهاً ولاأطيب أرواحاً منهم، ثمّ انقطعوا فقال عليه السلام: «أصابك جرح فكنت تكتمه؟» فقال: أجل قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ثمّ أظهرته؟ قال: أجل، قال: أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة إلى أن تموت. وكان هذا الجرح أصابه في سبيل الله».

وقد وردت روايات: «إذا أراد الانسان زيارة مولانا الحسين بن عليّ عليهما السلام بعث الله إليه جماعة من الملائكة لإعانته على قضاء حوائجه ويشيعونه ذهاباً وإياباً، ويلازمون عتبة بابه إذا رجع وثواب تقديسهم له، فاذا مات لازموه في قبره للأنس، وخرجوا معه من قبره إلى أرض القيامة».

وفي البحار: وقال عليه السّلام: «من زار أمير المؤمنين عليه السّلام عارفاً بحقه، غير متجبّر ولا متكبّر كتب الله له أجر مأة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وبعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فاذا انصرف شيّعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره».

وفي فروع الكافي: باسناده عن عمرو بن خالد عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «قال جبرئيل: يا رسول الله إنّا لاندخل بيتاً فيه صورة إنسان ولابيتاً يبال فيه ولابيتاً فيه

كلب».

وفي الخصال: باسناده عن محمّد بن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ جبرئيل أتاني فقال: إنّا معشر الملائكة لاندخل بيتاً فيه كلب، ولا تمثال جسد، ولا إناء يبال فيه».

وفي البحار: عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد كيف ننزل عليكم وأنتم لا تستاكون ولا تستنجون بالماء ولا تغسلون براجمكم».

قوله: «براجمكم» من البراجم وهي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ، الواحدة «البُراجمة» بالضمّ.

﴿رؤية المحتضر ملك الموت وأعوانه﴾

وقد ورد النصّ القرآني الكريم على أنّ المحتضر سواء كان مؤمناً أم منافقاً أو كافراً، رجلاً أم انثى... يرى ملك الموت وأعوانه... وإن لم يَرَهُمْ مَن حوله.

قال الله عزوجل: «الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فالقوا السلم ماكنّا نعمل من سوء بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون ـ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم» النحل: ٢٨ ـ ٣٢) وقال: «إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» النساء: ٩٧).

وقال: «و لو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون» الأنعام: ٩٣).

وقال: «ولو ترى إذ يتوفّ الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم» الأنفال: ٥٠).

وقال: «قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثمّ إلى ربكم ترجعون» السّجدة: ١١).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في ملك الموت: «هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّى أحداً؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن امّه؟ أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته باذن ربها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟».

وفي أمالي ابن الشيخ رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الحسن بن حذيفة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مرض رجل من أصحاب سلمان رحمه الله فافتقده فقال: أين صاحبكم؟ قالوا: مريض قال: امشوا بنا نعوده فقاموا معه فلمّا دخلوا عليه فاذا هو يجود بنفسه، فقال سليمان: يا ملك الموت إرفق بوليّ الله؟ فقال ملك الموت بكلام يسمعه من حضر: يا عبدالله إنّي ارفق بالمؤمنين ولو ظهرت لأحد لظهرت لك».

وفي أمالي الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مرّسلمان رضي الله عنه على الحدادين بالكوفة فرآى شاباً قد صعق والناس قداجتمعوا حوله فقالوا: يا أبا عبدالله هذا شاب قد صرع فلو قرأت في اذنه؟ قال: فدنا منه سلمان فلمّا رآه الشاب أفاق وقال: يا أبا عبد الله ليس بي مايقول هؤلاء القوم، ولكني مررت بهؤلاء الحدادين وهم يضربون المرزبات فذكرت قوله تعالى: «ولهم مقامع من حديد» فذهب عقلي خوفاً من عقاب الله تعالى فاتخذه سلمان أخاً ودخل قلبه حلاوة محبته في الله تعالى فلم يزل معه حتى مرض الشاب فجآئه سلمان، فجلس عند رأسه وهو يجود بنفسه، فقال: يا مالك الموت ارفق بأخي؟ فقال ملك الموت: يا أبا عبدالله بكل مؤمن رفيق».

وفي فروع الكافي: عن الامام الصادق عليه السلام قال: «دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه، فقال: يا ملك الموت إرفق بصاحبي فانّه مؤمن؟ فقال: أبشر يامحمّد فانّي بكلّ مؤمن رفيق».

وفي رواية: «أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام قال لملك الموت يوماً: ياملك الموت أُحبّ أن أراك على الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ فقال: يا ابراهيم أعرض عنّي بوجهك حتى أتصوّر على تلك الصورة، فلمّا رآه ابراهيم عليه السلام رآى صورة شاب حسن الوجه أبيض اللون، تعلوه الأنوار في أحسن مايتخيّل من الهيئة، فقال: يا ابراهيم في هذه الصورة أقبض روح المؤمن، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلّا لقاؤك لكفاه راحة، ثمّ قال له: اريد أن أراك على الصفة التي تقبض فيها روح الكافر؟ فقال:

يا إبراهيم لا تقدر فقال: احبّ ذلك ؟

فقال: أعرض بوجهك فأعرض بوجهه، ثمّ قال: انظر فنظر إليه فاذاً هو أسود كالليل المظلم، وقامته كالنخلة الطويلة والنار والدخان يخرجان من منخريه إلى عنان السمآء، فلمّا نظر إليه غشي على إبراهيم عليه السلام فرجع ملك الموت إلى حالته، فلمّا أفاق الخليل عليه السلام قال: يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت إلّا رؤيتك لكفته عن سائر الأهوال، فاذا أتى إلى المؤمن سلّ روحه سلاً رقيقاً لطيفاً حتى انه يحصل له الراحة من ذلك السّلّ لما يشاهده من مكانه في الجنّة، وإن كان كافراً أتى إليه بحديدة محميّة بنار جهنّم، فأدخلها في حلقومه وجذب روحه بها جذبة يخيّل إليه أنّ أطباق السموات والأرض كلها قد وقعت عليه وطبقته حتى يخرج زبده على فمه كالبعير».

في أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ـ القول في رؤية المحتضر الملائكة ـ: «القول عندي في ذلك كالقول في رؤية الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين عليه السلام وجائز أن يراهم ببصره بأن يزيد الله تعالى في شعاعه مايدرك به أجسامهم الشفافة الرقيقة ولايجوز مثل ذلك في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين عليه السلام لاختلاف بين أجسامها وأجسام الملائكة في التركيبات، وهذا مذهب جماعة من متكلّمي الامامية ومن المعتزلة البلخي وجماعة من أهل بغداد».

وفي تفسير البرهان: قال أبو محمّد العسكري عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لايزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لايستيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزوع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك أنّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدّة علته وعظيم ضيق صدره بما يخلفه من أمواله وعياله وما هو عليه من اضطراب أحواله في معاطبه وعقباته، وقد بقيت نفسه حزازتها وانقطعت آماله فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: مالك تجرع غصصك ؟ فيقول: لاضطراب أحوالي وانقطاعي دون آمالي، فيقول له ملك الموت:

وهل يجزع عاقل من فقد درهم زائف، وقد اعتاض منه بألف ألف ضعف الدنيا؟ فيقول له ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التي تقصر دونها الأماني، فيقول له ملك الموت: هذه منازلك ونعمك وأموالك وعيالك ومن كان من ذريتك صالحاً فهو هناك معك، أفترضى به بدلاً مما ههنا؟ فيقول: بلى والله، ثمّ يقول ملك الموت: انظر فيرى محمّداً وعلياً والطيّبين من آلهما في أعلى عليين فيقول له: أو تراهم وهؤلاء سادتك وأئمتك هم هنا جلاسك واناسك، فما ترضى بهم بدلاً تفارق هنا؟ فيقول: بلى وربي وذلك ماقال الله تعالى:

«إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا» فما أمامكم من الأموال فقد كفيتموه ولاتحزنوا على ماتخلفونه من الذراري والعيال والأموال فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدل منهم «وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون» هذه منازلكم وهؤلاء اناسكم وجلاسكم، ونحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وفي تفسير القمي: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لما اسري بي إلى السمآء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لايلتفت يميناً ولاشمالاً مقبلاً عليه ثبة كهيئة الحزين، فقلت: من هذا ياجبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح، فقلت أدنني منه يا جبرئيل لأكلّمه، فأدناني منه، فقلت له: يا ملك الموت أكلّ من هو مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم، ما الدنيا كلّها عندي فيما سخّره الله لي ومكّنني منها إلّا كدرهم في كفّ الرجل يقلبه كيف يشآء، وما من دار في الدنيا إلّا وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه، فانّ لي إليكم عودة وعودة حتّى لايبقى منكم أحد، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كفى بالموت طامّة ياجبرئيل! فقال جبرئيل: مابعد الموت أطمّ وأعظم من الموت».

وفي البحار: عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم: لما اسرى بي إلى السمآء رأيت في السمآء الثالثة رجلاً قاعداً، رجل له في المشرق ورجل له في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه ويحرّك رأسه، فقلت: يا جبرئيل! من هذا؟ قال: هذا ملك الموت».

وفيه: عن معتب غلام الصادق عليه السلام قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالعريض، فجاء يمشي حتّى دخل مسجداً كان يعبد الله فيه أبوه، وهو يصلّي في موضع من المسجد، فلمّا انصرف قال: يا معتب ترى هذا الموضع؟ قلت: نعم، قال: بينا أبي عليه السلام قائم يصلّي في هذا المكان إذ دخل شيخ يمشي حسن السمت فجلس فبينا هو جالس إذ جاء رجل آدم حسن الوجه والتمسه، فقال للشيخ: ما يجلسك؟ ليس بهذا أُمرتَ، فقاما وانطلقا وتواريا عنّي فلم أرشيئاً، فقال: يا بنيّ! هل رأيت الشيخ وصاحبه؟ فقلت: نعم، فمن الشيخ وصاحبه؟ قال: الشيخ ملك الموت والذي جآء فأخرجه جبرئيل».

وفيه: عن زرارة قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: «بينا أنا في الدار مع جارية لي إذ أقبل رجل قاطب بوجهه، فلمّا رأيته علمت أنّه ملك الموت، فاستقبله رجل آخر اطلق منه وجهاً واطلق منه بشراً فقال له: ليس بذا أمرت، فبينا انا احدّث الجارية إذ قبضت».

قوله عليه السلام: «ليس بذا امرت» أي بالتأخير أو بملاقاة غير المتوفّى أو بالقطوب للامام.

وفي روضة الكافي: باسناده عن حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول يعقوب لبنيه: «إذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه» أكان يعلم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة؟ قال: نعم قال: قلت: كيف علم؟ قال: إنّه دعا في السحر وسئل الله أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه بريال، وهو ملك الموت فقال له بريال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال له: أخبرني عن الأرواح التي تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟ قال: بل أقبضها متفرّقة روحاً روحاً، قال له: أخبرني هل مرّبك روح يوسف

فيما مرّ بك ؟ قال: لافعلم يعقوب أنه حيّ، فعند ذلك قال لولده: إذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه» .

وفي الفقيه: عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال في ذلك : «إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الانس يبعثهم في حوائجه، فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت عن الملائكة مع مايقبض هو، ويتوفّاهم الله عزوجل عن ملك الموت» .

وفي الاحتجاج: عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» وقوله: «قل يتوفّاكم ملك الموت» وقوله عزوجل: «توفته رسلنا» وقوله تعالى: «تتوفّاهم الملائكة» فمرّة يجعل الفعل لنفسه، ومرّة لملك الموت، ومرّة للرسل، ومرّة للملائكة فقال عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من الملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، ففعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشآء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشآء وانّ فعل امنائه فعله كما قال: «وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله» وفي تفسير روح البيان: حكى أنّ ابليس لعنه الله تمثّل للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً وبيده قارورة ماء فقال: أبيعه بايمان الناس حالة النزع، فبكى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى بكت أهل بيته، فأوحى الله تعالى إليه: «اني أحفظ عبادي في تلك الحالة من كيده».

قوله تعالى: «أحفظ عبادي» أي المخلصين فلاسلطان للشيطان عليهم إذ قال: «قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين» ص:٨٢-٨٣) وقال: «إنّه ليس له

سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون» النحل: ٩٩-١٠٠). وقد وردت روايات كثيرة: أنّ اسم ملك الموت عزرائيل، وأنّ له أعواناً في قبض أرواح الخلائق، وأنّ لكلّ مقاماً معلوماً حسب ايمان من يأمر بقبض روحه، وكفره، واخلاصه، ونفاقه... «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرّطون» الأنعام: ٦١) فلايقبض روح المؤمن من يقبض روح الكافر، ولايقبض روح المنافق من يقبض روح المخلص...

في فروع الكافي: «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إشتكى عينه فعاده النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاذا هو يصيح، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: أجزعاً أم وجعاً؟ فقال: يا رسول الله ما وجعت وجعاً قطّ أشدّ منه، فقال: يا عليّ إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفّود من نار فينزع روحه به، فتصيح جهنّم فاستوى علي عليه السلام جالساً فقال: يا رسول الله أعد عليّ حديثك فلقد أنساني وجعي ماقلت، ثم قال: هل يصيب ذلك أحداً من امتك؟ قال: نعم حاكم جائر، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور».

قوله عليه السلام: «أجزعاً أم وجعاً» أي صياحك من الجزع وعدم الصبر أم من شدة الوجع و«سفّود»: حديدة يشوى بها اللحم.

﴿نزول الملائكة على الموتى وأهلهم﴾

وقد وردت روايات أنّ الملائكة منهم نكير ومنكر تنزّل على أصحاب القبور لسؤالهم عن اعتقاداتهم، وعلى أهلهم المؤمنين تعزية لهم، وإن لم يروهم بالعيان.

في الصحيفة السجادية ـ في دعاء سيّد الساجدين الامام الرابع زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام وصلاته على حملة العرش وكلّ ملك مقرّب ـ قال: «ورسلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ماينزل من البلاء ومحبوب الرخاء، والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكرٍ ونكيرٍ ورومان فتّان القبور، والطائفين بالبيت المعمور، ومالكٍ والخزنة ورضوان وسدنة الجنان».

وفي البحار: قال: «إنّ الأسماء لملكين أو لنوعين من الملائكة يأتيان الميّت في قبره للسؤال عن العقائد أو عن بعض الأعمال أيضاً، فان كان مؤمناً أتياه في أحسن صورة فيسمّيان مبشّراً وبشيراً، وإن كان كافراً أو مخالفاً أتياه في أقبح صورة فيسمّيان منكراً ونكيراً، ويحتمل مغايرة هذين النوعين ـ مبشر وبشير ـ للأوّلين ـ منكر ونكير ـ لكن ظاهر أكثر الأخبار الاتحاد، ويؤيّده ترك الآخرين ـ مبشر وبشير ـ هنا في أكثر الروايات، بل في أكثر الأخبار عنهما بمنكر ونكير للمؤمن وغيره.

«رومان فتّان القبور» أي ممتحن القبور والمختبر فيها في المسئلة ولم أر ذكر هذا الملك في أخبارنا المعتبرة سوى هذا الدعاء، وهو مذكور في أخبار المخالفين.

روى مؤلّف كتاب زهرة الرياض عن عبد الله بن سلام أنّه قال: «سئلت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أوّل ملك يدخل في القبر على الميّت قبل منكر ونكير، قال

صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا ابن سلام! يدخل على الميّت ملك قبل أن يدخل نكير ومنكر يتلألأ وجهه كالشمس إسمه «رومان» فيدخل على الميّت، فيدخل روحه ثم يقعده فيقول له: اكتب ماعملت من حسنة وسيّئة فيقول: بأي شيء أكتب؟ أين قلمي؟ وأين دواتي؟ فيقول: قلمك إصبعك، ومدادك ريقك، اكتب، فيقول: على أيّ شيء أكتبه وليس معي صحيفة؟ قال: فيمزق قطعة من كفنه، فيقول: اكتب فيها، فيكتب ماعمل في الدنيا من حسنة، فاذا بلغ سيئة إستحيى منه، فيقول له الملك:

يا خاطئ أفلا كنت تستحيي من خالقك حيث عملتها في الدنيا والآن تستحيي منّي؟ فيكتب فيها جميع حسناته وسيّئآته، ثم يأمره أن يطويه ويختمه، فيقول: بأيّ شيء أختمه وليس معي خاتم؟ فيقول: اختمها بظفرك، ويعلّقها في عنقه إلى يوم القيامة كما قاله الله تعالى: «وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه... الآية» ثمّ يدخل بعد ذلك منكر ونكير»

وفيه: وروى شاذان بن جبرئيل رحمه الله في كتاب الفضائل عن أصبغ بن نباتة قال: «إنّ سلمان رضي الله عنه قال لي: إذهب بي إلى المقبرة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال لي: يا سلمان! سيكلّمك ميّت إذا دنت وفاتك، فلّما ذهبت به إليها ونادى الموتى أجابه واحد منهم، فسئله سلمان عما رأى من الموت ومابعده، فأجابه بقصص طويلة وأهوال جليلة وردت عليه ـ إلى أن قال ـ: لـمّا ودّعني أهلي وأرادوا الانصراف من قبري أحذت (أخذت خ) في الندم، فقلت: يا ليتني كنت من الراجعين! فأجابني مجيب من جانب القبر:

«كلاّ! إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون»

فقلت له: من أنت: قال أنا منبّه أنا ملك وكلّني الله عزّوجلّ بجميع خلقه لأنبّههم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله عزّوجلّ، ثمّ إنّه جذبني وأجلسني وقال لي: اكتب عملك، فقلت: إنّي لا احصيه، فقال لي: أما سمعت قول ربّك: «أحصاه الله ونسوه» ثمّ قال لي: اكتب وأنا أُملي عليك، فقلت: أين البياض؟ فجذب

جانباً من كفني، فاذا هو ورق فقال: هذه صحيفتك، فقلت: من أين القلم؟ فقال: سبّابتك، قلت: من أين المداد؟ قال: ريقك، ثمّ أملى عليّ مافعلته في دار الدّنيا فلم يبق من أعمالي صغيرة ولا كبيرة إلّا أملاها كما قال تعالى: «ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحداً».

ثمّ إنّه أخذ الكتاب وختمه بخاتم وطوّقه في عنقي فخيّل لي أنّ جبال الدّنيا جميعاً قدطوّقوها في عنقي، فقلت: له يا منبّه! ولِمَ تفعل بي كذا؟ قال: ألم تسمع قول ربّك: «وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» فهذا تخاطب به يوم القيامة ويؤتى بك وكتابك بين عينيك منشوراً تشهد فيه على نفسك، ثمّ انصرف عنّي».

وفي أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ـ القول في نزول الملكين على أصحاب القبور ومسائلتهما عن الاعتقاد ـ: أقول: إنّ ذلك صحيح، وعليه إجماع الشيعة وأصحاب الحديث، وتفسير مجمله: انّ الله تعالى ينزل على من يريد تنعيمه بعد الموت ملكين إسمهما مبشر وبشير، فيسئلانه عن ربّه جلّت عظمته وعن نبيّه ووليّه عليهما السلام فيجيبهما بالحق الذي فارق الدنيا على اعتقاده والصواب، ويكون الغرض في مسائلتهما إستخراج العلامة بما يستحقه من النعيم، فيجدانها منه في الجواب، وينزل جل جلاله على من يريد تعذيبه في البرزخ ملكين إسماهما ناكر ونكير فيوكلهما بعذابه، ويكون الغرض من مسائلتهما له استخراج علامة استحقاقه من العذاب بما يظهر من الجواب (في جوابه خ) من التلجلج عن الحق أو الخبر عن سوء الاعتقاد او ايلامه (إبلاسه خ) وعجزه عن الجواب، وليس ينزل الملكان من أصحاب القبور إلّا على من ذكرناه، ولا يتوجه سؤالهما منهم إلّا على الأحياء بعد الموت لما وصفناه، وهذا هو مذهب حملة الأخبار من الامامية، ولهم فيما سطرت منه آثار وليس لمتكلميهم من قبل فيه مقال عرفته فاحكيه على النظام».

وفي الاقبال: ـ في تعقيبات نوافل رمضان وغيرها ـ: «وصلّ على جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة، وروح القدس والروح الأمين، وحملة عرشك المقربين، وعلى منكر ونكير...».

وفي فروع الكافي: باسناده عن مهران بن محمّد قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الميّت إذا مات بعث الله ملكاً إلى أوجع أهله، فمسح على قلبه، فأنساه لوعة الحزن، ولولا ذلك لم تعمر الدنيا».

وفي الدر المنثور: عن الخزرج قال: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: ونظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانّه مؤمن، فقال ملك الموت: طب نفساً وقرّ عيناً، واعلم بأنّي بكل مؤمن رفيق، واعلم أنّي يا محمّد لأقبض روح ابن آدم، فاذا صرخ صارخ قمت في الدار ومعي روحه فقلت: ماهذا الصارخ؟ والله ماظلمنا ولاسبقنا أجله ولااستعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، فان ترضوا بما صنع الله توجروا، وإن تسخطوا تأثموا وتوزروا، وإن لنا عندكم عودة بعد عودة، فالحذر! الحذر! وما من أهل بيت شعر ولامدر برّ ولافاجر، سهل ولاجبل، إلّا وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم وليلة، حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله لوأردت أن أقبض روح بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها».

وفي الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت! ارفق بصاحبي فانّه مؤمن، فقال: أبشر يا محمّد فانّي بكلّ مؤمن رفيق، واعلم يا محمّد أنّي أقبض روح ابن آدم، فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم، فأقول: ما هذا الجزع فوالله ماتعجّلناه قبل أجله، وماكان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوا وتصبروا تؤجروا وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثم عودة، فالحذر الحذر إنه ليس في شرقها ولافي غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلّا وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات، ولأنا أعلم

بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ماقدرت عليها حتى يأمرني ربي بها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصلاة فان كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ونحّى عنه ملك الموت إبليس».

﴿موت الملائكة وملك الموت﴾

قال الله عزوجل: «كلّ نفس ذائقة الموت ثمّ الينا ترجعون» العنكبوت:٥٧).

وقد ورد النصّ القرآني انّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه، ومن كلّ شيء، الملائكة، ومن الملائكة ملك الموت، فكلّهم يموتون كغيرهم من ذوات النفوس، فينتهى العالم إلى مابدأ، فلا شيء إلّا الله جل وعلا إذ كان وماكان معه شيء، ثم تحيى الموتى...

وقد وردت في المقام روايات كثيرة، نشيرإلى مايسعه مقام الإختصار:

١ ـ في فروع الكافي باسناده عن يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نعزيه باسمعيل، فترحّم عليه ثمّ قال: إنّ الله عزوجل نعى إليه نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه، فقال: «انك ميّت وإنّهم ميتون» وقال: «كلّ نفس ذائقة الموت» ثم أنشأ يحدّث فقال: إنّه يموت أهل الأرض حتى لايبقى أحد، ثم يموت أهل السمآء حتى لايبقى أحد إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل عليهم السلام قال: فيجيء ملك الموت عليه السلام حتى يقوم بين يدي الله عزوجل فيقال له: من بقي؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل عليهم السلام فيقال له:

قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا، فتقول الملائكة عند ذلك: يا ربّ رسوليك وأمينيك، فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت، ثمّ يجيئ ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عزوجل، فيقال له: من بقي؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثم يجيء كئيباً

حزيناً لايرفع طرفه فيقال: من بقي؟ فيقول: يا رب لم يبق إلاّ ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، فيموت ثم يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر؟».

قوله: «ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه» إشارة إلى قوله تعالى: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه» الزمر: ٦٦).

٢ ـ في عيون الأخبارعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لما نزلت هذه الآية: «انك ميّت وانهم ميتون» قلت: يا ربّ أتموت الخلائق كلهم ويبقى الأنبيآء، فنزلت: «كلّ نفس ذائقة الموت ثمّ إلينا ترجعون».

٣ ـ وفيه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا كان يوم القيامة يقول الله عزوجل لملك الموت: يا ملك الموت وعزّتي وجلالي وارتفاعي في علوّي لاذيقنّك طعم الموت كما أذقت عبادي».

٤ ـ في روضة الكافي ـ في روايه ـ قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «ثمّ إنّ الإنسان طغى وقال: من أشدّ منّي قوة؟ فخلق الله له الموت فقهره فذلّ الانسان، ثمّ إنّ الموت فخر في نفسه فقال الله عزوجل: لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين: أهل الجنة وأهل النار ثمّ لا احييك أبداً فترجى أو تخاف».

قوله: «لا احييك...» أي لا احييك فتكون حياتك رجاءاً لأهل النار: «والذين كفروا لهم نار جهنّم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفّف عنهم من عذابها» فاطر: ٣٦) وخوفاً لأهل الجنة، ولعل المراد بذبح الموت: ذبح شيء مسمّى بهذا الاسم ليعرف الفريقان رفع الموت عنهما على المشاهدة والعيان.

٥ ـ في الاحتجاج ـ في جواب الامام الحسن بن علي بن أبيطالب عليه السلام عن مسائل جائت من الروم... قال عليه السلام: «وأما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض: فأشدّ شيء خلقه الله الحجر، وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفى النار، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء،

وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الذي يرسلها، وأشدّ من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشدّ من ملك الموت، الموت الذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر الله الذي يميتُ الموت».

٦ ـ في البحار عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال: «إذا أدخل الله أهل الجنة الجنّة وأهل النار النار جيئ بالموت في صورة كبش حتى يوقف بين الجنّة والنار قال: ثمّ ينادي مناد يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل الجنّة يا أهل النار، فاذا سمعوا الصوت أقبلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ماهذا؟ هذا هو الموت الذي كنتم تخافون منه في الدنيا، قال: فيقول أهل الجنّة: اللهم لا تدخل الموت علينا، قال: ويقول أهل النار: اللهم أدخل الموت علينا، قال: ثمّ يذبح كما تذبح الشاة، قال: ثمّ ينادي مناد: لاموت أبداً، أيقنوا بالخلود، قال: فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا، قال: ثم قرأ هذه الآية.

«أفما نحن بميّتين إلّا موتتنا الاولى ومانحن بمعذّبين إنّ هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون» الصافات: ٥٨-٦١).

قال: ويشهق أهل النار شهقة لوكان أحد يموت من شهيق لماتوا وهو قول الله عزوجل: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر» مريم: ٣٩).

٧ ـ في تفسير القمي: باسناده عن أبي ولّاد الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قوله: «وأنذرهم يوم الحسرة...» قال: ينادي مناد من عند الله ـ وذلك بعد ما صار أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار ـ: يا أهل الجنّة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون: لا، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنّة والنار، ثم ينادون جميعاً: اشرفوا وانظروا إلى الموت، فيشرفون ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنّة! خلود فلاموت أبداً، ويا أهل النار! خلود فلاموت أبداً وهو قوله: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة» أي قضي على أهل الجنة الخلود فيها، وقضي على أهل النار الخلود فيها».

أقول: قوله عليه السلام: «فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح» دليل قاطع على أن الموت صفة وجودية متضادة للحياة لقوله عزوجل: «الذي خلق الموت والحياة» الملك: ٢) ونحن معاشر الناس ما لم نر الموت بالعيان والمشاهدة على صورته لانعرفها ولانعلم كيفيّة خلقته، وإنّ جهلنا به وبها لايدل على عدم وجوده، فنحن معاشر المؤمنين نؤمن بماورد في الكتاب وعن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا هو من الايمان بالغيب: «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب» البقرة: ٢ - ٣)

وبالحق أقول: إنّما جهل البشر اطلاقاً وإن ادّعوا ما ادّعوه -غير الأنبياء والأوصياء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين- كعلم الله جل وعلا غير محدود، فكما أنه لاحدّ لعلم الله تعالى لاحدّ لجهلنا فمن انكر ذلك فهو جاهل في جهله قطعاً.

٨ - في الدر المنثور: «عن ابن عباس قال: وكّل ملك الموت بقبض أرواح الآدميّين فهو الذي يلي قبض أرواحهم، وملك في الجنّ، وملك في الشياطين، وملك في الطير والوحش والسباع والحيتان والنمل، فهم أربعة أملاك ، والملائكة يموتون في الصعقة الاولى، وانّ ملك الموت يلي قبض أرواحهم، ثمّ يموت، وأمّا الشهداء في البحر فانّ الله يلي قبض أرواحهم، لايكل ذلك إلى ملك الموت لكرامتهم عليه».

٩ - في البحار: عن أنس قال: تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله» قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فاذا قبض الله أرواح الخلائق قال: ياملك الموت من بقي؟ قال: يقول: سبحانك ربي تباركت ربي وتعاليت ربّي ذاالجلال والاكرام بقي جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، قال: فيقول: خذ نفس إسرافيل، فيأخذ نفس إسرافيل، قال: فيقول: يا ملك الموت من بقي؟ قال: فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت ربي ذا الجلال والاكرام بقي جبرائيل وميكائيل وملك الموت، قال: فيقول:

خذ نفس ميكائيل، قال: فيأخذ نفس ميكائيل، فيقع كالطود العظيم، فيقول: ياملك الموت من بقي؟ فيقول: تباركت ربي وتعاليت بقي جبرئيل وملك الموت، قال: فيقول: مُت ياملك الموت فيموت.

قال: فيقول يا جبرئيل من بقي؟ فيقول تباركت ربّي وتعاليت ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم، وجبرئيل الميّت الفاني؟ قال: يا جبرئيل لابدّ من الموت، فيخرّ ساجداً فيخفق بجناحيه فيقول: سبحانك ربّي تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: فعند ذلك يموت جبرئيل وهو آخر من يموت من خلق السموات والأرض».

١٠ ـ في شرح الحديد: و روى انس بن مالك أنه قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما هؤلاء الذين استثنى بهم في قوله تعالى: «فصعق من في السموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله» الزمر: ٦٨)؟

فقال: جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل، فيقول الله عزوجل لعزرائيل: يا ملك الموت من بقي؟ وهو سبحانه أعلم ـ فيقول: سبحانك ربي ذا الجلال والاكرام! بقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ـ فيقول: ياملك الموت خذ نفس اسرافيل، فيقع في صورته التي خُلِق عليها مايكون من الأطواد، ثم يقول ـ وهو أعلم ـ: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والاكرام! جبرائيل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيقع في صورته التي خلق عليها، وهي أعظم مايكون من خلق اسرافيل بأضعاف مضاعفة.

ثم يقول سبحانه: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي ذا الجلال والاكرام: جبرئيل وملك الموت، فيقول تعالى: يا ملك الموت! مت فيموت ويبقى جبرائيل ـ وهو من الله تعالى بالمكان الذي ذكر لكم ـ فيقول الله: ياجبرائيل! إنه لابدّ من أن يموت أحدنا، فيقع جبرائيل ساجداً يخفق بجناحيه، يقول: سبحانك ربّي وبحمدك ! أنت الدائم القائم الذي لايموت وجبرائيل الهالك الميّت الفاني، فيقبض الله

روحه، فيقع على ميكائيل واسرافيل، وإنّ فضل خلقه على خلقهما كفضل الطود العظيم على الظَرِب من الظراب».

قوله: «الظرب» ـ ككتف: الجبل الصغير.

﴿حياة الملائكة بعد موتهم، وتكاليفهم وتنعّمهم﴾
وتهنئتهم على المؤمنين في الجنة

قال الله عزوجل: «الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربّهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغآء وجه ربّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» الرعد: ٢٠ - ٢٤).

وقد وقع الخلاف بين العلماء قديماً وحديثاً: هل تحيى الملائكة بعد موتهم يوم القيامة؟ هل لهم تكليف يومئذ كما كان قبل ذلك اليوم، وهل يتنعّمون بنعم كسائر المكلفين، ويلتذّون بلذّاتها...؟؟؟ أم لا؟

فذهب إلى كلٍّ فريق، أما المثبتون، فيستدلون على ذلك بآيات كريمة، وروايات واردة عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار:

أما الآيات القرآنية فمنها ماتلوته آنفاً، وذلك أنّ المؤمنين الصادقين بعد دخولهم في الجنّة، يبعث الله جلّ وعلا إليهم ملائكة، فيسلّمون عليهم، ويزورونهم ويهنّئونهم بالجنّة ونعيمها، ويزوّجونهم بالحوراء ويبشّرونهم بالخلود فيها.

ومنها: قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحريم: ٦).

ومنها: قوله عزوجل: «وما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة وماجعلنا عدّتهم إلّا فتنة

للذين كفروا» المدثر: ٣١).

ومنها: قوله جل وعلا: «ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون» الزخرف: ٧٧) وغيرها من الآيات الكريمة...

وأما الروايات فكثيرة:

منها: ما في نهج البلاغة قال مولى الموحدين إمام الموحدين إمام المتقين علي بن أبيطالب عليه السلام: «واعلموا أنّه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم، ويخلّده فيما اشتهت نفسه، وينزله منزلة الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عَرْشُه، ونورها بهجته وزوّارها ملائكته ورفقاؤها رسله».

ومنها: ما في روضة الكافي باسناده عن محمّد بن اسحق المدني عن أبي جعفرعليه السلام قال ـ في حديث وصف حال المتقين يوم القيامة بعد دخولهم في الجنّة ـ: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ثم يبعث الله إليه الف ملك يهنّئونه بالجنّة ويزوّجونه بالحوراء، قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكّل بأبواب جنانه: استأذن لنا على وليّ الله، فانّ الله بعثنا إليه نهنّئه، فيقول لهم الملك: حتى أقول للحاجب، فيعلمه بمكانكم قال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان، حتى ينتهي إلى أوّل باب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العالمين تبارك وتعالى ليهنّئوا وليّ الله وقد سئلوني أن آذن لهم عليه فيقول الحاجب: إنه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله وهو مع زوجته الحوراء.

قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنتان، قال: فيدخل الحاجب إلى القيّم، فيقول له: إن على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العزّة يهنّئون وليّ الله فاستأذن لهم فيتقدّم القيّم إلى الخدّام، فيقول لهم: إنّ رسل الجبّارعلى باب العرصة، وهم ألف ملك أرسلهم الله يهنّئون وليّ الله، فأعلموه بمكانهم، قال: فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة، ولها ألف باب، وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به، فاذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابه الموكّل به.

قال: فيدخل القيّم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة قال: فيبلّغونه رسالة الجبّار جلّ وعزّ وذلك قول الله تعالى: «والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب ـ من أبواب الغرفة ـ سلام عليكم ـ إلى آخر الآية».

قال: وذلك قوله جلّ وعزّ: «وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً» يعني بذلك وليّ الله وماهو فيه من الكرامة والنعيم والمُلك العظيم الكبير، إنّ الملائكة من رسل الله عزّ ذكره يستأذنون ـ في الدخول ـ عليه، فلايدخلون عليه إلّا باذنه فلذلك الملك العظيم الكبير... الخبر.

ومنها: ما في نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام: «واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحموا نفوسكم قد جرّبتموها في مصائب الدنيا، أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تُدْميه، والرمضاء تُحرِقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيعَ حَجَرٍ، وقرينَ شيطان، أعلمتم أنّ مالكاً إذا غضب على النار حَطَمَ بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته؟!».

ومنها: مافي الصحيفة السجادية ـ في الدعاء الثالث ـ في الصلوٰة على حملة العرش وكلّ ملك مقرّب ـ قال الامام الرابع سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: «والذين يقولون: «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» والزبانية الذين إذا قيل لهم: «خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه» ابتدروه سراعاً ولم يُنظِروه».

وغيرها من الروايات الواردة التي تركناها للاختصار.

وفي البحار: وسُئِلَ ـ السيد المرتضى رحمه الله ـ: «إذا حصل أهل الجنة في الجنة ماحكم الملائكة؟ هل يكونون في جنّة بني آدم أو غيرها؟ وهل يراهم البشر؟ وهم يأكلون ويشربون مثل البشر أو تسبيح وتقديس؟ وهل يسقط عنهم التكليف؟ وكذلك الجن؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ: أنّه يجوز أن يكونوا في الجنّة مع بني آدم، ويجوز أن يكونوا في جنّة سواها، فإنّ الجنان كثيرة جنّة الخلد وجنّة عدن، وجنة المأوى وغير ذلك مما لم يذكره الله تعالى، فأما رؤية البشر لهم، فلايصلح إلّا على أحد وجهين: إما أن يقوّي

الله تعالى شعاع بصر البشر، أو يكثف الملائكة، فأما الأكل والشرب فتجوز، والله تعالى يثيبهم بما فيه لذّتهم، فان جعل لذّتهم في الأكل والشرب جاز، وأما التكليف فانّه يسقط عنهم، لأنّه لايصحّ أن يكونوا مكلّفين مثابين في حالة واحدة والكلام في الجن يجرى هذا المجرى».

وأماالنافون فلم اجدلهم دليلاً على إنكارهم يعتنى به!

تمّت سورة الملائكة (فاطر)

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾
وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ

ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾
۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾
وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا

قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ

أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟

مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿فضلها و خواصها﴾

روى **الصدوق** رحمة الله تعالى عليه فى ثواب الأعمال: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّ لكل شيءٍ قلباً وإنّ قلب القرآن (يس) من قرأها قبل أن ينام أو في نهاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتّى يمسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكل الله به ألف ملك يحفظونه من شركل شيطان رجيم ومن كل آفة، وإن مات في يومه أدخله الله به الجنّة، وحضر غسله ثلا ثون ألف ملك كلّهم يستغفرون له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، فاذا دخل في لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له، وفسح له في قبره مدّ بصره، واومن من ضغطة القبر، ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى أعنان السمآء إلى أن يخرجه الله من قبره.

فاذا أخرجه لم يزل ملائكة الله معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكل خير حتّى يجوزوا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفاً لايكون عندالله خلقاً أقرب منه إلّا ملائكة الله المقرّبون، وأنبياؤه المرسلون، وهو مع النبيين واقف بين يدي الله لايحزن مع من يحزن، ولايهمّ مع مَن يهمّ، ولايجزع مع مَن يجزع، ثم يقول له الرب تبارك وتعالى: إشفع عبدي اشفّعك في جميع ما تشفع، وسلني عبدي أعطك جميع ما تسئل، فيسئل فيعطى ويشفع فيشفّع، ولا يحاسب فيمن يحاسب، ولايُوقَف مع من يوقف، ولا يذلّ مع من يذلّ، ولاينكب بخطيئة ولابشيءٍ من سوء عمله، ويعطي كتاباً منشوراً حتّى يهبط من عندالله فيقول الناس بأجمعهم: سبحان الله ما كان لهذا العبد من خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والحرّ العاملي في وسائل الشيعة، والسيّد البروجردي في جامع أحاديث الشيعة.

وفيه: باسناده عن جابر الجُعْفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ (يس) في عمره مرّة واحدة كتب الله له بكل خلق في الدنيا وبكل خلق في الآخرة وفي السمآء بكل واحد ألفي ألف حسنة، ومحاعنه مثل ذلك، ولم يصبه فقر ولا غرم ولا هدم ولانصب ولا جنون ولا جذام ولاوسواس ولاداء يضرّه، وخفّف الله عنه سكرات الموت وأهواله، وولى قبض روحه، وكان ممّن يضمن الله له السعة في معيشته، والفرح عند لقائه، والرضا بالثواب في آخرته، وقال الله تعالى لملائكته أجمعين من في السموات ومن في الأرض: «قدرضيت عن فلان فاستغفروا له»».

وفي اصول الكافي: باسناده عن سعيدبن يسارقال: قلت لأبي‌عبدالله عليه السّلام: «سليم مولاك ذكر أنّه ليس معه من القرآن إلّا سورة (يس) فيقوم من الليل فينفد ما معه من القرآن أيعيد ما قرأ؟ قال: نعم لابأس».

وفي المجمع: ابيّ بن كعب قال: من قرأ سورة (يس) يريد بها وجه الله عزّوجل غفرالله له وأعطى من الأجر كأنّما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرّة، وأيّما مريض قرئت عنده سورة (يس) نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً ويستغفرون له، ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته، ويصلّون عليه ويشهدون دفنه، وأيّما مريض قرأها وهو في سكرات الموت أو قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنّة بشربة من شراب الجنّة فسقاه إيّاها وهو على فراشه، فيشرب فيموت ريان، ويبعث ريان، ولايحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتّى يدخل الجنّة وهوريان.

وفيه: أبوبكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: سورة (يس) تدعى في التوراة المعمّة قيل: وما المعمّة؟ قال: تعمّ صاحبها خيرالدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل شرّ وتقضي

له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها ادخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت عنه كلّ داء وعلة.

وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: من دخل المقابر فقرأ سورة (يس) خفّف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات.

وفيه: وروي محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم اثنى عشراً إسماً: خمسة منها في القرآن: محمد وأحمد وعبدالله ويس ونون».

وفي أمالى الطوسي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي جعفر الخثعمى قريب اسمعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام: «علّموا أولادكم ياسين فانّها ريحانة القرآن».

وفي اصول الكافي: باسناده عن الأصبغ بن نباتة عن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه أنه قال: والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم بالحق وأكرم أهل بيته ما من شئ تطلبونه من حرز، من حرق أو غرق أو سرق أو أفلات دابة من صاحبها أو ضالّة أو آبق إلّا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسئلني عنه ـ فساق الحديث إلى أن قال ـ ثم قام إليه عليه السّلام آخر فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن الضالّة؟ فقال: إقرأ (يس) في ركعتين وقل: يا هادى الضالّة رُدّ عليّ ضالّتى، ففعل فردّ الله عزوجل عليه ضالّته...» الخبر.

وفي كمال الدين وتمام النعمة: باسناده عن أبي لبيد المخزومي قال: ذكر أبوجعفر عليه السلام أسماء الخلفاء الاثنى عشر الراشدين صلوات الله عليهم فلمّا بلغ آخرهم قال: الثاني عشر الذي يصلّي عيسى بن مريم عليه السّلام خلفه عند سنّة (يس) والقرآن الحكيم.

وفي أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: «سلام على آل يس»: محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ونحن آل محمّد.

وفي تفسير القمي: «يس والقرآن الحكيم» **قال الصادق** عليه السلام: يس إسم رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلّم والدليل على ذلك قوله تعالى: «انك لمن المرسلين على صراط مستقيم» قال: على طريق واضح «تنزيل العزيز الرحيم» قال: القرآن.

وفي الكافي: باسناده عن صفوان رفعه إلى أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال: هذا محمد اذن لهم في التسمية، فمن أذن له في (يس) يعنى التسمية وهو إسم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفي الاحتجاج: عن مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام ـ في حديث طويل ـ: «فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: «إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» و لهذه الآية ظاهر و باطن، فالظاهر قوله: «صلّوا عليه» والباطن قوله: «وسلّموا تسليماً» أى سلّموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله، وما عهد به إليه تسليماً، وهذا ما اخبرتك انه لايعلم تأويله إلّا من لطف حسّه وصفا ذهنه وصحّ تميزه وكذلك قوله: «سلام على آل ياسين» لأن الله سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بهذا الاسم حيث قال: «يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين» لعلمه انهم يسقطون سلام على آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم كما أسقطوا غيره.

وفي عيون الأخبار: ـ في باب ذكر مجلس الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء مع المأمون في الفرق بين العترة والامة ـ قال عليه السّلام في قوله تعالى: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي...» الآية كلاماً وفي أثناء ذلك قال المأمون: فهل عندك في الأوّل شي أوضح من هذا في القرآن؟ قال أبوالحسن عليه السّلام نعم أخبروني عن قول الله تعالى: «يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم» فمن عنى بقوله: (يس)؟ قالت العلماء: يس محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لم يشك فيه أحد.

قال ابوالحسن عليه السلام: فان الله عزّوجلّ أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لايبلغ أحد كنه وصفه إلّا من عقله، وذلك ان الله عزّوجل لم يسلّم على أحد إلّا على

الأنبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك وتعالى: «سلام على نوح في العالمين» وقال: «سلام على ابراهيم» وقال: «سلام على موسى وهارون» ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولم يقل: سلام على آل موسى وهارون، وقال: سلام على آل يس يعنى آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فقال المأمون: قدعلمت أن في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه.

وفي الجامع لأحكام القرآن: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إن لكل شئ قلباً وإن قلب القرآن يس ومن قرأها في ليلة أُعطى يُسر تلك الليلة ومن قرأها في يوم أُعطى يُسر ذلك اليوم، وإن أهل الجنّة يرفع عنهم القرآن فلايقرؤن شيئاً إلّا طه ويس».

وفيه: عن محمّدبن مروان عن أبي جعفر قال: «من وجد في قلبه قساوة فليكتب (يس) في جام بزعفران ثم يشربه».

وفيه: عن محمّدبن علي عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «القرآن أفضل من كل شيْ دون الله وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، فمن وقّر القرآن فقد وقر الله، ومن لم يوقّر القرآن لم يوقر الله، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده، القرآن شافع مشفّع وما حلٌ مصدّق، فمن شفع له القرآن شفّع، ومن محل به القرآن صُدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وحملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبّسون نور الله، المعلّمون كلام الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى:

يا حملة القرآن استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حبّاً ويحببكم إلى عباده يدفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة، ومن استمع آية من كتاب الله كان له أفضل مما تحت العرش إلى التُخوم، وإن في كتاب الله سورة تُدعى العزيزة ويُدعى صاحبها الشريف يوم القيامة، تشفع لصاحبها في أكثر من ربيعة ومضر وهى سورة يس».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له».

وفي جامع أحاديث الشيعة: عن محمّد بن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: القرآن أفضل من كل شئ دون الله ـ إلى أن قال ـ: وإن في كتاب الله سورة تسمى العزيز يدعى صاحبها الشريف عند الله يشفع لصاحبها يوم القيامة مثل ربيعة ومضرثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: وهي سورة يس.

وفيه: عن عبدالله بن الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ يس أمام حاجته قضيت له».

وفيه: وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ! إقرأ يس فان في يس عشرة بركات ما قرأها جائع إلّا شبع، ولاظمآن إلّا روي، ولاعار إلّا كسي، ولاعزب إلّا تزوّج، ولاخائف إلّا أمن، ولامريض إلّا برئ، ولا محبوس إلّا خرج، ولامسافر إلّا أُعين على سفره، ولايقرئن (يقرءن) عند ميت إلّا خفف الله عنه، ولا قرئها رجل له ضالّة إلّا وجد طريقها».

وفي مكارم الاخلاق: روي أن يس تقرأ للدنيا والآخرة، وللحفظ من كل آفة وبليّة في النفس والأهل والمال. وروى أنّه من كان مغلوباً على عقله قرء عليه يس أو كتبه وسقاه وإن كتبه بماء الزعفران على إناء من زجاج فهو خير فانّه يبرأ».

وفي الدرالمنثور: عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: يس قلب القرآن لايقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلّا غفر له ما تقدّم من ذنبه فاقرؤها على موتاكم.

وفيه: عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: لوددت أنها في قلب كل إنسان من امّتي يعني يس.

وفيه: عن أبي الدردآء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: ما من ميّت يقرأ عنده يس إلّا هوّن الله عليه.

وفيه: عن خريم بن فاتك قال: خرجت في طلب إبل لي وكنّا إذا نزلنا بواد نقول: نعوذ بعزيز هذا الوادى، فتوسّدت ناقة، وقلت: أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول:

ويحك عُذ بالله ذي الجلال منزّل الحرام والحلال

ووحّد الله ولا تبال ماكيد ذا الجن من الأهوال

إذ يذكر الله على الأميال وفي سهول الأرض والجبال

وصار كيد الجن في سفال إلاّ التقى وصالح الأعمال

فقلت له:

أيّها القائل ما تقول؟ أرُشدٌ عندك أم تضليل؟

فقال:

هذا رسول الله ذا الخيرات جاء بياسين وحاميمات

وسور بعد مفصّلات يأمر بالصلاة والزكاة

ويزجر الأقوام عن هنات فذاك في الأنام منكرات

فقلت له: من أنت؟ قال: ملك من ملوك الجن بعثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على جن نجد، قلت: أما كان لى من يؤدّي ابلي هذه إلي أهلي لآيته حتّى أسلّم؟ قال: فأنا اؤدّيها، فركبت بعيراً منها ثم تقدمت، فاذا النبي صلى الله عليه وآله وسلّم على المنبر فلما رآني قال: ما فعل الرجل الذى ضمن لك أن يؤدّى إبلك ؟ أما انّه قدأدّاها سالمة».

وفيه: عن أبي بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : من زار قبر والديه أو أحدهما في كلّ جمعة، فقرأ عندهما يس غفر الله له بعدد كل حرف منها.

وفيه: عن ابن عباس قال: اجتمعت قريش بباب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ينتظرون خروجه ليؤذوه فشقّ ذلك عليه، فأتاه جبرئيل بسورة (يس) وأمره بالخروج عليهم، فأخذ كفّاً من تراب وخرج وهو يقرؤها، ويذرّ التراب على رؤسهم، فما رآوه حتّى جاز، فجعل أحدهم يلمس رأسه، فيجد التراب، وجآء بعضهم، فقال: ما

يجلسكم؟ قالوا: ننتظر محمّداً فقال: لقد رأيته داخلاً المسجد قالوا: قوموا فقد سحركم».

وفيه: عن مجاهد قال: اجتمعت قريش، فبعثوا عتبة بن ربيعة فقالوا: إئت هذا الرّجل فقل له: إنّ قومك يقولون: إنّك جئت بأمر عظيم، ولم يكن عليه آباؤنا ولا يتّبعك عليه أحلامنا، وإنّك إنّما صنعت هذا انّك ذوحاجة، فإن كنت تريد المال؟ فإن قومك سيجمعون لك ويعطونك، فدع ماتريد وعليك بما كان عليه آباؤك؟ فانطلق إليه عتبة فقال له الذي أمروه فلمّا فرغ من قوله وسكت، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

«بسم الله الرّحمن الرحيم تنزيل من الرحمن الرحيم» فقرأ عليه من أوّلها حتّى بلغ: «فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادو ثمود» فرجع عتبة فأخبرهم الخبر، فقال: لقد كلّمني بكلام ماهو بشعر ولابسحر وانّه لكلام عجيب ما هو بكلام الناس فوقعوا به وقالوا: نذهب إليه بأجمعنا، فلّما أرادوا ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فعمدهم حتّى قام على رؤسهم وقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم» حتّى بلغ «جعلنا في أعناقهم أغلالاً» فضرب الله بأيديهم على أعناقهم فجعل من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأخذ تراباً فجعله على رؤسهم ثم انصرف عنهم ولايدرون ما صنع بهم، فعجبوا وقالوا: ما رأينا أحداً قطّ أسحر منه، انظروا ما صنع بنا»

وفيه: عن عكرمة قال: كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض: لو قدرأيت محمداً لفعلت به كذا وكذا فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وهم في حلقة في المسجد، فوقف عليهم فقرأ يس والقرآن الحكيم حتّى بلغ لايُبصِرُون ثم أخذ تراباً فجعل يذرّه على رؤسهم، فما يرفع إليه رجل طرفه ولايتكلم كلمة ثم جاوز النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فجعلوا ينفضون التراب عن رؤسهم ولحاهم والله ما سمعنا، والله ما أبصرنا والله ما عقلنا».

وفيه: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سئل الله أعطاه سؤله».

وفي البرهان: روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم انه قال: «ومن كتبها ـ هذه السورة ـ وعلقها عليه كانت حرزه من كل آفة ومرض».

وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث ـ: «ومن كتبها بماء وردو علقها عليه كانت له حرزاً من كل آفة وسوء».

وفيه: وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها بماء ورد وزعفران سبع مرّات، وشربها سبع مرّات متواليات، كل يوم مرّة، حفظ كل ما سمعه، وغلب على من يناظره، وعظم في أعين الناس ومن كتبها وعلقها على جسده أمن على جسده من الحسد والعين، ومن الجن والانس، والجنون والهوام، والاعراض والأوجاع باذن الله تعالى، وإذا شربت ماؤها امرأة درّ لبنها، وكان فيه للمرتضع غذاء جيّداً باذن الله تعالى.

وغيرها من الروايات الواردة في فضيلة هذه السورة المباركة وخواصّها تركناها للإختصار ولايخفى على القاريّ الخبير ان تلك الفضائل والخواص والآثارت المعنوية والمادية، والدنيوية الاخروية. والفردية والاجتماعية للأحياء والأموات... كلّها لمن قرأها، أو استمع لها، أو قُرِءَ عليها مؤمناً بها، متدبّراً فيها، مؤتمراً بأوامرها، متناهياً عن نواهيها، متوعداً عن وعيدها، مراجياً بوعدها، وغيرها من شرائط الخواص والآثار... وإلّا فرب تال القرآن، والقرآن يلعنه، ورب مستمع للقرآن، والقرآن يلعنه، ورب مقرؤ عليه القرآن، والقرآن يلعنه ليلاً ونهاراً!

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن جابربن راشد عن أبي عبدالله عليه السلام أنه نظر في الطواف إلى رجل عليه كآبة وحزن، فقال: مالك ؟ فقال: دابّتي حرون، قال: ويحك إقرء هذه الآية فى اذنه: «أولم يروا أنا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون» يس: ٧١-٧٢).

﴿الغرض﴾

تدور السورة حول طبيعة الوحي السماوي وهي الحكمة نفسها، وترسيم خطّ الرسالة واستقامتها، ووظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وهي إنذار الناس وإرشادهم إلى سبيل الرشاد، وابلاغ الوحي إليهم، وأما اهتداء الناس وقبولهم الوحي، وتصديقهم الرسالة فليس الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم بمسؤل عنها منذ إفتتاحها إلى ختامها، فلايتأثّر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم من عدم تأثير الوحي على قوم قست قلوبهم، وسيقت فيها قصّة أصحاب القرية لتحذّر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة، وإن تعرّضت في أثنائها قضية الالوهية والوحدانية كما أنه هو دأب القرآن الكريم لايمضى من سورة إلّا أن يبحث في الله جل وعلا إمّا في ذاته الجليل، وإما في صفاته السلبية أو الثبوتية الفعلية أو الذاتية لأن التوحيد قطب اصول الاعتقاد، وفروع الدين ومركزهما، ولولاه فلابحث عنهما.

وأما البحث من المعاد فيها فانّه يلين القلب، ويوجد في الانسان الخوف والرجاء، وبه يربط القلب بالله جل وعلا، ويؤمن بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم فلولا خوف المعاد والحساب لن يؤمن بالله عزّوجل الانسان، فهو الباعث والمحرّك للايمان كما صرّح بذلك في قوله تعالى: «إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» ص: ٢٦).

فالرادع الوحيد عن المعصية والطغيان، والداعى إلى الطاعة والايمان هو الخوف من يوم الحساب والايمان به، دون الايمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم بدون

الايمان بالآخرة كما قال: «من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب» يس: ١١).

فاذن يستعد قلبه لاستقبال دلائل الهدى وموجبات الايمان، فأقسم الله عزّوجل بـ(يس والقرآن الحكيم» على حقيقة الوحي والرسالة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم اللتين تدور عليهما السورة المباركة هذه تجليلاً وتعظيماً على المقسم به ثم نزّه الوحي عن كونه شعراً والرسول صلى الله عليه وآله وسلّم عن كونه شاعراً: «وما علّمناه الشعر وما ينبغي له» يس: ٦٩) وبيّن طبيعة الوحي ووظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم: «إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً» يس: ٦٩- ٧٠) ثانياً وفيه تعميم رسالته بعد تخصيصها.

ومن ثمّ نعلم بحكمة كون هذه السورة قلباً للقرآن الكريم، وإن كان لنا فيه وجوه أُخَر:

منها: ان حياة كل شيئ بالقلب، ولمّا كانت هذه السورة المباركة مصدّرة بذكر الرسالة: «إنك لمن المرسلين» وكانت حياة القرآن الكريم برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم صارت السورة بمنزلة القلب للقرآن المجيد.

ومنها: إن صحة الإيمان وثباته تتوقف بالاعتراف والاعتقاد بالحشر الذى قرّر في هذه السورة بأبلغ وجه وأوضح بيان: (٣٣- ٤٠ و٤٨- ٥٩ و ٦٨ و ٧٧-٨٣).

ومنها: قدقرّرت في هذه السّورة الاصول الثلاثة: التّوحيد والنّبوة والمعاد بأقوى البراهين بالصراحة، والأصلان الآخران: الامامة والعدل بأدق لدلائل بالإشارة: (١٢-٢٧و٣٨-٤٠) من العدل في نظام التّكوين ونواميس الوجود فكيف التشريع؟ فابتدءها الله جلّ وعلا بالرّسالة: «انّك لمن المرسلين» ودليلها ماقدّمه عليه من قوله تعالى: «والقرآن الحكيم» وما أخره عنه من قوله عزّوجلّ: «لتنذر قوماً...» وختمها ببيان التّوحيد بقوله عزّوجلّ: «فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء» وفي تضاعيفها آيات تشير إلى الإمامة والعدل، وآيات تصرح بالحشر.

فمن حصلت له تلك الاصول الخمسة الايمانية فقد حصل له نصيب قلبه وهو

التصديق بالجنان، ولذلك سمّيت السورة قلباً، وصارت بمنزلة القلب للقرآن الكريم.

ومنها: ان لسورة(يس) مزيد اختصاص في كشف علوم الدين وايضاح طرق اليقين قلما يوجد في غيرها، إذ فيها ذكر من عظائم الأسرار الالهية والعلوم الربانية ولطائف معرفة المبدأ والمعاد، ودقائق كيفية الوحي وحقيقة الرسالة ونشؤ الآخرة لنفوس العباد وأحوال الخلائق في السعادة والشّقاوة، وفي الصلاح والفساد يوم القيامة وفناء الكل ورجوعه إلى الواحد القهار كما أن مزيّة القلب على سائر الأعضاء ورياسته لها وتقدّمه فيما به الانسان إنساناً لما فيه من اللطيفة الملكوتية غير مختفية على اولى النهى وذوي الحجى.

ومنها: أنّ الله تعالى جعل هذه السورة قلباً للقرآن الكريم إذ ذكر فيها حبيباً المشهور بصاحب (يس) ووصفه بما يدل على قربه ومنزلته عند الله عز وجل من التوحيد والكرامة والنصيحة لقومه، وهو ممّن آمن بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم قبل بعثته صلى عليه وآله وسلّم بستمأة سنة، وفي ذلك آية عظيمة لنبوته صلى الله عليه وآله وسلّم وكونه حبيب الله تعالى الذي آمن به حبيب قبل ظهوره هذا.

وغيرها من الوجوه فعلى القاريء الخبير التدبّر فيها.

﴿النزول﴾

سورة (يس) مكّية نزلت بعد سورة «الجن» وقبل سورة «الفرقان» وهي السورة الواحدة والأربعون نزولاً، والسادسة والثلاثون مصحفاً، وتشتمل على ثلاث وثمانين آية، سبقت عليها: (١٠٦٢) آية نزولاً، و(٣٧٠٥) آية مصحفاً على التحقيق. وهي مشتملة على (٧٢٧) كلمة وقيل: (٧٢٩) كلمة وعلى (٣٠٠٠) حرفاً على ما في بعض التفاسير.

وقد أجمع المفسرون على مكّيّة سورة (يس) ثم قال أكثرهم: إنّها نزلت جملة واحدة، وذلك ان إنسجام فصول السورة وترابط سياقها يسوغان القول: إنها نزلت جملة واحدة أو متلاحقة، وقال الآخرون: إنها نزلت متفرقة كسائر السور القرآنية... وقال بعضهم: إنها مكّيّة إلاّ قوله تعالى: «ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» يس: ١٢) فمدنية إذ نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وقال بعضهم: ان السورة مكية إلاّ قوله عزوجل: «وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله...»٤٧) فمدنية. وقال بعضهم: انها مكّيّة إلاّ قوله جل وعلا: «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاّ كانوا عنها معرضين» فمدنية.

فى الدر المنثور: وأخرج ابن مردويه وأبونعيم فى الدلائل عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يقرأ في المسجد ـ المسجد الحرام ـ فيجهر بالقراءة حتّى تأذى به ناس من قريش، حتّى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا هم

لايبصرون فجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد ولم يكن بطن من بطون قريش إلّا وللنبي صلى الله عليه وآله وسلّم فيهم قرابة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلّم حتّى ذهب ذلك عنهم، فنزلت: «يس والقرآن الحكيم ـ إلى قوله ـ أم لم تنذرهم لايؤمنون» قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد».

وفيه: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبوجهل: لئن رأيت محمّداً لافعلنّ ولأفعلن فنزلت: «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ـ إلى قوله ـ لايبصرون» فكانوا يقولون: هذا محمد فيقول: «أين هو؟ أين هو؟ لايبصره».

وفي تفسير ابن كثير: عن محمّدبن كعب قال: قال أبوجهل وهم جلوس: إن محمّداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكاً، فاذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خيرمن جنان الاردن، وانكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذّبون بها. وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عند ذلك وفي يده خضة (جفنة خ) من تراب، وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه، فجعل يذرها على رؤسهم ويقرأ: «يس والقرآن الحكيم» إلى قوله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون» وانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتّى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم قال: قدخرج عليكم فما بقي منكم من رجل الا وضع رأسه تراباً ثم ذهب لحاجته، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب، قال: وقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قول ابي جهل فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: وأنا أقول ذلك ان لهم منّي لذبحاً وانه لآخذهم».

وفي المجمع: وروى أبوحمزة الثمالي عن عماربن عاصم عن شقيق بن سلمة عن عبدالله بن مسعود أن قريشاً اجتمعوا بباب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فخرج إليهم فطرح التراب على رؤسهم وهم لايبصرونه قال عبدالله: هم الذين سحبوا فى القليب قليب بدر.

وروى أبو حمزة عن مجاهد وابن عباس أن قريشاً اجتمعت فقال: لئن دخل محمد لنقومنّ إليه قيام رجل واحد، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فجعل الله من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فلم يبصروه فصلّى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ثم أتاهم فجعل ينثر على رؤسهم التراب وهم لايرونه فلمّا خلى عنهم رأوا التراب وقالوا: هذا ما سحركم ابن أبي كبشة.

وفي تفسير القمي: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سداً... الآية» نزلت في أبي جهل بن هشام و نفر من أهل بيته، وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قام يصلّى، وقد حلف أبوجهل لان رآه يصلّي ليدمغنه، فجائه ومعه حجر والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قائم يصلّى فجعل كلّما رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه، ولا يدور الحجر بيده فلمّا رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده ثم قام رجل آخر وهو من رهطه أيضاً فقال: أنا أقتله فلمّا دنى منه فجعل يسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فارعب، فرجع إلى أصحابه فقال: حال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه، فخفت أن أتقدّم».

وفى الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً» قيل: نزلت في أبي جهل ابن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رآى محمّداً يصلّي ليرضخنّ رأسه بحجر، فلمّا رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلمّا أومأ إليه رجعت يده إلى عنقه والتصق الحجر بيده، قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما، فهو على هذا تمثيل أي هو بمنزلة من غُلّت يده إلى عنقه، فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رآى، فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلّى على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولايراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتّى نادوه فقال: والله ما رأيته ولقد سمعت صوته.

فقال الثالث: والله لأشدخنّ أنا رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتّى خرّ على قفاه مغشيّاً عليه، فقيل له: ماشأنك ؟ قال: شأني

عظيم! رأيت الرجل، فلمّا دنوت منه، وإذا فحل يَخطِر بذنبه مارأيت فحلاً قط أعظم منه، حال بيني وبينه، فواللات والعزّى لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى: «إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون».

وفى أسباب النزول للواحدى عن ابي سعيد الخدرى قال: كان بنو سَلِمة في ناحية من المدينة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: «إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم» فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: إن آثاركم نكتب فلم تنتقلون؟

وفيه: عن أبي سعيد قال: شكت بنوسلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بُعدَ منازلهم من المسجد، فأنزل الله تعالى: «ونكتب ما قدموا وآثارهم» فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: عليكم منازلكم فانّما تكتب آثاركم».

وفى الجامع لأحكام القرآن: وفى صحيح مسلم عن جابربن عبدالله قال: أراد بنو سَلِمَة أن يتحوّلوا إلى قرب المسجد ـ المسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: والبقاع خالية، قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم! فقالوا: «ما كان يسرنا أنا كنا تحوّلنا».

وفي تفسير القمي: إن قوله تعالى: «وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى ...» الآية نزلت في حبيب النجار إلى قوله: «وجعلني من المكرمين».

أقول: أي نزلت في قصّة حبيب النجار إذ كان هو قبل نحو ستمأة سنة من نزول الآية الكريمة.

ورد: أن قوله تعالى: «وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ...» الآية نزلت في منافقى المدينة.

وقيل: نزلت الآية في قوم من زنادقة مكة، وقدكان فيهم أقوام يتزندقون فلايؤمنون بالصانع، واستهزؤا بالمسلمين بهذا القول.

وفي تفسير الواضح: نزلت هذه الآية في مشركى قريش حين قال فقراء الصحابة

لهم: اعطونا من أموالكم التى زعمتم أنها لله... يعنون قوله تعالى: «وجعلوا لله مما ذرأمن الحرث والأنعام نصيباً» الأنعام: ١٣٦) فلم يعطوهم وحرموهم وقالوا للذين آمنوا: «أنطعم شخصاً لوشاء الله لرزقه كما تزعمون».

وفي الجامع لاحكام القرآن: في قوله تعالى: «ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون»:٦٦) قال ابن عباس: أخذ الأسودبن الأسود حجراً ومعه جماعة من بني مخزوم ليطرحه على النبى صلى الله عليه وآله وسلّم فطمس الله على بصره، وألصق الحجر بيده فما أبصره ولا اهتدى ونزلت الآية فيه.

وفي السيرة النبوية: «ومشى أُبيّ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعظم بال قدأُرْفتّ فقال: يا محمد أنت تزعم أنّ الله يبعث هذا بعد ما أرمّ، ثم فتّه في يده (بيده خ) ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: نعم أنا أقول: ذلك، يبعثه الله وإيّاك بعد ما تكونان هكذا، ثم يُدخلك الله النار، فأنزل الله تعالى فيه: «وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهوبكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون».

قوله: «أُرفتّ» تحطم وتكسر و«أرمّ»: بلى.

وفي تفسير إرشاد عقل سليم: «إن جماعة من كفّارقريش منهم أُبيّ بن خلف الجمحى وأبوجهل والعاص بن وائل والوليدبن المغيرة تكلّموا في ذلك فقال لهم ابيّ بن خلف: ألا ترون إلى ما يقول محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: إن الله يبعث الأموات؟ ثم قال: واللات والعزّى لاصيرن إليه ولاخصمنه وأخذ عظماً بالياً، فجعل يفتّه بيده ويقول: يا محمّد أترى الله يحيي هذا بعد مارمّ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت الآيات».

وفي الدر المنثور: عن عروة بن الزبير قال: لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم: ان الناس يحاسبون بأعمالهم ومبعوثون يوم القيامة أنكروا ذلك إنكاراً شديداً

فعمد أُبيّ بن خلف إلى عظم حائل قدنخر، ففتّه ثم ذراه في الريح، ثمّ قال: يا محمّد إذا بليت عظامنا انا لمبعوثون خلقاً جديداً فوجد رسول الله صلى الله ليه وآله وسلّم من استقباله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجداً شديداً فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «قل يحييها الذي أنشأها أول مرّة الآية».

وفيه: عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعظم حائل ففتّه بيده، فقال: يا محمد أيحيى الله هذا بعد ما أرىٰ؟ قال: نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نارجهنّم، فنزلت الآيات من آخر (يس): «أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين» إلى آخر السورة»

وفيه: عن ابن عباس قال: جاء عبدالله بن أُبيّ وفي يده عظم حائل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فكسره بيده ثم قال: يا محمد كيف يبعثه الله وهو رميم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يبعث الله هذا ويميتك ثم يدخلك جهنم قال الله: «قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم».

وفيه: عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام جاء بعظم حائل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فذراه فقال: من يحيي العظام وهي رميم؟ فقال الله: يا محمد قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم».

وعن تفسير العياشي: عن الحلبي عن عبدالله عليه السلام قال: جاء ابيّ بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه ثم قال: إذا كنا عظاماً ورفاتاً وإنا لمبعوثون خلقاً؟ فأنزل الله: «قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم».

وفي أمالي الشيخ: باسناده عن غير واحد من أصحابنا: ان نفراً من قريش اعترضوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم منهم عتبة بن ربيعة وابيّ بن خلف والوليدبن مغيرة والعاص بن سعيد، فمشى إليه أُبيّ بن خلف بعظم رميم، ففتّه في يده ثمّ نفخه، وقال: أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد ما تري؟ فأنزل الله تعالى: «وضرب لنا مثلاً...» إلى

آخر السورة.

أقول: وقد اختلفت كلمات المفسرين في «الانسان» الذي كان هوسبب نزول آيات أواخر سورة (يس): ١ـ وهو قول أكثرهم بأنه أُبيّ بن خلف ٢ـ قيل: هو أبوجهل بن هشام ٣ـ قيل: هو العاص بن وائل: أبوعمروبن العاص ٤ـ قيل: هو عبدالله بن ابيّ. ٥ـ قيل: هو اميّة بن خلف.

قال بعض المفسرين: ويمكن لنا الجمع بتعدد السبب فلا بأس به، فتأمّل جيّداً.

أقول: والأول هو المرويّ عن أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله كما هوقول أكثر المحققين من المفسرين.

﴿القراءة﴾

في (يس والقرآن) تسع قراءات: ١ ـ قرأ ابن عـامر والكسائي والكوفيون بادغام نون الهجاء في الواو مع الغنـة وكذلك في (ن والقلم) لأن النون تدغم في الواو نحو (من وال) وهو إدغام غير كامل لـبقاء صوت الغـنّة معه، ولهذا لم يذكر مع المدغم لأنّ إدغامه محض إلّا أنّه لابدّ فيه من تشديـد الواو، وان سبيل حروف الهجاء أن يوقف عليها، وإنّما يكون الاد غام في الادراج.

٢ـ قرأ أبوعمرو وحمزة وابن كثير وأبوجعـفر ونافع وعاصـم (يسن) باظهار النون عند الـواو وكذلك (نون والقلـم) ٣ـ قـرأ ابن عامر والكسائي وخـلف باخفاء النون فيهما. ٤ـ قـرأ نافع بـاظهار الـنون من (نون والـقلم) وإخـفائها مـن (يس) ٥ـ قرأ عيسى بن عمر (يَسِنَ) بنصـب النون إما لـكونه مـفعولاً ولكـنّه غير منصـرف لأنه إسم أعجمى بمـنـزلة هابيل فالتقدير: اذكر يسين وإما لكونه مبنياً على الفتح مثل كيف وأين.

٦ـ قرأ ابن عباس وجماعة (يَسِـن) بكسر النون لأن (يسن) مشبّـه بقول العرب: جير لا أفعل. فعلى هذا يـكون (يسـن) قسماً أو مشبّه بـأمسِ وحذام. ٧ـ قـرأ هارون الأعور ومحمّدبن السميقع (يَسِنُ) بضمّ النون لأنه مشبّه بمنذ وحيث وقط، و بالمنادي المفرد إذا قلت: يا رجل لمن يقف عليـه. ٨ـ قرأ حمزة والكسائي (يس) بـامالة فتحة الياء. ٩ـ قرأ الباقون بالتفخيم أي باخلاص فتحة الياء.

في المجمع: قال أبوعلى: مما يحسن إمالة الـفتح من (يس) نحو الـكسرة أنهم قالوا: يا زيد في النّداء فأمالـوا الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء، وإن كان قولهم يا حرفا على

حرفين، والحروف التي على حرفين لايمال منها شئ نحو لا وما فاذا كانوا قدأمالوا مالايمال من الحروف من أجل الياء فان يميلوا الاسم الذي هو يا من (ياسين) أجدر ألا ترى ان هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها، وأما من بيّن النون من (يس) فانّما جاز ذلك، وإن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم، ولا تبين لأن هذه الحروف مبنيّة على الوقف، ومما يدلّ على ذلك إستجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمع فى الكلم التى يوقف عليها، ولولا ذلك لم يجز الجمع بينهما، وأما من لم يبيّن فلأنه وإن كان في تقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل، وذلك قوله: (آلم الله) ألا ترىٰ انّه حذف همزة الوصل ولم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذي يوصل.

قرأ نافع (والقرآن) بدون مدّ بدل ونقل، وقرأ حمزة بالنقل في الوقف.

وفي (تنزيل العزيز الرحيم) ثلاث قراءات: ١ـ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بنصب اللام على المصدر أي نزّل الله ذلك تنزيلاً وأضاف المصدر إلى فاعله، فصار معرفة كقوله تعالى: «فضرب الرقاب» محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: ٤) أى فضرباً للرقاب. وقيل: على تقدير أعني. ٢ـ قرأ الباقون برفع اللام على خبر مبتداء محذوف، فتقديره: هو تنزيل العزيز الرحيم أو تنزيل العزيز الرحيم هذا أو الذى أنزل إليك تنزيل. ٣ـ قُرئ بالجرّ على البدل من (القرآن). قرأ ابن عباس (إنا جعلنا في أيمانهم أغلالاً) وقرئ (إنا جعلنا في أيديهم أغلالاً) ولا يخفى على القارئ الخبير ان هذه القراءة تفسير، فلايقرأ بما خالف المصحف في الكلام حذف أي انا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان. فهي كناية عن الأيدى لاعن الاعناق، وان العرب تحذف مثل هذا كقوله تعالى: «سرابيل تقيكم الحر» النحل: ٨١) تقديره: وسرابيل تقيكم البرد، فحذف لأن ما وقى من الحروق من البرد لأن الغل إذا كان فى العنق فلابد أن يكون في اليد، ولاسيّما وقد قال تعالى: «فهي إلى الأذقان» فقد علم انه يراد به الأيدي، وذلك ان الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلّا وأيدى المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان.

قرأ حفص وحمزة والكسائى وخلف (سدّاً) بفتح السين وهي قراءة مشهورة وقرأ الباقون بضمّها وهي قرائة شاذّة لايعتنى بها. وقرأ إبن عباس وعكرمة ويحيي بن يعمر والنخعي وعمربن عبدالعزيز (فأغشيناهم) بالعين غير معجمة من الغشاء في العين وهو ضعف بصرها حتّى لا تبصر بالليل كقوله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرحمن» الزخرف: ٣٦) والمعنى متقارب أيّ أعميناهم. وقرأ الباقون (فأغشيناهم) وهي قرائة مشهورة على حذف المضاف أي فأغشينا ابصارهم بمعنى: جعلنا عليها غشاوة.

وقرأ ابن محيصن والزهري (أنذرتهم) بهمزة واحدة على حذف همزة الاستفهام تخفيفاً وقرأ الباقون بهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والاخرى.

قرأ البصري (إليهم اثنين) بكسر الهاء والميم، وقرأ بعضهم بضمّهما، وقرأ الباقون بكسر الهاء وضمّ الميم وهي قراءة مشهورة.

قرأ عاصم (فعززنا) بالتخفيف، وهي قراءة شاذة، وقرأ الباقون بالتشديد وهي قراءة مشهورة. قرأ الحسن (اطّيروكم) أي تطيركم واطّيركم مصدر طيرالذي أصله: تطير، فادغمت التاء في الطاء، فاجتلبت همزة الوصل في الماضي والمصدر، وقرأ الباقون (طائركم) وهي قراءة مشهورة مجمع عليها، فلا تحسن قراءة الحسن.

فى (أئن ذكرتم) أربع عشرة قرآءة: ١ـ قرأ أهل المدينة (أين ذكرتم) بتخفيف الهمزة الثانية على وزن كيف. ٢ـ قرأ الكوفيّون (أإن) بتحقيق الهمزتين. على أن الجزاء دخلت عليها ألف الاستفهام والمعنى: إن ذكرتم تشاءمتم، فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاء منابكم. ٣ـ قرئ (أإن ذكرتم) بهمزتين بينهما ألف، ادخلت الألف كراهة للجمع بين الهمزتين. ٤ـ قرأ أبوعمرو ونافع (أن ذكرتم) بهمزة واحدة مفتوحة غير ممدودة. والمعنى: لأن ذكرتم تشاءمتم. ٥ـ قرأ أبوجعفر (أئن ذكرتم) بهمزة واحدة مطولة، والثانية ملينة مفتوحة.

٦ـ قرئ (أأئن) بهمزة بعدها ألف، وبعد الألف همزة مخفّفة. ٧ـ قرأ أبوعمرو أيضاً (آين) بالمدّ واليآء. ٨ـ قرأ ابن كثير ونافع (أين) بالقصر والياء. ٩ـ قرئ (أأأن)

بهمزتين مفتوحتين بينهما ألف. ١٠- قرأ أُبَي رُزَين وزرّبن جيش وابن السميقع (أأن) بهمزتين مخففتين مفتوحتين. ١١- قرأ عيسى بن عمرو الحسن البصرى (أَيْن) بمعنى حيث. ١٢- قرأ طلحة بن مُصَرِّف وابن كثير ونافع ويعقوب والمفضّل وعيسى الهمدانى (آن) بالمدّ وسكون النون على أن همزة الاستفهام دخلت على همزة مفتوحة. ١٣- قرأ حمزة وعاصم وخلف (أئِن) ١٤- قرأ ابن عامر والمفضّل (أئن) بهمزتين و بينهما مدّة.

قرأ أبوجعفر ويزيدبن القعقاع والحسن والطلحة (ذكرتم) مخفّفة، وهي قراءة شاذه وقرأ الباقونَ بالتشديد وهي قراءة مشهورة. قرأ حمزة ويعقوب وخلف (مالى) باسكان الياء، وقرأ الباقون بفتحها لئلا يكون الابتداء بـ(لاأعبد).

قيل لبصريّ: لماذا قرأت (مالى لا أرى الهدهد) النمل: ٢٠) بسكون الياء و(مالي لاأعبد) يس: ٢٢) بفتح الياء ولافرق بينهما؟ فقال: السكون ضرب من الوقف، فلو سكنت هنا لكان كالذي وقف على مالي وابتدأ «لاأعبد الذي فطرني» وهذا بخلاف «مالي لا أرى الهدهد» بالمعنى وهذا مع ثبوت الرواية هو في غاية من دقة النظر وإدراك المعانى اللطيفة وفي (أأتخذ) في الهمزتين قرائتان تقدمتا في (أأنذرتهم) فراجع.

قرأ يعقوب (ينقذونى) بالياء وقفاً و وصلاً، وقرأ نافع وعباس وسهل وورش (ينقذونى) بالياء وصلاً و بغيرها وقفاً، وقرأ الباقون بغيرياء وكسر النون وقفاً ووصلاً.

قرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمر (إنّيَ إذاً) بفتح الياء، وقرأ الباقون بسكونها.

قرأ أبوعمروابن كثير ونافع وأبوجعفر (إني آمنت) بفتح الياء والباقون بسكونها.

قرأ أبوجعفربن القعقاع المدني وشيبة والأعرج (صيحة) بالرفع فالمعنى: إن كانت عليهم صيحة إلّا صيحة واحدة أو المعنى: ما وقعت عليهم إلّا صيحة واحدة على ان كان بمعنى وقع. وقرأ الباقون بالنصب على تقدير: ماكانت عقوبتهم إلّا صيحة واحدة.

قال ابن جني: الرفع ضعيف لتأنيث الفعل: «كانت» فلايقوى أن تقول: ما قامت إلّا هند والمختار: ما قام إلّا هند. وذلك ان الكلام محمول على معناه أي ما قام أحد إلّا هند، ثم لما كان محصول الكلام: قدكانت هناك صيحة واحدة جيئ بالتأنيث

حملاً للظاهر عليه. قرأ مسلم بن جندب وأعرج وابن هرمز وعكرمة (يا حسرة على العباد) ساكنة الهاء للحرص على البيان وتقرير المعنى في النفس، على أن يكون حسرة غير معلّقة بعلى، فيحسن الوقف عليها، ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله: (حسرة) فكأنه قال: أتحسر على العباد، ومثل ذلك كثير في التنزيل، وإذا كان حسرة معلقة بعلى أو موصوفة فلايحسن الوقف عليها دونه، وعلى هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقوية المعنى في النفس، وذلك انه موضع تنبيه وتذكير، فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظ للأمر المعجب منه الدال على أنه قدبهره وملك عليه لفظه وخاطره، ثم قال من بعد: على العباد.

وقيل: قرأ على بن الحسين عليه السلام وأُبيّ بن كعب وابن عباس والضحاك ومجاهد (يا حسرة العباد) مضافاً لوجهين: أحدهما ـ أن يكون العباد فاعلين في المعنى كقوله: يا قيام زيد والمعنى: كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسّروا. ثانيهما ـ ان العباد مفعولون في المعنى وتدل عليه القراءة الظاهرة: (يا حسرة على العباد) أي يتحسّر عليهم من يعنيه أمرهم وهذا واضح وقيل: على تقدير: يا حسرة العباد على أنفسهم.

قرأ حسن (إنهم إليهم لايرجعون) بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الباقون (أنهم) بالفتح بدلاً من «كم أهلكنا» أو على تقدير: بأنهم.

قرأ حمزة (إليهم) بضمّ الهاء، وقرأ الآخرون بكسرها.

قرأ حمزة وإبن عامرٍ وعاصم وحفص (وإن كل لمّا) بتشديد الميم لوجهين: أحدهما ـ أن يكون الكلام عندهم كان مراداً به وإن كل لمما جميع، ثم حذفت إحدى الميمات لما كثرت. ثانيهما ـ أن يكون (لما) ههنا بمعنى إلاّ يقال: سئلتك لما فعلت كذا وإلاّ فعلت. وإن نافية، فيكون التقدير: ما كل إلاّ محضرون.

وقرأ الآخرون (وإن كل لما) بتخفيفها على أن (إن) مخففة من الثقيلة، وما من (لما) زائدة تدخل عليها اللام التي تدخل جواباً لأن، فالمعنى: وانه كل لجميع لدينا محضرون.

قرأ نافع وأبوجعفر وأهل المدينة (الميّتة) بتشديد الياء مع الكسر، والباقون.

بتخفيفها وإسكانها.

قرأ المكي وابن ذكوان وشعبة والأخوان (العيون) بكسر العين، والباقون بضمّها. قرأ حمزة والكسائي وخلف (من ثمره) بضمّ الثاء والميم، وقرأ الأعمش بضمّ الثاء وإسكان الميم، وقرأ الآخرون بفتحهما.

قرأ حمزة وعاصم وخلف والكسائي (وما عملت) بغير هاء على الحذف، فالتقدير: ليأكلوا مما عملته أيديهم. وان الحذف في التنزيل كثير كقوله عزوجل: «وسلام على عباده الذين اصطفى» النمل: ٥٩) أى اصطفاهم وقوله: «أهذا الذي بعث الله رسولاً» الفرقان: ٤١) أي بعثه الله. وقرأ الباقون (عملته) على الأصل من غير حذف.

قرأ زيد عن يعقوب (لمستقِرّ) بكسر القاف وهي قراءة شاذة وقرأ الآخرون بفتحها وهي قراءة مشهورة مجمع عليها.

قرأ حفص وعاصم (والقمر) بالنصب على إضمار فعل يفسّره (قدرناه) من باب الاشتغال، وقرأ الباقون بالرفع لأنه معطوف على ما قبله أو على الابتداء.

قرأ نافع (ذريتهم) بألف بعد الياء التحتية، وكسر التاء الفوقية بعد الألف على الجمع، وقرأ أبوجعفر وابن عامر وسهل ويعقوب (ذرياتهم) بكسر التاء على الجمع أى آباءهم الاصول، وقرأ الباقون بغير ألف ونصب التاء على الافراد.

قوله تعالى: «وإن نشأ» لاخلاف بين القرّاء السبعة فى تحقيق الهمزة إلّا حمزة وهشام فى الوقف.

وفى (يخصمّون) سبع قراءات: ١ـ قرأ أبوعمرو وابن كثير ونافع بفتح الياء والخاء وكسر الصاد المشددة. والأصل: يختصمون، فادغمت التاء في الصاد، فنقلت حركتها في الخاء، فحركت بحركتها، فادغمت التاء في الصاد فشدّدت. ٢ـ قرأ جماعة من القرّاء (يخصمون) باسكان الخاء وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين على أن الأصل فيه أيضاً: يختصمون، فادغمت التاء في الصاد، ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين ٣ـ قرأ حمزة والأعمش ويحيى بن وثاب باسكان الخاء وتخفيف الصاد من خصمه بمعنى يفعلون

من الخصومة.

٤ـ قرأ عاصم وحفص والكسائي بكسر الخاء وتشديد الصاد بأنهم كسروا الخاء بكسر الصاد وادغموا التاء في الصاد وشدّدوها ومعنى: يخصم بعضهم بعضاً. ٥ـ قرأ عاصم وخلف بكسر الياء والخاء والتشديد. ٦ـ قرأ أبوعمرو أيضاً بفتح الخاء أيضاً إلاّ أنه يشمّه الفتح ولايشبعه. ٧ـ قرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد وكسرها وهي قراءة مشهورة. قرئ (مِن بَعْثِنا) بكسر (من) والثاءمن البعث، وقرأ الباقون بفتحهما.

قرأ حفص (مرقدنا) بالسكت على ألف مرقدنا من غيرقطع نفس لأن كلام الكفار إنقضى بمرقدنا، و«هذا» مبتداء وما بعده خبره، وما مصدرية أو موصولة محذوفة العائد كلام الملائكة أوالمؤمنين للكفار، ولو وصل لتوهم أن الكلام كله من كلامهم وليس كذلك. فالوقف على (مرقدنا) تام وعليه جمهور القرّاء والنحاة، بل بعضهم يستحبّون الوقف عليه، وقال بعضهم: الوقف على «هذا» لأنّه صفة للمرقد و «ما وعد» خبر مبتداء محذوف أي هذا أو مبتداء محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن حق.

قرأ ابن عامر وعاصم وخلف وحفص (في شغل) بضمّ الشين والغين، وقرأ الآخرون بضمّ الشين وسكون الغين.

قرأ أبوجعفر وشيبه والأعرج (فكهون) بغير ألف حيث وقع و وافقهم حفص في (انقلبوا فكهين) المطففين: ٣١) وقرأ الباقون (فاكهون) بالألف في كل القرآن الكريم. وقرأ طلحة بن مصرّون (فاكهين) بالنصب على الحال.

قرأ حمزة والكسائي وخلف وابن مسعود (في ظلل) بضمّ الظاء من غير ألف، جمع ظلّة وقرأ الباقون (في ظلال) بكسر الظاء ومدّ اللام أي بألف بين اللامين، جمع ظل. لاخلاف بين القرّاء السبعة في اثبات الهمزة في (متكئون) وصلاً، وأما إن وقف عليه فالستة كذلك، وأما حمزة فله ثلا ثة أوجه: ١ـ تسهيلها بين الهمزة والواو ٢ـ حذف الهمزة ونقل حركتها للكاف. ٣ـ ابدال الهمزة ياء محركة بحركتها، ويجوزمع كل وجه من

الثلاثة: المدّ والتوسط والقصر.

قرأ عاصم وحمزة وحفص (أنِ اعبدوني) بكسر نون (أن) وصلاً والباقون بالضمّ. في (جبلا) ست قراءات: ١ـ قرأ عاصم ونافع وحفص (جبلاً) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كقوله تعالى: «والجبلّة الأوّلين» الشعراء: ١٨٤) فيكون جبلاً جمع الجبلة بمعنى الخلق. ٢ـ قرأ أبوعمرو وابن عامر بضمّ الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام. ٣ـ قرأ جماعة بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. ٤ـ قرأ الحسن وجماعة بضم الجيم والباء وتشديد اللام. ٥ـ قرأ أبويحيى والأشهب العقيلي بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام. ٦ـ قرئ (جيلا) بالياء.

قرأ عاصم والحسن وشعبة (مكاناتهم) بالألف بعد النون على الجمع، وقرأ الآخرون بترك الألف على الافراد.

قرأ أبوحياة (مضيّاً) بفتح الميم وهي قراءة شاذة، وقرأ الآخرون بضمّها وهي قراءة مشهورة. قرأ عاصم وحمزة وحفص (ننكّسه) بضمّ النون الاولى وفتح الثانية، وكسر الكاف وتشديدها من التنكيس، وقرأ الباقون بفتح النون الاولى وإسكان الثانية وضمّ الكاف وتخفيفها من النكس ثلاثياً.

قرأ نافع وأبوجعفر وابن ذكوان وسهل ويعقوب (أفلا تعقلون) بالتاء الفوقانية على الخطاب، وقرأ الباقون (يعقلون) بياء الغيبة.

قرأ نافع وأبوجعفر وابن عامر (لتنذر من كان حياً) بتاء الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وقرأ الباقون (لينذر) بياء الغيبة أي لينذر القرآن أو لينذر الله كقوله تعالى: «لينذر الذين ظلموا» الأحقاف: ١٢).

قرأ الأعمش والحسن وابن السميقع (ركوبهم) بضمّ الراء على المصدر. والتقدير: ذو ركوبهم وذو الركوب هو المركوب، وقرأ الآخرون بفتح الراء أي مركوبهم وهي قراءة مشهورة.

قرأ نافع (فلا يحزنك) بضمّ ياء الغيبة وكسر الزاء من باب الافعال، وقرأ الباقون

بفتح ياء الغيبة وضم الزاء من الحزن ثلا ثياً.

قرأ ابوالمنذر ويعقو ب الحضرمي (يقدر على أن يخلق مثلهم) وهي قراءة شاذة، وقرأ الآخرون (بقادر) وهي قراءة مشهورة.

قرأ الحسن (الخالق العليم) وهي قراءة شاذة لايعتنى بها، وقرأ الآخرون (الخلاّق العليم)وهي قراءة مشهورة.

قرأ إبن عامر والكسائي (فيكون) بالنصب عطفاً على (يقول) أي إذا أراد خلق شئ لايحتاج إلى تعب ومعالجة، وقرأ الباقون بالرفع وهو المشهور.

قرأ السلمى وزربن حُبَيش وجماعة (يرجعون) بياء الغيبة على الخبر، وقرأ الآخرون (ترجعون) على الخطاب.

﴿الوقف والوصل﴾

(يس) وقف حسن لمن قال: هو افتتاح للسّورة، وأما مَن قال: معنى (يس): يا رجل. فلا يوقف عليه

(الحكيم لا) لجواب القسم، و(المرسلين لا) لأن (على صراط) خبر بعد خبر أو مفعول ثان لمعنى الفعل في (المرسلين) أي أرسلت على صراط (مستقيم ط) على القرائتين، فمن نصب (تنزيل) فالمعنى: نزّل تنزيل... أو على تقدير: أعنى. ومن رفعه فالتقدير: هذا تنزيل... (الرحيم لا) لتعلق لام كي في (لينذر) بمعنى التنزيل والارسال، و(بالغيب ج) لانقطاع النظم مع دخول الفآء، و(آثارهم ط) لاستئناف التالي، و(مبين ع) علامة إنتهاء الركوع وهو الحصّة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين.

(القرية م) لأن إذ ليس ظرفاً لـ«اضرب» بل التقدير: واذكر إذ جاءها. ويحتمل أن يكون إذ بدلاً من (أصحاب القرية) فلا وقف. و(المرسلون ج) لاحتمال أن يكون إذ بدلاً أو معمولاً لعامل آخر مضمر. و(مثلنا لا) لعطف التالى، و(من شيْ لا) لاتحاد المقول فيهما. و(المرسلون ج) لاحتمال عطف التالي واستئنافه. و(تطيّرنا بكم ج) للابتداء بما فى معنى القسم مع اتحاد المقول، (ومعكم ط) لاستفهام التالى، و(ذكرتم ط) لاضراب التالي، و(المرسلين لا) لأن «اتبعوا» الثاني بدل من «اتبعوا» الأوّل.

(ولا ينقذون ج) للابتداء بانّ، مع تعلق (إذاً) بما قبلها أي إنّي إذا اتّخذت آلهة لفي ضلال مبين. و«(فاسمعون ط) لان التقدير: فلم يسمعوا قوله فقتلوه، ثم قيل له: «ادخل

الجنة ط) لاستئناف التالي، و(يعلمون لا) لتعلق الباء في (بما) لما قبلها.

(على العباد ج) لأن ما بعده يصلح للاستئناف والحال، والعامل معنى في (حسرة) و(يستهزؤن ط) لاستفهام التالي، و(لايرجعون ط) لاستئناف التالي، و(محضرون ع) سبق ذكره و(الميتة ج).

(من العيون لا) لتعلق لام كي (ليأكلوا) بما قبله، و(من ثمره ط) لمن جعل ما نافية، ومن جعلها موصولة لم يقف، و(أيديهم ط) لاستفهام التالي، و(لهم الليل ج).

(مظلمون لا) لعطف التالي، و(لهاط) لاستئناف التالى، و(العليم لا) لمن قرأ (والقمر) بالرفع عطفاً على (الليل)، ومن قرأ بالنصب، وقف مطلقاً.

(النهار ط) لاستئناف التالي، و(المشحون لا) لعطف التالي، (ولاهم ينقذون لا) لمكان الاستثناء التالى، و(مما رزقكم الله لا) لأن ما بعده جواب «إذا» و(أطعمه لاق) لاتحاد المقول أوّلاً، ولئلا يبتدأ بما لايقوله مسلم ثانياً، ويحتمل أن يكون: (إن أنتم) قوله تعالى أو حكاية قوله المؤمنين لهم فالوقف جآئز.

(يرجعون ع) لما سبق كراراً، و(من مرقدنام) لئلا يوهم أن هذا صفة وما بعده منفي، (فاكهون ج) لاحتمال أن «هم» تأكيد الضمير و«أزواجهم» عطف عليه، و«في ظلال» ظرف لـ«فاكهون» ولاحتمال أن ما بعده مبتدأ و«متكئون» خبره، و«يدّعون ج» لاحتمال أن يكون (سلام) خبر محذوف، أي عليهم سلام يقول قولاً، وأن يكون (سلام) بدل (ما يدعون) أى لهم ما يتمنّون وهو سلام الحق، و(سلام ط ج) لحق الحذف.

(الشيطان ج) لأن التقدير: فأنّه... (مبين لا) لعطف التالي، و«اعبدوني ط) لاستئناف التالي، و(كثيراً ط) لاستفهام التالي، و(في الخلق ط) كالسابق، و(ما ينبغي له ط) لاستئناف التالي، و(قرآن مبين لا) لتعلق لام كى بما قبله، و(مشارب ط) لاستفهام التالى، و(يُنصرون ط) لاستئناف التالي، و(نصرهم لا) لعطف التالي، ولاحتمال أن تكون الواو للحال.

(قولهم م) لئلايوهم ان ما بعده مقول الكفار، و(خلقه ط) لاستئناف التالي، و(مرّة ط) لأن الواو للحال، و(عليم لا) لوصف التالي أو الذي بدل لما قبله، و(مثلهم ط) لانتهاء الاستفهام.

﴿اللغة﴾

٢٦ـ النذر والانذار ـ ١٥٠١

نذر فلان على نفسه شيئاً ينذره نذراً ونذوراً ـ من بابي ضرب ونصر ـ: أوجب على نفسه ما ليس بواجب عليه، كأن ينذر صدقة أو صوماً أو عبادة أو إعانة مظلوم وإغاثة ملهوف.

النذر: النحب وهو ما ينذره الانسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً وجمعه: نذور.

النذر: مصدر قد يطلق على الامور الواجبة في الشريعة، كأن المؤمن بايمانه يلتزم هذه الواجبات وأخذ نفسه بها.

قال الله تعالى: «وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه» البقرة: ٢٧٠) وقال: «وليوفوا نذورهم» الحج: ٢٩).

في المجمع: النذر لغة: الوعد، وشرعاً: إلتزام المكلف بفعل أو ترك، متقرباً كأن يقول: إن عافاني الله فللّه عليّ صدقة أو صوم مما يعد طاعة.

قال الله تعالى: «فقولي إنّي نذرت للرحمن صوما» مريم: ٢٦).

نذر بالشئ ونذر بالعدوّ ينذر نذراً ـ من باب فرح ـ: علمه فحذره ومنه الحديث: «أنذر القوم» أى احذر منهم وكن منهم على علم وحذر.

النُذْر: الانذار وهو إسم مصدر لأنذر. قال الله تعالى: «فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً» المرسلات: ٦) أى إنذاراً وهو التخويف.

النُذر: صوت القوس لأنه ينذر الرمية. والنُذر: جلد المقل، والنُذرى ـ كبشرى:

التخويف.

وقدورد النذر والنذير والانذار في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

١ـ الانذار: التحذير والتخويف كقوله عزوجل: «أن أنذر الناس» يونس: ٢) «ولتنذر قوماً ما انذر آباؤهم» يس: ٦).

٢ـ الانذار: الإعلام والإخبار كقوله تعالى: «هذا نذير من النذر الاولى» النجم: ٥٦).

٣ـ النذير: المحذّر فعيل بمعنى مُفعل، النذير: الرسول المنذر، المُعلِم والمخوّف كقوله تعالى: «كذبت ثمود بالنذر» القمر: ٢٣).

٤ـ النذير: الشيب كقوله سبحانه: «وجاء كم النذير» الفاطر: ٣٧) أى الشيب.

٥ـ النذر: هو التزام المكلف بفعل أو ترك متقرّباً.

أنذره الشيء وبالشيء ينذره إنذاراً ـ من باب الافعال ـ: أبلغه إيّاه وأعلمه به، ويكون ذلك فى الإعلام بالشيء المخوف في مدة تسع التحفّظ منه.

أصل الإنذار: الإعلام، يقال: أنذرته انذره إنذاراً: إذا أعلمته فأنا منذر، ونذير: مُعلِم ومخوّف ومحذّر. تقول: انذرك السوء بالسوء، فاحترس منه.

ونذرتُ به: إذا علمت. وفى الحديث: «فلمّا عرف أن قدنذروا به هرب» أى علموا واحسّوا بمكانه. وقديحذف أحد المفعولين، وقديحذفان معاً. تقول: انذرك فاحذر. وفي الحديث: «أنذر القوم» أي احذر منهم، واستعدّلهم وكن منهم على علم وحذر. لايكون المعلم منذراً حتى يحذر باعلامه، فكل منذر معلم ولاعكس. وتقول: الرسول يبشّر وينذر، والفاعل مُنذِرٌ، والمفعول: مُنذَرٌ.

قال الله عزوجل: «أأنذرتهم أم لم تنذرهم ـ إنّما تنذر من اتبع الذكر ـ لينذر من كان حياً» يس: ١٠ و١١ و٧٠).

الانذار: الابلاغ ولايكون إلّا في التخويف. الانذار: إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور. ومن أمثال العرب: «قدأعذر من أنذر» أي من أعلمك أنه

يعاقبك على المكروه منك فيما يستقبله ثم أتيت المكروه فعاقبك، فقد جعل لنفسه عذراً يكفّ به لائمة الناس عنه.

النذير: الانذار وقديطلق على المُنذربه. والنذير: المنذر كالبديع للمبدع، والسميع للمسمع، ويجمع النذيرعلى النذر. قال تعالى: «هذا نذير من النذر الاولى» النجم: ٥٦).

النذير: المنذرقال عزوجل: «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» البقرة: ١١٩) قال ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: «وأنذرعشيرتك الأقربين» الشعرا: ٢١٤) أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الصفا فصعّد عليه ثم نادى: يا صباحاه! فاجتمع إليه الناس بين رجل يجئ ورجل يبعث رسوله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يابنى عبدالمطلب، يابنى فلان! لو أخبرتكم أن خيلاً ستفتح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدّقتمونى؟ قالوا: نعم. قال: فانّى نذير لكم بين يدى عذاب شديد. فقال أبولهب: تبّاً لكم سائر القوم! أما آذنتمونا إلّا لهذا؟ فأنزل الله تعالى: «تبّت يدا أبى لهب وتبّ...».

يقال: أنذرت القوم سير العدوّ إليهم فَنذِروا أي أعلمتهم ذلك فعلموا وتحرّزوا النذير: الانذار أو المنذر به. النذير: المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار إنساناً كان أو غيره. المنذر: المُعلِم الذي يعرفّ القوم بما يكون قددهمهم من عدوّ أو غيره وهو المخوّف أيضاً.

قال أبوطالب: إنما قالوا: أنا النذير العريان لأن الرجل إذا رآى الغارة قدفجئتهم وأراد إنذارقومه تجرّد من ثيابه وأشاربها ليُعلِم أن قدفجئتهم الغارة، ثم صارمثلاً لكلّ شيء تخاف مفاجأته.

النذيرة: ما تعطيه، فعيلة بمعنى مفعولة. والنذيرة: إسم الولد الذي يجعله أبوه قيماً أو خادماً للكنيسة أو المتعبد، ذكراً كان او انثى، وقدنذره أبوه أو امّه. والجمع: النذائر. والنذيرة مِن الجيش: طليعتهم الذى ينذرهم أمرعدوّهم قدنذره.

منذر: وصيّ يحيي بن زكريا.

ناذر: من أسماء مكة شرّفها الله تعالى.

تناذروا: أنذر بعضهم بعضاً شراً مخوفاً. تناذر القوم كذا: خوّف بعضهم بعضاً.

المتناذر: الأسد.

٦١ ـ القمح والاقماح ـ ١٢٥٣

قمح البعير يقمح قموحاً ـ من باب منع ـ: رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب إمّا لعلّةٍ فيه أو في الماء فهو قامح. القامح: الكاره للماء لأيّة علة كانت. جمع القامح: قُمَّح وقِماح.

وقمحَ السويق ونحوه يقمحه قمحاً ـ من باب علم ـ: إستفّه. قمح النبيذ والماء واللبن: إذا أخذه في راحته إلى فيه ليشربه.

القمح: رفع الرأس لسفّ الشيء، ثم يقال لرفع الرأس كيفما كان: قمح. يقال: قمح البعير: إذا رفع رأسه من الماء بعد الرّيّ. وأقمحتُ البعير: شددت رأسه إلى خلف.

المقمح: هو الذى يرفع رأسه ويغضّ بصره. وأقمح الرجل: رفع رأسه وغض بصره من الذّلّ، والمقمح ـ اسم مفعول ـ: الأسير الذي يرفع رأسه متضرراً من ضيق الغل على عنقه.

قال الله عزوجل: «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهى الأذقان فهم مقمحون» يس: ٨) أي يرفعون رؤوسهم مع غض أبصارهم، متضررين من ضيق الأغلال حول أعناقهم لأن الأغلال إلى الأذقان، فلا تخليه يطأطئ رأسه فلايزال مقمحاً.

هذا تشبيه بذلك ومثل لهم وقصد إلى وصفهم بالتأبّى عن الانقياد للحق، وعن دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم بالعناد، وعن الاذعان لقبول الرشد، والتأبّى عن الانفاق في سبيل الله تعالى. وقيل: إشارة إلى حالهم يوم القيامة: «إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل» قال ابن الأثير: الأذقان كناية عن الأيدى لا عن الأعناق لأنّ

الغل يجعل اليد تلي الذقن والعنق وهو مقارب للذقن.

في النهاية: لابن الأثير: وفي حديث عليّ عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوّك غِضاباً مُقمَحين، ثم جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الاقماح».

ثم قال ابن الأثير: الاقماح: رفع الرأس وغض البصر. يقال: أقمحه الغل: إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه ومنه قوله تعالى: «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون».

أقول: رواه ابن منظور فى (لسان العرب- حرف القاف- كلمة قمح) والزبيدى فى (شرح القاموس) وغيرهم من أعلام العامة.

المقمح- إسم فاعل-: الغاض بصره بعد رفع رأسه.

القمح: الحنطة. قال الخليل: القمح: البُرّ إذا جرى فى السنبل من لدن الانضاج إلى حين الاكتناز، ويسمّى السويق المتخذ منه قميحة. القمح: حبّ يطحن ويتخذ منه الخبز وهو معروف.

في المجمع: وفي حديث الفطرة «صاعاً من بُرّ أو صاعاً من قمح» بالفتح فالسكون. قيل: حنطة ردية، يقال لها: النبطة. والقمحة: الحبة منه. قال بعض الأعلام: لم نر من أهل اللغة من فرق بين الحنطة والبُرّ والقمح، فكأنّ (أو) للشك من الراوي لا للتخيير والله أعلم وفيه انه لايتمشى في قوله عليه السلام: «من لم يجد الحنطة والشعير أجزأ عنه القمح والسلت والعلس والذرة».

أقمح الرجل وقيل: البعير: رفع رأسه وغضّ بصره. وأقمح بأنفه: شمخ به ورفع رأسه لايكاد يضعه، فكأنه ضدّ، وأقمح السنبل: جرى فيه الدقيق، وأقمح البُرّ: صار قمحاً نضيجاً، وأقمح الغلُّ الأسيرَ: ترك رأسه مرفوعاً، وذلك إذا لم يترك من عمود الغل الذي ينخس ذقنه أن يطأطأ رأسه لضيقه.

قمّحه: دفعه بالقليل عن كثير يجب له كما يفعل الأمير الظالم بمن يغزو معه يرضخه

أدنى شيء ويستأثر عليه بالغنيمة.

وشهرا قُماح -بكسر القاف وضمّها-: شهرا الكانون لأنّهما يكره فيهما شرب الماء إلّا على ثُقل. قيل: سمّيا بذلك لأنّ الابل فيهما تقامح عن الماء فلا تشربه، وهما أشدّ الشتآء برداً سمّيا شهرى قماح لكراهة كل ذى كبد شرب الماء فيهما ولأن الابل لا تشرب فيهما إلّا تعذيراً.

قامحت الابل مقامحة: وردت فلم تشرب لدآء يكون بها أو برد ماء.

في لسان العرب: القامح والمقامح من الابل الذي اشتدّ عطشه حتّى فتر، وبعير مقمح وقدقمح يقمح من شدة العطش قموحاً وأقمحه العطش فهو مقمح.

الاقتماح: أخذ الشئ فى راحتك ثم تقتحمه في فيك.

القُحمة -كاللقمة-: ماملأفك من المآء أو السويق ونحوهما.

تقمّح فلان من الماء: شربه وهو متكاره.

٢٦ - السّدّ- ٦٨٥

سدّ الثلمة -الفرجة- يسدّها سدّاً -من باب نصر نحو مدّ-: ردمها وأصلها ووثّقها وسدّ الباب: أغلقه، وسدّ الخرق: أغلقه، وسدّ القارورة: نقيض فتحها.

السداد والسّدَد- بالفتح-: الاستقامة، والسداد- بالفتح: ما يُسَدّ به الثلمة والثغر، واستعير لما يُسَدّ به الفقر.

وسدّ يسدّ سداداً وسدوداً -من باب ضرب نحو فرّ-: أصاب في قوله وفعله فصار سديداً، وسدّ قوله فهو سديد: أصاب الفصل والقصد. وسدّ في قوله: استقام وقلت له سداداً من القول وسدداً: صواباً واستقامة.

السداد -بالفتح-: الصواب من القول والفعل. وأسدّ الرجل: جاء بالسداد.

السد -بالفتح والضم-: الجبل والردم والحاجز بين الشيئين. ومنه: سدّ الروحاء وسدّ الصهبآء وهما موضعان بين مكة والمدينة وسدّ ذي القرنين.

قال الله عزّوجل: «حتّى إذا بلغ بين السدين» الكهف: ٩٣) أيّ الجبلين اللذين سدّ ذوالقرنين ما بينهما. وبالضم أيضاً: ماء سمآء عند جبل لغطفان أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بسدّه.

قيل: السُدّ ـ بالضم ـ: ما كان مخلوقاً لله عزوجل و ـ بالفتح ـ: ما كان من فعل البشر.

قال الله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً» يس: ٩) أى حاجزاً وشبّه به الموانع... قيل: أي جعلهم كالحائط بين سدّين لايبصرون ما بين أيديهم وما خلفهم، يريد لا تأمل ولااستبصار لجعلهم مغلولين مقموحين في أنهم لايلتفتون إلى الحق ولايعطون أعناقهم... وقال بعض الظرفاء: كنّى بالسد ههنا عن الغفلة من الذنوب، وقلّة الندم عليها والاستغفار منها ونحوه. وقال بعضهم: أي جعل الله بينهم وبين الهدى حواجز وموانع من كل الجهات... كما قال: ختم الله على قلوبهم.

في لسان العرب: قال الزجاج: هؤلاء جماعة من الكفار أرادوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلّم سوأ فحال الله بينهم وبين ذلك، وسدّ عليهم الطريق الذي سلكوه فجعلوا بمنزلة من غُلّت يده وسُدّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، وجُعِلَ على بصره غشاوة.

جمع السد: أسداد. يقال: ضربت عليه الأرض بالأسداد أي سدّت عليه الطرق وعمّيت عليه المذاهب...

في فروع الكافي: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام ـ في حديث من ترك الجهاد رغبة عنه ـ: «وضرب على قلبه بالأسداد». أيّ سدّت عليه الطرق، وعميت عليه مذاهبه.

وتقول: سددت عليه باب الكلام: إذا منعته منه.

السد ـ بالفتح ـ: سلّة من قضبان جمعه: سداد وسدود. والسدّ: العيب مثل العمى جمعه: أسدّة على الغالب. والقياس: أسُدّ وسدود.

يقال: لا تجعلنّ بجنبك الأسدّة أي لا تضيّقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن

به عيب من صمم أو بكم.

السادّة: العين المفتّحة لا تبصر بصراً قوياً. وقيل: التي ابيضّت ولايبصر بها، ولم تنفقيّ بعد. جمعها: سُدُد. يقال: عين سادّة وعيون سُدُد. والناقة الهَرِمة وذؤابة الانسان.

السداد-بالكسر-: اللبن الذي يبس في إحليل الناقة سمّي به لأنه يسدّ مجرى اللبن وسداد القارورة والثغر: صمامها الذى يسدّ به فمها.

السداد-بالضم-: داء يسدّ الأنف، يأخذ بالكظم، يمنع نسيم الريح. السداد كعطاس وصداع، وكذلك السُدّة وجمعه السُدّة: سدد كغرفة وغرف.

في المجمع: السُدّة -بالضم والتشديد-: كالصفّة أو كالسقيفة فوق باب الدار ليقيها من المطر. وقيل: هى الباب نفسه. وقيل: هي الساحة بين يديه.

وفي النهاية: ومنه حديث ام سلمة: أنها قالت لعائشة لما أرادت الخروج إلى البصرة: «إنك سُدّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وبين امته» أي باب فتى اصيب ذلك الباب بشئ فقد دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حريمه وحوزته، واسْتفتح (استُبيح) ما حماه، فلا تكونى أنت سبب ذلك بالخروج الذى لايجب عليك فتُحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثلك.

وفي الخبر: «لايصلّي في سدّة المسجد» أي الظلال التي حوله.

السدة-بالضم-: باب الدار والظلّة فوقه تقيه من المطر، تقول: رأيته قاعداً في سُدّة داره جمعها: سُدَد، ومنه قول أبى الدرداء: من يغش سدد السلطان يقم ويقعد. يقال: الفقير هو الذى لايفتح له سدد السلطان. وفي الحديث: «الشعث الرؤوس الذين لا تفتح لهم السدد» أي الأبواب.

في اللسان: السد-بالضم-: ذهاب البصر وهو منه ابن الأعرابي: السدود: العيون المفتوحة ولا تبصر بصراً قوياً يقال منه: عين سادّة. والسُدّة -بالضم-: أمام باب الدار وقيل: هي السقيفة وسدّة المسجد الأعظم: ما حوله من الرواق.

السد ـ بالضم ـ: السحاب السود، وقيل: السحاب المرتفع الساذ للافق جمعه: سدود. والسُّد ـ بالضم ـ أيضاً: الوادي فيه حجارة وصخور يبقي فيه الماء زماناً، جمعه: سِدَدَة. والسُدّ: الظل وكل واد. جراد سُدّ: كثير يسدّ الافق.

السد ـ بالكسر ـ: الكلام الصحيح. السداد ـ كالمنبر ـ في الجامع يصعد عليها الخطيب، وجريد يشدّ بعضه إلى بعض ينام عليه. السداد ـ بالفتح ـ: الصواب من القول. يقال: أمر فلان على السداد: على الرشاد. أتت الريح من سداد أرضهم أي من قصدها.

السديد: ذوالسداد القاصد إلى الحق. السديد من القول: السليم من خلل الفساد وأصله من سدّ الخلل.

قال الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً» الأحزاب: ٧٠) أى صواباً عدلاً موافقاً للشرع والحق لاخطأفيه.

قال الامام على عليه السلام: «سدّ وقارب» أي اقتصد في الامور كلها من قولهم: سدد الرجل: إذا لزم الطريقة المستقيمة، وقارب من المقاربة أيضاً وهي القصد في الأمر الذي لاغلوّ فيه ولا تقصير، والمراد طلب الاصابة فيما يتوجّه إلى الله تعالى والأخذ بالإفراط فيه ولا تفريط. وفي الحديث أيضاً: «قاربوا وسدّدوا» أي اطلبوا بأعمالكم الاستقامة والسداد وهو القصد في الأمر والعدل فيه. أسدّ في القول: أصاب السداد أي القصد. وقيل: طلبه.

رجل سدّاد ـ كضرّاب ـ: مستقيم. سدّد الرمح ونحوه: قوّمه وهو خلاف عرضه. وسدّد فلاناً: وفّقه وأرشده إلى السداد أي الصواب من القول والعمل. تسدّد: مطاوع: سدّد والشيئ: استقام. إستدّ الشيئ: استقام.

استدّ إستداداً وانسدّ إنسداداً: أغلق.

يقال: سدّ فلان مسدّ فلان: قام مقامه، يقال: وهم يسدّون مسادّ آبآءهم.

المُسَدَّد ـ بالفتح ـ: المقوّم كذلك، وبالكسر ـ: المقوِّم كذلك، ورجل مسدد ـ بالكسر ـ: إذا كان يعمل بالسداد والقصد. وفي صفة متعلّم القرآن: «يُغفر لابويه إذا

كانا مُسَدّدَين» أي لازمي الطريقة المستقيمة.

التسديد: التوفيق للسداد وهو الصواب من القول والعمل، ومنه «اللهم سدّدنا». وفي دعاء المهدى الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهما: (سدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة)).

٧٧ ـ النقذ ـ ١٥٥٢

نقذه فلان ينقذه نَقْذاً ـ من باب نصر ـ: خلّصه ونجّاه.

النَقْذ: التخليص والتنجية. النَقْذ: ما أنقذته.

نقذ فلان ينقذ نَقَذاً ـ من باب علم ـ: نجى مِن شر وسلم.

النَقَذ ـ محركة ـ: السلامة مصدر. ورجل نَقَذٌ: مُستَنقَذ. تقول العرب للعاثر وغيره: نقذاً لك: إذا دعوا له بالسلامة. وأصله: نقذك الله نقذاً.

وفرس نقيذ: مأخوذ من قوم آخرين كأنه أُنقِذَمنهم. جمعه: نقائذ.

أنقذه من الهلكة أو مما يخاف: نجاه منه وسلمه.

قال الله عزوجل: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» آل عمران: ١٠٣)

وقال: «لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ـ وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون» ٢٣ و ٤٣).

النفيذ: ما انقذته من يد العدو. النقيذة: ما أنقذته من العدوّ من فرس أو بعير أو غنم أو غيرها. النقيذة: الدرع لأن صاحبها إذا لبسها أنقذه من السيوف.

النقيذة: المرأة كان لها زوج. النقيدة: الدرع المستنقدة من عدو. النقيذة: الأنف الطويلة جعلها تبرق كالسراب لحدّتها.

ومن أمثال العرب: باب بليلة أنقذ لمن سهر ليله كلّه.

استنقذه من المستولي عليه: خلّصه منه. تقول: استنقدت مالي من غاصب.

قال الله تعالى: «وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه» الحج: ٧٣) نقّذه منه وأنقذه وتـنقّذه واستنقذه: خلّصه ونجّاه.

منقذ: إسم رجل.

في المجمع: النقذ والاستنقاذ والتنقيذ: التلخيص ومنه: «حقاً عليّ أن أستنقذه من النار» ومنه: «يا منقذ الغرض» والاستنقاذ فى تعريف بعض الفقهاء: عبارة عن رفع يد عادية بعوض. والنَقَذ ـ بالتحريك ـ: ما أنقذته وهو فعل بمعنى مفعول.

٢٨ ـ العرجون ـ ٩٩٣

عرجن الثوب يعرجن عرجاناً ـ رباعي نحو دحرج ـ: صوّر فيه صور العراجين وعرجن فلان فلاناً: ضربه بالعراجين وطلاه بالدم أو بالزعفران أو بالخضاب العرجون والعُرجُد: الإهان وهو أصل العِذق الذي يعوّج وينقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً سمي لانعراجه وهو إذ ذاك أصفر، جمعه: عراجين. وعرجنه: ضربه بالعصا أو بالعرجون.

وقد ورد العرجون مرّة واحدة مشبهاً به القمر هلالاً في قوله تعالى: «حتّى عاد كالعرجون القديم». يس: ٣٩).

العرجون: العذق اليابس أصله العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى واعوج.
العرجون: عود العِذق ـ القنو ـ ما بين الشماريخ إلى منبته من النخلة يقال لورق الرطب إذا يبس واصفرّ وصار منحياً قوسياً: العرجون (القديم) أي الذي مضى حداثته وطراوته.

في المفردات: عَرْجَنَ: «حتى عاد كالعرجون القديم» أي الفافه من أغصانه.

وفي النهاية: العرجون وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العِذق وهو فُعلون من الانعراج: الانعطاف والواو والنون زائدتان وجمعه: عراجين ومنه حديث الخدرى:

«فسمعت تحريكاً في عراجين البيت» أرادبها الأعواد التي في سقف البيت، شبّهها بالعراجين.

وفي اللسان: قال الأزهري: العرجون أصفر عريض شبه الله به الهلال لما عاد دقيقاً فقال سبحانه وتعالى: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» في دقته واعوجاجه.

وقول رؤبة: في خِدر ميّاس الدُمى مُعَرْجَنِ.

يشهد بكون نون عرجون أصلاً وإن فيه معنى الانعراج.

ومعنى قوله رؤبة: أي مصوّر فيه صور النخل والدمى.

عرجنه بالعصا: ضربه، وعرجنه: ضربه بالعرجون. والعرجون: نبت أبيض والعرجون أيضاً: ضرب من الكمأة قدر شبر أو دوين ذلك وهو طيّب مادام غضّاً وجمعه: العراجين.

قال الزجاج: العرجون هو عود العِذْق الذي عليه الشماريخ وهو فُعْلُون من الانعراج وهو الانعطاف أي سار القمر في منازله، فاذا كان في آخرها دقّ واستقوس وضاق حتى صار كالعرجون.

﴿النحو﴾

١ ـ (يس)

في إعراب (يس) وجوه: أحدها ـ لامحل لها من الاعراب لأنها حروف تنبيه نحو (ألا) و(يا) وينطق بأسمائها فيقال: (ياسين). ثانيها ـ انها إسم للسورة فمحله الرفع على كونه خبراً لمبتداء محذوف أي هذه يس. ثالثها ـ اسم للسورة، محلّها النصب، مفعولاً لفعل محذوف أى اتل أو إقرأ أو اذكر يس. وانه غير منصرف لكونه إسماً للسورة وكونه أعجمياً. رابعها ـ محلها الجر باضمار حرف القسم، أقسم الله تعالى بها لشرفها ولانّها مباني أسمائه. خامسها ـ اسم للسورة، مبنيّ على الفتح مثل كيف وأين. سادسها ـ إسم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم فكأنه قال: يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم يؤيّده قوله تعالى: «انك لمن المرسلين».

٢ ـ (والقرآن الحكيم)

الواو للقسم، و«القرآن» مجرور بواو القسم، متعلق بمحذوف أي اقسم بالقرآن، و«الحكيم» صفة للقرآن، والجملة لامحلّ لها من الاعراب لانها ابتدائية.

٣ ـ (إنك لمن المرسلين)

«إن» حرف تأكيد، وكاف الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم في موضع نصب، إسمها، واللام في (لمن) لام تأكيد، و«المرسلين» مجرور بـ«من» متعلق

بمحذوف في موضع رفع، خبراً لـ«إن» والجملة جواب للقسم لا محل لها من الاعراب.

٤ـ (على صراط مستقيم)

في إعرابها وجوه: أحدها ـ أن يكون «على صراط» متعلقاً بـ«المرسلين» أي ارسلوا على صراط. ثانيها ـ أن يكون متعلقاً بمحذوف وهو خبرثان لـ«إن» أي وإنك على صراط مستقيم. ثالثها ـ أن يكون في موضع نصب، على الحال، فكأنه قال: ارسلوا مستقيماً طريقهم أو ارسلوا قائماً على صراط مستقيم. رابعها ـ أن يكون من صلة «المرسلين» أي انك لمن المرسلين الذين ارسلوا على طريقة مستقيمة كقوله تعالى: «وانك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله» الشورى: ٥٢: ٥٣) أيّ صراط الذي أمر الله تعالى به.

«مستقيم» مجرور لأنه صفة لـ«صراط»، و«منستقيم» إسم فاعل من باب الاستفعال، أصله: مستقوم، فنقلت كسرة الواو لما قبلها، فانقلبت الواو يآء.

٥ـ (تنزيل العزيز الرحيم)

في إعرابها وجوه: أحدها ـ منصوب على المصدر فتقديره: نزّل الله ذلك تنزيل... وأضاف المصدر: «تنزيل» إلى فاعله: «العزيز» فصار معرفة. فالجملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب. ثانيها ـ إن الجملة في موضع جر، نعتاً للقرآن. ثالثها ـ منصوب على المدح و«تنزيل» مصدر بمعني المفعول. فالمعني: أعني بالقرآن ذاك المنزّل الذي أنزله الله العزيز الرحيم. رابعها ـ قرئ «تنزيل» مرفوعاً، خبراً لمحذوف أي هو أو الذى انزل إليك أو ذلك، أو القرآن تنزيل... خامسها ـ قرئ «تنزيل» بالجرّ، بدلاً أو نعتاً لـ«القرآن» فالتنزيل يرجع إلى القرآن. وقيل: إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أى إنك لمن المرسلين وانك تنزيل العزيز الرحيم. فالتنزيل على هذا بمعنى الارسال.

قال الله تعالى: «قدأنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا» الطلاق: ١٠ـ ١١).

يقال: أرسل الله المطر وأنزله بمعنى. ومحمد صلى الله عليه وآله وسلّم رحمة الله أنزلها من

السمآء.

سادسها- على تقدير: إنك لمن المرسلين إرسالاً من العزيز الرحيم.

٦- (لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون)

اللام للتعليل، و«تنذر» فعل مضارع للمفرد المذكر المخاطب من باب الافعال، منصوب بـ«أن» مضمرة، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر، متعلق بـ«تنزيل» على بعض الوجوه السابقة وبعامله المقدر على بعض وجوه اخر كما في صدر سورة الأعراف: ٢) ويحتمل أن يكون متعلّقا بما يدل عليه «لمن المرسلين» أي إنك مرسل لتنذر. و«قوماً» مفعول به وفي «ما» وجوه:

أحدها- نافية، فقوله تعالى: «فهم» متعلق بالنفي. والمعنى: عدم الانذار منشأ غفلتهم وذهولهم، فاباؤهم لم ينذروا برسول قبل محمد(ص). ثانيها- موصولة على حذف العائد أي لتنذرهم مثل ما انذر به آباؤهم. ثالثها -مصدرية وما بعده صفته. وعلى الأخيرين «فهم» متعلق بالانذار من باب تعلق السبب المستدعى لشيء به كما تقول: اعظ فلاناً فانه غافل أو فهو غافل. فتقديره: لتنذر قوماً إنذاراً مثل إنذارنا آباؤهم فـ«ما انذر» مصدر. رابعها -نكرة موصوفة. خامسها- زائدة.

«انذر» فعل ماض مفرد للغائب، مبنيّ للمفعول، و«آباؤهم» جمع الأب، اضيف إلى ضمير «قوماً» ناب مناب الفاعل، والجملة في موضع نصب، صفة لـ«قوماً» و«فهم» الفاء سببية وقيل: للعطف و«هم» مبتداء و«غافلون» خبره والجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة «ما انذر».

٧- (لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون)

اللام للقسم، و«قد» حرف تحقيق، و«حق» فعل ماض، و«القول» فاعل الفعل، والجملة جواب لقسم مقدر أى اقسم بأنّه ثبت القول. ان الجملة القسمية مستأنفة،

ولامحل لجواب القسم من الاعراب. «على أكثرهم» متعلق بـ«حق» و«فهم» الفاء للتفريع وقيل: للتعليل و«هم» مبتداء و«لا» حرف نفي و«يؤمنون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة التفريعية أو التعليلية لامحل لها من الاعراب.

٨ـ (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون).

«إنا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«جعلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير في موضع رفع، خبر لـ«ان» والجملة لامحل لها لأنها مستأنفة بيانية، و«في أعناقهم» متعلق بمحذوف وهو مفعول به ثان لـ«جعلنا» الأعناق جمع عنق قلّة، والضمير راجع إلى الكافرين، و«أغلالاً» جمع قلّة أيضاً من غِل ـ بالكسر ـ مفعول به أول لـ«جعلنا» و«فهي» الفاء للتفريع وقيل: زائدة لمطلق الربط و«هي» مبتداء راجع إلى الأيدي وإن كانت غير مذكورة لكونها معلومة، فان المغلول تكون أيديه مجموعة إلى العنق، ولذلك يسمّى الغل جامعة أي جامعاً لليد والعنق، وتأنيث الجامعة مبالغة أو بتأويل الآلة. وقيل: راجع إلى الأغلال أي جعلنا في أعناقهم أغلالاً غلاظا بحيث تبلغ إلى الأذقان، فلم يتمكن المغلول منها أن يطأطئ رأسه فلايزال مقمحاً.

«إلى الأذقان» متعلق بمحذوف وهو خبر لـ«هي» والأذقان جمع قلّة للذقن، و«فهم» الفاء للعطف، و«هم» مبتداء و«مقمحون» إسم مفعول لجمع المذكر من باب الافعال خبره، والجملة معطوفة على ما قبلها.

٩ـ (وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون)

الواو للعطف، و«جعلنا» في موضع رفع، عطف على «جعلنا» المتقدم، و«من بين» متعلق بمحذوف، مفعول به ثان لـ«جعلنا» واضيف «بين» إلى أيدي، جمع يد اضيفت إلى ضمير«هم» راجع إلى الكافرين، و«سداً» مفعول الاوّل، و«ومن خلفهم

سداً» عطف على «من بين...» و«فأغشيناهم» الفاء للعطف، و«أغشينا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به على حذف مضافين أي غطينا أعين بصائرهم، والجملة عطف على «جعلنا» الثاني، و«فهم» الواو للعطف، و«هم» في موضع رفع على الابتداء، و«لا» حرف نفي، و«يبصرون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال، في موضع رفع، خبر لـ«هم» والجملة الاسمية معطوفة على «فأغشيناهم» من عطف الاسمية على الفعلية، ومن المحتمل أن تكون الفاء للتفريع والنتيجة.

١٠ـ (وسوآء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)

الواو عطف تفسير وتقرير لما تضمنته الآيات الثلاث المتقدمة، ويحتمل أن يكون عطفاً على «لايبصرون» أي فهم لايبصرون ويستوي عليهم إنذراك وعدم إنذراك لايؤمنون، و«سواء» خبر مقدّم للمبتداء المؤخر المصدر المؤول، و«عليهم» متعلق بـ«سواء» و«أأنذرتهم» الهمزة الاولى حرف مصدري للتسوية، و«أنذرت» فعل ماضى للمفرد المذكر المخاطب من باب الافعال، والمصدر المؤوّل في موضع رفع، مبتداء مؤخر، وجملة «سواء عليهم انذارك ...» لامحل لها، معطوفة على «إنا جعلنا» و«هم» في موضع نصب، مفعول به.

وقداجتمعت الهمزتان المفتوحتان في إحدى وثلا ثين موضعاً من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: «أأنذرتهم ـ أأتخذ من دونه» يس: ١٠ و ٢٣)

«أم» حرف عطف، معادل للهمزة، و«لم» حرف جحد و«تنذر» فعل مضارع للمفرد المذكر المخاطب، مجزوم بحرف الجحد، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «لم تنذرهم» لامحلّ لها، معطوفة على «أنذرتهم» و«لا» حرف نفي، و«يؤمنون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال، والجملة مستأنفة بيانية لامحلّ لها من الاعراب.

١١ـ (إنّما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم)

«إنما» كافة ومكفوفة من أداة الحصر، و«تنذر» فعل مضارع للمفرد المذكر المخاطب من باب الافعال، و«من» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ«تنذر» والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها من الاعراب، و«اتبع» فعل ماض للمفرد المذكر الغائب، من باب الافتعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» والجملة صلة الموصول، لامحل لها، و«الذكر» مفعول به، و«وخشي» الواو للعطف و«خشي» فعل ماضٍ، عطف على «اتبع» و«الرحمن» مفعول به، والجملة لامحل لها، و«بالغيب» متعلق بحال من الفاعل أو المفعول، و«فبشّره» الفاء لربط جواب الشرط المقدر أي من اتبع الذكر... فبشّره. «بشرّ» فعل أمر من باب التفعيل، وضمير الغائب في موضع نصب، مفعول به، و«بمغفرة» متعلق بـ«بشره» و«أجر» عطف على «مغفرة، و«كريم» نعت لـ«أجر».

١٢ـ (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)

«إنا» حرف مشبّه بالفعل واسمه، وفي «نحن» وجوه: أحدها ـ ضمير منفصل للتكلم مع الغير في موضع رفع على الابتداء. ثانيها ـ توكيد للضمير المتصل: «نا» إسم «إن» واستعير لمحل النصب. ثالثها ـ في موضع رفع خبر «إن» كأنه قال تعالى: «إنا نحن معروفون بأوصاف الكمال، وإذا عرّفنا أنفسنا فلا تنكر قدرتنا على إحياء الموتى».

فالكلام على سبيل الافتخار وإظهار القدرة.

و«نحيي» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال في موضع رفع، خبر«نحن» على الوجه الأوّل، والجملة في موضع رفع، خبر«إن» و«نحيى» خبر«إن» على الوجه الثاني، ونعت لـ«نحن» على الثالث من باب وصف الضمير بالفعل، و«الموتى» مفعول به. وعلى الوجوه الثلاثة: «انا نحن نحيي الموتى» مستأنفة لامحل لها.

«ونكتب» الواو للعطف، والفعل مضارع للتكلم مع الغير، عطف على «نحيى»

و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«قدّموا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب التفعيل، صلة الموصول، والعائد محذوف أى قدّموه، جملة الصلة لامحل لها، «وآثارهم» الواو للعطف و«آثارهم» جمع قلّة للأثر، اضيف الى ضمير الكافرين، معطوف على «ما» وهي مفعول به أي نكتب الّذي قدّموه ونكتب الذي خلفوه وراءهم من الحسنات والسيئات، و«كل شيء» الواو للعطف ومدخولها، مفعول به لفعل محذوف يفسّره: «أحصيناه» ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل، ويجوز رفع «كل شيء» على الابتداء، و«أحصيناه» خبره و«أحصيناه» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، والضمير فى موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع رفع، عطف على «نكتب» بناءً على نصب «كل شيء» و«في إمام» متعلق بـ«أحصيناه» و«مبين» نعت لـ«إمام».

١٣ـ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذجاءها المرسلون)

الواو للاستيناف، و«اضرب» فعل أمر، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم و«لهم» متعلق بـ«اضرب» و«مثلاً» مفعول ثان، و«أصحاب القرية» مفعول أوّل لـ«اضرب» أى واضرب لهم أصحاب القرية وحالهم هذه الحال مثلاً. وقدّم المفعول الثاني تحرّزاً عن الفصل المخلّ، وقدتعدّى «اضرب» الذي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين بلاخلاف، فيجرى في نظيره كالمقام. وقيل: «لهم» متعلق بمحذوف وهو مفعول ثان، و«مثلاً» مفعول به الاوّل، و«أصحاب القرية» بدل اشتمال من «مثلاً» على حذف المضاف أي قصّة أصحاب القرية أو على تقدير: واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية، فالمثل الثاني بدل من الأوّل، ثم حذف المضاف. وقيل: «مثلاً» مفعول به الأوّل و«أصحاب القرية» مفعول به الثاني.

«إذ» ظرف زمان، مبنيّ في موضع نصب، بدل إشتمال من «أصحاب» وعامل «إذ» محذوف، تقديره: قصة أصحاب القرية كائنة إذ جاءها المرسلون، و«جاء» فعل

ما في و«ها» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «أصحاب القرية» و«المرسلون» فاعل «جاء» والجملة في موضع جرّ لاضافة «إذ» إليها. والجملة المستأنفة لامحل لها من الاعراب.

١٤ـ (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون)

«إذ» بدل كل من «إذ» السابق، و«أرسلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، والجملة في موضع جرّ لاضافة «إذ» إليها، و«إليهم» متعلق بـ«أرسلنا» وضمير الجمع راجع إلى «أصحاب القرية» والفاء للعطف، والفعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب التفعيل، وضمير«هما» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «إثنين» والجملة في موضع جر، عطف على «أرسلنا» و«فعزّزنا» الفاء للعطف أيضاً، والفعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل، على حذف المفعول أى قوّينا هما أو قوّينا الرسالة «بثالث» متعلق بـ«عزّزنا» على حذف المضاف أى قوينا هما برسول ثالث، والجملة في موضع جرّ، معطوفة على «كذّبوهما» و«فقالوا» الفاء للعطف أيضاً، والفعل ماض لجمع المذكر الغائب و«إنا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«إليكم» متعلق بـ«مرسلون» والمرسلون خبر لـ«إن» والجملة المؤكّدة مقولة القول؛ في موضع نصب، وجملة «فقالوا» في موضع جرّ، معطوفة على «أرسلنا».

١٥ـ (قالوا ما أنتم إلّا بشرٌ مثلنا وما انزل الرحمن من شيء إن أنتم إلّا تكذبون)

«قالوا» جملة مستأنفة لامحل لها، و«ما» نافية مشبّهة بليس، و«أنتم» إسمها، و«إلّا» حرف إستثناء من أداة الحصر، و«بشر» خبرها، ولم تعمل «ما» عمل ليس، لمكان «إلّا» و«مثلنا» نعت لـ«بشر» والجملة في موضع نصب، مقولة القول «وما» الواو للعطف، و«ما» نافية، و«أنزل» فعل ماض من باب الافعال، و«الرحمن» فاعل الفعل، و«من شيء» متعلق بـ«أنزل» والجملة في موضع نصب، معطوفة على مقولة

القول، و«إن» نافية مشبهة بليس، و«أنتم» إسمها، و«إلّا» حرف استثناء و«تكذبون» في موضع رفع، خبرها، ولم تعمل «إن» لما سبق في «ما» وجملة «إن أنتم ...» مستأنفة في حيّز القول أو تعليلية لامحل لها.

١٦ـ (قالوا ربنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون)

«قالوا» كالسابق، و«ربنا» مبتداء، و«يعلم» خبره والجملة في موضع نصب، مقولة القول، ومفعول «يعلم» مضمر والتقدير: قالت الرسل للمرسل إليهم: ربنا يعلم لِمَ أرسلنا إليكم؟ لأن هذا جواب قولهم: «ما أنتم إلّا بشر مثلنا» يعنون كيف تكونون رسلاً وأنتم بشر مثلنا؟ فقالوا: «ربنا يعلم ...» استيناف الكلام، فليس كسر «إن» لمكان اللام بل كسرها لأنه مبتداء فـ«ربنا يعلم» معترض بمنزلة القسم، فان الاستشهاد بعلم الله تعالى يجرى مجرى القسم، وجملة «إنا إليكم لمرسلون» في موضع نصب سدّت مسدّ مفعولي «يعلم» المعلّق بـ«إنّ».

١٧ـ (وما علينا إلّا البلاغ المبين)

الواو للعطف، و«ما» نافية، و«علينا» متعلق بمحذوف، خبر«ما» و«إلّا» للحصر، و«البلاغ» إسم«ما» متأخّر، و«المبين» إسم فاعل من باب الافعال، صفة لـ«البلاغ» ولم تعمل «ما» لمكان «إلّا» والجملة في موضع نصب، معطوفة على مقولة القول.

١٨ـ (قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم وليمسّنّكم منا عذاب أليم)

«تطيّرنا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعل، في موضع رفع، خبر لـ«إن» والجملة المؤكدة في موضع نصب، مقولة القول، و«بكم» متعلق بـ«تطيّرنا» و«لئن» اللام موطئة القسم، و«إن» حرف شرط، و«لم» حرف جحد جازم،

و«تنتهوا» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الانفعال، أصله: لم تنتهيوا، فحذفت الياء التى هى لام الفعل، لثقل الضمة عليها، فنقلت الضمة إلى عين الفعل بعد حذف كسرها، والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها، و«لنرجمنكم» اللام للقسم أيضاً، والفعل مضارع للتكلم مع الغير مؤكّد بنون الثقيلة، وضمير جمع الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والجملة جواب القسم لامحل لها، وجواب الشرط محذوف، دل عليها جواب القسم، و«وليمسّنّكم» الواو للعطف، واللام للقسم أيضاً، والفعل مضارع للمفرد المذكر الغائب، وضمير جمع الخطاب في موضع نصب، مفعول به، و«منّا» متعلق بـ«يمسنّكم» لتضمنّه معنى «ياتينكم» أو متعلق بمحذوف، حال من «عذاب» و«عذاب» فاعل «يمسّنّكم» و«أليم» نعت لـ«عذاب» والجملة معطوفة على «لنرجمنكم» لامحل لها من الاعراب.

١٩ـ (قالوا طائركم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم مسرفون)

«طائركم» مبتداء و«معكم» ظرف منصوب، متعلق بمحذوف وهوالخبر أى ثابت معكم والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«أئن» الهمزة للاستفهام، و«إن» حرف شرط، و«ذكّرتم» فعل ماض لجمع المذكر المخاطب، مبنّى للمفعول من باب التفعيل، في محل جزم، فعل الشرط، والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها، وجواب الشرط محذوف أي أإن ذكّرتم تلقيتم التذكير والانذار بالكفر والانكار، و«بل» للاضراب الانتقالي، و«أنتم» مبتداء و«قوم» خبره و«مسرفون» إسم فاعل من باب الافعال، صفة لـ«قوم» والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها.

٢٠ـ (وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم إتبعوا المرسلين)

الواو للإستئناف، و«جاء» فعل ماض، و«من أقصا» متعلق بـ«جاء» و«المدينة» مضاف إليه، وقيل: «من أقصى المدينة» متعلق بـ«يسعى» وقيل: متعلق بمحذوف

وهو صفة لـ«رجل» و«رجل» فاعل الفعل، و«يسعى» في موضع رفع، نعت لـ«رجل» والجملة مستأنفة لامحل لها، و«قال» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «رجل» والجملة في موضع نصب، حال من «رجل» وقدوصف بتقدير «قد» وقيل: إن الجملة مستأنفة بيانية لامحل لها، و«يا قوم» حرف نداء ومناد، على حذف ياء التكلم، و«اتبعوا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب الافتعال، جواب للنداء، لامحل لها، وجملة النداء وجوابها في موضع نصب، مقولة القول، و«المرسلين» مفعول به.

٢١ـ (اتبعوا من لايسئلكم أجراً وهم مهتدون)

«اتبعوا» بدل من «اتبعوا» السابق، و«من» موصولة فى نصب، مفعول به، و«لا» حرف نفي، والفعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» وضمير جمع الخطاب «كم» فى موضع نصب، مفعول به أول، و«أجراً» مفعول به ثان، والواو للعطف وتحتمل الحال، و«هم» مبتداء و«مهتدون» إسم مفعول من باب الافتعال، خبره، والجملة معطوفة على جملة الصلة، فلا محل لها، أو في موضع نصب، حال على الثاني.

٢٢ـ (ومالى لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)

الواو للعطف، و«ما» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«لي» متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداء وما حصل أو ثبت لي. والجملة معطوفة على جواب النداء فلامحل لها، و«لا» نافية و«أعبد» فعل مضارع للتكلم وحده، و«الذى» موصولة في موضع نصب، مفعول به، «وفطرني» فعل ماض، ونون الوقاية في موضع نصب، مفعول به جملة الصلة في موضع نصب، حال من ياء التكلم، و«إليه» الواو للعطف، و«إليه» متعلق بـ«ترجعون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبنّى للمفعول، وتحتمل الواو حالاً، فالجملة في موضع نصب، حال، أي حالكونكم إلى الله ترجعون.

٢٣ـ (ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّ لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولاينقذون)

الهمزة للاستفهام و«أتخذ» فعل مضارع للتكلم وحده، و«من دونه» متعلق بمحذوف، مفعول به ثان، وضمير المفرد راجع إلى «الله» و«آلهة» جمع إله، مفعول به أول لـ «أتّخذ» والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها، و«إن» حرف شرط جازم و«يردن» فعل مضارع للمفرد المذكر الغائب من باب الافعال، مجزوم بحرف الشرط، والنون للوقاية على حذف ياء التكلم لرعاية قراءة الوصل، والنون في موضع نصب، مفعول به، ولامحل للجملة الشرطية فانها تعليل لماسبق وقد يشتبه هذا الفعل بجمع المؤنث الغائبة من فعل المضارع، و«بضرّ» متعلق بمحذوف وهوالحال من المفعول أي متلبّساً بضرّ، و«لا» نافية، و«تغن» فعل مضارع للمفرد المؤنث الغائب، مجزوم بحرف الشرط، وعلامة الجزم، حذف حرف العلة، و«عنّي» متعلق بـ«تغن» و«شفاعتهم» فاعل «تغن» وضمير جمع الغائب، راجع إلى «آلهة» و«شيئاً» مفعول مطلق، نائب عن المصدر فهو مبيّن لكمّيته أو مفعول به، لتضمن الفعل معنى «تمنع».

ولايجوز أن تقع «ما» مكان «لا» هنا لأن «ما» تنفى ما في الحال، وجواب الشرط مستقبل لاغير، ولامحل لجواب الشرط غير مقترن بالفاء، و«ولا» الواو عاطفة، و«ينقذون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، مجزوم بحذف نون الرفع لعطفه على «تغن» والنون المذكورة المكسورة للوقاية وحذفت ياء التكلم لمناسبة فواصل الآيات، مفعول به، والجملة معطوفة على «تغن» فلا محل لها من الاعراب.

٢٤ـ (إنّي إذاً لفي ضلال مبين)

«إنى» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«إذاً» ظرف شرطيّ مع تنوين العوض أي إذا عبدت غيرالله... والجواب: «أكن في عدول عن الحق» محذوف دلّ عليه مضمون الخبر، و«لفي» اللام للتوكيد، و«في ضلال» متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداء، و«مبين» صفة لـ«ضلال» والجملة المؤكدة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها.

٢٥ـ (إني آمنت بربكم فاسمعون)

«آمنت» فعل ماض للتكلم وحده في موضع رفع، خبر لحرف التوكيد، و«بربكم» متعلق بـ«آمنت» والفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي إن أردتم الا تعاظ فاسمعوا قولي. و«اسمعون» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب الافعال، والنون للوقاية، وحذفت ياء التكلم لرعاية الفواصل، مفعول به. والجملة المؤكدة مستأنفة في حيّز القول لا محل لها.

٢٦ـ (قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومي يعلمون)

«قيل» فعل ماض مبني للمفعول، مستأنفة لا محل لها والتقدير: قال الله تعالى للرجل لما قتلوه: «ادخل» فعل أمر، و«الجنة» مفعول به. ويحتمل أن تكون مفعولاً فيها. وقيل: الجملة في محل رفع نائب الفاعل، و«قال» فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «رجل» و«يا» حرف نداء و«ليت» حرف مشبه بالفعل، و«قومي» في موضع نصب، إسم «ليت» و«يعلمون» في موضع رفع، خبر «ليت» والجملة في موضع نصب، مقولة القول.

٢٧ـ (بما غفرلي ربّي وجعلني من المكرمين)

في «ما» وجوه: أحدها ـ مصدرية والمعنى: بمغفرة الله لي. ثانيها ـ موصولة في موضع جرّ على حذف العائد. فالمعنى: بالذنب الذي غفره لي ربي. ثالثها ـ استفهامية على سبيل التعظيم لمغفرة ربه والتحقير لعلمه فالمعنى: بأيّ شيء غفرلي ربي. وعلى أيّ وجه فـ«بما» متعلق بـ«يعلمون» «وجعلني» الواو للعطف، والفعل ماض، والنون للوقاية، وياء التكلم وحده في موضع نصب، مفعول به أول، و«من المكرمين» متعلق بمحذوف، مفعول ثان، والجملة معطوفة على «غفر لي ربي».

٢٨ـ (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين)

الواو للاستئناف، و«ما» نافية، و«أنزلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، و«على قومه» متعلق بـ«أنزلنا» و«من بعده» متعلق بـ«أنزلنا» وضميرا المفرد راجعان إلى «رجل» و«من جند» في موضع نصب، مفعول به و«من السماء» متعلق بمحذوف، نعت لـ«جند» وقيل: متعلق بـ«أنزلنا» والجملة مستأنفة لامحل لها، و«من» الاولى والثالثة لابتداء الغاية، والثانية مزيدة لتأكيد النفي. و«وما كنّا» الواو إعتراضية وفي «ما» وجوه: أحدها ـ نافية ثانيها ـ زائدة أي وقد كنّا. ثالثها ـ إسم موصول، في موضع خفض، عطف على «جند» أي والّذي كنا منزليه على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة... و«كنّا» فعل ماض للتكلم مع الغير من أفعال الناقصة، إسمه «نا» و«منزلين» إسم فاعل لجمع المذكر من باب الافعال، خبره، والجملة اعتراضية أو تعليلية لامحلّ لها.

٢٩ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون)

«إن» نافية، و«كانت» فعل ماض لافراد تأنيث الغائب، إسمه ضمير مستتر فيه أي ما كانت عقوبتهم «إلّا» حرف استثناء و«صيحة» خبر الفعل، و«واحدة» نعت لـ«صيحة» والجملة مستأنفة لامحل لها «فإذا» الفاء للعطف، و«إذا» حرف فجأة، و«هم» مبتداء و«خامدون» إسم فاعل خبره، والجملة عطف على «كانت...» لامحل لها.

٣٠ـ (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن)

«يا حرف نداء، و«حسرة» مناد يشبه بالمضاف متحسّر به كقولهم: يا خيراً من زيد.

و«على العباد» متعلق بـ«حسرة» وجملة النداء مستأنفة لامحل لها، و«ما» نافية،

و«يـأتيهم» الفعل مضارع، والضـمير فى موضع نصب، مفعول بـه، و«من رسول» متعلق بـ«يأتيهم» فـاعل الفعـل، والجملـة مستأنفـة بيانـية لامحل لها، و«إلاّ» حـرف إستثناء و«كـانوا» فعـل مـاض ناقص وإسمـه الواو، و«يستهزؤن» فـعل مضارع لجمـع المذكر الـغـائـب مـن باب الاسـتـفـعـال في مـوضـع نصب، خبر لـ«كـانـوا» و«بـه» مـتـعـلق بـ«يستهزؤن» وجملة «كانوا به يستهزؤن» فى موضع نصب، حال من مفعول «يأتيهم» أو حال من فاعله.

٣١-(ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لا يرجعون)

الهمزة للاستفهـام، و«لم»، حرف جحد جازم، و«يروا» فعـل مضارع لجمع المذكر الغائب، مجزوم بحذف نون الـرفع، والفعل معلّق عن المفعولين بـ«كم» خبرية، ولذلك جاز أن يبدل منها مـا ليس باستفهام، و«كم» إسم للعدد في موضع نصب بـ«أهلكنا» مفـعول به مـقدم لأن الاسـتفهـام وما يـقع موقـعه لايعمل فـيه ما قبلـه، و«ألم يروا» جملة مستأنفة لامحل لها، وجملة «كم اهـلكنا» في موضع نصب، سدّت مسدّ مفعولي «يروا» المعلّق بـ«كم» و«قـبلـهم» ظرف مـنصوب، مـتعلـق بحال «مـن القرون» أو مـتعـلق بـ«أهـلكنا» و«من القـرون» جمع قرن بيان لـ«كم» و«أنهم» حـرف مشبّه بالفعل، وضمير الجمع في موضع نصب، إسمه، و«إليهـم» متعلق بـ«يـرجعون» في موضع رفع، خبره والجملة المؤكـدة بدل إشتمال من «كم أهـلكنا» لأنه حال من أحوال المهلكة أي هلكـوا بحيث لارجوع لهم إليهم. والمعنى: ألم يـعلموا كـثرة إهلاكـنا القرون مـن قبلـهم كـونهـم غير راجعين إلينا. وقـيـل: «أنهـم إليهم ...» بيان لقـولـه: «كـم أهلكنا ...» وقيل: المصدر المؤوّل: «أنهـم إليهـم لايـرجعون» في موضـع خـفض بحـرف جرّ محذوف متعلق بـ«أهلكنا» أي أهلكناهم بأنهم إليهم لايرجعون.

٣٢- (وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون)

الواو للعطف، و«إن» نافية وقيل: مخففة من الثقيلة، و«كل» مبتداء مرفوع دال على عموم، والتنوين بنيّة الاضافة، و«لمّا» بالتشديد من أداة حصر بمعنى «إلاّ» وقيل: بالتخفيف، فاللام فارقة وما مزيدة للتأكيد، و«جميع» فعيل بمعنى مفعول بمعنى مجموعون، خبر المبتداء، و«لدينا» ظرف مبنى على السكون في موضع نصب، متعلق بـ«جميع» وقيل: بـ«محضرون» إسم مفعول لجمع المذكر من باب الافعال، وهو خبرثان. وقيل: نعت لـ«جميع» وجملة: «إن كل ...» في موضع نصب، معطوفة على جملة: «أهلكنا».

٣٣- (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون)

الواو اللاستئناف، و«آية» خبر مقدّم، و«لهم» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«آية» أي آية كائنة، و«الأرض» مبتداء مؤخر، و«الميتة» صفة لـ«الأرض» والجملة مستأنفة لامحل لها. وقيل: «آية» مبتداء و«لهم» متعلق بمحذوف وهو الخبر. وقيل: «لهم» متعلق بـ«آية» لأنها بمعنى العلامة. وقيل: متعلق بمقدر وهو صفة لها. وقيل: «الأرض» مبتداء و«أحييناها» خبره والجملة تفسير لـ«آية».

«أحييناها» الفعل ماض للتكلم مع الغير و«ها» في موضع نصب، مفعول به، والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها، وقيل: في موضع نصب، حال من «الأرض» أو في موضع رفع، نعت لـ«الأرض». و«وأخرجنا» الواو للعطف على «أحيينا» و«منها» متعلق بـ«أخرجنا» و«حباً» مفعول به، و«فمنه» الفاء للتفريع و«منه» متعلق بـ«يأكلون» والجملة صفة لـ«حباً» وقيل: الفاء للعطف، والجار والمجرور متعلق بـ«يأكلون» والجملة معطوفة على جملة «أخرجنا».

٣٤ـ (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرّنا فيها من العيون)

الواو للعطف و«جعلنا» معطوفة على «أخرجنا» و«فيها» متعلق بمحذوف وهو مفعول ثان، و«جنات» جمع جنة، مفعول أول لـ«جعلنا» و«من نخيل» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«جنات» و«أعناب» جمع عنب، عطف على «نخيل» و«فجرنا» عطف على «أخرجنا» و«فيها» و«من العيون» جمع عين متعلقان بـ«فجرنا» و«من» تبعيضية وقيل: زائدة وقيل: المفعول محذوف أي من العيون ما ينتفعون به.

٣٥ـ (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

اللام للتعليل، والفعل مضارع لجمع المذكر الغائب، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام، وعلامة النصب، حذف نون الرفع، وقيل: اللام للأمر فالفعل مجزوم بها. و«من ثمره» متعلق بـ«يأكلوا» والمصدر المؤوّل: «أن يأكلوا» في موضع جرّ باللام، متعلق بـ«جعلنا» والواو للعطف وقيل: للحال وفي «ما» وجوه: أحدها ـ إسم موصول. ثانيها ـ نكرة موصوفة. وعلى الوجهين فـ«ما» في موضع جرّ، عطفاً على «ثمره» ويجوز أن يكون نصباً على موضع «من ثمره». ثالثها ـ مصدرية أي ليأكلوا من ثمرالله ومن ثمر ما عملته أو من ثمرعمل أيديهم. رابعها ـ حرف نفي لامحل لها، والجملة إعتراضية أي لم تعمله أيديهم. و«عملته» الفعل ماض، والضمير راجع إلى «ما» و«أيدي» جمع يد، فاعل الفعل، والجملة صلة الموصول لامحل لها. «أفلا» الهمزة للاستفهام الانكارى، والفاء للعطف، و«لا» نافية، وجملة «لايشكرون» معطوفة على استئناف مقدّر لامحل لها أي أيجحدون النعم فلايشكرون.

٣٦ـ (سبحان الذي خلق الأزواج كلّها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون)

«سبحان» مفعول مطلق لفعل محذوف، منصوب، أي نسبّح سبحان... فانتصابه على المصدرية، ولايذكر ناصبه، وهو علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقاداً

وقولاً. فالمعنى: نزهه تعالى عما لايليق به عقداً عملاً، تنزيهاً خاصاً به، حقيقاً بشأنه ومنه. جملة اعتراضية دعائية لامحل لها. و«الذي» موصولة، و«خلق» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الموصول، و«الأزواج» جملة قلة للزوج، و«كلها» توكيد معنوي للأزواج، منصوب، و«مما» متعلق بمحذوف وهو حال من «الأزواج» و«تنبت» فعل مضارع لافراد التأنيث، و«الأرض» فاعل الفعل، و«من أنفسهم» متعلق بمحذوف، وهوحال أيضاً من «الأزواج» وكذلك «مما» الثانية، وجملة «لايعلمون» صلة الموصول الثاني لامحل لها.

٣٧- (وآية لهم الليل نسلخ منه النهارفاذا هم مظلمون)

الواو للاستئناف، و«آية لهم الليل» سبق نظيرها في آية: ٣٣) فراجع، و«نسلخ» فعل مضارع للتكلم مع الغير، و«منه» متعلق بـ«نسلخ» و«النهار» مفعول به، والجملة مستأنفة بيانية لما قبلها فلا محل لها، وتحتمل الحالية من «الليل» فوضعها النصب، و«فاذا» الفاء للعطف، و«إذا» فجائية، و«هم» مبتداء، و«مظلمون» خبره والجملة معطوفة على جملة «نسلخ».

٣٨- (والشمس تجري لمستقرّلها ذلك تقدير العزيز العليم)

الواو للعطف، و«الشمس» معطوفة على «الليل» على تقدير: «وآية لهم الشمس» ويجوز أن تكون «الشمس» مبتداء و«تجري» فعل مضارع لافراد تأنيث الغائب، فاعله ضمير «الشمس» المستتر فيه، فالجملة مستأنفة بيانية لامحل لها، أو في موضع رفع، خبر لـ«الشمس» و«لمستقر» متعلق بـ«تجرى» بتضمينه معنى تنتهى. وفي لام «لمستقر» وجوه: أحدها ـبمعنى إلى. ثانيها ـأنها للغاية. ثالثها ـانها للوقت كقوله تعالى: «أقم الصلاة لدلوك الشمس» الاسراء: ٧٨) وللوقت طرفان: إبتداء وانتهاء، فجاز استعمال ما يستعمل فيه فى أحد طرفيه لما بينهما من الا تصال. و«لها» متعلق بـ«مستقر» أو

بمحذوف وهو نعت لـ «مستقر» و«مستقر» مصدر ميمي أو إسم زمان أو مكان، و«ذلك» مبتداء، و«تقدير» أضيف إلى «العزيز» خبر المبتداء، و«الرحيم» نعت لـ«العزيز» والجملة تعليلية لامحل لها.

٣٩ـ (والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم)

الواو للعطف، وفي «القمر» وجوه: أحدها ـ منصوب من باب الاشتغال، مفعول به لفعل محذوف يفسّره ما بعده وتقديره: قدرنا القمر قدرناه. ثانيها ـ منصوب على تقدير: أنزلنا أو خلقنا القمر. ثالثها ـ مرفوع على الابتداء، و«قدرناه» خبره والجملة معطوفة على جملة: «آية لهم الليل» فلا محل لها. والتقدير: وآية لهم القمر. وقيل: «قدرناه» في موضع نصب، حال من «القمر».

«قدرناه» الفعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل، وضمير الغائب في موضع نصب، مفعول به أول، راجع إلى «القمر» و«منازل» جمع منزل، مفعول ثان على تقدير: ذامنازل، فحذف المضاف، واقيم المضاف إليه مقامه لأن القمر غير المنازل، وإنّما يجرى فيها، بتضمين «قدرنا» معنى صيّرنا. وقيل: منازل حال من ضمير «قدرناه» بحذف المضاف أي ذامنازل. ويجوز أن يكون منازل ظرفاً متعلقاً بـ«قدرناه» أى قدرنا سيره في منازل سائراً فيها. وقيل: ضمير الغائب، منصوب بنزع الخافض أي قدرنا له منازل، فمنازل مفعول به، والجملة تفسيرية لامحل لها.

«حتّى» حرف جر للغاية و«عاد» فعل ماض بتقدير «أن» فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «القمر» والمصدر المؤوّل: «أن عاد» في موضع جر بـ«حتى» متعلق بـ«قدرناه» وكاف «كالعرجون» حال من فاعل «عاد» أيّ مثل العرجون، و«القديم» صفة لـ«كالعرجون» وجملة «عاد...» صلة الموصول الحرفى: «أن» المضمر لامحلّ لها.

٤٠ ـ (لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولااللیل سابق النهاروكل في فلك يسبحون)

«لا» نافية مهملة لأنها لا تعمل في المعرفة، و«الشمس» مبتداء و«ينبغي» فعل مضارع، من باب الانفعال للمفرد المذكر الغائب، و«لها» متعلق بـ«ينبغي» و«أن» حرف مصدري ناصب، و«تدرك» فعل مضارع لافراد تأنيث الغائب، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الشمس» والمصدر المؤول فى موضع رفع، فاعل لـ«ينبغي» والجملة في موضع رفع، خبر«الشمس» و«القمر» مفعول به، وجملة المبتداء والخبر مستأنفة لامحل لها.

«ولا» عاطفة، و«الليل» مبتداء و«سابق» اضيف إلى «النهار» خبره، والجملة معطوفة على جملة «لا الشمس...» لامحل لها. مثل: لاحول ولا قوة إلّا بالله. والفرق هو العمل هناك وعدمه ههنا. «وكل» الواو للعطف، و«كل» مبتداء وتنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم والكواكب. و«في فلك» متعلق بـ«يسبحون» وهو خبر المبتداء، والجملة معطوفة على «لاالشمس» لامحل لها.

٤١ ـ (وآية لهم أنّا حملنا ذرّيتهم في الفلك المشحون)

الواو للاستئناف، و«آية» مبتداء وفي «لهم» وجوه: أحدها ـ متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«آية» أي آية حاصلة ثانيها ـ والمحذوف خبر لـ«آية» ثالثها ـ «أنا حملنا» بعد انسباكه إلى المصدر مبتداء و«لهم» خبره والجملة خبر لـ«آية» و«ذريتهم» مفعول به، و«في الفلك» متعلق بـ«حملنا» و«المشحون» نعت لـ«الفلك» والجملة المستأنفة لامحل لها.

٤٢ ـ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)

الواو للعطف و«خلقنا» فعل ماض للتكلم مع الغير و«لهم» متعلق بـ«خلقنا» والجملة فى موضع رفع، معطوفة على «حملنا» و«من مثله» متعلق بحال من «ما» نعت

تـقدّم على المنعوت، و«ما» مـوصـولة و«يركبون» صلـة المـوصول، على حذف العائد أى يركبونه.

٤٣ـ (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون)

الواو للـعطف، و«إن» حرف شرط، و«نشأ» فعل مضارع للتكـلم مع الغير، مجزوم بحرف الشرط معطوفـة على الاستئنافية قبلها، فلا محل لها، و«نغرقهم» الفعل كـ«نشأ» وضمير الجمع في مـوضع نصب، مـفعول به، جواب الشرط لامحل لـهـا، والفـاء عاطفة، و«لا» حرف نفي و«صريـخ» مصدر فعيـل بمعنى مفعول أو صفة أى لا إغـاثة أو مغيث، إسـم مبنيّ على الفتـح في محـل نصب، و«لهم» متعلق بمحذوف وهو خبر «لا» والجملة معطوفة على جـواب الشرط لامحل لهـا، «ولاهم ينقـذون» معطوفـة على «لاصريخ لهم» لامحل لها.

٤٤ـ (إلّا رحمة منّا ومتاعاً إلى حين)

«إلّا» حرف إستثناء وفي «رحمة» وجـوه: أحدها ـ منصوب على الاستثـناء المنقطع أى هو مستـثنى من أعم الـعلل والأسباب أى لاينقذون لأىّ سـبب من الأسـباب إلّا سبب الرحمة فـلا ينجوهم نجاة أبداً إلّا رحمة الله تعالى. ثـانيها ـ يجوز أن يكون الاسـتثناء مفرّغاً فهو منصوب بنزع الخافض أى برحمة أو لرحمة. ثالثها ـ مفعول مطلق لفعل محذوف أى إلّا أن نرحمهم رحمة ونمتعهم متاعاً. رابعها ـ مفعول لأجله أى للرحمة. و«منا» متعلق بـ«رحمة» و«متاعاً» عطف على «رحمة» و«إلى حين» متعلق بـ«متاعاً».

٤٥ـ (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون)

الواو للعطف و«إذا» ظرف زمان، يضـاف إلى ما بعده و«قيل» فعل ماض، مبنيّ للمفعول، والجملة فى موضع جر، مضاف إليه لـ«إذا» وجواب الشرط محذوف دلّت عليه

الآية التالية: «كانوا عنها معرضين» أى إذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا... وجملة الشرط والجزاء معطوفه على جملة: «إن نشأ» لامحل لها، و«لهم» متعلق بـ«قيل» و«اتقوا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب، مقول القول، و«ما» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و«بين» ظرف منصوب، متعلق بمحذوف، صلة «ما» اضيف «بين» إلى «أيديكم» و«وما خلفكم» عطف على «ما بين أيديكم» و«لعلكم» ظرف مشبّه بالفعل، وضمير الخطاب في موضع نصب، إسمه، و«ترحمون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبنى للمفعول، في موضع رفع، خبره، و«لعلكم ترحمون» مستأنفة بيانية لامحل لها.

٤٦ـ (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين)

الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«تأتيهم» الفعل مضارع للمفرد المذكر الغائب، وضمير جمع المذكر الغائب في موضع نصب، مفعول به، و«من آية» في موضع رفع، فاعل الفعل، لأن «من» زائدة تزاد فى النفى للاستغراق كقولك: ما جاءنى من أحد أى ما جاءنى أحد، والجملة المنفية معطوفة على جملة: «إن نشأ» لامحل لها، و«من آيات» تبعيضية، متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«آية» اضيف إلى «رب» اضيف إلى «هم» والمعنى: ليس تأتيهم آية أيّة آية كانت إلّا ذهبوا عنها وأعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل من ضلّ عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة و«إلّا» للحصر، و«عنها» متعلق بـ«معرضين» وهو خبر لـ«كانوا» والجملة في موضع نصب، حال من المفعول أو من الفاعل.

٤٧ـ (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله أطعمه إن أنتم إلّا فى ضلال مبين)

الواو للعطف و«إذا قيل لهم أنفقوا» معلوم من آية: ٤٣) و«مما» «من» تبعيضية

و«ما» موصولة، والجار والمجرور متعلق بـ«أنفقوا» و«رزقكم» الفعل ماض، وضمير جمع الخطاب فى موضع نصب، مفعول، و«الله» فاعل الفعل، والجملة صلة الموصول لامحل لها، و«قال» فعل ماض، و«الذين» فى موضع رفع، فاعل الفعل، و«كفروا» صلة الموصول، والجملة جواب شرط «إذا» غير جازم، و«للذين» متعلق بـ«قال» و«آمنوا» صلة الموصول، و«أنطعم» الهمزة إستفهامية، والفعل مضارع للتكلم مع الغير، و«من» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«يشاء الله» فعل الشرط، و«أطعمه» جواب الشرط، والجملة صلة الموصول، وجملة «أنطعم...» مقولة القول، و«إن» نافية، و«أنتم» مبتداء و«إلّا» حرف حصر للاستثناء و«فى ضلال» متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداء، و«مبين» نعت لـ«ضلال» والجملة مستأنفة لامحل لها.

٤٨ـ (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)

الواو مستأنفة، و«يقولون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، والجملة المستأنفة لامحل لها، و«متى» إسم إستفهام، مبنيّ في محل نصب، ظرف زمان، متعلق بمحذوف، خبر مقدّم للمبتداء المؤخر وهو «هذا» و«الوعد» بدل من «هذا» والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«إن» حرف شرط جازم، و«كنتم» فعل ماض لجمع المذكر المخاطب من الأفعال الناقصة فى موضع جزم، فعل الشرط، و«صادقين» خبر لـ«كنتم» والجملة الشرطية مستأنفة لامحل لها، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله.

٤٩ـ (ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون)

«ما نافية، و«ينظرون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، و«إلّا» أداة حصر، و«صيحة» مفعول بها، و«واحدة» نعت لـ«صيحة» والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها، و«تأخذهم» الفعل مضارع لافراد تأنيث الغائب في موضع نصب، نعت

لـ«صيحة» أو حال من «صيحة» و«هم» فى موضع نصب، مفعول به، «وهم» الواو حالية، و«هم» مبتداء و«يخصّمون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافتعال، أصله: يختصمون، فحذفت حركة التاء، فابدلت التاء صاداً، وادغمت إحداهما في الاخرى، وكسر الخاء لسكون الصاد الاولى لأن الأصل في إلتقاء الساكنين الكسر، و«يخصّمون» في موضع رفع، خبر لـ«هم» والجملة في موضع نصب، حال من ضمير المفعول في «تأخذهم».

٥٠ـ (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون)

الفاء عاطفة وقيل: زائدة، و«لا» في الموضعين نافية، و«يستطيعون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الاستفعال، و«توصية» مصدر قياسي من باب التفعيل نحو تبصرة، مفعول بها، والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة «يخصّمون» أو بدل منها على زيادة الفآء، والواو للعطف، و«إلى أهلهم» متعلق بـ«يرجعون» والجملة فى موضع رفع، معطوفة على جملة «لايستطيعون».

٥١ـ (ونفخ فى الصور فاذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون)

الواو للعطف، و«نفخ» فعل ماض، مبنىّ للمفعول، و«فى الصور» فى موضع رفع، لقيامه مقام الفاعل، والجملة معطوفة على جملة «ما ينظرون» و«فاذا» الفاء عاطفة، و«إذا» فجائية، و«هم» مبتداء و«من الأجداث» جمع جدث، متعلق بـ«ينسلون» في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة معطوفة على «نفخ في الصور» لامحل لها.

٥٢ـ (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)

«قالوا» جملة مستأنفة لامحل لها، و«يا» حرف تنبيه وفى «ويلنا» وجهان: أحدهما ـ أن يكون «ويلنا» مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف غير مستعمل كأنهم قالوا

لبعضهم: ياهؤلاء ويلاً لنا، فلما أضاف، حذفت اللام الثانية. فيكون «ويلنا» منادى مضافاً، فويل هو المنادى و«نا» هوالمضاف إليه، ونداء الويل كنداء الحسرة في قوله تعالى: «يا حسرة على العباد» يس: ٣٠) ثانيهما- أن يكون المنادى محذوف، و«ويلنا» منصوب على المصدر كأنهم قالوا: يا هؤلاء ويلاً لنا، فلمّا اضاف حذفت اللام الثانية. وعلى أى الوجهين ان الجملة اعتراضية دعائية لامحل لها.

«من» إسم استفهام في موضع رفع، مبتداء و«بعثنا» في موضع رفع، خبره، و«من مرقدنا» إسم مكان متعلق بـ«بعثنا» والجملة في موضع نصب، مقولة القول. وفي «هذا ما وعد الرحمن» وجوه: أحدها -أن يكون «هذا» في موضع رفع على الابتداء و«ما» اسم موصول في موضع رفع على الابتداء و«وعد الرحمن» صلة الموصول على حذف العائد أي وعده خبر «ما» والجملة خبر لـ«هذا» والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها. ثانيها- ان «هذا» مبتداء و«ما» وما بعدها مصدر فلا تقدر حذفاً على تقدير: وقال لهم المؤمنون أو الملائكة: هذا ما وعد الرحمن أي هذا وَعْدُ الرحمن. فما مصدرية. ثالثها- أن يكون «هذا» في موضع جرّ نعتاً لـ«مرقدنا» فيوقف عليه وتكون «ما» في موضع رفع لأنه خبر مبتداء محذوف وتقديره: بعثكم ما وعد الرحمن. أو مبتداء وخبره محذوف أي حق. أو تكون «ما» نكرة موصوفة.

«وصدق المرسلون» معطوفة على «ما وعد الرحمن» لامحل لها أو معطوفة على «هذا ما وعدالرحمن» من عطف الفعلية على الاسمية.

٥٣- (إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون)

وقدمرّ نظيرها في آيتي: ٢٩ و ٣٢) من هذه السورة فراجع.

٥٤- (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلاّ ما كنتم تعملون)

الفاء عاطفة، و«اليوم» ظرف زمان، منصوب، متعلق بـ«تظلم» فعل مضارع

لافراد تأنيث الغائب المنفي بحرف «لا» و«نفس» نائب الفعل، و«شيئاً» مفعول مطلق، نائب عن المصدر أو مفعول به، وجملة «لا تظلم نفس...» في موضع نصب، معطوفة على مقولة قول مقدّر أي يقال لهم: اليوم يجزى الحساب فلاتظلم نفس...

«ولا تجزون» الواو للعطف، و«لا» نافية، والفعل مضارع لجمع المذكر الغائب، مبنيّ للمفعول، و«إلّا» للحصر وفي «ما» وجوه: أحدها ـ اسم موصول في موضع جرّ، بحرف محذوف أي بما على حذف العائد أي به. ثانيها ـ موصولة في موضع نصب، على نزع الخافض وحذف العائد. ثالثها ـ في موضع نصب، مفعول به ثان لـ «تجزون» رابعها ـ حرف مصدري، والمصدر المؤوّل: «ما كنتم» في موضع جرّ بباء محذوفة، متعلق ب «تجزون» أى تجزون بعملكم. وجملة «ولاتجزون إلّا...» معطوفة على جملة «لا تظلم نفس...» وجملة «تعملون» فى موضع نصب، خبر لـ «كنتم».

٥٥ ـ (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)

«إن» حرف مشبّه بالفعل، و«أصحاب» جمع صاحب، اضيف إلى «الجنة» إسمه، و«اليوم» ظرف زمان، منصوب، متعلق بـ «فاكهون» ولايجوز أن يكون «اليوم» خبراً لـ «إن» لأنه ظرف زمان، وظرف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث، ويجوز أن يكون عامله «في شغل» فتقديره: إن أصحاب الجنة كائنون في شغل اليوم. فقدّم معمول الظرف على الظرف كقولهم: كل يوم لك درهم. ولايجوز أن يكون العامل فيه نفس «شغل» لأنه مصدر وما كان فى صلة المصدر لايتقدّم عليه.

«في شغل» إسم من «شغل» باب فتح أو مصدر الفعل وزنه فُعُل بضمتين، متعلق بمحذوف وهو خبر أول لـ «إن» و«فاكهون» خبرثان. وقيل: «في شغل» متعلق بـ «فاكهون» والجملة المؤكدة مستأنفة لامحل لها.

٥٦ـ(هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون)

في الآية الكريمة وجوه من الاعراب: أحدها ـ«هم» مبتداء و«وأزواجهم» جمع زوجة وزوج، عطف على «هم» و«متكئون» إسم فاعل لجمع المذكر من باب الافتعال، خبر«هم» و«فى ظلال» جمع ظل أو ظلة، متعلق بـ«متكئون» و«على الأرائك» جمع أريكة، نعت لـ«ضلال» وقيل: «في ضلال على الأرائك» لاهما متعلقان بـ«متكئون» قدما لرعاية الفواصل. ثانيها ـ «هم» توكيد و«وأزواجهم» عطف على المضمر، و«متكئون» نعت لـ«فاكهون». ثالثها ـ «هم» مبتداء و«أزواجهم» عطف على «هم و«في ضلال» متعلق بمحذوف، خبر أول، وقيل: متعلق بحال من الضمير في «متكئون» و«على الأرائك» متعلق بـ«متكئون» وهو خبرثان. وقيل: متعلق بمحذوف وهو خبرثان، و«متكئون» خبر ثالث.

رابعها ـ «على الأرائك» مستأنف. وقيل: في موضع نصب، حال من ضمير «متكئون».

خامسها ـ «فى ظلال» متعلق بمحذوف وهو حال من ضمير «هم» أى مستقرين.

وجملة «هم ... متكئون» مستأنفة بيانية لامحل لها. وقيل: في موضع رفع، خبرثالث لـ«إن».

٥٧ـ(لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون)

فى إعراب الآية الكريمة وجوه: أحدها ـ «لهم» متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و«فاكهة» مبتداء مؤخر، و«فيها» متعلق بمحذوف، حال من «فاكهة» ثانيها ـ «فيها» متعلق بـ«استقر» تعلق به «لهم» والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها. ثالثها ـإن الجملة في موضع رفع، خبر رابع لـ«إن» رابعها ـ «فيها» معمول الخبر وهو «لهم» خامسها ـ بالعكس. سادسها ـ «لهم فيها» خبران لـ«فاكهة» سابعها ـ «لهم» وصف لـ«فاكهة» فلمّا تقدّم صار في موضع نصب، على الحال. ثامنها ـ «فيها» صفة لـ«فاكهة» فلمّا تقدّم

عليها صار في موضع نصب، على الحال.

تاسعها - «لهم فيها» كلاهما في موضع نصب على الحال لأنها إذا قدرا وصفاً لـ «فاكهة» وقد تقدما عليها نصفه النكرة إذا تقدمت عليها وجب أن ينصب على الحال لاستحالة أن تكون صفة لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف، فعدل إلى الحال لاشتراكهما في المعنى. «ولهم» الواو عاطفة، و«لهم» متعلق بـ «يدّعون» وفى «ما» وجوه: أحدها -إسم موصول بمعنى الّذي في موضع رفع، مبتداء و«لهم» خبره و«يدّعون» صلة الموصول على حذف العائد تخفيفاً. ثانيها -مصدرية، فمع ما بعدها مصدر، مبتداء، و«لهم» خبره. ثالثها -نكرة موصوفة، فما بعدها صفة لها، و«لهم» خبرها و«يدعون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافتعال، أصله: يدتعيون فلمّا جائت تاءالافتعال بعد الدال،قلبت دالاً على القاعدة فى باب الصرف، ثم ادغمت الدالان معاً، فصاريدّعيون، فاستثقلت الضمّة على الياء فسكنت ونقلت حركة الياء إلى العين -إعلال بالتسكين- ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع واو الجمع -إعلال بالحذف- فصار «يدعون» صلة الموصول على الوجه الاوّل فلامحل لها، وفي موضع رفع، نعت لـ«ما» على الوجه الثالث، «ولهم ما يدعون» معطوفة على «لهم فيها فاكهة» لامحل لها.

٥٨- (سلام قولاً من رب رحيم)

في إعرابها وجوه: أحدها -«سلام» مبتداء، خبره محذوف أي سلام عليكم. أو سلام عليهم. على سبيل الحكاية مما سيقال لهم من جهة الله تعالى يومئذ. أو لهم سلام أى تسليم قولاً من رب رحيم أو سلامة من الآفات. فيكون «قولاً» مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة. ويجوز الابتداء بالنكرة لانها تدل على عموم وهو المدح. وقيل: «قولاً» مفعول مطلق محذوف أي يقال لهم تولاً أو يقول الله قولاً. والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها. ثانيها- «سلام قولاً» في موضع نصب، مقول لقول مقدر أى يقول الله لهم: سلام أو

بـالقول أو يـقولون لهـم: سـلام بالقـول. ثالثـهـا ـ«سلام» مبـتداء و«من رب» مـتعلق بمحـذوف، خبـره. رابعهـا ـ«سلام» خبر لمبـتـداء محذوف تقـديره: هـو: أي ما يدّعون. خامسـها ـ «سـلام» بدل من «مـا» أي لهم مـا يتمنّون لهـم سلام. سـادسهـا ـ «سلام» نعت ثان لـ«ما» النكرة الموصوفة. أي ولهم شي يُدّعونه سلام أى مسلّم.

سابعها ـ «سلام» حال مـن «ما» أو من هاء محذوفة أى ذاسلامة أو مسلماً. ثامنها ـ«سلام» خبر لـ«ما» و«لهم» ظرف ملـغـى. تاسعهـا ـ قرئ «سلامـاً» بالنصب لأنه مصدر مؤكّد. وقيل: منصوب على الحالية أى لهم مرادهم سالماً خالصاً أو مسلّماً. وقيل: منصوب على التمييز لأن السلام مـن الملك قديكون قولاً وقـديكـون إشارة. و«من رب» متعلق بمحذوف وهـو نعت لـ«قولاً» وقيل: المحذوف نـعت لـ «سلام» اذا كان «قولاً» مع فعله خبر لـ«سلام» وقعت الجملـة الخبرية بين النـعـت والمنعوت. وقـيـل: «قولاً» مصـدر موكد لـفـعل هـو صـفة لـ«سلام» وقـيـل: «قولاً» مـنصـوب على الاختصـاص. و«رحيم» نعت من «رب».

٥٩ ـ (وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)

الواو للاستـئـناف، و«امتازوا» فعـل أمر لجمع المذكـر المخاطب من باب الافتعال، و«اليـوم» ظرف زمان، منصوب، مـتـعلق بـ«امتازوا» وجملة «امـتازوا...» مستأنفة لامحل لها. وقـيـل: في مـوضع نصب، مقولـة لقول مقدّر و«أيّـها» منادى نكـرة مقصودة، مـبـنيّ على الضمّ في مـوضـع نصب، وفي «المجرمون» وجوه: أحـدها ـبدل من «أيّ». ثانيها ـنعت لـ «أيّ» ثـالثها ـ عطف بـيان على «أيّ» تبعه في الـرفع لفظاً. وجملة: «أيها المجرمون» مستأنفة لامحل لها.

٦٠ ـ (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدوّ مبين)

الهمزة لـلاستـفهام، و«لم» حرف جـحـد جازم، و«أعهد» فـعـل مضارع للتـكـلم

وحده، مجزوم بحرف الجحد، و«إليكم» متعلق بـ«أعهد» والجملة مستأنفة لا محل لها، و«يا» حرف نداء و«بني» منصوب، لأنه منادى اضيف إلى «آدم» و«أن» حرف تفسيري. أو مصدري و«لا تعبدوا» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مجزوم بحرف «لا» ناهية، بحذف نون الرفع، و«الشّيطان» مفعول به وجملة «أن لا تعبدوا...» تفسيرية لا محل لها أو المصدر المؤوّل في موضع جر بالباء المقدرة، متعلق بـ«أعهد» و«انه» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«لكم» متعلق بمحذوف، وهو حال من «عدو» و«عدو» خبر لـ«إن» و«مبين» صفة لـ«عدو» والجملة المؤكدة تعليلية لا محل لها.

٦١ـ(وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)

الواو عاطفة، و«أن» كالسابقة، و«اعبدوني» النُون للوقاية والياء للتكلم وحده والجملة معطوفة على «أن لا تعبدوا» الكلام في محلّها هو الكلام في محلها، و«هذا» مبتداء، و«صراط» خبره و«مستقيم» نعت لـ«صراط» والجملة تعليلية لأمر العبادة لا محل لها.

٦٢ـ(ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون)

الواو عاطفة، و«لقد» اللام للقسم و«قد» حرف تحقيق، و«أضلّ» فعل ماض من باب الافعال، و«منكم» متعلق بمحذوف وهو حال من «جبلاً» مفعول به، و«كثيراً» نعت لـ«جبلاً» وجملة: «أضلّ...» جواب القسم لا محل لها، وجملة القسم المقدّرة معطوفة على «ألم أعهد» لا محل لها. و«أفلم» الهمزة للاستفهام، والفاء للعطف، و«تكونوا» مجزوم بحرف الجازم والجملة معطوفة على جملة مستأنفة مقدّرة أي أفقدتم صوابكم فلم تكونوا و«تعقلون» في موضع نصب، خبر لـ«تكونوا».

٦٣- (هذه جهنم التي كنتم توعدون)

«هذه» مبتداء و«جهنم» خبره. وقيل: «جهنم» بدل من «هذه» والخبر: «اصلوها» وجملة المبتداء والخبر مستأنفة لامحل لها، و«التي» موصولة في موضع رفع، نعت لـ«جهنم» و«كنتم» فعل ماض ناقص وإسمه، و«توعدون» في موضع نصب، خبر لـ«كنتم» والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي بها لامحل لها.

٦٤- (إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)

«إصلوها» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب، وضمير التأنيث في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «جهنم» والجملة مستأنفة لامحل لها، و«اليوم» ظرف زمان، منصوب، متعلق بـ«إصلوها» و«بما» إسم موصول في موضع جر، و«تكفرون» في موضع نصب، خبر لـ«كنتم» والجملة صلة الموصول على حذف العائد. ويجوز أن يكون «ما» حرفاً مصدرياً والمصدر المؤوّل: «ما كنتم تكفرون» فى موضع جر، متعلق بـ«اصلوها» والباء سببية.

٦٥- (اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)

«اليوم» ظرف زمان، منصوب، متعلق بـ«نختم» فعل مضارع للمتكلم مع الغير، و«على أفواههم» متعلق بـ«نختم» جملة مستأنفة لامحل لها، والواوان للعطف، و«تكلّمنا» الفعل مضارع لافراد تأنيث الغائب، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، و«أيديهم» جمع يد فاعل الفعل، عطف على «نختم» لامحل لها و«تشهد أرجلهم» عطف آخر على «نختم» والكلام في إعراب «بما كانوا يكسبون» هو الكلام في إعراب «بما كنتم تكفرون».

٦٦ـ (ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون)

الواو عاطفة، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«نشأ» فعل مضارع للتكلم مع الغير، فعل الشرط، واللام رابطة لجواب «لو» والفعل ماض للتكلم مع الغير جواب الشرط، و«على أعينهم» متعلق بـ«طمسنا» وجملة الشرط والجزاء مستأنفة لا محل لها ومن المحتمل أن يكون مفعول المشيئة محذوفاً على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطاً، وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه، والفاء ان للعطف، و«استبقوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافتعال، معطوفة على جواب الشرط. وقيل: الفاء سببية. و«الصراط» مفعول به تجاوزاً. وقيل: منصوب على نزع الخافض أي إلى الصراط، و«أنّى» إسم إستفهام في موضع نصب، ظرف مكان، متعلق بمحذوف، وهو حال، وعامله «يبصرون» أو على أنّه في معنى مصدره. والجملة معطوفة على «استبقوا» لا محل لها.

٦٧ـ (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون)

«مضياً» مصدر سماعيّ لـ«مضى يمضي» وزنه فُعُول ـبضم الفاءـ وفيه إعلال بالقلب لالتقاء الواو مع الياء ـمضويـ ومجيئ الاولى ساكنة، قلبت الواو ياء وادغمت مع الياء الاخرى، ثم كسرت الضاد لمناسبة الياء، فأصبح «مضيّ» وباقي إعراب الآية الكريمة ظاهر من آية قبلها.

٦٨ـ (ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)

الواو إستئنافية، و«من» إسم شرط في موضع رفع، مبتداء، و«نعمّره» الفعل مضارع للتكلم مع الغير من باب التفعيل، مجزوم باسم الشرط، والضمير في موضع نصب، مفعول به وجملة «نعمّره» في موضع رفع، خبر المبتداء، ويجوز أن يكون الشرط والجزاء معاً، خبر المبتداء، و«ننكّسه» كـ«نعمّره» جواب الشرط، و«في الخلق» متعلق

بـ«ننكّسه» والهمزه استفهامية، والفاء للعطف، و«يعقلون» معطوفة على الجملة المستأنفة المقدرة لامحل لها أي أيجهلون فلا يعقلون؟!

٦٩ـ (وما علّمناه الشعروما ينبغي له إن هو إلاّ ذكروقرآن مبين)

الواو للاستئناف، ويجوز أن تكون عاطفة، فالكلام يرجع إلى ما سبق في صدر السورة من حكمة القرآن الكريم، وتصديق رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وكون كتابه تنزيل العزيز الرحيم. و«ما» نافية في الموضعين، و«علمناه» الفعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل وضمير المفرد الغائب في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«الشعر» مفعول به ثان على حذف المضاف، تقديره: وما علمناه صناعة الشعر لأنهم نسبوه صلى الله عليه وآله وسلّم إلى ذلك في قوله تعالى: «افتراه بل هو شاعر» الأنبياء: ٥).

و«الشعر» اِسم للكلام الموزون المقفّي، جمعه: أشعار والجملة مستأنفة لامحل لها. «وينبغى» عطف على «علمناه» لامحل لها، وقيل: «وماينبغي» جملة اعتراضية و«له» متعلق بـ«ينبغي» وفاعله ضمير مستتر راجع إلى «الشعر» و«إن» نافية، و«هو» مبتداء و«إلاّ» للحصر و«ذكر» خبر لـ«هو» والجملة تعليلية لامحل لها، و«قرآن» عطف على «ذكر» و«مبين» نعت لـ«قرآن».

٧٠ـ (لينذرمن كان حياً ويحق القول على الكافرين)

اللام للتعليل، و«ينذر» فعل مضارع، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام، وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «القرآن» وقيل: إلى الله تعالى وقيل: إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمصدر المؤوّل: «أن ينذر» في موضع جر باللام، متعلق بفعل محذوف، تقديره: انزل. وقيل: متعلق بـ«علّمناه» أي لم نعلمه الشعر لينذر بالقرآن المنزّه من أن يكون شعراً من كان حياً. وقيل: متعلق بـ«إن هو إلاّ ذكر» أي ليس ما يتلوه رسولنا على الناس إلاّ ذكراً وقرآناً مبيناً نزلناه إليه لينذر من كان حياً.

«من» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و«كان» فعل ماض ناقص، إسمه مستتر فيه، راجع إلى «من» و«حياً» خبره والجملة صلة الموصول لامحل لها، و«ويحق» الواو عاطفة، والفعل مضارع، منصوب، معطوف على «ينذر» و«القول» فاعله، و«على الكافرين» متعلق بـ«يحق» والجملة المعطوفة لا محلّ لها.

٧١- (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون)

الهمزة للاستفهام، والواو للعطف، و«لم» حرف جحد جازم، و«يروا» مجزوم بحرف الجازم على حذف نون الرفع، والجملة معطوفة على جملة مستأنفة مقدرة أي أغفلوا ولم يروا... و«أنا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«خلقنا» فعل ماض للتكلم مع الغير في موضع رفع، خبر لـ«أن» و«لهم» متعلق بـ«خلقنا» والمصدر المؤوّل: «أنا خلقنا...» في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولي «يروا» و«مما» «من» تبعيضية أو بيانية متعلق بحال من «أنعاماً» و«ما» إسم موصول. وقيل: مصدرية و«عملت» فعل ماض و«أيدينا» جمع يد فاعل الفعل، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي عملته، و«أنعاماً» جمع نعم، مفعول به، والجملة لامحل لها.

«فهم» الفاء استئنافية و«هم» مبتداء و«لها» متعلق بـ«مالكون» وهو خبر المبتداء والجملة المستأنفة لامحل لها. وقيل: الفاء للتفريع على قوله: «خلقنا لهم» فالمعنى: خلقنا لأجلهم فهي مخلوقة لاجل الإنسان. ويجوز أن يكون مضمون الجملة وصفاً لـ«أنعاماً» فلامانع من جعل الجملة زائدة لمطلق الربط.

٧٢- (وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)

الواو للعطف، والفعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل، و«ها» فى موضع نصب، مفعول به، و«لهم» متعلق بـ«ذلّلنا» والجملة معطوفة على جملة «خلقنا» فى موضع رفع، و«فمنها» الفاء للتفريع، و«منها» متعلق بخبر مقدم، و«ركوبهم» إسم الفعل

بمعنى المفعول مبتداء مؤخر، والجملة مستأنفة لامحل لها، و«منها» الثاني متعلق بـ«يأكلون» والجملة معطوفة على «منها ركوبهم» فلا محل لها. «ركوب» إسم لما يركب من الحيوانات جمعه: ركائب.

٧٣ـ (ولهم فيها منافع ومشارب أفلا تشكرون)

الواو عاطفة، و«لهم» متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم، و«فيها» متعلق بحال من «منافع» المبتداء المؤخر، جمع منفعة، من صيغة منتهى الجموع، والجملة معطوفة على «منها ركوبهم» لامحل لها «ومشارب» جمع مشرب ـ مصدر ميمي بمعنى المفعول ـ عطف على «منافع» و«أفلا» الهمزة للاستفهام، والفاء للعطف، و«لا» نافية، و«يشكرون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، منفيّ بـ«لا» والجملة معطوفة على جملة مستأنفة مقدّرة أي أجحدوا ذلك فلا يشكرون؟!

٧٤ـ (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون)

الواو للاستئناف، والفعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافتعال، أصله: إأتخذوا. فاجتمعت الهمزتان، فابدلت همزة فاعل الفعل تاءاً، فادغمت فى تاء الافتعال، و«من دون الله» متعلق بمحذوف، مفعول ثان، و«آلهة» جمع إله، مفعول أوّل، والجملة مستأنفة لامحل لها. ويجوز أن تكون الواو عاطفة، فتكون الجملة معطوفة على مستأنفة مقدرة أي: ما شكروا واتخذوا... و«لعلّ» حرف ترجّي، وضمير الجمع في موضع نصب، إسمها، و«ينصرون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، فى موضع رفع، خبر«لعل» والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها، ويجوز أن تكون في موضع نصب، حال من فاعل «اتخذوا» والرابط محذوف أي لعلهم ينصرون بهم. أو نعت لـ«آلهة».

٧٥ـ (لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)

«لا» نافية، و«يستطيعون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الاستفعال، و«نصرهم» مفعول به، والجملة مستأنفة بيانية اخرى لامحل لها، و«وهم» الواو عاطفة و«هم» مبتداء، و«لهم» متعلق بمحذوف وهو حال من «جند» وهو خبرلـ«هم» و«محضرون» إسم مفعول من باب الافعال، نعت لـ«جند» أو خبرثان لـ«هم» والجملة معطوفة على «جملة لايستطيعون» لامحل لها. أو في موضع نصب، حال من ضمير «نصرهم».

٧٦ـ (فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرّون وما يعلنون)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر أي إن قالوا ما يؤذيك فلا يحزنك قولهم... وقيل: الفاء لتفريع النهي عن الحزن عن حقيقة اتخاذهم الآلهة من دون الله. و«لا» ناهية جازمة، وضمير الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم في موضع نصب، مفعول به، و«قولهم» فاعل الفعل، والجملة في موضع جزم للشرط المقدر. و«إنا» حرف مشبّه بالفعل، وإسمه، و«نعلم» فعل مضارع للتكلم مع الغير، في موضع رفع، خبر «إن» والجملة مستأنفة تعليلية لامحل لها. وقيل: الجملة المؤكدة فى موضع نصب، مفعول لـ«قولهم» وهو بعيد جداً. و«ما» إسم موصول، في موضع نصب، مفعول به، و«يسرّون» فعل مضارع من باب الافعال، صلة الموصول على حذف العائد أي يسرّونه. ويجوز أن تكون «ما» حرفاً مصدرياً، والمصدر المؤوّل: «ما يسرّون» في موضع نصب، مفعول به، و«وما يعلنون» عطف على «ما يسرّون».

٧٧ـ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين)

الهمزة للاستفهام والواو إستئنافية، و«ير» فعل مضارع، مجزوم بـ«لم» على حذف الياء، و«الانسان» فاعل «ير» والجملة مستأنفة لامحل لها، و«خلقنا» في موضع رفع

خبر لـ«أن» وضمير الغائب فى موضع نصب، مفعول به، و«من نطفة» متعلق بـ«خلقنا» والمصدر المؤوّل: «أنا خلقناه» في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولي «ير» و«فاذا» الفاء عاطفة و«إذا» فجائية، و«هو» مبتداء و«خصيم» خبره و«مبين» نعت لـ«خصيم» والجملة معطوفة على الاستئنافية لامحل لها.

٧٨ـ (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم)

الواو عاطفة، و«ضرب» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الانسان» و«لنا» متعلق بـ«ضرب» وقيل: «لنا» متعلق بمحذوف، وهو مفعول به ثان لتضمين «ضرب» معنى جعل، و«مثلاً» مفعول به، والجملة معطوفة على جملة «هو خصيم» من عطف الفعلية على الاسمية لامحل لها، و«ونسى» الواو عاطفة و«نسي» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر، راجع إلى «الانسان» و«خلقه» مفعول به، والجملة معطوفة على «ضرب» وقيل: الجملة في موضع نصب، حال من فاعل «ضرب» و«قال» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الانسان» مستأنف بيانى لامحل لها، و«من» إسم إستفهام، في موضع رفع، مبتداء، و«يحيى» فعل مضارع من باب الافعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» في موضع رفع، خبر «من» و«العظام» جمع العظم، والجملة الاستفهامية في موضع نصب، مقولة القول، و«هى» الواو للحال و«هي» مبتداء و«رميم» خبره، والجملة في موضع نصب، حال من «العظام».

«رميم» صفة لم تلحقه التاء إما لأنه فعيل بمعنى المفعول فيستوي فيه المذكر والمؤنث مثل عجوز عقيم. أو لغلبة الاسمية عليه إذا كان بمعنى الفاعل، وقيل: صفة لموصوف محذوف أي شئ رميم. وقيل: إسم لما بلى من العظام كالرمة والرفات. وقيل: مصدر جاء على لفظ فعيل كالنعيق والصهيل.

٧٩ـ (قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم)

«قل» فعل أمر، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والجملة مستأنفة لامحل لها، و«يحييها» الفعل مضارع من باب الافعال، وضمير التأنيث فى موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «العظام» و«الذى» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، والجملة فى موضع نصب، مقولة القول و«أنشأها» الفعل ماض من باب الإفعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الذي» وضمير التأنيث، مفعول به، والجملة صلة الموصول لامحل لها، و«أوّل» مفعول مطلق، اضيف إلى «مرّة» و«أوّل» نائب عن المصدر، فهو نعت له، «وهو» الواو للعطف، و«هو» مبتداء، و«بكل» متعلق بـ«عليم» اضيف إلى «خلق» و«عليم» خبر المبتداء والجملة معطوفة على جملة الصلة لامحل لها.

٨٠ـ (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون)

«الذي» موصول بدل من «الذي» السابق، ويجوز أن يكون مرفوعاً أو منصوباً على المدح، و«جعل» صلة الموصول لامحل لها، و«لكم» متعلق بمحذوف، مفعول به ثان، و«من الشجر» متعلق بمحذوف وهو حال من «ناراً» و«الأحضر» إسم دالّ على اللون، ويستعمل فى مجال الوصف، نعت لـ«الشجر» و«ناراً» مفعول به أول، «فاذا» الفاء عاطفة و«إذا» فجائية، و«أنتم» ضمير مرفوع منفصل لجمع المذكر المخاطب، مبتداء، و«منه» متعلق بـ«توقدون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الافعال، فى موضع رفع، خبرالمبتداء، وجملة المبتداء والخبر، معطوفة على جملة الصلة، مربوطة معها برابطة السببية تابعة لها، ولامحل لها.

٨١ـ (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم)

الهمزة استفهامية، والواو عاطفة، و«ليس» من أفعال الناقصة، و«الذي» في

موضع رفع، إسم «ليس» و«خلق» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الذى» صلة الموصول وجملة «ليس الذي خلق...» معطوفة على مستأنفة مقدرة أي: أليس أنشأ المخلوقات أوّل مرّة وليس الّذي خلق السّموات... و«السّموات» جمع السماء، مفعول به، «والأرض» عطف على «السموات» و«بقادر» خبر «ليس» على زيادة الباء التأكيد النفي فـ«قادر» مجرور لفظاً، منصوب محلاً، و«أن» حرف مصدرى والمصدر المؤوّل: «أن يخلق» فى موضع جر، متعلق بـ«بقادر» و«بلى» حرف جواب لايجاب السؤال المنفي أي بلى هو قادر «وهو» الواو عاطفة و«هو» مبتداء و«الخلاق» صيغة مبالغة، خبر أوّل لـ«هو» و«العيلم» خبرثان لـ«هو» أو نعت لـ«الخلاق» والجملة معطوفة على مستأنفة مقدرة لامحل لها. تقديره: بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق العليم.

٨٢ـ (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

«إنما» كافة ومكفوفة، و«أمره» مبتداء و«إذا» ظرف زمان، اضيف إلى «أراد» فعل ماض، فاعله مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى، و«شيئاً» مفعول به، وجملة: «أراد شيئاً» في موضع جر، مضاف إليه، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله أي فأمره قوله له كن... والشرط وفعله وجوابه اعتراض، و«أن» حرف مصدرى، و«يقول» منصوب بـ«أن» والمصدر المؤوّل: «أن يقول» فى موضع رفع، خبر لـ«أمره» والجملة مستأنفة في حكم التعليل لامحل لها، و«كن» فعل أم تام في موضع نصب، مقول القول، وجملة «يكون» فعل تام في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف. تقديره: هو... والجملة الاسميّة معطوفة على جملة: «أمره...» لامحل لها. ويجوز أن تكون الفاء استئنافية و«يكون» مستأنفة لامحل لها. وقرئ «فيكون» بالنصب، عطفاً على «نقول» وجعله جواب الأمر بعيد.

٨٣ـ (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيْ وإليه ترجعون)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي: إن كان أمره كذلك فسبّحه... و«سبحان» مفعول مطلق لفعل محذوف، والجملة في موضع جزم، جواب للشرط المقدر، و«سبحان» اضيف إلى «الذى» إسم موصول و«سبحان» علم للتسبيح، و«بيده» متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم و«ملكوت» مبتداء مؤخر. قيل: زيادة الواو والتاء فى «ملكوت» للمبالغة، اضيف إلى «كل» أضيف إلىٰ «شيْ» والجملة صلة الموصول لامحل لها. «وإليه» الواو للعطف، و«إليه» متعلق بـ«ترجعون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبنيّ للمفعول، والجملة معطوفة على جملة الصلة لامحل لها.

﴿البيان﴾

١ ـ (يس)

نداء للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم تعظيماً لشأنه وتمجيداً لمكانته، وقدورد كثيراً إن «يس» إسم من أسماء محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مع كونه قلباً للقرآن المجيد، حيث ان محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم كان قلب عالم الامكان، ونقطة نظام الكون، وحقيقة نواميس الوجود، ومجمع الفضائل والكمالات... كما أن سورة «يس» مجمع الخير والمعارف والحكم... وقدافتتحت السورة بـ«يس» لأنه قلب، والقلب أمير على الجسد، وكذلك «يس» أمير على سائر السور، مشتمل على القرآن كله.

٢ ـ (والقرآن الحكيم)

هذا بيان لطبيعة الوحي وحقيقة القرآن الكريم، وفي القسم بالقرآن تشريف لمقامه، وتعظيم لشأنه، وتنويه بمنزلته، وتأكيد في صدقه، وتجليل لموضع العبرة به، وكيف لايكون في قمّة التشريف والتعظيم، والتكريم وهو آيات الله جل وعلا وكلماته...؟ وهذه اول سورة في القرآن الكريم مصحفاً صدّرت ـ بعد كلمة يس ـ بالقسم.

وصف الله عزوجل القرآن هنا بالحكمة لاشتماله بها التي هي حقائقه، وما يتفرّع عليها من المعارف والمواعظ، من الشرائع والعبر، من الفوائدوالآثار في جميع شئون الحياة الانسانية، من الخواص المادية والمعنوية، ومن المنافع الدنيوية والاخروية... وفي وصفه بها هنا إلفات لما اشتمل عليه من فرائد الحكمة التي هى مورد العقول السليمة، ومطلع

الأفكار العميقة ومطلب الحكماء الصديقة، ومقصد العلماء الفريدة... فمن ينظر في القرآن الحكيم، لابد وأن ينظر فيها بعقل سليم، وفكر عميق، وبصيرة متطلعة... حتّى يظفر ببعض مايتحدّث به هذا الوحي السماوي، فانه لاينتفع بحكمة الحكيم إلّا من جاء بقلب سليم، وكان ذاحكمة وبصيرة...

نعم: قسم من الله جل وعلا بهذا القرآن الذي وصفه بأنه «حكيم» من حيث ان فيه الحكمة كلّها فصار ذلك بمنزلة الناطق به للبيان عن الحق الذي يعمل به ويدعو إليه، وذلك ان الحكمة قدتكون المعرفة نفسها، وقدتكون ما يدعو إلى المعرفة وأصله: المنع من الخلل والفساد، فالمعرفة تدعوا إلى ما أدّى إلى الحق من برهان أو بيان، ففي وصف القرآن بالحكمة حثّ على الايمان به ترهيباً وترغيباً، مع أن الابتداء بصورة اليمين يدل على أن المقسم عليه أمرعظيم، والأمر العظيم تتوفّر الدواعي على الاصغاء إليه، وقدكانت العرب يتحرزون من الأيمان الفاجرة، ويقولون: إنها تدع الديار بلاقع، وكان من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ومن آمن به حقاً يعظمون القرآن الكريم غاية التعظيم، وكان اليمين به موقوفاً عليه عند المشركين.

وفي تخصيص القرآن بالاقسام به أوّلاً وبوصفه بالحكيم ثانياً تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم من حيث نظمه المعجز المنطوى على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية أيضاً لما أن الإقسام بالشئ استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته، فيكون شاهداً به ودليلاً عليه قطعاً.

٣-(إنك لمن المرسلين)

هذا بيان لحقيقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم خطاب له صلى الله عليه وآله وسلّم وتوكيد للصفة التى له عند الله جل وعلا، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلّم من المرسلين الذين اصطفاهم الله عزوجل لرسالته إلى عباده، جواب للقسم ردّاً على إنكار المشركين بقولهم في حق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم: إنك لست مرسلاً. وهذه الشهادة من الله

تـعالى من جملـة ما اشيرإليـه بقوله سبحانـه من جوابهـم: «قل كفى بالله شهـيداً بيني وبينكم» الرعد: ٤٣) فأقسم عزّوجلّ بالقرآن الحكيم أن محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم من المرسلين. وفي الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم تعظيم لشأنه وتكريم لمنزلته، وتأييد على أن «يس» نداء لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم وتطمينه وتثبيته صلى الله عليه وآله وسلّم ازاء ما ظل يلقاه من أكثر قومه من عناد ولجاج وجحود وموقف شديد آلمت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وأثارت نفسه الكريمة.

٤ـ (على صراط مستقيم)

هذا بيان لطبيعة الرسالة إثر بيان طبيعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم بأن الرسالة قائمة واضحة قاطعة كحدّ السيف لاعوج فيها ولا انحراف ولا إلتواء ولا فتور ولا ميل ولاغموض ولا التباس فيها، وفي الآية توكيد للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بصدق رسالته.

إن تسئل: إن المرسلين لايكونون إلا «على صراط مستقيم» فأيّة حاجة بذكر ذلك ؟

تجيب عنه: إن الغرض وصفه صلى الله عليه وآله وسلّم ووصف ماجاء به من الشريعة، فجمع الله عزوجل بين الوصفين في نظام واحد كأنه جل وعلا قال: «انك لمن لمرسلين» الثابتين على طريق ثابت. وتنكير «صراط مستقيم» للتفخيم والتعظيم. وفي «صراط مستقيم» وجهان: أحدهما ـ خبرثان لـ «انّك » أي إنّك صلى الله عليه وآله وسلّم قائم ثابت على دين قويم وشرع مستقيم يؤدى إلى الكمال والسعادة فمن اتبعك فقد اهتدى، ومن اتخذ سبيلاً غير سبيلك فقد ضلّ وهلك. ثانيهما ـ حال من المستكن «لمن المرسلين» على أنه عبارة عن الشريعة الكاملة لاعن التوحيد فقط، وفائدته بيان أن شريعته صلى الله عليه وآله وسلّم أقوم الشرائع وأعد لها كما يعرب عنه التنكير التفخيمى والوصف.

وقيل: ان توصيف الصراط بالمستقيم للتوضيح، فان الصراط هو الطريق الواضح المستقيم، والمراد به الطريق الذي يوصل عابريه إلى الكمال الانساني والسعادة في الدنيا،

وإلى الجنة في الآخرة.

٥ـ (تنزيل العزيز الرحيم)

في تعبير التنزيل عن القرآن الكريم بيان لكمال عراقته في كونه منزلاً من عند الله عزوجل وصحّة نسبة التنزيل القرآني إلى الله جل وعلا وقوة إحكامه كأنه نفس التنزيل، وإظهار لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية. وفيه تعريف الله عزّوجل عباده بنفسه ليدركوا حقيقة ما نزّل إليهم. وفي تخصيص الاسمين الكريمين: «العزيز الرحيم» المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حثّ على الايمان به ترهيباً بوصف «العزيز» المنتقم ممن خالفه، وترغيباً بوصف «الرحيم» بمن وافقه، وإشعار بأنّ تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الأنبياء: ١٠٧)

٦ـ (لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون)

بيان لحكمة هذا التنزيل، وبيان لوظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وتعليل لهذا الارسال وغرض البعثة، ومهمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم، وان هذا الحشد العظيم من الصفات العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هو وإن كانت تكريماً له وإمتناناً عليه، باحسان ربه إليه صلى الله عليه وآله وسلّم ولكنّه تكريم أيضاً لهؤلاء الجاهلين، وامتنان بفضل الله عزوجل عليهم إذ بعث فيهم خير رسله وأشرف بريئته وخاتم أنبيائه ومجتمع كتبه، وفي هذا تحريص وترغيب وحثّ لهم على أن يقبلوا على هذا الخير الكثير المرسل إليهم، وأن يأخذوا حظهم منه صلى الله عليه وآله وسلّم كقوله تعالى: «هو الذى بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ...» الجمعة: ٢)

وقوله جل وعلا: «ما انذر آباؤهم» وصف لقوله عزوجل: «قوماً» من باب وصف الشئ بحال متعلقه أي قوماً غير منذر آبائهم كقوله تعالى: «لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من

قبلك» السجدة: ٣) وذكرهم وحدهم هنا لأن الخطاب كان لهم، وهذا لايمنع ان محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم كان مرسلاً إلى الناس كافة كما قال تعالى: «وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً» سبأ: ٢٨)

إن تسئل: إن قوله عزّوجل: ««ما انذر آباؤهم» يشير إلى أنهم لم يُبعث فيهم رسول قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وقد بعث الله تعالى إسمعيل عليه السلام؟

تجيب عنه بأجوبة: أحدها ـ ان رسالة اسمعيل عليه السلام كانت مقصورة على أهله لقوله تعالى: «واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة» مريم: ٥٤ـ ٥٥)

ثانيها ـ إن المراد بآبائهم آباؤهم الأذنون، فان الأبعدين من آبائهم كان فيهم النبي إسمعيل ذبيح الله، وقد ارسل إلى العرب رسل آخرون كهود وصالح وشعيب عليهم صلوات الله.

ثالثها ـ إن كان المراد جميع الناس المعاصرين نظراً إلى عموم الرسالة فكذلك أيضاً فآخر رسول معروف بالرسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم هو عيسى عليه السلام وبينهما زمان الفترة.

رابعها ـ أن المعنى: لم ينذروا برسول من أنفسهم، ولكن بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبياء عليهم السلام، وان غفلوا وأعرضوا عنها ونسوها.

خامسها ـ إن الخطاب يكون لقوم لم يبلغهم خبرنبيّ.

وقوله تعالى: «فهم غافلون» بيان لحال المشركين عند نزول الوحي السماوي على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بأنهم كانوا فى جهل وغفلة مستمرة عن معرفة الشرائع التي فيها سعادة البشر واصلاح المجتمع، وإذا كان لهذه الرسالة أثر، فقد اندثر وعفّى عليه الزمن وسط الظلام الجاهلية وضلالها، فكانوا بهذا في أشدّ الحاجة إلى من يعالج هذا الداء المتمكن فيهم.

٧- (لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون)

قسم ثان، وإخبار من الله جل وعلا وبيان إجمالي لطبيعة أكثر المشركين، وحملة شديدة على معظم القوم المشركين الذين لم ينتفعوا بالانذار ووقفوا من الدعوة موقف العناد واللجاج... جواب للقسم المقدر أي والله لقد ثبت وتحقق عليهم ألبتة ولايبدل، ولكن لاعلى طريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه، كما توهم أكثر العامة اللجوج، بل بسبب إصرارهم الاختياري على الكفر والطغيان، على الانكار والعصيان، وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوّهم في العتو والجحود، وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لايلويهم صارف ولايثنيهم عاطف، كيف لا والمراد بما حق عليه من القول قوله تعالى لابليس عند قوله: «فبعزّتك لاغوينهم أجمعين»: «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٢- ٨٥) وهي المعنى بقوله عزّوجل: «وتمّت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» هود: ١١٩)

كما يلوح به تقديم الجنّة على الناس، فانه كما ترى قدأوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس، وذلك تعليل له بتبعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبّرعنهم بأكثرهم إنّما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعيّة إبليس أبداً، وإذ قدتبيّن ان مناط ثبوت القول وتحقّقه عليهم إصرارهم على الكفر إلى الموت، ظهر أن قوله عزوجل: «فهم لايؤمنون» متفرّع على الحقيقة على ذلك لاعلى ثبوت القول، ولاالتعليل لثبوت القول كما زعمته العامة!

٨- (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون)

إخبار من الله جل وعلا وتقرير لتصميم أكثر المشركين على البقاء والاصرار على الكفر والشرك والعناد واللجاج بتمثيل حالهم بحال الذين غلّت أعناقهم، فهم على ذلك لايذعنون للايمان ولايخفضون رؤسهم له، ففيه بيان لما يترتب على عناد المشركين ولجاجهم وإصرارهم على الشرك وبقائهم على الكفر من جعل الله تعالى أغلالاً وأطواقاً

من حديد أشبه بالقدارة تطوق بها أعناقهم... حتّى تصل إلى أذقانهم، بحيث لايستطيعون أن يحرّكوا رؤسهم يمنة ويسرة أو إلى تحت أو فوق... الصورة التي تبدو ممن طوّق بهذا الطوق، أنه تمثال جامد، وأنّه لايستطيع أن يرى غير الطريق القائم بين يديه الذي كان هو مصرّاً مصمّماً عليه، أما ماحوله عن يمنة ويسرة فلايرى منه شيئاً كما كان يريد أن لايرى غير ماكان عليه من الشرك والطغيان والكفر والعصيان، ومن العناد واللجاج...

وان الطريق الذي بين يدي هؤلاء المشركين هو طريق الضلال الذي كانوا مصرّين عليه، فتركهم الله تعالى فى ضلالهم، وإذن فلا طريق لهم غيره: «الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» البقرة: ١٥-١٦) «ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الأنعام: ١١٠)

ان الأغلال التي جعلها الله تعالى في أعناق هؤلاء المشركين المصممين على الشرك والكفر، وعلى الطغيان والجحود... هي أغلاق معنوية، فمن ينظر إليهم وهم ماضون على طريق الشرك والضلال، لايلتفتون إلى هذا النور الذي عن يمينهم وشمالهم، ولا من أمامهم ومن خلفهم، يخيّل إليه أن في أعناق القوم أطواقاً من حديد قدشلّت حركة رؤوسهم، فلم يقدروا على إلفاتها يمنة ويسرة... فكأنما قيّدت رؤوسهم بالأغلال فعجزوا عن تحريكها يميناً وشمالاً لاستبانة طريق الهدى، وموقفهم ضدّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم لخبث نيتهم وعزوفهم عن الحق فهي من باب قوله تعالى: «ويضلّ الله الظالمين» ابراهيم: ٢٧) وقوله تعالى: «وما يضل به إلاّ الفاسقين» البقرة: ٢٦) وتنكير «أغلالاً» للتفخيم والتهويل.

وفي تلخيص البيان: قال السيد الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه: «وهاتان (-آيتا ٨ و ٩) إستعارتان ومن أوضح الأدلّة على ذلك أن الكلام كلّه في أوصاف القوم المذمومين وهم في أحوال الدنيا دون الآخرة ألا ترى قوله تعالى بعد ذلك: «وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون» وإذا كان الكلام محمولاً على أحوال الدنيا دون

الآخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام إليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالأغلال ولامضروباً عليهم بالأسداد، علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة» فكأن ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الأذقان، وليّ الأعناق ذهاباً عن الرشد، وإستكباراً عن الانقياد للحق وضيق صدورهم بما يرد عليهم من صوادع البيان وقوارع القرآن.

وقد اختلف في معني الاقماح: فقال قوم: هو غضّ الأبصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السّقيفة:

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح

وقال قوم: المقمح: الرافع رأسه صعداً، فكأن هؤلاء المنمومين شبّهوا على المبالغة في وصف تكارههم للايمان، وتضايق صدورهم لسماع القرآن بقوم عوقبوا فجذبت أعناقهم بالأغلال إلى صدورهم مضمومة إليها أيمانهم ثم رفعت ليكون ذلك أشد لايلامهم وأبلغ في عذابهم. وقيل: ان المقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه فكأنه جامع بين الصفتين جميعاً. وقيل: إنّ قوله تعالى: «فهي إلى الأذقان» يعني به أيمانهم المجموعة بالأغلال إلى أعناقهم، فاكتفى بذكر الأعناق من الأيمان لأنّ الأغلال تجمع بين الأيمان والأعناق.

وكذلك معنى السّدّ المجعول بين أيديهم ومن خلفهم إنّما هو تشبيه بمن قصر خطوه وأخذت عليه طرقه، ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المنمومة إنما هو عقيب تلاوة القرآن عليهم ونفث قوارعه في أسماعهم حسن أن يضيف سبحانه ذلك إلى نفسه فيقول: «إنا جعلنا» هم على تلك الصفات... وقال بعضهم: المراد بذكر السد ههنا: الاخبار عن خذلان الله إياهم وتركه نصرهم ومعونتهم كما تقول العرب في صفة الضال المتحيّر: فلان لاينفذ في طريق يسلكه ولايعلم أمامه أم ورائه خير له وعلى ذلك قول الشاعر:

فأصبح لايدرى وإن كان حازماً أقدامه خيرله أم وراؤه

وأما قوله سبحانه: «فأغشيناهم فهم لايبصرون» فهوأيضاً في معنى الختم والطبع، وواقع على الوجه الذى يقعان عليه وقدتقدّم ايماؤنا إليه» انتهى كلامه ورفع مقامه.

٩-(وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون)

إما تتمة للتمثيل السابق وتكميل له أيّ تكميل، وإما تمثيل مستقل لسدّ طرق الايمان عليهم بسوء إختيارهم، وتشبيه لحالتهم التعنّتية تجاه الحق بالمغلول الممنوع بالسدّ والحجب من حيث لم ينتفع بما سمع وأعرض عن الاستدلال، فشبّههم بمن أحاط بهم سدّان، فغطيت أبصارهم بحيث لايرون ما أمامهم وما خلفهم، فهم محبوسون بأيديهم في مطمورة الجهالة والغفلة، ممنوعون عن النظر في الآيات الآفاقية والأنفسية، فكأنه قال: وتركنا هؤلاء المشركين المصرّين على الشرك والطغيان، مخذولين، فصار ذلك من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً. وهذا كمن أوقع نفسه في النارفأحاطت به، فليس له سبيل النجاة إلّا الاحتراق، فان الطريق إذا انسدّ على الداخل في النارفهو هالك لامحالة لأن الموضع الذي هو فيه لايكون موضع إقامة وسلامة.

ففي الآية الكريمة زيادة بيان وتفصيل وتمثيل لحالهم في حرمانهم من الاهتداء إلى الايمان، وتحريمه عزوجل عليهم ذلك جزاءً لاصرارهم على الكفروالعناد، وتصميمهم على غوايتهم وطغيانهم في ذلك، فكأنما ضرب عليهم سد حجب عنهم رؤية الحق، ومنعهم من طريق الهدى، إذ جعلوا من أنفسهم صخرة صمّاء وحجراً صلداً لايتأثر به، فحجبوا عن رؤية الحق ومنعوا من سبيل الرشاد، إذ جزاء سيئة سيّئة مثلها.

كمن أكل طعاماً فاسداً باختياره فصارمريضاً فمات، فاختارهو سبب الموت فأماته الله تعالى وكذلك الروح إذا انحرفت عن جادة العقل وأخذت في معاكسة الفطرة فصارت مريضة، فأماتها الله جل وعلا، والسبب في هذا المرض الروحى هو التفريط في عدم تمرين الروح بما يلائمها من غذاء سليم في هدى العقل الرشيد، وكلّما استبدّ صاحبه

في هذا الانعطاف غير الطبيعي ازداد إعوجاجاً عن الجادة الوسطى المستقيمة، واقتراباً إلى ملتويات الطريق، وبالمآل إلى سقوط هائل في مهاوي الضلال السحيق: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» الصف: ٥).

قوله تعالى: «من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً» كناية عن جميع الجهات.

١٠ـ (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)

بيان لشأنهم بطريق التصريح إثر بيانه بطريق التمثيل، وتأييس عن إهتدائهم ورشادهم إلى الخير والكمال، على سبيل التقرير لنتيجة ما سبق من غفلتهم، فحق القول عليهم، فجعل الأغلال في أعناقهم، فأحاط السدّ بهم، فغطيت أبصارهم وعميت بصيرتهم، وهذا ما يقضى به الوضع الذي كان هؤلاء المشركون عليه لأنهم لن يتحوّلوا عن حالهم التى كانوا هم فيها، فلقد جمدوا عليها كما تحنط الموتى في توابيتها: «وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون» يونس: ١٠١) وإذاً فلايقف النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم كثيراً عن هؤلاء المشركين الذين وقفوا من الدعوة هذا الموقف المحادّ لها المتربص بها...

قوله تعالى: «لايؤمنون» مستأنف مؤكد لما قبله مبيّن لما فيه من الاجمال مما فيه الاستواء أو حال مؤكّدة أو بدل منه.

١١ـ (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم)

بيان لطبيعة من يتأثر بالوحي إثر بيان من لم يتأثر به، والقصر للافراد، والمراد بالانذار هو الانذار لأن المؤثر هو المؤثر، وذلك ان اقتضاء التأثير في المؤثر لايختلف وإنما الاختلاف في المتأثر، فمنهم من يتأثر لاقتضاء التأثر فيه، ومنهم من لايتأثر لفقد الاقتضاء فيه. في الآية الكريمة تقرير لطبيعة من يتأثر بالوحي وتؤثر فيه الرسالة الالهية مع بيان علامة التأثير والتأثير بأمرين: أحدهما ـ اتباع الذكر ثانيها ـ الخوف المشوب

بالرجاء من الله جل وعلا، فمن لم يصغ ولم يتبع الوحى، ولم يخش بالغيب، فلا يؤثر فيه الوحى، ولايتبع الذكر، فالسبب في اتباع الذكر ثم الايمان هوالخشية، فكأنه قال: من لم يخش الله تعالى بالغيب لايتبع الذكر، ومن لم يتبع الذكر فلن يؤمن بالله تعالى فالتلاوة أو الاستماع لايكفي، كما يشعر على ذلك التعبير بالماضي: «اتبع ـ خشي».

قوله تعالى: «وخشي الرحمن» في ذكر الخشية مع تعقيبه باسم «الرحمن» إشارة إلى أنّ قهره جل وعلا مقرون بلطفه ورحمته بأنه مع كونه ذاهبة لا تقطعوا رجاءكم، وأن خشيتهم خوف مشوب برجاء وهو الذى يقرّ العبد في مقام العبودية، فلا يأمن ولايقنط.

وقوله تعالى: «فبشّره» الفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية أى انك كما أنذرت وخوّفت فبشر بمغفرة واسعة وأجركريم لايكتنه كنهه فكأن المغفرة بازاء الايمان، والأجر الكريم للعمل الصالح، أو الأوّل لا تباع الذكر والثاني للخشية. وفي تنكير: «مغفرة وأجر كريم» من التفخيم، كما في توصيف «أجر» بـ«كريم» من التعظيم مالا يخفى على المتأمل الخبير. في الآية الكريمة تسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بأنا أرسلناك لتنذر الناس وينتفع بانذارك الذين حسنت نياتهم وصدقت رغباتهم في الحق، واستشعروا بخوف ربهم فآمنوا به واتبعوا قرآنه ورسوله فاستحقوا مغفرته وأجره الكريم.

١٢ ـ (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدّموا وآثارهم وكلّ شئ أحصيناه في إمام مبين)

إخبار عن نفسه، وعرض لبعض مظاهر قدرة الله جل وعلا وهي من الغيب الذي آمن به المؤمنون، والذى كان مضلّة للمشركين وهو الحياة بعد الموت والحساب والجزاء... وفي هذا التقرير يتأكد للمؤمنين ايمانهم بهذا الغيب وتزداد خشيتهم لله تعالى... وبيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواءً إجمالياً بان الله جل وعلا سوف يحيى الناس بعد موتهم، وانه يسجل عليهم جميع ما فعلوه في حياتهم وخلفوه من تبعات بعد موتهم تسجيلاً دقيقاً و واضحاً، وتقرير لأمر البعث والحشر إثر بيان طبيعة

الوحي والرسالة، وحقيقة الرسول ومهمته صلى الله عليه وآله وسلّم وتفرّق الناس تجاهها على فريقين: الموافق والمخالف...

قوله تعالى: «ما قدموا وآثارهم» بيان للسبب الذي هو الموجب للعقاب من غير ظلم وجور بأن كل من فعل مثقال ذرة من الخير والشريرى أثره مكتوباً في صحيفة ذاته أو صحيفة أرفع من ذاته في كتاب: «وإذا الصحف نشرت» التكوير: ١٠)

إن تسئل: لماذا قدّم إحياء الموتى على الكتابة ولم يقل: نكتب ماقدّموا ونحييهم لأجل الجزاء؟

تجيب عنه بأجوبة: أحدها ـ ان الكتابة ليست مقصودة بالذات، وإنما المقصود الأصلي هو الإحياء للجزاء ولولم يكن إحياء وإعادة لم يكن للكتابة أثر ثانيها ـ ان قوله تعالى: «إنا نحن» دال على العظمة والقدرة والجبروت، والاحياء أمر عظيم لايقدر عليه أحد إلّا الله تعالى بخلاف الكتابة، فقدّم الأمر العظيم ليناسب اللفظ الدال على العظمة.

ثالثها ـ إن الله تعالى أراد أن يرتب على كتابة الأعمال قوله: «وكل شيء أحصيناه» ومعناه أن قبل هذه الكتابة كتابة اخرى، فان الله تعالى كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا ثم إذا فعلوا كتب عليهم أنهم فعلوه وفيه بيان أن الكتابة مقرونة بالحفظ والاحصاء، فربّ مكتوب غير محفوظ ولا مضبوط، وفيه تعميم بعد تخصيص، كأنه قال: ليست الكتابة مختصّة بأفعالهم وإنما هي لكل شيء. ولايخفي على القاريء الخبير: أن الآيات الكريمة السابقة مصدر إلهام وتلقين مستمر المدي، سواء أفيا احتوته من ثناء وبشرى لذوي النفوس الطيبة والرغبات الصادقة؟ أم فيا احتوته من جملة تنديدية شديدة على ذوى السرائر الخبيثة الذين يكون ديدنهم المكابرة في الحق والايغال في الباطل؟ أم فيا احتوته من تثبيت وتطمين يلهمان الدعاة والقادة والمصلحين قوة يتغلبون بها على ما يلقونه في طريقهم من عقبات ومصاعب وشدائد...

١٣ـ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون)

معطوفة على سابقاتها، تعقيب تمثيل وتذكير، على طريق الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم فأمره أن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية، ويبيّن لهم قصّة رسل أرسلهم الله عزوجلّ إلى إحدى المدن وموقف أهلها الجحودى منهم. ولضرب المثل استعمالان: أحدهما ـ في مقام التطبيق وتشبيه الحال الغريبة العجيبة بحال الغريبة الاخرى كما في قوله عزوجل: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح» التحريم: ٩) ثانيها ـ لبيان حال العجيبة الغريبة فقط من غير مقام الانطباق ولا تشبيهها بحال اخرى كقوله تعالى: «وضربنا لكم الأمثال» ابراهيم: ٤٥) أي وبيّنّا لكم أحوالاً غاية في الغرابة كالأمثال...

وما نحن فيه يحتمل كلا الوجهين، والأوّل من قبيل التشبيه والثاني من قبيل التنبيه. وان اسلوب الآية الكريمة وفحواها يلهمان: أن المثل الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بضربه ليس غريباً عن السامعين، وأنهم أو أن منهم من كان يعرف القصّة المذكورة فيه وان المقصود من القصّة هو المثل والتذكير والعبرة، وهذا هو الغرض العام لكل القصص القرآنية الذي يكون محكماً مؤثراً حينما تكون القصّة المساقة عما يعرفه السامعون حيث ان المثل هو كلام أو قصّة يمثّل به مقصد من المقاصد، فيتّضح للمخاطب، ولمّا كانت قصتهم توضح ما تقدّم من الوعد والوعيد أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلّم أن يضربها مثلاً لهم، فلا منافاة بين إخباره تعالى بأن هؤلآء المشركين المعاندين لايؤمنون سوآء أُنذروا أم لا وبين إنذراهم لأن في البلاغ إتماماً للحجة وتكميلاً للسعادة والشقاوة قال الله عزوجل: «ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حيّ عن بيّنة» الأنفال: ٤٢) وقال: «وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلّا خساراً» الاسرآء: ٨٢).

إن تسئل: ما إسم هذه القرية؟ ومن هم هؤلاء المرسلون؟ ومن هو المُرسِل؟ وبأيّ شيً أُرسِلوا؟

تجيب عنه: أمّا القرية فهي انطاكية، وأما المرسلون فهم من حواري عيسى عليه السلام ومنهم يوحنا وبولس هما اللذان أرسلهم أولاً عيسى عليه السلام إلى مدينة انطاكية، لأن أهلها كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، ثم عززهم عيسى بالرسول الثالث وهو شمعون الصفا، وأما المُرسِل فهو عيسى عليه السلام بأمر الله جل وعلا، وأما الأخير فكانت آيتهم شفاء المرضى وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى.

فقوله تعالى: «إذ جاءها المرسلون» في نسبة الارسال أو الرسالة إليهم وهم لم يكونوا مرسلين بناء على أنه كان بأمره تعالى في قوله عزّوجل: «إذا أرسلنا إليهم اثنين» ولكن مايظهر من السياق أنهم كانوا رسلاً من الله عزوجل على الابتدآء إليهم ردءً لعيسى بن مريم عليه السلام مقرّرين لشريعته عليه السلام كهارون لموسى بن عمران عليهما السلام إذ أسند تعالى الإرسال إلى نفسه:

١٤ ـ (إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون)

بيان تفصيلي لقوله عزوجل: «إذجاءها المرسلون» أضاف الله عزوجل الإرسال إلى نفسه: «أرسلنا» لأن عيسى عليه السلام أرسلها بأمر الله تعالى وكان ذلك حين رفع عيسى عليه السلام إلى السماء. وفي تعريف «المرسلون» أولاً وتنكير «مرسلون» ثانياً مالايخفى على أهل البيان والأدب.

١٥ ـ (قالوا ما أنتم إلّا بشرمثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلّا تكذبون)

بيان شبهات، كانت المكذبون للرسل من الامم الماضية كثيراً ما يتمسكون بها، على سبيل التقرير لما أجاب أصحاب القرية عما دعاهم الرسل إلى الله تعالى بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم ودعوتهم، ومتهمين الرسل بتهم ثلاث: «إن أنتم إلّا بشرمثلنا» هي قولة من فم واحد تلقّاها القوم خلفاً عن سلف، فهذه أول تهمة يتهم بها الرسل من أقوامهم، وانهم لن يكونوا إلّا بشراً مثلهم: «وما أنزل الرحمن من

شئ» تهمة ثانية: «إن أنتم إلّا تكذبون» هذه تهمة ثالثة، وهي قاصمة الظهرعندهم.

وفي قوله تعالى: حكاية عنهم: «وما انزل الرحمن من شئ» ايماء إلى أن أهل أنطاكية كانوا معترفين بالالوهية والرحمانية لكنهم ينكرون الرسالة ويتوسّلون بالأصنام آلهة لهم، فردّ عليهم الرسل مؤكّدين رسالتهم بقولهم: «قالوا ربنا يعلم إنّا اليكم لمرسلون».

ومن العجيب جداً! في كل وقت ومكان من طوال الأعصار... أن الأغنيآء المستكبرين والرؤسآء المترفين... الذين يدّعون فوق التمدن لأنفسهم أنهم ينكرون الرسالة من الله جل وعلا للبشر مثلهم، وهم يتخذون الأصنام المصنوعة، والهياكل المنحوتة من الطين والأحجار، ومن الطحن والأخشاب وما إليها آلهة لهم يعبدونها فوق عبادة العبد الذليل لربه الكريم! وهذا هولديهم فوق التمدّن!

ولعل تعبير أصحاب القرية عن الله جل وعلا بـ«الرحمن» هو لكونهم كسائر الوثنيين معترفين بالله عزوجل، واتصافه بكرائم الصفات كالخلق والرأفة والملك والرحمة... إلّا أنهم يرون أنه تعالى فوّض أمر التدبير إلى مقربي خلقه كالملائكة الكرام، فهم الأرباب المدبّرون والآلهة المعبودون، وأما الله عزّوجل فهو رب الأرباب وإله الآلهة، ويحتمل أن يكون ذكر إسم «الرحمن» في الحكاية دون المحكي، فيكون التعبير به لحلمه ورحمته جل وعلاقبال إنكارهم وتكذيبهم للحق الصريح.

وقال بعض المعاصرين: قوله تعالى: «إن أنتم إلّا تكذبون» بمنزلة النتيجة لصدر الآية ومحصل قولهم: انكم بشر مثلنا ولانجد نحن على بشريتنا في نفوسنا شيئاً من الوحي النازل الذي تدّعونه وأنتم، مثلنا، فا أنزل الرحمن شيئاً من الوحي فدعواكم كاذبة وإذ ليس لكم إلّا هذه الدعوى فان أنتم إلّا تكذبون. ويظهر بما تقدّم نكتة الحصر في قوله: «إن أنتم إلّا تكذبون» وكذا الوجه في نفي الفعل ولم يقل: إن أنتم إلّا كاذبون لأن المراد نفى الفعل في الحال دون الاستمرار والاستقبال» وفيه تأمل.

١٦ـ(قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون)

قسم ثالث من أقسام السورة، جواب أجاب الرسل عما اتهمهم به أصحاب القرية، فلم يكن لهم بين هذا القول المنكر إلّا أن يقولوا: «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» فاستشهدوا بعلم الله جل وعلا يجري مجرى القسم، مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله عزوجل وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدّة الانكار، حيث ان زيادة المؤكدات في الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع، فلذلك قال الرسل اولاً: «ربنا يعلم» بالجملة الاسمية ولم يقولوا: «يعلم ربنا» بالجملة الفعلية، ثم قالوا ثانياً: «انا اليكم مرسلون» مقتصرين على «ان» ثم أضافوا اللام ثالثاً: «لمرسلون» جامعين بين الجملة الاسمية وإنّ واللام الّتي تجرى مجرى القسم، مضافاً إلى أن نفس الاستشهاد بعلم الله جل وعلا يجرى مجرى القسم. ولايخفى أن اليمين بعد اظهار البينة إفحام الخصم مؤكد قوي. فاقتضت الحال زيادة التأكيد لزيادة الانكار.

إن تسئل: لماذا قال تعالى حكاية عن رسله أولاً: «إنا إليكم مرسلون» ثم قال ثانياً: «إنا إليكم لمرسلون»؟

تجيب عنه: لأن الأول إبتداء إخبار، فلم يحتج إلى التأكيد باللام، بخلاف الثاني فانه جواب بعد الانكار والتكذيب فاحتاج إلى التأكيد. وقد ثبت عند أصحاب المعاني والبيان: أن المخاطب إن كان منكراً للحكم، حاكماً بخلافه، وجب توكيد الحكم بحسب الانكار قوة وضعفاً، فكلّما ازداد في الانكار زيد في التأكيد كما نحن فيه إذ كُذّب رسل الله تعالى أو رسل عيسى عليه السلام في المرّة الاولى: «إنا إليكم مرسلون» مؤكداً بـ«إن» وإسميّة الجملة، وفي المرة الثانية: «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» مؤكداً بالقسم و«إن» واللام وإسميّة الجملة لمبالغة المخاطبين في الانكار إذ«قالوا ماأنتم إلّا بشر مثلنا...»

وكانت الرسل دعوهم إلى الاسلام على وجه ظنّوهم أصحاب وحي ورسلاً من الله تعالى بناء على أن الرسالة من رسول الله رسالة من الله ولذا قال: «إذ أرسلنا إليهم

اثنين» فعدلوا في نفي الرسالة عن التصريح إلى الكناية التي هي أبلغ و«قالوا ما أنتم إلّا بشر مثلنا» زعماً منهم إن البشر لايكون رسولاً البتة، وإلّا فالبشرية في اعتقادهم إنما تنافي الرسالة من الله تعالى لا من رسول الله».

١٧ـ(وما علينا إلّا البلاغ المبين)

تعليل للجواب المحذوف، وتطمين وتسلية للرسل عند اعراض أصحاب القرية عنهم، وبيان لمهمّة الرسل وهي الابلاغ وإتمام الحجّة على مَن أُرسِلوا إليهم، فما سواه فراجع إلى الله تعالى أي فلابأس علينا بكفركم وتكذيبكم بنا إذ ما علينا إلّا التبليغ، وقد بلغنا نحن رسالتنا، فخرجنا من عهدة ما علينا، ولم يبق إلّا التفكر منكم والتذكر، وعلى الله تعالى الحساب والجزاء. فعلينا الارشاد والابلاغ وعليكم الاهتداء والايمان فلسنا بمسئولين عن ضلالتكم وكفركم...

وقد جرت سنّة الله جل وعلا على إرسال الرّسل لمعرفة الناس بالله تعالى وعبادتهم لله عزوجل وحده: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبياء: ٢٥) ولبيان الحق والباطل، والخير والشر، والحلال والحرام... واجتناب الشرك والأوثان، ولكن أكثر الناس لايتفكرون ولايعقلون ولايؤمنون... فلذا كان من الناس من يكابر في الله جل وعلا ويعرض عن دعوته، فليس على الرسل إلّا البلاغ والبيان ليتمّوا عليهم الحجة.

وفي الآية الكريمة قطع لتلك الحجة الكاذبة التي احتج بها أصحاب القرية، فقد أعذر الله تعالى إليهم وقطع حجتهم بما أرسل إليهم من رسل: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» النساء: ١٦٥) وليس على الرسل إلّا البلاغ المبين، وقد أدّى رسل الله تعالى رسالة الله جل وعلا وبلّغوها إلى أصحاب القرية بلاغاً واضحاً.

وفيها درس وتعليم وتطمين وتسلية للدعاة والقادة والزعماء والمصلحين في إرشاد الناس وإتمام الحجة عليهم لأنهم قائمون مقام الأنبياء والمرسلين، فلابدلهم أن يبلّغوا

رسالات الله تعالى وإن لم يهتد الناس وأنكروا...

وفيها بيان الاختيار في الايمان والكفر من غير إجبار وإكراه في الدين.

١٨ـ(قالوا إنا تطيّرنابكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسّنكم منّا عذاب أليم)

قسم رابع، وهذا من أصحاب القرية: «لئن لم تنتهوا...» وعيد شديد وردّ وتهديد زاجر منهم للرسل بعد ماضاقت عليهم الحيل، وأعيتهم الحجج كما هو دأب الطغاة والكافرين وديدن البغاة والمستكبرين...

١٩ـ(قالوا طائركم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم مسرفون)

خطاب من الرسل لأصحاب القرية بملاطفة ووداعة، وآخر كلامهم معهم، جواباً عن نسبتهم الشؤم إلى الرسل، من غير ردّ لتهديدهم ووعيدهم لهم،تنبيهاً إلى عدم خوفهم عن تهديداتهم وعدم اعتنائهم بوعيداتهم فلم يتكلّموا فيها وتقريراً لسبب شؤمهم وهو عدم التذكر بما دعوا إليه، والغفلة عما كانوا عليه من الكفر والضلال ومن العناد واللجاج.

قوله تعالى: «أإن ذكّرتم» إستفهام توبيخي على حذف الجزاء تقديره: أإن ذكّرتم بالحق وتفكّرتم فيما دعوناكم إليه من التوحيد والكمال؟ أإن ذكّرتم بما أنتم فيه من غفلة وجهالةٍ وانحطاط وما أنتم عليه من ضلال وعناد ولجاج؟ فما قابلتمونا بمثل هذا الجحود الشنيع، والصنيع الفظيع من التطيّر والتوعّد والتهديد، وما ترموننا بهذا الاتهام الكاذب الفاجر، فسبب شؤمكم معكم ولكنكم لا تعرفونه وهو غفلتكم عن غفلتكم، وجهلكم عن جهلكم، وجهلكم عن ضلالتكم وعنادكم ولجاجكم وانحطاطكم وغفلتكم عن إنكاركم أنفسكم وإنسانيتكم...

وقوله تعالى: «بل أنتم قوم مسرفون» إضراب عما تقضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد، فأنتم مسرفون في غفلتكم وجهالتكم، مسرفون في ضلالتكم وانحطاطكم، مسرفون في عنادكم ولجاجكم، متمادون في غيّكم واعراضكم

عن الحق والتوحيد، وعن الكمال والسعادة، وإقبالكم إلى الباطل والشرك وإلى الانحطاط والشقاوة، فالسبب الأصلي في جحودكم وتكذيبكم للحق أنكم تسرفون في الغفلة والجهالة: «فهم غافلون» يس: ٦)

في الآية الكريمة ـ مع ملاطفة ووداعة ـ توبيخ شديد، وتهديد عظيم، وتنبيه إلى سوء صنيعهم بحرمانهم من الكمال الانساني والسعادة والخيرات... من غير خوف من تهديداتهم و وعيداتهم...

وفيها درس وتعليم للدعاة والقادة والزعماء والمصلحين جداً في إرشاد الناس وبيان الحقائق الدينية والمعارف الاسلامية...

وهذا إنتهاء موقف الرسل مع أصحاب القرية إلى هذا الطريق المسدود، ثم لايلبث أن يجيئ صوت العقل ونداء الفطرة من واحد من أهل القرية، فيكسر هذا الحائط، ويدخل على القوم منه، ويأخذ موقفه مع الرسل داعياً إلى الله جل وعلا:

٢٠ـ (وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)

بيان لناصر الرسل، تنبيهاً إلى أن للحق ناصراً، فلايصير بلامعين قط وإن قلّ. وتنكير «رجل» للتعظيم أي رجل كامل في الرجولية أو ليفيد ظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن بهم رجل من الرجال لامعرفة لهم به، وكان بعيداً من التواطؤ مع المرسلين، وقوله: «من أقصى المدينة» أيضاً يفيد ذلك أو انهم ما قصروا في التبليغ والانذار حتّى بلغ خبرهم القاصي والداني. وفي تبديل القرية بالمدينة دلالة على عظمها.

قوله: «قال» مستأنف بيانيّ وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعياً كأنه قيل: فماذا قال عند مجيئه؟ فقيل: «قال يا قوم اتبعوا المرسلين» هذا تعرض لعنوان رسالتهم، حثاً لهم على اتباعهم كما أن خطابه لهم بـ«يا قوم» لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول النصيحة.

وقوله: «اتبعوا» نصيحة منه لهم وحثّهم على اتباع الرسل، ولم يقل: «اتبعونى» كما قال مؤمن آل فرعون: «اتبعون أهدكم سبيل الرشاد» الغافر: ٣٨) لأنه جاءهم فنصحهم في أول مجيئه، ومارأوا سيرته بعد فقال: اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لأجلكم السبيل، فكان الاهتمام هناك بمجيئ الرجل وإخباره موسى عليه السلام بائتمار الملأ لقتله فقدّم «رجل» ثم اشير إلى اهتمام الرجل نفسه بايصال الخبر وابلاغه فجيئ بقوله: «يسعى» حالاً مؤخّراً بخلاف ما ههنا، إذ كان الاهتمام بمجيئه من أقصى المدينة ليعلم أن لا تواطئو بينه وبين المرسلين في أمر الدعوة فقدّم «من أقصى المدينة» وأُخِرّ «رجل» وسعيه.

وقوله: «المرسلين» اظهار للايمان بهم، وقدّم النصيحة إظهاراً للشفقة.

٢١ـ (اتبعوا من لايسئلكم أجراً وهم مهتدون)

تكرير لتأكيد وجوب الا تباع، وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزّه عن الغرض الدنيوي والاهتداء إلى خير الدارين، وانهم في أنفسهم مهتدون، كاملون في الاهتداء وهداية الناس، ولايتوقعون أجراً في رسالتهم وهدايتهم، و وجوب اتباع مثل هذا الدليل للذي ضلّ عن سوآء السبيل مركوز في العقول.

كلام تام في الترغيب إلى الايمان بما يقوله الرسول ونصيحته جامعة في اعلام الحجو بين عن الوصول إلى معرفة حال الأنبياء وحقهم على الاهتداء بهداهم والاقتداء بقولهم، فأىّ دعوة أولى من هذه الدعوة بالقبول لها، والاحتفاء بأهلها؟ إنها دعوة من أهل الهدى الذين لايسئلون أجراً على هذا الهدى الذى يقدمونه ويدعون إليه، فِلمَ التمّنع والاعراض عن خير يبذل بلا ثمن؟ ذلك لايكون إلّا عن سفه وجهل معاً.

وقال بعض المعاصرين: في وضع قوله: «من لايسئلكم أجراً وهم مهتدون» في هذه الآية موضع قوله: «المرسلين» في الآية السابقة إشعار بالعلّيّة، وذلك ان عدم جواز اتباع قائل في قوله إنّما يكون لأحد أمرين: إما لكون قوله ضلالاً، والقائل به ضالاً ولايجوز

اتباع الضال في ضلاله، وإمّا لأن القول وإن كان حقاً والحق واجب الاتباع لكن لقائله غرض فاسد يريد أن يتوسّل إليه بكلمة الحق كاقتناء المال واكتساب الجاه والمقام والاشتهار ونحو ذلك، وأمّا إذا كان القول حقاً وكان القائل بريئاً من الغرض الفاسد، منزّهاً من الكيد والمكر والخيانة كان من الواجب اتباعه في قوله، وهؤلاء الرسل مهتدون في قولهم: لا تعبدو إلّا الله وهم لايريدون منكم أجراً من مال أو جاه فمن الواجب عليكم أن تتّبعوهم في قولهم.

أما أنّهم مهتدون فلقيام الحجّة على صدق مايدعون إليه من التوحيد وكونه حقاً، والحجة هي قوله: «ومالي لاأعبد» إلى تمام الآيتين. وأما أنّهم لايريدون منكم أجراً فلما دلّ عليه قولهم: «ربنا يعلم انا إليكم لمرسلون» وقدتقدّم تقريره وبهذا البيان يتأيّد ماقدّمناه من كون قولهم: «ربنا يعلم انا إليكم لمرسلون» مسوقاً لنفي رادتهم من القوم أجراً أو غير ذلك» انتهى كلامه.

٢٢-(ومالى لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)

ثم يعرض هذا الوافد الجديد نفسه عليهم في الزّي الجديد الذي تزيّا، والخير الموفور الذى بين يديه من تلك الدعوة، فتلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم مايريد لنفسه، والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره، وحثّهم على طاعة الله جل وعلا وحده واتباع رسله كما أن بناء الفعل للمفعول ينبئ عنه في قوله: «وإليه ترجعون» مبالغة في التهديد بتخويفهم بالرجوع إلى شديد العقاب.

قوله تعالى حكاية عنه: «فطرني» إشارة إلى وجود المقتضى.

وقوله: «ومالى» إشارة إلى عدم المانع من جانبه، فان كل امرئ هو أعلم بحال نفسه، والمقتضي وإن كان مقدماً في الوضع والطبع على المانع إلّا أن المقتضى ههنا لظهوره كان مستغنياً عن البيان رأساً، فقدّم عدم المانع لأجل البيان، ولهذا لم يقل: «وما لكم

لا تعبدون» كيلا يذهب الوهم إلى أنّه لعله يطلب العلة والبيان، وإنما ورد في سورة نوح: «مالكم ترجون لله وقاراً» ١٣) لأن القائل هناك داع لامدعوّ، فكأن الرجل قال: «مالي أعبد» وقد طلب مني ذلك. وفي قوله: «وإليه ترجعون» بيان الخوف والرجاء ولهذا لم يقل: «وإليه أرجع» كأنه جعل نفسه ممن يعبد الله تعالى لذاته لا لرغبة أو رهبة بل لكونه تعالى أهلاً للعبادة.

فالاستفهام «مالي» استنكاري ينكر الرجل على نفسه ألّا يكون في العابدين لله الذي فطره والذي إليه موعده ولقاؤه مع الناس يوم الحشر، فأخذ في استفراغ الحجة على التوحيد ونفي الآلهة، واختار لذلك سياق التكلم وحده على سبيل إجراء الحكم في نفسه بما أنه إنسان أوجده الله جل وعلا وفطره يجري في كل إنسان هو مثله،والأفراد أمثاله... فقوله: «ومالي لا أعبد...» في معنى: وماللانسان لايعبد...

وفي الالتفات من التكلم إلى الخطاب لقومه: «وإليه ترجعون» إشارة إلى أنهم هم المقصودون بالذات من كلامه، واحتجاج منه عليهم، ووعيد من الله تعالى يوجب الزجر.

إن تسئل: لماذا أضاف هذا الرجل الوافد الجديد، الفطر إلى نفسه بقوله: «فطرني» وأضاف البعث إلى قومه بقوله: «وإليه ترجعون» مع علمه أن الله عزّوجل فطره وفطرهم، وسوف يبعثه ويبعثهم؟ فكان ينبغي له أن يقول: «فطرنا وإليه نرجع» أو «فطركم وإليه ترجعون».

اجيب عنه بأجوبة: منها ـ انه أضاف ما يقتضي الشكر إلى نفسه لأنه أليق بايمانه، وأضاف ما يقتضى الزجر إليهم لأنه أليق بكفرهم، فكأنه قال: لاينبغي أن نعبد من لايكون له مبدأنا ومنتهانا تركاً من كان بيده مبدأنا ومنتهانا.

ومنها: أضاف الفطرة إلى نفسه تنبيهاً إلى أن الخلق والايجاد بنفسه نعمة عظيمة من الله تعالى عليه توجب الشكر لمنعمها، فعلى كل مخلوق، الشكر، فقدّم نفسه لأنه هاد ناصح حينذاك فلابدّ وأن يكون الهادي الناصح مقدماً في الايمان على غيره ويظهره عليهم

ليتبعوه، وأضاف البعث إليهم ليحثهم على الا تباع والايمان.

ومنها: ان الخلق والايجاد نعمة من الله تعالى توجب الشكر، والبعث بعد الموت وعيد وتهديد يوجب الزجر، فكأن إضافته النعمة إلى نفسه أظهر شكراً، وإضافته البعث إلى الكافرين أبلغ أثراً.

ومنها ـ ان التعبير عن الله جل وعلا بقوله: «الذي فطرني» مشعر بالعليّة فانّ فطره جل وعلا للانسان وايجاده له بعد العدم لازمه رجوع كل ما للانسان من ذات وصفات وأفعال إلى الله عزوجل وقيامه به وملكه له، فليس للانسان إلّا العبودية محضة، فعلى الانسان أن ينصب نفسه في مقام العبودية ويظهرها بالنسبة إليه تعالى وهذا هو العبادة حقّاً فعلى الانسان أن يعبد الله تعالى لأنه عزوجل أهل للعبادة لاطمعاً في جنة ولاخوفاً من نار وإذا كان الايمان بالله عزوجل وعبادته هكذا أمراً لاينثاله عامّة الناس فانّ الاكثرين منهم إنّما يعبدون خوفاً أو طمعاً أو لكليهما التفت الرجل بعد بيان حال نفسه إلى حال القوم فقال: «وإليه ترجعون» يريد به انذارهم بيوم البعث وأنه تعالى سيحاسبهم على ما عملوا فيجازيهم بمساوي أعمالهم.

ومنها: ان المقام مقام التعريض وهو إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل بأن ينسب الفعل إلى أحد، والمراد غيره كقوله تعالى خطاباً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلّم: «لئن أشركت ليحبطن عملك» الزمر: ٦٥) وعدم إشراكه صلى الله عليه وآله وسلّم مقطوع به، ولكنه خوطب، تعريضاً بمن صدر عنهم الاشراك، فتحبط اعمالهم... وكذلك ما نحن فيه إذ لولا التعريض لكان المناسب بسياق الآية أن يقال: «وإليه أرجع» ووجه حُسن هذا التعريض إسماع المتكلم المخاطبين الذين هم أعدائه الحق على وجه لايزيد ذلك الوجه غضبهم، وذلك الوجه ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل، ويعين على قبول الحق لكون ذلك الوجه أدخل في إمحاض النصح حيث لايريد المتكلم لهم إلّا ما يريد لنفسه، ويسمّى هذا النوع من الكلام: المنصف لأن كل من سمعه قال للمخاطب: قد أنصفك المتكلم به أو لأن المتكلّم قد أنصف من نفسه حيث حطّ مرتبته عن مرتبة

المخاطب. ويسمّى أيضاً الإستدراج لإستدراجه الخصم إلى الاذعان واتّسليم وهومن لطائف الأساليب، وقدكثر في التنزيل والروايات والأشعار والمحاورات... فتأمل جيّداً واغتنم جداً إذ فيه درس قيّم وتعليم متين عميق للدعاة والقادة والزعماء والمصلحين...

٢٣ـ(ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّلا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولاينقذون)

عود إلى المساق الأوّل، وإعادة توبيخ مرّة اخرى مبيّناً نهاية حمقهم، وغاية جهلهم عن جهلهم، وزيادة غفلتهم عن غفلتهم، وإنكارونني لاتخاذ الآلهة الموهومة على الاطلاق، وتقرير لكمال التوحيد، وذلك ان قوله: «ومالي لااعبد الذي فطرني» إقرار بوجود الصانع الفاطر، وقوله: «أأتخذ...» على سبيل الانكارنفى لغيره ممن يسمّى إلهاً وبهما يتمّ معنى: «لاإله إلّا الله» وبيان للزوم التوحيد، على ما يقتضيه فطرة الانسان فلابد أن يكون للانسان إله يعرفه ثم يعبده، أفيترك معرفة من خلقه ورزقه وعبادة من يميته ثم يحييه...؟ ويعبد آلهة موهومة من دون الله إن يرده الله تعالى بضرّلا تغنى عنه تلك الآلهة المزعومة شيئاً، ولا تقدر أن تمدّيدها لانقاذ عابديها مما يريده الله جل وعلابهم من ضرّ؟!

وقوله: «إن يردن الرحمن...» مستأنف بيانىّ سيق لتعليل النفي المذكوروجعله صفة لـ«آلهة» عرض على عقولهم جهل عابدي الأصنام أنهم لايقدرون على دفع ضرّ ولا على ايصال نفع، وقدرتب الكلام فيه على ترتيب مايقع بين العقلاء، فان الذي يريد أن يدفع الضرعن شخص يقدم على الشفاعة له، فان قبلت فبها، وإلّا أنقذه أى خلصه بوجه من الوجوه... فلاشأن لتلك الآلهة المزعومة في الشفاعة لعابديها، ولا في تخليصهم مما وقعوا فيه من المهالك...

وفي التعبيرعن الله جل وعلا بـ«الرحمن» إشارة إلى سعة رحمته وشمولها للخلق كلهم حسب الوجود والذات بما أنهم مخلوقون، لاحسب الفعل والصفات من الايمان أو الكفر، أو من صالح الاعمال أو فسادها... وإشارة إلى أن النعم كلّها من عنده تعالى

وتدبير الخير والشر إليه، ويتحصّل من هنا برهان آخر على وحدانية الله جل وعلا في الربوبية، إذ لمّا كان جميع النعم وكذا النظام الجارى فيها، من رحمته وقائمة به من غير استقلال في شئ منها كان المستقلّ بالتدبير هو جل وعلا حتّى أن تدبير الملائكة لو فرض تدبيرهم لشئ من رحمته، تدبيره تعالى وكانت الربوبية له جل وعلا وحده وكذا الالوهية.

وقوله: «ولاينقذون» بيان لكمال قدرة الله جل وعلا ولنهاية عجز تلك الآلهة المزعومة.

٢٤ـ (إني إذاً لفي ضلال مبين)

تسجيل للضلال على اتخاذ الآلهة الموهومة، ضلال بيّن لايخفى على ذي مسكة، وأىّ ضلال بعد هذا الضلال الذي يدع فيه الانسان حبل النجاة الممدود إليه. وفي الآية الكريمة تعريض أي أنتم لاتخاذكم آلهة موهومة من دون الله في عمى وضلال واضح.

٢٥ـ (إني آمنت بربكم فاسمعون)

إخبار عن نفسه، مخاطباً لقومه، متعلقاً بأمواج البحر الصاخبة وتياراته المتدافعة، قائلاً بكلمة صريحة مدويّة في وجه القوم المشركين الجهلة، في وجه القوم المستكبرين الفجرة، وفي وجه القوم المجرمين الطاغية... كلمة الحق أبطل بها كل باطل... انها هى كلمة النجاة وحسبه أن يمسك بها وليكن مايكون، وألا فليسمعوها عالية مدويّة متحدية... انها كلمة الحق التي يجب أن ترتفع فوق كل كلمة وتعلو على كل نداء لانها كلمة الله التي هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى.

فالخطاب لقومه الكفرة الفجرة شافههم بذلك إظهاراً للتصلّب في الدين، وعدم المبالات بالقتل والحبس والسجن والرجم، وعدم الاعتناء بالتهديد والوعيد... فكأنه قال لقومه مخاطباً لهم: أقول كلمة الحق وأُجابه بها كل مبطل ولا ابالى بالموت، فاصنعوا

بي ماتشاؤن، وأضاف الرب إلى ضميرهم: «بربكم» لتحقيق الحق واظهاره والتنبيه على بطلان ماهم عليه من الشرك واتخاذ الأصنام آلهة. وعلى هذا فالمراد بذلك هو بيان التوحيد ونفي الشرك، ودعوتهم إليه أى ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وفطركم، وتلك الآلهة موهومة ليست بشئ فاسمعوا قولي وأطيعوني.

وقيل: لما نصح قومه بما ذكر همّوا برجمه، فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وإنّما اكّده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط، وأضاف الرب «بربكم» إلى ضمير الرسل روماً لزيادة التقرير وإظهاراًللاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال: «إني آمنت بربكم» الذى أرسلكم لتربية أرواح البشر وتنميتها أو الذي تدعوننا إلى الايمان به، ففي «اني آمنت بربكم» تجديد الشهادة بالحق وتأكيد للايمان ليستشهدهم على ايمانه وليؤيدهم بايمانه بمرئى من القوم ومسمع من غير خوف... وقوله: «فاسمعون» كناية عن الشهادة بالتحمل أى اسمعوا ايمانى واشهدو الى به عندالله جل وجلا.

ولايبعد ان يكون الخطاب من هذا الساعى للرسل بطريق التلوين والالتفات من التكلم إلى الخطاب مع اجتماع الرسل والمرسل إليهم.

وللقادة والدعاة والزعماء والمصلحين في هذا الرجل اسوة حسنة إذا أحبّوا أنفسكم لله جل وعلا، ولا يحبّون الله تعالى لأنفسكم أيّها القادة...

٢٦ـ (قيل ادخل قال يا ليت قومي يعلمون)

مستأنف بيانيّ، وقع جواباً عن سُؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل: كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلّب في نصرة دينه والتسخّي بروحه لوجهه عزّوجل حتّى بذل مهجته؟ فقيل: «قيل ادخل الجنة» تقريراً لمآل أمر الايمان بالله تعالى وبشارة لهذا المؤمن الذي إفتدى نفسه لدينه، ولم يفد دينه لنفسه.

هذا هو الجواب الذى تلقّاه الرجل المؤمن ردّاً على اقراره بالايمان بربه... وهو الجزاء الذي يلقاه كل مؤمن صادق الايمان، وأما هذا القول الذي قيل لهذا المؤمن فامّا

أن يكون في الحياة الدنيا بوحي من الله تعالى بأن القوم لمّا قتلوه نودي من ساحة العزّة أن ادخل الجنة وإمّا من جانب الرسل، أو يكون ذلك بعد الموت، حيث يعلم المؤمكانه من الجنة أو النار، فيقال له يومئذ: «ادخل الجنة» فهي الدار التي أعدّها الله جل وعلا لك.

في ايثار المجهول: «قيل» دلالة على أنّ المقصود هو المقول لاقائله، والمقول له معلوم ولم يقل: «له» لأنّ الغرض بيان المقول وعظم شأنه لاالمقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه، كما أن وضع قوله: «قيل ادخل الجنة» موضع الاخبار عن قتلهم إياه إشارة إلى أنه لم يكن بين قتله بأيديهم الخائنة الفاجرة، وبين أمره جل وعلا بدخول الجنة أيّ فصل وانفكاك، فكأن قتله بأيديهم هو أمره بدخول الجنة.

قوله تعالى: «قال يا ليت قومي يعلمون» مستأنف بيانيّ وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنّه قيل: فماذا قال عند دخوله الجنّة ونيله تلك الكرامة؟ فقيل: «قال يا ليت قومي يعلمون» تمنّى أن يعلم قومه بحاله مما أعطاه الله جل وعلا من المغفرة وجزيل الثواب ليصير ذلك سبباً لهم في التوبة والايمان ليفوزوا بما فاز، تمنّى أن يعلموا ما أعدّ الله للمؤمنين من مغفرة وإكرام ليرغبوا في مثلهم وليؤمنوا لينالوا ذلك، وأنّى لهم أن يعلموا هذا الغيب؟ وأنّى لهم أن يؤمنوا به وقد أنكروا ما لمسوه بحواسهم وكذبوا ما رأوه بأعينهم؟ أو يكون سبب التمنّي هو أن يتنبّهوا على خطائهم في أمره وعلى صوابه في رأيه، وأن عداوتهم لم تعقبه إلّا سعادة وكرامة، فهو نصح منه لقومه ميتاً كما كان ينصحهم حياً: «يا قوم اتبعوا المرسلين» هذا هو المثل وتلك هي مواقف الشخصيات والأحداث فيه...

٢٧ـ(بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين)

بيان لما يتمنّى به لقومه، وما نال به في الجنة من المغفرة والاكرام لاتباعه الرسل والخشية من الله جل وعلا كما بشرّه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم في قوله تعالى:

«فبشره بمغفرة وأجر كريم» يس: ١١)

٢٨ـ (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء وما كنا منزلين)

تعقيب للسابقة وتوطئة للتالية، حكاية عن الله جل وعلا سيقت لبيان ما أنزله على هؤلاء الكفرة الباغية والفجرة الطاغية والعذاب والاستئصال، وهو ان أمرهم والانتقام منهم وتعجيل النقمة والغضب عليهم لقتلهم المؤمن الصالح حبيب النجار وهو يدعوهم إلى العزيز الغفار، وفي الآية الكريمة إستحقار لشأنهم وإهلاكهم، وايماء إلى تفخيم شأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بأنا جعلنا إنزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك كيوم بدر وحنين والخندق.

قوله تعالى: «وما كنا منزلين» فيه إشعار لطيف بثبوت قاعدة وضابطة كلية وقانون إلهي في إهلاك كل طائفة من الكفرة الفجرة بسبب مخصوص وكيفية خاصة بأن أنزل جنوداً من السماء والوفاً من الملائكة لانتصار خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلّم ممالا يؤهله غيره من الأنبياء فضلاً لحبيب النجار غضباً على قومه، فشتان بين حبيب الجبار وبين حبيب النجار؟

إن تسئل: لماذا أنزل الله تعالى جنوداً من السمآء يوم بدر والخندق إذ قال: «فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها» الاحزاب: ٩) وقال: «هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» آل عمران: ١٢٥)

تجيب عنه: إنما كان يكفي ملك واحد، إذ هلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبرئيل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة، ولكن الله عزّوجل فضّل محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم بكل شيئ على سائر الأنبياء واولى العزم من الرسل فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز مالم يوله أحداً، فمن ذلك أنه جل وعلا أنزل لرسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم جنوداً من السمآء. فكأنه تعالى أشار بقوله: «وما أنزلنا ـ وما كنا منزلين» إلى أن إنزال الجنود من عظائم الامور التى لايؤهل لها إلّا مثلك وما كنا

نفعل لغيرك .

٢٩ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون)

مستأنف بياني سيق لبيان ما يمكن أن يسئل: فماذا كانت كيفيّة إهلاك هؤلاء الكافرين الطاغين بسبب قتلهم المؤمن الصالح حبيب النجار؟ وبأىّ شئ أهلكهم ليعلم المتدبرمن كيفية هلاكهم مرتبتهم في النقصان؟ فقيل: إن كانت كيفية هلاكهم إلّا صيحة واحدة فهم بمجرّد وقوع هذه الصيحة الواحدة صاروا ساكنين لايسمع لهم حسّ، وهم عن آخرهم موتى لايتحرّكون، فأهلكهم بطريق أيسر من نزول ملائكة العذاب، فما كان له من حاجة في إهلاكهم إلى عِدّة وعُدّة حتّى ينزل من السماء جنداً من الملائكة يقاتلونهم، فيهلكونهم، فلم يفعل ذلك فيهم ولا في إهلاك من أهلك من الامم الماضية، وإنما أهلكهم بصيحة واحدة تقضى عليهم.

في قوله تعالى: «إن كانت إلّا صيحة واحدة» من تهوين أمرهم وتحقير شأنهم وتفخيم شأن الرسل والمؤمن الناصح حبيب النجار مما لايخفى على المتأمل الخبير.

قيل: ان تأنيث الفعل «كانت» لتهويل الواقعة، ولهذا جائت أسماء الجنس كلها مؤنثة ووصف «صيحة» بـ«واحدة» للتأكيد وقيل: في تنكير «صيحة» وتوصيفها بـ«واحدة» إستحقارلهم.

وقوله تعالى: «فاذا هم خامدون» إستعارة لطيفة حيث شبّه الروح الانساني القائم بالطبيعة البشرية بنار اشتعلت من فتيلة، ثم أثبت له الخمودي الحاصل للفتيلة في بعض الأوقات من النفخ الحاصل من الفم الانسانى في نحو الانبوبة وغيرها، وربما يكون معه صوت ولأجل ذلك عبّرعن إهلاك النفوس بالنفخ كما في قوله تعالى: «ونفخ في الصور» يس: ٥١) وكذا عن إحيائها لأن بالنفخ كما يخمد النار كذلك قديشتعل على حسب إختلاف أنحاء النفخ. وفيه إيماء إلى أن الحى كشعلة النار والميت كالرماد وإلى هذا يشير لبيد:

وما المرء إلاّ كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

وقال أبوالعلاء:

وكالنار الحياةُ فمن رماد أواخرها وأوّلها دخان

وفيه أيضاً رمز إلى أن الحيّ منهم بعد الصيحة كانوا كالنار الساطعة في الحركة والاضطراب والالتهاب، والميت منهم صاروا كالرماد إذ شبه هلاكهم بخمود النار وهو صيرورتهارماداًلأنهم كانوا كالنار الموقدة في القوّة الغضبية حيث قتلوا من كان ينصحهم وتجبّرواعلى من كان يظهر المعجزة لديهم. وفيه دليل على أن أهل أنطاكية هلكوا، وكانت أنطاكية من أعظم مداين الروم يسكن فيها خمسمأة ألف نفر.

إلى هنا إنتهت قصة أصحاب القرية، إنتهت إلى الانتقام منهم والغضب عليهم وبالمآل إلى هلاكتهم بسبب قتلهم المؤمن الناصح حبيب النجار الذى يدعوهم إلى الخير والسعادة، وإلى الكمال والنجاة.

٣٠ـ(يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤن)

نداء الحسرة عليهم أبلغ من إثباتها لهم، وفي النداء ايماء إلى سوء المصير والعاقبة الوخيمة وتنديد بالذين لا تؤثر فيهم المواعظ والأمثال ونصائح الناصحين، وفي التعبير عن الكفرة الهالكين والفجرة ووصفهم بأنهم «العباد» إشارة إلى أنّهم لم يرعوا حق العبودية لله عزوجل بل كفروا بالله جل وعلا وكذّبوا رسله واستهزؤابهم، وتأكيد على الحسرة، فان ردّ العبد دعوة مولاه وتمردّه عنه أشنع من ردّغيره نصيحة الناصح.

المعنى: انهم أحقاء بأن يتحسّرعليهم المتحسّرون، ويندم على فعالهم النادمون أوهم متحسّرعليهم من جهة الملائكة وأهل الايمان من الانس والجن أو من جهة الله تعالى إما على سبيل الاستعارة في فطر إنكاره تعالى لما فعلوه وتعظيمه ما جنوه على أنفسهم أو باعتبار وقوع الحسرة من بعض عباده المخلصين. ومعنى هذا النداء: ان يا حسرة احضرى فان هذه الحال من الاحوال التى يجب حضورك فيها، فحقك أن تحضرى فيها وهي

حال استهزاء العباد وأهل العناد بالرسل.

إن تسئل: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة ممالا تجيب؟

اجيب عنه: ان الفائدة في ذلك: أن النداء باب تنبيه، فاذا قلت للمخاطب: أنا أعجب مما فعلت فقد أفدته أنك متعجّب، وإذا قلت: واعجباه مما فعلت وياعجباه تفعل كذا كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة. والمعنى: يا عجب أقبل فانه من أوقاتك. وكذلك إذا قلت: ويل زيد لِمَ فعل كذا؟ ثم قلت: يا ويل زيد لِمَ فعل كذا كان أبلغ وكذلك في كتاب الله تعالى يا ويلنا ويا ويلنا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد.

وإن تسئل: كيف قال الله عزوجل: «يا حسرة على العباد» والتحسر على الله تعالى محال؟

اجيب عنه: هو تحسير للخلق، معناه: قولوا: يا حسرتنا على أنفسنا لاتحسرمن الله عزوجل.

قوله تعالى: «ما يأتيهم من رسول...» مستأنف بيانيّ سيق لتقرير سبب الحسرة ومنشأ النداء وهو أيّة جناية جناها الناس حتّى يساق إليهم هذا البلاء العظيم بأنّهم حلّوا محل من يتحسّر عليه وهو إستهزاء الناقصين الغافلين الجاهلين من الناس والكفرة والمنافقين بالرسل والأولياء المؤدّى إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة.

٣١ـ (ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لايرجعون)

توبيخ بعد توبيخ لهؤلاء الكفرة والطاغية الباغية الذين نودي عليهم بالحسرة ظاهراً، ولكنه تخويف وتنبيه وخطاب لجميع الكافرين المستكبرين الحاضرين في كل زمان ومكان تلويحاً الذين يقفون من رسل الله جل وعلا وأوصيائه والمصلحين موقف الاستهزاء والتكذيب والتهديد والوعيد والقتل والحبس والسجن... وتقرير لكل الناس تلك الحقيقة التي يشهدونها عياناً، وهي أن الهالكين قبلهم من الامم الماضين كثيرون وقد ذهبواهم وذهبت آثارهم... وأنهم لن يرجعوا مرّة اخرى إلى هذه الدنيا، فلم يشتدّ

حرص هؤلاء المشركين والمجرمين، هؤلاء الكافرين المجرمين وهؤلاء المستكبرين الباغين على دنياهم تلك التي كل ما فيها باطل وقبض الروح؟ ألا يفكرون في حياة اخرى وراء هذه الحياة أبقى وأعظم؟

فاعلموا أيها المشركون والكافرون! أيها المستكبرون والمعاندون! وأيّها الباغون والمجرمون! أنكم ستصيرون إلى مثل حالهم، فانظروا لانفسكم وجدّدوا نظركم مرّة بعد اخرى واحذروا أن يأتيكم الهلاك والهوان والدمار وأنتم في غفلة عن غفلتكم، وغرّة عن غروركم، وفي جهالة عن جهالتكم كما أتاهم. ويسمى أهل كل عصرقرناً لاقترانهم في الوجود. وفي الآية الكريمة عجب من حالهم في عدم الاعتبار بأمثالهم من الامم الماضية...

٣٢ـ (وإن كل لما جميع لدينا محضرون)

هذا بيان وتوكيد لرجوع الناس كلهم، المؤمنون منهم والكافرون إلى المحشر للحساب والجزاء بعد بيان عدم رجوع اولئك الكافرين والمستكبرين إلى الدنيا كما كانوا عليه فيها، وتنبيه إلى عدم الاكتفاء باهلاكهم بسبب كفرهم وطغيانهم، بل هم وجميع الناس يجمعون يوم القيامة لنقاش الحساب.

قوله تعالى: «محضرون» فيه إشارة إلى أن هناك قوة تستدعيهم للحضور يوم الحساب، وأن ذلك ليس عن اختيار منهم، ولوكان الحضور يومئذ عن اختيار لكان للكافرين وأهل الضلال مهرب إلى عالم الفناء الأبدى، حيث يذهبون ولايعودون، كي يفلتوا من العذاب الأليم. ولو أنّ مَن أُهلِك تُرِك لكان الموت راحة له كما قال الشاعر:

ولو أنا إذا متنا تُركنا ... لكان الموت راحة كل حيّ
ولكنّا إذا متنا بعثنا ... ونُسئل بعده عن كل شيْ

إذ لو لاالبعث لكان خلق الانسان عبثاً قال قِس بن ساعدة أيادى الخطيب المشهور من العرب المتوفي ٦٠٠ هـ:

في الـــذا هـــبين الأوّلـــيـ ــن مـــن الـــقـــرون لـــنـــا بصآئر
لـــمـــا رأيـــت مـــوارد لـــلـــمـــوت لـــيس لهـــا مصـادر
ورأيـــت قـــومـــي نحـــوهـــا تـــمضـــى الأكـــابـــر والأصـــاغـــر
لايـــرجـــع المـــاضـــي إلـــيّ ولا مـــن الـــبـــاقين غـــابـــر
أيـــقـــنـــت أنّـــى لامحـــالـــة حـــيـــث صـــار الـــقـــوم صآئـــر

٣٣ـ(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون)

تقرير لشاهد يشهد للمكذبين بالبعث بأنه أمر ممكن بل حتم لامرية فيه، وأما انكارهم له فيقوم على غفلة وجهالة عن قدرة الله جل وعلا وعما أحاط بهم من آثار القدرة والعلم والتدبير والعظمة الالهية، فلو أنهم نظروا إلى هذه الأرض الميتة كيف يحيي الله تعالى مواتها؟ كيف يبعث فيها الحياة؟وكيف يخرج من أحشائها صوراً لاحصر لها من الكائنات الحيّة؟؟؟ لو نظروا إلى تلك لرأوا أن بعث الأجساد الهامدة لايختلف في شئ عن بعث الحياة في الأرض الجديب، وتنبيه إلى مشاهد الكون ونواميس الوجود وإلى نعم الله جل وعلا على خلقه ورحمته بهم، حيث ان نفس الأرض نعمة لكونها مهداً للانسان ومسكنه ومستقرّه، سواء كانت ميتة أم لا، ثم إحياؤها مخضرة نعمة ثانية، فانها أحسن وأنزه، ثم إخراج الحب منها نعمة ثالثة لأن قوت الانسان إذا كان في مكانه كان أجمع للقوّة والفراغ، وتنديد بالذين لايشكرون ولايرتدعون عن مواقف المكابرة والجحود...

قال بعض المحققين: إن الله تعالى قال: «لهم» لأن الأرض ليست آية للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم ولا لغيره من أهل الاخلاص الذين هم بالله جل وعلا عرفوا الله عزوجل قبل النظر إلى الأرض والسمآء كقوله تعالى: «ألم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد» فصلت: ٥٣) يعبّر عنه بالبرهان اللِّمّي.

وقوله تعالى: «أحييناها...» مستأنف بيانيّ سيق لتقرير كيفيّة كون الأرض الميتة

آية لهم، يكشف عما في كيان هذه الآية التي تخرج من الأرض من نبات البُرّ والشعير والأرز وما إليها من الحبوب... كلها آية واضحة تدل على وجود الصانع وقدرته، على علمه وحكمته، على تدبيره وعظمته وعلى فضله ورحمته لعباده، فلابد لكل إنسان أن ينظر إليها ويتفكّر فيها فيؤمن بالله العلى العظيم. وفي تقديم «منه» على متعلقه: «يأكلون» دلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به، وبه قوام حياة الانسان، فتدبّر جيداً واغتنم جداً.

٣٤-(وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون)

فى نوني التكلم مع الغير: «جعلنا- فجرنا» دلالة على كمال العظمة ونهاية القدرة، وفي جمع «جنات» و«أعناب» دلالة على اختلاف الوجود وكثرته والصفة وانواعهما، وفي تخصيصهما بالذكر لكثرة منافعهما، وأنهما أعلى الثمار، لأنهما غاية ما يبلغه النبات من كمال في سُلّم الترقي، فهما على قمّة العالم النباتي، وغيرهما تبع لهما، وفي تقديم «نخيل» على «أعناب» دلالة على أنّه أرقى درجة منه.

وان الجنات نعمة رابعة موجبة للتفكه وسعة العيش كما أن تفجير العيون فيها نعمة خامسة لأنّ مآء السمآء لايثق بنزوله في كلّ حين، وأما العيون فكالشئ المدخر القريب التناول وفي «من العيون» دلالة على أن تفجير العيون ليس في كل الجنات، بل وفي بعضها، وفي بعضها الآخر، نزول ماء السماء فيها، ودلالة على شمول الرحمة لهم من السماء والأرض.

٣٥-(ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

تقرير لحكمة ما خلق تلك النعم كأنه قال: «هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩) وتأخير «ليأكلوا من ثمره» عن تفجير العيون لأنه من مبادئ الأثمار...

قوله تعالى: «وما عملته أيديهم» اليد كناية عن القوة، وذلك، ان اقوى جوارح الإنسان في العمل يده، فصار ذكر اليد غالباً كناية عن ذلك فلا تنوى اليد بعينها، وفيه ايماء إلى أن النعمة حقاً هو المال الحلال المكتسب من كد اليمين وعرق الجبين، أما المال الحرام فهو نار وجحيم: «إنّما يأكلون في بطونهم ناراً» النساء: ١٠) هذا بنآءً على أن «ما» موصولة وأما ظاهر السياق يؤيد كونها للنفي فتأمل جيداً.

وقوله تعالى: «أفلا يشكرون» طلب من المؤمنين الشكر وحثّ وتنبيه لهم على شكر نعمائه وذكر جميل آلائه من جهة، وتنديد بالذين لايشكرون الله جل وعلا على أفضاله عليهم، ورحمته بهم في الأرض والسماء، وتوبيخ واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة، وإنكار لموقفهم من هذه النعم موقف الجاحد المنكر للمنعم بها من جهة اخرى. والفاء للعطف على مقدّريقتضيه المقام أي أهم يرون هذه النعم الالهية المحيطة بهم من الأرض والسماء ويتنعمون بها فهم لايشكرون الله جل وعلا بها؟!

٣٦ـ (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون)

تنزيه لذاته وتعظيم له جل وعلا، وتمجيد وتبجيل لجلاله وقدرته، تنبيهاً إلى أنه عزّوجل هو المستحق لمنتهى الحمد وغاية الشكر على ما خلق للانسان من أنواع النبات ورزقهم من الحبوب والأثمار... وهذا التسبيح بلسان الوجود كله، وأنه إذا خرست ألسنة المشركين الطاغين والضالين المضلين، والباغين المكذبين أن يسبحوا بحمد الله جل وعلا وأن ينزّهوه ويمجّدوه، فان الوجود كله لسان تسبيح وتنزيه وتعظيم وتمجيد وتبجيل لله رب العالمين.

فقوله تعالى: «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» مستأنف بياني مسوق لتنزهه عزوجل عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة لأنه «هو الغني الحميد» وفيه إستعظام ماذكر حيّز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وفي «سبحان» مبالغة من جهة الاشتقاق من سبح الماء فى الأرض إذا أبعد، ومن

جهة النقل إلى التفعيل، ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له عزوجل خاصّة، لاسيّما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن، ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل.

وقيل: «سبحان» مصدر كغفران وقرآن اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء والنقصان، ففيه مبالغة من جهة إسناد التنزّه إلى الذات المقدسة فالمعنى: تنزّه بذاته عن كل مالايليق به تنزّهاً خاصاً به، فالجملة على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبرائته عن كل ما لايليق به مما فعلوه وما تركوه.

وقوله تعالى: «خلق الأزواج...» إشارة إلى تنظيم الخلق كله من العالم المشهود والغائب عنّا باستيلاد كل شيء من فاعل ومنفعل قبله هما أبواه كالذكر والانثى من الانسان والحيوان والنبات والجن وغيرها من عالم المعاني والغيوب عنّا، وكل فاعل ومنفعل يتلاقيان فينتجان بتلاقيهما أمراً ثالثاً.

وقوله تعالى: «مما تنبت الأرض...» بيان لـ«الأزواج».

٣٧ـ (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون)

تقرير لأدلة واضحة وبراهين قاطعة آفاقية على توحيد الله جل وعلا وقدرته، على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وعظمته وعلى وجوب إلاهيته ووجوب الشكر له تعالى على نعمائه وآلائه بعد تقرير الأدلة الانفسية لذلك كلّه.

وقوله تعالى: «نسلخ منه النهار» جملة مبنيّة لكيفيّة كون الليل آية للانسان، وفيه إستعارة تبعية، حيث استعار السلخ لكشف الضوء من مكان الليل، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على أمر، فانّه يترتب ظهور اللحم وظهور الظلمة، وسلخ النهار من الليل هو كشطه عنه، وإزالة القشرة النورانية التي تكسوه كما يكسو الجلد الحيوان، فاذا سُلِخت هذه القشرة النورانية عن كيان الكائنات، سادها الظلام، وفيه إشارة إلى حركة إنسحاب النور بحركة الأرض، ودورانها حول الشمس، فينسلخ النور شيئاً فشيئاً عن

الأماكن التى تطلع عليها الشمس، وذلك كما يسلخ الجلد عن الحيوان شيئاً فشيئاً لافجأة ولادفعة واحدة على ما زعم بعض المعاصرين.

في تلخيص البيان: قال في قوله تعالى: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار...»: وهذه إستعارة، والمراد تخرج منه النهار ونستقصى تخليص أجزائه من أجزائه حتّى لايبقى من ضوء النهار شيْ مع ظلمة الليل، فاذا الناس قد دخلوا في الظلام، وهذا معنى قوله تعالى: «فاذا هم مظلمون» كما يقال: أفجروا إذا دخلوا في الفجر، وانجدوا واتهموا إذا دخلوا نجداً وتهامة. والسلخ:إخراج الشيْ مما لابسه والتحم به فكل واحد من الليل والنهار متصل بصاحبه اتصال الملابس بأبدانها، والجلود بحيوانها، ففي تخليص أحدهما من الآخر حتّى لايبقى معه منه طرف عليه منه أثر آية باهرة ودلالة قاهرة فسبحان الله رب العالمين» انتهى كلامه.

وقوله جل وعلا: «فاذاهم مظلمون» إشارة إلى أن كل إنسان يكتسى من النور حلة، فاذا سلخت عنه صار جسماً معتماً مظلماً، وأصبح قطعة من هذا الظلام، تجتمع قطعة بعضها إلى بعض، فاذاً هي الليل.

٣٨ـ(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)

بيان لآية آفاقية اخرى تدل على التوحيدوالقدرة والتدبير والحكمة والعظمة الالهية، تشبيه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره إلّا أن المسافر له قرار بعد ذلك، وهذه لاقرار لها بعد الحصول في ذلك الحد، ولكنّها تستأنف الحركة منه، وهو أوّل الحمل أو أحد الخافقين أو إحدى الغايتين في تصاعدها فلك نصف النهار وتنازلها أوغير ذلك من الاعتبارات... وفي «الشمس تجرى...» إشارة إلى سبب سلخ النهار، فانها تجرى لمستقر وهو وقت الغروب، فينسلخ النهار، وفائدة ذكر السبب للردّ على احتمال ان ذلك ليس من الله تعالى، فقال: هذه الشمس إنّما تسير في مدار محدود لها، وتتحرّك في فلك لا تتعدّاه ولاتخرج عنه بتقدير ذى العزّة والسلطان، العليم الذى تجرى أحكامه ومقاديره

بعلم نافذ إلى كل شئ، متمكن من كل كبيرة وصغيرة في هذا الوجود.

قوله تعالى: «ذلك تقدير العزيز العليم» معنى البُعد في الاشارة مع قرب العهد بالمشار إليه ايذان بعلوّ رتبته وبُعد منزلته.

٣٩- (والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)

بيان لآية آفاقية ثالثة تنبيهاً على الاستدلال على وجود الصانع ووحدته، على علمه وقدرته، وعلى تدبيره وحكمته بآثار صنعه في القمر بعد التنبيه على الاستدلال بالشمس، وفيه إرشاد إلى أن الله جل وعلا إذا تدبّر في امورهم المتعلقة بمعاشهم وحياتهم الدنيوية هذا التدبير التام البديع، فكيف يهمل تدبير امورهم المتعلقة بمعادهم وحياتهم الاخروية الباقية من إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصرة دينه، وقيام عدله، وتبيّن طرائق الهدى وتعيين مهاوى الردى، وفي تخصيص القمر بالتقدير إشارة إلى سرعة سيره ومعاينة منازله، وإلى تعلق أحكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب.

وقد اشير للقمر عند إنتهاء المنازل إلى ثلاث صفات: التقوس والاصفرار والدقة، وذلك ان القمر إذا نزل منزله في آخر ليلة لم يرمن وجهه شئ إلّا قوس صغير أشبه بقلامة الظفر اصفرّودق، يسمّى محاقاً لأن نوره الذى كان يبدومنه قد مُحِقَ، وهذه صورته في آخر منزله الّتي صوّرها له القرآن الكريم في أدق تصوير وأروعه حين شبهه بالعرجون القديم. وان العرجون هو عذق النخلة الذي يحمل التمر ومنه تتدلى عنا قيد التمر ولونه أصفر، فاذا جفّ وطال عليه الزمن تقوس شكله وصار لونه ضارباً إلى الحمرة الداكنة، وهذه التحركات والتغيّرات التي تظهر على وجه القمر ليلة بعد ليلة، جديرة بأن تستثير التأمل والتفكير، وأن تدعو العقل إلى النظر والتدبر فيما وراء هذا المنظر الظاهر للقمر، إلى وضعه في المجموعة الشمسية وإلى صلته بالأرض، وإلى امكان الوصول إليه؟؟؟

إن تسئل: لامعنى لتقدير نفس القمر منازل؟

تجيب عنه: أن هناك مضافاً مقدراً أى والقمر قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل يوم وليلة منزلة منها، لايختلف حاله في ذلك إلى أن يقطع الفلك، فاذا كان في آخر هادق واصفرّ واستقوس وعاد كالعرجون.

٤٠ ـ (لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

في ايلاء حرف النفي للشمس دلالة على أنها مسخّرة لايتيسّر لها إلّا ما قدرلها كما أن لفظة «ينبغي» تدل على الترجّح، ونفي ترجح الادراك من الشمس نفي وقوعه منها، والمراد به أن التدبير ليس مما يجرى يوماً ويقف آخر، بل هو تدبير دائم غير مختلّ، ولا منقوص حتّى ينقضي الأجل المضروب من الله جل وعلا لذلك، فمن قدرته تعالى واحكام علمه أن أجرى تلك العوالم بعلمه وسخّرها بقدرته، وأقامها على نظام محكم، وأجراها في مجار لا تتعدّاها، فلا يصطدم بعضها ببعض، ولا يأخذ بعضها من بعض وضعاً غيرالذي أقامه الله تعالى فيه، فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، فهي مع سرعتها المذهلة، التي تبلغ ألوف المرّات بالنسبة لسرعة القمر فانها لا تدركه، فهى لها فلك تدور فيه، كما أن للقمر فلكه الذي يدور فيه، وكما أن الشمس لا تدرك القمر، كذلك الليل لايسبق النهار، إنهما يجريان بحيث يتبع أحدهما الآخر دون أن يسبقه.

ولم يتعرّض لنفي إدراك القمر للشمس، لالنفى سبق النهار الليل لأن المقام مقام بيان انحفاظ النظم الالهى عن الاختلال والفساد، فنفى إدراك ما هو أعظم وأقوى وهو الشمس لما هو أصغر وأضعف وهو القمر، ويعلم منه حال العكس ونفى سبق الليل الذي هو افتقار للنهار الذي هو ليله، والليل مضاف إليه متأخر طبعاً منه، ويعلم به حال العكس.

قوله تعالى: «وكل» أي كل واحد من الشمس والقمر أو الكواكب والنجوم كما يشعر على ذلك بذكر الليل، فالتنوين عوض عن المضاف إليه.

وقوله تعالى: «يسبحون» ولم يقل: «تسبح» لأنه وصف بفعل من يعقل نظراً لمناسبة

رؤوس الآيات واقتضاء الفواصل... أو للاشارة إلى كونها مطاوعة لمشيئة الله جل وعلا مطيعة لأمره جل وعلا كالعقلاء كما في قوله تعالى: «فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» السجدة: ١١) وقيل: لما كان المنظور الحكم بجريان الجميع واثبات الحركة للكل من دون النظر إلى خصوصيات أُخر أتى بصيغة الجمع وقال: كل يسبحون إشارة إلى اشتراك الجميع في السباحة.

ان، الآيات الكريمة الخمس -٣٦-٤٠- قوية نافذة موجهة إلى القلب والعقل بسبيل ما جائت من أجله من التذكيروالعظمة والبرهنة والانذار.. فتدبّر جيداً واغتنم جداً.

٤١-(وآية لهم أنا حملنا ذريّتهم في الفلك المشحون)

تقرير لفنون النعم الالهية التي امتنّ بها على خلقه، وتدل على وحدانيته وقدرته وتدبيره وحكمته... والمعنى: ومن آياتنا التي نعرضها على هؤلاء المشركين الطاغية والمستكرين الباغية والتي تحمل إليهم الدلائل على قدرتنا وإحساننا وإنعامنا عليهم اننا: «حملنا...» ونونات الجمع -للتكلم مع الغير-: (حملنا- خلقنا- نشأ- نغرقهم- منا) في الآيات الأربع: ٤١-٤٤) كلها للاشعار بالعظمة التامة والقدرة الكاملة التى ليست ورائها عظمة وقدرة وفي الآية الكريمة تقرير نعمة عليهم وعبرة وإنذار لهم.

وفي تخصيص الذرية بالذكر لما أن استقرارهم في السفن أشق واستمساكهم فيها أبدع، أو لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب مع الايجاز، أو نسب الحمل إلى الذرية دون أنفسهم فلم يقل: «إنا حملناهم» لا ثارة الشفقة والرحمة.

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجل: «وآية لهم» أي لأهل مكة «أنا حملنا ذريتهم» أى ذرية أهل مكّة أو ذرية قوم نوح عليه السلام «في الفلك المشحون» وقد كانت الذرية إسماً للأولاد والمحمول في سفينة نوح عليه السلام آباء أهل مكة لاأولادهم؟

تجيب عنه: إن الذرية من أسماء الأضداد التي تطلق على الآباء والأولاد لقوله جل وعلا: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من

بعض» آل‌عمران: ٣٣) إذ وصف جميع المذكورين بكونهم ذرية، وبعضهم آباء وبعضهم أبناء، فالمعنى: حملنا آباء أهل مكة أو حملنا أبناءهم لأنهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين.

إن تسئل: جعل «الفلك» في هذه الآية الكريمة: «في الفلك» فرداً، وفي قوله تعالى: «وترى الفلك مواخر فيه» النحل: ١٤) جمعاً فما وجه ذلك؟

تجيب عنه: الفلك: السفينة تذكّر وتؤنث، فقد تطلق ويراد منها الفرد، كما فيما نحن فيه، وقد تطلق ويراد منها الجمع كما في سورة النحل، ولاطلاق الفرد وإرادة الجمع منه نظائر... منها قوله تعالى: «أولياؤهم الطاغوت» البقرة: ٢٥٧)

٤٢ـ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)

لايبعد أن تكون في الآية الكريمة إشارة إلى الطيارات والسفائن الجوّية المعمولة في الأعصار فانها في الفضاء كالفلك في البحر، وإلى السيّارات فانها تسير في البرّ كجرى الفلك في البحر، مضافاً إلى السفائن البرّية كالابل والأنعام...

٤٣ـ (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون)

تهديد ووعيد وإنذار للمشركين الباغين والمجرمين الطاغين والمجرمين العاصين، وتأكيد على أنّه جل وعلا فاعل مختار قادر لايمنعه شيْ، وتنبيه إلى أن الأسباب المادية والطبيعية ليست علة تامة لنجاة الانسان مادام لم تضمّ بمشيئة الله تعالى، وما هو علّة تامة هى مشيئة الله عزوجل كما قال: «إلاّ رحمة منا ومتاعاً إلى حين» أي إذا كان من قدرة الله جل وعلا أن يسخّر الفلك لتجري في البحر بأمره فلايغرق راكبوها فان من قدرته تعالى أن يغرق هذه السفن بمن فيها من الأنفس والأموال، فلا يجدون من يسمع لهم صرافاً أو يستجيب لهم أو يقدر على انقاذهم إن سمع واستجاب... فهم هلكى لامحالة إلاّ أن تتداركهم رحمة الله عزوجل وإلاّ أن تكون لهم بقية من أجل.

٤٤ـ (إلّا رحمة منا ومتاعاً إلى حين)

إستثناء مفرّغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة، فلاينجيهم إلّا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم... وفي الآية الكريمة إنذار لهم بأن الله جل وعلا إذا لم يغرقهم فلايكون ذلك إلّا من قبيل الامهال إلى حين كأنما يهيب بهم إلى اغتنام الفرصة السانحة قبل نفاد صبره وإنزال عذابه فيهم.

وقيل: فيها إشارة إلى أن الانقاذ رحمة بالنسبة إلى المؤمن، ومتاع إلى حلول الأجل بالاضافة إلى الكافر، أو المراد أن أحداً لايتخلّص من الموت وإن سلم من الآفات...

٤٥ـ (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون)

بيان لاعراض المشركين عن الآيات التنزيلية والاستماع لها، بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها، في الآية الكريمة تقرير عن واقع أمر المشركين الفجرة والكافرين الباغية ومبلغ مكابرتهم وجحودهم ونهاية عنادهم ولجاجهم وغاية جهلهم عن جهلهم، وغفلتهم عن غفلتهم، وغلظ قلوبهم، فهم يؤمرون باتقاء غضب الله تعالى في الدنيا والآخرة فهم لايبالون، وهم عن إعراض أبداً عن كل خير وحق وإحسان...

وفي مجيئ القول: «قيل» مبنياً للمفعول إشارة إلى أنهم لايقبلون هذا القول الذى يدعوهم إلى تقوى الله جل وعلا لالأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هوالذى يدعوهم إليه، بل طبيعتهم لا تقبله من أيّة جهة تأتيهم به، ومن أى انسان يدعوهم إليه، إذ فسدت بالشرك والطغيان، والكفر والعصيان، والبغى والعدوان...

وفي حذف جواب «إذا» دلالة على أن حال المشركين الجحود، والمستكبرين العنود بلغت من الجرأة على الله جل وعلا ومن الاستهانة بالحق مبلغاً لايستطاع معها ذكر ما يجيبون به داعى الحق إذا دعاهم إلى التقوى، فيجب أن يترك أسفاً ولايذكر.

٤٦- (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين)

تقرير لديدن المشركين الفجرة ودأب المستكبرين الكفرة، ومواقف المجرمين الفسقة من دعوة الله جل وعلا وآياته الآفاقية والانفسية والتنزيلية ونبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بأن بناءهم على الاعراض عن الحق والهدى، وتصميمهم على البقاء على الشرك والردى، وليس هذا ببدع منهم، فهذا إخبار من الله تعالى عن عناد المشركين ولجاج الكافرين وغاية جهل المستكبرين عن جهلهم، ونهاية غفلة المجرمين عن غفلتهم... وفي ايثار المضارع: «تاتى» دلالة على الاستمرار التجددى بأن دأبهم تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وديدنهم الاعراض عن كل آية وموعظة عتواً وعناداً، ولافرق عندهم في الاعراض بين العقائد وصالح الأعمال ولذلك أتبعه بقوله: «وإذا قيل لهم أنفقوا...»

«من» الاولى مزيدة لافادة الاستغراق وتأكيد العموم أي هم معرضون عن أيّة آية كانت؟! و«من» الثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لـ«آية» وإضافة «آيات» إلى اسم الرب المضاف إلى ضمير «هم» لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها و«عنها» متعلقة بـ«معرضين» قدّم لرعاية الفواصل... وجملة «إلّا كانوا عنها معرضين» في حيّز النصب على كونها حالاً من مفعول «تأتي» أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما، والاستثناء مفرّغ من أعم الأحوال أي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من أحوالهم إلّا حال إعراضهم عنها، أو ما تأتيهم آية منها في حال من أحوالها إلّا حال باعراضهم عنها.

٤٧- (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الّذين كفروا للّذين آمنوا أنطعم من لويشآء الله أطعمه إن أنتم إلّا في ضلال مبين)

تقرير آية من آيات ربهم تدعوهم إلى خير وبرّ واحسان بأمثالهم في الانسانية بأن ينفقوا مما رزقهم الله جل وعلا فأعرضوا عنها، فماذا كان جوابهم على هذه الدعوة من صاحب الأمر وصاحب الرزق؟ كان جوابهم هو: «قال الذين كفروا للذين آمنوا...»

إخبار من الله تعالى عن إعراضهم عن الأعمال الصالحة وقسوتهم على المخلوقين أمثالهم، بعد إعراضهم عن العقائد الحقة وعن الخالق، فهم لم يعظّموا الخالق، فكيف يشفقون على المخلوق؟ فكما أنهم كانوا يخلون بجانب التعظيم لأمر الله حيث قيل لهم: «اتقوا» فلم يتقوا، فهم يخلون بجانب الشفقة على خلق الله جل وعلا ولاينفقون إذا أُمروا بالإنفاق على أنهم خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والاشفاق، فان أدنى الانقياد هو الإتقاء من العذاب، وأدنى الإشفاق هوانفاق بعض ما في التصرف من مال الله تعالى إلى حين ابتلاء وامتحاناً، فأين هم من معشر أقبلوا بالكلية على الله تعالى وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى.

قوله تعالى: «وإذا قيل لهم أنفقوا» دعوتهم إلى الانفاق على الفقراء والمساكين من أموالهم، وفي التعبير عن الأموال بمارزقهم الله: «مما رزقكم الله» تحقيق للحق، وترغيب لهم في الانفاق على منهاج قوله تعالى: «وأحسن كما أحسن الله إليك» القصص: ٧٧) وإشعار بأن المالك للأموال حقيقة هوالله الذي رزقهم بها، وسلّطهم عليها، وهو الذي خلق الفقراء والمساكين، وأقام حاجتهم إلى ما عند هؤلاء من فضل المؤن الذي لايفتقرون إليه فلينفقوا عليهم وليحسنوا وليجملوا والله يحبّ البرّ والاحسان، وجميل الأفعال... وإشارة إلى أن الله عزوجل قادر على إغنآء الفقير وإعطائه كما أغنى هؤلاء الأغنياء وأعطاهم وقد كانوا هم فقراء لم يكن لهم شيئ من المال، وإنّما جعل الله تعالى الغني واسطة في الانفاق على الفقير، فالسعيد من عرف حق التوسيط، وانتهز فرصة الامكان، وعلم أن الانفاق سبب للبركة في الحال، ومجلبة للثواب في المآل.

وقوله تعالى: «قال الذين كفروا...» جوابهم للدعوة إلى الانفاق، وفيه تنبيه إلى عظيم جرمهم وكبير جناياتهم في ترك الامتثال للأمر، وذمّ لهم على ترك الشفقة على عباد الله عزوجل، فانّه لما قيل لهم أنفقوا على المحتاجين مما رزقكم الله فيجيبون ساخرين: إن الله لوشآء أن يرزقهم ويطعمهم لما قتّرعليهم وحرمهم، وانكم في طلبكم هذا منّا في ضلال مبين. وفي إظهار القائل: «الذين كفروا» دون أن يقول: «قالوا»

وقدكان مقتضى المقام إضماراً تسجيل عليهم بالكفر، وإشارة إلى أن كفرهم بالحق وإعراضهم عنه باتباع الشهوات هو الذي دعاهم إلى الاعتذار بمثل هذا العذر المبنىّ على الاعراض عمّا تدعو إليه الفطرة من الشفقة على خلق الله وإصلاح ما فسد فى المجتمع كما أن الاظهار في قوله عزّوجل: «للذين آمنوا» إشارة إلى أن قائل: «أنفقوا ممارزقكم الله» هم الذين آمنوا.

وقوله تعالى: حكاية عن الكافرين: «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» فيه إشعار بأن المؤمنين دعوهم إلى الانفاق بعنوان أنّه مما يشاء الله جل وعلا ويريده حكماً دينياً، فردّوه بأن إرادة الله لا تتخلّف عن مراده، فلو شاء أن يطعمهم أطعمهم أي وسّع في رزقهم وجعلهم أغنياء! ومن العجائب أن هؤلاء الكفرة الفجرة في سبيل الغَلَب بالمماحكة والجدل يؤمنون بالله سبحانه ويؤمنون بمشيئته في خلقه، وبتصريفه المطلق لكل أمر.. فيردّون قول المؤمنين لهم: «أنفقوا مما رزقكم» ويقولون: «أنطعم...» إن تلك هي مشيئة الله في هؤلاء الجياع الذين نُدعىٰ إلى إطعامهم... لماذا نطعمهم وإن الله أراد لهم أن يجوعوا، ولو أراد أن يطعمهم لأطعمهم، فانّه قادر، وخزائنه لا تنفد؟ فلماذا تدعوننا إلى إطعامهم، والله هو القادر ونحن العاجزون، وهو الغني ونحن الفقراء؟

وهذا الردّ من المشركين، هو ردّ من خذله الله تعالى وأضلّه على علم، فهم إذ يُدعون إلى الايمان بالله جل وعلا لايسمعون ولايعقلون... وإذا دُعوا إلى ما تقتضيه دواعى المرؤة الانسانية من البرّ والاحسان إلى إخوانهم الفقراء، يقيمون من الله عزّوجل ومن علمه وقدرته حجة كيدية، يبطلون بها الدعوة التي يُدعون إليها... ولو أنهم كانوا مؤمنين بالله تعالى، معترفين بمشيئته في خلقه لاستجابوا لما يدعوهم الله إليه من الانفاق في سبيل الله عزّوجلّ، وهذه مغالطة من هؤلاء الكافرين من يذهب مذهبهم في الأعصار، إذ يخلطون فيه بين الارادة التشريعية المبنيّة على الابتلاء والامتحان، وهداية العباد إلى ما فيه خيرهم وصلاح حالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ومن الجائز أن تتخلّف عن المراد بالعصيان إذ لاإكراه في الدين، وبين الارادة التكوينية التي لا تتخلّف عن المراد،

ومن المعلوم أن مشيئة الله جل وعلا وإرادته المتعلقة باطعام الفقراء والانفاق عليهم من المشيئة التشريعية دون التكوينية، فتخلّفها في مورد الفقراء إنّما يدلّ على عصيان الذين كفروا وتمرّدهم عما امروا به لاعلى عدم تعلّق الارادة به وكذب مدّعيه.

وهذه مغالطة بنوا عليها جل ما افتعلوه من سنن الوثنية وقد حكى الله عزوجل عنهم في مواضع من القرآن الكريم...

منها: «وقال الذين أشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيئٍ نحن ولاآبائنا ولاحرّمنا من دونه من شيئٍ» النحل: ٣٥)

ومنها: «وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم» الزخرف: ٢٠) وغيرهما...

في قولهم: «أنطعم» ولم يقولوا: «أننفق» إظهار لغاية خسّتهم، فان الاطعام أدون من الانفاق، ومَن بخل بالأدون فهو بأن يبخل بالأكثر أولى.

وقولهم: «من لويشاء الله أطعمه» كلام في نفسه حسن، ولكنّهم ذكروه في معرض الدفع والردّ فلهذا أستوجبوا الذم والتوبيخ، وقد بيّن الله جل وعلا خطأهم بقوله: «مما رزقكم» فان مَن في خزائنه مال، وله في يد الغيرمال، فانّه عزّوجل مخيّرإن أراد أعطى زيداً مما في خزائنه، وإن شاء أعطاه مما في يد الغيرمن ماله تعالى، وليس لذلك الغيرأن يقول: لم أحلته عليّ ؟!

قولهم: «إن أنتم إلّا في ضلال مبين» فيه إشارة إلى غاية شحّهم، وغاية بخلهم، بحيث انهم عابوا الآمرعلى الانفاق، ووصفوه بالضلال البيّن الذى لامرية فيه. هذا بنآء على ما اعتقدوه أن الأمر بالانفاق ضائع لأنّه سعى في إبطال مشيئة الله عزّوجل ولم يعلموا أن الضلال لايتعدّاهم أيّة سلكوا، وذلك انهم لم ينظروا إلى الأمرولم يتفكّروا في الطلب، وبادروا إلى الاعتراض، والطاعة هي اتباع الأمر لاالاستكشاف عن الغرض والغاية.

وقولهم: «للذين آمنوا» مزيد تصوير لجهالتهم حين قالوا لهؤلاء الشرفاء الكرماء ما قالوا: «إن أنتم إلّا في ضلال مبين» لا تعرفون الله ولا تقدرونه قدره؟!

٤٨ـ (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)

إستهزاء من هؤلاء الكفرة الفجرة مبنيّ على الانكار بخبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وخبر المؤمنين، وهذا من تعنتهم حيث انهم استبطؤا الموعود على الا تقاء والانفاق قائلين: إن كنتم أيّها المدّعون للرسالة، صادقين فأخبرونا متى يكون هذا الموعود به من الثواب والعقاب أي لاتحقيق لهذا الوعيد. وان الوعد يستعمل في الخير والشر إذا ذكر وحده، وإذا قابل الوعيد تعيّن الوعد للخير والوعيد للشر.

قوله تعالى: «متى هذا الوعد» في قرب الاشارة وجهان: أحدهما ـ على سبيل الاستهزاء ثانيهاـ باعتبار قرب العهد بالوعد.

وقد تسائلوا تساؤل الساخر المتحدي عن موعد العذاب الذي يوعدون به إن كان ذلك صدقاً وحقاً. وهذا قول من يتّهم وينكر لاقول الشاك في صدق من يسئله تفقّهاً.

إن تسئل: كيف قال الله جل وعلا: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» يعنون الوعد بالبعث والجزآء وقد كان الوعد واقعاً لامنتظراً؟

تجيب عنه: إن المعنى: متى إنجاز هذا الوعد وصدقه، بحذف المضاف أو باطلاق إسم الوعد على الموعود كضرب الأمير ونسج اليمين.

٤٩ـ (ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون)

مستأنف بيانيّ سيق للاستهزاء بهم والاستهانة بأمرهم كما كان قولهم كذلك، وردّ إنذاريّ من جهة الله جل وعلا أي ما ينتظرون، وفي توصيف «صيحة» بـ«واحدة» إشارة إلى هوان أمرهم على الله عزّوجلّ، فلا حاجة إلى مؤنة زائدة، فالموعد آت لاريب فيه ستأتيهم الصيحة بغتة أثناء استغراقهم في أشغالهم ولهوهم وخصوماتهم...

٥٠ـ (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون)

إخبار عما يلقونه في النفخة الاولى عند قيام الساعة مبالغة طي شدّة الأخذ وسرعته،

فهم يهلكون بغتة حيثما كانوا، فلايرجعون إلى أهلهم، ولا يجدون الفرصة لوصية يوصون بها.

في قوله تعالى: «فلا يستطيعون» دون أن يقول: «فلا يوصون» مبالغة لأن من لايوصي قد يستطيعها، وكذلك في تنكير «توصية» دلالة على التقليل، وكذا في نفس «توصية» لأنها بالقول، والقول يوجد أسرع من الفعل من أداء الواجبات وردّ المظالم، وقد تحصل التوصية بالاشارة، فالعاجزعنها عاجزعن غيرها.

وفي قوله تعالى: «ولاإلى أهلهم يرجعون» بيان لشدّة الحاجة إلى التوصية، فان الذي يقطع بعدم الوصول إلى أهله كان إلى الوصية أحوج.

٥١ـ (ونفخ في الصورفاذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون)

بيان لتصوير صورة البعث الاخروي والحالة في اليوم الموعود الذي سئل عنه الكفار وردّ عليهم مؤكداً منذراً، هذه نفخة ثانية، نفخة البعث من القبور ولا يخفى على القارئ المتأمل الخبيرانللنفختين تأثيرين متضادين: الاماتة بالاولى، والاحياء بالثانية.

قوله تعالى: «ونفخ في الصور» في ايثار الماضي دلالة على تحقق الوقوع لامحالة، وكونه مبنياً للمفعول حيث ان المراد وقوع النفخة.

وقوله تعالى: «فاذا هم من الأجداث...» كناية عن الحياة بعد الموت لأنّ الأجداث لم تبق إلى يوم القيامة في القبور، ولم تبق القبور إيضاً لتحفظ الأجداث أو العظام والذرات مع أن كثيراً من الناس يحرقون الأجداث والأجساد، وكثيراً من الأجساد أكلتها الطيور والسباع، وغرقت في البحار وابتلعتها السماك فهؤلاء لايحشرون من القبور، فالمراد من الآية الكريمة هوإثبات الحياة بعدالموت ورجوع الانسان إلى الله جل وعلا بعد الحشر والنشر والبعث مع كونه تعالى حاضراً في جميع الأزمنة والأماكن لأن الآخرة اقرب رتبة من الله عزّوجل من الحياة الدنيا المادية داراالجهل والغفلة المحضة.

وفي التعبيرعنه جل وعلا بقوله: «إلى ربهم» تقريع لهم وتخجيل بهم، فان من أساء

واضطر إلى الحضور عند من أحسن إليه كان أشد ألماً وأكثر ندماً، إذ كانوا هم ينكرن ربوبيته عزّوجلّ في الحياة الدنيا مع إحسانه جل وعلا تمامه لهم.

وقوله تعالى: «ينسلون» لاينا في قوله تعالى: «فاذا هم قيام ينظرون» الزمر: ٦٨) وذلك لأنه في أول الحالة، ثم يحصل لهم سرعة المشي من غيراختيارهم، ويمكن أن يقال: إن هيئة الانتظار ليست بمنافية للمشي، بل مؤكدة له، ومعينة عليه، وفي «إذا» المفاجأة إشارة إلى أن الاحياء والتركيب والقيام كلها تقع في زمن النفخ.

٥٢-(قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)

إخبار من جهة الله عزوجلّ بأنّ هؤلاء الكفرة الفجرة لمّا رأوا أهوال القيامة «قالوا...» معجبين حين يرون أنفسهم قدخرجوا من قبورهم للبعث والحساب والجزاء... وفيه ترشيح ورمز وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم من الفزع الأكبر يظنون أنهم كانوا نياماً كما قال أصحاب الكهف: «قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم» الكهف: ١٩) وهكذا عزير: البقرة: ٢٥٩) وغيرهما: المؤمنون: ١١٣).

قولهم: «من بعثنا من مرقدنا» فيه سؤال عن الفاعل الباعث، فاجيبوا بالفعل فى قوله: «هذا ما وعد الرحمن...» تبكيتاً وتذكيراً لهم بكفرهم، وتوبيخاً وتقريعاً عليه، مع تضمن ذلك الاشارة إلى الفاعل أيضاً، وهم قدجمعوا في السؤال بين الأمرين: البعث والمرقد، إذ كأنهم شكّوا في أنهم كانوا موتى، فبعثوا أو كانوا نياماً فتنبهوا. وتنبيهاً على أنّ الذي يهمّهم هوالسؤال عن نفس البعث ماذا هو؟ دون الباعث. كأنهم قالوا: بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتابه، وأرسل إليكم الرسل فصدقوكم فيه، وهم أقرّوا حين لاينفعهم الاقرار. وفي التعبير عن الرحمن: «ما وعد الرحمن» نوع استرحام إذ كانوا يقولون في الدنيا: «وما الرحمن» الفرقان: ٦٠).

إن تسئل: إن هذا التعجب من الأموات: «قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا» يشعر بأنهم لم يحاسبوا في قبورهم، بل كانوا هم في رقدة وسبات حتّى من كفرمنهم؟

تجيب عنه: ان حساب القبر يبدأ بعد الدفن بلافصل، ثم تنتقل الأموات إلى حالة ثانية، يطول أمدها، ثم يحدث النشر، وقدعبّروا عن الحالة الثانية بالرقاد لسبب أو لآخر.

إن تسئل: ان قولهم: «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» ينافي قول المسلمين الذين يقولون: إن الكافر يعذّب في قبره، إذ لو كان معذّباً فيه لما كان في المنام!

تجيب عنه بأجوبة: منها ـ إن العذاب يكون في القبر، فلا يتصل إلى يوم البعث، فتكون النومة بين الحالين. ومنها ـ ان العذاب لو كان متصلاً لكان ذلك عبارة عن عظم ما يشاهدونه ويحضرون فيه يوم القيامة، فكأنهم كانوا قبل ذلك في مرقد، وإن كانوا في عذاب لما كان قليلاً بالاضافة إلى الحاضر.

وفي تلخيص البيان: قال: وهذه استعارة لأن المرقد ههنا عبارة عن الممات، فشبهوا حال مدتهم بحال نومهم لأنها أشبه الأشياء بها، وكذلك شبّه حال الاستيقاظ بحال الإحياء والإنشار وعلى ذلك قوله عليه السلام: «انكم تموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون» وقال بعضهم: الاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة لأن لنوم أكثر من الموت والاستيقاظ أكثر من الاحياء بعد الموت لأن الانسان الواحد يكرر عليه النوم واليقظة مرّات وليس لذلك حال الموت والحياة» انتهى كلامه.

قال بعض المعاصرين: «قولهم: «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا» مبنيّ على إنكارهم البعث وهم في الدنيا ورسوخ أثر الانكار والغفلة عن يوم الجزاء في نفوسهم، وهم لايزالون مستغرقين في الأهواء، فاذا قاموا من قبورهم مسرعين إلى المحشر فاجأهم الورود في عالم لايستقبلهم فيه إلّا توقع الشرّ، فأخذهم الفزع الاكبر والدهشة التي لا تقوم لها الجبال، ولذا يتبادرون أوّلاً إلى دعوة الويل والهلاك كما كان ذلك دأبهم في الدنيا عند الوقوع في المخاطر، ثم سئلوا عمن بعثهم من مرقدهم لأن الذي أحاط بهم من الدهشة أذهلهم من كل شئ، ثم ذكروا ما كانت الرسل عليهم السلام يذكّرونهم به من الوعد الحق بالبعث والجزاء فشهدوا بحقّية الوعد واستعصموا بالرحمة فقالوا: «هذا ما وعد

الرحمن» على ما هو دأبهم في الدنيا حيث يكيدون عدوّهم إذ ظهر عليهم بالتملّق وإظهار الذلّة والاعتراف بالظلم والتقصير ثم صدّقوا الرسل بقولهم: «وصدّق المرسلون».

وبما تقدّم ظهر أوّلاً وجه دعوتهم بالويل إذا بعثوا، وثانياً وجه سؤالهم عمّن بعثهم من مرقدهم الظاهر في أنهم جاهلون به أوّلاً ثم إقرارهم بأنّه الذى وعده الرحمن وتصديقهم المرسلين فيما بلّغوا عنه تعالى» وفيه تأمل.

٥٣ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون)

تقرير لسرعة بعثهم من القبور وإجتماعهم للعرض والحساب والجزآء، وبيان لحصول النفخة الثانية من غير لبث ما طرفة عين، بأن مدّة البعث والاجتماع هي مدّة صيحة واحدة، وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الأسباب التي ينوط بها فيما يشاهدونه مالايخفى، وفيه إثارة الخوف والرعب في الكفار، وبعث الطمأنينة والرضى في المؤمنين، كما أن «صيحة واحدة» تعظيم لشأن الصيحة بالنسبة إلى المكلفين، وتحقير لأمرها بالاضافة إلى الله جل وعلا. والتعبير بقوله: «لدينا» لأن اليوم يوم الحضور لفصل القضاء عند الله عزّوجل.

وقوله تعالى: «فاذاهم جميع لدينا محضرون» فيه دليل على حشر الناس جميعاً من المؤمن والكافر، من المسلم والمشرك ومن المخلص والمنافق، ثم كل واحد منهم امتاز من الآخرين كما قال: «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» إما حين الحشر أو بعد ذلك.

٥٤ـ (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلّا ما كنتم تعملون)

بيان للجزاء يوم القيامة على مقتضى العدل، تنبيهاً إلى أن عدله عام للكافر والمؤمن، والمخلص والمنافق... وأن فضله خاص بالمؤمنين، وإلى أنهم يجمعون يوم للعدل العام وللفضل الخاص، فالفآء فيه كما في قولك للوالي أو القاضي: جلست للعدل فلا تظلم أي ذلك يقتضي هذا ويستعقبه.

وقوله تعالى: «ولاتجزون إلّا ما كنتم تعملون» على حذف المضاف أى جزاء ماكنتم، وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على قوّة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شئ واحد أو بتقدير الباء أي إلّا بما كنتم تعملون أي بمقابلته أو بسببه وعلى كلا التقديرين حذف العائد للموصول أي تعلمونه. وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون الساعة تحقيقاً للحق وتقريعاً للكافرين، ومن جملة ماسيقال للكافرين يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم قوله تعالى:

٥٥ـ (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)

فان الأخبار بحسن حال أعدآئهم إثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عماهم عليه، ومدعاة إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين، تقرير لحال المؤمنين على طريق الحكاية في ذلك اليوم تصويراً للموعود وترغيباً فيه، وهذا مايُلقاه المؤمنون في هذا اليوم الذي يساق فيه المشركون إلى موقف الحساب والجزاء والنار وهذا الخبر هو تشويق للمؤمنين إلى هذا اليوم وإلى هذا الجزاء الكريم الذى وُعِدوا به من ربهم، ثم هو في الوقت نفسه عزل للكافرين عن هذا المقام، ومضاعفة للحسرة في قلوبهم، وسمي أهل الجنة «أصحاب الجنة» تمكيناً لهم منها، واطلاقاً لأيديهم بالتصرف في كل شئ فيها، شأنهم في هذا شأن المالك فيا ملك، فضلاً من الله جل وعلا وإحساناً.

قوله تعالى: «في شغل فاكهون» في تنكير «شغل» وإبهامه تعظيم لما هم فيه من النعم، وايذان بارتفاعه عن رتبة البيان، وفي التعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع ايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها، ولزيادة مساءة الكافرين المخاطبين بذلك، وشغل أصحاب الجنة فيها هو ما يلقّون من ألوان النعيم، حيث يشغل هذا النعيم كل لحظة من حياتهم، إذ يجيئهم ألواناً وصنوفاً، فاذاهم في أحوال متغايرة متشابهة معاً، متغايرة في صورها وآثارها متشابهة في إسعاد النفوس

ونعيمها، وهذا ما يشير إليه قوله عزّوجل: «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوابه متشابهاً» البقرة: ٢٥)

٥٦-(هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون)

مستأنف بياني سيق لتقرير غاية حسن حال «أصحاب الجنة» وكيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيد عليهم بهجة وسروراً من شركة أزواجهم لهم فيماهم فيه من الشغل والفكاهة.

قوله تعالى: «فى ظلال» في تنكيره ايذان بارتفاعه عن رتبة البيان، وإشارة إلى عدم الوجوه الموحشة، وأن لهم في ظل الله جل وعلا ما يمنع الايذاء كقوله عزّوجل: «لايرون فيها شمساً ولازمهريراً» الانسان: ١٣) ولايخفى ان ألذّ شئ لدى الانسان أن يرى نفسه وأزواجه مكاناً فيه ظل ظليل، وأنهار جارية وأشجار مورقة، وهم فيها متكئون على السرر عليها الحجال (الناموسيات) وهذا منتهى ما تسمو إليه النفوس من لذة لدى من نزل عليهم التنزيل.

وقوله تعالى: «على الأرائك متكئون» دليل على القوّة والفراغة، والتمكن من أنواع الملاذ.. وهذه صورمن صور النعيم الدنيوية، وكان كثيرمن أصحاب الجنة يتطلعون إليها في الحياة الدنيا ولا يجدونها... وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن أصحاب الجنة يجدون فيها نعيماً خاصاً، في صورمن الحياة التي كانوا يحيونها في دنياهم، ومن هذه الصور، هذا الإلف الذي يجمع بين الزوج وزوجه، وبين الوالدين وأولادهم... فهذه رغيبة من رغائب الانسان في الحياة، يسعد بها مَن وجدها في زوجه وولده، ويشتهيها من حُرِمَها، فلم يجد الزوجة الموافقة ولا الولد الذي كان قرّة عينه يسعد به... فاذا كانت الآخرة، كان من مطالب أهل الجنة أن يستعيدوا ما كانوا يجدون من نعيم في دنياهم، وأن ينالوا ما كانوا يشتهونه ولايجدون إليه سبيلاً.

هذا هوالتأويل لهذا النعيم الحسّي، ولهذه الصور الدنيوية من ذلك النعيم، الذي

يدخل على أصحاب الجنة مع نعيم الجنة، وهذا كقوله عزّوجل: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم» الطور: ٢١) فالمراد بالأزواج هنا الزوجات المؤمنات اللاتى أُدخلن الجنة، فيكون من تمام النعمة عليهن وعلى أزواجهن، أن يجتمع بعضهم إلى بعض.

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجلّ في صفة أصحاب الجنة: «هم وأزواجهم في ظلال» والظل إنما يكون حيث تكون الشمس، ولهذا لايقال: لما في الليل ظل والجنة لايكون فيها شمس لقوله جل وعلا: «لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً» الانسان: ١٣)؟

تجيب عنه: إن ظل أشجار الجنة ليس من نورالشمس، بل هو من نورالعرش لئلا تبهر أبصار أصحاب الجنة، وإنه أعظم من نورالشمس وقيل: هو من نور قناديل العرش.

٥٧ـ (لهم فيها فاكهة ولهم مايدّعون)

تقرير لما يتمنّون وما يتمتّعون به في الجنة من المآكل والمشارب والمساكن والأزواج وما يتلذّذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما هم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلاً لبيان كيفيّة ماهم فيه من الشغل والبهجة... وقد اطلقت لهم «فاكهة» من غير تحديد مع تنكيرها لتشمل كل فاكهة، فيتخيّرون منها ما يشاؤن كما قال عزّوجل: «وفاكهة لما يتخيّرون» االواقعة: ٢٠)

وقوله تعالى: «ولهم ما يدّعون» في التعبير بكلمة «ما» عن مدعوّ عظيم الشأن معين أو مبهم ايذان بأنه الحقيق بالدعاء دون ما سواه ثم صرّح به روحاً لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق: «سلام قولاً من ربّ رحيم» أو كلمة «ما» باقية على عمومها، قصد بها التعميم بعد تخصيص بعدالمواد المعتاد بالذكر، وفيه دلالة على أنهم في أقصى غاية البهجة والغبطة، وعلى نيلهم بجميع حوائجهم وبما يخطر ببالهم وبمالا يخطر ببالهم، ومالا رأت أعينهم... هنيئاً لاصحاب النعيم رزقنا الله عزّوجلّ بحقّ محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

٥٨ـ (سلام قولاً من ربّ رحيم)

هذا تمام النعمة في الجنة ليس فوقها نعمة تدل على فخامة شأن أصحابها وتعظيمهم مالايقدر قدره، سلام يقوله الله جل وعلا قولاً من ربّ رحيم بهم، فهم يسمعونه من الله عزّوجل، فيؤذنهم بدوام الأمن من كل مكروه بالسلامة التامة، ووبالرحمة الخاصّة، وبالسّعادة الأبدية مع سبوغ النعمة والكرامة، فهل من ورآئها نعمة؟! وذلك منتهى درجات النعيم الرّوحى والجسمانى ماسمعت اذن ولارأت عين... وفي تنكير «سلام» وايثار المفعول المطلق «قولاً» بدون ذكر فعله، وايثار كلمة «ربّ» و«رحيم» من المعارف والحقآئق واللطّائف مالايخفى على القارئ الخبير المتأمّل.

٥٩ـ (وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)

خطاب تنديد وتبكيت للعصاة المجرمين، وللبغاة الكافرين من شأنه إثارة الخوف والرّعب فيهم، بيان لما يقول الله عزّوجلّ زجراً وردعاً لهم أن يكونوا بمحضر من هذا المقام الكريم الذي ينزله أصحاب الجنّة أو أن يروه بأعينهم...

وفي العطف وجهان: أحدهما ـ عطف على الجملة السّابقة سيقت لتقرير أحوال الجنّة من عطف قصّة سوء حال المجرمين الكافرين وكيفيّة عقابهم على قصّة حسن حال المؤمنين ووصف ثوابهم، وتغيير السّبك لتخييل كمال التّباين بين الفريقين وحاليهما. ثانيهما ـ عطف على مضمر ينساق إليه حكاية حال أهل الجنّة كأنه قيل إثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان، فليقرؤا بذلك عيناً وامتازوا عنهم أيّها المجرمون إلى مصيركم النّار.

وفي «المجرمون» من تعليق الحكم على الوصف للإشعار بعلّيّة الوصف في الحكم مالايخفى فانّ المجرم بما أنّه مجرم لابدّ من أن يخرج من زمرة المؤمنين ويبعد عن ساحتهم...

٦٠ـ (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين)

من جملة ما يقال للمجرمين الفجرة والكافرين الباغية يوم القيامة بطريق التّقريع والالزام والتبكيت بين الأمر بالإمتياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله جلّ وعلا: «إصلوها اليوم».

خطاب تقريع آخر وتوبيخ للمجرمين عامة، وإستفهام تقريرى يثير مشاعر الندم والحسرة.

وقوله تعالى: «انّه لكم عدوّ مبين» تعليل لوجوب الانتهآء عن المنهيّ عنه أو تعليل للنّهى عن عبادة الشّيطان، وفيه تحذير من الشّيطان وأعوانه... لأنّه عدوّ الإنسان لايدعوه إلّا إلى كفر وضلال، إلى جرم ونفاق، ولايريد بعدوّه إلّا شرّاً وفساداً، ودماراً وهلاكاً.

٦١ـ (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)

عطف الأمر على النّهى، و«أن» فيهما إمّا مفسّرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنّهى: «لا تعبدوا» والأمر: «اعبدوني» وإما مصدرية حذف عنها الجار أى ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشّيطان، وفي عبادتى، وتقديم النّهى على الأمر لما أن حقّ التخلية هوالتقدم على التّحلية والتّطهير على الطّهارة كما في كلمة التّوحيد: «لا إله إلّا الله» أوّلاً ولأن تستعدّ النفس للقبول ثانياً كما في تقدم شهر شعبان المعظّم الذي هو شهر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم على شهر الله جلّ وعلا الّذي هو شهر رمضان المبارك حيث قدّم شهر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم علىٰ شهرالله تعالى زماناً لتهيّأ النّفس على انتفاع ما في شهر الله عزّوجلّ.

قوله تعالى: «هذا» إشارة إلى ما عهد إليهم من مخالفة الشيطان أوّلاً، ومن عبادة الرحمن ثانياً، فان مَن لم يخالف الشيطان لايعبد الرحمن. وتنكير «صراط» إما للتعظيم أى بليغ فى استقامته، إذ لاصراط أقوم منه، وإما للتنويع أى هذا بعض الطرق

المستقيمة، ففيه توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ: هذا فيما أظن قول نافع غير ضارّ. وفي ذكر «صراط» هيهنا إشارة إلى أن الانسان في الحياة الدّنيا كالمسافر والمجتاز في بادية يخاف فيها على نفسه وماله لايكون عنده شئ أهمّ من معرفة طريق قريب أمن. وفي وصف العبادة بـ«صراط مستقيم» إشارة إلى أنّ العبادة لله وحده هي الطّريق المستقيم إلى الجنة فلاتخليط فيه ولا تعريج.

٦٢-(ولقد أضلّ منكم جبّلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون)

قسم خامس من أقسام السّورة، وجواب القسم محذوف، والجملة مستأنفة سيقت لتشديد التّوبيخ والعتاب والتّقريع لتضاعف جناياتهم أى وبالله جلّ وعلا لقد أضلّ منكم خلقاً كثيراً أو صنفاً كبيراً عن ذلك الصّراط المستقيم الّذي أمرتكم بالثّبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهآئلة الّتي ملأ الآفاق أخبارها، وبقى مدى الدّهر آثارها... ففى صدر الآية الكريمة بيان لعداوة الشيطان للإنسان، وتقرير لأهم آثار عداوته له وهو إضلاله عن الصّراط المستقيم، وإغوائه في الدّين...

وقوله تعالى: «أفلم تكونوا تعقلون» الإستفهام إنكاريّ عليهم وتبكيت لهم، والفآء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام أى أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم؟ أفلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً حتّى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العذاب؟! فذيل الآية الكريمة يلفت العقول إلى تلك الآثار السيّئة الهآئلة الّتي تركها الشّيطان فيمن عصوا الله جلّ وعلا، ونقضوا العهد الإلهي، واتّبعوا خطوات الشّيطان... لقد ألقى بهم الشّيطان في بلاء عظيم، وأوردهم موارد الهلاك... فاذا لم يربعض الغافلين أن يستجيبوا لما دعاهم الله تعالى إليه من اجتناب الشيطان والحذر منه، أفلم يكن لهم فيما رأوا من آثاره في أتباعه وأوليائه ما يدعوهم إلى إجتنابه ومحاذرته؟

وفي قوله تعالى: «أفلم تكونوا تعقلون» عود باللّائمة والتّوبيخ والعتاب لهؤلآء الّذين

لا تزال أيديهم ممسكة بيدالشّيطان، وهم يمشون على أشلآء صرعآء منهم!

٦٣ـ (هذه جهنّم الّتي كنتم توعدون)

مستأنف بياني يخاطبون به بعد تمام التّوبيخ والتّقريع والالزام والتّبكيت عند إشرافهم على شفير جهنّم أى كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم صلوات الله بمقابلة عبادة الشّيطان مثل قوله تعالى: «لأملئن جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٥)

ولقد نقض المشركون عهدالله جلّ وعلا وخرجوا عن أمره ولكن الله تعالى لم ينقض عهده معهم وهو أنهم إذا نقضوا عهده وخرجوا عن أمره كانت النار موعدهم لقوله عزّوجلّ: «ذلكم النّار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير» الحجّ: ٧٢).

٦٤ـ (إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)

أمر تنكيل وإهانة وتحقير لهم كقوله تعالى: «ذق» الدّخان: ٤٩) وتقرير لسبب دخولهم وخلودهم في النّار وهوالكفر والضّلالة.

٦٥ـ (أليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)

إخبار من الله تعالى بأنّه يختم على أفواه الكفّار والمجرمين يوم القيامة، فهم لايقدرون على الكلام والنّطق، ولايستطيعون دفاعاً عن أنفسهم، وفي «اليوم» إشارة إلى أنّ اللّذات قد مضت، وأيّامها قد انقضت، وليس بعد ذلك إلاّ العقاب.

في الإلتفات عن الخطاب إلى الغيبة ايذان بأنّ ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم، ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايمآء إلى أنّ ذلك من مقتضيات الختم لأنّ الخطاب لتلقى الجواب، وقد انقطع بالتّمام.

وفي هذا اليوم يختم الله عزّوجلّ على أفواه أهل الضّلال، فلا ينطقون، وفي هذا زجر

لهم وكبت للكلمات الّتي كانت ستنطلق من أفواههم ليعتذروا بها إلى الله تعالى وليتبرؤا بها من أنفسهم، وما جنته أيديهم أو يحاولوا بها إلقاء التهمة على غيرهم، وفي كلّ هذا مجال للتّنفيس عنهم، وكلّا فانه لامتنفّس لهم ولو بكلمة!! وممّا يضاعف في ايلامهم وحسرتهم أن يقوم الشهود عليهم باثبات جريمتهم من أنفسهم، فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم... انّهم شهود أربعة، تتمّ بهم الشّهادة على مرتكبي الكبآئر...

إن تسئل: كيف يعقل ويتصوّر شهادة الأرجل وتكلّم الأيدي وهى لاتحسّ ولا تشعر؟

تجيب عنه: كيف تصورتم تكلم الاسطوانةا الفوتغرافية والشريط المسجل عليه؟ هذا هوصنع المخلوق! فكيف بصنع خالق السموات والأرض ومن هوعلى كلّ شىء قدير؟ فلا يحتاج النّطق يومئذ إلى اللّسان ولاالسمع إلى الأذن، ولا الرّؤية إلى البصر والعين كما نعتاد بها في الحياة الدّنيا، مع أنّا نتكلّم ونمشي ونسمع ونرى ونأخذ شيئاً حقيقة، ونحن نآئمون في مضاجعنا إذ وقع كثيراً ما يأخذ الدّواء من أئمتنا المعصومين عليهم صلوات الله للشّفآء والمريض نآئم، ونسمع في رؤيانا من العالم أو الجاهل ونحفظه في خزائن حافظتنا ونتحدّث بلاريب فيه.

وفي نسبة الكلام إلى الأيدي: «تكلمنا أيديهم» والشهادة إلى الأرجل: «وتشهد أرجلهم» دلالة على أن للأيدى مزيد اختصاص بمباشرة الأعمال، ومن ثمّ كثرت نسبة العمل إليها: «وما عملته أيديهم» يس: ٣٥) وغيرها من الآيات الكثيرة... وليست الأرجل كذلك، فكانت الشّهادة بها أنسب، فانّها كالأجنبيّة منها، والشّاهد على العامل ينبغي أن يكون غيره، فاليد مباشرة للعمل والرّجل حاضر، وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه إقرار بما قال أو بما فعل، ولذلك عبّر عما صدر من الأيدى بالقول وعما صدر من الأرجل بالشّهادة.

وبعبارة أخرى: إنّ الله عزّوجلّ أسند الختم إلى نفسه، والتّكلّم إلى الأيدى، والشّهادة إلى الأرجل لكيلا يقال، إن الاقرار بالإجبار غير مقبول، وقد جعلت الشّهادة على

الكافرين من أنفسهم لأنّ غيرهم إمّا صادقون صالحون وهم أعدآء للمجرمين والكافرين، فلهم أن يقولوا: شهادتهم غير مقبولة في حقّنا لعداوتهم بنا، وإمّا فاسقون فاجرون وشهادة الفسقة والفجرة غير مقبولة في الحياة الدّنيا فكيف الآخرة؟!

ومن اللّطآئف: انّ الختم لازم للكفّار في الدّارين: إذ ختم الله تعالى على قلوبهم في الدّنيا بسبب كفرهم وعنادهم ولجاجهم، وكان قولهم بأفواههم كما قال: «يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم» آل عمران: ١٦٧) ثمّ إذا ختم على أفواههم أيضاً في الآخرة لزم أن يكون قولهم بسآئر أعضآئهم...

٦٦ـ (ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصرّاط فأنّى يُبصرون)

تهديد وتنديد وتنبيه وإخبار من الله جلّ وعلا عن قدرته على إهلاك الكافرين والمجرمين الذين يجحدون وحدانيّته، ويكذبون رسله، وينكرون آياته... بيان ربانّي بأنهم في قبضته وهو قادر على ما يريد بهم، فليحذروا تنكيله بهم، قادر على إذهاب أبصارهم كما أنه عزّوجلّ قادر على إذهاب بصائرهم... فلو شآء تعالى لطمس على أعينهم فلا يستطيعون أن يبصروا الصّراط المستقيم ويسيروا فيه. وفي الآية الكريمة تسلية للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين أيضاً.

قوله تعالى: «ولو نشآء» عبّر بالمضارع ليتوقّع في كلّ حين فيكون أبلغ في التّهديد، وفيه إفادة أن عدم الطّمس على أعينهم لإستمرار عدم المشيئة حيث ان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصّاً في إفادة إنتفآء إستمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفآئه بحسب المقام.

في تلخيص البيان: قال: «وهذه إستعارة والمراد بالطّمس هيهنا إذهاب نور الأبصار حتّى يبطل إدراكها تشبيهاً بطمس حروف الكتاب حتّى تشكل قرآئتها، وفيه أيضاً زيادة معنى لأنّه يدلّ على محو آثار عيونهم مع إذهاب إبصارها وكسف أنوارها. وقيل معنى الطّمس إلحام الشّقوق الّتي بين الأجفان حتّى تكون مبهمة لاشقّ فيها ولا شفرلها

يقولون: أعمى مطموس وطميس إذا كان كذلك» إنتهى كلامه.

٦٧ـ (ولو نشآء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولايرجعون)

زيادة تحذير وإرهاب لهؤلآء الكافرين المجرمين، والمشركين المستكبرين بأنّ الله جلّ وعلا لوشآء لمسخهم فبدّل من صورهم وأفقدهم قابليّة الحركة والنّشاط المعتادة، ولكنه جل وعزّ لم يفعل بهم ذلك إلّا ليكون لهم من مواهبهم وحواسهم المعتادة التى زوّدهم بها وسيلة للإدراك والتّمييز والحركة والنّشاط حتّى لا تضيع الفرصة عليهم، ويستحقّوا ما يستحقّونه من المصير عدلاً وحقاً إذ عطلوا ما زوّدهم الله تعالى به وأضاعوا الفرصة، ولم يسيروا في طريق الحق والهدى، لم يشأ ذلك فيهم وترك لهم مجال النظر والإختيار والتحرك من الكفر إلى الايمان، إن شاؤا، فمشيئتهم مطلقة عاملة غير معطلة، وبهذا لا تكون لهم على الله حجّة وفي الخطاب للمجرمين الكافرين والمشركين والمستكبرين عامة هنا إشارة إلى أنّ فيهم من سيتحوّلون من حالهم تلك، ويخرجون من هذا الظّلام، ويلحقون بالمؤمنين، ويدخلون في دين الله تعالى أفواجاً، فالفرصة لا تزال في أيديهم لن تفلت منهم بعد، وإنّ السّعيد منهم من سبق وأخذ مكانه على طريق الإيمان قبل أن تفلت الفرصة من يده.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمّل: أنّ مساق الشّرطين (ولو نشآء لطمسنا ـ ولو نشآء لمسخناهم» ليس مجرّد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ، بل لبيان أنّهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الإتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما يفعل بهم في الآخرة من عقوبة الحتم، وإنّما المانع من ذلك هو عدم تعلق المشيئة الإلهيّة به فقط، كأنه قيل: لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جرياً على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنّا لم نشأها جرياً على سنن الرّحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم.

قيل: إن الله عزّوجلّ نفى أوّلاً إستطاعة الأصعب، ثم نفى إستطاعة الأهون أيضاً

لأجل المبالغة.

٦٨ـ (ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)

بيان لقدرة الله جلّ وعلا على الطّمس والمسخ، بأنّهم فيما يرونه من آثار قدرة الله عزّوجلّ وناموسه في تبديل خلق الإنسان وقواه وإرجاعه حين شيخوخته إلى الضعف وسوء الحال لدليلاً على ذلك لو عقلوا أنّ من قدر على التنكيس تدريجاً وهو لاينكر، كان قادراً على الطمس والمسخ فجأة، مع أن التّنكيس مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرّج، فالآية الكريمة بصدد الاستشهاد بتنكيس الخلق على إمكان الطّمس والمسخ.

قوله تعالى: «أفلا تعقلون» توبيخ لهم على عدم التّعقّل وحثّهم على التدبّر في هذه الامور والإعتبار بها.

وفي تلخيص البيان: قال رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة والمراد والله أعلم: انّا نعيد الشيخ الكبير إلى حال الطفل الصغير في الضعف بعد القوّة، والتثاقل بعد النهضة، والأخلاق بعد الجدة تشبيهاً بمن انتكس على رأسه، فصار أعلاه سفلاً وأسفله علواً» انتهى كلامه.

٦٩ـ (وما علّمناه الشّعر وماينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين)

انّ الآية الكريمة وتاليها جآئت بمثابة تقرير لطبيعة الوحي وحقيقة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وطبيعة الرّسالة على ما إستهدفته السّورة، فالآية عطف ورجوع إلى ما ابتدأت به السّورة، وهذا الأُسلوب النّظمي قدتكرّر في القرآن الكريم، ويبدو أنّ حكمة هذا الاسلوب هنا هى تقرير أنّ ما يتلوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من آيات الانذار والوعيد والتّقريرات عن عظمة الله تعالى ووصف مشاهد الآخرة ومصآئر النّاس فيها ليس من قبيل الشّعر، وإنّما هو وحى سماويّ فيه الحقّ كلّه، وقرآن ربانّي فيه الحقيقة كلّها. وفي إفراد الضّمير ايماء إلى اتحاد الوحى مع الموحى إليه صلى الله عليه وآله

وسلّم فانّه صلى الله عليه وآله وسلّم لاينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى. فالآية الكريمة ـمضافاً إلى ذلك ـ ردّو إبطال لما كانوا يقولونه في حق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم من أنه شاعر وما يقوله شعر، فردّت عليهم ان هذا وحي سماويّ ليس لفظه موزوناً ومقفى كالشعر ولامعناه ممّا يتخيّله الشّعرآء، ومقصدهم بهذا انّه إفتراء وتخيّلات وأباطيل وليس وحياً من عندالله. مع الإشعار بأنّ شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أجلّ ومرتبته أعلى من أن يتصوّر منه صلى الله عليه وآله وسلّم ذلك لا لأنّه لايتسهّل له ذلك كما توهم بعض المتفسرين متشبثين بشعر قال صلى الله عليه وآله وسلّم منكسر كما يدلّ فاعلية الشّعر للفعل «ينبغي» وعدم كونه فاعلاً للفعل حتّى يتوهّم المتوهم مما توهّم.

إن تسئل: قال الله تعالى: «وما علمّناه الشّعر» ولم يقل: «وما علمناه السّحر» ولا «الكهانة» مع أن المشركين إتهموه صلى الله عليه وآله وسلّم أنه ساحر كاهن؟

تجيب عنه: لأنّه ما تحدّاهم إلّا بالقرآن الكريم، وإنّما نسبوه إلى السّحر عند إظهار فعل خارق كشق القمر وحنين الجذع إليه ونحوهما... ونسبوه إلى الكهانة عند إخباره عن الغيوب وهو نوع خاص من الكلام من غير إعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية فيه.

وقوله تعالى: «وما ينبغي له» إمتنان من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّه نزّهه عن أن يقول شعراً، فالجملة بصدد دفع الدّخل، والمحصّل: أنّ عدم تعليمنا نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم الشّعر لايوجب نقصاً فيه، ولا أنه تعجيز له صلى الله عليه وآله وسلّم بل لرفع درجته وتنزيه ساحته عما يتعاوره العارف بصناعة الشعر، فيقع في معرض تزيين المعاني بالتّخيلات الشّعريّة الكاذبة الّتي كلّما أمعن فيها كان الكلام أوقع في النفس، وتنظيم الكلام بأوزان موسيقية ليكون أوقع في السمع حتّى قالوا: أعذب الشّعر أكذبه. فلا ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أن يقول شعراً وهو رسول من الله تعالى، وآية رسالته ومتن دعوته القرآن المعجز في بيانه الذى هو ذكر وقرآن مبين.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ليس بشاعر كما يقولون، انّه لم يؤثر عنه شعر، ولم يكن ـ كما عرفوا منه ـ من بين شعرائهم، وقد مضى من عمره بينهم أربعون عاماً قبل

الرسالة، فهذه تهمة ظالمة، يجب أن يبرّؤا النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم منها، وأن يلقوه من جديد على أنّه ليس بشاعر، وهذا كتاب الله الذي بين يديه ليس من واردات الشّعر ـ كما يزعمون زوراً وبهتاناً ـ بل هو «ذكر» يجد النّاس من آياته وكلماته ما يذكّرهم بانسانيّتهم، وبما ضيّعوا من عقولهم في التعامل مع الجهالات والضلالات، على خلاف الشّعر، فانّه ـ في غالبه ـ إسترضآء للعواطف وتغطية على مواطن الرّشد من العقول، وهذا الكتاب هو «قرآن مبين» كتاب غير مغلَق على قارئه أو سامعه من قارئ له، بل هو واضح المعنى، بيّن القصد، فلا تعمّى على قارئه الخبير أو سامعه المتدبر أبناء مابه.

وقوله تعالى: «إلّا ذكر وقرآن» وصفان لشئ واحد، فانه «ذكر» بحسب وظيفته، و«قرآن» بحسب تلاوته، فهو ذكر الله جل وعلا يشتغل به القلب، و«قرآن» يتلى ويشتغل به اللسان، فنزل ليؤدّي وظيفة محدودة. أو ذكر مقروّ من الله تعالى ظاهر في ذلك. وقال بعض المعاصرين: قوله تعالى: «إن هو إلّا ذكر...» بيان لقوله: «وما علمناه الشّعر...» بما أنّ لازم معناه أن القرآن الكريم ليس بشعر، فالحصر المستفاد من قوله: «إن هو إلّا ذكر...» من قصر القلب أى ليس هو بشعر ما هو إلّا ذكر وقرآن مبين.

٧٠ـ (لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين)

بيان لمهمّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وغاية الرسالة، وإعلان بأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم إنما ارسل وأُنزل عليه القرآن الكريم لينذر به الناس، فينتفع بذلك من كان ذا عقل متأمل، وقلب حيّ سليم، ويحق القول وتقوم الحجة على الجاحدين، وإخبار من الله عزوجل بتأثير القرآن المجيد في قوم يسمعونه ويتفكرون ويتدبرون في آياته، وعدم تأثيره في الآخرين الذين لايسمعونه ولايتدبرون فيه، وبيان لعاقبة المعرضين عنه، المصرّين على الكفر.

قوله تعالى: «من كان حيّاً» تخصيص الإنذار به لأنّه المنتفع به وهو الحي بعقله

ومدركاته وحواسه، فان من كان هذا شأنه كان أهلاً لأنّ ينتفع بما ينذر به وهو كناية عن كونه يسمعه ويتفكّر ويعقل فيه ويؤمن به ويعمل به، وإن حياة الانسان تبتنى على أربعة أركان: التعقل والعلم والايمان والعمل. وفيه دلالة على عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم.

وقوله تعالى: «ويحقّ القول على الكافرين» في ايرادهم قبال الأحيآء إشعار بأنّهم لخلوهم عن آثار الحياة وأحكامها وأركانها الأربعة أموات في الحقيقة، فمن تخلّى عن عقله وملكاته ومشاعره فلا يُحسَبُ في الأحياء ولاينتفع بالنذر، بل سيظل على ما هوعليه من كفر وضلال، من شرك وعناد، من بغي ولجاج ومن نفاق وفساد... ويحق عليه القول أى ينزل به العذاب الذى توعدّ به الله عزّوجلّ أهل الكفر والضّلال، لانّ تعليق الحكم على الوصف مشعر بعليّة الوصف في الحكم، فمقتضى الكفر أن يحقّ القول على أهله. فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

في تلخيص البيان: قال رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة والمراد بالحى هيهنا الغافل الّذي يستيقظ إذا اوقظ، ويتعظ إذا وعظ، فسمّى تعالى المؤمن الّذى ينتفع بالانذار حياً لنجاته، وسمّى الكافر الذى لايصغى إلى الزواجر ميتاً لهلكه» إنتهى كلامه.

٧١- (أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون)

الهمزة للاستفهام وحقيقته طلب الفهم، ولايخفى على الأديب الأريب أن جميع ماورد في القرآن الكريم -مالم يكن حكاية عن الآخرين- ليس إستفهاماً حقيقة، ويختلف معناها حينئذ فقد يكون للتوبيخ على الفعل بعد وقوعه واللوم عليه، وتارة للانكار الابطالى على أن يكون ما بعدها غير واقع، وأن مدعيه كاذب، فان كان ما بعدها منفياً كان الإستفهام مثبتاً وبالعكس ومن الأوّل قوله تعالى: «أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض» الأعراف: ١٨٥) وقوله: «أفلم يدبّروا القول» المؤمنون: ٦٨)

وقد يراد بها التقرير أى حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قداستقر عند ثبوته أو نفيه، وقد يراد بها التّعجب أو التّهكّم أو التّهديد أو الإستبطاء أو الأمر.

ويمكن أن يدعى كون الإستفهام في بعضها على الحقيقة وفي مثل الأمر والتهكم ونحوهما مستفاداً من الجملة بعدها لامن نفس الهمزة بخلافه في الهمزة التى هى لطلبه حقيقة، وأما الهمزة في المقام للانكار والتعجيب، والواو للعطف على جملةٍ منفيةٍ مقدرةٍ مستتبعة للمعطوف أى ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علماً يقينياً متأخماً للمعاينة.

ان الآية الكريمة بصدد تقرير أدلة التّوحيد مع تعداد النّعم الّتي أنعمها على عباده تدلّ على ربوبيّته وقدرته، على سعة رحمته لعباده وعلى حكمته وتدبيره للعالم الانسانى على سبيل التذكير الاستكارى للسامعين بالأنعام الّتي سخّرها الله تعالى لهم لينتفعوا بها في مختلف وجوه النفع...

وقوله تعالى: «مما عملت أيدينا» في ذكر الأيدى واسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالأحداث والإعتنآء به والإيجاد مع اشتمال المحد ث والموجد على غرائب وعجائب...

وقوله تعالى: «أنعاماً» مفعول لـ«خلقنا» وتأخيره عن الجارين (لهم ـمما) المتعلقين به للاعتناء بالمقدّم والتّشويق إلى المؤخر حيث إنّ إذا أخّر ما حقّه التقديم تبقى النفس مترقية له، فيتمكّن عند ذكره عليها فضل تمكن لاسيما عند كون المقدم منبئاً عن كون المؤخر أمراً نافعاً خطيراً كما في المقام فان «لهم» تنبئ عن كون المؤخّر من منافعهم و«مما...» تنبئ عن كونه من الامور الخطيرة، فيزيدان النفس شوقاً إليه ورغبة فيه، ولأن في تأخيره جمعاً بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله عزّوجل: «فهم لها مالكون» وايثار الإسمية على ذلك للدلالة على إستقرارمالكيتهم لها واستمرارها، و«لها» متعلّق بـ«مالكون» مقوية لعمله أى فهم مالكون لها بتمليكنا إياهم لهم متصرفون فيها بالإستقلال مختصّون بالإنتفاع بها لايزاحمهم في ذلك غيرهم، أو هم قادرون على ضبطها متمكّنون من التّصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا إياهم لهم.

وقوله تعالى: «فهم لها مالكون» إشارة إلى إتمام الإنعام في خلق الانعام تفريع على «خلقنا لهم» فان المعنى: خلقنا لأجلهم فهى مخلوقة لأجل الإنسان ولازمه اختصاصها به، وينتهى الإختصاص إلى الملك فان الملك الإعتباريّ الذي في المجتمع من شعب الاختصاص.

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجلّ: «ممّا عملت أيدينا» والله سبحانه منزّه عن الجارحة؟

تجيب عنه: إنّ اليد في الأصل على معان: منها ـ الجارحة كقوله تعالى: «وادخل يدك في جيبك تخرج بيضآء» النمل: ١٢) ومنها ـ النّعمة كقوله تعالى: «وقالت اليهود يدالله مغلولة» المائدة: ٦٤) وكقولك: لفلان عندي يد بيضاء أى نعمة. ومنها ـ القوّة والقدرة كقوله تعالى «يدالله فوق أيديهم» الفتح: ١٠) ومنها ـ تحقيق الإضافة والإنفراد والإختصاص، وهو المعنى المقصود في آلآية الكريمة، فانّ اليد هنا كناية عن تفرّده بخلق الأنعام لم يشركه أحد في الخلق كما يقال في الحب وغيره من أعمال القلب: هذا مما عملته يداك ويقال لمن لايدله: يداك أو يديك وكذا قوله تعالى: «لما خلقت بيدى» ص: ٧٥) كناية عن مزيد عناية بشأن الإنسان، خلقه تعالى بلا توسيط سبب كما في سائر المخلوقات...

فمعنى الآية الكريمة: ممّا وليّنا خلقه بابداعنا وإنشآئنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانة معين «أنعاماً» فانّهنّ مصنوعات لنا، وأمّا عبادنا فهم يتصرّفون فيها تصرّف الملّاك كأنّها مصنوعات أنفسهم، فبدلاً من الشّكر يكفرون!

في تلخيص البيان: قال رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة والمراد بذكر الأيدى هيهنا قسمان من أقسام اليد في اللّغة العربيّة: إمّا أن تكون بمعنى القوّة أو بمعنى تحقيق الإضافة، فكأنّه سبحانه قال: أو لم يروا أنا خلقنا لهم أنعاماً إخترعناها بقوّة تقديرنا ومتقن تدبيرنا أو يكون المعنى: أنّ هذه الانعام مما تولّينا خلقه من غير أن يشاركنا فيه أحد من المخلوقين لأن المخلوقين قد يعملون سفائن البحر ولا يعملون سفآئن البرّ المذلّلة

ظهورها، والمحلّلة لحومها، فهذا وجه فآئدة الإضافة في قوله تعالى: «مما عملت أيدينا» والله تعالى أعلم».

٧٢ـ (وذللّناها لهم فنها ركوبهم ومنها يأكلون)

تقرير لبعض منافع الأنعام وتقسيمها على نوعين: منها ـما يركب كالفرس والحمار والبغال... ومنهاـ ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل كالإبل والبقر والغنم...

هذا تأسيس لنعمة على حيالها لا تتّمة لما قبلها أى صيّرنا تلك الأنعام منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شئ ممّا يريدون بها حتّى الذّبح حسبما ينطق به قوله تعالى: «فنها ركوبهم» الفآء لتفريع أحكام التّذليل عليه وتفصيلها أى فبعض التذليل أو المنافع ركوبهم، وعدم التّعرّض للحمل لكونه من تتمّات الرّكوب.

٧٣ـ (ولهم فيها منافع ومشارب أفلا تشكرون)

بيان لبعض أنواع اخرى للأنعام، فنها لبس أصوافها وأشعارها وأوبارها وجلودها أثاثاً ومتاعاً، وغيرها من أنواع المنافع الكثيرة فيها، ذكرها بالاسم العام لما في تفصيلها من الطول، والمشارب من ألبانها.

وقوله تعالى: «أفلا يشكرون» تنديد وتوبيخ بهم لعدم شكرهم على نعمه والإعتراف بفضله ورحمته وربوبيته من جهة، فلولا خلقها لهم أوّلاً ولولا ذلّلها لهم ثانياً لما أمكن لهم تحصيل تلك المنافع... وترغيبهم وحثّهم على الشّكر على هذه النعم وتوحيد صانعها من جهة أُخرى.

ولقد كانت الأنعام من أهمّ ما ينتفع به العرب، فجآء التّذكير بنعمة الله عزّوجلّ عليهم بها قوىّ الإستحكام، وفي هذا مظهر من مظاهر التّساوق بين الأساليب القرآنية وأذهان السامعين مما تكرر كثيراً فى مناسبأت وصيغ متنوعة.

٧٤ـ (واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون)

تقرير لأسوأ أحوال الكافرين المشركين والمجرمين المستكبرين، وبيان جهلهم عن جهالتهم وسفاهتهم، ونهاية غفلتهم عن غفلتهم وسخافتهم، وزيادة توبيخ وتنديد بهم على اتخاذهم آلهة موهومة لهم غيرالله جلّ وعلا رجاء أن ينصروهم وذلك أنهم وضعوا الشرك مكان التوحيد، ووضعوا الكفران مكان الشكر، فاشركوا بالله سبحانه وكفروا بأنعم الله تعالى عليهم وأنكروا فلا أظلم منهم! فالآية الكريمة عطف حَدَث على حدث، ولكن بين الحدثين تغاير كبير وتفاوت بعيد جداً، والشأن بين المتعاطفين أن يتقاربا ويتجاوبا، ولكن في هذا العطف فضح لضلال المشركين، وجهالة الكافرين، وسفاهة المجرمين، وإنحراف المستكبرين هذا الإنحراف الحادّ عن الطريق السوىّ، حيث يقابلون الإحسان بالكفران، فالله جل وعلا يفضل عليهم بهذه النعم خلقاً وتسخيراً وتذليلاً، وهم ينتفعون بها ليلاً ونهاراً ثمّ يكفرون بالله سبحانه ويحادّونه ويتخذون من دونه آلهة، فما أبعد ما بين الاحسان والكفران!!!

وقوله تعالى: «لعلهم ينصرون» بيان للغاية التي يقصد إليها المشركون من اتخاذ تلك الآلهة المزعومة من دون الله عزّوجلّ، أنهم يرجون من وراء ذلك الاستعانة بها على ما يغلبهم من شئون الحياة وما يلقاهم على طريقها من عقبات... وهيهات ضعف الطالب والمطلوب...!

٧٥ـ (لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)

مستأنف بيانّي سيق لتقرير بطلان رأى المشركين وخيبة رجآء الكافرين، وإنعكاس تدبير المجرمين المستكبرين، وسخريّة وإستهزآء بهم وتسفيه لعقولهم، وردّ على معتقدهم في آلهتهم الّذين لايستطيعون لهم نصراً، بل هؤلاء الآلهة نفساها محتاجة إلى من يحرسها ويدفع عنها يد المعتدين، وهؤلآء المشركون العابدون هم أنفسهم جند محضرون يقومون على حماية آلهتهم المعبودين وحراستها، وحراسة ما تزيّن من به حُليّ ومايلق عليها

من ملابس...

وقوله تعالى: «وهم لهم جند محضرون» تأكيد لعدم الإستطاعة فان من حضر واجتمع ثمّ عجز عن النّصرة يكون في غاية الضّعف بخلاف من لم يتأهب ولم يجمع أنصاره... وقد نزلت تلك الآلهة المنحوتة الموهومة منزلة العقلاء على زعم عابديها!

٧٦ـ (فلا يحزنك قولهم إنّا نعلم ما يسرّون وما يعلنون)

الفاء لترتيب النّهى على ما قبله، والنّهى وإن كان بحسب الظّاهر متوجّهاً إلى قولهم ولكنّه متوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في الحقيقة، نهى صلى الله عليه وآله وسلّم عن التّأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده، فانّ النّهى عن أسباب الشّئ ومباديه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهانيّ، وإبطال للسببية وقال بعض المعاصرين: الفآء لتفريع النّهى عن الحزن على حقيقة اتخاذهم الآلهة من دون الله رجآءً للنصر أى إذا كان هذا حقيقة حالهم أنّ الّذين استنصروهم لايستطيعون نصرهم أبداً، وأنّهم سيحضرون معهم للعذاب فلا يحزنك قولهم ما قالوا به من الشّرك ، فانّا لسنا بغافلين عنهم حتّى يعجزونا أو يفسدوا علينا بعض الأمر بل نعلم ما يسرّون من أقوالهم وما يعلنون»

خطاب من الله جلّ وعلا لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على وجه التّسلية له عن تكذيب قومه وإيذائهم وتهديدهم وإهانتهم وتحقيرهم إيّاه صلّى الله عليه وآله وسلّم عزآء كريم من ربّ كريم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم مما يرميه به قومه من بذى القول وساقطه في الله عزّوجلّ، وفي الوحى السّماوي، وفي النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم أنه شاعر، كاذب، ساحر، مجنون وكاهن، وفيما يقولونه في آلهتم وانها شفعاء لهم من دونه الله سبحانه، تسلية لمايثير نفس النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم من اتخاذ الكفار آلهة لهم غيرالله تعالى والاستنصار بهم ولما وصفهم إياه صلى الله عليه وآله وسلّم بما وصفوا به، ولما تحكى الآيات التّالية من تحدّى بعض زعماء الكفار ومكابرة المشركين وتكذيب المستكبرين

البعث الاخروى بعد أن صاروا رميماً وقدتكرر مثل ذلك حيث اقتضته حكمة التنزيل بسبيل تثبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وتقويته إزاء ما كان يلقاه من قومه من مواقف ويسمه من نعوت كانت تثيره وتحزنه.

قوله تعالى: «وقولهم» ينبئ عمّا ذكرمن اتّخاذهم الأصنام آلهة، فانّ ذلك ممّا لايخلوا عن التفوه بقولهم: هؤلآء آلهتنا، وانّهم شركآء لله سبحانه في المعبوديّة وغير ذلك ممّا يورث الحزن.

وقوله تعالى: «إنّا نعلم ما يسرّون وما يعلنون» تهديد للمشركين المستكبرين، ووعيد للمجرمين الكافرين بالحساب الشّديد والعذاب الأليم، فالله جلّ وعلا يعلم ما يسرّون وما يعلنون من شرك وضلال، من كفروفساد، من جحود ولجاج، من جرم وعناد ومن طغيان وبهتان والله عزّوجلّ محاسبهم ومجازيهم عليه.

قوله تعالى: «إنّا نعلم ...» تعليل صريح للنّهى بطريق الإستئناف بعد تعليله بطريق الإشعار فانّ العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعاً أى إنّا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لايعزب عن علمنا شئ منها، وفيه فضل تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتقديم السّر على العلن إما للمبالغة في بيان شمول علمه عزّوجلّ لجميع المعلومات كأنّ علمه تعالى بما يسرّونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة عنده تعالى، فانّ علمه عزّوجلّ بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى، وفي هذا المعنى لايختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة، وإمّا لأنّ مرتبة السّرّ متقدمة على مرتبة العلن إذ مامن شئ يعلن إلّا وهو أو مباديه مضمر في القلب قبل ذلك، فتعلّق علمه تعالى بحالته الاولى متقدّم على تعلّقه بحالته الثّانية حقيقة.

٧٧- (أولم يرالانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير بطلان إنكار المشركين الكافرين البعث بعد ما

شاهدوا في أنفسهم أوضح دلآئله وأعدل شواهده على صحة البعث والإعادة منبّهاً على خلقه، متّخذاً ما يدلّ علىٰ التّوحيد وقدرة الله جلّ وعلا وعظمته، وتدبيره وحكمته... من الأدلة الانفسية بعد تقرير الأدلة الآفاقيّة على البعث والتّوحيد... والهمزة للإنكار والتّعجيب، والواو للعطف على جملة مقدّرة هى مستتبعة للمعطوف كما مرّ في الجملة الإنكاريّة السّابقة أى أو لم يتفكّر الإنسان ولم يعلم علماً يقينياً «انّا خلقناه من نطفة» أو هى عين الجملة السّابقة أُعيدت تأكيداً للنكير السّابق، وتمهيداً لإنكار ما هو أحقّ منه بالانكار والتّعجيب بما أنّ المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلّق بخلق أسباب معايشهم، وهيهنا عدم علمهم بما يتعلّق بخلق أنفسهم.

ولا ريب في أن علم الإنسان بأحوال نفسه أهم، وإحاطته بها أسهل وأكمل، فالإنكار والتّعجيب من الاخلال بذلك أدخل كأنّه قيل: ألم يعلموا خلقه تعالى لأسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه عزّوجلّ لأنفسهم أيضاً مع كون العلم بذلك في غاية الظّهور ونهاية الأهميّة على معنى أنّ المنكر الأوّل بعيد قبيح، والثّاني أبعدو أقبح، ويمكن أن تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثّانية على الأُولى على أنّها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضاء «نا» الصدارة في الكلام، وفي ايراد «الإنسان» مورد الضّمير لأنّ الإنكار متعلّق بأحواله من حيث هو إنسان كما قال عزّوجلّ: «أو لا يذكر الإنسان انّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» مريم: ٦٧).

ففى الإستفهام التّقريرىّ الموجه إلى الانسان على اطلاقه، دعوة لكل إنسان إلى أن ينظر كل واحد في نفسه ويرجع بصره مرّة بعد أُخرى ويمدّه إلى نقطة الإبتدآء في حياته، ثمّ ليسير مع نقطة الإبتدآء هذه في الطّريق الّذى سلكه حتّى صار هذا الإنسان الّذي يجادل ويخاصم ويقف من الله موقف المحادّ المحارب!

وقوله تعالى: «من نطفة» إشارة إلى الإنسان لم يخلق من تمام النّطفة بل من بعضها، وفي تنكير «نطفة» تحقير أى ألم يكن هذا الانسان بعض النطفة القذرة، وبعض المآء المهين؟؟؟... إنه لو نظر الانسان فيها لأنكر نفسه، وما وقع في تصوّره أنه كان

جرثومة من آلاف الجراثيم السّابحة في هذه النطفة القذرة والماء المهين، وأين تلك النطفة أو هذه الجرثومة العالقة بالنطفة، أين هي من هذا الإنسان الّذي أبدعته يدالقدرة هذا الابداع العظيم الحكيم؟ ألا ما أضأل شأن الإنسان! وما أعظمه! ما أضأله نطفة! وما أعظمه رجلاً!!! ما أضأله ضالاً ضآئعاً كضلال هذه النطفة وضيآعها... وما أعظمه إنساناً رشيداً، عاقلاً مؤمناً في ثوب الانسانية الرشيدة العاقلة المؤمنة!

قوله تعالى: «فإذا هو خصيم مبين» عطف على الجملة المنفيّة داخل في حيّز الإنكار والتّعجيب، كأنّه قيل: أولم يرأنّا خلقناه من أخسّ الأشياء وأمهنها، ففاجأه خصومتنا في أمرٍ يشهد بصحّته وتحقّقه مبدأ فطرته شهادة بينة وإيراد الإسميّة للدّلالة على إستقراره في الخصومة وإستمراره عليها.

ومن المحتمل أن يكون قوله تعالى: «انا خلقناه من نطفة» إشارة إلى أدنى ما كان عليه الإنسان من نطفة قذرة ومآء مهين، وأن يكون قوله تعالى: «فإذا هو خصيم مبين» إشارة إلى أعلى ما حصل للإنسان من الكمال لأنّ أعلى أحوال الإنسان أنّ ينطق بالحقّ ويقدر على المخاصمة والذّبّ عن نفسه والحماية عن دينه الحقّ وإبطال الباطل وإرشاد النّاس بالكلام الفصيح.

٧٨-(وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم)

حكاية عن بعض المشركين الفجرة موقف الذى سخّربا لبعث وتساءل عمن يحيى العظام وهى رميم على سبيل تأكيد الانكار عليه، بأن أحدزعماء المشركين الكفرة أخذ في موقف جدل بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عظمة بالية وفتّها ثم قال له صلّى الله عليه وآله وسلّم: كيف تزعم أن ربك يبعث الناس وقد صارت عظامهم رميماً؟! وهذا عطف حَدَث، على حَدَث، عَطفُ خلقِ الله جلّ علا الإنسانَ من نطفة قذرة، ثم قيام الإنسان من هذه النطفة يجادل الله عزّوجلّ، ويضرب له مثلاً احتجاجاً وحجّةً! إنّه لم يقف عند هذه. الدعوة الّتي دعاة الله تعالى بها

إل أن ينظر في خلقه، وأن يعرف كيف كان؟ ثمّ كيف صار؟ أن يعرف ن أين جاء؟ لماذا جآء؟ وأن يعرف كيف يعيش؟ وكيف يموت؟؟ لم يقف عنده هذه الدعوة بل أقبل يحاجّ الله ويجادله، ويضرب لأمثال له...

والمثل الّذي ضربه هذا المشرك العنيد ليدلّل به على معتقده الفاسد في إنكار البعث، وذلك انه نظر في هذه العظام البالية الّتي يراها في قبور الموتى، ثم اتخذمنها معرضاً يعرضه على النّاس، ويسئلهم هذا السؤال الإنكاريّ السّاخر: «مَن يحيى العظام وهي رميم»؟ أهذه العظام الّتي أبلاها البلى تعود ثانية كما كانت، ويتشكل منها أصحابها الّذين كانوا يحيون بها في الحياة؟ أهذا معقول؟ إن محمّداً يقول هذا! فماذا تقولون أنتم أيها الناس فيمن يقول هذا القول؟ ألا ترجمونه؟ ألا تستهزؤن به؟ وألا تسخرون من جنونه؟؟؟

وقوله تعالى: «ونسى خلقه» في موضع تعليل لانكارهم البعث فلولا أنّه نسى خلقه لما أنكر بعثه، ولو ذكر هذا الكافر خلقه: كيف كان؟ كيف صار؟ من أين جآء؟ لماذا جآء؟ كيف ليعِش؟ وكيف لَيمُتْ؟؟؟ لما ضرب هذا المثل الغلط، ولرآى أنّ هذه النّطفة الّتي أقامت منه هذا الإنسان الجهول الخصيم المبين هى أقل شأناً من العظام، وأبعد عن مظنّة الحياة منها إذ كانت النطفة لا تعدو- في مر أى العين- أن تكون نقطة ماء قذرة أشبه بالمخاط... أما العظام فهي تمثل حياة كاملة كانت تسكن في تلك العظام، إنها عاشت فعلاً حياة كاملة، وكان منها إنسان كامل، فهذه العظام تمثل حياةً لها تاريخ معروف، أما النطفة، فلا ترى عين هذا الجهول فيها أثراً للحياة.

وقوله تعالى: «قال مَن يحيى العظام...» بيان للمثل الذى ضربه الإنسان ولذلك جيئ به مفعولاً من غير عطف لأنّ الكلام في معنى أن يقال: فماذا ضرب مثلاً؟ فقيل: قال: من يحيى العظام وهى رميم. وقد سمّى قولهم: «من يحيى العظام وهى رميم» مثلاً لأنّ انكار قدرة الله عزّوجلّ على إحيآء الموتى قصّة عجيبة، شبيهة بالمثل، وفيه تشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز عن خلق أدنى بعوضة الجاهل بما يجرى عليه من

الأحوال مع أنّ العقل والنقل كلاهما يشهدان بقدرة الله تعالى على ذلك .

٧٩- (قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم)

خطاب للنبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم آمراً له صلّى الله عليه وآله وسلّم بالردّ على هذا المتعجب من الاعادة بأن يجيبهم عن استبعادهم، ويبكّتهم بتذكيرهم بما نسوه من حقيقة أمرهم وخلقهم من العدم، ففي الآية الكريمة دليل على البعث من جهة، وردّ عليهم في إنكارهم من جهة اخرى، وان الإنشآء هو الايجاد الإبتدائى، فتقييده بقوله عزّوجلّ: «أوّل مرّة» للتّأكيد، وذلك أن الله جلّ وعلا أنشأ هذه العظام من نطفة، وألبسها الحياة ثمّ أماتها، هو الّذي يحييها، وإنّ إعادة بناء الشّئ أهون من إبتداعه وإختراعه قطعاً.

قوله تعالى: «قل» تبكيت لهذا الإنسان العنيد بتذكير مانسيه من فطرته الدّالّة على حقيقة الحال وارشاده إلى طريقة الاستشهاد بها.

وقوله تعالى: «وهو بكلّ خلق عليم» إشارة إلى علم الله المحيط بكلّ شئ، ومن كان هذا علمه فلن يعجزه شئ ،ولا ينسى ولا يجهل شيئاً من خلقه، فاذا كان هو خالق هذه العظام لأوّل مرّة وهو لا يجهل شيئاً ممّا كانت عليه قبل الموت وبعده، فاحياؤه ثانياً بمكان من الامكان لثبوت القدرة وانتفآء الجهل والنّسيان. فقوله عزّوجلّ: «بكل خلق عليم» مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والإيجاد إنشآءً وإعادةً محيط بجميع الأجزآء المتفتّتة المتبدّدة لكلّ شخص من الأشخاص اصولها وفروعها، وأوضاع بعضها من بعض من الإتصال والانفصال والإجتماع والإفتراق، فيعيد كلاً من ذلك على النّمط السّابق مع القوى الّتي كانت قبل، والجملة إمّا إعتراض تذييليّ مقرر لمضمون الجواب وإمّا معطوفة على الصلة والعدول إلى الجملة الاسمية للتنبيه على أنّ علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كانشائه للمنشآت...

وفي الآيات الثّلاث الأخيرة إستدلال بها على ثبوت البعث تارة من جهة اثبات

الغايات وتارة اخرى من جهة البدايات، حيث انّ للانسان نشآت بعد هذه النشأة الطبيعية كما أن له نَشَآت سابقة على هذه، وأُسلوب الآيات قوى من شأنه أن يفحم المجادل المكابر وأن يقطع عليه نفس الكلام والمكابرة، وفيه من الافحام ما يظلّ مستمد إلهام وقوة في صدد التّدليل على قدرة الله جلّ وعلا وعظمته وتدبيره وحكمته...

٨٠-(الّذي جعل لكم من الشّجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون)

الموصول بدل من الموصول الأوّل: «الّذي أنشأها» وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلة للتّأكيد ولتفاوتهما في كيفيّة الدلالة، و«لكم-من الشّجر) متعلقان بـ«جعل» وقدما على مفعوله الصريح: «ناراً» مع تأخرهما عنه للاعتناء بالمقدم والتّشويق إلى المؤخّر، ووصف الشّجر بالأخضر نظراً إلى اللّفظ.

وصف لنفسه جلّ وعلا وإقامة برهان قاطع ثان يدلّ على وجوب ذاته ووحدانيّته، وعلى كمال علمه وحكمته، وقدرته وعظمته وتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود ورحمته لعباده من جهة، ورفع لإستبعاد منكرى البعث وإبطال إنكارهم الحياة بعدالموت من جانب آخر، وزيادة بيان وإخبار من صنعه جلّ وعلا بما هو عجيب الشّأن، فشبّه خلق الانسان بل الحيوان من قبل ايداع الحرارة الغريزية التى بها قوام الحياه في جوهر رطب طريّ بانشآء الشجر الأخضر الذى تنقدح منه النار إذ قالت العرب: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر واستغزر بقطع الرجل منهما غصنين مثل السّواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى، فتنقدح النّار باذن الله جل وعلا.

هذه صورة في الابداع في الخلق لاتحتاج في وضوحها إلى علم وتجربة كثيرة، وإنما هو بحَسْب الانسان-أىّ إنسان-أى يقف قليلاً بنظره عندها، فيرى آيات بينات من علم الله جلّ وعلا وقدرته في إحيآء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود النديّ الرطب. وذلك ان هذا الإنسان العنيداللجوج قال: النطفة حارة رطبة بطبع

الحياة، فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت، فكيف تخرج منه الحياة؟ فأجاب تعالى عنه: إنّ الشّجر الأخضر من الماء، والمآء بارد رطب ضد النّار وهما لايجتمعان، فأخرج الله عزّوجلّ منه النّار فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وعلى الجمع بينهما، فلا الماء يطفئ النّار، ولاالنّار تحرق الخشب.

هذه بعض آيات من علم الله عزّوجلّ انه خلق الشّجر وقد إمتلأ كيانه بالماء يجرى في اصوله وفروعه وأوراقه، ثمّ جعل من طبيعة هذا الشّجر أن يجفّ، وأن يقبل الإحتراق، وإذا هو في النّار قطع من الجمر!

فالمعنى: انّ من قدر على أن يجعل لكم من الشّجر الأخضر الذى يقطر مآءً وهو في غاية الرّطوبة ناراً حامية مع تضادّ النّار للرّطوبة لايقدر على الإعادة؟ بلى وهو قادر على إحيآء الموتى للحساب والجزآء، فأين هذا الشّجر الأخضر من هذا الجمر الملتهب؟ فكما يخرج الله عزّوجلّ النّار من المآء يخرج الميت من الحىّ ويخرج الحىّ من الميت ثمّ قال:

۸۱- (أو ليس الّذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)

لانّ من شأن القادر على الشّئ أن يكون قادراً على جنس مثله وجنس ضدّه.

انّ الجملة الأُولى الاستفهاميّة التّقريريّة مستأنفة سيقت لتحقيق مضمون الجواب الذى امر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يخاطبهم بذلك، ويلزمهم الحجّة. انّ الهمزة للانكار والنّفى، والواو للعطف على مقدّر يقتضيه المقام أى أليس الذى أنشأها أوّل مرّة؟ وليس الّذي جعل لهم من الشّجر الأخضر ناراً وليس الّذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما قادراً على أن يخلق مثلهم؟

بيان دليل ثالث على قدرته عزّوجلّ أعجب من سابقية، على سبيل الإستفهام التقريرى لما هو أعظم من خلق الانسان تأكيداً لقدرته الكاملة على خلقه ابداءاً وإعادة بتذكر خلق السّموات والأرض الّذي هو أكبر من خلق الإنسان، ثمّ أثبت مانفاه

مستفهماً للتقرير. فهذه صورة اخرى للدلالة على قدرة الله جل وعلا... هى هذه السّموات والأرض... مَن خلقهما؟ إنه الله تعالى باقرار المشركين وإذعان الكافرين أنفسهم... انهم لايعرفون لهما خالقاً غيره... كما يقول الله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» لقمان: ٢٥).

وهنا سئوال: أليس الذى خلق السموات والأرض قادراً على أن يخلق سموات كهذه السموات وأرضاً كهذه الأرض؟ وبديهية المنطق تقول: إنّ ذلك ممكن... فن صنع شيئاً قادراً على أن يصنع أشيآء مثله لاشيئاً واحداً ولهذا جآء الجواب عن هذا السّئوال: «بلى» حرف جواب نحو «نعم» إلّا انه يختص بالإستفهام الانكارى الّذي هو بمعنى النفى جواب عن هذا الاستفهام التقريرى من تقرير ما بعد النفى، وايذان بتعيين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الالزام.

وقوله تعالى: «وهو الخلاق...» عطف على ما يفيده الإيجاب.

وقوله تعالى: «الخلاق» صيغة مبالغة تطلق على الله عزّوجلّ وحده بإعتبار كثرة خلقه وتنويعه عزّوجلّ خلقه بالصور والأشكال والأقسام والأنحاء...

٨٢- (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

بيان لما هوكالنتيجة لما سبق من تقرير واسع قدرة الله جل وعلا على إيجاد الأشيآء وإثبات عظيم سلطانه بأن ايجاده ليس متوقفاً إلّا على تعلّق الإرادة بالمقدور فلا يحتاج إلى تعب ولامعالجة، وإنّما شأنه تعالى في الخلق أن يريد، فيقع ما أراد، بلا معاناة ولابحث، فانه تعالى يقول لما يريد ايجاده: «كن» فيكون كما أراد، فبالكلمة خلق الله عزّوجلّ كلّ شئ، وإنّ الكلمة: «كن» هي مظهر إرادة الله جلّ وعلا، والموجودات كلها مظاهر كلمات الله تعالى.

قالت المعتزلة: في الآية الكريمة دلالة على أنّ المعدوم شئ، اجيب عنه: بأنّ الآية الكريمة تدلّ على أنّه حين تعلق الارادة به شئ، وأمّا قبله فلا.

وقد اصطلح أهل الفن على تسمية إرادة الله المتعلقة بتكوين شئ بالارادة التّكوينيّة أي يفعل مايريد أن يفعله، وهذه الارادة لا تتخلّف عن المراد قطّ، وتسمية طلبه تعالى وأمره لشئ بالارادة التّشريعيّة المتعلّقة ببعض أفعال العباد، وهذه الارادة كثيراً ما تتخلف عن المراد.

إن تسئل: كيف يصحّ خطاب الشئ قبل وجوده إذقال الله عزّوجلّ: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢)؟

تجيب عنه: ان المقام ليس من باب خطاب الشّئ قبل وجوده لأن تقدير الآية الكريمة: أن يكونّه فيكون، فعبّر عن هذا المعنى بـ«كن» لأنّه أبلغ فيما يراد وليس هيهنا قول، وإنما هو اخبار بحدوث ما يريده الله جل وعلا. وقيل: انّ الأمر «كن» هيهنا أفخم من الفعل، فجاء للتفخيم والتّعظيم.

وقال بعض أهل البيان في قوله تعالى: «كن فيكون» إن الله عزّوجل أبدأ الكون بقوله تعالى: «كن» إهانة وتحقيراً ليعرف الخلق إهانته وحقارته لئلا يركنوا إليه، فيرجعوا إلى مبدأه ومنشأه وفيه تمثيل لتأثيرقدرة الله تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمورمن غيرامتناع وتوقف وافتقارإلى مزاولة عمل واستعمال آلة قط لمادة الشبهة وهى قياس قدرةالله عزّوجلّ على قدرة الخلق.

وقيل: انّ الكلام من عالم الأمروالكتاب من عالم الخلق، وإنّ الكلام إذا تشخص صار كتاباً كما أنّ الأمر إذا تشخّص صار فعلاً. وانّ الأمر على قسمين: أمرتكوين وأمر تشريع، والأوّل موجب للطّاعة والقبول كاطاعة المُلك والملكوت بخلاف الثّانى لأنّه أمر بالواسطة فتطرّق إليه الاباء والعصيان والطّاعة والإتيان: «فمنهم من أطاع ومنهم من عصى».

وقد وردت صيغة الأمر فى القرآن الكريم وغيره على عشرة أوجه:

الأوّل: الاحداث والاختراع والابداع وهو ايجاد لأفعال تولاّها بذاته تعالى وهى الابداعيّات ومعنى الإبداع هوايجاد الشّئ عن العدم أى ايجاده لامن شئ، وإليه أشار

تعالى بقوله: «كن فيكون» يس: ٨٢) وهو يوجد بأمر: «كن» دفعة بلا واسطة شئ آخر.

الثّاني: التّحويل وهو تبديل صورة بصورة اخرى، وتبديل نوع بنوع آخر كقوله عزوجلّ: «قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» الأعراف: ١٦٦) وذلك ان الله عزّوجلّ مسخ فسقة بني إسرائيل قردة، وأنزلهم من مرتبة الإنسان إلى مرتبة الحيوان، فهم مطرودون من عالم الإنسان، مردودون إلى عالم الحيوان، فما أبشع تلك صورة وأخسّها كانوا هم يعيشون في صور القرود بمشاعر الإنسان لتحوّل هؤلآء الممسوخين من الإنسان إلى القرود بأمر الله تعالى: «كونوا».

الثّالث: الأمر لمن هو دونك إمّا للوجوب كقوله تعالى: «وأقيموا الصّلوة وآتوا الزكوٰة وأطيعوا الرّسول لعلّكم ترحمون» النور: ٥٦) وإمّا للنّدب الّذى هو:

الرّابع: النّدب كقوله عزّوجلّ: «فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً» النور: ٣٣).

الخامس: الاباحة كقوله تعالى: «وإذا حللتم فاصطادوا» المآئدة: ٢).

السّادس: الدّعاء: كقوله سبحانه: «وقل رب زدنى علماً» طه: ١١٤).

السّابع: الترفيه كقوله تعالى: «واقصد في مشيك» لقمان: ١٩) ونحو قولك: «ارفق بنفسك».

الثّامن: الشّفاعة نحو قولك: «شفّعني فيه».

التّاسع: التّهديد كقوله تعالى: «إعملوا ما شئتم» فصلّت: ٤٠).

العاشر: التعجب كقوله عزّوجلّ: «أبْصِرْ به وأسمع» الكهف: ٢٦).

٨٣ـ (فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شئ واليه ترجعون)

تنزيه لله جلّ وعلا عن العجز والشّرك، وتجليل لجلاله عمّا وصفوه سبحانه به وتعجيب ممّا قالوا في شأنه من نفى القدرة على الإعادة بعد الموت، وغير ذلك ممّا لايليق بساحة قدسه الّذي بيده ملكوت كلّ شئ واستقلاله فيه، فمن قدر على كلّ شئ وبيده

ملكوت كل شئ، قدر على إحياء العظام وهي رميم، وقدر على خلق كل شئ وإفنائه وإعادته، وإحيائه وإماتته والفاء للاشارة إلى أن ما فصّل من شئونه عزّوجلّ موجبة لتنزهه وتنزيهه أكمل ايجاب كما أن وصفه تعالى بمالكية الكلية المطلقة للاشعار بأنها مقتضية لذلك أتّم اقتضآء.

قوله تعالى: «ملكوت» مبالغة في معنى الملك بالاستيلاء عليه إستيلاءً مطلقاً بكلّ ذرة ومادونها كالرحموت في معنى الرحمة الشاملة. وجعل الملكوت بيد الله جل وعلا للدّلة على أنه متسلط عليها لانصيب لغيره فيها.

وقوله تعالى: «وإليه ترجعون» خطاب لكافة الناس من المؤمنين والمشركين، من المتقين والمجرمين، من المصلحين والمفسدين، من المحسنين والمسيئين، من المخلصين والمنافقين، ومن المفلحين والخاسرين... وتقرير للبعث وتأكيد له وانه مادام بيدالله تعالى ملكوت كلّ شئ، وكان النّاس من أشياء هذا الوجود الذى هو ملك لله جل وعلا فانهم لابد أن يرجعوا إلى الله تعالى، وفيه وعد للمؤمنين... ووعيد للمشركين...

في الختام: انّ هذه الآية الكريمة الأخيرة من هذه السورة: «يس» تقرير للمبدأ والمعاد إجمالاً فان قوله جل وعلا: «فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ» إشارة إلى المبدأ وقوله تعالى: «وإليه ترجعون» إشارة إلى المعاد، وإذا تقرّر الطرفان فيا بينهما الوسط المشتمل على التكاليف والوحى والرسالة. وفي المبدأ والمعاد صفة العدل بلامرآء، وفي الرسالة التى هي علة موجدة للدين الاسلامى حقيقة الولاية لأهل بيت النبوة التى هى علة مبقية لهذا الدّين الخالد الذى كماله بها، فالولاية ملازمة للرسالة من غيرفكاك.

في السّورة بيان اصول خمسة إسلامية كاملة إجمالاً: التّوحيد، والعدل، والنبوّة، والإمامة، والمعاد ولذلك سميّت قلباً للقرآن كله فتدبّر جيداً واغتنم جداً.

﴿الإعجاز﴾

واعلم أن إعجاز القرآن الكريم ليس من جهة فصاحته وبلاغته، ولامن نظمه واسلوبه، ولامن جهة إخباره بالغيب، ولامن جهة صرف الدواعى عن معارضته، ولا من جهة سلب قدرة المعارضين عن معارضته فقط، إنما هذا الوحي السّماوى كلّه، وآياته كلّها كنظام التكوين ونواميس الوجود كله، وموجوداته كلها، فالنظام كله من جهة، وكل موجود من موجوداته من جهة اخرى أمر معجز خارق العادة كل عليحدة يعجز عن خلقه وتدبيره وخواصّه وطبائعه وآثاره وتأثيراته... غير الله، وان هذا القرآن الكريم تمامه، وكل آية من آياته كلها آية بيّنة سماوية معجزة في وجوه كثيرة لايقدر -غير أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله- من البشر وإن رقى العلم ما رقى على إحصائها فضلاً عن إدراك جميعها...

انّ هذا القرآن المجيد معجزة من جهة نفس اللّفظ والنّظم والاسلوب، عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بعد بنظير هذا الاسلوب ولن ياتيه إلى يوم القيامة، فانه ليس من جنس الشعر: «وما علّمناه الشعروما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين» يس:٦٩) وليس من جنس الرجز ولا الرّسائل ولا الخطابة، وليس نظمه نظم شئ من كلام النّاس، عربهم وعجمهم، معجزة من جهة الفصاحة والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق، معجزة من جهة معانيه الّتي امرها، ومعانيه الّتي أخبرها عن الله جل وعلا وأسمائه وصفاته، معجزة عما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسى والجن وخلق آدم وإرسال الرسل وإنزال الكتب ونبوة الأنبياء وأمر الأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين، معجزة عن نفس ما امر به القرآن

من الدّين والشرائع وما اخبر به من الأمثال وبيّنه من الدلائل...

ومن تدبّر ما صنّفه جميع العقلآء في العلوم الالهيّة والخلقيّة والسياسيّة والنّظاميّة والحربيّة والاقتصاديّة وما إليها ما من العلوم والفنون المختلفة، وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية: التّوراة والإنجيل والزّبور وصحف الأنبياء والمرسلين عليهم السلام تفاوتاً عظيماً، ووجد بين ذلك وبين القرآن الكريم من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم... فالإعجاز في معنى القرآن الكريم أعظم من الاعجاز في لفظه، وجميع عقلاء بني آدم والجن كلهم عاجزون عن الا تيان بمثل معانيه أعظم من عجز فصحاء العرب عن الا تيان بمثل لفظه: «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الاسراء: ٨٨).

معجزة من جهة معانيه الّتي أخبرها عن الغيب الماضي، وعن الغيب الحال والإستقبال: ««لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون» يس: ٦-٧) هذا حكم قاطع على أكثر هؤلاء المشركين وهم في لقاءاتهم الاولى مع الدعوة، وقد صدق ما أخبر به القرآن الكريم ووقع عليهم كما أخبر به، فان اكثرهم الذين شهدوا مطالع الدعوة الاسلامية لم يدخلوا في الاسلام، فانه خلال ثلاث وعشرين عاماً -وهي مدة الرسالة الاسلامية- مات كثير من هؤلاء المشركين على شركه، ومن لم يمت منهم على فراش الموت مات قتيلاً في ميدان القتال مع المسلمين، ومن امتدّ به الأجل وأدرك الفتح، ودخل في دين مع الداخلين، ظلّ ممسكاً بشركه في صدره كأبي سفيان ومعاوية وأضرابهما حتّى ماتوا على الشرك أو ماتوا في حروب الردّة مع المرتدّين...

وقع عليهم القول لأنهم كانوا مصمّمين على البقاء على الشرك والكفر، ومصرّين على العناد واللحاج والجحود، وعلى البغي والطغيان... ولذلك جعل الله عزّوجلّ في أعناقهم أغلالاً، وهم ماضون على طريق ما اختاروا هم لأنفسهم من الشرك

والضلال... فجعل الله تعالى من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً حتّى لايهتدوا حين جاءهم الهدى، فانهم ما أرادوا الاهتداء، وهذه الصورة إعجاز من إعجاز هذه السّورة في تجسيد المعاني، وفي بعث الحياة والحركة في الجمادات والساكنات... حيث نرى الكافر هنا وقد داخل في سجن محكم، مطبق عليه، لايرى منه النور أبداً.

معجزة من جهة ما أخبر به عن المبدأ والمعاد، معجزة من جهة إخباره بما كان الانسان؟ وما صار؟ ولماذا جاء؟ كيف يعيش؟ كيف يموت؟ وأين يرجع؟؟؟؟ معجزة من جهة ما بيّن فيه من الآيات الآفاقية والانفسيّة... ومعجزة من جهة خواص آية وآثارها وتأثيراتها في النفوس والأفكار والأرواح والأجسام وفي الكون كله:

قال الله عزّوجلّ: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلهم يتفكّرون» الحشر: ٢١).

وقال: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» الزمر: ٢٣).

وقال: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الّذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالّذين يتلون عليهم آياتنا» الحج: ٧٢).

ومن تأثيرات بعض آيات سورة «يس» ما وردت فيه روايات كثيرة سبق ذكر بعضها في فضلها وخواصها من هذه السورة ومنها:

في البحار: روى أن نفراً من قريش اجتمعوا وفيهم عتبة وشيبة وأبوجهل وأُميّة بن أبى خلف، فقال أبو جهل: زعم محمد أنكم إن اتبعتمونى (إن اتبعتموه خ) كنتم ملوكاً فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقام على رؤسهم، وقد ضرب الله على أبصارهم، فقبض قبضة من تراب. فذرّها على رؤسهم، وقرأ: يس حتّى بلغ العشر منها ثمّ قال: إن أبا جهل هذا يزعم أنّى أقول: إن خالفتمونى فانّ لى فيكم ذبحاً وصدق، وأنا أقول ذلك، ثم انصرف فقاموا ينفضون التّراب عن رؤوسهم ولم يشعروا به ولا كانوا رأوه».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ريحاً» أى الرّيح الّتي استأصلتهم في غزوة بدر أو الّتي كانت بغزوة الأحزاب أو المراد بالرّيح: الغلبة والقوّة والرّحمة والنصرة والدّولة.

وفيه: من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلّم أنه كانت الليلة الّتي خرج فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الغار كانت قريش اختارت من كل بطن منهم رجلاً ليقتلوا محمّداً، فاختارت خمسة عشر رجلاً من خمسة عشر بطناً، كان فيهم أبولهب من بطن بنى هاشم ليتفرّق دمه في بطون قريش، فلا يمكّن بنى هاشم أن يأخذ وابطناً واحداً، فيرضون عند ذلك بالدية، فيعطون عشر ديات، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه: لايخرج الليلة أحد من داره، فلمّا نام الرسول قصدوا جميعاً إلى باب عبدالمطلب، فقال لهم أبولهب: ياقوم إنّ في هذه الدار نسآء بنى هاشم وبناتهم، ولا نأمن أن تقع يدخاطئة إذا وقعت الصيحة عليهنّ، فيبقى ذلك علينا مسبّة وعاراً إلى آخر الدّهر في العرب، ولكن اقعدوا بنا جميعاً على الباب نحرس محمّداً في مرقده فاذا طلع الفجر تواثبنا إلى الدار فضربناه ضربة رجل واحد، وخرجنا، فإلى أن تجتمع النّاس (فلمّا اجتمع الناس خ) وقد أضاء الصبح فيزول عنّا العار عند ذلك فقعدوا بالباب يحرسونه.

قال علّى عليه السّلام: فدعانى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: إنّ قريشاً دبّرت كيت وكيت في قتلى، فنم على فراشى حتّى اخرج أنا من مكّة، فقد أمرنى الله بذلك، فقلت له: السّمع والطاعة فنمت على فراشه، وفتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون» يس: ٩).

ومضى وهم لايرونه، فرآى أبابكر قد خرج في الليّل يتجسّس من خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم فأخرجه معه إلى الغار، فلمّا طلع الفجر تواثبو إلى الدّار وهم يظنّون أنّى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فوثبتُ في وجوههم وصحتُ بهم، فقالوا: علىّ؟ قلت: نعم قالوا: وأين محمّد؟ قلت: خرج من بلدكم، قالوا: إلى أين خرج؟ قلت: الله أعلم، فتركونى وخرجوا، فاستقبلهم أبوكرز الخزاعىّ وكان عالماً

بقصص الآثار فقالوا: يا أبا كرز اليوم نحبّ أن تساعدنا في قصص أثر محمد، فقد خرج عن البلد، فوقف على باب الدّار فنظر إلى أثر رجل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: هذه أثر قدم محمد وهي والله أُخت القدم الّتي في المقام، ومضى به على أثره حتّى إذا صار إلى الموضع الذى لقاه فيه أبوبكر.

قال: هنا قد صار مع محمد آخر وهذه قدمه إما أن تكون قدم أبي قحافة أوقدم إبنه، فمضى على ذلك إلى باب الغار فانقطع عنه الأثر وقد بعث الله قبجة فباضت على باب الغار وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار فقال: ما جاز محمّد هذا الموضع ولا من معه إمّا أن يكونا صعدا إلى السمآء أو نزلا فى الأرض، فان باب هذا الغار كما ترون عليه نسج العنكبوت، والقبجة حاضنة على بيضها بباب الغار (على باب الغارخ) فلم يدخلوا الغار وتفرّقوا فى الجبل يطلبونه».

قوله صلى الله عليه وآله وسلّم لاصحابه: «لايخرج الليلة أحد من داره» فيه ايعاز إلى أن أبابكر خرج من داره بعد مانهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك. و«مرقده» أى مضجعه و«كيت وكيت» كناية عن الحديث والخبر، و«قبجة» طائر يشبه الحجل وقيل: هو معرب كبك.

فكلّ سورة من السّور القرآنية كنفس نظام الوجود كله معجزة من جهات عديدة، وكل آية من آيها بل كل كلمة وحرف منها ككل موجود من موجودات النظام معجزة من جهات كثيرة لايستطيع الانسان ـ وإن رقى العلم ما رقى ـ أن يحصيها جداً فضلاً عن إدراك حقائق كلها... فنشير فى المقام إلى بعض وجوه بعض آيات هذه السّورة المباركة: «يس» عسى أن يبحث فيها وفي غيرها الباحثون فيما يستطيعون حسب رقى العلم في الأزمنة الآتية تفصيلاً إن شاء الله تعالى.

ومن الآيات الكريمة: قوله تعالى: «سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون» يس: ٣٦).

وذلك انه ثبت علمياً ـ أقل من مأة عام إلى الآن ـ أنّ الزّوجيّة منبثّة في العوالم

الثلاث الكونيّة: الحيوان والنبات والجماد، حتّى الكهربآء فيه قوتان: سلبية وايجابية، ولم يكن ذلك معروفاً في عصر النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى ثلا ثة عشر قرناً بعده، وانما كانوا يعرفونه في العالم الحيواني، وشئ من العالم النباتى، والحال ان القرآن الكريم جعل هذا المبدأ عاماً قبل أربعة عشر قرناً إذ قال: «ومن كلّ شئ خلقنا زوجين» الذاريات: ٤٩) ونفس آية مانحن فيه إذ أشارت إلى أنّ سنّة الزواج لاتختص بالحيوان ولا بالنبات، بل تعمّ الجماد بجميع أنواعه... فتدبّر جيداً واغتنم جداً.

ومن الآيات الكريمة: قوله عزّوجلّ: «والشّمس تجري لمستقّر لها ذلك تقدير العزيز العليم» يس: ٣٨) انّ هذه الآية من الآيات الّتي تبرهن على إعجاز القرآن الكريم، وذلك انّها نزلت في زمن لم يكن علم الفلك إلاّ كألف باء بالنّسبة إلى ما بلغ إليه علم الفلك في الوقت الحاضر، نزلت في وقت كان يقول فيه علماء اليونان: إن الأرض مركز العالم وكل الكواكب والنجوم تدورحولها، حتّى إذا كان القرن السادس عشر الميلادى وجاء الفلكيّان ـ كوبرنيك وكبلر ـ وجاء (غاليله) بمرقبه وتقدّمت الرّياضيّات العالية والميكانيك الأرضى والسماوى، ثبت لدى الفلكيين أن الأرض تدور حول الشمس على شكل إهليليجى وان لاحركة للشمس وأن الكواكب تدور حولها على شكل منحنٍ.

معادلته: $\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} \times \frac{ص^{٢}}{حـ^{٢}} = ١$

←——

حتّى كان القرن العشرون الميلادى، وتقدّمت الرياضيّات العالية بما فيها الميكانيك السّماوى، وضعت مراقب Telescopes كبيرة جداً وعلم أن للشمس حركة خاصة بها، وهى تسير بسرعة (٢٠) كيلومتراً تقريباً في الثانية أى بسرعة (٧٠٠٠٠) كيلومتر على وجه التقريب في السّاعة على شكل لولبي سائرة نحو نجمة تسمى بـ«النسر الواقع» تُرى ثابتة لبعدها السّحيق وهى تستقربعد قطع هذه المراحل حيث شاء الله عزّوجلّ، وأغلب الظن أن هذا الاستقرار سيكون قبل هذا يوم القيامة، ويوم تبدل

الأرض غير الأرض والسماوات وبرز والله الواحد القهار» ان العلم الحديث كان يجهل حقيقة هذه الآية الكريمة إلى قبل (٧٠) عاماً تقريباً حتى تقدم الميكانيك الرياضى وأسست مراصد كبيرة، واخترعت مراقب جسيمة، فعلم أن ما كان يعتقده الفلكيّون من ثبوت الشمس في محلها خطأ فاحش، وأن للقرآن الكريم القول الفصل في شرح حقائق السّماء والميكانيك السّماوى كعصارة للعلوم ونواة للفنون المختلفة كما ثبت أخيراً أن لكل كوكب أو نجمة فلكاً خاصاً لايتعداه، وأن الجاذبية التى أو دعها الله جل وعلا بين الكرات لا تدع مجالاً ليزلّ بعضها عن مكانها، وما رسم لها من أفلاك ومدارات وحركات قيد شعرة: «لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولااللیل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يس: ٤٠) فيدورون ويحولون من غير انجذاب أحدها الاخرى، فلا الشّمس ينبغى لها أن تدرك القمر فتجذبه إليها وتخرجه من مداره، ولااللیل يسبق أوانه، فاللّيل والنّهار بحسبان ونظام خاص، فلا يتغيّر سير الشّمس ولا تستأخر لحظة، ولا تستقدم دقيقة... وهذا انقياد لكل فلك انقياداً تكوينياً ويسير في مسيره المعلوم.

وقد زعم علمآء الفلك قديماً أنّ الكواكب مركوزة في الأفلاك كما في كتبهم، فليس للكواكب أن يسبح من تلقاء نفسه، بل لابدله من حامل يحمله وهوالذى يدور به، وكيف يسبح مالا عقل له و لاحرّية ولاقدرة له على السير، بل هو محمول على غيره ولكن رأى علماء الفلك جديداً أنّ النّجوم والكواكب تسير في مدارات في عالم الأثير فهى إذا كأنها سماك في بحرلجّیّ.

ومن غير مرآء أن نظرة واحدة إلى هذا الكون الرحيب، إلى هذا النظام الشاسع، وإلى نواميس هذا الوجود تجعلنا أن نجرم ان هناك دقة عميقة متناهية وانتظاماً رائعاً وقوانين رصينة ودساتير متقنة لايمكن أن تستقصى في كل جزء من أجزاء هذا العالم دقة يحار فيها أكبر رياضى، وأعظم فيزاوى، وأفطن كيماوى، وأذكى عالم بالطبيعيات... كيف لاوهو يرى أن الكواكب تسير حول الشمس على شكل اهليلجى (قطع ناقص) بحيث تقع الشمس في احدى بؤرتى هذا المنحنى المغلق ومعلوم أن رسم الشكل

الاهليلجى من الصعوبة بمكان.

وذلك لانك يجب أن تعيّن نقاطاً تبعد عن البؤرتين بحيث يكون مجموع البُعدين مساوياً للقطر الطويل لهذا الشكل أى عليك أن ترسم منحنياً يكون محلاً هندسياً لنقاط يكون بُعد كل منها من البؤرتين مساوياً إلى بُعد معلوم أى إلى قطر الشكل ومن المعلوم أن موضوع المحل الهندسى من المواضيع الهامّة الّتي يفهمها الطلاب بعد جهد جهيد في موضع المنحنيّات، في الرياضيات العالية في أبحاث الهندسة التحليلية يصعب على الطالب الجامعى حلّ مسائل تتعلق بالمحل الهندسى إلاّ إذا كان من الأذكيآء...

فأىّ عقل جبّار رسم هذا المحل الهندسّي، وأعنى به مدار الأرض حول الشمس بهذا النّمط البديع عن حكمة فائقة؟ ومَن الذى وضع هذه الدساتير الرياضية الثّابتة في حركات الأرض حول الشّمس، وحركات القمر حول الأرض، وفي الوقت نفسه حول الشمس، حتّى تمكّن العالم الفلكى الرياضى من أن يحصل على معادلة الكسوف وما أصعبها بعد عناء شديد؟! وأصعب من رسم المنحنى الاهليلجى، رسم المنحنى اللولبى، وهو تسار الشّمس في الفضاء مع كواكبها بسرعة سبعين ألف كيلومترّ في الساعة متجهة نحو نجمة في الفضاء تعد لبعدها الشاسع من الثوابت! وهى النسر الواقع. هذا ما اكتشفه العلم الحديث قبل سبعين عاماً ليبرهن مرة اخرى على الاعجاز القرآنى وهو قوله تعالى قبل أربعة عشر قرناً: «والشّمس تجري لمستقرّها ذلك تقدير العزيز العليم».

هذا وجه من وجوه الاعجاز القرآنى، عسى أن تكشف وجوه اخرى منها، وأما الوجوه كلها فلا تكشف إلاّ بعد ظهور الامام الثانى عشر الحجة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد قال أحد الغربيّين الّذين اعتنقوا الدين الاسلاميّ:

«هل يتأتى لجميع فلاسفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة في القرآن، ولو ارتكنوا على كل ما في أيديهم من العلوم العصرية، لايتأتى لهم ذلك، ولو وجدوا فيه خطأ صغيراً ما

كانوا إلّا مظهريه، ولكن أنّى لهم ذلك!؟ والعلوم كل يوم في تبدل وتغيّر، وفي كل لحظة تظهر معانٍ باهرة لآيات قرآنية، ما كنا لنفهم معناها إلّا بعد تقدم العلوم...» ثم قال:

«لأضرب لكم مثلاً: كان الفلكيون يدّعون أوّلاً أن الأرض ثابتة والشمس متحركة لقد قال فيثاغورث قبل الميلاد: إنّ الأرض تدور حول الشمس أى ان الشمس ثابتة والأرض متحركة ثم جاؤا اليوم يقولون: علمنا الآن أنّ كلاً في فلك يسبحون، وأن الشمس تجرى لمستقر لها، فمن هنا علمنا أن العلوم تتغير وتترقى والقرآن ثابت لايتغيّر بالحوادث».

«فان وجد في الكتاب الحكيم شئ لانفهمه، وجب علينا أن ننتظر رقى العلوم ولانشك لحظة في صحّة القرآن» ثم قال:

«قصدت في سياحاتي مدينة (بوتارليه) لمقابلة الدّكتور (جرينه) المسلم الفرنسيّ الشّهير الّذي كان عضواً في مجلس النواب للسّئوال عن سبب دخوله في الإسلام، فعندالوصول والسّئوال منه قال لى: «تتبّعت كلّ الآيات القرآنيّة الّتي لها إرتباط بالعلوم الطبيعية والصّحيّة والطبيّة التى درستها من صغري وفهمتها جيّداً فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة من غير أن يكون له مدرّس من البشر، ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيّداً كما قارنت أنا لأسلم دون ريب إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض».

ومن آيات السورة: قوله تعالى: «وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» يس: ٤٢) أى من الابل والخيول والحمور من الحيوان، والآلات وقطر السّكك والسّيارات الحديديّة على أقسامها المختلفة وأنواعها من الجماد، فانّها سفآئن البرّ والطّيّارات والسّفن الهوائية من مطاود وطائرات تسير في الجوّ حاملة للناس السلع المختلفة والذّخآئر الحربية... فانّ الآية الكريمة تشير إليها في الجوّ والفضاء كالفلك في البحر، ومن جرّاء هذا لم يعيّن القرآن

الكريم ما يركبون لما سيظهر في عالم الوجود مما هو مخبّأ في صحيفة الغيب، وما أروع هذا التّعبير وما أدّق تصويره وهذا من إعجاز القرآن المجيد.

وغير ذلك من وجوه إعجاز هذه السورة الكريمة وآيها الكثيرة التى لايقتضيها المقام لأنا على جناح الاختصار.

﴿التكرار﴾

وَاعلم أنّ البحث في المقام يدور حول عشرة أمور:

أحدهاـ ان السور القرآنية التى افتتحت بالقسم هى ثلاث وعشرون سورة أوّلها سورة «يس» وآخرها سورة «العصر» أى من محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم -إلى- المهديّ وليّ العصر الإمام الثّانى عشر الحجّة بن الحسن العسكرى عجل الله فرجه الشريف.

وانّ ست سور منها بعد الحروف المقطّعة -مفاتيح السّور- على التّرتيب التّالى وهى: ١- سورة يس. ٢- سورة ص. ٣- سورة الزخرف. ٤- سورة الدخان. ٥- سورة ق. وهذه الخمس قسم بالقرآن الكريم لفظاً و معنىً. ٦- سورة القلم وهى قسم بالقلم.

وقد افتتحت ثنتان من المجموع بفعل القسم المنفى وهما: سورة القيامة وسورة البلد، وخمس عشرة سورة اخرى قسم بالصّافات، والذّاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، وبالسّماء مرتين، والفجر والشّمس، والليّل، والضّحى، والتّين، والعاديات، والعصر. فتأمّل جيّداً واغتنم جداً.

ثانيهاـ انه اختتمت آيات سورة «يس» كلّها بحرفى الميم والنون، فاثنتا عشرة آية منها بحرف الميم، والباقية بحرف النون، وفي ذلك من الأسرار مالا يخفى على المتأمل الخبير.

ثالثهاـ انّ قوله تعالى: «وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى» يس: ٢٠) وقع نظير هذا التعبير في قصّة موسى عليه السّلام والقبطى على تق يم رجل في قوله عزّوجلّ: «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى» القصص: ٢٠) وفيه نكات دقيقة:

النكتة الأولى: انّ ما هو حقّه التأخير يقدّم لكون العناية بتقديمه إمّا لكونه في نفسه

نصب عينك كتقديم المعمول على العامل في قولك: «وجه الحبيب أتمنّى» لمن قال لك: ما الّذي تتمنّى؟ فقدّم المفعول على العامل لأن ذكر وجه الحبيب أهم لكونه في نفسه نصب عينك وإما لأنه يعرض له أمر يوجب كونه نصب عينك كما إذا توهّمت أن مخاطبك ملتفت إليه، منتظر لذكره كقوله تعالى: «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى» يس: ٢٠) بتقديم المجرور على الفاعل لاشتمال ما قبل الآية على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، فكان المقام مقام أن ينتظر السامع لألمام حديث بذكر القرية هل فيها منبت خير أم كلها كذلك، فهذا العارض جعل المجرور نصب العين بخلاف قوله جل وعلا في سورة القصص إذ ليس فيه ذلك العارض.

الثّانية: انّ حبيب النّجّار الّذى جاء ذكره في سورة «يس» أنّه كان يعبدالله تعالى في جبل، فلمّا سمع خبرالرسل سعى مستعجلاً، فالمراد هوالإخبارعن سعيه لاعنه وهو للاهتمام.

الثّالثة: انه كان الاهتمام في سورة «يس» بمجيئى الرجل «من أقصى المدينة» ليعلم أن لا تواطؤبينه وبين الرسل في أمر الدعوة، فقدم المجرور وأُخِّرَ الرجل وسعيه، بخلاف ما في سورة القصص فان الاهتمام فيه كان في مجيئ الرجل وإخباره موسى عليه السلام بائتمار الملأ لقتله، فقدّم الرجل، ثمّ اشير إلى اهتمام الرجل نفسه بايصال الخبر وابلاغه، فجيئ بقوله: «يسعى» حالاً مؤخراً.

وغيرها من النكات العالية واللطائف الدقيقة التى ينبغى للعلماء الخبراء أن يتفكّروا فيها...

رابعهاـ ان قوله تعالى: «إن كانت إلّا صيحة واحدة» يس: ٢٩ و٥٣) مرتين ليس بتكرار لأن الاولى هى النفخة التى يموت بها الخلق، والثّانية هى التى يحيى بها الخلق، ولا يبعد أن تكون الاولى لاهلاك الظالمين المكذبين المستهزئين، وتكون الثّانية لاحياء الخلق أجمعين. وأما إماتة الخلق أجمعين فيشير إليها قوله تعالى: «ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم» يس: ٤٩).

خامسهاـ ان «آية» تكرّرت أربع مرّات في آيات: (٣٣ و٣٧ و ٤١ و ٤٦) من هذه السورة لمعنيين، فان الثلاثة الاولى بمعنى العلامة والدلالة، والرابعة الأخيرة بمعنى المعجزة والحجة والبيّنة. ولايخفى ان للآية في القرآن الكريم خمسة معان:

الأوّل: بمعنى الدلالة والعلامة التي تدل على وحدانية الله تعالى وقدرته، وعلى تدبير وحكمته... وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد. **الثّاني**: آية القرآن الكريم باعتبار وضع العلامة من الرقم بعدها كقوله عزّوجلّ: «تلك آيات الكتاب» يونس: ١). **الثالث**: بمعنى العبرة كقوله تعالى: «فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين» العنكبوت: ١٥) أي عبرة. **الرابع**: بمعنى البيّنة والحجة والمعجزة من الآيات الآفاقية والأنفسية كقوله تعالى: «فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات» القصص: ٣٦). **الخامس**: بمعنى الأمر والنهى والأحكام كقوله تعالى: «كذلك يبيّن الله آياته» البقرة: ١٨٧) أي أوامره ونواهيه وأحكامه...

سادسهاـ انّ الأزواج قدتكررت في قوله تعالى: «سبحان الّذى خلق الأزواج كلّها- هم وأزواجهم في ظلال» يس: ٣٦ و٥٦) لمعنيين: **الأوّل**: بمعنى الأنواع والأصناف. **والثّاني**: بمعنى الأكفاء في النّكاح. ولايخفى ان للزوج ستة معان: **الأوّل**: الصنف والنوع كالآية الاولى. يعني الأصناف والأنواع كلها. **الثّاني**: الزوج: المثل في العدد وهو الفرد وزوجه كقوله تعالى: «أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً» الشورى: ٥٠) **والثّالث**: الزوج: القرين والصاحب كقوله تعالى: «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم» الصّافّات: ٢٢) يعني وقرناءهم من الشّياطين **الرابع**: الكفو في النكاح كقوله تعالى: «هوالّذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها» الأعراف: ١٨٩) يعني خلق منها مثلها. **الخامس**: الزوج: المرأة وبعلها كقوله تعالى: «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة» البقرة: ٣٥) يعني حواء. **السّادس**: الجماعة والزمر والطائفة كقوله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلاثة» الواقعة: ٧).

سابعهاـ ان قوله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة» يس: ٧٤) ومريم: ٨١) صرّح باسم

الجلالة: «الله» وقال: «واتخذوا من دونه آلهة» الفرقان: ٣) بالضمير لأن ما في سورة الفرقان وافق ما قبله بالافراد والغيبة: «الذى له ملك السموات والأرض» الفرقان: ٢) وفي السورتين: «يس- مريم» لوجاء «دونه» لخالف ما قبله لأن ما قبله فيهما بلفظ الجمع تعظيماً، فصرّح.

ثامنها- ان قوله تعالى «فلا يحزنك قولهم إنا نعلم» يس: ٧٦) وقوله تعالى: «ولا يحزنك قولهم إن العزّة لله جميعاً» يونس: ٦٥) تشابها في الوقف على «قولهم» في السورتين لأن الوقف عليه لازم، و«إن» فيهما مكسورة بالابتداء بالكتابة، ومحكى القول محذوف، ولايجوز الوصل لأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم منزّه من أن يخاطب بذلك.

تاسعها- قال الله عزّوجلّ: «وصدق المرسلون» يس: ٥٢) ثلاثياً وقال: «وصدّق المرسلين» الصافات: ٣٧) بالتضعيف لأن ما في سورة «يس» من كلام الكفّار حين البعث ومعاينتهم ما كذبوا به من قبل، وما في سورة «الصافات» من كلام الله تعالى ردأ على الكفار وتأييداً لرسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم.

عاشرها- نشير في المقام إلى صيغ خمس لغات- أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة- الصيغ التى جآئت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١- جائت كلمة (النذر) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ١٣٠ مرة.

٢- جائت كلمة (القمح) على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرة واحدة وهى في سورة يس: ٨).

٣- جائت كلمة (السد) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ست مرات:

١ و ٢- سورة يس: ٩) ٣ و ٤- سورة الكهف: ٩٣ و ٩٤) ٥- سورة النساء: ٩) ٦- سورة الأحزاب: ٧٠).

٤- جائت كلمة (النقذ) على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمسْ مرات:

١ و ٢- سورة يس: ٢٣ و ٤٣) ٣- سورة آل عمران: ١٠٣) ٤- سورة الحج: ٧٣) ٥- سورة الزمر:

١٩).

٥ـ جائت كلمة (العرجون) على صيغتها في القرآن الكريم نحو: مرّة واحدة و هى في سورة يس: ٣٩).

﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها- التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها- التّناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها- التناسب بين آيات هذه السورة نفسها.

أمّا الأولى: فـانّها نزلت بـعد سورة «الجنّ» فلمّا بـيّن الله عـزّوجلّ في سورة «الجن» تأثير القرآن الكريم على سامعيه من طائفة الجن إذ استمعواله، وتعظيمهم لشأنه ولشأن ربهم بالتوحيد ورفض الأنداد لله جلّ وعلا والإيمان برسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وكتابه وباليوم الآخر وعدم تأثر طائفة الآخرين منهم، وكفرهم بالله سبحانه ورسوله وبكتابه واليوم الآخر، أشار في سورة «يس» إلى طبيعة الوحى السّماوي وتأثيره في نفوس قوم، وعدم تأثر قوم آخرين منه من الانس، وإلى خطّ الرسالة ووظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وإلى ايمان قوم، وكفر الآخرين منهم.

وأما الثّانية: فمناسبة هذه السّورة لما قبلها مصحفاً فبوجوه:

أحدها- ان الله تعالى لـمّا ألفت نظر الإنسان في سورة «فاطر» إلى نظام الكون ونواميس الوجود للبرهنة على وحدانيّة الله جلّ وعلا في خلقه وتدبيره ودعوتهم إلى الحق وإستحقاقه وحده للخشية والعبادة فاذن يستعد القلب لاستقبال دلائل الهدى وموجبات الإيمان، ألفت نظر الإنسان في سورة «يس» إلى طبيعة الوحى وخطّ الرسالة ووظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وتحزّب الناس تجاهها على حزبين: حزب الرحمن الذين يتبعون الذكر ويخشون ربهم بالغيب، وحزب الشيطان الذين هم غافلون عن

غفلتهم وغوايتهم، وجاهلون عن جهالتهم وضلالتهم سواء عليهم الانذار وعدمه فهم لايؤمنون، وإلى عدم استوآء الحزبين.

ثانيها- ان الله عزّوجلّ لمّا أشار في سورة «فاطر» إلى خلق الملآئكة ورسالتهم وبعض خصآئصهم أشار في سورة «يس» إلى حقيقة الوحى وإلى رسالة خاتم الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وان الملائكة هم رسل ووسائط بين الله عزّوجلّ ومرسليه عليهم السلام.

ثالثها- انه لما جآء في سور «فاطر»: «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشّمس والقمر كل يجرى لأجل مسمّى» فاطر: ١٣) جآء في سورة يس: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار- والشّمس تجرى لمستقر لها- وكل في فلك يسبحون» ٣٧- ٤٠).

رابعها- انّه لمّا جآء في الآيات الّتى ختمت بها سورة «فاطر» قوله عزّوجلّ: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم -إلى- مازادهم إلّا نفوراً» :٤٢) ثم جائت الآيات الثلاث الّتي تلت هذه الآيات والّتي ختمت بها السّورة تعقيباً على تلك الآية، وبياناً لاعراض المشركين وتكذيبهم الوحى والرسالة، ولموقفهم من هذا القسم الّذي أقسموه... بدئت سورة «يس» ببيان طبيعة الوحى وحقيقة الرسالة ووظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم مُقسمةً بالقرآن الحكيم الّذى جاءهم به النّبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم وقوع هذا القسم على الإخبار بأن محمّداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأنه على صراط مستقيم، وأن تكذيب المشركين له وإعراض الكافرين عنه، ورفضهم لدعوته لم يكن إلّا عن غفلة وضلال، عن جهالة واستكبار، وعن حسد وعمىً... لقد كانوا هم يتمنّون أن يبعث الله تعالى فيهم رسولاً من أنفسهم، وأن يأتيهم بكتاب مثل كتب الأولين من أهل الكتاب، وها هوذا الرسول! وها هوالكتاب!!! فماذا هم غافلون؟ فماذا هم لايؤمنون؟ فماذا هم يكذّبون الوحى؟ فماذا هم ينكرون الرسالة؟؟؟ ستكشف الأيّام عن أجوبة تلك الأسئله... وغيرها من الوجوه... سيتدبر فيها المتدبّرون الخبرآء إن شاء الله تعالى.

وأمّا الثّالثة: فلمّا افتتحت السورة بالوحى وبيان طبيعته، والرّسالة وحقيقتها، وبيان حكمة الوحى ووظيفة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذت بذكر طبيعة المكلفين وجعلهم على طائفتين: فطائفة لايتأثرون بالوحى ولا تفيدهم الرّسالة لفساد استعدادهم بالكفر والطغيان، بالشّرك والعصيان، وبالعناد واللجاج، ولذلك جعلت مدارعدم تأثّرهم على غفلتهم عن غفلتهم عن معرفة الشرائع التى فيها سعادة البشر واصلاح المجتمع، مع بيان تبعات هذه الغفلة المهلكة في الدّنيا والآخرة، وقدّمت هذه الطائفة الطاغية لأنهم كانوا يتمنّون الوحى والرّسالة والرّسول من أنفسهم، فلمّا جاءهم كذّبوه، ولذلك ذكرهم وحدهم هنا لأن الخطاب كان معهم وهذا لايمنع أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم مرسل إلى الناس كافة كما قال: «وما أرسلناك إلّا كافة للنّاس بشيراً ونذيراً» سبأ: ۲۸).

وطآئفة يتأثّرون بالوحى وتفيدهم الرسالة لرشد استعدادهم، وقد جعل الله عزّوجلّ مدار تأثر هذه الطائفة بالوحى على الخشية من الله تعالى بالغيب مع ذكر مآل أمرهم بالمغفرة وكريم الأجر من آيات: (۱- إلى -۱۱)

ثمّ ذكر ما يؤكّد الخشية من الله تعالى وخوف عقابه، وإنّ كلتا الطّآئفتين يحاسبون و يجازون بما عملوا به بقوله عزّوجلّ: «إنا نحن نحيى الأرض...» ۱۲) بالضبط والاحصآء ثمّ عمّم ذلك بأنّ الضّبط والاحصآء لايختصّ بأعمال بنى آدم بل يتناول جميع الأشيآء بقوله: «وكل شئ أحصيناه في إمام مبين»:۱۲) ففيه إشارة إلى قضية البعث والنشور والحساب والجزاء...

ثمّ ضرب مثلاً للطّائفة الاولى وشبّههم في إصرارهم على الكفر والطّغيان، على التّكذيب والعصيان، وعلى العناد والغلوّ في الاستكبار على الرّسل، وصمّ الآذان عن سماع الوعظ والارشاد بأهل القرية بأنه كانت قصصهم مع رسل الله جلّ وعلا كقصّة العرب العنود مع محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في اللجاج والاستكبار والعتو والطّغيان بقوله جل وعلا: «واضرب لهم مثلاً...» ۱۳) وانهم كانوا معترفين بالالوهية

ومنكرين بالرسالة، ويزعمون أن الرسالة لايتصف بها الانسان كما «قالوا ما أنتم إلاّ بشر مثلنا»: ١٥) وكانوا يشركون بالله سبحانه في الايجاد والتدبير والعمل كقوله جل وعزّ: «أأتخذ من دونه آلهة...»: ٢٣) ثم بيّن وظائف الرسل بقوله تعالى: «وما علينا إلاّ البلاغ المبين»: ١٧) مع بيان مقالة هؤلاء المكذبين قصّة تلمس القلب بما كان من مواقف التّكذيب والايمان، والطّاعة والطّغيان وعواقبها معروضة كالعيان.

فالآيات السّابقة كشفت عن الطبيعة الانسانية على طبيعتين: أصحاب طبيعة متأبّية على الخير والهدى، مغلقة الحواسّ عن الرشاد، لايستجيبون له مهما جيئ إليهم به من شتّى الوسائل... وهذه طبيعة ثانية خصلت بالشرك والعناد، والكفر واللجاج... وأصحاب طبيعة أصيلة مهيّأة للإيمان مستعدّة له، متشوّقة إليه، لا تكاد تهبّ عليهم نسمة من أنسامه العطرة، حتّى يتنفّسوا أنفاسه، ويملئوا صدورهم به ...

وفي هذا المثل عرض للناس في طبيعتهم هاتين معاً طولياً، طبيعة أصيلة، وطبيعة عرض عليها الفساد، ففسدت، فحصلت لمن فسدت طبيعته الأصيلة، طبيعة ثانية.

إنّ الله عزّوجلّ لـمّا بين مقالة هؤلاء المكذّبين: «قالوا إنا تطيّرنا بكم...»: ١٨) ذكر جواب الرسل عمّا هدّدوهم: «قالوا طائركم معكم...» ١٩) ثمّ أبان أنّ الحق لايعدم نصيراً، وأن الله يقيّض له من يدافع عنه فقال: «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى...»: ٢٠) إن الله تعالى لما ذكر مقالة الرّجل المدافع عن الحق في الرّسالة، وتحريص النّاس على اتباع الرّسل، ذكر مقالته الاخرى في الدعوة بالنصيحة صدراً بأنه اختار لهم ما اختاره لنفسه، وفي التهديد ذيلاً بقوله: «وما لى لا اعبد الّذي فطرنى وإليه ترجعون»: ٢٢) ثمّ أعاد التوبيخ مرّة اخرى مبيّناً عظيم حمقهم بقوله: «أأتخذ من دونه آلهة...» ٢٣) والأول لاثبات التوحيد، والثاني لابطال الشرك مع بيان عقيدتهم الفاسدة بالكناية: ٢٤).

ثمّ أظهر عقيدته الصحيحة والايمان، ودعوتهم إليها من غير خوف ولا تقيّة ومصلحة واهية بقوله: «إنى آمنت بربكم فاسمعون»: ٢٥) ثم ذكر مآل أمره وماقاله حين وجد

النعيم والكرامة بقوله تعالى: «قيل ادخل الجنة ...» ٢٦) ايماءً إلى أنه قتل أو مات بقليل أو قريب، ثم ذكر ما استحقوا هؤلاء المكذبون من العذاب والاستئصال بسبب كفرهم وعنادهم، وتكذيبهم ولجاجهم، واستكبارهم وجنايتهم... بقوله عزّوجلّ: «وما أنزلنا على قومه...»: ٢٨) ثم بيّن ما كان به هلاكهم بقوله تعالى: «إن كانت إلّا صيحة واحدة...»: ٢٩) ثم ذكر حسرة المكذّبين وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب على تكذيبهم رسل الله تعالى ومخالفة أمرهم بقوله عزّوجل: «يا حسرة على العباد...» ٣٠) مع الاشارة إلى سبب الحسرة والندامة وهو الكفر والاستهزآء.

انّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أحوال الأوّلين من المكذّبين المستكبرين، نبّه الحاضرين من مشركي مكة وخوّفهم بقوله جل وعلا: «ألم يرواكم أهلكنا...»: ٣١) هذا في الحياة الدنيا، ثم ذكر انهم يجازون في الدار الآخرة بقوله تعالى: «وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون»: ٣٢).

انّ الله تعالى لمّا قصّ على مشركي مكّة قصّة أصحاب القرية، وما آل إليه أمرهم في الشرك والعناد وفي تكذيب الرّسل، ووبّخهم على الاستهانة بأمر الوحى والرّسالة، وأنذرهم بنزول العذاب عليهم كما نزل على المكذّبين من القرون الاولى، وبأنهم جميعاً محضرون يوم الحشر للحساب والجزآء، أخذ بذكر ما يدل على إثبات البعث والنشور ممثلاً بما يشهده الانسان ليلاً ونهاراً بقوله عزّوجل: «وآية لهم الأرض الميتة...»: ٣٣) وهذا شاهد يشهد للمكذبين بالبعث بأنه أمر ممكن، وأن إنكارهم له يقوم على فهم خاطئ لقدرة الله جلّ وعلا، فلو أنهم نظروا إلى هذه الأرض الميتة، كيف يحيى الله موتاها؟ كيف يبعث فيها الحياة؟ وكيف يخرج من أحشائها صوراً لاحصرلها من الكائنات الحيّة؟؟؟ لونظروا إلى هذا لرأوا أن بعث الأجساد الهامدة لايختلف في شئ عن بعث الحياة فى الأرض الجديب!

مع بيان نعمه في خلال ذلك، فطلب منهم الشكر لنفسه وحده ولايستحق غيره ذلك: «أفلا يشكرون»: ٣٥) لأن الله تعالى لما بيّن كلام الرّجل بأنّه بيّن أهليّة الله

جلّ وعلا للعبادة من غير خوف من النار، ولا طمع في الجنة، بل لكونه عزّوجلّ أهلاً للعبادة لوّن الخطاب والتكلم إلى الخطاب بقوله: «وإليه ترجعون» : ۳۱) لأن الايمان بالله تعالى وعبادته على نحو ذلك أمر لايناله عامة النّاس لأنّ الأكثرين منهم إنما يعبدون إما خوفاً من النار وإما طمعاً في الجنة، أو لكليهما أولا يعبدونه أصلاً، فالتفت الرجل بعد بيان حال نفسه إلى القوم فقال: «وإليه ترجعون» أرادبه إنذارهم بيوم الرجوع، وانه سبحانه سيحاسبهم على ما عملوا فيجازيهم بما اكتسبوا في الحياة الدنيا.

ثم نزّه جل وعلا نفسه عن قول المشركين إذ عبدوا غيره مع مارأوا من نعمه وآثار قدرته وآيات ربوبيته والوهيته عزّوجلّ وحده لاشريك له، وعظّم نفسه دالاً بذلك على أنه جل وعزّ وحده هوالذى يليق للعبادة، ويستحق منتهى الحمد وغاية الشكر بقوله تعالى: «سبحان الذى خلق الأزواج كلها ...»: ٣٦)

انّ الله تعالى لمّا بيّن المكان من أحوال الأرض وما يطر أعليها من تغيّر في استدلاله على البعث والنشور أخذ بذكر الزمان من اختلاف الليل والنهار وأحوال كواكب السّماء من جريان الشّمس والقمر والنّجوم والأجرام السّماوية على نظام خاصّ الّتي كلّها مخلوقات عظيمة وقعت تحت قبضته يتصرّف فيها بعظيم سلطانه، كل ذلك دليل واضح وبرهان قاطع على كمال قدرته على البعث والنشور بقوله: «وآية لهم الليل ...»: ٣٧-٤٠).

إن الله عزّوجلّ لما بيّن ما هو ضروريّ لوجود الانسان من المكان والزمان، وما يسبقه ويتبعه أخذ بتقرير ما هو نافع لهم في أحوال المعاش بقوله تعالى: «وآية لهم انا حملنا ذريتهم ...» ٤١-٤٢) تنبيهاً إلى أنّ نعمه أحاطت بهم، فلا يغفلوا عن نقمته إذا كفروا بنعمه فقال: «وإن نشأنغرقهم ...» ٤٣) ثم أشار إلى أن رحمته الشاملة ونعمه العامة ليست دائمة في الحياة الدنيا بقوله: «إلّا رحمة منا ومتاعاً إلى حين»: ٤٤).

إن الله تعالى لما ذكر نعمه الآفاقية والانفسية التى أنعمها على عباده التى أحاطت بهم، تنبيهاً إلى أن ذلك كله آيات إلهيّة تدلّ على وحدانيته وعظمته، على تدبيره وقدرته،

وعلى حكمته وسعة رحمته، يجب عليهم مع انتفاعهم بتلك النعم أن يعرفوا المنعم، ويتفكّروا في تلك الآيات ومبدعها، ويتفكّروا في خلقهم وخلقها لهم، ويعلموا أنهم ما كانوا؟ وما صاروا؟ ولماذا جاؤا في هذه الدنيا؟ كيف ينبغي لهم أن يعيشوا فيها؟ كيف ينبغي لهم أن يميتوا؟ ويعلموا أنهم سيبعثون ويحاسبون ويجازون بأفكارهم ومعتقداتهم، بأقوالهم وأعمالهم، وبحركاتهم وسكناتهم...

أشار إلى أنّ هؤلاء المشركين ومن يسلك مسلكهم هم في غاية الجهالة والضلالة، وفي نهاية الغفلة والغواية لأنّهم لم يتأثروا بتلك الآيات الآفاقية والانفسية ولابالآيات النازلة عليهم من عند ربهم مما فيه تحذيرهم بأن يحل بهم من المَثُلات مثل ما حل بمن قبلهم بقوله تعالى: «وإذا قيل لهم اتقوا...» ٤٥) ثم بيّن أن الاعراض عن الحقّ هو منطقهم والكفر بالله جلّ وعلا وكفران نعمه هو ديدنهم، وليس هذا ببدع منهم بقوله: «وما تأتيهم من آية...»: ٤٦) إن الله تعالى لما بيّن إعراض المشركين عن الخالق أشار إلى قسوتهم على المخلوقين بقوله عزّوجل: «وإذا قيل لهم أنفقوا...»:٤٧) فهم كما يخلون بجانب التّعظيم لأمر الله جلّ وعلا حيث قيل لهم: اتقوا فلم يتقوا يخلون بجانب الشّفقة على خلق الله ولاينفقون إذا امروا بالانفاق على أنهم خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والاشفاق، فانّ أدنى الانقياد هوالاتقاء من العذاب، وأدنى الاشفاق هو انفاق بعض ما في التصرف من مال الله عزّوجلّ، فأين هم من معشر أقبلوا بالكليّة على الله تعالى، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله جل وعلا! وهم على غاية شحّهم ونهاية بخلهم عابوا الآمر بالانفاق، ووصفوه بالضلال البيّن الذى لاشبهة فيه: «إن أنتم إلّا في ضلال مبين». إن الله تعالى لـمّا بين تفصيل آيات التّوحيد المشار إليه إجمالاً سابقاً اخذ بتفصيل خبر المعاد وذكر كيفيّة قيام السّاعة وإحضارهم للحساب والجزاء، وما يجزي به أصحاب الجنّة وما يجازى به المجرمون، على طريق ذكر مقالة منكرى البعث واستعجالهم له، استهزاءبه، وسخريّة منه بعد إقامة الأدلة القاطعة إجمالاً على البعث والنشور لايمكن الانكاربقوله: «ويقولون متى هذا الوعد...»:٤٨) فأجابهم بقوله

عزوجلّ: «ما ينظرون إلّا صيحة واحدة...»: ٤٩).

ثمّ بالغ في شدّة أخذهم بالصّيحة الواحدة في النفخة الاولى بقوله: «فلا يستطيعون توصية...»: ٥٠) ثم بيّن سرعة حدوث البعث وانّه كلمح البصر أو هوأقرب بالنفخة الثانية بقوله: «ونفخ في الصور...»: ٥١) ثمّ ذكر انهم يعجبون إذ يرون أنفسهم قدخرجوا من قبورهم للحساب والجزاء بقوله: «قالوا يا ويلنا...»: ٥٢) فهم بعد حياتهم بالنفخة الثّانية يرون العذاب من جانب، ويرون أنفسهم خارجة من القبور في ناحية اخرى، وحينئذ يعلمون أن اليوم يوم الجزاء فيعجبون عندئذ: «قالوا يا ويلنا...» ثم بين حال الصيحة الثانية بالنفخة الثانية، وسرعة بعثهم من القبور تعظيماً لشأن الصيحة بالنسبة إلى المكلفين، وتحقيراً لأمرها بالاضافة إلى الواحد القهار بقوله: «إن كانت إلّا صيحة واحدة...»: ٥٣) ثم بيّن ما يكون في ذلك اليوم من الحساب والجزاء بالقسط والعدل بقوله: «فاليوم لا تظلم نفس شيئاً...»: ٥٤)

ثمّ ذكر أحوال السعدآء من أوليآء الله تعالى على طريق الحكاية يوم القيامة تصويراً للموعود وترغيباً فيه بقوله: «إن أصحاب الجنة...»: ٥٥) ثم أشار إلى ما يكمل به تفكّههم ويزيد هم في سرورهم بقوله: «هم وأزواجهم في ظلال...»: ٥٦) تنبيهاً إلى سرور النفس لايتمّ إلّا بالقرين الملائم. ثم بيّن ما يتمتّعون به من المآكل والمشارب واللذات الجسميّة بقوله: «لهم فيها فاكهة» :٥٧) ثمّ أشار إلى لذّاتهم المعنوية الروحية فيها بقوله: «سلام قولاً من رب رحيم»: ٥٨) ثمّ ذكر أحوال الأشقياء من أصحاب النار فقال: «وامتازوا اليوم أيّها المجرمون» :٥٩) ثم خصّ هؤلاء المجرمين بالتوبيخ والعتاب بقوله: «ألم أعهد إليكم يا بنى آدم...» :٦٠) مع بيان علّة النهى عن عبادة الشيطان: «انه لكم عدوّ مبين» على طريق الاستفهام التقريرى الذى تثير المشاعر... إن الله عزّوجل لمّا نهى الانسان عن عبادة الشيطان، أمرهم بعبادة لله تعالى وحده وهذا ما تقضيه الفطرة مع بيان علّة ذلك بقوله: «وأن اعبدونى...» : ٦١) بأن ما امرتم به من العبادة لله وحده و ما نهيتم عنه من عبادة الشيطان فهو طريق واضح لا لبس

فيه ولاخفاء عليه، وقد قدّم النهى على الأمر لتقدّم التطهير على الطهارة والتخلية على التحلية، ولتقدم البراءة على الولاية: «لاإله إلّا الله».

إنّ الله جلّ وعلا لمّا أفرد المشركين من المؤمنين، وميّز المجرمين لا تباعهم الشيطان وعبادتهم له، مع كونه عدوّاً لهم، بيّن لهم دليلاً واضحاً على عداوته لهم بقوله تعالى: «ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً» مع الاشارة إلى سبب الا تباع والعبادة له وهو عدم التعقل فيما امروا به، وفيما نهوا عنه بقوله: «أفلا تكونوا تعقلون» :٦٢) ثم ذكر محل الامتياز الذى كانواهم يكذّبونه في الحياة الدنيا، لزيادة الحسرة والألم فيهم بقوله: «هذه جهنّم التى كنتم توعدون» : ٦٣) ثمّ أمرهم أمر إهانة وتحقير لهم بالدّخول في محلّ امتيازهم مع بيان سبب الامتياز والدّخول وهو الكفر الناشئ عن اتباع الشيطان الناشئ عن عدم التعقل فيما دعاهم الله تعالى إليه بقوله: «إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون» : ٦٤) ثم بيّن أن هؤلاء المجرمين الطاغية والمشركين الباغية والفاجرين الكفرة، والمستكبرين الجهلة لايستطيعون يوم القيامة دفاعاً عن أنفسهم ولا إنكار ما كانوا يعتقدون به وما يقولونه وما يفعلونه لشهادة أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون بقوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم...» : ٦٥).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر مآل أمر المجرمين في الدار الآخرة أعاد الكلام إلى ما يهدّدهم به في الحياة الدنيا بأنه جل وعلا قادر على إذهاب أبصارهم كما هو قادر على إذهاب بصآئرهم إذا اختاروا سبب الذهاب بالشرك والطغيان، والكفر والعصيان... ثم زاد في تهديدهم وتوبيخهم بأنه تعالى قادر على منعهم من الحركة بقوله تعالى: «ولو نشآء لطمسنا على أعينهم -إلى- ولايرجعون» : ٦٦-٦٧) وقد قدّم الطمس على المسخ تدرجاً من الأهون إلى الأصعب بنظرهم لأن الأعمى قد يهتدى إلى وجوه التصرف بامارة عقليّة أو حسّيّة غير البصر، وأما الممسوخ على مكانه فلا يهتدى إلى شئ أصلاً كما قدّم المضيىّ على الرجوع لذلك، فان سلوك طريق قدرآه مرّة يكون أهون ممالم يره أصلاً، فنفى أوّلاً إستطاعة الأصعب، ثم نفى ثانياً إستطاعة الأهون للمبالغة.

كما أنه جل وعلا قدّم في أوائل هـذه السّورة المباركة: «يس» قصّة أهل القـرية إذ حاق بهم العذاب في الـدنيا، ثمّ أتبعه بتبيـان مبين من نظرة في العوالم العلوية والسّفليّة ليعلم الإنسان بالعقل بعد ازدجاره وإزعاجه بالعذاب، فهكذا ههنا أخذ يعيدالكرة بمنهج أقرب ومعنى أدق، وذلك انه قـابل أوّل المعنيين بأنـه أقـدرعلى طـمس الأعين حتّى لايبصروا ومسخ الصور فلا يعقلوا.

فليس العذاب قاصراً على اهـلاك امّة وإبادة قبيلة، بـل يـتناول تشويه الأعضاء وطـمس العيـون ومسخ الصور وفساد الـقلوب ومحو العقـول كما نـرى في الأُمم الّتي عمّ جهلها فقلّ خيرها وزاد شرّهـا، فانّهـم ذو وصوز مشوّهة الـباطن وفـاسدة السيرة، وإن كانت حسنة الصورة، ولمّا كان تصوّر ذلـك عسراً على العامّة، وصعباً على الجهلة قرّبه بعد ذلـك بما هـو أوضح محجة وأبين حجة فقال: «ومـن نعـمّره ننكسه في الخلق أفلا يـعقلون»: ٦٨) إنا قادرون أن نمسخ صورهـم كما غيّرنا صور المـعـمّرين ونعكس صور العـقول فتذلّ الامة وتـعيش في خزى فلا تموت في الدنيا ولاتحيى، وهذا هلاك أدبى كالهلاك الأبديّ الجسّمي في أهل القرية.

ولا جـرم أنّ في هذا القـول تصويراً لـلمعقـول بوصف المحسوس، وايضاحاً وإرشاداً فلذلك نفى أن يكـون القول شعراً والنبى صلى الله عليه وآله وسلّم شاعراً، فالشعر في الأكثر لم يكن لمثل هـذه الأغراض الشريـفـة «إن هـو إلاّ ذكر وقرآن مبين» يـفـهمه العـاقـلون الأحياء، ويجهلـه الغافلون الأمـوات، ثم قابل ثانيهما بذكـر الأنعام وملكها وصوفها ولبنها وركوبها وتذليلهـا، فمن لم يعقل النظام العام من شمس وقمر وأرض ونهر مما لايعقل نظامه العالى إلاّ الأذكياء فـلينظر فيما يزاولـه من دابة يركبها وبهيمة يحلبها، أفـليس ذلك يكفى دليلاً على وحدانية الله جل وعلا وقدرته، وبرهاناً على تدبيره وحكمته، وحجّة بالغة على علـمه وعظمـته... فـأين الأصنـام الميـتة والأوثان الجـامدة؟ تالله لايستطيعون نصرهم ولايملكون نفعهم!

ومن المحتمـل أن يكـون قـوله تـعالى: «ومـن نعـمّـره ننـكّسه في الخلق...» :٦٨)

إستشهاداً على قدرته جل وعلا على الطمس والمسخ، بأنّ من كان قادراً على ذلك وهو لاينكر فهو قادر على الطمس والمسخ لامحالة وهو قادر على إهلاك المشركين المجرمين كما أهلك قوماً آخرين من قبلهم، ثم أشار إلى أن غفلتهم عن قدرة الله تعالى على ذلك ناشئة عن عدم تعقلهم في أحوال أنفسهم، وفي تغيير حالاتهم ... بقوله: «أفلا تعقلون».

كما لا يبعد أن تكون مناسبة هذه الآية: (٦٨) لما قبلها: (٦٦-٦٧) هى أن هاتين الآيتين حملتا مع هذا التهديد الذى حملته إلى المشركين، دعوة إلى المبادرة إلى الايمان بالله جل وعلا وبالوحى السماوى وبالرسول الالهى صلى الله عليه وآله وسلّم وبالبعث والحساب والجزاء واستباق الزمن قبل أن يفوت الأوان... وفي هذه الآية :(٦٨) دعوة اخرى إلى المبادرة واستباق الزمن... حيث انه كلّما طال الزمن بهم لم يزدهم طول الزمن إلّا نقصاً في الخلق، وضعفاً في التفكير، حيث يأخذ الإنسان عند مرحلة من مراحل العمر في العودة إلى الوراء، وفي الانحدار شيئاً فشيئاً حتّى يعود كما بدأ، طفلاً في مشاعره وخيالاته، وفي صور تفكيره وحركاته...

فالزمن بالنّسبة لهؤلاء المشركين ليس في صالحهم، وأنهم قد بلغوا مرحلة الرجولية الكاملة، لاينتظرون إلّا أن ينقصوا لاأن يزدادوا، وعياً وإدراكاً، وأنهم إذا لم تهدهم عقولهم إلى الايمان بهذا الوحى السماوى الذى بين أيديهم فلن يهتدوا بعد هذا أبداً، بل سيزدادون ضلالاً إلى ضلال، وعمىً إلى عمى، وجهالة على جهالة، وغفلة على غفلة...

ففي قوله جلّ وعلا: «أفلا تعقلون» حثّ لهم على إستعمال عقولهم تلك، الّتي هي معهم الآن، ثمّ إذا هي -بعد أن يمتدّ العمر بهم- تخلت عنهم! كما يشير إليه قوله جل وعلا: «ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكى لايعلم من بعد علم شيئاً» النحل: ٧٠)

إنّ الله عزّوجلّ لمّا افتتح هذه السّورة: «يس» ببيان طبيعة الوحى، وحقيقة الرّسالة، ووظيفة الرّسول(ص) وموجهة المشركين لها في سبع آيات: «(١-٧)ثمّ ذكر قصة أهل القرية مثلاً لأهل الشّرك والطّغيان والكفر والعصيان ... وأقام الأدلّة القاطعة على

وحدانيّته وربوبيّته، على تدبيره وحكمته، وعلى علمه وقدرته على نظام الكون ونواميس الوجود، وعلى البعث والحِساب والجزاء، فمن النّاس من آمن، ومنهم من كفر، أعاد كلامه إلى ما بد أمن طبيعة الوحي وحقيقة الرّسالة ووظيفة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم تأكيداً لأمر الوحي وتعظيماً لشأن الرسالة والرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وتحقيراً وتوبيخاً للكافرين بقوله تعالى: «وما علمناه الشعر ـ إلى ـ ويحق القول على الكافرين» : ٦٩ ـ ٧٠) فالكافرون الذين يحق عليهم القول هيهنا هم الّذين لايؤمنون حق عليهم القول في الصدر: (٧).

إنّ الله تعالى نفى أوّلاً كون القرآن الحكيم شعراً بقوله عزّوجلّ: «وما علمناه الشعر» تنبيهاً إلى قوله: «والقرآن الحكيم» : ٢) ثمّ نفى ثانياً أن يكون رسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم شاعراً بقوله تعالى: «وما ينبغي له» تنبيهاً إلى قوله: «انك لمن المرسلين على صراط مستقيم» : ٣ و ٤) لايصح له الشّعر ولا يتأتى منه.

فالآيتان: (٦٩ ـ ٧٠) عطف ورجوع إلى سبع آيات الصدر: (١ ـ ٧) تأكيداً لأمر الوحي والرسالة وتفخيماً لشأن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتحقيراً وتوبيخاً للمعرضين عن الوحي، والمنكرين للرسالة، والمكذّبين بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وإتماماً للحجّة عليهم مرّة اخرى على طرق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن الاضمار إلى الاظهار، ومن الوصف إلى الموصوف وبالعكس فتأمل جيداً واغتنم جداً.

وأما مناسبة هاتين الآيتين لما قبلها أنه قد حملت الآيات الثلاث قبلها دعوة إلى المشركين أن يسبقوا الايمان بالله عزّوجل، وأن يبادروا باستعمال عقولهم والنظر بها إلى آيات الله تعالى قبل أن تذهب عقولهم مع الزمن، فقد جائت الآيتان تلقياهم برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتاب الله الّذي معه ليكونوا لمن انتفع بهذه الدعوة معاودة نظر إلى الوحي والرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وليجتنبوا أن يكونوا ممن أعرضوا عنها.

ثمّ عاد الكلام إلى ذكر الأدلة على وحدانيّته تعالى وقدرته، وتدبيره وعظمته مع تعداد النعم وتذكيرهم بها عليهم بقوله جل وعلا: «أولم يروا أنا خلقنا لهم ...» : ٧١) ثم

ذكر بعض منافع الأنعام لهم بقوله: «وذلّلناها لهم- أفلا يشكرون»: ٧٢-٧٣) مع حثّهم على الشكر على هذه النّعم وتوحيد خالقها، والتّوبيخ على عدم الشكر، وعلى الكفر والطغيان... وفي هذا مظهر من مظاهر التساوق بين الأساليب القرآنية وأذهان السامعين مما تكرر كثيراً في مناسبات وصيغ متنوعة.

ثمّ أخبر جلّ وعلا بأسوأ أحوالهم، وزيادة جهالتهم، وغاية غفلتهم وسفاهتهم ونهاية ضلالتهم وغوايتهم بأنهم كفروا بنعم هذه النّعم مع تذكيرهم بها عليهم، قلباً ولساناً وعملاً بالكفر والشرك، بالتّكذيب والإستهزاء وبالتمرد والطّغيان، وأقبلوا على عبادة من لايضرّ ولا ينفع بقوله تعالى: «واتخذوا من دون الله...»: ٧٤) ثم بيّن بطلان آرآئهم وخيبة رجآئهم وانعكاس تدبيرهم إذ توقّعوا من آلهتهم النصرة مع أنهم هم الناصرون لهم، القائمون على حمايتها وحراستها، وحراسة ماتزيّن من به حُلّى، وما يلقى عليها من ملابس... بقوله: «لايستطيعون نصرهم...»: ٧٥) والآيتان استمرار في السياق والتنديد بالكافرين على اتخاذهم آلهة غيرالله رجاء أن ينصروهم في حين أنهم عاجزون عن ذلك.

ثمّ عقّب جلّ وعلا دليل التّوحيد بالرّسالة مسليّاً رسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم عما يشاهده من هؤلاء المشركين المجرمين من الأذى وفساد العقيدة وسوء الأقوال وكساد الأعمال... مع بيان مآل أمرهم والجزاء بما يناسب عقآئدهم السخيفة، وأقوالهم القبيحة، وأعمالهم السيئة بقوله تعالى: «فلا يحزنك قولهم...» : ٧٦)

إن الله عزّوجلّ لمّا أبطل الشرك بما عاين المشركون فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والرسالة والاسلام، أردف ذلك بالبعث والنشور، منبهاً لخلقه على الاستدلال على صحة الاعادة والنشأة الثانية، وبذكر مافيه بطلان إنكارهم البعث مما يشاهدون في أنفسهم أوضح دليل على تحققه، مع أن فيه دليلاً آخر على التوحيد مأخوذاً من الأنفس، وقد كان الأوّل مأخوذاً من الآفاق... بقوله تعالى: «أو لم يرالانسان انا خلقناه...» : ٧٧).

ثمّ بيّن جلّ وعلا شبهتهم الواهية في البعث والنّشور وإستبعادهم الغلط، حكاية عن بعضهم بقوله تعالى: «وضرب لنا مثلاً...» : ٧٨) مع بيان ذلك المثل بقوله: «قال من يحيي العظام...» ثم أمر الله عزّوجلّ رسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يجيبهم عن استبعادهم، ويبكّتهم بتذكيرهم بما نسوه من حقيقة أمرهم وخلقهم من العدم، وأن يردّ شبهاتهم بامور:

الأوّل: بقوله تعالى: «قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة» :٧٩) يعني خلق الانسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، فانه يعيده وإن لم يكن شيئاً مذكوراً. **الثّاني:** بقوله عزّوجلّ: «الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً» : ٨٠) وهذا دليل ثان يرفع شبهاتهم ويبطل إنكارهم مع زيادة في البيان وإخبار من صنعه بما هو عجيب الشأن. **الثّالث:** بقوله سبحانه: «أو ليس الذى خلق السموات والأرض...» : ٨١) وهذا دليل ثالث على قدرته على البعث أعجب من سابقيه إذ ذكر من خلقه ما هو أعظم من خلق الانسان على طريق الاستفهام التقريرى ثمّ أجاب تعالى هذا الاستفهام بقوله: «بلى...».

كلّ واحد من الأجوبة الثلاث أتمّ من سابقه، وأحكم وأمتن منه كما قال عزّوجلّ: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» غافر: ٥٧) ثم ذكر قدرته على ايجاد الأشياء ما هو كالنتيجة لما سلف من تقرير واسع قدرته واثبات عظيم سلطانه بقوله: «إنما أمره إذا أراد شيئاً...» :٨٢)

وبعبارة اخرى: انّ منكرى البعث لمّا مثلوا لاثبات مدّعاهم من إستحالة أن يبعث الإنسان بمثال يتعجبون به، وهو أنّ تكوّن الانسان من العظم البالى ممتنع من قولهم: «من يحيى العظام و هى رميم» ضرب الله تعالى مثلاً آخر بعد أن أجابهم بقوله: «قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة» تجاه مثالهم بأن يكون تكوّن ما يتكوّن منه أعجب وأبعد عند العقل، وهو أمر معلوم مشاهد لايمكن لاحد إنكاره بقوله: «الذى جعل لكم من الشجر الأخضر...» فذكر من بدائع خلقه وعجائب صنعته مثال انقداح النار من الشجر الأخضر وهو أمر عجيب الشأن فان النار مضادة للماء بكلتى كيفيّة لحرارتها

وبرودته، ويبوستها ورطوبته، فينطفي عند وصوله إليها، فكيف تتولد هى منه حيث ان المرخ والعفار من الأشجار لهما هذه الخاصية يقطع منهما عصيتان مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيتخذ الرجل وقوده منهما بأن يستحق المرخ وهوالرجل ـالذكرـ على العفار وهي انثى، فينقدح له النار بأمر الله تعالى.

إن الله تعالى لمّا أثبت لنفسه القدرة الكاملة والسلطة العامّة نزّه نفسه الجليل عما وصفوه به وعجّب السامعين مما قالوه، نزهه من أن يوصف بمالا يليق به بقوله: «فسبحان الذى بيده...» :٨٣) فاختتمت السورة بتقرير المبدأ والمعاد على الاجمال فقوله: «بيده ملكوت كل شئ» إشارة إلى المبدأ وقوله: «وإليه ترجعون» إشارة إلى المعاد.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قال بعض المتأخرين من المفسرين: إن «يس» من المتشابه به الذى لايعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم».

أقول: وقدوردت روايات كثيرة عن الطّريقين: ان «يس» إسم من أسمآ النّبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى:

قال بعضهم: إن قوله تعالى: «فلا يحزنك قولهم» يس: ٧٦) منسوخ بآية السيف: «فاقتلوا المشركين...» التوبة: ٥).

أقول: ان صدر الآية الكريمة تسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وذيلها تهديد للمشركين المستكبرين، ووعيد للمجرمين الكافرين بالحساب الشديد والعذاب الأليم.

فليس في هذه السورة المباركة: «يس» ناسخ ولامنسوخ ولا متشابه فآيها محكمات والله جل وعلا هو أعلم.

﴿تحقيق في الأقوال﴾

١ - (يس)

فيه أقوال: ١ - عن ابن عباس: هذا قسم أقسم الله تعالى به فهو من أسماء الله تعالى لايدرىٰ معناه. ولذلك لم يجوّز مالك بن أنس أن يسمى العبد من التسمية بـ«يس» إذ ربما كان معناه ينفرد به الرب، فلايجوز يقدم عليه العبد. ٢ - عن ابن عباس أيضاً وعكرمة وابن مسعود وسعيدبن جبير والحسن والضّحاك: «يس» معناه يا إنسان أراد محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم قال ابن عباس: هذا باللغة الحبشيّة. وعن الكلبي والشعبي: «يس» بلغة طيّ: يا انسان. وعن الحسن: انه بلغة كلب. وعن الكلبي أيضاً: هو بالسريانية تتكلمت به العرب فصار من لغتهم. وقيل: يستفاد معنى الانسان الكامل من كلمة «سين» فقط إن كان يآء حرف النداء، فحذفت من إنسان الفاء والعين وجعل ما بقى منه إسماً قائماً برأسه وهو السين فقيل: ياسين.

٣ - عن مجاهد: «يس» مفتاح كلام افتتح الله تعالى به كلامه. افتتح الله جل وعلا هذه السورة بالياء والسين وفيهما مجمع الخير، ودلّ المفتتح على أنه قلب، والقلب أمير على الجسد وكذلك «يس» أمير على سائر السور مشتمل على جميع القرآن.

٤ - عن قتادة: «يس» إسم من أسمآء القرآن الكريم، وقال: كل هجاء في القرآن إسم من أسمآء القرآن. ٥ - عن ابن عباس وسعيدبن جبير أيضاً ومحمّدبن الحنفية: «يس» إسم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم أى يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وقالوا في قوله تعالى: «سلام على آل ياسين» أي آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وقال سعيد بن جبير:

هو إسم من أسماء محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ودليله: «إنك لمن المرسلين» ٦٠- عن الحسن أيضاً وأبي العالية: «يس» أى يا رجل. ٧- قيل: «يس» معناه يا سيّد الأوّلين والآخرين مخاطبة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم . ٨- عن أبي بكرالورّاق: معناه يا سيّد البشر. ٩- قيل: «يس» هواسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وهو المروىّ عن الامام علي بن أبيطالب وأبي جعفر الباقر عليهما صلوات الله.

١٠- قيل: «يس» حرفان من حروف التهجّي مثل «حم». ١١- قيل: «يس» من المتشابهات الّتي لايعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم، فالله تعالى أعلم بمراده به. ١٢- عن ابن عباس أيضاً: «يس» أى يا أنيسين، فحذف بعضها، فاقتصر على البعض. ١٣- قيل: «يس» حروف تنبيه نحو ألاويا وينطق بأسمائها فيقال: ياسين. ١٤- عن كعب: «يس» قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السمآء والأرض بألفى عام. ١٥- قيل: «يس» إسم لهذه السورة كما أن افتتاح أوائل السور بأمثال هذه الحروف انها أسماء للسور. ١٦- قيل: إنها حروف إذا جمعت أنبأت عن إسم الله الأعظم.

١٧- قال بعض المتفسرين من المتجددين المتأخرين: إن هذه الحروف في أوائل السورة جائت لتذهب العقول فيها كل مذهب، فلا تختصّ بطائفة دون طائفة، وانّ هذه الحروف تحليل الكلمات، وليس في العالم المشاهد إلّا إثنان: أحدهما ـ العناصر... ثانيهما ـ الحروف... وأما العناصر فمنها تكوّن المركبّات من حيوان ونبات وكواكب وجماد... وأما الحروف فمنها تكوّن الكلمات والجمل والخطب والنثر والنظم... وهذا ملخّص علوم الانسان في هذه الأرض، وان الحروف المذكورة في أوائل السور تبلغ (١٤) حرفاً وهى نصف الحروف الثمانية والعشرين، وإن ذلك إشارة إلى أن الحروف قد حلّلت إليها الكلمات كما تحلل المركبّات إلى عناصر...

وإنّ الله تعالى كأنّه يقول لنا: تأمّلوا الجمل والآيات أليست من حروف؟ وهل تعرف الجمل إلّا بتحليلها إلى كلمات؟ وهل تعرف الكلمات صرفاً اشتقاقاً وكتابةً إلّا بمعرفة حروفها؟ هذا في علوم اللّغات، وأما في علوم الآفاق المشاهدة فكذلك إذ لايعرف

علم إلّا بمعرفة حقائقه وإرجاع مركّباته إلى اصولها كما أنّ خروج النّار من الشجر الأخضر كما في هذه السورة يرجع إلى علم الكيمياء وهو من العلوم الطّبيعيّة، وتقدير القمر منازل يرجع إلى علم الفلك وهو من العلوم الرّياضيّة، فالله تعالى يقول لنا: لاعلم للنّاس إلّا إذا حللوا المركّبات في كل شئ، فيحللون المسائل الحسابية والهندسيّة والفلكيّة وكذلك المركبات الطّبيعيّة.

أقول: إن الروايات في معنى التاسع مستفيضة.

٢ـ (والقرآن الحكيم)

في وصف القرآن بالحكمة أقوال: ١ـ قيل: أى ذى الحكمة لما فيه من الآيات الدّالة على العلوم الرّبوبيّات... ٢ـ قيل: انه دليل قاطع بالحكمة كالحى. ٣ـ قيل: إنه كلام حكيم، فوصف بصفة المتكلم به. ٤ـ قيل: أى المحكم عن الباطل فلا يأتيه باطل ولافيه باطل: «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت: ٤٢) ٥ـ قيل: أى المحكم عن التحريف كما قال تعالى: «إنا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون» الحجر: ٩) ٦ـ قيل: إن المراد بالحكيم هو عقل الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم الذى فيه صور معلومات الأشياء وحقائقها كما في اللوح المحفوظ وهوالذكر الحكيم، حيث ان القرآن كان بحسب الذات والماهية خلق النبي الكريم. صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٧ـ قيل: سمّاه حكيماً لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها، فصار ذلك بمنزلة الناطق به للبيان عن الحق الّذي يعمل به، وان الحكمة قدتكون المعرفة، وقدتكون مايدعو إلى المعرفة، وأصله: المنع من الخلل والفساد، فالمعرفة تدعو إلى ما أدّى إلى الحق من برهان أو بيان.

قال الشاعر:

أبنى حنفية أ حكموا سفهاء كم ـ إنّى أخاف عليكم أن اغضبنا أى امنعوهم.

٨- قيل: الحكيم: المحكم- إسم مفعول- حتى لايتعرّض لبطلان وتناقض كما قال تعالى: «كتاب احكمت آياته» هود: ١) وكذلك أُحكم في نظمه ومعانيه، فلا يلحقه خلل، وما فيه من أحكامه وبيّنات حججه، فهو المحكم بكل ما فيه. ٩- قيل: يكون «الحكيم» هيهنا في حقّ الله جل وعلا بمعنى المحكم -إسم فاعل- كالأليم بمعنى المؤلم. ١٠- قيل: «الحكيم»: المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى... ١١- قيل: إن الله تعالى وصف القرآن بالحكيم لاستقرار الحكمة فيه وهى حقائق المعارف وما يتفرّع عليها من الشرائع والعبر والمواعظ... مع أن في الوصف إلفات لما اشتمل عليه من فرائد الحكمة التى هى مورد العقول والأفكار، ومطلب الحكماء والأبرار... وأنّ الّذي ينظر في آيات الله تعالى ينبغي أن ينظر فيها بعقل متفتح، وبصيرة متطلعة، وقلب سليم وفكر مشوق، حتّى يظفر ببعض ما يتحدّث به هذا القرآن الحكيم، فانه لاينتفع بحكمة الحكيم إلاّ من كان ذا حكمة وبصيرة وقلب سليم...

أقول: والثامن هو الأنسب بظاهر السياق، وفي معناه بعض الأقوال الاخر فتأمل جيداً. وفي الحلف بالقرآن الحكيم أقوال: ١- قيل: ان العرب كانت تتوقع الأيمان الكاذبة، وتقول معتقدين: إن اليمين الكاذبة توجب خراب العالم، وصحّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلّم: اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع، ثم كانت تقول: إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يصيبه من جهة آلهتهم عذاب، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يحلف بأمر الله عزوجل وماكان يصيبه عذاب قط، بل كان كل يوم أمنع مكاناً، وأرفع شأناً فكان القسم يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب، وما يراد من الدليل إلاّ إثبات المدّعى وحصول المطلوب، فهو صلى الله عليه وآله وسلّم يثبت المطلوب بالدليل لابالقسم، فانما القسم لايجاد الاعتقاد فيهم بكونه صلى الله عليه وآله وسلّم وما جاء به حقاً.

٢- عن ابن عباس: قالت كفّار قريش: لستَ مرسلاً و مأأرسلك الله إلينا، فأقسم الله بالقرآن الحكيم ان محمّداً من المرسلين. ٣- قيل: إن المناظر إذا أقام دليله لا ثبات

مدّعاه ولم يقبله الخصم عناداً لاينبغي للمناظر إتيان دليل آخر حيث يقول الخصم فيه مما قال في الأوّل، فلا بدللمناظر حينئذ لاثبات مدّعاه الحلف واليمين، فلمّا أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم البراهين في رسالته وان القرآن من الله تعالى، قال المشركون: «ما هذا إلّا رجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم ـ إن هذا إلّا سحر مبين» سبأ: ٤٣) تمسّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم باليمين والحلف لعدم فائدة الدليل. ٤ـ قيل: ان هذا ليس بمجرد الحلف، وإنّما هودليل خرج في صورة اليمين حيث ان القرآن الكريم معجزة، ودليل كونه صلى الله عليه وآله وسلّم مرسلاً من الله تعالى هوالمعجزة، والقرآن كذلك، فهذا حكمة في الاقسام بالقرآن الحكيم. ٥ـ قيل: إن الله عزوجلّ أقسم بالقرآن الحكيم لعظم شأنه، وموضع العبرة به، والفائدة فيه.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ، ولكن الأوجه هو التعميم فتأمّل جيّداً.

٤ـ (على صراطٍ مستقيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي طريق يؤدّي بسالكه إلى الحقّ وهوالذّي كان مسلوك جميع الأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء والمتّقين، والأوليآء والمؤمنين. ٢ـ قيل: أي الطّريق الحقّ المستقيم الّذي يؤدّي بسالكه إلى الجنّة. ٣ـ قيل: أى على شريعة واضحة، وحجّة لآئحة، ودليل قاطع، فأنت يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على منهج حقّ ودين قويم، وشرع مستقيم، فأنت الحقّ، والحقّ معك، والحقّ نزل إليك، وتصل أنت إلى الحقّ كقوله تعالى: «وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الّذي له ما في السّموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور» الشّورى: ٥٢ـ ٥٣).

٤ـ قيل: أي طريق قويم من عقآئد صحيحة وشرآئع حقّة، طريق لاإعوجاج فيه من الهُدٰى وهوالإسلام. ٥ـ قيل: أى على استقامة من الحقّ، من اتّبعك فقد

اهتدى، ومن اتّخذ سبيلاً غيرسبيلك فقد ضلّ وهلك. ٦ـ عن الزّجاج: أى على طريق الأنبيآء قبلك وهوالتّوحيد والهدى والإستقامة في الأُمور. ٧ـ قيل: أى على دين مستقيم وهوالإسلام. ٨ـ قيل: أى على طريقة مستقيمة نزل القرآن الحكيم. ٩ـ قيل: أى على الطرّيق الواضح المستقيم الّذي يوصل عابريه إلى الله جلّ وعلا أى إلى السّعادة الإنسانيّة الّتي فيها كمال العبودية لله تعالى والقرب منه عزّوجلّ.

اقول: انّ المعاني متقارب والمآل واحد.

٥ـ (تنزيل العزيز الرحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي إنّك يا محمّد لمن المرسلين إرسال الرّبّ العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرّحيم بمن تاب إليه وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقب على سالف جرمه بعد توبته له. فالتّنزيل راجع إلى النّبىّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بمعنى الإرسال كقوله تعالى: «قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله» الطّلاق: ١٠ـ ١١) يقال: أرسل الله المطر وأنزله بمعنى. ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلّم رحمة الله تعالى أنزلها من السمآء. ٢ـ قيل: أي نزّل الله هذاالقرآن تنزيل العزيز في ملكه «الرّحيم» بمن اطاعه ولذلك أرسله، فليس هذاالقرآن تنزيل من عندك ولامن عند قوم آخرين. ٣ـ قيل: أي هذا الصّراط المستقيم والدّين القويم تنزيل من ذي العزّة والرّحمة بعباده.

أقول: والثّاني هوالأنسب بظاهر سياق الخوف والرّجآء.

٦ـ (لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون)

في قوله تعالى: «لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي لتخوّف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم من نذير برسول ولا كتاب لأنّهم كانوا في زمن الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فهم لم ينذروا في

زمن الفترة. وقال بعض المعاصرين: إن كان المراد بالقوم قريش ومن يلحق بهم، فالمراد بآبائهم آباؤهم الأدنون، فانّ الأبعدين من آبائهم كان فيهم النّبيّ إسمعيل ذبيح الله عليه السلام وقد أرسِل إلى العرب رسل آخرون كهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وإن كان المراد بالقوم جميع النّاس المعاصرين نظراً إلى عموم الرّسالة، فكذلك أيضاً، فآخر رسول معروف بالرّسالة قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو عيسى عليه السلام وبينهما زمان الفترة.

٢ـ عن الحسن وعكرمة: أي لم يأت قريشاً نذير من أنفسهم وقومهم، وإن جآءهم من غيرهم، فهم قد انذروا. فالمعنى: لتنذرهم الّذي انذر آباءهم... ٣ـ قيل: أى لم يأتهم من أنذرهم بالكتاب حسب ما آتيت. وهذا على قول من قال: كان في العرب قبل نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم من هو نبيّ كخالدبن سنان وقيس بن ساعدة وغيرهما. ٤ـ عن عكرمة وقتادة أيضاً: أى لتنذر قوماً مثل ما أُنذر آباؤهم. فـ«ما» مصدريّة فالمعنى: أُرسلت لتنذرهم إنذار آبائهم. أو موصولة فالمعنى: ما أُنذر آبائهم به، فإنهم في غفلة. فعلى هذا كونهم غافلين سبب باعث على الإنذار وعلى الأوّل عدم الإنذار سبب غفلتهم، ثم بيّن أنّ السّبب الحقيقيّ للغفلة هو أنّه تعالى جعلهم من جملة المطبوع على قلوبهم، ومن زمرة أهل النار لسوء إختيارهم الكفر والضّلالة وهو قوله تعالى فيهم: «لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٥).

٥ـ قيل: أى لتُنذر قوماً ما أُنذروا من قبلهم من آبائهم من إنذار النّاس قبلهم فما أُنذر آباؤهم مثل ما انذر النّاس من قبلهم. فالمعنى: لم ينذروا برسول من أنفسهم، وإن بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبيآء والمرسلين. وقيل: بلغهم الخبر ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا. ٦ـ قيل: أي لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم أى هذه الأُمّة لم يأتهم نذير حتّى جآءهم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لقوله تعالى: «لتنذر قوماً ما أتيهم من نذير من قبلك» القصص ٤٦) فلم يأت العرب رسول قبل محمّد ولا آبائهم رسول قبله صلّى الله

عليه وآله وسلّم. قيل: وهذه يشمل اليهود والنصارى لأن آبائهم الأدنين لم ينذروا بعد ما ضلّوا. ٧ـ قيل: هذا خطاب لقوم لم يبلغهم خبر نبيّ لقوله تعالى: «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سبأ: ٤٤) وقوله تعالى: «لتنذر قوماً ما أتيٰهم من نذير من قبلك» السّجدة: ٣) أى لم يأتهم نبيّ من قبل، أراد به قريشاً انذروا بنبوّة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: وعلى الأخير جمهور المحقّقين وهو المؤيّد بالرّواية الصّحيحة فانتظر.

وفي المقام أسئلة: **الأولى:** إذا كانت آبائُهم لم ينذروا فبأىّ شئ يُحتجّ عليهم؟

أُجيب عنه: انّ «ما» في قوله تعالى: «ما أُنذر» ليست للنّفى بل هى للإثبات، فالمعنى: لتُنذر قوماً مثل ما أُنذر آباؤهم. أو بمعنى الّذي أُنذر آباؤهم. أو زائدة لأنّ الكلام يتمّ من دونها. فالمعنى: لتنذر قوماً أُنذر آباؤهم. يمكن أن يقال: إن الله تعالى لم يبعث رسولاً بعد عيسى عليه السلام إلّا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ولهذا وصفهم بالغفلة لمالم ينذر آباؤهم. فعلى هذا ان «ما» للنفى دون الاثبات، وان عيسى عليه السلام بعث إليهم وشاعت شريعته فيهم، وانتشرت كلمته، وإنّما الفترة كانت بين عيسى عليه السلام ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم. وفيه جوابان: أحدهما ـ انّ المراد بالآباء المذكورين هم الأدنون دون الآباء الأبعدين، فكأنّ شريعة عيسى عليه السلام لم تبلغ إلى الأدنون، وإن بلغت إلى الأبعدين. ثانيهما ـ انّ عيسى عليه السلام لم يبعث إلّا إلى بني اسرآئيل خاصّة دون العرب، وبذلك نطق القرآن، فعلى هذا انّ الآباء الأبعدين والأدنين في ذلك سوآء، ويؤيد ذلك قوله تعالى: «قد جآءكم رسولنا يبيّن لكم على فترةٍ من الرّسل» المآئدة: ١٩) فعلى هذا فجميع الآبآء لم ينذروا.

وأمّا الإحتجاج عليهم فيحتجّ عليهم بالعقل. ويمكن أنّ يقال: إن العقل حجّة على من أُنذر لاعلى من لم يُنذر بالرّسول كما صرّح بذلك في قوله تعالى: «وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً» الاسرآء: ١٥) فعلى هذا لايحتجّ على عبدة الأصنام في عبادتهم قبل البعثة.

الثّانية: كيف يعاقبهم الله تعالى على عبادة الأصنام، وقد قال: «وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً» الاسرآء: ١٥)؟

أجيب عنه: لايمتنع أن يخلوا الزّمان الطّويل أو القصير من رسول مبعوث بشريعة مالم تقتض المصالح بعثة الرسول إليهم فلا يرسل رسولاً، فلا يعاقبهم على ما فعلوا في ذلك الزّمان.

الثالثة: كيف يصحّ أن تخلوا امة من الامم من نذير وقد قال تعالى: «وإن من امة إلّا خلافيها نذير» فاطر: ٢٤) وقوله: «وما أهلكنا من قرية إلّا لها منذرون» الشّعرآء ٢٠٨) وقد عُلِمَ أنّ المشركين كانوا كثيرى العدد في قرىً كثيرة؟

اجيب عنه: ان معنى «ما أُنذر آباؤهم» إنّه لم ينذرهم مَن هو منهم، وعلى نسبهم ومن أنفسهم لقوله تعالى: «لقد جآءكم رسول من أنفسكم» التوبة: ١٢٨) فالمعنى: لتنذر قوماً أنت منهم ما انذر آبائهم من هو منهم أى من قومهم ومن أنفسهم. مع إحتمال أن يكون المراد بلفظة «ما» التّنكير كأنّه تعالى قال: «لتنذر قوماً ما» وتقف ثمّ تبتدي، فتقول: «أُنذر آباؤهم» فالغرض التّنكير والإجمال.

وفي قوله تعالى: «فهم غافلون» أقوال: ١ـ قيل: أى فهم غافلون عمّا تضمّنه القرآن الكريم، غافلون عن معرفة الشّرآئع الّتي فيها سعادة البشرو إصلاح المجتمع. ٢ـ قيل: أى غافلون عمّا انذر الله تعالى به من نزول العذاب والعقاب. والغفلة مثل السّهو وهو ذهاب المعنى عن النّفس، ومثله النّسيان وهو ذهاب الشّئ عن النّفس بعد حضوره فيها. ٣ـ قيل: أى هم غافلون عن غفلتهم وضلالتهم، وجاهلون عن غوايتهم وجهالتهم، فلا يعلمون أنّهم لايعلمون فبقوا غافلين. ٤ـ قيل: أى فهم غافلون عمّا الله فاعل بأعدآئه المشركين به من إحلال نقمته وسطوته بهم. ٥ـ قيل: أى فهم غافلون عن عدم إنذارهم بنذير من قبل. ٦ـ قيل: أى فهم معرضون الآن متغافلون عمّا بلغهم من خبر الأنبيآء... ويقال للمعرض عن الشّئ: إنّه غافل عنه. وهذا بنآءً على قول من قال: بلغهم خبر الأنبيآء. ٧ـ قيل: أى هم غافلون عن الايمان

والرّشد والهداية والسّعادة الانسـانيّة والكمال. ٨ـ قيل: أى فهـم غافلون عن الله جلّ وعلا وعن رسوله وعـن وعيده. ٩ـ قيل: أى فهم غافلون عن أمر حق الخالق والمخلوق بـالكفـر والفساد، بـالشّرك والعنـاد، ونكران البعث والمعـاد. ١٠ـ قيل: إنّ الـغفلة تكون بالنّسبة إلى مشركى زمان البعثة عن عواقب الأُمور وعن حقيقة الحال.

أقول: والثّامن هوالمروىّ وهوالأعمّ الأنسب بظاهر الإطلاق.

٧ـ (لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لايؤمنون)

في الآية الكريمة أقـوال: ١ـ قيل: أى لقد ثبت ووجب على أكثر هؤلآء المشركين بالسّخط والعـذاب واستحـقاق الهلاك والدّمـار والذّلّة والهوان في الحيـاة الدّنـيا، وباستحقـاق العقاب وإدخالهـم النار في الآخرة، فهـؤلآء المشركون وأذنابهم لايـؤمنون بالله تعالى ولا برسوله ولا بكتابه ولابانذاره ولابولاية أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله ولا بالـيوم الآخر، فهم يمـوتون على الـكفر والعنـاد وعلى الشّرك واللّجاج. والمراد بثبوت القـول عليهم صيرورتهـم مصاديق يصدق عليهـم القول. ٢ـ قيل: أُريد بالقول سبق عـلمه تعـالىٰ فيهم وفي أمثالهم أنّهـم لايؤمنون ٣ـ قيل: أُريد أنّ الـقول بالدّعوة بلغ أكثـرهم ولكـنّهم لايؤمـنون جحـوداً وعناداً، وذلك ان مـن يتوقّـف على إستماع الـدليل في مـهلة الـنّظر يرجى مـنـه الايمان إذابـان لـه البرهـان، وأمّـا بعـد الـبيان والوضوح، فلايكون عدم الايمان إلّا للمكابرة.

٤ـ قيل: أى لقد وجب الوعيد واستحقاق العقاب على أكثرهم لأن الله عزّوجلّ قـدحتم عليهم في امّ الكتاب أنّـهم لايؤمنون بالله ولا يصدّقـون رسوله ما داموا مصرّين على الشّـرك والطّغيان وعلى الكفـر والـعصيان. ٥ـ قيل: أى لقـد ثبت القول وسبق على أكثرهم انّـهـم لايؤمنون فهـم لايؤمنون. وذلك ان الله تـعالى أخبر ملآئكته انّـهم لايؤمنون، فحقّ قولـه عليهم لعلمه تـعالى من خبث سريرتهم وسوء اختيارهم، وفساد نفوسهم بـالشّرك والجحود فلا تـعمر قلوبهم بالإيمان والطّاعة، ولا تخبت لله جلّ وعلا

في أيّ زمان، فهم لايؤمنون لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم، فيموتون على كفرهم، وقد سبق ذلك في علم الله جل وعلا.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق المطلق، وهو المؤيّد بالرّواية الصّحيحة الآتية، وبما ورد صحيحاً من إرتداد النّاس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا ثلاثة أو سبعة من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأخر فتأملّ جيّداً.

۸ـ (إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون)

في قوله تعالى: «إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان» أقوال: ۱ـ عن ابن عبّاس: قوله تعالى: «إنّا جعلنا ...» كقوله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» الاسرآء: ۲۹) يعنى بذلك أنّ أيديهم موثقة إلى أعناقهم لايستطيعون أنّ يبسطوها بخير. فالمعنى: انا جعلنا أيمان هؤلآء المشركين الطّاغية مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال فلا تبسط بشئ من الخيرات... بسبب شركهم وعنادهم وسوء سريرتهم... فقوله: «إلى الأذقان» يعنى فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكنّى عن الأيمان، ولم يجرلها ذكر لمعرفة السّامعين بمعنى الكلام، وأنّ الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلّا وأيدى المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان. وقال ابن عبّاس: الأغلال: ما بين الصدر إلى الذّقن فهم مقمحون كما تقمح الدّابّة باللّجام، فكأنّهم بالشّرك والطّغيان، والكفر والعصيان مجموعة أيديهم إلى أعناقهم تحت الذّقن. ۲ـ قيل: هذا مثل لتصميمهم على الشّرك والكفر كالطّبع والختم. ۳ـ عن الحسن والجبآئى: انّ الله عزّوجلّ ذكره ضرباً للمثل وتقديره: مثل هؤلآء المشركين الجحود في إعراضهم عمّا تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه، ولايمكنه أن يبسطها إلى خير ورجل طامح برأسه لايبصر موطئ قدميه. ونظيره قول الافوه الاوديّ:

كيف الرّشاد وقد صرنا إلى أمم   هم عن الرّشد أغلال وأقياد

ونحوه كثير في كلام العرب.

٤ـ عن الضّحاك : هذا إشارة إلى إمساكهم، وأنّهم لاينفقون في سبيل الله كما قال: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» وعلى هذا يمكن أن يكون معنى قوله: «فهم لايؤمنون» يس: ٧) أنّهم لايزكّون كأنّه عبّر بالايمان عن الزّكاة كما عبّر به عن الصلاة في قوله: «وماكان الله ليضيع ايمانكم» البقرة: ١٤٣) ٥ـ عن ابن عبّاس أيضاً والسّدى: ان المعنى بذلك ناس من قريش همّوا بقتل النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فجعلت أيديهم إلى أعناقهم، فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أبداً. وفي نزول الآية وما بعدها كلمات سبقت في بحث النّزول فراجع.

٦ـ عن أبي مسلم: إنّ هؤلآء المشركين الباغية صاروا في الإستكبار والإعراض عن الحقّ كمن جُعِلَ في يده غُلّ، فجمعت إلى عنقه، فبقى رافعاً رأسه لايخفضه، وغاضاً بصره لايفتحه، وانّ المتكبّر يوصف بانتصاب العُنُق. وهذا المنع بسبب سلب التّوفيق عنهم عقوبة لهم على كفرهم ولجاجهم، وعلى شركهم وعنادهم، وعلى بغيهم وفسادهم... فكأنّ هذا القرآن الحكيم أغلال في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لإستماعه وتدبّره لثقله عليهم وذلك انّهم لمّا استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه، وكان المستكبر رافعاً رأسه، لاوياً عنقه، شامخاً بأنفه لاينظر إلى الأرض، صاروا كأنّما غلّت أيديهم إلى أعناقهم، فملأت الأغلال ما بين صدورهم إلى اذقانهم، فبقيت رؤسهم مرفوعة إلى السّمآء لايتأتّى لهم أن ينكسوها فينظروا إلى ما بين أيديهم من الطّريق، فيعرفوها ويميّزوها من غيرها. وإنّما أضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم ودعوته إيّاهم صاروا بهذه الصّفة، فهو مثل قوله: «حتّى أنسوكم ذكري» المؤمنون: ١١٠)

٧ـ قيل: إنّ الآية الكريمة تصف أحوال المشركين يوم القيامة، وتشير إلى ما يفعل بالمجرمين غداً في النّار من وضع الأغلال في أعناقهم والسّلاسل كما قال: «إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون» غافر: ٧١) وأخبر عنه بلفظ الماضي لتحقّق

الفعل.

أقول: إنّ الخامس والأخير هما المؤيّدان بالرّوايات الواردة ولكن من قبيل ذكر المصاديق، فالتّعميم غير بعيد.

وفي قوله تعالى: «فهم مقمحون» أقوال: ١ـ عن بعض البصريّين: المقمح: المقنع وهو أن يحدر الذّقن حتّى يصير في الصّدر ثمّ يرفع رأسه. قال تعالى: «مهطعين مقنعي روءسهم لايرتدّإليهم طرفهم» إبراهيم: ٤٣) ٢ـ عن بعض الكوفيّين: المقمح: هوالغاض بصره بعد رفع رأسه، فالمقمح: رافع الرّأس وغاض البصر، فلا يبصر الطّريق، فضرب ذلك مثلاً للّذي يهديه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الصّراط المستقيم العقليّ وهو لايبصره بنظر بصيرته، فهذا مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول. يقال: فلان حمار أي لايبصر الهدى، فهم لايذعنون للإيمان ولايخفضون روءسهم له، فانّهم رافعون رؤسهم لايستطيعون خفضها بالشّرك والطّغيان، فلا يلتفتون إلى الحقّ، ولايعطفون أعناقهم نحوه ولايطأطئون رؤسهم له. وعن الأزهريّ: أراد أن أيديهم لمّا غلّت إلى أعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صُعُداً فهم مرفوعواالرّأس برفع الأغلال إيّاها. ٣ـ عن مجاهد: أى رافعوا رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم... وشخصوا أبصارهم. ٤ـ عن مجاهد أيضاً وقتادة: أى فهم مغلولون عن كلّ خير. ٥ـ قيل: هذا كناية عن عدم التّصديق بتحريك الرّأس، ويقال: بعير قامح إذا رفع رأسه فلم يشرب المآء، والايمان كالمآء الزّلال الّذي جآء به الحياة قال الله جلّ وعلا: «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال: ٢٤) ٦ـ قيل: أى رافعوا روءسهم بحيث لايستطيعون الاطراق لأنّ من غلّت يده إلى ذقنه إرتفع رأسه. يقال: أقمحت الدّابّة إذا جذبت لجامها لترفع رأسها، فانّهم مرفوعة رؤسهم، وغاضّة أبصارهم، وذلك لأنّ طوق الغلّ الّذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذّقن حلقة فيها رأس العمود خارجاً من

الحلقة إلى الذّقن، فلا يمكنه من أن يطأطئ رأسه، فلايزال مقمحاً. وهذا كلّه تمثيل أى منعناهم بموانع عن الايمان تشبه ما ذكر. كلّ ذلك لتمرّدهم عن الحقّ وفسادهم فى الأرض بالشّرك والطّغيان...

أقول: ولكلٍّ وجهٌ على اختلاف الأحوال من غير تناف بينها.

٩ـ (وجعلنا من بين أيديهم سدّاًومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون)

في قوله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة: أى سدّاً عن الحقّ فهم يتردّدون. وذلك انّه زيّن لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون ولايبصرون رشداً، ولايتنبّهون حقّاً. وهذا على جهة الذّمّ لهم، وصفهم بذلك لأنّهم منعوا منه. قيل: إنّ الله تعالى جعل جهلهم وذهابهم عن معرفة الحق غلّاً وسدّاً يمنعهم من الإيمان. ٢ـ قيل: إنّ إعراضهم عن آيات الله تعالى وكفرهم بها سدّ عن قبولهم إيّاها. قيل: إنّ المانع إمّا أن يكون في النّفس وهو الغلّ، فلا يتبيّن لهم آيات الأنفس، وإمّا أن يكون خارجاً عنها وهو السّدّ، فلايتّضح لهم دلآئل الآفاق... وقيل: انّ السّدّ من قدام إشارة إلى عدم العلوم النظريّة، ومن خلف إشارة إلى عدم فطنتهم الغريزيّة وقيل: السّدّ الأوّل إشارة إلى الغفلة عن أحوال المعاد، والثّاني إشارة إلى الغفلة عن المبدأ، وفيه انّ السّالك إذا انسدّ عليه الطّريق من قدامه ومن خلفه والموضع الّذي هو فيه لايكون موضع إقامة، فانّه يهلك لامحالة.

قيل: هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الايمان، وقبول الحقّ، وذلك عبارة عن خذلان الله تعالى إيّاهم لـمّا كفروا،فكانّه قال: وتركناهم مخذولين، فصار ذلك من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً وإذا قلنا: انّه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النّار بحيث لايجدون متقدّماً ولا متأخّراً إذ سدّ عليهم جوانبهم، وإذا حملناه على صفة القوم الّذين همّوا بقتل النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم فالمراد جعلنا بين أيدي اولئك

الكفّار منعاً ومن خلفهم منعاً حتّى لم يبصروا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

۳ـ قيل: إنّ الذّنوب والمعاصي والملكة الخبيثة الّتي حصلت لهم بالكفر والعصيان جعلت سدّاً كقوله تعالى: «وإذا تتلى عليهم آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقراً» لقمان: ۷) ٤ـ قيل: هذا وصف لهم في الآخرة بأنّ الله عزّوجلّ يوثقهم في الأغلال والسّلاسل الّتي لانجاة لهم منها كما قال تعالى: «خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه» الحاقّة: ۳۰ـ ۳۱) وقال: «إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل» غافر: ۷۱) ٥ـ قيل: إن للإنسان هدايتين: هداية تكوينيّة وهدايةٍ تشريعيّة، فالمشرك اللّجوج والمجرم العنود لايهتدي إليها فانّ الشّرك والجرم بمنزلة السّدّ لها يمنعانه من الهداية. ٦ـ قيل: إنّ الكافر إذا عمى قلبه بكفره لايرى مبدأه وهو الله تعالى ولا مصيره إليه جلّ وعلا.

۷ـ عن قتادة أيضاً: «سدّاً» أي ضلالات... ۸ـ عن ابن زيد: أى جعل الله هذا سدّاً بينهم وبين الإسلام فهم لايخلصون إليه، ومن منعه الله تعالى لايستطيع. ۹ـ عن الضّحّاك: «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً» أى الدّنيا «ومن خلفهم سدّاً» أى الآخرة فهم عموا عن قبول الشّرآئع في الدّنيا، وعموا عن البعث في الآخرة.قال الله تعالى: «وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم» فصّلت: ۲٥) أى زيّنوا لهم الدّنيا ودعوهم إلى التّكذيب بالآخرة. وقيل: على هذا «من بين أيديهم سدّاً» أى غروراً بالدّنيا «ومن خلفهم سدّاً» أي تكذيباً بالآخرة. وقيل: «من بين أيديهم» الآخرة «ومن خلفهم» الدّنيا.

۱۰ـ قيل: إنّ الله تعالى شبّههم بمن أحاط بهم سدّان لامفرّ منها، فغطيت أبصارهم بحيث لايرون ما أمامهم ولا ما خلفهم، فهم محبوسون فى سجن الجهالة والغفلة، وفي مطمورة السّفاهة والغواية، ممنوعون عن النّظر في دلآئل الوجود ونواميس الكون، محرومون عن التّدبّر في الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة، وعن التّأمّل فيما حلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية، وعن التّفكّر في عواقب الأمور ما ضيها ومستقبلها... كلّ

ذلك بسبب شركهم وكفرهم وعنادهم ولجاجهم وبغيهم وطغيانهم لسوء إختيارهم، وتكون نتيجة ذلك مابعدهوهو: «وسواءعليهم...» فهذا تمثيل أيضاً لسدّ طرق الإيمان عليهم.

١١- قيل: فيه إشارة إلى هلاك الكافرين الفجرة والمشركين الطّاغية إذا انسدّ طريقهم الّذي يتوجّهون إليه ويمشون فيه، وانسدّ طريقهم الّذي يمكن أن يرجعوا إليه، فلا يستطيعون أن يذهبوا ولا أن يرجعوا، فهم في موضعهم يهلكون، وذلك انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هوالهادي وبيده سراج منير يتبعه النّاس في الطّريق المظلم بسراجه ونوره صلى الله عليه وآله وسلّم فمن تركه يقع في الظّلمة بحيث لايقدر أن يسير إلى قدامه ولا إلى خلفه، وأمّا عدم ذكر اليمين واليسار فواضح حيث إنّ الإنسان إذا لم يقدر أن يرجع إلى ما جآء ولا أن يذهب إلى ما ذهب صاحب السّراج فهولايقدر أن يمشى إلى اليمين واليسار فهو حيارى.لاقدرة له على الحركة فضلاً عن اليمين واليسار.

أقول: والمعانى متقارب والمصاديق مختلف وفي كلّها لطآئف جدّاً.

وفي قوله تعالى: «فأغشيناهم فهم لايبصرون» أقوال: ١- عن قتادة وابن زيد: أى جعلنا أبصار هؤلآء المشركين العنود غشاوة فهم لايبصرون الهدى ولا ينتفعون به. فالمعنى: حكمنا عليهم بأنّهم كمن غشي بصره فهم لايبصرون لذلك وذلك لشركهم وعنادهم وبغيهم ولجاجهم، بسوء إختيارهم. ٢- عن إبن عباس وعكرمة: أى أعشيناهم عن الهدى، وذلك انّ العشآء هوأن يمشي باللّيل ولايبصر، والعشآء في العين هوضعف بصرها حتّى لا تبصر باللّيل، فالمعنى: أعميناهم إلى حين. ٣- عن السّدى: أى فهم لايبصرون محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم حين ائتمروا على قتله، إذ مرّبهم وهم لايرونه. فالمعنى: فجعلنا من بين أيديهم ظلمة اللّيل نهاراً ومن خلفهم ظلمة اللّيل كذلك فأغشيناهم بظلمة اللّيل نهاراً فهم لايبصرون النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم نهاراً. ٤- قيل: أى فأغشيناهم بظلمة الشّرك والعصيان والكفر والطّغيان، وبظلمة الجهل والغفلة، والبغى والسّفاهة، والجرم والضّلالة فهم لايبصرون الهدى

والسّعادة. ٥ـ قيل: أي فهم لايبصرون النّار. ٦ـ قيل: معناه انّهم لمّا انصرفوا عن الإيمان، وأعرضوا عن القرآن لزمهم ذلك حتّى لايكادوا يتخلّصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه.

أقول: والأوّل والثّالث هما المرويّان، وفي معنى الأوّل، الثّاني والرّابع، فتأمّل جيّداً.

١١ـ (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم)

في قوله تعالى: «وخشي الرحمن بالغيب» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي ما غاب من عذاب الله تعالى وناره قبل حلولها ومعاينة أهوالها. ٢ـ قيل: أى خشى الله جل وعلا في مغيبه عن أبصار الناس وإنفراده بنفسه، خاف الله عزّوجل وهولايراه، وخاف إرتكابه معاصيه حين يغيب عن أبصار الناظرين لاكالمنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا، ويظهر الايمان في الملأ، ولا كالمشرك الذي قد طبع الله على قلبه، فخاف الله من وراء الحجاب وقبل انكشاف الحقيقة بالموت أو البعث. ٣ـ قيل: أى من خشى بالدليل وإن لم ينته إلى العيان، فعند الانتهاء إلى ذلك لم يبق للخشية فائدة. ٤ـ قيل: أى خشى بما غاب عنه من أمر الآخرة وأهوال القيامة وأحواله فيها. ٥ـ قيل: أى خاف الله عزّوجل مما انذر به من المصير الاخروى المغيب عنه. ٦ـ قيل: أى خاف الله الّذي آمن به، وبالحقائق المغيبة التى لا تدركها حواسه...

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر الاطلاق، فيعمّ الجميع.

١٢ـ (إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين)

في إحياء الموتى أقوال: ١ـ عن الضحاك والحسن: أي نحييهم بالايمان بعد الجهل. ٢ـ قيل: أى نخرجهم من الظلمات إلى النور. ٣ـ قيل: أي من الشرك إلى الايمان. ٤ـ قيل: أي من الجهل إلى العلم. ٥ـ قيل: أى من الموت إلى الحياة يوم

الحساب. فالمعنى: نحيى الموتى من خلقنا يوم القيامة للحساب والجزآء.

أقول: والخامس هوالظاهر.

وفي قوله تعالى: «ونكتب ماقدّموا» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة وابن زيد: أى نحفظ عليهم من أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم ومن نياتهم وطاعاتهم ومعاصيهم في حياتهم قبل موتهم. ٢ـ قيل: ان المراد بـ«ما قدّموا» النيات... فان النيات قبل الأعمال... ٣ـ قيل: أي نكتب ماقدّموه من عمل ليس له أثر وضعيّ في نفسه ولا في غيره. ٤ـ قيل: أراد تعالى ما قدّموا وما أخّروا فاكتفى بأحدهما كقوله تعالى: «سرابيل تقيكم الحر» النحل: ٨١)

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «وآثارهم» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وجابر وأبي سعيدالخدرى وأنس والحسن ومجاهد: أى من آثار خطاهم بأرجلهم إلى المساجد... ٢ـ قيل: أي نكتب أعمالهم التى باشروها بأنفسهم وآثارها التى اثروها من بعدهم، فنجازيهم على ذلك إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، فآثارهم: أعمالهم التى صارت سنّة بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة. كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: من سنّ في الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيئاً، ومن سنّ في الاسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده» فالآثار إما هدى وإما ضلالة بقيت بعده يقتدي بها الناس.

٣ـ قيل: «آثارهم» هى آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية، إلى الحق أو الباطل، وإلى الخير أو الشر... حيث ان لكل خطوة من الخطا أثراً ثابتاً لن يمحو، يحفظه الرقيب الكاتب أو ينعكس في النفس، أو ينقش في الأمكنة أو يحفظ في

الفضآء... ٤ـ عن الجبائي: أى مايكون له أثر في نفس العامل أو في غيره وضعياً. ٥ـ قيل: «آثارهم» هى الأعمال التى تركوها لما بعد موتهم، وما استنّ به بعدهم من خير يعمل به كتعليم علم ينتفع به، أو كتاب صفّوه أو بناء بنوه من مسجد يصلّى فيه، أو رباط أو قنطرة، أو ميضاة يتوضأ فيها، أو مستشفى لنفع الامة انشئوه، وما إليها من منارات الهدى والخير والسعادة... أوسيٍّ كوظيفة وظفها بعض الظلاّم على المسلمين، أو شئ أحدثه فيه صدّ عن ذكرالله من ألحان مَلاّه أو بناء مفسقة يعصى الله تعالى فيها أو وضع سنة مبتدعة يستنّ بها، أو إشاعة باطل وحماية كافر، وإعانة ظالم وما إليها من السيئات والكبائر... ٦ـ قيل: ان المراد بآثارهم هى الأعمال المترتبة المتفرّعة على النيات... ٧ـ قيل: أي ما خلفوه ورائهم من خير أو شر ومن صالح وفاسد...

أقول: والأوّل هوالمروي في النزول، ولكن المورد ليس بمخصّص مالم يكن المورد خاصاً، فالتعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله تعالى: «في إمام مبين» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة وابن زيد: أى في أُمّ الكتاب الّذي يبيّن عن حقيقة جميع ما أثبت فيه،فالإمام هوالكتاب المقتدىٰ به الذى هو حجّة. ٢ـ عن مجاهد وقتادة وابن زيد أيضاً: أى في اللّوح المحفوظ. فالمعنى إنّ جميع الكآئنات مكتوب في كتاب مسطور، مضبوط في لوح محفوظ، إذ عدّدنا كل شئ من الحوادث في كتاب ظاهر وهواللّوح المحفوظ، والوجه في إحصآء ذلك فيه إعتبار الملآئكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور، ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل، وانّ اللّوح المحفوظ عبّر عنه في القرآن الكريم بأسمآء مختلفة من أمّ الكتاب تارةً، والكتاب المبين تارةً أُخرى، واللّوح المحفوظ ثالثة بعناية خاصّة. والمبين هوالمظهر للأمور، والفارق بين أحوال الخلق. فالإمام هواللّوح لأنّ الملآئكة يتبعون ما كتب فيه من أجل ورزق وإماتة وإحيآء... وهو محفوظ من التغيير الّذي يشتمل على تفصيل قضآء الله تعالى في خلقه فيحصى كلّ شئ، ولعلّ

العناية في تسميته إماماً مبيناً أنّه لإشتماله على القضآء المحتوم متبوع للخلق مقتدىٰ لهم وكتب الأعمال مستنسخة منه قال تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون» الجاثية: ٢٩).

٣ـ عن الحسن: أي في صحيفة أعمالكم أينما تذهبوا كما قال تعالى: «قالوا طآئركم معكم» يس: ١٩) فتظهر الصّحيفة يوم القيامة لصاحبها ظهوراً بيّنا لاخفآء فيها. فالمراد بالإمام المبين صحآئف الأعمال، وسمّي ذلك مبيناً لِأنّه لايدرس أثره. وقال بعض المعاصرين: المراد بكتابة ما قدّموا وآثارهم ثبتها في صحآئف أعمالهم وضبطها فيها بواسطة كتبة الأعمال من الملآئكة، وهذه الكتابة غير كتابة الأعمال وإحصآئها في الإمام المبين الّذي هواللّوح المحفوظ، وإن توهّم بعضهم أنّ المراد بكتابة ما قدّموا وآثارهم هو إحصآئها في الكتاب المبين، وذلك أنّه تعالى يثبت في كلامه كتاباً يحصي كلّ شئ، ثمّ لكل امّة كتاباً يحصي أعمالهم، ثمّ لكلّ إنسان كتاباً يحصي أعماله كما قال: «ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» الأنعام: ٥٩) وقال: «كلّ أُمّة تُدعىٰ إلى كتابها» الجاثية: ٢٨) وقال: «وكلّ إنسان ألزمناه طآئره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يَلقيٰهُ منشوراً» الاسرآء: ١٣) وظاهر الآية أيضاً يقضي بنوع البينونة بين كتاب الأعمال والإمام المبين حيث فرّق بينهما بالخصوص والعموم، واختلاف التّعبير بالكتابة والإحصاء.

٤ـ قيل: الإمام كناية عن علم الله تعالى الّذي لايعزب عنه شئ. ٥ـ قيل: أُريد بالإمام العلم الفعليّ لله تعالى. ٦ـ قيل: إنّ الّذي كتب في اللّوح المحفوظ هوماكان وما يكون إلى يوم القيامة لاحوادث العالم إلى أبد الآبدين، وذلك أن اللّوح عندالمسلمين جسم وكلّ جسم متناهي الأبعاد كما يشهد به الأدلّة، وبيان كلّ شئ فيه على الوجه المعروف عندنا دفعة مقتض لكون المتناهي ظرفاً لغير المتناهي وهومحال بالبداهة، فالوجه تخصيص عموم كلّ شئ، والقول بأنّ المراد به الحوادث إلى يوم القيامة هذا وهو تحكّم. ٧ـ قيل: أى في كتاب أعمالهم الشّاهد عليهم بما

عملوا من خير أو شرّكما قال تعالى: «ووضع الكتاب وجيئ بالنّبيين والشّهدآء» الزّمر: ٦٩) وقال: «ووضع الكتاب فترى المجرمين» الكهف: ٤٩).

وفي متشابه القرآن ومختلفه لإبن شهر آشوب المازندراني رضوان الله تعالى عليه قال: «واللّوح لايسمّى إماماً ويسمىّ القرآن إماماً، وقد تكلّم النّاس في كيفيّة ذلك، فقال البلخى والجبآئي والرّمّاني: انّه علامة جعله الله للملآئكة إذا سمعوها علموا أنّه أحدث أمراً كما قال: «فقال لها وللأرض ائتياطوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طآئعين» وقال بعضهم: إنّ الأمر خاص في الموجودين الّذين قيل لهم: «كونوا قردة خاسئين» ومن جرى مجراهم لأنّه لايؤمر المعدوم وقال آخرون: إنّه أمر للمعدوم من حيث هولله معلوم، فصحّ أن يؤمر فيكون. وقال آخرون: إنّها خاصّة في الموجودات من إماتة الأحيآء وإحياء الموتى وماجرى مجرى ذلك، الجواب الأوّل صحيح وما سواه معترض عليه. وقال الطّوسى: إنّه بمنزلة المَثَل ومعناه إنّ منزلة الفعل في السّهولة وانتفآء التّعذّر كمنزلة مايقال له: كن فيكون كما يقال: قال فلان برأسه كذا وقال بيده كذا إذا حرّك رأسه وأومئ بيده ولم يقل شيئاً في الحقيقة.

قال الشّاعر:

امتلا الحوض وقال قطنى	مهلاً رويداً قد ملأت بطنى

وهذا وجه صحيح» إنتهى كلامه.

وفيه: قال: «في قوله تعالى: «وكلّ شئ أحصيناه في إمام مبين» الوجه في إحصآء الأشيآء في الكتاب ما في (فيه ظ) من إعتبار الملآئكة فيما لا تقدّم به الإثبات مع أنّ تصوّر ذلك يقتضي الاستكثار من الخير والإستبعاد من الشّركما يقتضي إذا قبل للإنسان ماتعلمه فانّه لك وعليك» ٨ - إنّما المراد بالإمام المبين هومولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالب عليه السلام.

أقول: انّ الرّوايات المرويّة عن أهل بيت النّبوّة عليهم أفضل صلوات الله وآلاف التحيّة في الأخير مستفيضة فانتظر وتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

١٣ـ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذجآءها المرسلون)

في قوله تعالى: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية» أقوال: ١ـ قيل: أى مثّل لهم مثالاً وهو من قولهم: هؤلآء أضراب أى أمثال. ٢ـ قيل: أى واذكر لهم مثلاً. ٣ـ قيل: أى إجعل لهم صفة أصحاب القرية صفة لهؤلاء القوم إذ أصرّوا على تكذيب الرّسل الّذين ارسلوا إليهم كما أصرّ قومك على تكذيبك عناداً ولجاجاً واستكباراً. وذلك انّ المثل هوكلام أو قصّة يمثّل به مقصد من المقاصد فيتّضح للمخاطب، ولمّا كانت قصّتهم توضح ماتقدّم من الوعد والوعيد، أمر تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يضربها مثلاً لهم.

أقول: المعاني متقارب والمقصود منها المثل والتّذكير والعبر، وهذا هوالهدف العامّ لكلّ القصص القرآنيّة الّذي يكون محكماً مؤثّراً حينما تكون القصّة المساقة ممّا يعرفه السامعون.

وفي قوله تعالى: «إذ جآءها المرسلون» قولان: أحدهما ـ عن ابن عبّاس وقتادة وكعب: هم ثلاثة وهم: صادق وصدوق وشلوم (سلوم خ) وهم رسل من الله تعالى على الإبتدآء.

ثانيهما ـ عن قتادة وكعب أيضاً و وهب والجبآئى: هم شمعون ويوحنّا وبولس (بولص خ) وإنّما أضافهم الله تعالى إلى نفسه، وقد بعثهم عيسى عليه السلام إلى أنطاكيّة مدينة بالرّوم للدعاء إلى الله تعالى بأمره.

أقول: وما يظهر من السّياق انّهم كانوا رسلاً من جانب الله تعالى إليهم ردءاً لعيسى عليه السلام مقرّرين لشريعته كهارون لموسى بن عمران عليهما السّلام، إذْ أسند جل وعلا الإرسال إلى نفسه: «إذ أرسلنا ...».

١٤ـ (إذْ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون)

في قوله تعالى: «فكذّبوهما» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أى ضربوهما كلّ واحد

منها مأة جلدة. ٢ـ قيل: أي سجنوهما أى يوحنّا وبولس. ٣ـ قيل: أي حبسوهما في بيت الأصنام. ٤ـ قيل: أي جحدوا نبوّتهما وبادروا بتكذيبهما وإنكار رسالتهما.

أقول: والأخير هوالأنسب بظاهر السّياق من غير تناف بينه وبين غيره من الأقوال الأُخَر.

وفي قوله تعالى: «فعززنا» أقوال: ١ـ عن إبن زيد: أي قوّينا يوحنّا وبولس برسول ثالث وهو شمعون. مأخوذ من العزّة بمعنى القوّة والمنعة، ومنه قولهم: من عزّ بزّ أي من غلب سلب. ٢ـ عن مجاهد: أى شدّدنا أزرهما برسول ثالث. ٣ـ قيل: أى زدنا وكثّرناهما. ٤ـ قيل: أى فغلبنا وقهرنا أهل القرية، وانّما ترك ذكر المفعول به لأنّ الغرض ذكر الثّالث، فالعناية بذكره أهمّ وأتمّ. ٥ـ قيل: أى أيّدهما برسولٍ ثالث.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين، وفي معناه سآئر الأقوال...

١٧ـ (وما علينا إلّا البلاغ المبين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى وليس يلزمنا إلّا أدآء الرّسالة واتمام الحجّة على النّاس، والتّبليغ العلن، فنحن مسئولوا الإنذار والإرشاد، ولسنا بمسئولي القبول واهتدآء النّاس. فالمعنى: وما علينا إلّا نبلّغكم رسالة الله الّتي أرسلنا بها عليكم بلاغاً يبيّن لكم أنا أبلغنا كموها فان قبلتموها فحظّ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدّينا ما علينا، والله وليّ الحكم فيه. ٢ـ قيل: أى وليس علينا أن نحملكم على الإيمان، فإنّا لانقدر عليه إذلاإكراه في الدّين، فنحن بالتّبليغ خرجنا من عهدة ما علينا ولم يبق إلّا التفكّر منكم والتّذكّر والعمل. ٣ـ قيل: أى ليس علينا إلّا تبليغ الرّسالة الظّاهر بالأدلّة الواضحة، وهي إبرآء الأكمه والأبرص وشفآء المرضى، وإحيآء الموتى...

أقول: ولكلٍ وجه من غير تناف بينها.

١٨ـ (قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم وليمسنّكم منّا عذاب أليم)

في قوله تعالى: «لنرجمنّكم» أقوال: ١ـ عن قتادة: أى لنرجمنّكم بالحجارة. الرّجم. الرّمى بالحجارة. والمعنى: لنرمينّكم بالحجارة. ٢ـ عن مجاهد: أى لنشتمنّكم. قال: الرّجم في القرآن كلّه: الشّتم. ٣ـ عن الفرّآء: أى لنقتلنّكم. وقال: كلّ ما ورد من الرّجم في القرآن معناه القتل. ٤ـ قيل: أي لنرجمنّكم بالسّوء من القول.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققّين، وهو الأنسب بالمعنى اللّغوي.

وفي قوله تعالى: «وليمسّنّكم منّا عذاب أليم» أقوال: ١ـ قيل: أى القتل بعد الرّجم. ٢ـ قيل: هو التّعذيب المؤلم الموجع. ٣ـ قيل: هوالتّعذيب المؤلم قبل القتل كالسّلخ والقطع والصّلب. ٤ـ قيل: أى ليصلنّ إليكم عقوبة شديدة وليقعنّ بكم منّا عذاب شديد مؤلم بعد الرّجم وقيل: بعد القتل. ٥ـ قيل: أى ليمسّنّكم بسبب الرجم بالحجارة المتوالية إلى الموت عذاب شديد. ٦ـ قيل: أى ولنمثلنّ بكم شر التّمثيل.

٧ـ قيل: أى لنعذّبنّكم عذاباً شديداً وأنتم أحيآء. ٨ـ قيل: أي نلقينّكم في غيابات السجون، وننكل بكم أشد تنكيلاً.

أقول: إنّ تنكير «عذاب أليم» في مقام التّهديد يحتمل الوجوه كلّها، حيث أراد كلّ واحد أو جماعة من هؤلآء المكذّبين عذاباً خاصّاً للمرسلين؛ فكل يهدّدهم بنوع من العذاب المؤلم.

١٩ـ (قالوا طآئركم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم مسرفون)

في قوله تعالى: «طائركم معكم» أقوال: ١ـ عن إبن عباس: أى الشّؤم كلّه معكم باقامتكم على الشّرك بالله سبحانه والعناد، وباصراركم على الكفر بالرّسل واللّجاج، وأما الدّعآء إلى التّوحيد والتّآلف، وإلى عبادة الله تعالى والمحبّة ففيها غاية الخير والبركة، ونهاية اليمن والسّعادة، فلا شوم فيها قطّ. الطّائر في الأصل هوالطّير وكان

يتشامّ به ثمّ توسّع واستعمل في كلّ ما يتشامّ به، وربّما يستعمل فيما يستقبل الإنسان من الحوادث، وربّما يستعمل في البخت الشّقىّ الّذي هوأمر موهوم يرونه مبدءاً لشقآء الإنسان و حرمانه من كلّ خير و بركة. فالمعنى: انّ الذي ينبغي أن تتشامّوا به هو معكم وهو حالة إعراضكم عن الحقّ الذي هوالتّوحيد، وإقبالكم إلى الباطل الذى هوالشّرك . ٢ـ عن أبي عبيدة والمبرّد والضّحّاك : أى أعمالكم وأرزاقكم وحظّكم من الخير والشّرّ كلّها معكم، لازمة في أعناقكم،ولا تفارقكم أبداً، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً، فليس ما معكم هو شؤم منّا، ولا ما يصيبكم بسوء، بسوء اختياركم من ناحيتنا.

٣ـ عن ابن عباس أيضاً وقتادة: أى أعمالكم معكم وهى في رقابكم تجازون عليها. ٤ـ عن ابن عباس أيضاً: أى الأرزاق والأقدار تتبعكم. ٥ـ عن الفرّاء: أي رزقكم وعملكم معكم. ٦ـ قيل: أى كفركم ومعاصيكم معكم. ٧ـ قيل: أي سبب شومكم معكم وهوسوء عقيدتكم، وفساد أعمالكم، وقبيح أقوالكم، وخبث سريرتكم، فأنتم أنفسكم تحملون سبب نحوستكم بسوء إختياركم.

أقول: والتعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله تعالى: «أئن ذكرتم» أقوال: ١ـ عن قتادة: أى إن ذكّرتم قلتم هذا القول. والمعنى: إن ذكّرناكم الله جلّ وعلا وحده تطيّرتم بنا. ٢ـ قيل: أى إن ذكّرناكم هددتمونا. وهو مثل الأوّل. فالمعنى: أتشاءمتم بنا، بأن ذكرناكم وخوّفناكم بالله جلّ وعلا؟ أفى التذكير بالخير والدّعوة إلى الله تعالى وإلى الحقّ والهدى والخير والسّعادة والكمال الإنسانّي تشاؤم؟!. ٣ـ قيل: أى إن تدبّرتم عرفتم صحّة ماقلناه لكم. ٤ـ قيل: أى إن وُعِظتُم تطيّرتم، وإن خُوِّفْتُم كفرتم. ٥ـ قيل: أى إنّما تطيّروا لما بلغهم أنّ كلّ نبىّ دعاقومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك . ٦ـ قيل: أى أتطيّرون إن ذكرتم. ٧ـ قيل: أى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم فضلاً عن المكان الّذي حللتم فيه. ٨ـ قيل: أى تشآءمتم بمن يجب التّبرّك بهم، وقد

قصدتموهم بالسّوء. ٩-قيل: أي أئن وعظتم به تطيّرتم أوتوعدتم بالرّجم والتّعذيب. ١٠- قيل: أئن ذكر طآئركم معكم. ١١- قيل: أى أئن ذكرتم تطيّرتم قلتم ما قلتم؟ أفهذا جزآء التّذكير؟!

أقول: والثّاني هوالأنسب بظاهر سياق الردّ على تهديداتهم ووعيداتهم... وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «بل أنتم قوم مسرفون» أقوال: ١- قيل: أى ليس فينا ما يوجب التّشاؤم بنا، ولكنّكم متجاوزون عن الحد في التّكذيب للرّسل والمعصية، ومتجاوزوا الحدّ في البغي والعناد. الإسراف هوالإفساد ومجاوزة الحدّ والسرّف: الفساد.

قال طرفة:

إن امرءاً سرف الفؤاد يرى عَسَلاً بماء سحابة شَتْمي

أى فاسد القلب. أي يرى شتمى حُلواً عذباً. فالمعنى: بل أنتم قوم مفسدون. ٢- عن قتادة: أى مسرفون في تطيّركم. ٣- عن يحيى بن سلام: أى مسرفون في كفركم. ٤- قيل: مسرفون أى مشركون. والإسراف: مجاوزة الحدّ والمشرك يجاوز الحدّ. ٥- قيل: أى قالت لهم الرّسل: أنحن كاذبون أم أنتم مشئومون، بل أنتم قوم مسرفون في شرككم وضلالتكم، مسرفون في كفركم وجهالتكم، مسرفون في معصيتكم وغفلتكم عن غفلتكم، ومتمادّون في غيّكم وطغيانكم... فمن ثمّ أتاكم الشّوم، فما بكم التّطيّر من جانبنا، بل كنتم أنتم قوماً أهل معاصى الله جلّ وعلا، وأهل آثام قد غلبت عليكم الذّنوب والآثام... فحقّاً أنكم متمادون في الجهل ومنهمكون في الضّلال، وعادتكم الإسراف في الكفر والجناية... ٦- قيل: أي مسرفون على أنفسكم لأنكم تجاوزتم حدّ العصيان إذ كفرتم بالله عزّوجلّ وبوحدانيّته، وتتجاوزون الحدود في التّفكير والتّقدير، وتجازون على الموعظة بالتّهديد والوعيد وتردون على الدّعوة بالرّجم والتّعذيب.

أقول: ولكلٍّ وجه والمعاني متقارب.

۲۳ـ (ءأتخذ من دونه آلهة إن يُرِدْنِ الرّحمٰنُ بِضُرٍّ لا تُغنِ عنّي شفاعتهم شيئاً ولاينقذون)

في قوله تعالى: «ولايُنقذونِ» أقوال: ۱ـ قيل: أى ولايخلصونى من ذلك الهلاك والدّمار. ۲ـ قيل: أى لايخلصونى من ذلك الضّرّ والمكروه، فلا يقدرون تلك الآلهة على دفع الضّرّعنّي، ولامنع المكروه منّي بالنّصر أو بالمظاهرة. ۳ـ قيل: أى ولا يخلصونى مما أنا فيه من البلآء والشّدّة.

أقول: والثّاني هوالأنسب بظاهر السّياق، ولكنّ التّعميم غير بعيد.

۲۵ـ (إنّي آمنتُ بربّكم فاسمعونِ)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ـ عن وهب بن منبه: أى فاسمعوا قولى واقبلوه أيّها المشركون لأنّي أقول كلمة الحقّ وأجابه بها كلّ مبطل، ولا أُبالى بالموت، فاصنعوابي ماشئتم. ۲ـ عن عبدالله بن مسعود: هذا خطاب من حبيب النّجّار للرّسل بأنّه مؤمن بالله تعالى وبهم. فالمعنى: فاشهدوا أيّها المرسلون أى كونوا شهودى بالإيمان. قال ابن مسعود: لمّا قال صاحب يس: «يا قوم اتبعوا المرسلين» خنقوه ليموت، فالتفت إلى الرّسل، فقال: «إنّي آمنت بربّكم فاسمعون» أى فاشهدوا لي واسمعوا إيماني، وكونوا شهداء لي على إيمانى بربّكم عند ربّي واتّبعتكم، فقتلوه بعد ذلك.

۳ـ عن وهب أيضاً وكعب: هذا خطاب للقوم الكافرين، فالمراد به بيان التّوحيد أي ربّي وربّكم واحد، وهو الّذي فطرني وفطركم، فاسمعوا قولي وأطيعوني. إنّما قال ذلك لقومه: إنّي آمنت بربّكم الّذي كفرتم به. وذلك انّه لمّا قال لقومه: «اتّبعوا المرسلين اتّبعوا من لايسئلكم أجراً» يس: ۲۰ـ ۲۱) رفعوه إلى الملك، وقالوا: قد تبعت عَدُوّنا، فطوّل معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل المرسلين إلى أن قال:

«إنّي آمنت بربّكم فاسمعون» فوثبوا عليه فقتلوه. ٤ـ قيل: هذا خطاب للجميع بأنّ ربّكم وربّ المرسلين وربّ المرسل إليهم واحد، فإنّي آمنت به، فاشهدوا لي بذلك عنده، فلمّا قال ذلك وثب القوم الكافرون عليه وثبة رجل واحد، فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحديدفع عنه.

قيل: نشروه بمنشار حتّى خرج من بين رجليه، فوالله ماخرجت روحه إلّا في الجنّة فدخلها، فذلك، قوله: «قيل ادخل الجنّة» عن السّدى وقتادة: رجموه بالحجارة فمات وهو يقول: «اللّهم اهد قومى فانّهم لايعلمون» حتّى قتلوه. وقيل: إنهم قتلوه إلّا أنّ الله تعالى أحياه وأدخله الجنة، فلمّا دخلها «قال يا ليت قومي يعلمون». وعن الحسن: حرّقوه حرقاً وعلّقوه من سور المدينة. وقبره في سوق أنطاكية بالروم. فلما قتلوه غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبرئيل عليه السلام وعن عبدالله بن مسعود: لمّا قال ذلك وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتّى مات إذ خرج قصبه من دبره والقى في بئروهى الرّسّ وهم أصحاب الرّسّ. وعن الكلبي: حفروا له حفيرة والقوه فيها، وردموا فوقه التّراب، فمات ردماً. وعن الحسن أيضاً ومجاهد: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله تعالى إلى السمآء وهو في الجنّة لايموت إلّا بفنآء السّمآء وهلاك الجنّة، فاذا أعاد الله الجنّة أدخلها كما قال تعالى: «قيل ادخل الجنة».

أقول: والأوّل هوالأنسب بسياق الخطاب للقوم الكافرين، وعليه أكثر المفسّرين، وفي معناه القول الثالث، وإن كان الرابع غير بعيد للجمع بين الأقوال لمكان عبدالله بن مسعود حبرالأمّة.

٢٦ـ (قيل ادخل الجنّة قال ياليت قوم يعلمون)

في قوله تعالى: «قيل ادخل الجنّة» أقوال: ١ـ قيل: أي سيقال له: «أُدخل الجنّة» ولمّا كان دخول الجنّة له أمراً مقطوعاً به «قال» سيقول: «يا ليت قومى يعلمون» فالماضي بإعتبار تحقّق الوقوع لامحالة أو أنّه بعد قتله دخل الجنّة كما قيل.

٢- عن عبدالله بن مسعود ومجاهد وقتادة: قال الله تعالى له حين موته: «أُدخل الجنّة» فدخلها، فهو يرزق فيها. وذلك انّ القوم الكافرين لمّا قتلوه نودي من ساحة العزّة: أن ادخل الجنّة كما يؤيّده قوله تعالى بعد: «وما أنزلنا على قومه من بعده...» فوضع قوله: «قيل أُدخل الجنّة» موضع الإخبار عن قتلهم إياه إشارة إلى أنه لم يكن بين قتله بأيديهم وبين أمره بدخول الجنّة أىّ فصل وانفكاك، كأنّ قتله بأيديهم هوأمره بدخول الجنة، فلما رآى مكانه في الجنّة، «قال يا ليت قومي يعلمون» فتمنّىٰ أن يعلم قومه مكان الايمان ومآل أمره، فيعلمون حتّى يرغبوا في مثله وليؤمنوا كما آمن، لينالوا بما نال به من الكرامة والرّضوان والنّعيم والجنان...

كما قال الله عزّوجل: «ولاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون» آل عمران: ١٦٩) فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله جل وعلا به لايمانه وصبره فيه، ونصرة دينه والذبّ عنه، وقد أذهب الله تعالى عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها قال: «يا ليت قومى يعلمون». والمراد بالجنة، جنة الآخرة.

٣-قيل: كان هذا في آخر حياته حين موته، حيث ان كل مكلف يرى نفسه فيما يناسب العمل من الجنة ونعيمها، أو النار وعذابها. ٤- قيل: هذا بعد موته قبل يوم البعث والنشور لأن المراد بالجنة على هذا جنة البرزخ دون جنة الآخرة، فتقول له الملائكة: ادخل جنّة البرزخ إلى يوم البعث والحساب والجزاء. ٥- قيل: هذا يوم القيامة، يقال له يومئذ: وجبت لك الجنة، فهو خبر بأنّه قد استحق بالايمان والصبر والاستقامة عليه، دخول الجنّة لأن دخولها يستحق بعد البعث. ٦- قيل: انه لما قتل حبيب النجار لايمانه وصبره واستقامته على دينه والذبّ عنه كأنّ سائلاً سئل: كيف لقاؤه ربه بعد ذلك التصلّب في نصرة الدين حتى بذل مهجته؟ فقيل: قيل له: ادخل الجنة والقائل هوالله تعالى أو الملائكة بأمره جل وعلا أو بوحي أو إلهام. ثم كأن سائلاً آخر سئل: أىّ شئٌ تمنّى إذا دخل الجنة؟ فقيل: «قال يا ليت قومى يعلمون».

٧ـ قيل: هذا قول المرسلين وهم بشّروه بدخول الجنة وهوحيّ، فصدّقهم، وتمنّى علم قومه بحاله فيؤمنوا كما آمن. ٨ـ قيل: إنّ القائل: «ادخل الجنة» هوالقوم الكافرون قالوا له ذلك حين قتله استهزاءً.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيداً.

وفي تمنّيه قولان: أحدهما ـ أنه تمنّى أن يعلم قومه بحاله وحسن مآله وحميد عاقبته. ثانيهما ـ تمنّى ذلك ليؤمنوا مثل ايمانه، فيصيروا إلى مثل حاله. قال ابن عباس: إن حبيب النجار نصح قومه حياً وميتاً.

أقول: والأخير هوالمروى فانتظر من غير تناف بينهما فتدبّر.

٢٨ـ (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء وما كنّا منزلين)

في قوله تعالى: «قومه» أقوال: ١ـ قيل: إنّ «قومه» هم الذين بقوا من أهل القرية بعد المؤمنين منهم. ٢ـ قيل: اريد بقومه أقاربهم وأما غيرهم من قوم الرسل، فآمنوا فلم يصبهم العذاب. ٣ـ قيل: «قومه» هم الذين كانوا يهدّدونه بالرجم والعذاب حتى قتلوه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «من بعده» أقوال: ١ـ عن قتادة ومجاهد والحسن: أى من بعد قتلهم حبيب النجّار. ٢ـ قيل: أى من بعد رفع الله تعالى حبيب النجّار إلى السّمآء. ٣ـ قيل: أى من بعد دخوله في الجنّة. ٤ـ قيل: أى من بعد قتلهم الرّسل. ٥ـ قيل: أى من بعد المؤمنين من قومه أو غيرهم من قوم المرسلين الّذين آمنوا بهم فلم يصبهم العذاب.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين وهو المؤيّد بظاهر السّياق.

وفي قوله تعالى: «من جندٍ من السّمآء» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة والحسن: أي رسالة ولا بعث إليهم بعده نبيّاً. على أنّ الجند: الملآئكة النّازلون بالوحى على الأنبيآء. فالمعنى: وما أنزلنا على قوم حبيب النّجّار من رسالة ولانبيّ بعد قتلهم إياه، فقطع الله تعالى عنهم الرسالة حين قتلوا المرسلين أو حبيب النّجار فلم ننزل بعد الحبيب كتاباً ولم نرسل إليهم رسولاً، وانّما حلّت عليهم العقوبة: «إن كانت إلّا صيحة واحدة». ٢ـ عن عبدالله بن مسعود: أي لم يبعث الله تعالى لهم جنوداً يقاتلهم بسبب جنايتهم وقتلهم حبيب النّجّار، ولكنّه تعالى غضب عليهم لقتلهم المؤمن الصّالح حبيب النّجّار، فعجّل لهم النّقمة بما استحلّوا منه فأهلكهم بصيحة واحدة، إذ أهلك ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا على وجه الأرض فلم يبق منهم باقية. جند السّمآء: ملائكة تنزل بالعذاب. ٣ـ قيل: الجند: العساكر من الملآئكة والصّواعق والرّياح والأمطار الشّديدة وما إليها ممّا يعذّب به الكافرون فالمعنى: لم نحتج في هلاكهم إلى إرسال جنود ولاجُيوش ولا عساكر سماوية، ولم ننتصر منهم إذ ليس من حكمتنا أن ننزّل في إهلاك قوم حبيب النّجّار جنداً سماوياً، بل أهلكتهم بصيحةٍ واحدةٍ.

أقول: وعلى الثاني جمهور المحققّين.

وفي قوله تعالى: «وما كنّا منزلين» أقوال: ١ـ عن ابن مسعود: هذا تصغير لأمرهم أي أهلكناهم بصيحة واحدةٍ من بعد قتل ذلك الرّجل المؤمن الصّالح حبيب النّجّار أو من بعد رفعه إلى السّمآء. ٢ـ قيل: «وما كنّا منزلين» عليهم ما أنزلنا على من كان قبلهم من الامم إذا أهلكناهم فان الأمر أيسر علينا من نزول ملائكة العذاب. «إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون» ٣ـ قيل: «ما» موصولة، معطوفة على «جنداً» أي وما كنّا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة...

أقول: وعلى الأول أكثر المفسّرين، وفي معناه الثّاني.

٢٩ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون)

في قوله تعالى: «إن كانت إلّا صيحة واحدة» أقوال: ١ـ قيل: أى ماكانت عقوبتهم إلّا صيحة واحدة وكانت هى زلزلة. ٢ـ قيل: أى ما كانت عليهم صيحة إلّا صيحة واحدة وهى صيحة سماوية من جبرئيل عليه السلام وذلك انهم لمّا قتلوا المؤمن الصّالح حبيب النّجّار غضب الله تعالى عليهم، فبعث جبرئيل عليه السلام حتّى أخذ بعضادتى باب المدينة، ثمّ صاح بهم صيحة، فماتوا عن آخرهم لايسمع لهم حسّ كالنار إذا طفئت. وقيل: صاح بهم غير جبرئيل. ٣ـ قيل: أى ماكانت الآخذة أو العقوبة إلّا بسبب صيحة واحدة وهي صيحة سماويّة ورجفة الأرض مقرونتين. ٤ـ قيل: أى ما وقعت عليهم إلّا صيحة واحدة لانعلم كيف كانت، سماويّة أم أرضية ولا نعلم كيف وقعت عليهم. ٥ـ قيل: أى ما حدثت عقوبة إلّا صيحة واحدة. ٦ـ قيل: أى ماكانت هلكتهم إلّا صيحة واحدة أنزلها الله تعالى عليهم من السّمآء.

أقول: وما يظهر من الآية السّابقة ان الصّيحة ماكانت سماويّة نازلة، فلانعلم حقيقتها ولا كيفيّة وقوعها، وإنّ العبرة تحصل بدون بيانها، فإنّ المراد هوانتقام الله جلّ وعلا وعذابه لمن كذّب أوليآئه على أيّ نحو كان ذلك العذاب.

وفي قوله تعالى: «خامدون» أقوال: ١ـ قيل: أى لم تبق روح في جسم، فاذاهم أموات لاحراك بهم. ٢ـ قيل: أى ساكنون ميّتون كما تخمد النّار، فصاروارماداً لأنّهم كانوا كالنّار الموقدة في القوّة الغضبيّة، إذ قتلوا من نَصحهم وتجبّروا على مَن أظهر المعجزة لديهم.

٣ـ قيل: أى هالكون بتلف أنفسهم.

أقول: وعلى الثّانى أكثر المفسّرين، وهو الأنسب بالمعنى اللّغويّ.

٣٠ـ (يا حسرةً على العباد مايأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أى يا ويلا على العباد. وعنه أيضاً

أي النّدامة على العباد الّذين ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن النّدامة عليهم إلى يوم القيامة. قيل: انّ هذا نـدآء من الله عزّوجلّ للحسرة، لتقع على المشركين العنود، على الكافرين اللجوج، وعلى المنكرين الجحود برسل الله تعالى وآياته، وأن تشتمل عليهم ليذوقوا عذاب الندم إلى جانب العذاب الجهنّمي كما قال تعالى: «ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم» آل عمران: ١٥٦) فقوله تعالى: «ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن» تعليل للحسرة التى ساقها الله جل وعلا إلى المكذّبين والضّالين. فقوله: «يا حسرة على العباد...» من قول الله عزّوجلّ. وهذا تحسّر عليهم من الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه من أنفسهم.

٢ـ عن ثعلب: أي يا حسرة على هؤلآء المشركين المكذّبين لاعلينا ولا على رسلنا. فالنّدآء من الله تعالى لهم. الحسرة: الغمّ على مافات والنّدم عليه كأنّ المتحسّر انحسرت عنه قواه من فرط الاعيآء. عن مجاهد: معناه يا ندامة على العباد في الدّار الآخرة باستهزآئهم بالرّسل في الحياة الدّنيا. ثم بيّن سبب الحسرة فقال: «ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن» فهذا من قول الله عزّوجلّ. والمعنى: انّهم قدحلّوا محل من يتحسّر عليه. ومعنى النّداء. هذاموضع حضور الحسة. أي قال الله تعالى: يا حسرة فهذه من أحوالك، فحقّك أن تحضرى فيها وهي حال استهزآئهم بالرّسل، فهذا أوانك فاحضرى. وقيل: أى يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب على تكذيبهم رسل الله تعالى ومخالفة أوامره.

٣ـ عن مجاهد أيضاً وأبي العالية: انّ العباد هيهنا الرّسل وذلك ان الكفّار المكذّبين لمّا رأوا العذاب قالوا: «يا حسرة على العباد» يعنى على الرّسل حيث لم نؤمن بهم، بل قتلناهم وهم لنا هادون ناصحون فتحسّروا على قتلهم ونرك الايمان بهم، فتمنّوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان ولاالنّدامة. والحسرة: أنّ يركب الإنسان من شدّة النّدم مالانهاية بعده حتّى يبق قلبه حسيراً. ٤ـ عن مجاهد أيضاً وقتادة: المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم، وتندّماً وتلهّفاً في استهزائهم برسل الله تعالى،

وعلى أنفسهم ما ضيّعوا من أمرالله عزّوجلّ، وما فرّطوا في جنب الله سبحانه. قيل: هذا من قول القوم، قالوا لمّا قتلوا حبيب النّجّار وفارقتهم الرّسل، أو قتلوا حبيب النّجّار مع الرّسل الثّلاثة: يا حسرة على هؤلآء الرّسل وعلى هذا الرجل المشفق النّاصح الأمين، ليتنا آمنّا بهم في الوقت الّذي ينفعنا الإيمان.

٥ـ قيل: إنّ هذا نداء تعجّبيّ من الوجود كلّه، لهذه الحسرة الّتي تقع على أكثر النّاس، إستفظاعاً لها وإشفاقاً منها أن تمتد ظلالها الكئيبة إلى كلّ موجود، فقوله تعالى: «مايأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن» جواب لسؤال ينطق عنه لسان الحال وهو: أيّة جناية جناها أكثر الناس حتّى يساق إليهم هذا البلاء العظيم؟ فكان الجواب: «مايأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن» وفي وصف أكثر الناس المشركين بأنّهم عباد، إشارة إلى أنّهم ـوهم عبادـ لم يرعَوْا حق العبودية لله جل وعلا، بل كفروا بالله تعالى وكذّبوا رسله واستهزؤا بآياته... وقيل: إن المراد بالعباد، هم الناس كلهم على اختلاف أو طانهم وأزمانهم، انّهم هكذا دأبهم، وقليل منهم من يؤمن بالله تعالى ويصدّق رسله... أما الكثرة منهم فهم على هذا الوصف! وتتأكد الحسرة بكونهم عباداً، فانّ ردّ العبد دعوة مولاه وتمرّده عنه أشنع من ردّ غيره نصيحة الناصح المشفق.

٦ـ عن الضّحّاك: انّها حسرة الملآئكة على الكفّار حين كذّبوا الرّسل. فالمعنى: يا حسرة على العباد هؤلآء ونحوهم ممن كذّبوا الرّسل فاهلكوا. ٧ـ قيل: أى تلهف على حالهم الملآئكة والمؤمنون من الثّقلين. وذلك انّ المستهزئين بالنّاصحين الّذي نيطت بنصائحهم سعادة الدّارين أحقاء بأنّ يتحسّروا، ويتحسّر عليهم المتحسّرون من الملآئكة والمؤمنين من الثّقلين. ٨ـ عن البلخيّ: إنّ هذا من تمام كلام حبيب النجار لما وثب القوم المشركون لقتله. ٩ـ قيل: إن الرّسل الثّلاثة هم الّذين قالوا لمّا قتل القوم حبيب النجار، وحلّ بهم العذاب: يا حسرة على هؤلآء! كأنّهم تمنّوا أن يكونوا قد آمنوا. ١٠ـ قيل: هذه الحسرة تعبير عن سوء المصير والعاقبة الوخيمة.

أقول: وعلى السّابع أكثر المفسّرين، وهو المؤيّد بما ورد عن سيّد السّاجدين زين العابدين الإمام الرّابع علي بن الحسين صلوات الله عليهما: «يا حسرة العباد» على الاضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنها موجّهة إليهم، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٣١ـ (ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لايرجعون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: هذا توبيخ لاولئك الّذين نودي عليهم بالحسرة من قوم حبيب النّجّار الّذين قتلوه لبيان الحق ونصحه لهم وإرشارهم إلى الرّشد والخير والكمال، والمعنى: ألم يعتبروا هؤلآء المكذّبون المجرمون بكثرة المهلكين بأمرالله تعالى من القرون الماضية من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، وأنّهم مأخوذون بأخذ إلهي لايتمكّنون من الرجوع إلى ماكانوا يترفون فيه.

٢ـ قيل: هذا تخويف لكفّار مكّة وتهديد لمشركي العرب، والمعني: أولم يرمشوكوا مكّة، القائلون للنبّي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم: «لست مرسلاً» الرّعد: ٤٣) فأهلكنا قبلهم كثيراً من الامم السّابقة أنّ الهالكين منهم لايرجعون إلى المشركين، إذ لم يبق من الهالكين المتقدمين أحد يخبر المتأخّرين عمّا جرى عليهم من الهلاك والدّمار، فتصيرون أيّها المشركون إلى مثل حالهم، فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك وأنتم في غفلة وغرّة كما أتاهم.

٣ـ قيل: توبيخ لجميع المشركين المستكبرين، وتهديد لجميع الكافرين المكذّبين، وتنبيه لجميع المجرمين الباغين في كلّ زمان ومكان تلويحاً الذين يقفون من رسل الله عزّوجلّ وأوصيائهم والمصلحين موقف الاستهزآء والتّكذيب والتّهديد والوعيد والقتل والحبس والسّجن... الّذين لامنطق لهم إلّا منطق الزّر والزّور والتّزوير ومنطق السوط والعذاب... فالمعنى: أهلكوا بحيث لارجوع لهم إليهم. فالرّجوع حسّيّ. ٤ـ قيل: انّ الرجوع هيهنا معنوي وهوالرّجوع بالنّسب والولادة والمعنى: أهلكناهم وقطعنا

نسلهم. ٥ـ قيل: أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إلينا.

أقول: والثّالث هوالأنسب بسياق التهديد والتّنبيه.

٣٢ـ (وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون)

في قوله تعالى: «لدينا محضرون» قولان: أحدهما ـ قيل: أى الأمم كلّهم من الماضين والباقين مبعوثون، فهم يقفون يوم القيامة على ما عملوه في الدنيا، فيحاسبون عليه ويجازون به. ثانيهما ـ قيل: أى ليست الكفرة الفجرة إلّا جميعهم لدينا معذّبون. على معنى «محضرون» معذّبون.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسرين.

٣٥ ـ (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

في قوله تعالى: «ليأكلوا من ثمره» أقوال: ١ـ قيل: إنّ ضمير «ثمره» راجع إلى الله تعالى، اضيف إليه جل وعلا لأنه خلق الثمر وملكه. فالمعنى: ليأكلوا من ثمر الله عزّوجلّ. على أنّ الثّمار بعد وجود الأشجار وجريان الأنهار لا توجد إلّا بتخليق الملك الجبّار، فالثمر خلق الله تعالى، ولم تعمله أيدي النّاس، ولايقدرون عليه كالإنسان المخلوق بالنّسبة إلى النطفة. فالضمير راجع إلى الله تعالى بطريق الإلتفات إلى الغيبة. ٢ـ قيل: أي ليأكلوا من ثمرالجنّات الّتى أنشأها لهم. والمراد «جنات» الجنس، ولذا جيئت بالنكرة، وأُفرِدَ الضمير وذُكِّرَ، ولم يقل: من ثمرها أي من ثمرالجنات أو من ثمرهما أى النّخيل والأعناب. وقيل: الضّمير للمجعول من الجنّات.

٣ـ قيل: إنّ الضّمير راجع إلى كلّ واحد من الجنّات والنّخيل والأعناب تنبيهاً إلى منافع كثيرة لكلّ واحد منها. ٤ـ قيل: أى ليأكلوا من ثمر ماذكرنا من النّخيل وغيره كما قال تعالى: «وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممافي بطونه» النحل: ٦٦) بناءً على إجراء ضمير «ثمره» مجرى إسم الاشارة. ٥ـ قيل: أى ليأكلوا من ثمر

النخيل، فردّ الضمير إلى أحد المذكورين: «من نخيل وأعناب» عاد الضمير إلى «نخيل» لأنه المقدّم رتبةً على العنب وهو أكثر أنواعاً وألواناً منه. كما قال تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله» التوبة: ٣٤)

وقال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

قيل: إنّ المعنى: إنّ غرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار الجنات...

٦ـ قيل: أى ليأكلوا من ثمر ماعملته أو من ثمر عمل أيديهم. ٧ـ عن الجرجانى والمهدوى: أي ليأكلوا من فوائد التفجير المدلول عليه: «فجرّنا» وهو أعم من الثّمار ويشمل لجميع ماذكر في قوله تعالى: «أنّا صببنا الماء صباً ـ إلى قوله ـ وفاكهة وأبّاً» عبس: ٢٥ـ ٣١) وقيل: الضمير راجع إلى المآء، لدلالة «العيون» عليه أو بحذف مضاف. فالتقدير: ماء العيون.

أقول: والخامس هوالأنسب بسياق البلاغة، وإن كان الثّالث والرّابع غير بعيدين عن سياقها.

وفي قوله تعالى: «وما عملته أيديهم» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس والضّحّاك ومقاتل: أى ولم تعمل تلك الثّمار أيديهم... بنآءً على أن «ما» بمعنى النفي. وعن الضحّاك: أى وجدوها معمولة ولاصنع لهم فيها، أراد أنّه من صنع الخالق، ولم يدخل في مقدورات المخلوق. ٢ـ عن ابن عباس أيضاً: أى ومن ثمره ما عملته أيديهم يعنى الغروس والزروع التى قاسوا حراستها. فيرجع ذلك إلى ما يغرسه الناس وزرعوا. ٣ـ قيل: أى ومن الّذى عملته أيديهم من أنواع الثّمار المتّخذة من النّخل والعنب الكثيرة منافعها، وما يتّخذ من العصير والدّبس والخلّ وما إليها، ومن أصناف الحلاوات والأطعمة، وممّا اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز والطّعام والدّهن المستخرج من السمسم والزّيتون... بناءاً على أن «ما» بمعنى الّذى.

أقول: وعلى الأول أكثر المحقّقين وهوالأنسب بظاهر السّياق، حيث انّه بصدد

بيان آيات دالّة على وحدانية الله تعالى وربوبيّته، على علمه وحكمته، على عظمته وقدرته وعلى تدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود من غير أن يشرك به فيها غيره.

٣٦ـ (سبحان الذى خلق الأزواج كلّها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لايعلمون)

في قوله تعالى: «سبحان الذى» أقوال: ١ـ قيل: هذا تنزيه نفسه جل وعلا عن قول الكفار والمشركين إذ عبدوا غيره مع مارأوا من نعمه وآثار قدرته، وآيات وحدانيته وربوبيّته، ودلائل عظمته وحكمته... وفيه تقدير الأمر: أى سبّحوه ونزّهوه في كل حال، عمّا لايليق به لأنه وحده يستحق منتهى الحمد، وغاية الشكر... فهذا إنشآء تسبيح لاإخبار. ٢ـ قيل: فيه معنى التعجّب أى عجباً لهؤلآء الكافرين والمشركين في كفرهم وشركهم، مع ما يشاهدونه من هذه الآيات الدالّة على وحدانيته وربوبيته، ومن تعجب من شئ، قال: «سبحان الله» ٣ـ قيل: هذا إخبار من الله تعالى بالتسبيح والتقديس والتنزيه.

أقول: والأول هوالأنسب بظاهر السياق، وعليه أكثرالمفسرين.

وفي قوله تعالى: «خلق الازواج كلها» أقوال: ١ـ عن قتادة: الأزواج: الذّكر والانثى. ٢ـ عن ابن جريج: الأزواج: الأصناف كلّها، الملائكة زوج، والانس زوج، والجن زوج، وما تبنت الأرض زوج، وكل صنف من الطّيرزوج. ٣ـ قيل: الأزواج أى الأنواع والأصناف والأشياء كلها، فالحيوان على مشاكلة الذكر للانثى، وكذلك النخل والحبوب والتين والكرم ونحوها أشكال، فكل زوج صنف لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر والخواص، فاختلافها هو إزدواجها. فالمعنى: خلق أصناف المخلوقات كلها من نبات وإنسان وجماد وحيوان... إلى غير ذلك مما لانعلم في السمآء والفضاء وما تحت الثّرى.

٤ـ قيل: أي إن الله تعالى جعل لكل ما سواه من العقول وجنودها، من الجهل وعساكره، من الأفكار والشعور، من القوى الظاهرة والباطنة، من المحسوسات

والمعقولات، من الأرواح والملائكة، من الانس والجن، من الحيوان والنبات، من الجماد والعناصر، من السماء والأرض، من الألفاظ والمعاني... زوجاً، فكل ما في الكون ونواميس الوجود زوج من حيث إنّ له ضداً ما أو مثلاً ما أو تركيباً ما، إذ المخلوق بما أنه مخلوق لاينفك عن تركيب، فان زوجيّة الزوج هي كونه مفتقراً في تحقّقه إلى تألّف وتركّب ولذلك يقال لكل واحد من القرينين من حيث هما قرينان: زوج لافتقاره إلى قرينه، وكذلك يقال لمجموع القرينين: زوج لافتقاره في تحقّقه زوجاً إلى التألّف والتركّب، فكون الأشياء أزواجاً مقارنة بعضها بعضاً لانتاج ثالث أو كونه مؤلفاً من تألّف اثنين، فالمخلوق كله زوج، والخالق وحده فرد واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

أقول: والرابع هوالأنسب بسياق التوحيد والتنزيه.

وفي قوله تعالى: «مما تنبت الأرض» أقوال: ١ـ عن ابن جريج: ان هذا وما بعده تفسير وبيان لقوله عزّوجل: «خلق الأزواج كلها» فقوله: «مما تنبت الأرض...» تأكيد لعموم: «خلق الأزواج» لأن البيان متعدد، نظيره قول القائل: أعطيته كل شئ من الدار والثياب والدوابّ والعبيد... فانه يفهم أن تعديد الأصناف لتأكيد العموم، ويؤيّده قوله جل وعلا: «والذى خلق الأزواج كلها» الزخرف: ١٢) من غير تقييد. ٢ـ قيل: أى من الحبوب وغيرها مما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها. ٣ـ قيل: أى من النّبات لأنه أصناف كثيرة أى من سائر النبات والأشجار ولايبعد شموله الحيوان، وقد قال تعالى في الانسان وهو من أنواع الحيوان: «والله أنبتكم من الأرض نباتاً» نوح: ١٧) ويؤيّد ذلك أن ظاهر سياق البيان استيعابه للمبيّن مع عدم ذكر الحيوان في عداد الأزواج.

أقول: وعلى الأول جمهور المفسرين، من غير تناف بينه وبين القولين الآخرين.

وفي قوله تعالى: «ومن أنفسهم» قولان: أحدهما ـ قيل: أى وخلق من الناس أولاداً وأزواجاً، ذكوراً واناثاً. ثانيهما ـ قيل: أى ذكوراً واناثاً، وخنثى وعقيماً، وأسود

وأبيض، وقصيراً وطويلاً، وقبيحاً ووجيهاً...

أقول: ولكلٍ وجهٌ وإن كان الثاني أعمّ.

وفي قوله تعالى: «وممّا لايعلمون» أقوال: ١ـ قيل: أى من أصناف خلقه في البرّ والبحر، وفي السّمآء والأرض. ٢ـ قيل: أى ممّا في بطون الأرض والجبال وقعر البحار... فلم يشاهدوه ولم يتصل خبره بهم. قيل: يجوز أن يكون ما يخلقه الله تعالى لايعلمه الانسان، ولكنّ الملآئكة تعلمه، ويجوز أن لايعلمه إلّا الله جل وعلا. ٣ـ قيل: أى وأزواجاً لم يطلعهم الله تعالى على وجوداتها، ولا على كمّيتها وكيفيّتها، ولاعلى خواصّها وآثارها وخصوصياتها... لعدم قدرتهم على الاحاطة بها أو لعدم الأسباب والوسآئل يومئذٍ لدركها وفهمها، أو لعدم إدراكها أبد الآبدين، فلم يجعل لهم طريقاً إلى معرفتها: «وما يعلم جنودربّك إلّا هو» المدّثر: ٣١) «فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرّة أعين» السجدة: ١٧)

٤ـ قيل: أى وخلق أزواجاً ممّا يضيف إليه تعالى هؤلآء المشركون ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك. ٥ـ قيل: أى من المخلوقات العجيبة الغريبة في الجوّ وفي السموات. ٦ـ قيل: «مما لايعلمون» هوالروح، لايعلمه الملائكة ولاغيرهم من خلق الله تعالى إذلم يطّلع على الرّوح أحد إذ قال: «ويسئلونك عن الرّوح قل الروح من أمرربّي وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً» الاسراء: ٨٥) فقوله تعالى: «ومما لايعلمون»: لايعلم الملائكة ولاغيرها.

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق.

٣٧ـ (وآية لهم اللّيل نسلخ منه النّهار فإذاهم مظلمون)

في قوله تعالى: «نسلخ منه النّهار» أقوال: ١ـ قيل: أى قد جعل ذهاب الضّوء ومجيئ الظّلمة كالسّلخ من الشّئ، وظهور المسلوخ فهى إستعارة لإزالة الضّوء وكشفه من مكان اللّيل، وموضع إلقآء ظلّه. ٢ـ قيل: أى نسلخ عن اللّيل ضيآء النّهار،

فنأتي بالظّلمة، ونذهب بالنّهار فـ«منه» بمعنى «عنه» ٣ـ قيل: أى نترع من الّليل، النّهار بأن نخرج ضوء الشّمس، فيبقي الهوآء مظلماً كما كان. وذلك انّ الله تعالى يُضيئ الهوآء بضيآء الشّمس، فاذا سلخ منه الضّيآء أى كشط وازيل يبق مظلماً، فالمعني: ننزع ونكشط الّليل ونكشف عن مكانه. ٤ـ قيل: قال الله تعالى نسلخ من الّليل النّهار لأنّه جلّ وعلا جعل الّليل كالجسم لظلمته، وجعل النّهار كالقشر، ولأنّ النّهار عارض فهو كالكسوة، واللّيل أصل فهو كالجسم. وانّ السّلخ هوإخراج الشّئ من لباسه، ومنه إخراج الحيوان من جلده، ومنه قوله تعالى: «واتلُ عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها» الأعراف: ١٧٥) أى فخرج منها خروج الشّئ مما لابسه.

٥ـ قيل: أى نفصل النّهار من اللّيل. ٦ـ قيل: إنّ المراد بالسّلخ هنا وجود النّهار عقب اللّيل وبعده لاانتزاعه وتجريده منه. فالآية الكريمة تشير إلى مفاجأة اللّيل عقيب النّهار، فانّ السّلخ هنا بمعني الإخراج إذ عدّى بـ«من» ولو كان بمعنى النّزع كما في قولنا: سلخت الإهاب عن الشاة لعدّى بـ«عن» دون «من» فكأنّ اللّيل أطبق عليهم وأحاطت بهم ظلمته، ثّم ولج فيه النّهار فوسعهم نوره وضيآئه، ثمّ خرج منه ففاجأهم اللّيل ثانياً بانطباق الظّلام وإحاطته بما أضآئه النّهار. فى الكلام نوع من الإستعارة بالكناية. فإذا كان ورود النّهار بعد اللّيل هوإيلاج للنّهار في اللّيل إعتباراً، كانت مفاجأة اللّيل بعد النّهار إخراجاً للنّهار من الليل إعتباراً.

٧ـ عن مجاهد وقتادة: أى نخرج أحدهما من الآخر كإيلاج اللّيل في النّهار والعكس.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ ولكن الأوجه هوالرّابع.

٣٨ـ(والشّمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم)

في قوله تعالى: «والشّمس تجري لمستقرّها» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وابن

مسعود: أى الشّمس تجري لانتهآء أمدها عند انقضآء الدّنيا، فلا تزال تجري حتّى تنقضي الدّنيا. فالمعنى: انّها تجري في اللّيل والنّهار لاوقوف لها ولاقرار إلى ان يكوّرها الله يوم القيامة كما قال الله عزّوجل: «إذا الشّمس كوّرت وإذا النّجوم انكدرت» التّكوير: ١ـ ٢) فيوم القيامة تستقرّ الشّمس فلا تبقى لها حركة، فيبطل سيرها وتسكن حركتها وتكوّر، وينتهى الكون إلى غايته، وهذا هو مستقرّها الزّمانىّ، فلا قرار ولاسكون لها، وإنّما هى سآئرة ليلاً ونهاراً لا تفترو لا تقف كما قال تعالى: «وسخّرلكم الشّمس والقمر دآئبين» إبراهيم: ٣٣) لايفتران ولايقفان إلى يوم القيامة، فهما جاريتان أبداً إلى يوم القيامة. فالشّمس جارية أبداً إلي يوم القيامة تنتهى كل يوم في مرأى العيون إلى المغرب، وتنتهى مدّة السّنة، وتنتهى مدّة إرتفاعها، ومدة انحطاطها.

٢ـ عن قتادة: أى الشّمس تجري لوقت واحد لها لا تعدوه ولاتختلف كما قال تعالى: «الشمس والقمر بحسبان» الرّحمن: ٥) فلا تعدوه ثانية ولا ساعة ولايوماً ولاسنة. ٣ـ عن الكلبي: أى تجري الشّمس إلى أبعد منازلها في الغروب، ثمّ ترجع إلى أدنى منازلها، فمستقرّها بلوغها الموضع الّذى لا تتجاوزه بل ترجع منه، كالإنسان يقطع مسافة حتّى يبلغ أقصى مقصوده فيقضي وطره، ثمّ يرجع إلى منزله الأوّل الّذي ابتدأ منه سفره. وعلى تبليغ الشّمس أقصى منازلها وهو مستقرّها إذا طلعت الهنعة، وذلك اليوم أطول الأيّام في السّنة، وتلك اللّيلة أقصر اللّيالى، فالنّهار خمس عشرة ساعة، واللّيل تسع ساعات، ثمّ يأخذ في النّقصان وترجع الشّمس، فإذا طلعت الثّريّا استوى اللّيل والنّهار، وكلّ واحد ثنتاعشرة ساعة، ثم تبلغ أدنى منازلها وتطلع النّعآئم، وذلك اليوم أقصر الايّام، واللّيل خمس عشرة ساعة، حتّى إذا طلع فرْغ الدّلوالمؤخّر استوى اللّيل والنّهار، فيأخذ اللّيل من النّهار كل يوم عشر ثلث ساعة، وكلّ عشرة أيّام ثلث ساعة، وكلّ شهر ساعة تامّة، حتّى يستويا ويأخذ اللّيل حتى يبلغ خمس عشرة ساعة ويأخذ النّهار من اللّيل كذلك. ٤ـ عن الحسن: إنّ للشّمس

في السّنة ثلاثمأة وستين مطلعاً، تنزل في كل يوم مطلعاً، ثمّ لا تنزله إلى الحول، فهى تجري في تلك المنازل وهى مستقرّها. ٥ـ عن ابن عباس أيضاً: إنّ الشّمس إذا غربت وانتهت إلى الموضع الّذي لا تتجاوزه استقرّت تحت العرش إلى أن تطلع. ٦ـ قيل: انّ الشّمس تجري إلى أقصى منازلها في الشّتآء والصّيف لا تتجاوزها. والمعنى: إنّ للشّمس في الإرتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها، ولها في الهبوط غاية لا تتجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها، فالمستقر هوانتهاء سيرها وهوغاية ارتفاعها في السمآء في الصيف وهوأوجها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض.

٦ـ قيل: إنّ الشّمس لا تستقرّ بل تتحرّك وتجرى دائماً. فالمعنى: انّ الشّمس كلّما انتهت إلى منقلب الصّيف عادت في الرّجوع، وإذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. ٧ـ قيل: أى الشمس تجري لمستقرها في السنة. ٨ـ قيل: أى الشّمس تجرى لمستقر لها في الليل. ٩ـ قيل: انّ استقرار الشّمس ليس بالنّسبة إلى الزمان، إنما هو بالنّسبة إلى المكان أى غاية ارتفاعها في الصيف، وغاية انخفاضها في الشتاء فتجري إلى أنّ تبلغ ذلك الموضع، ثم ترجع ثانياً، أو غاية مشارقها، فان لها في كل يوم مشرقاً إلى ستّة أشهر ثمّ تعود إلى تلك المقنطرات أو وصولها إلى بينها في الابتداء أو هوالدائرة التى عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس، فلها إستقرار على نهج مخصوص أو منتهى مقدر لكلّ يوم من المشارق والمغارب في دورتها في سنة ثلاثمأة وستون مشرقاً ومغرباً، تطلع كلّ يوم من مطلع، وتغرب في مغرب فلا تعود إليهما إلى العام القابل أو بعدستّة أشهر إنخفاضاً وارتفاعاً.

١٠ـ قيل: إنّ الشّمس لا تزال تنتقل في مطالعها الصّيفيّة إلى مدة لا تزيد عليها، ثمّ تنتقل في مطالع الشّتآء إلى مدّة لا تزيد عليها. ١١ـ قيل: أى الشّمس تجري لحدّ لها مؤقت تنتهى إليه من فلكها وهى نهاية العالم أو نهاية إرتفاعها في زمن الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء. ١٢ـ قيل: أى الشمس تجري إلى موضع قرارها. ١٣ـ قيل: إنّ المراد بالجري هنا حركة الشمس في فلكها الخاص وبالمستقر النظام المحكم

لاالمستقر المكاني. فالمعنى: ان الشّمس تتحرّك بنظام خاص في فلكها الذى لا تتجاوزه. وقال بعض المعاصرين: وأما جريها وهو حركتها فظاهر النّظر الحسّىّ يثبت لها حركة دورية حول الأرض لكنّ الأبحاث العلمية تقضي بالعكس وتكشف أن لها مع سيّاراتها حركة انتقالية نحو النسر الواقع. وكيف كان فحصّل المعنى أن الشمس لا تزال تجري مادام النظام الدّنيوى على حاله حتى تستقرّ وتسكن بانقضاء أجلها فتخرب الدنيا، ويبطل هذا النظام، وهذا المعنى يرجع بالمآل إلى معنى القرآءة المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام وغيرهم: «والشّمس تجري لامستقرّ لها» كما قيل. وأما حمل جريها على حركتها الوضعيّة حول مركزها فهو خلاف ظاهر الجري الدال على الإنتقال من مكان إلى مكان.

أقول: والخامس هو المروىّ وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر.

٣٩ـ (والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعُرجون القديم)

في قوله تعالى: «والقمر قدّرناه منازل» أقوال: ١ـ قيل: أى قدّرنا للقمر منازل في نوره، فيزيد نوره من بعد ليلة المستهل إلى ليلة البدر، وينقص من بعد ذلك إلى استتار قرصه في آخر الشّهر ليلة أو ليلتين، وذلك انّ القمر يطلع في أوّل ليلة من الشّهر ضئيلاً قليلاً النّور ثمّ يزداد نوراً إلى أن يتكامل نوره في اللّيلة الرّابعة عشر، ثمّ يأخذ بالنقص إلى آخر الشّهر حتّى يصير كالعُرجون القديم. ٢ـ قيل: أى قدّرنا له منازل ثمّ حذفت اللاّم، وكان حذفها حسناً لتعدّي الفعل إلى مفعولين كقوله تعالى: «واختار موسى قومه سبعين رجلاً» الأعراف: ١٥٥)

٣ـ قيل: أى قدّرنا للقمر في مسيره منازل ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لايتخطّا ولايتقا صرعنه على تقدير مستوٍ، يسير فيها من ليلة المستهل إلى آخر الشّهر من ليلة الثّامنة والعشرين، ثمّ يستتر ليلتين أو ليلة واحدة، ينزل كلّ ليلة منزلاً منها لايختلف حاله في ذلك إلى أن يقطع الفلك. ٤ـ قيل: أى قدّرنا القمر ذامنازل على

حذف المضاف كقوله تعالى: «واسئل القرية» يوسف: ٨٢) أى واسئل أهل القرية. وانّ منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كلّ ليلة منها بمنزل وهى: ١ـ الشّرَطان ٢ـ البطَيْن ٣ـ الثُّرَيّا ٤ـ الدَّبَران ٥ـ الهَقعَة ٦ـ الهَنْعَة ٧ـ الذّراع ٨ـ النَّثرة ٩ـ الطَّرْف ١٠ـ الجَبْهة ١١ـ الخَرَاتان ١٢ـ الصّرفة ١٣ـ العوّآء ١٤ـ السِّماك ١٥ـ الغَفْر ١٦ـ الزُّبانَيان ١٧ـ الإكليل ١٨ـ القلب. ١٩ـ الشَّوْلة ٢٠ـ النّعآئم ٢١ـ البَلَدة ٢٢ـ سعدالذّابح ٢٣ـ سَعْد بُلَع ٢٤ـ سَعْد السُّعود ٢٥ـ سَعْد الأخبية ٢٦ـ الفَرْغ المقدّم ٢٧ـ الفَرْغ المؤخّر ٢٨ـ بطن الحوت. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أوّلها، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة، ثمّ يستتر ليلتين إن كان الشّهر تامّاً وليلة واحدة إن كان ناقصاً، ثمّ يطلع هلالاً، فيعود في قطع الفلك على المنازل، وهى منقسمة على اثنى عشر برجاً وهى: ١ـ الحمل ٢ـ الثّور ٣ـ الجوزآء ٤ـ السرطان ٥ـ الأسد ٦ـ السّنبلة ٧ـ الميزان ٨ـ العقرب ٩ـ القوس ١٠ـ الجدى ١١ـ الدّلو ١٢ـ الحوت. لكلّ برج منزلان وثلث: فللحمل الشرطان والبُطَيْن وثلث الثّريّا، وللثّور ثلثا الثّريّا والدبران وثلثا الهقعة...

٥ـ قيل: أى قدّرنا سيره منازل. ٦ـ قيل: أى صيّرنا مسيره في منازل. وقيل: إنّ الله عزّوجلّ خلق الشّمس والقمر من نار ثمّ كُسِيا النّور عند الطّلوع، فأمّانور الشّمس فمن نور العرش، وأمّا نور القمر فمن نورالكرسى، فذلك أصل الخلقة وهذه الكسوة، فأمّا الشّمس فتركت كسوتها على حالها لتشعشع وتشرق، وأما القمر فأمرّ الروح الأمين جناحه على وجهه، فمحى ضوئه بسلطان الجناح، وذلك أنّه روح، والرّوح سلطانه غالب على الأشيآء، فبقى ذلك المحو على ما يراه الخلق، ثمّ جعل في غلاف من مآء ثمّ جعل له مجرى فكل ليلة يبدو للخلق من ذلك الغلاف قمراً بمقدار ما يقمر لهم حتّى ينتهى بدؤه ويراه الخلق بكماله واستدارته، ثمّ لايزال يعود إلى الغلاف كلّ ليلة شئ منه، فينقص من الرّؤية والإقمار بمقدار ما زاد في البدء، ويبتدئ في النّقصان من النّاحية الّتي لا تراه الشّمس وهى ناحية الغروب حتّى يعود كالعرجون

القديم، وهو العِذْق المتقوّس ليبسه ودقّته. وإنّما قيل: القمر لأنّه يُقمِر أى يبيض الجوّ ببياضه إلى أن يستسرّ.

أقول: وعلى الخامس أهل البيان وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «حتّى عاد كالعُرجون القديم» أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والحسن: أى عاد في آخر الشّهر دقيقاً كالعِذْق اليابس العتيق في الدّقّة والتّقوّس والإضطرار. قيل: أى في الرّقّة والإنحنآء والصّغر، ثمّ يخفى يومين آخر الشّهر وإنّما شبّهه سبحانه بالعِذْق لأنّه إذا مضت عليه الأيّام جفّ وتقوّس، فيكون أشبه الأشيآء بالهلال. ٢ـ قيل: إنّ العذق يصير كذلك في كلّ ستّة أشهر. ٣ـ قيل: أى فيعود من الإنخفاض إلى الإرتفاع إلى ماكان يسير طلوعاً وغروباً، ومن الإرتفاع إلى الإنخفاض إلى ما كان طلوعاً وغروباً. ٤ـ قيل: أى حتّى عاد في آخر منازله للرّائى أو في ستّة أشهر حضيضاً وإرتفاعاً أو معاً. ٥ـ قيل: أى إذا كان القمر في آخر منازله رقّ واصفرّ وتقوّس كالعرجون القديم وهو الّذي عليه الشماريخ إذا مضت عليه ستّة أشهر تقوّس واصفرّودقّ وذهبت طراوته، وهذه الصّفات الثّلاث تكون للقمر عند انتهآء المنازل. ٦ـ قيل: أى حتّى صار في أواخر سيره وقربه من الشّمس كالعُرجون في رأى العين، والعُرجون هوالعُود الّذي عليه الشماريخ إذا مضى عليه الحول.

أقول: والثّاني هوالمرويّ وفي معناه الخامس.

٤٠ـ (لاالشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولااللّيل سابق النّهار وكلّ في فلك يسبحون)

في قوله تعالى: «لاالشّمس ينبغي لها أن تُدرك القمر» أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة: أى لكلّ من الشّمس والقمر حَدٌّ وعَلَمٌ لايعدوه ولا يقصر دونه إذا جآء سلطان هذا ذهب سلطان هذا. ٢ـ قيل: أى لاينبغى للشّمس أن تدرك القمر حتّى يكون نقصان ضوئها كنقصان القمر. ٣ـ عن إبن عباس أيضاً والضّحاك: أى إذا طلعت الشّمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشّمس ضوء. ٤ـ

قيل: أى إن الشّمس لا تدرك القمر فتبطل معناه، بل لكلّ واحد منها سلطان على حياله، فلا يدخل أحدهما على الآخر، فيذهب سلطانه إلى أن يبطل الله ما دبّر من ذلك، فتطلع الشّمس من مغربها. ٥ـ عن أبي صالح: أى لايدرك أحدهما ضوء الآخر. ٦ـ عن أبي صالح والضّحّاك أيضاً وعكرمة: أى لايشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر.

٧ـ عن النّحاس والمهدويّ: لاينبغي للشّمس أن تدرك القمر في سرعة سيره، لأنّ سير القمر سير سريع، والشّمس لا تدركه في السّير. ٨ـ قيل: أى انّ الشّمس والقمر ملازمان لما خطّ لهما من المسير، فلا تدرك الشّمس القمر، حتّى يختلّ بذلك التّدبير المعمول بهما. ٩ـ عن الحسن: أى انّهما لايجتمعان في السّمآء ذاك ليلة الهلال خاصّة أى لا تبقى الشّمس حتّى يطلع القمر، ولكن إذا غربت الشّمس طلع القمر. ١٠ـ عن يحيى بن سلام: أى لا تدرك الشّمس القمر ليلة البدر خاصّة لأنّه يبادر بالغيب قبل طلوعها.

١١ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى إذا اجتمعا في السّمآء كان أحدهما بين يدى الآخر في منازل لايشتركان فيها. ١٢ـ عن النّحاس والمهدويّ أيضاً: انّ القمر في السّمآء الدّنيا، والشّمس في السمآء الرّابعة فهى لا تدركه. ١٣ـ قيل: أى لايصلح ولا يصحّ للشّمس إدراك القمر فيذهب ضوءها بضوئه، فتكون الأوقات كلّها نهاراً لاليل فيها. ١٤ـ قيل: أى لاينبغي للشّمس بعظمها أن تجذب القمر فتخرجه من مداره. ١٥ـ قيل: أى لايسبق الشّمس القمر، فتجتمع معه في وقت واحد، وتداخله في سلطانه فتطمس نوره، وذلك لبطؤسير الشّمس وسرعة سير القمر حيث إنّ الشمس تقطع مدارها في سنة واحدة مرّة، ويقطع القمر مداره في شهروا حد مرّة. أقول: وذلك لسعة مدار الشّمس وضيق مدار القمر بالنّسبة إلى مدارها، وإلّا فسيرها أسرع من سيره.

١٦ـ قيل: أى لاينبغى للشّمس أن تدرك القمر بأن تطلع ليلاً. ١٧ـ قيل: أى

لايتسهلّ للشّمس أن تدرك القمر في سرعة سيره. ١٨ـ قيل: أى لايتيسّر للشّمس أن تجتمع مع القمر في وقت واحد وتداخله، فتطمس نوره لأنّ لكل واحد منهما سلطاناً في وقت خاصّ، فسلطانه باللّيل وسلطانها بالنّهار.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وهوالمؤيّد بالرّوايات الآتية فانتظر، وفي معناه بعض الأقوال الأخر، من غير تناف بينها وبين سآئر الأقوال مع تداخل بعضها في بعض فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً.

وفي قوله تعالى: «ولا اللّيل سابق النّهار» أقوال: ١ـ قيل: أى لايسبق اللّيل النّهار، ولاالعكس، إنّما لكل واحد منهما مقاديرقدّرها الله عزّوجلّ لا تتجاوز ولا تتخلّف فلايذهب أحدهما إلى معنى الآخر. ٢ـ قيل: أى إنّ النّهار مخلوق قبل اللّيل، وأنّ اللّيل لم يسبقه بخلق. ٣ـ قيل: أى ولا يذهب اللّيل حتى يجيئ النّهار فيفوته قبل وقته، بل يجريان بحساب منظّم ويدوران في فلكهما، فكل واحد منهما يجيئ وقته ولايسبق صاحبه إلى أن يجمع الله جلّ وعلا بين الشّمس والقمر يوم القيامة كما قال: «وجمع الشّمس والقمر» القيامة: ٩).

٤ـ عن الضّحّاك : أى لايذهب اللّيل من هيهنا حتّى يجيئ النّهار من ههنا وأومأبيده إلى المشرق. ٥ـقيل: أي ولا يغلب اللّيل النّهار. ـقيل: ولا يسبق آية اللّيل وهى القمر آية النّهار وهى الشّمس، فيحلّ سلطانه محلّها، فلا يداخل القمر الشّمس في سلطانها. ٧ـ قيل: أى لايدخل اللّيل في وقت النّهار، بل هما متعاقبان في التّدبير، فلا يتقدّم اللّيل النّهار فتجتمع ليلتان ثمّ نهاران. ٨ـ قيل: أى ولااللّيل بفآئت النّهار حتّى تذهب ظلمته بضيآئه فتكون الأوقات كلّها ليلاً، فلا يأتي اللّيل قبل انقضآء النّهار.

٩ـ عن مجاهد: أى اللّيل والنّهار يتطالبان حثيثين يسلخ أحدهما الآخر، وذلك انّ في قضآء الله تعالى وعلمه أن لايفوت اللّيل النّهار حتّى يدركه، فتذهب ظلمته، وفي قضاء الله جلّ وعلا وعلمه ان لايفوت النّهار اللّيل حتّى يدركه، فيذهب

بضوئه.

أقول: والثّاني هو المرويّ عن أئـمّـتنا المعصومين أهل بيت الوحى أفضل صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «وكلٌّ في فلك يسبحون» أقوال: ١ـ قيل: أى وكـل من الشّمس والقمر والكواكب والنّجوم يسيرون في فلكها، ويدرون حول مراكزها من غير طغيان ولا تمرّد، يسيرون في فـلكها بانـبساط، وكلّ ما انبسط في شـئ فقد سبح فـيه، ومنه السباحة في المآء فيسبحـون كما تسبح السماك في الماء. وإنّما قال تعالى: «يسبحون» بـالـواو والنـون لما اضـاف إليها ما هومن فـعـل العـقـلاء كقـوله تـعـالى: «مالـكم لا تنطقون» الصّافّات: ٩٢) لمـا وصفها بصفة من يـعقل، أو فيه تنبيه إلى أن فيها نوعاً من العقل والشـعور كقوله تـعالى: «فقال لها ولـلأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» فصلت: ١١) وقوله عـزّوجلّ: «ألم تر أنّ الله يسجد له من في السّموات ومن في الأرض والشّمس والقـمر والـنّجـوم والجبال والشّجر والـدوابّ وكثير مـن النّاس» الحجّ: ١٨) أو تنبيه إلى أن فيها مخلوقين عقلآء وإن لم نعرفها.

٢ـ عن قتادة: أى وكلّ من الشّمس والـقمر يدوران في فلك السّمآء. ٣ـ قـيل: أى في فلك بين السمآء والأرض كحجر الـرحى يدور حول قطبها، وكالفلكة للمغزل تدور على قطبها، ولكنّهما غير ملصقتان، ولوكانتا ملصقتين ماجرتا. ٤ـ قيل: أى وكلّ من اللّيل والـنّهار والشّمس والقمر في فلك يسبحون. ٥ـ قيل: الفلك مواضع النجوم من الهواء الذى يجرى فيه. ٦ـ قـيل: أى كلّ من الأرض والشموس والأقمار في فلك تسبح، فـتدور الشّمس في مـدارهـا حول كوكـب من كواكـب الجـائى على ركبتـيه، ولايدرى مـدة دورتها، والأرض تجري حول الشّمس في كـلّ سنـة مرّة واحدة وحول نفسـها في كـلّ يوم ولـيلـة مـرّة واحدة، والـقمر يجري حول الأرض في كـلّ شهر مرّة واحدة. وعن ابن عبّاس ومجاهـد: أى يجري كلّ واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة.

أقول: والأوّل هوالمؤيّد بالرّوايات وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٤١ـ (وآية لهم أنّا حملنا ذرّيتهم في الفلك المشحون)

في قوله تعالى: «وآية لهم» أقوال: ١ـ قيل: أى ما نذكره عبرة للمشركين المستكبرين من كفار مكّة لأنّ في الآيات إعتباراً لهم. ٢ـ قيل: أى ما نذكره نعمةً عليهم وعلى غيرهم لأنّ في الآيات إنعاماً. ٣ـ قيل. أى ما نذكره إنذار لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة لأن في الآيات إنذاراً. ٤ـ قيل: أى ما نذكره علامة لهم على إحساننا ورحمتنا بهم، دليل على عظمتنا وإقتدارنا على كلّ مانشاء، وحجّة على علمنا بنظام الكون، وتدبيرنا في نواميس الوجود، وهذا إخبار بلطفه وامتنانه أنه تعالى خلق السفن، ويحمل فيها من يصعب عليه المشى والركوب من الذريّة الضعفآء، وهم يحملون عليها للتجارات والسفر...

أقول: ولكلّ وجه، ولكن التعميم هوالأوجه.

وفي قوله تعالى: «أنّا حملنا ذرّيتهم» أقوال: ١ـ عن الضّحّاك وقتادة: أى حلمنا آبآء هؤلآء المشركين وأجدادهم، ويسمّى الآباء ذرّيّة من ذرأ الله الخلق لأن الأولاد خلقوا منهم كما يسمّى الأولاد ذرّيّة لأنّهم خلقوا من الآبآء، فالآبآء ذرّيّة بإعتبار، والأولاد ذرّيّة باعتبار. وأصل الذّرّية: صغار الأولاد ثمّ استعمل في الصغار والكبار، وعلى الواحد والجمع. ٢ـ قيل: الذرّيّة هم الصبيان والنساء والمعنى: حملنا صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم، حيث تطلق الذرّيّة عليهن وعليهم لاسيّما مع الإختلاط. وخصّ الذرّيّة بالحمل في الفلك لضعفهم ولأنّه لاقوة لهم ولمنّ على السّفر كقوّة الرجال، فسخّر الله تعالى لهم السّفن ليمكن الحمل في البحر والإبل ليمكن الحمل في البرّ. قال الشاعر:

ألا فتىً عنده خفّان يحملني عليها إنّني شيخ على سفر

٣ـ قيل: أى قوّيناهم وهديناهم إلى ما يحملون عليه. يقول القآئل: حملني فلان

إذا أعطاه ما يحمل أو هداه إلى ما يحمل عليه. وانّ الحمل هو: منع الشئ أن يذهب إلى جهة السّفل. ٤ـ قيل: أى حملنا القرون الماضية لإطلاق الذّريّة عليهم بإعتبار أنّهم اصولنا. ٥ـ قيل: أى حملنا ذرّيتّهم في ظهور آبآئهم ساعة حملوا في فلك نوح عليه السلام ٦ـ قيل: الذرّيّة هنا هى النّطف الّتي حملها الله تعالى في بطون النّسآء تشبيهاً بالفلك المشحون. وقيل: إنّ المراد حمل أولادهم ومَن يهمّهم حمله كالنّسآء. وقد يقع إسم الذرّيّة عليهنّ لأنهنّ مزارع الأولاد. وفي الحديث نُهِيَ عن قتل الذّراري يعنى النساء. فكأنه قيل: إن كنّا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهمكم أمره.

٧ـ قيل: أى حملنا من نجى من ولدآدم في سفينة نوح عليه السّلام قيل: ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجّب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح إذ لولا ذلك لما بقى للآدميّ نسل، ومن فوآئد ذكر الذرّيّة أنّ من النّاس مَن لايركب السفينة طول عمره ولكنّه في ذريّته من يركبها غالباً. ٨ـ قيل: أى حملنا آبآءهم الاصول، وفي أصلابهم ذرّيّاتهم، وتخصيص الذرّيّة لأنه أبلغ في الإمتنان وأدخل في التّعجّب مع الايجاز. ٩ـ قيل: أى حملنا أولادهم الّذين يبعثونهم إلى تجاراتهم.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وهوالأنسب بسياق التّوحيد والإمتنان.

وفي قوله تعالى: «في الفلك المشحون» أقوال: ١ـ عن قتادة والضّحّاك وابن زيد وأبي صالح: أى في سفينة نوح عليه السلام المملوّة من الناس، المثقلة بهم وبأحمالهم، وما يحتاج إليه مَن فيها، فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير. ٢ـ عن ابن عباس وسعيدبن جبير والحسن: الفُلك هى السّفن الجارية في البحار. فالفلك: إسم للجنس يكون واحداً وجمعاً. والمشحون: المملوّ بالخلق الموقرّ منهم أو المجهز لهم. ٣ـ قيل: أى سفينة نوح عليه السّلام وغيرها من السّفآئن...

أقول: والأوّل هو المرويّ.

٤٢ـ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة وعكرمة والسّدى والحسن: أي وخلقنا لهؤلآء المشركين المكذّبين بك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم تفضّلاً منّا عليهم من مثل سفينة نوح عليه السلام في البحر، سفينة في البرّ هم يركبونها وهى الإبل فانّها سفن البرّ. وانّ العرب تشبه الإبل بالسّفن. ٢ـ عن الجبآئى: أى وخلقنا لهم ولغيرهم من مثل سفينة نوح عليه السلام في البحر، سفينة يركبونها في البرّ وهى الأنعام والدّوابّ من الإبل والخيل والحمير والبغال. ٣ـ عن ابن عباس وقتادة والحسن أيضاً والضحاك وأبي صالح وابن زيد: أى وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح عليه السّلام سفناً يركبونها وهى السفائن الصغار التى خلقها مثل سفينة نوح عليه السّلام الكبيرة، فمن مثله هى السّفن المتخذة بعد سفينة نوح عليه السّلام، يعنى السّفن التى عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها.

٤ـ قيل: من مثله هى النّسآء اللآتى خلقهنّ لركوب الأزواج كما كانت الذّريّة في الفلك المشحون هى النّطف في بطون النّسآء. ٥ـ قيل: من مثله هو مايركبون الآن عليه من السّفن والزوارق ومن الابل لأنها سفائن البر، ومن الطيارات في الفضآء والسّيّارات في الصّحرآء... فانّها كالفلك في البحار وغير ذلك ممّا لم يصنع بعد.

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق: «مايركبون».

٤٣ـ (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون)

في قوله تعالى: «ولاهم ينقذون» أقوال: ١ـ قيل: أى ولاهم يخلصون من الغرق في الماء. ٢ـ قيل: أى ولاهم يخلصون من العذاب. ٣ـ قيل: أى ولاهم ينجون من الغرق في البحار، والهلاكة في البرّ.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ والأوجه هوالأخير.

٤٤ـ (إلّا رحمةً منّا ومتاعاً إلى حين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة: أى لاينقذون إلّا لرحمة منّا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل وهوالموت، وهم بالغوه. ٢ـ عن يحيى بن سلام: أى لانهلكهم إلّا أن نرحمهم رحمة منّا، ولانغرقهم إلّا أن نمتّعهم متاعاً بالحياة الدنيا إلى آجالهم وهى القيامة. وذلك ان الله تعالى عجّل عذاب الامم السّالفة، وأخر عذاب امة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إلى يوم القيامة وإن كذّبوه صلى الله عليه وآله وسلّم . ٣ـ قيل: أى لاينجون إلّا أن نرحمهم بأن نخلصهم في الحال من أهوال البحر، ونمتّعهم إلى وقت ما قدّرناه لاهلاكهم لتقضى آجالهم. ٤ـ قيل: أى بقيناهم نعمة منا عليهم وإمتاعاً إلى مدة فلايكون ذلك إلّا من قبيل الامهال إلى حين. ٥ـ قيل: أى لايتخلّص أحد من الموت وإن سلم من الآفات... ونعم ما قال الشاعر:

ولم أسلم لكى أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام

أقول: والرابع هوالأنسب بسياق الانذار والوعد والوعيد.

٤٥ـ (وإذا قيل لهم اتّقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلّكم ترحمون)

في قوله تعالى: «اتّقوا ما بين أيديكم وما خلفكم» أقوال: ١ـ قيل: أى اتّقوا أيّها المشركون المكذبون ما بين أيديكم من الذّنوب والمعاصي من الشّرك والتّكذيب ومن البغى والطّغيان، وما خلفكم من العقوبة عليها فاتّقوا عذاب الله بالتّوبة للماضي والإجتناب عن المستقبل خوفاً من العقوبة. ٢ـ عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد: أى اتقوا مابين أيديكم ما مضى من الذّنوب، وماتقدم من المعاصي منكم، ومايأتى ويتأخر منكم الذّنوب. ٣ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى فاتقوا مابين أيديكم من أمر الآخرة وما عملتم لها من الذّنوب، فاعملوا لها من الطّاعات فإنكم مستقبلوها «وما خلفكم» من أمرالدنيا فاحذروها لاتغترّوا بها فانكم تاركون لها.

٤ـ قيل: أى اتّقوا ما بين أيديكم من غضب الله عليكم في حياتكم «وما

خلفكم» بعد مماتكم. ٥ـ عن قتادة: أى اتّقوا العذاب المُنزل على الأُمم السّالفة، والوقآئع فيمن كان قبلكم من الأُمم الماضيّة «وما خلفكم» من أمرالسّاعة وعذاب الآخرة. ٦ـ قيل: أى اتقوا ما بين أيديكم أى ما ظهر لكم «وما خلفكم» ما خفى عنكم. ٧ـ عن الحسن: أى اتقوا ما بين أيديكم أى ما مضى من أجلكم «وما خلفكم» أى ما بقى من أجلكم. ٨ـ قيل: أى إجتنبوا من العذاب «وما خلفكم» وارجواالثواب آخذين طريقة الإحتياط. فانتهوا عن إرتكاب المنهىّ خوفاً من تبعته وطمعاً في منفعته. ٩ـ عن سفيان: أى إتّقوا ما بين أيديكم من عذاب الدّنيا «وما خلفكم» من عذاب الآخرة. ١٠ـ قيل: أى اتّقوا ما بين أيديكم من أمر محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فإنه حاضر عندكم «وما خلفكم» من أمر الحشر فانكم إذا اتّقيتم تكذيب محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم والحشر رحمكم الله. ١١ـ قيل: أى اتّقوا الله تعالى فيمابين أيديكم من نعم تستقبلونها من الله، وما خلفكم من نعم أفاضها الله عليكم لعلكم ينالون رحمة الله تعالى كلّها، فتدخلون في عباده المتقين.

١٢ـ قيل: أى اتّقوا ما بين أيديكم من أنواع العذاب كالحرق والغرق المدلول عليه بقوله تعالى: «وإن نشأنغرقهم» «وما خلفكم» الموت الطالب لكم يدّل عليه قوله تعالى: «ومتاعاً إلى حين». ١٣ـ قيل: أى اتّقوا ما بين أيديكم من العذاب المنزل من السّماء عليكم «وما خلفكم» من العذاب يأتيكم من الأرض كما قال تعالى: «أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السّمآء والأرض إن نشأنخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً مِنَ السّمآء» سبأ: ٩).

أقول: والأوّل هوالمروىّ عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته...

٤٦ـ (وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلّا كانوا عنها معرضين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أُريد بالآيات الآيات التّنزيليّة. فالمعنى: وما

ينزل إلى هؤلآء المشركين المكذّبين آية من الآيات القرآنية الّتي من جملتها هذه الآيات النّاطقة بما فصل من بدآئع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها إلّا كانوا عنها معرضين على وجه التّكذيب والاستهزاء بها، كانوا معرضين عن الداعي وعن التفكّر عن الحجج والآيات النازلة عليهم. ۲ـ قيل: إنّ المراد بالآيات، الآيات الكونيّة التكوينيّة من المعجزات ومن تعاجيب المصنوعات... والمعنى: ما يظهر لهم آية ومعجزة من المعجزات الّتي من شئونها الشهادة على وحدانيّة الله تعالى وتفرّده بالالوهية إلّا كانوا عنها معرضين، تاركين للنّظر الصّحيح فيها، المؤدّي إلى الايمان بالله تعالى كقوله تعالى: «وإن يروا آية يعرضوا ويقولون سحر مستمر» القمر: ۲) كانوا معرضين عن الدّاعي وعن التّفكر في المعجزات...

۳ـ قيل: أُريد بالآيات العموم من الآيات التدوينية التنزيلية، والكونية التكوينية معاً. والمعنى: إنّ دأب المشركين المكذّبين، وديدن الكفّار المستكبرين الإعراض عن كلّ آية وموعظة، ولافرق عندهم في الإعراض بين العقآئد وبين الأعمال...

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر السّياق، حيث إنّ النّكرة في سياق النّفى تفيد العموم.

٤٧ـ (وإذا قيل لهم أنفقوا ممّا رزقكم الله قال الّذين كفروا للّذين آمنوا أنطعم من لو يشآء الله أطعمه إن أنتم إلّا في ضلالٍ مبين)

في قوله تعالى: «قال الّذين كفروا» أقوال: ۱ـ عن الحسن: هم اليهود الذين امروا باطعام الفقرآء. ۲ـ عن مقاتل: هم مشركوا قريش إذ قال لهم فقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أو أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إليهم رسولاً: أطعمونا أو أطعموا الفقراء من أموالكم مازعمتم أنه لله وهذا قولهم: «هذا لله بزعمهم» الأنعام: ۱۳٦).

٣ـ قيل: هم الزّنادقة الّذين انكروا الصّانع تعلّقوا بقوله: «رزقكم الله» فقالوا: إن كـان الله هـوالرّازق، فلا فائدة في إلـتماس الرزق منّا، وقدرَزَقَـنا وحَرَمَهم، فلم تأمرون باعطآء من حَرَمه الله تـعالى. عن ابن عبّاس: كان بمكّة زنادقة، فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا: لاو الله أيفقره الله ونطعمه نحن، وكانوا يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته، فيقولون: لوشآء الله لأغنى فلاناً، ولوشآء الله لأعزّ ولوشآء الله لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الإستهزآء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى.

وقيل: قـالوا هـذا تعلّقاً بقول المؤمنين لهم: «أنـفقوا ممّا رزقـكم الله» أى فإذا كـان الله رزقـنا فهو قادر على أن يـرزقـكم فـلم تلتمسون الـرّزق منّا؟ وكان هذا الإحتجاج باطلاً لأن الله تعـالى إذا ملّك عبداً مالاً ثمّ أوجب عليه فيه حقاً، فكأنّه انـتزع ذلك الـقدر منه، فلا معنى للاعـتراض وقـدصدقوا في قـولهم: «لـو شاء الله أطعمهم» ولكن كـذبوا في الاحتجاج ومثله قوله: «سيقول الذيـن أشركوا لوشاء الله ما أشركنا» الأنعام: ١٤٨).

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسرين.

وفي قوله تعالى: «إن أنتم إلّا في ضـلال مبين» أقوال: ١ـ عن قتادة ومقاتل: هذا من مشركي مكّـة لمن أمرهم بالإطعام من المؤمنين أى في سؤال المال وفي اتباعكم محمّـداً صلى الله عليه وآله وسلّم والمعنى: ما أنتم أيّها القوم المؤمنون بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في قيلكم لنا: أنفقوا ممّا رزقكم الله على مساكينكم إلّا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد، مبين لمن تـامّله وتدبّره أنّه في ضلال. ٢ـ عن علي بن عيسى: هذا من قول الله عزّوجلّ لهم حين ردّوا هذا بـالجواب. فالمعنى: قل لهم يـا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم : ما أنتم أيّها المشركون في قيلكم للمؤمنين: «أنطعم من لويشآء الله أطعمه»: «إلّا في ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك ضلال أى ليس لكم هداية وما أنتم إلّا في ذهاب عن الحق وعدول عنه بيّن. ٣ـ قيل: هذا من قول أصحاب النبي

صلى الله عليه وآله وسلّم على طريق الحكاية لجوابهم لهم بأنكم أيّها المشركون لستم إلّا في ضلال مبين حيث تفهمون هذا الفهم العقيم. ٤ـ قيل: إنّ هذا من قول الزنادقة الّذين لايؤمنون بالصّانع واستهزؤا بالمسلمين بهذا القول السّخيف.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين وهوالأنسب بظاهر السياق.

٤٨ـ (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)

في قوله تعالى: حكايةً عن المشركين المكذّبين بالبعث والجزآء: «متى هذا الوعد» أقوال: ١ـ قيل: أى متى هذا الوعد الذى تعدوننا به من نزول العذاب بنا والهلاك والدّمار في الحياة الدّنيا؟ ٢ـ قيل: أى متى هذا الوعد بالبعث والحساب والجزآء؟ ٣ـ قيل: أى متى هذا الوعد من نزول العذاب بنا في الدنيا، ومن البعث والجزاء في الآخرة؟

أقول: والثّاني هوالأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله تعالى حكايةً عنهم: «إن كنتم صادقين» أقوال: ١ـ قيل: هذا خطاب من مشركى مكة للنّبىّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ساخرين منه صلى الله عليه وآله وسلّم : أيّها المدّعون للرّسالة متى هذا الوعدإن كنتم صادقين في وعدكم بالبعث وقيام السّاعة؟ ٢ـ قيل: خطاب منهم للمؤمنين، مستهزئين بهم: أى إن كنتم مؤمنين بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم صادقين في إيمانكم، فأخبرونا متى يكون هذا الموعود به من البعث ومن الثّواب لكم والعقاب علينا يومئذٍ؟ ٣ـ قيل: خطاب من المشركين المستكبرين للنّبىّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين معه لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين كثيراً ما يسمعونهم حديث البعث والحساب والجزآء وينذرونهم به إذ كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيام السّاعة، وهم يستبعدون قيامها، وينكرون تحقّق الوعد للمؤمنين، والوعيد لأنفسهم، إستهزآءً منهم وإنكاراً بخبر النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وخبر المؤمنين، وتجرّياً على الله جلّ وعلا، فلا

تحقيق لهذا الوعد والوعيد.

أقول: وعلى الثّالث أكثرالمحقّقين وهو المؤيّد بظاهر السّياق.

٤٩ـ (ما ينظرون إلّا صيحةً واحدة تأخذهم وهم يخصّمون)

في قوله تعالى: «وهم يخصّمون» أقوال: ١ـ قيل: أى وهم يختصمون في أُمور دنياهم إذ يتبايعون في الأسواق، ويتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم وفي أكلهم وشربهم، أو في مزارعهم وفي طرقهم وسفرهم وغير ذلك من أشغالهم... بحيث لايخطر ببالهم شيئ من مخايلها كقوله تعالى: «فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون» الأعراف: ٩٥) ٢ـ قيل: أى وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب الموعود أم لاوهم في غفلة عن الصيحة الواحدة. ٣ـ قيل: أى يخصم بعضهم بعضاً. ٤ـ قيل: أى تأخذهم صيحة واحدة، وهم عندأنفسهم يختصمون في الحجّة انّهم لايبعثون، فتأتيهم الصّيحة وهم يختصمون في أمرالبعث قآئلين: إنّه لايكون. ٥ـ عن السّدى: أى يتكلّمون.

أقول: وعلى الأوّل أكثرالمفسّرين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٥٠ـ (فلا يستطيعون توصيةً ولاإلى أهلهم يرجعون)

في قوله تعالى: «فلا يستطيعون توصية» أقوال: ١ـ عن قتادة: أى لايستطيع بعضهم أن يوصى بعضاً لما في يده من حقّ، ولا أن يوصوا في أموالهم أحداً. ٢ـ عن الضّحاك: أى لايستطيع أن يوصي بعضهم إلى بعض أن يدفع عنه الهول والعذاب والهلاك والدّمار. ٣ـ قيل: أى لايستطيع أن يوصى بعضهم بعضاً بالتّوبة والإقلاع... بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم حيثما كانوا بأنّ الصّور ينفخ والنّاس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، ومآكلهم ومشاربهم ومضاجعهم...

أقول: والثّالث هو المروىّ.

وفي قوله تعالى: «ولا إلى أهلهم يرجعون» أقوال: ١ـ قيل: أى ولا يستطيع من كان منهم خارجاً عن أهله أن يرجع إليهم لأنّهم لايمهلون بذلك ولكن يعجلون بالهلاك ، فلا يرجعون من أسواقهم وأشغالهم ومتاجرهم ومزارعهم ومسايرهم إلى أهلهم فانّهم يموتون أينما كانوا فلايرجعون إلى منازلهم لأنّهم قد اعجلوا عن ذلك. وهذا إخبار عمّا يلقونه في النفخة الأُولى عند قيام السّاعة ٢ـ قيل: أي لايرجعون إليهم قولاً. ٣ـ قيل: أي لايجدون لهم فرصة إن يرجعوا إلى أهلهم ولا أن يرجعوا اليهم قولاً.

أقول: وعلى الأول جمهور أهل البيان.

٥١ـ (ونُفخ في الصّور فاذاهم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون)

في قوله تعالى: «ينسلون» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وقتادة: أى يخرجون.

ومنه قيل للولد: نسل لأنّه يخرج من بطن أُمّه. ٢ـ قيل: أى يسرعون إلى الدّاعي من الإسراع في السّير ومنه مشية الذّئب قال اللّبيد:

عَسَلان الذّئب أمسى قارباً بَرَد الليل عليه فَنَسَل

فالمعنى: يخرجون من القبور مسرعين إلى لقآء ربّهم للحساب والجزآء. قال الله تعالى: «يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نُصُب يوفضون» المعارج: ٤٣).

٣ـ قيل: أي يخرجون بسرعة من القبور.

أقول: ولكلٍ وجه من غير تناف بينها.

٥٢ـ (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون)

في قوله تعالى حكايةً عن المكذّبين بالبعث: «يا ويلنا» قولان: أحدهما ـقيل: أى يا هلاكنا احضر فهذا أوانك. ثانيها ـ قيل: أى يا قومنا انظروا ويلنا وهلاكنا وتعجّبوا منه «من بعثنا من مرقدنا» وذلك انّهم كانوا بين النّفختين نآئمين لم

يعذّبوا، وبين النّفختين أربعون سنة. هذا بنآءً على أنّ العذاب في القبر لايتّصل إلى يوم البعث، فتكون النّومة بين النّفختين.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين.

وفي قوله تعالى: «هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والفرّاء: إن هذا جواب من قبل الملائكة لهؤلاء المشركين المكذّبين حين البعث. ٢ـ قيل: هذا جواب من الله تعالى عليهم. ٣ـ قيل: هذا جواب من المرسلين لهؤلآء المكذّبين المستكبرين. ٤ـ عن مجاهد وقتادة والحسن: هذا جواب يأمر به المؤمنون لهم أي فقال لهم المؤمنون حين ابعث: هذا ما وعد الرّحمن... وقال قتادة: أوّل الآية للكافرين إذ قالوا: «ياويلنا من بعثنا من مرقدنا» وآخرها للمؤمنين إذ قالوا: «هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون» ٥ـ عن إبن زيد والجبآئي: هذا من كلام الكافرين حيث يتذكّرون ما سمعوه من الرّسل عليهم السّلام، فيجيبون وأنفسهم أوبعضهم بعضاً، فهم يصدّقون الرّسل إذا عاينوا ما أخبروهم به، ثمّ قالوا: «هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون» فكذّبنا به فأقرّوا حين لم ينفعهم الاقرار، فحكى الله عزّوجلّ عنهم أنّهم يقولون حين البعث: هذا ما وعد الرّحمن وذلك أنّ الكافرين إذا قاموا من قبورهم مسرعين إلى المحشر فاجأهم الورود في عالم لايستقبلهم فيه إلّا توقّع الشرّ فاخذهم الفزع الأكبر والدّهشة الّتي لاتقوم لها الجبال، ولذا يتبادرون أوّلاً إلى دعوة الويل والهلاك كما كان دأبهم في الدّنيا عند الوقوع في المخاطر ثمّ سئلوا عمّن بعثهم من مرقدهم لأنّ الّذي أحاط بهم من الدهشة أذهلهم من كلّ شيءٍ، ثمّ ذكروا ماكانت الرّسل عليهم السّلام يذكّرونهم به من الوعد الحقّ بالبعث والجزآء فشهدوا بحقّيّة الوعد واستعصموا بالرّحمة فقالوا: «هذا ما وعد الرّحمن» على ما هو دأبهم في الدّني حيث يكيدون عدوّهم إذا ظهر عليهم بالتّملّق واظهار الذّة والإعتراف بالظّلم والتّقصير ثمّ صدّقوا الرّسل بقولهم: «صدق المرسلون». ٦ـ قيل: أيّ يقال لهم حين البعث: هذا ما وعد الّحمن وصدق المرسلون.

أقول: والأوّل هوالمرويّ.

٥٤ـ (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلّا ما كنتم تعملون)

في الخطاب أقوال: ١ـ قيل: هذا من باب تمثيل يوم القيامة وإحضاره وإحضار من فيه بحسب العناية الكلاميّة. ٢ـ قيل: حكاية عمّا سيقال لهم. ٣ـ قيل: خطاب من جانب الله تعالى يخاطبهم به. ٤ـ قيل: خطاب من الملآئكة لهم. ٥ـ قيل: خطاب من المؤمنين لهؤلآء الكافرين يوم القيامة.

أقول: وعلى الثّاني اكثر المفسّرين وإن كان الأوّل غير بعيد.

وفي المخاطبين أقوال: ١ـ قيل: خطاب للمشركين الفجرة والمستكبرين الكفرة فقط خطاب تنديد وتبكيت. ٢ـ قيل: خطاب للمؤمنين فقط، خطاب طمأنينة ورضًى عنهم. ٣ـ قيل: خطاب يعمّ المؤمنين والكافرين.

إن قلت: انّ الحصر يأبى التّعميم فانّه تعالى يوفّي المؤمنين أُجورهم ويزيدهم من فضله أضعافاً مضاعفة؟.

قلت: إنّ الحصر في الآية الكريمة ناظر إلى جزآء العمل وأجره وما يدلّ من الآيات على المزيد كقوله تعالى: «لهم ما يشآؤن فيها و لدينا مزيد» ق: ٣٥) أمرورآء الجزآء والأجر خارج عن طورالعمل، مع أنّ معنى الآية الكريمة أنّ الصالح لاينقص ثوابه والطّالح لايزاد عقابه، فانّ الحكمة تنافيه، وأمّا زيادة الثّواب ونقص العقاب فلا مانع منه أو أنّ المراد بقوله تعالى: «لاتجزون...» أنكم لاتجزون إلّا من جنس عملكم إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين، وإن كان الثّالث لايخلومن وجه.

٥٥ـ (إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون)

في قوله تعالى: «في شغل» أقوال: ١ ـ عن مجاهد وسعيدبن المسيّب والحسن والكلبي: أى شغلهم النّعيم الذي شملهم وغمرهم بسروره عمّا فيه أهل النّار من العذاب فلا يذكرونهم ولايهتمّون بهم وإن كانوا من أهليهم وأقارهم وعشيرتهم

في الحياة الدّنيا. ٢ـ عن ابن عباس وعبدالله بن مسعود: أى شغلوا بافتضاض العُذارىٰ اللاّتي حواجبهنّ كالأهلّة وأشفار أعينهنّ كقوادم النّسور. قال بعض الظّرفآء: إن هؤلآء الأخيار في شغل إفتضاض الأبكار على شطّ الأنهار، تحت الأشجار تضرب لهم الأوتار، وهم في ضيافة الجبّار، لن ينقص عيشهم بذكر أحوال النّار خلق الله تعالى الجنّة لهؤلآء الأبرار...

٣ـ عن وكيع: أى في شغل باستماع الألحان. ٤ـ قيل: أى في أىّ شغل، في شغل لايوصف. ٥ـ عن ابن كيسان: أى في زيارة بعضهم بعضاً. الشغل: التزاور. ٦ـ قيل: أى هم في ضيافة الله عزّوجلّ. ٧ـ قيل: أى هم في شغل عمّا فيه أهل النار، فهم مبعدون عما هم فيه من أهل النار. ٨ـ قيل: أى لايذكر لأهل الجنة فيها، عقاب أهل النار لئلاّ يتنغّصوا. ٩ـ قيل: أى هم في النعيم الأبديّة التى قد شغلتهم عن كل ما يخطر بالبال، هم متنّعمون بفنون الملاذ الّتى تلهيهم عمّا عداها بالكليّة. ١٠ـ قيل: انه اخبار لنا بما يكون فيه أهل الجنة إذا نالوا بما أعدّهم فيها من الثواب، ومثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود له في النفوس وترغيب إلى الحرص عليه وفيما يثمره.

١١ـ قيل: شغلهم في الجنّة سبعة أنواع من الثّواب لسبعة أعضآء أشار إليها في القرآن الكريم:

١ـ ثواب الرِّجْل بقوله تعالى: «أُدخلوها بسلام آمنين» الحجر: ٤٦).

٢ـ ثواب اليدبقوله عزّوجلّ: «يتنازعون فيها كأساً لالغو فيها ولا تأثيم» الطور: ٢٣).

٣ـ ثواب الفرج بقوله جل وعلا: «وزوّجنا هم بحور عين» الطور: ٢).

٤ـ ثواب البطن بقوله سبحانه: «كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» الطور: ١٩).

٥ـ ثواب اللسان بقوله تعالى: «وآخر دعويٰهم أن الحمد لله رب العالمين» يونس:

١٠).

٦ـ ثواب الاذن بقوله عزّوجل: «لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلّا قيلاً سلاماً سلاماً» الواقعة: ٢٥ـ ٢٦).

٧ـ ثواب العين بقوله جل وعلا: «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّالأعين وأنتم فيها خالدون» الزخرف: ٧١).

أقول: والثّاني هوالمرويّ من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر على أنّها بصدد ذكر بعض المصاديق كالمرويّ فتأمّل جيداً.

وفي قوله تعالى: «فاكهون» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أى فرحون. ٢ـ عن الضحاك : أى ناعمون. ٣ـ عن مجاهد: أى يعجبون. وعن قتادة: أى متعجّبون. ٤ـ عن أبي مسلم: هذا كناية عن الأحاديث الطّيبة. ٥ـ قيل: أى ذو وفاكهة. ٦ـ عن الحسن: أى مسرورون. ٧ـ عن السدى: فاكهون من الفكاهة: المزاح والكلام الطّيب. وعن إبن زيد: الفاكه: الطّيب النّفس الضّحوك . ٨ـ قيل: أي متلذذون بالنّعيم الكثيرة المتنوّعة في الجنّة. ٩ـ قيل: أي مرحون من الفكاهة لامن الفاكهة.

أقول: والتعميم هوالأنسب بظاهر الاطلاق.

٥٦ـ (هم وأزواجهم في ظلال على الأرآئك متّكئون)

في قوله تعالى: «هم وأزواجهم» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أى هم وحلآئلهم في الحياة الدنيا اللاتى وافقنهم على الإيمان وصالح الأعمال. ٢ـ قيل: أى وأشكالهم في صالح الأعمال وأمثالهم في الإيمان سوآء كنّ أزواجهم في الحياة الدنيا أم لا. ٣ـ قيل: أى هم وأزواجهم اللاتى زوّجهم الله تعالى من الحور العين. ٤ـ قيل: أى هم وأزواجهم من الآدمية والحورية.

أقول: والرّابع هوالمرويّ عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله تعالى وأكمل تحياته...

وفي قوله تعالى: «في ظلال» أقوال: ١- قيل: أى في أستار عن وهج الشّمس وسمومها، فهم في مثل تلك الحال الطّيبة من الظّلال الّتي لاحرّ فيها ولا برد. ٢- قيل: أى في ظلال أشجار الجنّة. ٣- قيل: أي في ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من غير تناف بينها.

وفي قوله تعالى: «على الأرآئك» أقوال: ١- عن مجاهد: الأرائك هى السّرر عليها الحجال. ٢- قيل: هى الوسآئد المزيّنة. ٣- عن ابن عبّاس وعكرمة: هى السّرر في الحجال. قال الشّاعر:

كأنّ احمرار الورد فوق غُصونه ... بوقت الضّحى في روضة المتضاحك

خدود عذارى قد خجلن من الحيا ... تهادَيْن بالرّيحان فوق الأرآئك

٤- قيل: الأرآئك هى السّررالمزيّنة. ٥- عن قتادة: الأرآئك هى الحجال فيها السّرر ٦- قيل: هى الفرش في الحجال. ٧- عن عكرمة وقتادة أيضاً: الأرآئك هى الحجال على السرر ٨- قيل: الأرآئك: السّرر وهي المقاعد العالية المزيّنة.

أقول: والأخير هوالأنسب بظاهر السياق.

٥٧- (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون)

في قوله تعالى: «ولهم ما يدّعون» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى لهم في الجنّة ما يسئلون قال الزّجاج: هو مأخوذ من الدعآء يعنى أنّ أهل الجنة كلّما يدعونه يأتيهم. ففيه إشارة إلى دفع جميع حوآئجهم وما يخطر ببالهم. ٢- قيل: أى ولهم فيها ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها ونعيمها... ٣- عن أبي عبيدة: أى لهم فيها ما يتمنّونه فيها من أنواع النعيم. من دعا بشئ أُعطيه. تقول العرب: ادع على ما شئت أى تمنّ عليّ. ٤- قيل: أى لهم ما يشاؤن. ٥- عن يحيى بن سلاّم: أى لهم ما يشتهون.

٦- قيل: أى مَن ادّعى منهم في الجنّة شيئاً فهو له بحكم الله جل وعلا لأن الله

تعالى قد طبعهم على ألّا يدّعى منهم أحد إلّا ما يجمل ويحسن أن يدّعيه، فكل ما يصحّ أن يدعى به ويطلب فهوحاصل لهم قبل الطلب. ٧ـقيل: «يدّعون» هوللاتخاذ أى ما يدعون به أو ما يدعون لأنفسهم كقولك: يشتوى أى اتّخذ لنفسه شوآء، فكل ما يدعوا به الله أحد فانّه يجاب له بذلك. ٨ـ قيل: «يدّعون» بمعنى التداعى أى كل ما يطلب من صاحبه فانّه يجاب له بذلك فالمعنى: فكلّ ما يطالب أحد من صاحبه فيها، فهو مجاب له. ٩ـ قيل: هو من الدّعوىٰ وذلك أنّهم كانوا يدّعون في الحياة الدّنيا أنّ الله هومولٰيهم وأن الكافرين لامولى لهم بينه.

أقول: والأوّل هوالأنسب بسياق ذكر النّعيم لأهلها من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

٥٨ـ (سلام قولاً من ربٍّ رحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أى لهم فيها سلام قال الله تعالى ذلك قولاً والسلام هوالتحيّة. ٢ـ قيل: أى ولهم ما يدّعون فيها مسلّم خالص لاشوب فيه قاله الله عزّوجلّ قولاً. ٣ـ قيل: أى ولهم أنْ يسلّم الله تعالىٰ عليهم. ٤ـ قيل: أى لهم سلام أقوله قولاً ومُنى أهل الجنّة أن يسلم الله عليهم وهو التسليم الّذي يدل على رضوان الله عزّوجلّ. ٥ـ قيل: أى ولهم ما يدعون ذاسلام أو سلامة أو مسلّماً. وقيل أى سالماً كلّما أعطيتم في الجنّة من الزّوال والفنآء. وقيل: أى لاتحزنوا لأنّكم سالمين في الجنّة من كلّ أذى وعافة ومرض، والسلام أمان من كلّ مكروه ونيل لكل محبوب، وذلك منتهى درجات النّعيم الروحي والجسماني الّذي إليه تصبوا النّفوس في الدّنيا والآخرة. ٦ـ قيل: أى لهم سلام خالص من غير تنازع فيه. ٧ـ قيل: أى ولهم ما يدّعون قولاً أى عدة من الله تعالى: «من ربٍّ رحيم» بهم يسمعونه من الله عزّوجلّ فيؤذنهم بدوام الأمن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة. ٨ـ قيل: انّ الملآئكة يدخل عليهم من كل باب يقولون: سلام عليكم من جانب ربكم

الرحيم بكم. ٩ـ عن البرآء: إنّ الله يسلّم عليهم عند الموت. ١٠ـ قيل: أى يقال لهم قولاً كائناً من جهة الله تعالى، فيسلم الله تعالى عليهم بواسطة الملآئكة أو بواسطة الحورالعين أو بواسطة ما في الجنّة.

أقول: والأوّل هوالمروىّ وفي معناه الأقوال الأُخر.

٥٩ـ (وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى يقال للمجرمين عند الوقوف للسّئوال حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنّة: أخرجوا معاشر البغاة الفجرة من صفوف المتقين، وابتعدوا معاشر الكفرة الطاغية عن زمرة المؤمنين، وانفصلوا معاشر العصاة الفسقة عن ساحة المطيعين، واعتزلوامنهم وانفروا عنهم وكونوا على حدة. ٢ـ عن قتادة: أى عُزِلوا عن كلّ خير ترجون ورحمة خاصّة والجنّة. ٣ـ عن الضّحّاك: أى يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصّابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة. ٤ـ عن الضحاك أيضاً: إن لكل فرقة من الكفّار في النار بيتاً تدخل فيه، ويردّ بابه، فتكون فيه أبداً لا تَرىٰ ولا تُرى.

٥ـ عن داود بن الجرّاح: فيمتاز المسلمون من المجرمين إلّا أصحاب الأهوآء فيكونون مع المجرمين. ٦ـ عن السدى: أى كونوا على حدة. ٧ـ قيل: أى دوموا أيها المؤمنون في النعيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون وادخلوا فى الجحيم. ٨ـ قيل: أى قلنا لأهل الجنّة: إنكم في شغل، وقلنا لأهل النّار: امتازوا وهو كقوله تعالى: «فريق فى الجنّة وفريق في السّعير» الشّورى: ٧) فاذاً تميّزوا من المؤمنين اليوم أيّها الكافرون بالله فانكم واردون غير موردهم، وداخلون غير مدخلهم. ٩ـ قيل: أى تميّزوا في أنفسكم غيظاً وحنقاً فلا دوآء لألمكم ولاشفآء لسقمكم كقوله تعالى في صفة جهنم: «تكاد تميّز من الغيظ» الملك: ٨).

١٠ـ قيل: أى افترقوا خلاف ماللمؤمن من الإجتماع بالاخوان فلا عذاب

كفرقة الأخدان. ١١ـ قيل: أى امتازوا عن شفعآئكم وقرنآئكم الذين تزعمون أنهم شفعآء لكم يوم القيامة. ١٢ـ قيل: امتازوا اليوم عن المؤمنين بسواد وجهكم، وزرقة أعينكم، وأخذكم الكتاب بالشمال وبخفّة ميزانكم، وغير ذلك من المميزات... ١٣ـ قيل: إن قوله تعالى: «إن أصحاب الجنة...» إلى آخر الآيات خطاب لأهل المحشر بدلالة الفآء في قوله: «فاليوم لا تظلم» بعد قوله: «إن كانت إلّا صيحة» وقوله: «إن أصحاب الجنة» إنّما يقال: حين يسارهم إلى الجنّة فيؤل معنى الكلام إلى قول القائل: إن أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر يؤل حالهم إلى أسعد حال، فليمتازوا عنكم إلى الجنّة، وامتازوا أنتم عنهم أيها المجرمون، وهذا عند اختلاطهم بهم يوم البعث. ١٤ـ قيل: أى تفرّقوا وابتعدوا كلّكم عن كلّ واحد بمعنى تفرّدوا وادخلوا النار فرادىٰ بعد فراقكم من المؤمنين.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين منهم.

٦٠ ـ (الم أعهد إليكم يا بني آدم أنْ لا تعبدوا الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين).

في قوله تعالى: «ألم أعهد» أقوال: ١ـ قيل: العهد هنا هوالّذى أشار تعالى بقوله: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل» طه: ١١٥) وهو الوصية بأن لا يأكل آدم من الشّجرة وأما وصيته تعالى إلى أبنائه أن لايعصوا الله جل وعلا ولايطيعوا عدوّه الشيطان. ٢ـ قيل: العهد هو إقامة الحجج والبراهين بالبصيرة والبصر وبالوحى على ألسنة الأنبيآء والمرسلين. ٣ـ قيل: ان معنى: «ألم أعهد إليكم يا بنى آدم» أى ألم آمركم يا بنى آدم على ألسنة رسلى. ٤ـ قيل: العهد هوالذى أشار تعالى إليه بقوله: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم» الأعراف: ١٧٢) فالمراد بالعهد عهده تعالى إليهم في عالم الذرّ إذ قال: «ألست بربكم» الأعراف: ١٧٢) وهو الميثاق المأخوذ من الانسان تكويناً إذ أخرجوا من ظهور بنى آدم و أشهدوا على أنفسهم: «قالوا بلى».

٥ـ قيل: العهد الوصيّة إذ عهد الله تعالى إليهم بما ركز فيهم من أدلّة العقل،

وأنزل عليهم من دلآئل السّمع. ٦ـ قيل: أى ألم انبهّكم. فالعهد بمعنى التّنبيه. ٧ـ قيل: العهد هناهو ماكان من الله عزّوجلّ من تحذير من الشيطان وأعوانه كما يقول تعالى على يد الرسل: «يا بنى آدم لايفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة» الأعراف: ٢٧) ويقول: «إن الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً» فاطر: ٦) فالعهد هوالذى بيّن على ألسنة الأنبياء والمرسلين فالمعنى: ألم اوصكم وأبلغتكم على ألسنة الأنبيآء والمرسلين فى الكتب المنزلة؟ ألم اوصكم بما نصبت لكم من الأدلّة، ومنحت من العقول وبعثت من الرّسل وانزلت من الكتب بياناً للطريق الموصل إلى النجاة.

٨ـ عن السّدى: أى ألم أنهكم. ٩ـ قيل: العهد هوالاستعداد المودع في الإنسان يتنفّر بطبعه عن القبآئح ويميل في الحسنات، ويحسن العدل ويقبح الظلم لولم يفسد بالمعصية والطّغيان. ١٠ـ قيل: هوالعقل الّذي يمنع الإنسان من الّرك والطغيان مالم يطرء عليه عارض. ١١ـ قيل: العهد هوالوصيّة التّقدّم بأمر فيه خيرومنفعة. ١٢ـ قيل: العهد ما نصب للإنسان من الحجج العقليّة والأدلّة السّمعيّة الآمرة بالتّوحيد والعبادة لله تعالى وحده الزاجرة عن الشّرك وعبادة غيره. ١٣ـ قيل: العهد هوالفرة الّتي فطر النّاس عليها.

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر مع تداخل بعضها في بعض فتأمّل جيّداً.

٦٢ـ (ولقد أضلّ منكم جبّلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون)

في قوله تعالى: «جبّلاً كثيراً» أقوال: ١ـ عن مجاهد أى خلقاً كثيراً. ٢ـ عن قتادة: أى جموعاً كثيرة. ٣ـ عن الكلبي: أى أُمماً كثيرة. ٤ـ قيل: أى أجيالاً كثيرة. ٥ـ قيل: أى إجتماع الأفراد الكثيرة والجمع العظيم.

أقول: وعلى الأول أكثر البيانيين.

وفي قوله تعالى: «أفلم تكونوا تعقلون» أقوال: ١ـ قيل: أى أفلم تكونوا تعقلون في عداوة الشيطان لكم وفي إضلاله وإغوائه أكثر النّاس. ٢ـ قيل: أى ألم تعلموا أن

الواجب عليكم طاعة الله تعالى، والبرآءة من الشّيطان. ٣ـ قيل: أى أفلا تعقلون فيما قلنا لكم بألسنة الأنبيآء والمرسلين. ٤ـ قيل: أى أفلم تكونوا تعقلون طريق الهداية والرّشاد. ٥ـ قيل: أى أفلم تكونوا تعقلون فيما حلّ بمن كانوا قبلكم من العذاب، فلا يحيق بكم مثله. ٦ـ قيل: أى أفلا تعقلون في عهدي إليكم. ٧ـ قيل: أى أفلا تعقلون انّه يغويكم ويصدّكم عن سبيله فتتنبّهون عنه.

أقول: والتعميم هوالأنسب بسياق الإطلاق.

٦٣ـ (هذه جهنّم التى كنتم توعدون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى تقول لهم خزنة جهنّم: هذه جهنّم الّتي وعدتم فكذّبتم بها. ٢ـ قيل: أى يقال لهم: إنّ جهنّم أوّل باب من أبواب النّار الّتي كنتم بها تكذّبون في الحياة الدّنيا. ٣ـ قيل: يقول الله عزّوجلّ يوم القيامة بمنادٍ حين دخولهم جهنم: هذه جهنم التى كنتم توعدون بها بسبب شرككم بالله سبحانه وتكذيبكم بنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وكفركم بالبعث والحساب والجزآء واتّباعكم الشيطان.

أقول: والثالث هوالمروىّ.

٦٤ـ (إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى يقال لهم حين دخول جهنم: يا معشرالمشركين الباغية! يا معشر المجرمين الطّاغية! يا معشر المستكبرين الفاسقة! ويا معشر الكافرين الفاجرة... ادخلوا جهنم من فوق برؤوسهم. ٢ـ قيل: أى يقال لهم بعد دخولهم فيها: فذوقوا حرّها اليوم جزآء لكم بما تكفرون بها في الحياة الدّنيا. ٣ـ قيل: أى ادخلوها. ٤ـ قيل: أى احترقوا بها اليوم ورودها وقاسوا حرّها الشديد. ٥ـ قيل: أى ألزموا العذاب بها من الصّلاء بمعنى اللّزوم والاتّباع، ومنه المصلّى الذى

يجيئ في اثرالسابق للزومه أثره واتّباعه، وسميّت الصّلاة صلاة للزوم الدعاء فيها. ٦- عن أبي مسلم: أى صيروا صلاها أى وقودها. ٧- قيل: أى اكتووابنارها.

أقول: والخامس هوالأنسب بمعناه اللّغوي، وأما القآئل هوالقآئل فيما سبق.

٦٥- (أليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)

في سبب الختم أقوال: ١- قيل: إنّهم يقولون يوم القيامة منكرين بشركهم وكفرهم، وجاحدين طغيانهم وعصيانهم في الحياة الدّنيا: «والله ربّنا ماكنّا مشركين» الأنعام: ٢٣) فيختم الله عزّوجلّ عندئذٍ على أفواههم حتى تنطق جوارحهم ليشهد منهم عليهم. ٢- قيل: إنّ الله تعالى يجعل معرّف الكفار والمشركين، والفجّار والمجرمين، والفسّاق والمستكبرين... جوارحهم، فتعرّفهم بالنّاس، ليعرفهم أهل الموقف، فيتميّزون منهم. ٣- انّ الله جلّ وعلا يختم على أفواه المجرمين الباغين حين شهادة الأيدى والأرجل كما هوالشأن في اصول المحاكمات في الحياة الدّنيا، فإذا انتهت الأعضآء من شهادتها أنطق سبحانه الأفواه وسئل أربابها: ماذا تقولون في هذه الشهادة تأكيداً للحجّة وإلزامهم بها: «فاعترفوا بذنبهم» الملك: ١١).

٤- قيل: إنّ الله تعالى يفعل ذلك يوم القيامة ليعلمواهؤلآء المشركون المستكبرون أنّ أعضاءهم التى كانت أعواناً في حق أنفسهم صارت عليهم شهوداً في حق ربهم. ٥- قيل: إنّ الله عزّوجلّ يختم على أفواههم، ويوجد النطق في جوارحهم لتقرّبما فعلوه في الحياة الدنيا لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الحجة من إقرار الناطق لخروجه مخرج الإعجاز وإن كان يوماً لايحتاج إلى إعجاز. ٦- قيل: ان المجرمين الكافرين يجحدون يوم القيامة ما فعلوه في الحياة الدنيا، ويخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وعشائرهم وأهليهم وأقاربهم، ورفقآئهم... على ما فعلوه، فهم يحلفون ما فعلوه، فحينئذ يختم الله جل وعلا على أفواههم ويكلّم أيديهم وأرجلهم فتشهد جوارحهم على ما فعلوه.

أقول: ولكلٍّ وجه من غير تناف بينها.

وفي كيفيّة شهادة الجوارح أقوال: ١ـ قيل: إن الله عزوجل يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلّم وتنطق وتعترف بذنوبها. ٢ـ قيل: إنّ الله تعالى يوجد في الجوارح كلاماً كما أوجد في الشجرة التى تكلّمت موسى عليه السلام : «وكلّم الله موسى تكليماً» النساء: ١٦٤) وإنما نسب الكلام إلى الجوارح لأنه لايظهر إلّا من جهتها وكما أنطق عيسى عليه السلام في المهد صبياً: «قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً قال انى عبدالله آتيٰني الكتاب وجعلني نبيّاً» مريم: ٢٩: ٣٠) وهو جل وعلا أنطق كلّ شئ: «قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شئ» فصلت: ٢١) ٣ـ قيل: إن معنى شهادة الجوارح وكلامها أن الله عزّوجلّ يجعل فيها من الآيات مايدلّ على أنّ أصحابها عصوا الله تعالى بها، فسمّى ذلك شهادة منها كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك . وقال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطنى مهلاً رويداً قدملأت بطنى

وقال آخر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدّرتا كالدّر لما يثقب

فهؤلآء المشركون المستكبرون لايتكلّمون بشئ لإنقطاع أعذارهم وانهتاك أستارهم، فيقفون ناكسى رؤوسهم وقوف القنوط اليؤس، فعندئذٍ تظهر أمارات الذّنوب عليهم بحيث لايبقى للإنكار مجال كقولك: الحيطان تبكى على صاحب الدّار إذا ظهرت أمارات الحزن وأسبابه، كما أن الإنسان في هذه الدار المملؤة أكاذيب وشروراً ونفاقاً يخجل فتظهر في وجهه الحمرة، ويَوْجَل فتصفرّ صورته، ويتخذ القضاة من ذلك أدلة على إدانة المتّهم، وترى بعض الناس يقصون أثر الجناة ويتّبعونهم في السهل والجبل حتّى يصلوا إليهم فيقدّمون للقضاة، وهكذا أيدى المجرمين يختم بها على الورق (البصمة) فلا تشابه يديداً ولا أصابع، أصابع، فاذا كان ذلك في الحياة الدنيا فكيف الآخرة التى فيها تبلى السّرآئر... ٤ـ قيل: أى يخرج الألسنة ويختم على الأفواه. ٥ـ قيل: يكون الختم على الأفواه حال شهادة الأيدي والأرجل. ٦ـ قيل:

أى يبينها بيّنة مخصوصة ويشهد فيها شهادة يشهد عليهم بها.

أقول: والثاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته...

٦٦ـ (ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون)

في قوله تعالى: «ولو نشآء لطمسنا على أعينهم» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى وأضللناهم عن قصد المحجة حتّى تصير أعينهم ممسوحة لاأثر منها، فذهبت به أبصارهم وبطل إبصارهم، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الهدى لاصرارهم على الشرك والطغيان، على الكفر والعصيان، وعلى عنادهم ولجاجهم على أهل الحق والهدى. ٢ـ عن الحسن وقتادة والسّدى والجبآئى: أى لونشآء لتركناهم عمياً يتردّدون. فالمعنى لأعميناهم فلايبصرون طريقاً إلى تصرفهم في منازلهم ولا غيرها. والطمس: محو الشئ حتّى يذهب أثره، والطمس على العين إذهاب الشئ الّذى بين الجفنين، والطمس على المال: إذهابه، والطمس على الكتاب: إمحائه، وطمس الريح الأثر.

٣ـ عن ابن عباس وقتادة أيضاً ومقاتل وعطآء: أى ولو نشآء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيّهم وحوّلنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، من الباطل إلى الحق، من الشّرك إلى التّوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، فاهتدوا وأبصروا رشدهم، وتبادروا إلى طريق الآخرة، ثم قال: «فأنّى يبصرون» أى ولم نفعل ذلك بهم أى فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على الضلال باقية. ٤ـ عن عبدالله بن سلام: هذا يوم القيامة وذلك إذا كان يوم القيامة ومُدَّ الصّراط نادى منادٍ: ليقم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وامته، فيقومون برّهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط، فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجّارهم، فاستبقوا الصراط، فمن أين يبصرونه حتّى يجاوزوه ثمّ ينادى منادٍ: ليقم عيسى عليه السلام وامّته فيقوم فيتبعونه برّهم

وفاجرهم، فيكون سبيلهم تلك السّبيل، وكذا سائر الأنبيآء عليهم السّلام.

٥ـ قيل: أى ولو نشآء لعاقبناهم على كفرهم وجحودهم، على شركهم و عنادهم، وعلى جرمهم ولجاجهم، فطمسنا على أعينهم وصيّرناهم عمياً لايبصرون طريقاً ولايهتدون، وقلنا لهم: فاسبقوا الصراط وهم لايقدرون على ذلك، فانى يبصرون طريقاً ويهتدون إلى شئ وهم على ذلك. ٦ـ قيل: أى ولو نشآء لمسخنا أعينهم، فلو راموا أن يسبقوا إلى الصّراط الّذي عهدوه واعتادوا على سلوكه إلىٰ مساكنهم لم يقدروا عليه إذ الصّراط طريق الإستباق، والإستباق يضمن معنى الإبتدار. فالمراد: لو نشآء لأعميناهم حتّى لو أرادوا أن يمشوا مسبقين في الطريق المألوف أو مبتدرين إيّاه كان هيجر انهم لم يستطيعوا.

٧ـ قيل: أى لو نشآء لغطينا على أعينهم. ٨ـ قيل: أى لو نشآء لطمسنا على أعين هؤلاء المشركين المستكبرين وأمثالهم وهم في هذه الدنيا، ونزلنا عليهم هذا العقاب الرادع، فأسرع إلى الايمان، واستبقوا إليه تحت ضغط هذا النّذير، ولكنّ الله عزّوجلّ لم يشأ هذا بهم، ولم يلجئهم إلى الايمان إضطراراً إذ لاإكراه في الدين.

أقول: وعلى الأوّل جملة أهل البيان وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «فاستبقوا الصراط» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة وابن زيد: أى فابتدروا الطريق ليجوزوا. ٢ـ قيل: أى فطلبوا طريق الحق وقدعموا عنه بسوء إختيارهم. ٣ـ قيل: أى فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذى اعتادوا سلوكه. ٤ـ قيل: أى فاستبقوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليه. ٥ـ قيل: أى لو طلبوا أن يخلفوا الصّراط الّذي اعتادوه لعجزوا ولم يقدروا إلّا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون فيما ألفوا من المقاصد والجهات دون غيرها. هذا بنآء على أنّ الصّراط هوالمسبوق لامسبوق إليه.

أقول: والثّاني هوالأنسب بالمعنى السابق المختار.

وفي قوله تعالى: «فأنّى يبصرون» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أى فكيف

يبصرون لو طمسنا على أعينهم. ٢- عن ابن عبّاس أيضاً: أى فأنّى يهتدون للحق فلايبصرونه. ٣- قيل: أى فمن أين يبصرون. ٤- قيل: أى فطلبوا النجاة والسبق إليها ولابصر لهم فكيف يبصرون وقد أعميناهم. ٥- قيل: أى طلبوا الطّريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليها. ٦- قيل: أى فأنّى يبصرون الطّريق وجهة السّلوك فضلاً عن غيره. ٧- قيل: أى طلبوا طريق الحقّ وقدعموا عنه بسوء إختيارهم الشّرك والكفر والطّغيان والعناد واللّجاج. ٨- قيل: أى أرادوا السّبق إلى الطريق الواضح الّذي لايخطئ قاصده ولايضلّ سالكه، فلم يبصروه ولن يبصروه فالإستبعاد المفهوم من قوله عزّوجلّ: «فأنّى يبصرون» كناية عن الإمتناع.

أقول: وعلى السابع أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبر.

٦٧- (ولو نشآء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيّاً ولايرجعون)

في قوله تعالى: «ولو نشآء لمسخناهم على مكانتهم...» أقوال: ١- عن ابن عباس: أى ولونشآء لأهلكناهم في مساكنهم فما استطاعوا أن يمضوا نحو مقاصدهم ولاأن يرجعوا إلى منازلهم وأهليهم. ٢- عن عبدالله بن سلام: هذا يوم القيامة، وذلك انّ الله عزّوجلّ يطمس يومئذٍ أعينهم على الصراط. ٣- قيل: أى لو نشاء لمسخناهم في المكان الّذى اجترؤا فيه على المعصية والطغيان والمآثم والسيّئات، والكفر فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيئ أو مضياً أمامهم ولايرجعون خلفهم. وان المسخ هوتبديل الخِلقة وقلبها إلى خلقة مشوّهة حَجَراً أو جماداً أو بهيمة. فقديكون المسخ تبديل صورة الانسان بهيمة، ثمّ تلك البهيمة لاتعقل موضعاً تقصده فتتحيّر فلا تقبل ولا تدبر. والمسخ نهاية التّنكيل. فالمعنى: ولونشآء لعذّبناهم بنوع آخر-غيرالطّمس- من العذاب في هذه الحياة الدّنيا، فأقعدناهم في منازلهم ومقاعدهم ممسوخين قردة أو خنازير أو حجارة فما استطاعوا مضيّاً من العذاب ولارجوعاً إلى الخلقة الأُولى بعد المسخ، فالمضىّ والرجوع كنايتان عن الرجوع إلى حال السّلامة والبقآء على حال العذاب والمسخ. والمكانة

والمكان واحد فالمراد بمسخهم على مكـانتهم تشويه خلقتهم وهوقعود في مكانهم الّذي هم فيه من غير أن يغيّرهم عن حالهم بعلاج ولا تكلّف، بل بمجرّد المشيّة، فهو كناية عن كونه هيّناً سهلاً عليه جلّ وعلا من غير أىّ صعوبة.

٤ـ عـن قـتادة والحسـن: أي ولـونشاء لأقـعدنـاهم مـن أرجلهـم في مـنازلهم أو مقاعدهم فـلا يستطيعون أن يمضـوا أمامهم ولايرجعوا ورآءهم اى على مكانهم الّذى هم فـيه قعود. ٥ـ عن أبي صـالح: أى ولـو نشآء لمسخناهم حـجارة في منازلهم ليس فيهم أرواحهم. ٦ـ عن قـتادة أيضـاً: أى ولو نشآء لأزمنّاهم على أرجلهـم أى مسخاً مجـمداً بحيث لايقدرون أن يـرجعـوا إلى مـكانهم بأن يمضـوا أمـامـهم ولاأن يرجعوا ورآءهـم، ولا أن يـتقدّمـوا ولا أن يـتـأخّروا. ٧ـ قيـل: أى ولـو نشآء أن نـعاقبهم في الحياة الدّنيا لجعلناهم أجساداً بلا أرواح لايستطـيعون الحركة ذهاباً ولا إياباً بحيث يخمدون فيه.

٨ـ قيل: أى ولو نشآء لحوّ لناصورهم كما مسخنا بني إسرآئيـل قردة: «فلمّا عتوا عمّـانهـوا عنه قـلـنالهـم كـونوا قردة خـاسئين» الأعراف: ١٦٦) ٩ـ قـيـل: أى ولونشآء لمسخـناهم بتغـيير صورهم وإبطـال قواهم على مكانتهـم أى إنسانيّتهم، فلايسـتطيعون عندئذٍ أن يدفـعوا عنهم المسخ بأن لم يمسخوا ويمتنعـوا عنه، ولا أن يرفعـوا عنهم المسخ، بأن يرجعوا إلى إنسانيّتهم بعد مسـخهم وإن كانوا حسـنة الظاهر والوجوه. ١٠ـ قيل: أى ولونشآء لغيّرنا خلقتهم الأصلية ١١ـ قيل: أى ولونشآء لشوّهنا خلقتهم حتى يتعذّر عليهم إستخـدام أعضآئهم وحواسهـم كما يستخدمونهـا في حالتهم العادية. ١٢ـ قيل: أى ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم التي هم فيها من الشّرك والضّـلال، من الكفر والعـنـاد، ومـن الجرم والـفسـاد، ولم نـدخـل على مشاعـرهـم شيـئـاً مـن الإيمـان، ولأمسـكنابهم على الكفـر، فـما استطاعوا اتجاهاً إلى الايمـان ولارجوعاً عما هم فيه من طرق الضّلال، ولكنـالم نشأذلك فيهم، وتركناهم مجال النّظر والاختيار والتّحرّك من الـكفر إلى الايمان إن شاؤا، فمشيّتهـم مطلقة عاملة غير معطّلة، وبهذا لا تكون لهم على

الله سبحانه حجة.

١٣ـ قيل: أى ولونشآء لمسخناهم فما استطاعوا ذهاباً ولايرجعون عن تكذيبهم.

١٤ـ قيل: أى لونشآء لحوّلناهم عن تلك الحال القبيحة من الطمس إلى ما هوأقبح منها فجعلنا هم قردة أو خنازير أو حجارة، وهم في مساكنهم التى يجترحون فيها السيئات والمآثم، فلايقدرون على ذهاب ولا مجيئ ولاغدو ولارواح.

أقول: وعلى الثالث أكثر المحققين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر مع تقارب المعنى في بعض الأقوال فتأمّل جيداً.

٦٨ـ (ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلايعقلون)

في قوله تعالى: «ومن نعمّره ننكّسه في الخلق» أقوال: ١ـ عن قتادة: أى نردّه بإطالة أجله إلى حال الهرم الّتي تشبه حال الصّبي في ضعف القوّة وغروب العلم، فيتغيّر سمعه وبصره وقواه كما رأيت فلا يعلم من بعد علم شيئاً. ٢ـ قيل: أى من نمدّعمره نصيّره بعد القوّة إلى الضعف، وبعد زيادة الجسم إلى النّقصان، وبعد الجدة والطّراو ة إلى البلى والخلوقة، فكأنه نكس خلقه. وذلك ان التعمير هوالتّطويل في العمر، والتّنكيس هو تقليب الشّئ بحيث يعود أعلاه أسفله، فيتبدّل قوّته ضعفاً، وزيادته نقصاً، والانسان في زمن الهرم منكّس الخلق إذ يتبدّل قوّته ضعفاً وعلمه جهلاً وذكره نسياناً.

٣ـ عن سفيان: وذلك انّ الإنسان إذا بلغ ثمانين عاماً تغيّر جسمه، وضعفت قوّته، فطول العمر يصيّر الشباب هرماً والقوّة ضعفاً والزّيادة نقصاً. ٤ـ عن ابن جريج: أى نردّه إلى أرذل العمر بأن نقلّبه في الخلق فلايزال يتزايد ضعفه ويكثر انتقاص بنيته عكس ماكان عليه في بدء أمره حتّى يردّ إلى أرذل العمر.

أقول: ولكلٍ وجه والمعاني متقارب.

وفي قوله تعالى: «أفلا تعقلون» أقوال: ١ـ قيل: أى أفلا تتدبّرون في أنّ الله

عزّوجلّ يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك، خطاب لمخاطبي قوله تعالى: «ألم أعهد إليكم» يس: ٦٠) فمن فعل بكم هذا فهو قادر على بعثكم بعد موتكم. ٢ـ قيل: أى أفلا تعقلون فيما ذكرنا أن من يقدر على التنكيس في الخلق تدريجاً فهو قادر على الطمس والمسخ فجأة، فاذا تفكرتم فيما ذكرناه تعرفوا صحّة ما قلناه. ٣ـ قيل: أى أفلا تعقلون أنكم كلّما دخلتم في السّنّ ضعفتم، وقدعمرتم ما تمكّنتم فيه من النظر والعمل، ومن لم يأت بالواجب في زمان الامكان لم يأت به في زمن الأزمان.

نعم ما قال الشاعر:

طوى العصران ما نشراه منى فأبلى جدّتي نشر وطيّ
أراني كل يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شيّ

وقال الآخر:

أرى الأيام تتركني وتمضى وأوشك أنها تبقى وأمضى
علامة ذاك شيب قد علانى وضعف عند إبرامى ونقضى
وما كذب الذى قد قال قبلى إذا ما مرّ يوم مرّ بعضى

أقول: والتعميم غير بعيد من ظاهر الإطلاق، وإن كان الثّاني هو الأنسب بظاهر السياق.

٦٩ـ (وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين)

في قوله تعالى: «وما علّمناه الشعر» قولان: أحدهما ـ قيل: أى وما علّمنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم قول الشّعراء ولاصناعة الشّعر أى ما أعطيناه صلى الله عليه وآله وسلّم العلم بالشعر ولا إنشائه، فلازم نفى تعليمه تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم الشّعر أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم لايحسن قول الشعر لأنه يحنسه ولكنه يمتنع من قوله لنهى من الله تعالى متوجّه إليه صلى الله عليه وآله وسلّم. ثانيهما ـ قيل: أى وما علّمناه الشعر بتعليم القرآن.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «وما ينبغي له» أقوال: ۱ـ قيل: أى وما ينبغى لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول الشّعر من عند نفسه لأنّه رسول من ربّ العالمين فأين الشّارع من الشّاعر، فعصمه الله تعالى من ذلك. ۲ـ قيل: أى مايتسهّل له صلى الله عليه وآله وسلّم الشّعر وماكان يتزيّن له بيت شعر، بحيث لوتمثّل ببيت شعر لجرى على لسانه منكسراً، فلا يتأتّى له شعر كما جعلناه أُمّيّاً لايهتدى للخطّ. ۳ـ قيل: أى وما ينبغى للقرآن أن يكون شعراً فانّ نظمه ليس بنظم الشّعر ولا الرّجز ولاالخطبة ٤ـ قيل أى لايصلح الشّعر ولايليق بجلالة منصب القرآن الكريم لأنّ الشعر مادّته كلام يفيد تأثيراً دون التصديق وهو التخييل، وأما الوزن والقافية فهما كالصورة، ويفيدانه ترويجاً وتزييناً، فجلّ رتبته من التخييل الّذي هوقريب من المغالطة، ولهذا لم يؤمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يدعوا لنّاس إلى الدّين بسآئر أصناف الكلام حيث أُمِرَ في قوله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هى أحسن» النحل: ١٢٥)

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه الثانى.

وفي قوله تعالى: «إن هوإلّا ذكر وقرآن مبين» قولان: أحدهما ـ قيل: أى وما محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا ذكر لكم أيها النّاس ذكركم الله عزّوجلّ بارساله إيّاه إليكم ونبّهكم به على حظّكم، وهذا الّذي جآءكم به محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو قرآن مبين، يبيّن لمن تدبّره بعقل سليم ولبّ لبيب أنّه تنزيل من الله تعالى أنزله إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّه ليس بشعر ولاسجع كاهن.

ثانيهما ـ قيل: أى ما هذا الّذي يتلوه عليكم محمدصلى الله عليه وآله وسلّم إلّا ذكر وقرآن مبين.

أقول: والثّانى هو الأنسب بظاهر السّياق وإن كان الأوّل لايخلو من وجه.

٧٠ـ (لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين)

في قوله تعالى: «لينذر» أقوال: ١ـ قيل: أى لينذر الله تعالى ويخوّف ويرهب بهذا القرآن من كان حيّاً، فانّ الله عزّوجلّ أنشأ هذا القرآن فينذر به من كان حيّاً. ٢ـ قيل: أى لينذر محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بهذا القرآن من كان حياً. ٣ـ قيل: أى لينذر هذاالقرآن من كان حياً لأنه يتضمّن الإنذار.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «من كان حيّاً» أقوال: ١ـ عن قتادة: أى حيّ القلب حيّ البصر. ٢ـ عن الضّحاك: أى عاقلاً متأمّلاً. ٣ـ قيل: أى من كان مؤمناً في علم الله تعالى ٤ـ قيل: أى من كان مؤمناً لأنّ الكافر كالميّت بل أقلّ شأناً من الميّت لأنّ الميّت وإن كان لاينتفع ولايتضرّر ولكنّ الكافر لاينتفع بدينه ويتضرّر به. قيل: الإيمان هى الحياة، والحياة عبارة عن الإيمان. ٥ـ قيل: إنّ المراد بالحيّ من يؤل حاله إلى الإيمان. وقيل: إنّ المراد بالإنذار هوالإنتفاع به كقوله تعالى: «هدى للمتّقين» البقرة: ٢) وقوله: «إنّما تنذر من اتّبع الذّكر» يس: ١١) وانّ الحياة هنا حياة الرّوح مع الجسم، وحياتها الايمان، لاحياة الهياكل وتحركها بدون حياة الروح بالكفر والعصيان. ٦ـ قيل: أى من كان حيّ القلب مستنير البصيرة يعرف مواقع الهدى والرّشاد فيسترشد بهداه. ٧ـ قيل: انّ المراد بالحيّ من كان له حياة في هذه الدنيا، ففيه دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم ٨ـ قيل: أى من كان عاقلاً.

أقول: الأخير هوالمرويّ عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته... وفي معناه بعض الأقوال الأُخَر.

وفي قوله تعالى: «ويحقّ القول على الكافرين» أقوال: ١ـ عن قتادة: أى يجب الوعيد والعذاب على الكافرين المصرّين على كفرهم وطغيانهم وسوء أعمالهم. ٢ـ قيل: أى تجب الحجّة بالقرآن الكريم على الكفرة الفجرة. ٣ـ قيل: قوله تعالى: «ويحق القول» كقوله تعالى: «لقد حق القول» يس: ٧) وهذا كلام مطابق من

حيث المعنى كأنّه قال تعالى: «لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على من كان ميّتاً لأن الكافر في عداد الموتى.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٧١- (أولم يروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون)

في قوله تعالى: «فهم لها مالكون» قولان: أحدهما- قيل: أى ولولم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها، ولما انتفعوا بلحومها و أشعارها وأوبارها، فلكناها إيّاهم فهم متصرّفون فيها تصرف الملاّك في أملاكهم، وذلك انّ الأنعام خلقت لأجل الإنسان ولإنتفاعه بها، ولازمه اختصاصها به، وينتهى الإختصاص إلى الملك، فان الملك الإعتبارى الّذي في المجتمع من شعب الاختصاص. ثانيهما- عن قتادة: أى فهم لها ضابطون قاهرون أى لم نخلقها وحشية نافرة منهم لايقدرون على ضبطها، فهى مسخّرة مذلّلة لهم، فهم لها مصرّفون كيف شاؤا بالقهر والضبط منهم لها، وغلبتهم عليها فهى ذليلة منقادة لهم. فالملك هنا بمعنى القدرة والغلبة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين، مع أنّ القدرة والقهر والغلبة تستفاد من قوله تعالى: «وذلّلناها لهم» فالتّأسيس خير من التأكيد فتدبّر.

٧٤- (واتّخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون)

في قوله تعالى: «آلهة» أقوال: ١-قيل: أن الآلهة هى الأصنام المصنوعة والأوثان المنحوتة على أشكالها وهيئاتها المختلفة الّتي كان المشركون يعبدونها، عاكفين لها، لعلّها تنصرهم يوم الفاقة والشّدة في الحياة الدّنيا، ويوم القيامة من النّار وعذابها بالشّفاعة لهم عند الله سبحانه. ٢- قيل: انّ المراد بالآلهة هم شياطين الجنّ والإنس. ٣- قيل: الآلهة هم فراعنة البشر وملوكهم الطّاغية ورؤسآئهم الباغية الّذين كان

يعبدهم ضعفآء النّاس وهَمَجُهم. ٤ـ قيل: هم الملآئكة المقرّبون والأوليآء من الإنسان. ٥ـ قيل: الآلهة كلّ من يعبده الإنسان من دون الله تعالى.

أقول: والثّلاثة الأُوَل هى الأنسب بظاهر السّياق لعدم ملائمة ذيل الآية التّالية: «وهم لهم جند محضرون» بالأخيرين.

٧٥ـ (لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)

في قوله تعالى: «وهم لهم جند محضرون» أقوال: ١ـ عن الحسن: أى المشركون جند لتلك الآلهة فى الدّنيا، يمنعون منهم ويدفعون عنهم، ومعدّون لحفظهم وخدمتهم والذّبّ عنهم. ٢ـ عن الحسن أيضاً: أى المشركون جندلآلهتهم في الدّنيا، وهم محضرون إثرهم في النّار. ٣ـ عن قتادة: أى المشركون جند للأصنام، فيغضبون لتلك الآلهة ويحضرونهم في الدنيا وهى لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شرّاً. ٤ـ قيل: أى انّ المشركين كانوا يعبدون الآلهة ويقومون لها، فهم لها بمنزلة الجند، وهى لا تستطيع أن تنصرهم. ٥ـ عن الجبائى: أى إنّ الآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النّار لأن كلّ حزب مع ما عبده من الأوثان في النّار، فلا يدفع بعضهم عن بعض، أى فلا الجند يدفعون عنها الاحراق، ولاهى تدفع عنهم العذاب، وهذا كما قال الله تعالى: «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لهاواردون» الأنبياء: ٩٨)

٦ـ قيل: أى وهذه الأصنام لهؤلآء الكفّار جندالله عليهم في جهنّم لأنّهم يلعنونهم ويتبرّؤن من عبادتهم لهم. ٧ـ قيل: انّ المشركين عندالحساب تتبرّأ منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه، فلايكونون لها جنداً ولاالآلهة لعابدين جنداً عند الحساب والجزآء. ٨ـ قيل: أى الآلهة جند لهؤلاء المشركين، محضرون يوم القيامة لاعانتهم في ظنونهم إذ ورد: «إنّه يمثّل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدّنيا من دون الله فيتبعونه إلى النّار فهم لهم جند محضرون» ٩ـ عن الزّجاج: أى المشركون ينصرون الأصنام، وهى لاتستطيع نصرهم. ١٠ـ عن مجاهد: ان هؤلآء المشركين جند لآلهتهم، محضرون

عندالحساب والجزآء. فالتابع والمتبوع يحضرون يوم الحساب. ١١ـ قيل: أى يشيعونهم عند مساقهم إلى النار. ولايخفى: ان من لوازم معنى الجندية التبعية والملازمة ودفع العدوان عنهم وحمايتهم، وقدكان المشركون أتباعاً لآلهتهم، مطيعين لهم، وناصريهم في الحياة الدنيا، لعل تلك الآلهة تنصر عابديهم يوم القيامة من النّار والعذاب بالشفاعة عندالله تعالى.

١٢ـ قيل: إنّ المشركين طمعوا في أن يتقوّوا بآلهتهم ويعتضدوا بمكانهم، ولكن الأمر يصير عكس ذلك، حيث هم جند لآلهتهم، معدّون يخدمونهم، ويذبّون عنهم من غير نفع في آلهتهم. ١٣ـ قيل: أى اتخذ المشركون آلهة لهم من دون الله لينصروهم عند الله تعالى بالشفاعة، والأمر على خلاف ذلك، حيث انّ آلهتهم يوم القيامة جند محضرون لعذابهم لأنّهم يجعلون وقوداً للنار. ١٤ـ قيل: انّ قوله تعالى: «وهم لهم جند محضرون» تأكيد لعدم الاستطاعة، فان من حضرو اجتمع ثمّ عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يتأهب ولم يجمع أنصاره. ١٥ـ قيل: أى يشيعونهم عند مساقهم إلى النّار.

أقول: والعاشر هوالمروىّ من غيرتناف بينه وبين أكثر أقوال الأُخر مع تداخل بعضها في بعضٍ معنًى، فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً.

٧٦ـ (فلا يحزنك قولهم إنّا نعلم ما يسرّون وما يعلنون)

في قوله تعالى: «فلا يحزنك قولهم» أقوال: ١ـ قيل: أى فلا يحزنك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قول المشركين المستكبرين في تكذيبهم وجحودهم نبوتك وطعنهم في رسالتك. ٢ـ قيل: أى لايحزنك قولهم لك: إنك شاعر، ساحر، كاهن ومجنون، وماجئتنابه شعر وسحر وكهانة. ٣ـ قيل: أى لايحزنك إتخاذهم الآلهة لهم غير الله والاستنصارهم، وانهماكهم في الشّرك بالله سبحانه وفي الكفر والالحاد. ٤ـ قيل: أى فلايحزنك قولهم فيك بالايذآء والتّهديد وسوء القول. ٥ـ قيل: أى فلايحزنك قول

مشركي مكة وعبدة الأصنام من تحدّي بعض زعمآئهم ومكابرتهم وتكذيبهم البعث الاخروي بعد أن يصبحوا رميماً.

أقول: والتعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله تعالى: «إنّا نعلم مايسرّون» أقوال: ١ـ قيل: أي ما يكتمون في ضمآئرهم من العقآئد الباطلة وسوء النّيّات. ٢ـ قيل: أي ما يُخفون من القول والعمل. ٣ـ قيل: أي ما يضمرون في نفوسهم من النّفاق. ٤ـ قيل: أي ما يسرّون من المعرفة بالله تعالى ومعرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه لأنّهم يعلمون أنّ الّذي جئتهم به ليس بشعر، وأنّك لست بساحر ولا كاذب ولاساحر ولامجنون، ويعلمون أنّ ما اتخذوه من الآلهة ليست بشئ.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه الثّاني، وإن كان الرابع لايخلو من وجه.

وفي قوله تعالى: «وما يعلنون» أقوال: ١ـ قيل: أي وما يعلنون بألسنتهم فينا بالشّرك والإلحاد والأنداد، وفيك بالتّكذيب والانكار... فنجازيهم على ذلك كلّه. ٢ـ قيل: أي وما يظهرون قولاً سيّئاً، وعملاً فاسداً فنجازيهم بذلك. ٣ـ قيل: أي ويظهرون من الشّرك والتّكذيب وسوء الأقوال، وسآئر الأفعال القبيحة. ٤ـ قيل: أي وما يظهرون لك من العناد واللجاج والجحود. ٥ـ قيل: أي وما يعلنون من جحود ذلك بألسنتهم علانية، وهم يعلمون حقيقة ذلك خفآء، إنّما يقولون ذلك حسداً لااعتقاداً ٦ـ قيل: أي وما يتفوّهون به بألسنتهم من الشّرك والكفر والضّلال والتّكذيب والإنكار، وسوء القول والبهتان والافترآء والاستهزآء والسخريّة.

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق، وإن كان الخامس غير بعيد.

٧٧ـ (أولم يرالإنسان أنا خلقناه من نطفةٍ فإذا هوخصيم مبين)

في «الإنسان» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: الإنسان هوعبدالله بن أُبيّ، فانّه أتى

النّبىّصلّى الله عليه وآله وسلّم بعظم حآئل فكسره بيده ثمّ قال: يا محمّد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يبعث الله هذا ويميتك ثمّ يدخلك جهنّم، فقال الله: «قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم».

٢ـ عن ابن عبّاس أيضاً: هو أبوجهل بن هشام إذ جآء بعظم حائل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فذرّاه فقال: «من يحيى العظام وهى رميم...» ٣ـ عن سعيد بن جبير: هو العاص بن وآئل السّهمى إذ جآء هوالى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعظم حائل ففتّه بين يديه، فقال: يا محمّد! أيبعث الله هذا حياً بعد ما أرمّ؟ قال: نعم يبعث الله هذا ثمّ يميتك ثمّ يحييك ثم يدخلك نارجهنّم.

٤ـ عن الحسن ومجاهد وقتادة والسّدى وعكرمة: هو أبىّ بن خلف الجُمَحى فإنّه أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعظم حآئل ففتّه ثم ذرّاه في الرّيح ثمّ قال: يا محمّد! من يحيى هذا وهو رميم؟ قال: الله يحييه ثمّ يميته ثمّ يدخلك النّار فقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوم أُحُد. ٥ـ عن الحسن أيضاً: هو اميّة بن خلف.

أقول: والرابع هو المرويّ، ويمكن لنا الجمع بتعدد السبب فلا بأس به.

وفي قوله تعالى: «فاذا هو خصيم مبين» أقوال: ١ـ قيل: أى المبالغ في الجدل والخصومة بالباطل إلى أقصى الغاية، فالمعنى: إنّ مَن بدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين ثمّ جعله بشراً سوياً، فيفاجؤه أنه يخاصم ربه، ويظهر جداله فيما قال: إنّي فاعل، فيقول: من يحيى العظام وهى رميم؟ إنكاراً منه لقدرته جلّ وعلا على إحيآئها، ويجادل ويخاصم ويقف من الله تعالى موقف المحادّالمحارب! ٢ـ قيل: أى ناطق عالم بليغ أى فاذاً هو رجل قادر قوىّ ناطق، ذو عقل وقوّة على الدّفع ظاهر لايخفى ٣ـ أى نقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله، وصار متكلّماً خصيماً عليماً، بأنّه بعد ماكان ماءً مهيناً، رجل مميّز منطيق معرب عمّا في ضميره كقوله تعالى: «أو من يُنشّؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين» الزخرف: ١٨) فقوله تعالى: «من نطفة» إشارة إلى أدنى ماكان عليه الانسان، وقوله تعالى: «فاذا هو خصيم

مبين» إشارة إلى أعلى ما حصل عليه الآن لأنّ أعلى أحوال الناطق أن يقدر على المخاصمة والذّبّ عن نفسه بالكلام الفصيح. ٤ـ قيل: أى مجادل عنيد يظهر عناده ولجاجه. ٥ـ قيل: أى هو مجادل عنيد شديد في الخصومة والجدال بالباطل، مبين للحجّة يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، خصيماً مبيناً أى مخاصماً ذابيان، فكأنّه قيل: العجب من جهل الإنسان عن جهله، من سفهه عن سفهه، من بلادته عن بلادته، من حماقته عن حماقته، ومن غفلته عن غفلته! كيف يخاصم ربّه ولا يتفكّر فى بدء خلقه، ومهانة أصله، وانّه من نطفة قذرة، ومآء مهين فصيّرناه شديداً قويّاً، فاذاً هو شديد الخصومة لنا، بيّنها في نفى البعث والحساب والجزآء؟ ويظهر عناده ولجاجه ويصرّ على عداوته لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين.

أقول: والخامس هوالمستفاد من ظاهر السّياق، وفي معناه الأوّل والرّابع.

٨١ـ (أو ليس الّذي خلق السّموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم)

في قوله تعالى: «مثلهم» أقوال: ١ـ قيل: أى أمثال المنكرين للبعث، وقد ثبت أن من شأن القادر على الشّئ أن يكون قادراً على جنس مثله وجنس ضدّه ٢ـ قيل: أى أو ليس الّذي خلق الكون من لاشئ بقادر على أنّ يخلق مثله ساعة يشآء فالمعنى: انّ الله تعالى هوالخالق للعالم قادر على خلق مثله. ٣ـ قيل: أى مثل السموات والأرض ـعلى أن ضمير: «مثلهم» راجع إلى السموات والأرضـ لما فيهما من العقلآء، فاعيد إليهما ضمير العقلآء تغليباً، فالمعنى: أليس الّذي خلق السّموات والأرض قادراً على أن يخلق سموات كهذه السّموات، وأرضاً كهذه الأرض، وبديهية المنطق تقول: ان ذلك ممكن، فمن صنع شيئاً فهو قادر على أن يصنع أشيآء مثله لاشيئاً واحداً، فمن قدر على خلق السّموات والأرض كيف لايقدر على أمثالها؟!

٤ـ قيل: أى انّه تعالى قادر على أنّ يخلق مثل الإنسان في الصغر والحقارة بالنّسبة إلى السّموات والأرض. ٥ـ قيل: أى أنه تعالى قادر على أن يعيد الإنسان تارة اخرى حيث إنّ المعاد من الإنسان مثل المبدأ.

٦ـ قيل: إنّ الآية الكريمة بصدد بيان أنّ الإنسان بجميع أجزائه وأعضائه متحدة الحقيقة بالعالم بجميع أبعاضه وأفراده أعني مجموع السموات والأرض وما فيهما وانّ الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير فالمضاهاة بينهما ثابتة والمماثلة فيهما متحقّقة، وقدثبت في العلوم النّظريّة ان كل حكم ثبت لبعض أفراد حقيقة واحدة فقد أمكن ثبوته لسائر الأفراد البتة، فلهذه المضاهاة والمماثلة الثابتة بين مجموع السّموات والأرض وبين الإنسان يجعل ايجاد احدهما دليلاً على إمكان ايجاد الآخر، وإذا كان الفرد الّذى ثبت كونه مخلوقاً لله تعالى وكونه قادراً عليه فالضّمير «مثلهم» راجع إلى الإنسان ولفظ المثل إشارة إلى كلّ ما هو مماثل له في الحقيقة النوعية أعم من أن يكون المراد منه هذه الأفراد الّتي تحقق وجودها أولا في الدّنيا أو غيرها، فاذا ثبت انّه تعالى قادر على خلق العالم الكبير تحقّق كونه جلّ وعلا قادراً على ما هومثله وهوالإنسان الصّغير، والعالم الصغير مطلقاً في أىّ وقت أراد ابتدآئيّاً كان أو إعاديّاً.

٧ـ قيل: إن المراد بـ «مثلهم» هم وأمثالهم. ٨ـ قيل: اريد بـ «مثلهم» هم أنفسهم بنحوالكناية على حدّ قولهم: مثلك غنيّ عن كذا أى أنت غنّى عنه ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمّل انّ السّياق بصدد بيان بعثهم يوم القيامة للحساب والجزآء لابصدد خلق الكون والسّموات والأرض، ولا خلقهم وأمثالهم... ولا بعث السّموات والأرض وهم يعادون ويبعثون عين ماكانوا في الحياة الدّنيا. ٩ـ قيل: أى مثل هؤلآء المشركين باعادتهم يوم القيامة للحساب والجزآء أى فليس إعادتهم من العظام الرميم أعظم من خلق السموات والأرض.

أقول: والأخير هوالمرويّ عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته فانتظر.

٨٢ـ (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

في قوله تعالى: «كن» أقوال: ١ـ قيل: ليس هناك لفظ «كن» يتلفّظ به، وإلّا احتاج في وجوده إلى لفظ آخر فيلزم إمّا الدّور وإمّا التّسلسل، ولا أنّ هناك مخاطباً ذاسمع يسمع الخطاب فيوجد به لإدّائه إلى الخلف، فـ«كن» تمثيل لتأثير قدرة الله تعالى في مراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور من غيرامتناع ولا توقّف ولاإفتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعاً لمادّة الشبهة، تمثيل لإفاضته جل وعلا وجود الشّئ من غير حاجة إلى شئ ورآء ذاته المتعالية، ومن غير تخلّف ولامهل، وفيه إخبار عن سهولة الفعل على الله عزوجلّ بأنّه إذا أراد فعل شئ فعله بمنزلة ما يقول للشئ: تكوّن فيتكوّن ويحدث فوراً بلا تأخير. فالمعنى: إذا أراد تعالى شيئاً أن يكوّنه، فيكون، فعبّر عن هذا المعنى بـ«كن» لأنّه أبلغ فيما يراد، فليس هنا قول، وإنما هوإخبار بحدوث ما يريده تعالى.

٢ـ قيل: انّ هناك لفظ «كن» بتفويض الأمر وحقيقته إلى الله تعالى، فذرأ الخلق بكلمة «كن» وبها يعيده، فالبداية والإعادة لديه جلّ وعلا بمنزلة سوآء. ٣ـ قيل: إنّ المعنى: إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول من أجله: «كُن فيكون» فعبّر عن هذا المعنى بـ«كن» ٤ـ قيل: إنّ هذا إنّما هوفي التحويلات كقوله تعالى: «كونواقردة خاسئين» الأعراف: ١٦٦).

٥ـ عن على بن عيسى: إنّ الأمر: «كُن» هيهنا أفخم من الفعل، فجآء للتّفخيم والتّعظيم قال: ويجوز أن يكون بمنزلة التّسهيل والتّهوين، فإنّه إذا فعل شئ فعله بمنزلة ما يقول للشّى: «كن فيكون» في الحال فليس هنا قول في الحقيقة. فإيجاده تعالى شيئاً ليس متوقفاً إلّا على تعلق الإرادة بالمقدور، فالغرض من الأمر بالوجود هونفس الوجود، فإذا أراده فانّما يتكوّن، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، فشبّه حال هذا المتكوّن بحال المأمور المطيع الّذي يؤمر فيمتثل لايتوقّف ولايمتنع ولايأبى، فشيئّية الشّئ إنّما تتوقّف على تعلق الإرادة به، وأما قبل ذلك فلا شئ.

أقول: والأول هوالمروىّ عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٨٣ـ (فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شئ وإليه ترجعون)

في قوله تعالى: «ملكوت كلّ شيْ» أقوال: ١ـ عن قتادة: ملكوت كل شئ: مفاتيح كلّ شئ. ٢ـ قيل: الملكوت: الملك التامّ. ٣ـ قيل: أى مقاليد السموات والأرض. ٤ـ قيل: ملكوت كل شئ: ما يقوم به ذلك الشئ من عالم الأرواح والملآئكة. ٥ـ قيل: إنّ المراد بالملكوت الجهة التّالية لله تعالى من وجهى وجود الأشيآء والمراد بالملك الجهة التّالية للخلق أوالأعمّ الشّامل للوجهين.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسرين.

وفي قوله تعالى: «وإليه ترجعون» أقوال: ١ـ قيل: خطاب لهؤلاء المشركين المستكبرين المكذبين بالوحى والرسالة والمنكرين للبعث والاعادة. ٢ـ قيل خطاب للمؤمنين. ٣ـ قيل: خطاب لعامة النّاس من المؤمن والكافر، من المشرك والموحّد، ومن المخلص والمنافق....

أقول: والأوّل هوالمؤيّد بظاهر السّياق وعليه أكثر المحققّين من المفسّرين. والله جل وعلا أعلم.

﴿التفسير والتأويل﴾

١- (يس)

واعلم أنّ أوّل ما تقرأ أو تسمع من هذه السّورة المباركة ـ بعد البسملة ـ خطاب الله جل وعلا لأشرف أنبيائه وسيّد رسله محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم لاستفاضة ماورد من الرّوايات عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: أن كلمة مقدّسة «يس» إسم من أسمآء النّبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول الله عزّوجلّ لرسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم: أيّها الإنسان الكامل الّذي خلقتك كاملاً، فوُلدتَ كاملاً، وعشتَ أربعين عاماً كاملاً فبعثتك من أعلى افق الكمال رسولاً لكمال الخلق كلّه، لأنّى خلقت العالم للكمال وأنت نقطته ونواته وقطبه ومحوره فيدور عليك الكمال كلّه، فمنك يبتدئ الكمال في نظام الكون ونواميس الوجود، وإليك ينتهى الكمال في عالم التّشريع والتّدوين.

يا سيّد الأنبيآء والمرسلين من الأوّلين والآخرين! إنّك بلغتَ في السيادة مبلغاً لم يبلغه أحد غيرك من المخلوقين، لأنّى جعلتك قلب عالم الإمكان، ولذلك جعلت هذه السّورة المباركة قلب القرآن الكريم لافتتاحها بإسمك، فاجمعت اصول الحقائق والمعارف والحكم والأسرار وأعراقها... ولاريب أن القلب خلاصة كل ذى قلب وان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان خلاصة المخلوقات، وكان خلقه القرآن الّذي نزل على قلبه، ولذلك اطلق على «يس» أنّه قلب القرآن و يا أيّها السامع الوحى!

٢ـ (والقرآن الحكيم)

أقسم الله جل وعلا بالقرآن الحكيم على صحّة رسالة رسوله الخاتم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم كما أقسم على كمال عقله بقوله عزّوجلّ: «والنّجم إذا هوى ماضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى» النجم: ١ـ ٣).

أقسم تعالى على صحّة رسالة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم بالقرآن المحكم الّذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة: «وإنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت: ٤١-٤٢) المحكم الّذي لا يتعرّض لبطلان ولا تناقض ولا اختلاف ولا تحريف ولا يد دسيسة: «أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النسآء: ٨٢) «إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون» الحجر: ٩) المحكم الّذي أحكم في نظمه وسياقه، في اسلوبه ومعانيه، في اصوله ومبانيه، في فروعه وأحكامه، وفي بيّناته وحججه ودلائله وبراهينه... المحكم بكل مافيه، ليس فيه باطل ولا يلحقه خلل: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١) «الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» الكهف: ١).

هذا القرآن حكيم نزل من عندالله العزيز الحكيم على النبي الكريم الحكيم لتعليم النّاس الحكمة: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» آل عمران: ٥٨) «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» الزمر: ١) «وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل: ٦) «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون» البقرة: ١٥١).

هذا القرآن هو نفس الحكمة الإلهيّة النّازلة على أشرف الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين: «ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة» الأسرآء: ٣٩) هوالحكيم الّذي عظيم شأنه، فخيم قدره، نبيل منزلته، كثير فوائده ومنافعه، وكبير خواصّه وآثاره في النّفوس والأفكار، في القلوب والأبصار، في المجتمع والأفراد، وفي نظام

الكون ونواميس الوجود كله: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله» الحشر: ۲۱).

هذا القرآن الحكيم ينبغى أن يحكم به بين النّاس في جميع شئونهم: «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» النسآء: ۱۰۵) حكيم يليق أن يجعله الناس حاكماً عليهم في أمر دنياهم وآخرتهم: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله۔ أفحكم الجاهليّة يبغون ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون» المائدة: ٤٩۔ ٥٠) «أفغيرالله أبتغي حكماً وهو الّذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً» الأنعام: ١١٤) «وكذلك أنزلناه حكماً عربياً» الرعد: ۳۷).

وذلك انّ القرآن الحكيم نزل لتعليم الخلق وهدايتهم إلى الصّراط المستقيم إذ فيه نقاوة علم جميع الأنبيآء والمرسلين، وفيه غاية معارف الأوّلين والآخرين، وفيه نهاية حِكَم الماضين والآتين، وفيه ثمرات أنظار العلمآء والمحقّقين إلى يوم ظهور المهدى معين الدّين ومحييه عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحيّات الخلق أجمعين وفي كلّ سورة من سوره باب حكمة الله جلّ وعلا الّتي لم يرمثلها عيون أعيان الآدميين، وفي كلّ آية من آياته نور يستضآءُ به سبيل حضرة ربّ العالمين: «واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به۔ ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً وما يذّكّر إلّا أُولوا الألباب» البقرة: ۲۳۱ و ۲٦۹).

۳۔ (إنك لمن المرسلين)

إنك يا محمد لمن المرسلين الذين اصطفيناهم بوحينا للنبوة والرسالة إلى عبادنا: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنه لاإله إلّا أنا فاعبدون» الأنبياء: ۲٥) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم إنك لرسول من الحق إلى الخلق، وان الآية الكريمة وما قبلها في معنى قوله تعالى: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين» البقرة: ۲٥۲) وقوله عزّوجل: «يا أيها الناس قدجآءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا

خيراً لكم» النسآء: ١٧٠) وفي الآية ردّ على إنكار المشركين المستكبرين بقولهم في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : «لستَ مرسلاً» الرعد: ٤٣) بعد ما كانوا يقسمون بالله تعالى لوجآءهم رسول من الله عزّوجلّ لآمنوا به: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الامم فلمّا جاءهم نذير مازادهم إلّا نفوراً إستكباراً في الأرض» فاطر: ٤٢- ٤٣).

وهذه الشهادة من الله عزّوجلّ من جملة ما اشير إليه بقوله تعالى من جوابهم: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم» الرعد: ٤٣) «وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً» النساء: ٧٩).

٤- (على صراط مستقيم)

يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم إنك على نهج قويم، على شرع مستقيم، على طريق واضح، وعلى دين متين وهو الاسلام الذي يؤدّي بسالكه إلى الحق والكمال، إلى الخير والصلاح، إلى السعادة والفلاح، وإلى الجنة والرضوان، دين لاعوج فيه ولا انحراف، دين لاإلتواء ولاميل عن الحق في هذا الصراط، دين لاغموض ولاالتباس فيه، ودين لايميل مع الهوى ولا ينحرف أبداً فلا تعقيد فيه، ولا لف ولا دوران، ولا تعقد الامور ولا توقع في إشكالات من القضايا والتصورات والأشكال... وإنما هذا الصراط هو الرسالة وطبيعتها الإستقامة تصدع بالحق في أبسط صورة من صوره وأعراها عن الشوآئب والأخلاط، وأغناها عن الشرح وتفصيص العبارات وتوليد الكلمات، ويدرك منها ما تستقيم به حياته ونظامه وروابطه في يُسرٍ ولين، وهي مستقيمة مع فطرة الكون ونواميس الوجود، وطبيعة الأشيآء والأحيآء حول الانسان، فلا تصدم طبائع الأشيآء...

إنّما هي مستقيمة على نهجها متناسقة معها، وهي مستقيمة على الطريق إلى الله جل وعلا واصلة إليه، موصلة به، لايخشى تابعها أن يضلّ عن خالقه، ولا أن يلتوى عن

الطريق إليه تعالى، فهو سالك ينتهي بها إلى الله عزّوجل الخالق العظيم، وان القرآن الحكيم هو دليل هذا الصراط المستقيم، وحيثما سار الانسان معه وجد هذه الاستقامة في تصويره للحق، وفي التوجيه إليه، وفي احكامه الفاصلة في القيم، ووضع كل قيمة في موضعها الدقيق.

إن الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «فاستمسك بالذي اوحى إليك إنك على صراط مستقيم» الزخرف:٤٣) وقوله عزّوجلّ: «وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقوم يذّكّرون لهم دارالسلام عند ربهم وهو وليّهم. قل انني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً» الأنعام:١٢٦-١٢٧و١٦١) وقوله جل وعلا: «وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم» المؤمنون:٧٣) فمن اتبعه فقد اهتدى، ومن اتخذ سبيلاً غير سبيله فقد ضلّ وهلك.

٥- (تنزيل العزيز الرحيم)

يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم إن هذا القرآن الحكيم الّذي نزّله الله جل وعلا إليك نجوماً في مدى ثلاث وعشرين سنة على الأحداث لتكون الأحكام آتية على وفق الحوادث الواقعة في الكون، فتكون تثبيتاً لايمان المؤمنين وإتماماً للحجة على الآخرين، هوتنزيل من عند العزيز الرحيم لامن عندك ولا من عند قوم آخرين، فليس من كلام بشر أيّاً كان: شاعراً أم كاهناً، حكيماً او عالماً، ولست أنت بشاعر ولا ما نزّل إليك شعراً هو من عند العزيز الغالب القاهر غير المغلوب، هو الّذي ينتقم ممن كفر به وكذّبه، وهو الرحيم الذي يرحم من تاب وآمن به.

قال الله عزّوجلّ: «وقرآناً فرقناه لتقرأهُ على الناس على مُكث ونزّلناه تنزيلاً» الاسراء:١٠٦).

ومن البداهة أن الله عزوجل بعث من نوع البشر نفوساً مقدّسة وهي نفوس الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين من الملأ الأعلى، كل منها كتاب مبين مشتمل

بحسب ما أودعه الله تعالى فيه على حقائق العالمين وأسرار النشأتين، وخلاصة ما في الملك والملكوت، ونقارة ما في العالم الجبروت، واصطفى من بينهم كلمة جامعة إلهية ونوراً ربّانياً ثبت فيه جوامع الكلم، وأودع فيه مجامع الحكم: «هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» الجمعة: ٢).

وقد كان ذات محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم «يس» وخلقه القرآن الكريم وهو من المرسلين على صراط مستقيم مع تنزيل العزيز الرحيم، فتمّ له الملك والملكوت، وكمل له الخلق فى الأمر: «فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون» :يس: ٨٣) فجعل نسخة وجوده وسيلة لنجاة الخلق من عالم الجهل والظلمات، من عالم الانحطاط والضلالات، ومن عالم الفساد والغفلات... وان القرآن الحكيم النازل عليه هوبرآءة العبد من عذاب السّيئات، وجعل الإقتدآء بنور صراط العزيز الحميد، والإهتدآء بهداه سبيل الوصول إلى جنابه المجيد: «كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» إبراهيم: ١).

٦- (لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون)

يا أيّها النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم إنا اصطفيناك رسولاً وأوحينا إليك هذا القرآن الحكيم لتخوّف به مشركي العرب وعبدة الأوثان، بأس الله تعالى وسطوته أن يحلّ بهم على شركهم بالله سبحانه وكفرهم، على عنادهم وطغيانهم، وعلى لجاجهم وعصيانهم، ما أتاهم من نذير قبلك من أنفسهم: «بل هوالحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون» السجدة: ٣) «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سبأ: ٤٤) فهؤلاء المشركون المستكبرون غافلون عن الله جل وعلا وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وعن وعيده، وغافلون عن معرفة الشرائع التى فيها الخير والكمال، فيها الصلاح وسعادة البشر، وفيها النجاة من الانحطاط والفساد، ومن الهلاك

والدمار... قال الله تعالى تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» الروم: ٧).

وقال: «وإنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون» يونس: ٩٢). فتأمرهم بالتّوحيد والإخلاص والفضائل وتنهاهم عن الشرك والكفر والرذائل... ولا يخفى على القارئالخبير أنّ ذكر مشركي العرب وحدهم لاينفي من عداهم كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم-فإن اثبات شيئ لا ينفي ماعداه-وقدتقدّم ذكرت الآيات الكثيرة والروايات المتواترة في عموم بعثة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله تعالى: «واوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» الأنعام:١٩).

وقال: «وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً» سبأ:٢٨).

وقال: «قل يا ايها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف:١٥٨).

وقال: «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الأنبيآء:١٠٧).

٧- (لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لايؤمنون)

لقد تحقق وثبت وحكم ووجب وقضى أزلاً على أكثر هؤلاء المشركين ومن سلك مسلكهم إلى يوم القيامة بالسخط والعذاب، واستحقاق الهلاك والدمار، والذلّة والهوان في الحياة الدنيا، وباستحقاق العقاب وإدخالهم النار والعذاب في الآخرة فهولاء المشركون وأذنابهم في الأعصار لايؤمنون بالله جل وعلا ولا برسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ولا بكتابه ولا بإنذاره ولا بولاية أهل بيت النبوة عليهم أفضل صلوات الله تعالى وأكمل تحياته ولا باليوم الآخر والحساب والجزآء ولكن لابطريق الجبر والإلجآء، بل بسوء إختيارهم وخبث سريرتهم، وإصرارهم على الكفر والعناد، على الشرك واللجاج، وعلى الجرم والفساد.... وهذا لايمنع من الرسالة ونزول الوحي، ولا يوجب أن يتركوا سدىً، ولا يمنع من اختيارهم، وقد ثبت أن الامتناع بالاختيار لاينافي الاختيار، فهم يموتون على الشرك والطغيان، وعلى الكفر والعصيان وقد حقت عليهم كلمة العذاب التي لا تتبدّل، تكلّم بها الله عزّوجل في بدء الخلقة مخاطباً بها لإبليس لعنه الله تعالى: «فالحق

والحق أقول لأملئنّ جهنّم منك و ممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٤-٨٥).

وان المراد بتبعيّة الأتباع لابليس طاعتهم له فيما يأمرهم به بالوسوسة والتسويل بحيث تثبت الغواية وترسخ في النفوس... كما أشار إليه قوله سبحانه خطاباً لإبليس: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين» الحجر: ٤٢-٤٣) ومن لوازمه الشرك والطغيان، والبغي والاستكبار على الحق كما أشار إليه ما يحكيه الله جل وعلا من تساؤل التابعين والمتبوعين في النار: «بل كنتم قوماً طاغين فحقّ علينا قال ربّنا إنّا لذآئقون فأغويناكم إنّا كنّا غاوين» الصافات: ٣٠-٣٢) وقوله عزّوجلّ: «وسيق الذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين» الزمر: ٧١).

ومن لوازمه الانهماك في متاع الدنيا وشهواتها، والغفلة عن الآخرة وجزائها بالمرّة ورسوخ ذلك في نفوسهم...

قال الله عزّوجل: «ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة وأنّ الله لايهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون» النحل: ١٠٦-١٠٨) وقال جل وعلا: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِيَ الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون» مريم: ٣٩).

وقال تعالى: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩)

ومن آثار الانكباب على الدنيا وحبّ شهواتها، الغفلة عن الله جل وعلا وآياته، وعن الآخرة وحسابها، ومن آثار الغفلة طبع القلوب، ومن آثاره أن لاسبيل لهم إلى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم فان نفوسهم محجوبة عن الهدى، مشدودة

عن رؤية دلائله أو استشعارها.

قال الله سبحانه: «إن الذين لايرجون لقآئنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ـ إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لايؤمنون» يونس: ٧و٩٦).

٨ـ (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مُقمحون).

إنا جعلنا في أعناق هؤلآء المشركين الغافلين الفجرة، وهؤلاء المجرمين الباغين الكفرة ومن سلك مسلكهم إلي يوم القيامة، بسبب شركهم وكفرهم ولجاجهم وعنادهم أغلالاً ـ معنوياً ـ في هذه الحياة الدنيا، بحيث كانت أيديهم مع الأغلال ـ جمع غلّ وهو ما تشدّ به اليد إلى العنق للتعذيب والتشديد ـ واصلة أذ قانهم ـ جمع ذقن وهي ملتقى الفكّين الأسفلين ـ ملتصقة بها، فهؤلآء السفلة الظلمة الجهلة من جرآء ذلك «مقمحون» مرفوعو الرؤس...

وذلك أنهم بسوء إختيارهم، ولفساد إستعدادهم بالشرك والضلالة، والكبر واللجاجة غاضوا أبصارهم لايلتفتون إلى الحق ولا يعطون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤسهم له، فكأنّهم قد ملأت الأغلال مع أيديهم ما بين صدورهم إلى أذقانهم، فبقيت رؤسهم مرفوعة إلى السمآء لايتأتّى لهم أن ينكسوها فينظروا إلى ما بين أيديهم من طريق الهدى والرشاد، طريق الحق والفلاح، طريق الخير والكمال، وطريق الصلاح والنجاة فيعرفوها، ويميّزوها عن غيرها، فهم على تلك الحال الشنيعة وإصرارهم عليها لايستطيعون أن يحرّكوا رؤسهم يميناً وشمالاً أو إلى تحت أو فوق، فجعلناهم على ما كانوا عليها فبقوا مرفوعي الرؤس... وذلك ان طوق الغل الّذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجاً من الحلقة إلى الذقن، فلا يمكنه من أن يطاطئ رأسه فلايزال مقمحاً لايستطيع خفضه.

وبعبارة اخرى: أنّ هؤلاء المشركين المستكبرين كانوا رافعي رؤسهم، وأيديهم

موضوعة على أفواههم، فهم مغلولون عن كل خير وصلاح، عن كل سعادة وفلاح، وعن كل رشاد وكمال إذ كانوا رافعين رؤسهم، غاضّين أبصارهم بحيث لايكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته، كل ذلك لتمرّدهم على الحق، وفسادهم في الأرض، فكأنهم سلبوا الاختيار عن أنفسهم بذلك، وهذا من أظهر مصاديق: الإمتناع بالاختيار لاينافي الاختيار.

٩ـ (وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون)

وجعلنا ـ مع ماذكر ـ من أمامهم سدّاً عظيماً عن الحق والهدى، ومن ورآءهم سدّاً كذلك، فهم بين السدّين يتردّدون في الضلالات والجهلات والغفلات... فغطينا بهذين السدّين العظيمين المحيطين بهم أبصارهم عن الحق والهدى، عن الخير والرشاد، وعن الفلاح والكمال... «ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الأنعام: ١١٠) «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون» النحل: ١٠٨) «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لايستطيعون سمعاً» الكهف: ١٠١) «وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنّ في اذنيه وقراً» لقمان: ٧) فجعلنا بعد ذلك كلّه على أبصارهم غشاوة «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ـ وتركهم في ظلمات لايبصرون صمّ بكم عمي فهم لايرجعون» البقرة: ٧ و ١٧ـ ١٨).

قوله تعالى: «فهم لايبصرون» لايقدرون بسبب ما ذكر على إبصار شيء ما أصلاً، ولايهتدون إليه أبداً، إذ زُيّن لهم سوء أعمالهم وعقائدهم وأقوالهم، واعجبوا بأنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق، وشمخوا بانوفهم ولم يخضعوا لما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم فصدّوا أبواب النظر عما ينفعهم، ولم يقبلوا شيئاً سوى ما كانوا هم عليه، فمثلهم مثل من أحاطه سدّان عظيمان من أمام وخلف، فحجباه عن النظر، فهو لايبصر شيئاً، فهم محبوسون في سجن الجهالة والغفلة، وفي لجّة الضلالة والحيرة، ممنوعون عن

النظر في دلائل الأنفس والآفاق، وفي نظام الكون ونواميس الوجود، محرومون عن التأمّل فيما حلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية،والتفكرفي العواقب المستقبلة، كل ذلك وجدت بسوء اختيارهم كمن أوقع نفسه في بئر عميقة لانجاة له منها.

فاحتجبت قلوبهم بالشرك والعناد، وقست بالرين المستفاد من اكتساب الرزائل النفسانية الحاصلة من إرتكاب المعاصي ومباشرة الأفعال السبعية والبهيمية ومزاولة المكايد الشيطانية حتى رسخت الهيآت الغاسقة والملكات المضلّة وارتكمت على أفئدتهم، فبقوا تايهين في تيه الجهالة والغفلة وظلمات الحيرة، فلا ينجح فيهم الإنذار إذ سدّت عليهم الطرق، وأغلقت عليهم الأبواب، لأن القلب هوأصل الأبواب فقد ختم وقسى وعمى: «فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» الحج:٤٦) «ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصّمّ ولوكانوا لايعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولوكانوالا يبصرون» يونس: ٤٢-٤٣).

وكذا السمع والبصر اللذان هما بابان للفهم والإعتبار للانسان، وقد حرموا عن جدوا هما لامتناع نفوذ المعنى منهما إلى القلب المختوم، فاعرضوا عن الحق بحسب الإرادة والكسب وسوء الاختيار لآفة ومرض قد طرئت على نفوسهم وغيرتها عما جبلت عليه.

وأما سبب الإعراض عن الحق فكثيرة كلها يندرج تحت ثلاثة امور كما قيل: رؤساء الشياطين أو مداخل الشياطين ثلاثة: ١ـ شوائب الطبيعة. ٢ـ وساوس العادة. ٣ـ نواميس الأمثلة.

أما الاولى: فهي عبارة عن دواعي الطبيعة وشهوات النفس والهوى المشار إليها في قوله تعالى: «زيّن للناس حبّ الشهوات من النسآء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا» آل عمران: ١٤) «بل زيّن للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل» الرعد:٣٣) وهي كلها حجب وأغطية على القلوب إذا استغرقت فيها واستحكمت تصير غشاوة وطبعاً ويناً على مرآة القلب وعمى على عينه ووقراً على اذنه: «فأغشيناهم فهم لايبصرون» «وان

تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون» الأعراف:١٩٨) ومنشأ هذا القسم هوقوّة الطبع والحسّ. وذلك ان السمع والبصر وغيرهما من المدارك التي يمكن بها إدراك الامور الآخرة ليست هذه الظواهر المادية التي اشتركت فيها سائر الحيوانات مع الانسان، بل هذه قشور وملابس على تلك الحواس التي تدرك بها الحقائق والمعارف والأسرار والحِكَم وامور الآخرة كما أن مدركات هذه المشاعر قشور وقبور وحجب على مدركات تلك المشاعر وهي الصور الموعودة في الجنان المستورة عن أعين الخلائق من الإنس والجانّ إذ قال الله عزّوجل: «فلا تعلم نفس ما أُخفِيَ لهم من قرّة أعين جزآءً بما كانوا يعملون» السجدة:١٧) وإدراكها متوقف على نزعها من القشور وإخراجها عن موادّها التي هي كالقبور: «كلاّ انها تذكرة فمن شاء ذكره» عبس: ١١-١٢) وانّمايتذكّراولوا الألباب والأبصار، فمن نظروتفكراعتبر ومن إعتبرعبر.

وأما الثانية: فهي تسويلات النفس الأمّارة بالسوء وتزيينها الأعمال الفاسدة، وترويجها العقائده الباطلة، وتصويرها الآرآء الواهية بصورة الحق، ومنشأها قوّة الخيال والوهم بوساوس الشيطان: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون» الزخرف: ٣٦-٣٧) «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً» الكهف:١٠٣-١٠٤) «فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٣٠).

وأمّا الثالثة: فهي عبارة عن اتباع عامّة الناس لأهل الضلال والفساد من الرؤسآء والملوك والحكّام والآبآء والمشاهير من أهل الشهوات واللذّات، وعن تقليدهم من علمآء السوء المشهورين بالفضل والدراية الّذين يشترون الدين والشرافة بالدنيا والشهرة، فيجيبون دعوتهم الكاذبة، ويتبعون آرآئهم الفاسدة، ويقتفون بدعهم وآثارهم المغوية المضلّة، وهذه سدود عظيمة وحجب ضخيمة وقعت على أكثر الناس في طوال الأعصار.. وخاصّة في زماننا هذا.

قال الله عزّوجلّ: «وقالوا ربنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراؤنا فأضلّونا السبيلا ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً» الأحزاب:٦٧-٦٨).

وقال: «وقال الذين كفروا ربنا أرنا الّذَين أضلاّنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» فصّلت: ٢٩) وقال: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون» البقرة: ١٧٠).

وقال: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلا تحسبّنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران:١٨٧-١٨٨) وقال في وعّاظ السلاطين والحكّام الجابرة: «ألم ترإلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلآء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً» النسآء: ٥١)

فهؤلآء المشركون المستكبرون ومن سلك مسلكهم غلّقت عليهم الأبواب وسدّت عليهم الطرق بسوء إختيارهم، فليست لهم قوّة نظرية لإدراك المعقولات الالهية ولاسلامة قلب في تلقّي السمعيات الدينية...

هذه حالهم في الحياة الدنيا، وهي التي تتجسّم في الدار الآخرة لأن الله عزّوجلّ يوثقهم في الأغلال والسلاسل كما قال: «خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» الحاقة: ٣٠-٣٢) وقال: «إذ الأغلال في اعناقهم والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النّار يسجرون» غافر: ٧١-٧٢) وقال في السّدّ الّذي جعله لهم فلايبصرون: «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» الحديد:١٣) وقال: «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصُمّاً» الاسراء:٩٧).

ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى البصيرة فهو يحشر يوم القيامة أعمي البصر:
قال الله عزّوجل: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً» الاسراء: ٧٢).

وقال: «ومن أعرض عن ذكري فانّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» طه: ١٢٤-١٢٦).

١٠- (وسوآء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)

ويستوي يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم على هؤلآء المشركين الغافلين وهؤلآء المجرمين الجاهلين ومن يسلك مسلكهم إلى يوم القيامة أخوّفتهم بما جاء في القرآن الحكيم من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين أم لم تخوّفهم بالعذاب والعقاب، انهم لايؤمنون بالله تعالى ولابرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ولا باليوم لآخر ولا بولاية أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين لأنهم مصرّون على الشرك والضلال، على التكبّر والعناد، على الجهل والفساد، وعلى الغفلة واللجاج...

قال الله تعالى: «وهم في غفلة وهم لايؤمنون» مريم: ٣٩).

وقال: «الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين -وإن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون» الأعراف: ١٤٦ و ١٩٣).

وذلك انهم لايريدون أن يؤمنوا إذ خبثت نفوسهم وسآء إستعدادهم، وغُشّيَتْ أبصارهم، فخسروا أنفسهم، فلا تؤثّر فيهم الموعظة والنصيحة من أيّ شخص تقال أو تصدر، فانّهم لايفهمون إلّا بلغة الشهوة والاستعباد والغلبة والمنفعة الفردية: «قالوا سوآء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين» الشعراء: ١٣٦) «الذين خسروا أنفسهم فهم

لايؤمنون» الأنعام: ١٢).

نعم ما قال الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَدٍ ... وينكر الفم طعم الماء من سَقَمِ

١١ـ (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم)

يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لاينفع إنذارك بالقرآن الكريم إلّا مَن آمن به وتدبّر فيه، وطلب الهدى ودين الحق بايمان واخلاص، واتبع ما فيه من الحقائق والمعارف، من المواعظ والحِكَم، ومن الدلآئل والأحكام... وخشي الرحمن في كل حال وإن كان لايراه جل وعلا خافه حين يغيب عن أبصار الناظرين ـ لا كالمنافق الذي يستخف بدين الله سبحانه إذا خلا، ويظهر الايمان في الملأ، ولا كالمشرك الذى قد طبع الله تعالى على قلبه ـ وخاف عقاب الله عزّوجلّ قبل حلوله ومعاينة أهواله...

قال الله عزّوجلّ: «وننزّل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً» الاسراء: ٨٢) إن القرآن الكريم شفاء ورحمة للحيّ لا الميت كما أن الدواء دوآء للحي جسماً. وقال: «ولا تسمع الصمّ الدعآء» الأنبياء: ٤٥).

وقال: «أفأنت تسمع الصّمّ ولو كانوا لايعقلون» يونس: ٤٢).

وقال: «أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لايبصرون» يونس: ٤٣) حيث ان أصحاب الحجاب الكلي سلب عنهم السمع الباطني الذي هو غاية السمع الحسّي وهو فهم المقاصد، وتعقل المطالب، وانهم لايبصرون إلّا بقدر ما يراه بصر الدواب والأنعام من الصور والأشكال، وهيئات الأجسام وهم «صمّ بكم» من إدراك المعارف «اولئك كالأنعام بل هم أضلّ» الاعراف: ١٧٩) «إن شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لايعقلون» الأنفال: ٢٢) فاذا ماتت القلوب تسدّ المنافذ والآلات فلا يجديهم سماع القرآن ولادراسة الكتاب الحديث، فلا يشفيهم القرآن ولا يروى غليلهم لأنهم أهل الحجاب الذين حقت عليهم كلمة العذاب وغلقت عليهم الأبواب، فالقرآن الكريم ينذر أو ينذر

به رسول الله وأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين والعلماء العاملون الناس الذين استعدّوا للحياة الروحية ولفهم المعارف الإلهيّة، مؤمنين بالله تعالى وبالآخرة من غير إنحراف عن سنن الحق.

قال الله تعالى: «إنّما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة» فاطر:١٨).

وقال: «وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع» الأنعام:٥١)

وقال: «إنّما أنت منذر من يخشاها كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحيها» النازعات:٤٥-٤٦).

ولا يخفى أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان نذيراً للعالمين: «تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان:١) «قل يا أيها الناس إنّما أنا لكم نذير مبين» الحج:٤٩) وقد حصل الإنذار للجميع، وأما الإنتفاع فلمن انتفع به.

وقد ورد كثيراً أن مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام هو الذكر كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ذكراً إذ قال الله تعالى: «قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات» الطلاق:١٠-١١) ولذلك كان أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام أهل الذكر على ما ورد عن الفريقين مستفيضاً أوردناه في سورتي النحل:٤٣) و الأنبياء:٧) فراجع. وأمّا كونه عليه السلام ذكراً فباعتبار أنه كان قرآناً ناطقاً والقرآن هو الذكر: «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» الزخرف:٤٤).

فالمعنى: فلا يؤثّر إنذراك بالقرآن الصامت ولاينتفع به إلاّ من آمن بالقرآن الناطق واتبعه، وهو الامام المبين الذي سيأتي ذكره، ولايؤمن به ولايتبعه إلاّ من خاف الله عزّوجلّ على كل حال.

وقوله تعالى: «فبشّره بمغفرة وأجر كريم» فبشّر يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم هذا التابع المؤمن الخائف الراجي بمغفرة واسعة لما فرط منه من الزلاّت، وأجر كريم لايكتنه

كنهه، وثواب حسن كثير في الجنّة ونعيم مقيم لايستطاع وصفه مما لاعين رأت ولا أُذُن سمعت، ولاخطر على قلب البشر كقوله تعالى: «إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير» الملك: ١٢) الذين حسنت نياتهم وصدقت رغباتهم في الحقّ والهدى واستشعروا بخوف ربهم على كل حال، فآمنوا به واتبعوا قرآنه، فاستحقوا مغفرته وأجره الكريم.

ولايخفى ان «الله والرحمن» إسمان علمان لقوله تعالى: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى» الاسراء: ١١٠) ولكن «الله» إسم ينبئ عن الهيبة والجلالة و«الرحمن» ينبئ عن الرحمة والعاطفيّة «وخشي الرحمن» في الجمع بين الخشية والرحمة نكتة وهي أن الخشية تناسب صفة القهر والغلبة، فذكر «الرحمن» تنبيه على ايجاد الرجآء في الانسان، فلولم يذكر «الرحمن» ييأس الإنسان، فنبّه بذكر الرحمن كون الإنسان بين الخوف والرجآء.

١٢ـ (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدّموا وآثارهم وكل شيً أحصيناه في إمام مبين)

إنّا بقدرتنا وعظمتنا، وبعلمنا وحكمتنا نحيي الموتى جميعهم: المؤمن والكافر، العالم والجاهل، الذكر والأنثى، والأسود والأبيض يوم القيامة للحساب والجزآء، ونكتب ما أسلفوا من عقيدة حقّة أو باطلة، من نيّة حسنة أو سيّئة، من صدق قول أو كذبه، ومن عمل صالح أو فاسد قبل موتهم، ونضبط آثارهم مما تركوا من أثر حسن بعدهم وسنّة حسنة أو سيّئة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيئاً، ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها وزر من عمل بها من بعده لاينقص من أوزارهم شيئاً» ثم تلا: «ونكتب ما قدّموا وآثارهم» التي تبقى وتذكر بعده من خير أو شر، من صالح أو فاسد ومن حق أو باطل يجازى عليها.

فالآثار الحسنة من علم ينتفع به أو تكوين جيل تغرس فيه معارف الاسلام

ومبانيه، وأحكام الاسلام وحقائقه غرساً صحيحاً، أوتأسيس بناء نافع كمسجد أو مدرسة دينية او مستشفى، أوبقعة خير أو عمل خيريّ باق وما إليها من الصالحات، والآثار السيّئة كدعوة إلى كتاب مضلّ أو مقالة فاحشة، أو إلى التحلل في الأخلاق كما نرى من بعض كبار الكتّاب في الممالك المستغربة يصفون لياليهم الحمرآء العابثة، وهم في موضع يقلدهم فيه الشباب المغرور بهم، وكاختراع ألحان أوتأسيس ملاه أوعمل على نشر السوء بأيّة وسيلة من الوسائل العامّة أو الخاصة، أوبدعة في الدين والتشكيكات الواهية في اصول الدين والدّسّ في الفروع وما إليها من الطالحات...

فقوله تعالى: «ما قدموا وآثارهم» بيان السبب، هوالموجب للعقاب من غير ظلم ولا جور بأن كل من فعل مثقال ذرّة من الخير والشرّ يرى أثره مكتوباً في صحيفة ذاته أو صحيفة أرفع من ذاته في كتاب كما قال تعالى: «وإذا الصحف نشرت» التكوير: ١٠) لايُجلّيها إلّا لوقتها، وإذا حان وقت أن يقع بصره إلى وجه ذاته عند كشف الغطآء، فيرى أعماله مكتوبة: «ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً» الكهف: ٤٩) فكل شئ من الصغير والكبير لا يغادر عن الله عزّوجلّ، فيجازي عليه.

وقد اشير إلى نشر الصحف أيضاً بقوله تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً» آل عمران: ٣٠) فكل أحد يكون بعد كشف الغطآء ورفع الحجاب حديد البصر لقوله عزّوجلّ: «فكشفنا عنك غطآءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٢) فيكون بصيراً بنتآئج أعماله، مشاهداً لآثار أفعاله، قارئاً لصحيفة كتابه، مطّلعاً على حسناته وسيّئاته كما قال تعالى: «وكل إنسان ألزمناه طآئره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» الاسرآء: ١٣) فمن كان من أصحاب اليمين وأهل المعرفة واليقين اوتى كتابه من الجهة التي تناسبه وهي جهة علّيين: «إن كتاب الأبرار لفي عليين» المطفّفين: ١٨) ومن كان من أصحاب الشمال والمنكوسين الفجار والمنهمكين في الشهوات واللذات فقد

اوتي كتابه بشماله وهوعلى صورة عمله: «وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه» الحاقة: ٢٥).

أو من ورآء ظهره: «وأمامَن اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً» الانشقاق: ١٠- ١٢) ويكون كتابه في سجّين: «إن كتاب الفجّار لفي سجّين» المطففين: ٧) لأنه من جملة المجرمين لقوله تعالى: «ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم» السجدة: ١٢).

ثم إن جميع هذه الكتب والصحآئف إنّما تستنسخ من أصل مقدس عظيم هي فروع له وأبواب مأخوذة منه وجداول انشعبت من بحره وهو امّ النسخ وامام الكتب، وهوكتاب عقليّ مبين فيه صور جميع الممكنات على وجه أعلى وأرفع لايمسّه إلّا الملائكة المطهّرون والعقول المقدّسة عن أرجاس عالم الحواس وأدناس الوهم والوسواس، أشار إليه بقوله تعالى: «وكل شئ» من النيات والخطورات القلبية والعقائد والأقوال والأعمال... «أحصيناه في إمام مبين» أي عددنا كل شئ من الحوادث في نظام الكون ونواميس الوجود في كتاب ظاهر الكتابة لأنّ حقائق الأشيآء مسطورة أوّلاً فيه ثم يتفرّع منه العلوم المفصّلة ويتشعّب من بحره أنهار الحقائق والمعارف، وجداول الأحكام والأسرار وهو اللوح المحفوظ، ولوح القضآء الالهي النافذ حكمه في المدارك النفسانية...

وعنده مفاتيح الغيوب التي لايعلمها إلّا الله عزّوجلّ والراسخون في العلم، وعنده خزآئن العلوم والمعارف والحِكَم والأسرار المتعلقة بالحوادث الكآئنة والآتية لقوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّاهو» الأنعام: ٥٩) «وإن من شيْ إلّا عندنا خزآئنه وما نزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ٢١).

فكل شيْ بيّنّاه وحفظناه في أصل عظيم يؤتم به ويتبع ولايخالف، لايغادر صغير ولا كبيرة إلّا أحصاها كقوله عزّوجلّ: «علمها عند ربى في كتاب لايضلّ ربي ولا ينسى» طه: ٥٢) وقوله تعالى: «وكل شيْ فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر» القمر: ٥٢- ٥٣).

ومما تقدّم يظهر للقارئ الخبير المتأمل معنى ماورد: أن الامام المبين هومولى الموحّدين

إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله تعالى وأكمل تحياته إذ كان هو نسخة الوجود كله في نظام الكون.

وقال بعض أصحاب التأويل في تأويل الآية الكريمة: أى ونحيى القلوب الموتى، ونكتب ما قدموا من الأنفاس المتصاعدة ندماً وشوقاً، ونضبط آثار خطا أقدام صدقهم وآثار دموعهم على خدودهم.

١٣ ـ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذجاءها المرسلون)

واضرب يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم لمشركي مكّة ومجرميها، ولمستكبري جزيرة العرب ومفسديها، ومن يسلك مسلكهم الباطل الضالّ المضلّ إلى يوم القيامة، حين يصرّون على تكذيبك عناداً ولجاجاً، جهلاً وغفلة عن جهالتهم وغفلتهم، إضرب لهم أصحاب قرية أنطاكية من قرى الروم وحالهم هذه الحال مثلاً ـ المثل هي الصفة والحال الغريبة الّتي تشبه في الغراب المثل ـ إذ كانوا هم يعبدون الأصنام، إذ جاء اهل قرية أنطاكية رسلنا، فأصرّوا على تكذيب الرّسل عناداً واستكباراً ولجاجاً وجهلاً وغفلة عن جهالتهم وغفلتهم...

١٤ـ (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون)

وذلك حين أرسلنا إلى أهل قرية أنطاكية رسولين من رسلنا ليدعواهم بالتوحيد والطاعة، وينهيا هم عن الشرك والطغيان فكذّبوهما من غير تفكّر ولا تأمّل فيما جاءاهم به، فأيّدناهما وقوّيناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث من عندنا، فجاء الرسول الثالث إلى الرسولين واجتمعوا قال ابن عباس: هم صادق وصدوق (مصدوق خ) والثالث سلوم. فقالوا لأهل القرية: يا أهل القرية إنا إليكم مرسلون من عندربكم الذي خلقكم، فيأمركم بالتوحيد و العبادة له وحده لاشريك له في أصل الوجود، ولا في ايجاد الكون، ولا في تدبير العالم، ولا في العبادة، وينهاكم عن الشرك وعبادة الأصنام...

وقال الآخرون: كان إسم الرسولين: شمعون ويوحنّا وإسم الثالث بولس وكانوا هم رسلاً من جانب عيسى بن مريم عليهما السلام أرسلهم إلى أهل القرية بأمر الله تعالى.

فالمعنى: إذ أرسل عيسى عليه السلام بأمرنا إلى أهل القرية رسولين وهما يوحنا وشمعون (يوحنا وبولس خ) فلّما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهوحبيب النجار فسئلهما عن حالهما، فقالا: نحن رسولا عيسى عليه السّلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، وشفى إبنه المريض إذ مساه فآمن وفشى الخبر في المدينة بأنّ الأبرص والأكمه يشفيان على أيديهما فشكاهما الناس إلى الملك فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون (بولس خ) فدخل متنكّراً وعاش مع حاشية الملك وصار من أصحابه واحتال في ذكر قصّة الرسولين أمام الملك، وقال له: إسمع ما يقولانه، فدعاهما الملك، فحضرا فسئلهما شمعون (بولس خ) فوصف الله بالتوحيد والقدرة وكمال العلم.

ثم أتى بغلام مطموس العينين، فدعوا الله تعالى له فشقّ له البصر فاعترف الملك بأنّ إلهه لايسمع ولايبصر ومضى له سبعة أيّام بدعآئهما، فآمن قوم، وكفر آخرون، وصاح جبرئيل بمن لم يؤمن فهلكوا فكذّب القوم يوحنا وشمعون (بولس خ) فقوّينا بشمعون (بولس خ) فقال يوحنا وبولس وشمعون لأهل القرية: إنا إليكم مرسلون من ناحية عيسى (ع) بأمر الله جل وعلا.

١٥ـ(قالواماأنتم إلّا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيً إن أنتم إلّا تكذبون)

قال أهل القرية متعجّبين لهؤلآء الرسل: كيف اوحي إليكم وأرسِلتُم إلينا وأنتم بشر مثلنا ولم يوح إلينا ولم نرسل إليكم مثلكم؟! فلا تصلحون أنتم لنزول الوحى إليكم ولا للرسالة إلينا كما لا نصلح نحن ، لأننا وأنتم بشر، وان البشر لا يصلح للوحى والرسالة وتحمّل اعباائهما ولوكنتم رسلاً لكنتم ملائكة.

فدخلت عليهم شبهة، كثيراً ما تمسّك بها المكذبون للرسل من الامم الماضية، ومن

مشركى مكة وعبدة أوثان العرب الذين كانوا يتخذون الأصنام آلهة لهم، ولايصدّقون البشر رسولاً لهداية الناس.

قال الله عزّوجل: «ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولّوا» التغابن: ٥- ٦).

وقال: «إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيْ» الأنعام: ٩١).

وقال: «وقالوا إن أنتم إلّا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبدوا آباؤنا» ابراهيم: ١٠).

وقال: «وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جآءهم الهدى إلّا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً» الاسرآء: ٩٤).

وقال: «فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلّا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولوشاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين- ماهذا إلّا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون» المؤمنون: ٢٤- ٣٣- ٣٤).

فاعتقدوا أنّه من حيث انهم أمثالهم في البشرية لايصلحون أن يكونوا رسلاً كما لايصلحون هم لذلك، فذهب عنهم معنى: «ولقد اخترناهم على علم على العالمين» الدخان: ٣٢) وأنه عزوجل علم من حال هؤلآء صلاحهم للوحى والرسالة وتحمّلهم لاعبآئهما، ولم يعلم ذلك من حالهم بل على خلاف ذلك.

وقوله تعالى: حكاية عنهم: «وما أنزل الرحمن من شي ء» وما أنزل الرحمن إليكم من وحي، وما أرسلكم إلينا رسلاً، فلا مزيّة لكم علينا، إن أنتم إلّا تكذبون مما تدّعون: «إنا إليكم مرسلون» وتكذبون مما تذكرونه وتدعوننا إليه، فلامزيّة داعية لإختصاصكم بما تدّعون من الوحى والرسالة من عندالله تعالى.

١٦ـ (قالوا ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون)

أجاب الرسل عن قول أصحاب القرية وتكذيبهم، بعد ما قامت الحجّة بظهور المعجزة فلم يقبلوها بأن ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإنا لصادقون في دعوى الرسالة، ويكفينا في ذلكم علم ربنا الذى أرسلنا بها، سوآء أصدّقتمونا أم كذّبتمونا، وقد بلغنا الرسالة وعلى الله الحساب، فلا حاجة لنا في ذلك إلى تصديقكم لنا، ولا نفع لنا فيه من أجر ونحوه ولايهمّنا تحصيله منكم بل الذى يهمّنا هوتبليغ الرسالة وإتمام الحجة، ولسنا بمسئولين عن إهتدائكم.

ووجه الاحتجاج بهذا القول أنهم ألزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله عزوجلّ، وليسوا كاذبين كما اتّهموهم عليه.

ولايخفى ان الله جل وعلا لم يحك عن هؤلاء الرسل جواباً عن حجّة قومهم: «ما أنتم إلّا بشر مثلنا» كما نقل عن الرسل المبعوثين إلى الأُمم الدارجة ومشركى مكة لمّا احتجّت اممهم بمثل هذه الحجّة: «إن أنتم إلّا بشر مثلنا» فردّتها رسلهم بقولهم: «إن نحن إلّا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشآء من عباده» إبراهيم: ١١) «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد» فصلت: ٦).

بل حكى عنهم أنّهم ذكروا للقوم أنهم مرسلون إليهم، مأمورون بتبليغ الرسالة، ليس عليهم إلّا ذلك، وأنهم في غنى عن تصديقهم لهم وايمانهم بهم ويكفيهم فيه أن يعلم ربهم بأنّهم مرسلون لاحاجة لهم إلى أزيد من ذلك.

١٧ـ (وما علينا إلّا البلاغ المبين)

وما علينا رسل الله جل وعلا إلّا أن نبلّغكم رسالات الله التى أرسلنا بها إليكم بلاغاً ظاهراً بيّناً بالآيات الباهرة والأدلّة الواضحة على صحتها لاشبهة فيها فعلينا البيان والتبليغ سوآء آمنتم بنا أم كفرتم لأنا مأمورون بالارشاد والإنذار ولسنا بمسئولين عن ايمانكم وكفركم، فان أطعتمونا فلكم الخير والسعادة في الدارين، وإن عصيتمونا

فستكونون ذليلين فيها، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار والله جل وعلا هو وليّ الحكم، فلم يبق منكم إلّا التفكر والتذكر.

قال الله عزّوجل: «فهل على الرسل إلّا البلاغ المبين» النحل: ٣٥).

وقال: «الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله وكفى بالله حسيباً» الأحزاب: ٣٩).

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: «ابلّغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون» الأعراف: ٦٢).

وقال: «فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلّا البلاغ» الشورى: ٤٨).

فليس من شرائط البيان والتبليغ قبول الناس وايمانهم وانتفاعهم واهتدآئهم، فعلى العلماء والدعاة الإنذار والإرشاد دائماً بلا توقف لأنهم في طريق الرسالة ومسير الولاية سوآء آمن الناس أم كفروا.

١٨ - (قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم وليمسّنّكم منّا عذاب أليم)

قال أصحاب قرية أنطاكية في جواب هؤلآء الرسل، حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في المعجزة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل: إنّا تشاء منا بكم وبأسمآئكم إذ انقطع المطر عنّا بسببكم، فلا نرى على وجوهكم خيراً في عيشنا، وتشاء منا من تبليغكم ودعوتكم إذ افتتن بعض قومنا بكم وتفرّقت كلمتنا وانفرط عِقْد وحدتنا، حيث تفرّق مجتمعنا إلى فئتين: معكم وعليكم، معنا وعلينا، ففقدانكم أو سكوتكم خيرلنا ولكم وإلّا أفقدناكم أو أسكتناكم بالرجم وأليم العذاب.

ولايخفى على القارئ الخبير ان الفرق بين التفاؤل والتطير: ان الأوّل انّما هو من طريق حسن الظن بالله جل وعلا والثاني إنما هو من طريق الاتكال على ما سواه.

وقوله تعالى: حكاية عن أصحاب القرية: «لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم...» تهديد من أصحاب القرية للمرسلين بأنا نقسم بآلهتنا التي كنّا نعبدها لئن لم تتركوا عما تدّعون من

النبوة والرسالة ولم تنصرفوا عن إنذارنا وعن برائتكم من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لها، ولم تنتهوا عن بثّ هذه الدعوة بيننا وعن مقالتكم هذه لنرجمنّكم بالحجارة رجماً، ولنمثلن بكم شرالتمثيل أو نلقينّكم في غيابات السجون، وننكل بكم أشدّ تنكيلاً.

ومن المعلوم أن منطق من لامنطق له هوالتهديد بالسجن والسوط، بالتنكيل والعقوبة الشديدة بالاخراج والتبعيد ونفي البلد، وبالصلب والقتل... وهذا منطق الفراعنه الفاجرة، منطق الملوك الجبابرة، منطق الحكّام الباغية، ومنطق الرؤسآء الطاغية، ليس لهم منطق إلّا منطق السلطة والشهوة، منطق الغلبة والشهرة، ومنطق الرئاسة والحكومة في طوال الأعصار، جرياً على ديدن الجهلة فيتيمنون بكل ما يوافق طباعهم وهواهم وشهواتهم، فيتشاءمون الرسل والدعاة والمصلحين بما يحثّ عامّة الناس وهمجهم عليهم... أوبنآءً على أنّ الدعوة لاتخلوا عن الوعيد بما يكرهونه من إصابة ضرّ متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم إن لم يؤمنوا، فكانوا ينفرون عنه وقد أشار تعالى إلى تهديدات المستكبرين من الامم الماضية لأنبيآئهم والمؤمنين بهم، وتهديدات مشركي مكة وعبدة أوثان جزيرة العرب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ومن آمن به ولكنهم ماكانوا ينتهون عن الدعوة والتبليغ والبيان والانذار.. قطّ.

قال تعالى: «قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين» الشعراء: ١١٦).

وقال: «ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون. قالوا اطّيّرنا بك وبمن معك قال طائركم عندالله بل أنتم قوم تفتنون» النمل: ٤٥-٤٧).

وقال: «قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين» الشعرآء: ١٦٧).

وقال: «وما كان جواب قومه إلّا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم» الأعراف: ٨٢).

وقال: «قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملّتنا» الأعراف: ٨٨).

وقال: «قال فرعون أآمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة

لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلّبنّكم أجمعين قالواإنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منّا إلاّ أن آمنّا بآيات ربّنا لمّا جآئتنا ربّنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين. ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلّهم يذّكّرون فاذا جائتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيّئة يطيّروا بموسى ومن معه» الأعراف: ١٢٣- ١٣١)

وقال حكاية عن موسى عليه السلام جواباً عن تهديدهم بالرجم: «وإنّي عُذتُ بربّى وربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون» الدخان: ٢٠- ٢١).

وقال في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «وإذ يمكر بك الّذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» الأنفال: ٣٠)

وقال في المؤمنين من هذه الأمّة الاسلاميّة: «الذين أُخرِجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله» الحج: ٤٠).

١٩- (قالوا طائركم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم مسرفون)

قالت الرسل بملاطفة ولينة، وبوداعة ورحمة لهؤلآء المشركين المستكبرين: إعلموا أنّما طائركم وسبب شؤمكم معكم لامن قبلنا، وهوإصراركم على الشرك بالله سبحانه، وإقامتكم على الكفر وسوء عقيدتكم وإعراضكم عن الحق وإقبالكم إلى الباطل، وقبح أعمالكم وفضيحة أحوالكم... كلها مردود عليكم، لازم في أعناقكم، ومستقرّ في كيانكم الفاسد الذي يمسك عليكم هذا الدآء الذي أنتم فيه... فليس هو من شؤمنا ولا وارداً عليكم من خارج أنفسكم، فانّ ما معكم من الشؤم لايحتاج إلى مزيد، فتجازون على ذلك كله فانها ظاهرة عند الله جل وعلا.

قال الله تعالى في قوم صالح عليه السلام : «قال طائركم عندالله» النمل: ٤٧).

وقال في قوم موسى عليه السلام : «ألا إنّما طائرهم عندالله ولكنّ أكثرهم لايعلمون» الأعراف: ١٣١).

،وقال: «ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين» يس: ١٢).

فالتشاؤم من داخل نفوسهم بأنه معهم، مرتبط بنواياهم وأعمالهم، متوقف على كسبهم واختيارهم، وهذه حقيقة ثابتة قائمة على أساس صحيح.

وقوله تعالى: «أئن ذكرتم» التوحيد والطاعة لله وحده ونُهيتُم عن الشرك والطغيان ووُعِظتُم بما فيه خيركم وسعادتكم، بما فيه صلاحكم ونجاتكم، وبما فيه فلاحكم وكمالكم، وذُكِرتم بأن أعمالكم مضبوطة في صفحات أنفسكم يعلم بها الله تعالى لايخفى عليه خافية كما أنها محصاة في إمام مبين تشاء متمونا وتطيّرتمونا وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟! وليس الأمر كذلك!

«بل أنتم قوم مسرفون» في شرككم وضلالكم، متمادون في كفركم وغيّكم، متجاوزون الحدّ في جهلكم وعنادكم، وفي لجاجكم وتكذيبكم الرسل، فلا تمهدون أنفسهم للفهم والذكر...

قال الله تعالى: «فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً» النساء: ٧٨).

وقال: «لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩).

فما بكم المشركين المستكبرين، التطيّر بنا الأنبيآء والمرسلين، ولكنكم قوم أهل معاصٍ لله جل وعلا وآثام قد غلبت عليكم، فعادتكم الاسراف في الشرك والضلالة، في البغي والعداوة، في الظلم والجهالة وفي العناد واللجاجة، ولذلك أتاكم الشؤم، وتوعدتم وتشاءمتم بمن يجب إكرامه والتبرك به من هداة الدين، فقد جعلتم أسباب السعادة أسباباً للشقآء فان في التوحيد والعبادة لله وحده والايمان وصالح الأعمال... ففيها غاية البركة والخير واليمن والسعادة ولاشؤم فيها.

٢٠- (وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)

وجآء هؤلآء المرسلين ناصراً لهم من أبعد باب من أبواب المدينة: أنطاكية الكبيرة-

قيل: أقصى المدينة: أبعد مواضعها بالنسبة إلى مبدأ مفروض ـ رجل كامل في الرجولية يعد ومسرعاً لينصح قومه حين بلغه أنهم عقدوا النية على قتل الرسل بعد تكذيبهم، فتقدّم للذبّ عنهم ابتغآءً لوجه الله جل وعلا وحماية عن الحق وأهله.

فلمّا جآءهم قال ناصحاً ومحذّراً لقومه، وحثّهم على اتباع الرسل: يا قوم! إتبعوا هؤلاء المرسلين الذين أرسلهم الله تعالى إليكم لخيركم وهدايتكم، ولكما لكم وسعادتكم في الدارين، فأقرّوا بنبوّتهم ورسالتهم، فأيّ دعوة أولى من هذه الدعوة بالقبول لها، والاحتفاء بأهلها؟ إنها دعوة من أهل الكمال والهدى، ومن أهل الصلاح والرشاد، إتبعوهم لتنالوا بسعادة الدارين. وقد علم هوبصحّة نبوّتهم وصدق رسالتهم لأنهم لمّا دعوه قال: أتأخذون على رسالتهم وهدايتهم الناس أجراً؟ قالوا: لافبذلك علم أنهم رسل من الله تعالى، وفيه درس قيم للدعاة والوعّاظ والخطباء والعلمآء لأنهم في سبيل الأنبيآء والمرسلين...

وان الرجل الكامل هو حبيب بن مرى (إسرائيل خ) معروف بالنجّار، وكان هو في غار يعبد الله جل وعلا وحده، فلمّا بلغه خبرالمرسلين أتاهم ناصراً ومعيناً لهم، فأظهر دينه لاتمام الحجة على قومه ونصحاً لهم، وقاول الكفرة، فقالوا: أو أنت تخالف ديننا؟ فوثبوا عليه، فقتلوه، وقبره في سوق أنطاكية يزوره المسلمون، وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وبينهما ستمأة سنة كما آمن به صلى الله عليه وآله وسلّم تبّع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما، وهذا أحد خصائص النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم إذ لم يؤمن أحد بنبي غيره صلى الله عليه وآله وسلّم إلّا بعد ظهوره وفيه سرّ قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «كنت نبيّاً وآدم بين المآء والطين» ولايخفى ان اسلوب حكاية موقف المؤمن الصالح المعين الناصح حبيب النجار وأقواله لقومه قويّ أخاذ، سوآء أفي تبكيته وتسفيهه للمعاندين الجحود والمكذبين العنود والمستكبرين اللجوج أم في إغرآئه وتشويقه على الايمان بالله عزوجل وتصديق رسله والعمل بما امروا به، ومن شأن ذلك أن يحدث أثراً نافذاً في السامعين، وهذا ما استهدفته الحكاية على ما هوالمتبادر، ومن حكمة ايرادها

التنو يه بموقف مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام المماثل لموقف الرجل الكامل، المؤمن الصالح، الناصح الأمين حبيب النجار إذ كان مؤمناً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قبل ظهوره ويعبد الله تعالى وحده في غار حرآء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقد أسرع إلى تصديق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وأظهر ايمانه به صلى الله عليه وآله وسلّم بلافصل زمني، وكان على فطرة التوحيد، ويدعو إلى تصديقه ويذبّ عنه وينصره بكل وسيلة وظرف، وأفدى نفسه لدينه كما ورد صحيحاً: «الصدّيقون ثلاثة ـ وعليّ عليه السلام أفضلهم».ولذلك كان هو الامام المبين الذي أحصى الله جل وعلا فيه كل شيء، وهو الاسوة الحسنة والإمام لمن بعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم .

٢١ـ (إتبعوا من لايسئلكم أجراً وهم مهتدون)

قال حبيب النجار ناصحاً لقومه: إتّبعوا أيّها القوم من لايتوقّع منكم أقل أجرٍ على ابلاغ الرسالة والهداية، ولايطلبون منكم أدنى مال في الموعظة والنصيحة، ولن يسعوا في الأرض علوّاً ولافساداً... ومالهم من أجر إلّا على رب العالمين.

وهذا منطق كل الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمصلحين: «ويا قوم لاأسئلكم عليه مالاً إن أجري إلّا على الله ـ يا قوم لاأسئلكم عليه أجراً إن أجري إلّا على الذي فطرني أفلا تعقلون» هود:٢٩و٥١) ولو كانوا متهمين لسئلوا منكم المال... وهم لايأخذون من دنياكم شيئاً حتّى تقع لكم الخسارة باتباعهم، بل يوصلون إليكم الخير الكثير والهداية إلى طريق النجاة من العذاب الأليم يوم القيامة، فلكم في اتباعهم انتظام خير الدنيا والآخرة، فلِمَ التمنّع والإعراض عن كل خير يبذل بلا ثمن؟ وذالك لايكون إلّا عن سفه وجهل معاً...

وقوله تعالى: حكاية غن حبيب النجّار: «وهم مهتدون» وهؤلاء الرسل مع ذلك مهتدون فيما يدعونكم إليه من التوحيد والإخلاص والطاعة والعبادة لله وحده لاشريك

له، والنهي عن الشرك واتخاذ الآلهة، وعن عبادة الأصنام، وهم مهتدون طريق الهداية الّتي توصل إلى سعادة الدارين، فهم أحقّاء أن يتبعوا: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لايهدّى إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» يونس: ٣٥).

فاتبعوهم فانهم على إستقامة من طريق الحق، فاهتدوا بهداهم: «اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» الأنعام: ٩٠) فانهم من الأطايب الأخيار والهداة الأبرار، استجيبوا لهم ترشدوا وتأمنوا من عذاب النار وغضب الجبّار.

٢٢- (ومالي لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)

فلمّا قال حبيب النجار ماقال سابقاً، أخذه قومه المشركون الفجّار العنود، المستكبرون الكفّار اللجوج، فرفعوه إلى الملك الطاغي، فقال له الملك: أفأنت تتبرّأ من ديننا وآلهتنا؟ أفأنت دخلت في دين عدوّنا؟ أفأنت تتبع هؤلآء المرسلين؟ أفأنت تعبدالله وحده؟؟؟

فقال له ولقومه حبيب النجار الحر-من غير خوف من عَدَدهم وعُدَدهم- واعظاً ناصحاً لهم وحثّهم على التوحيد والعبادة لله جل وعلا وحده، وتلطفهم في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه، وإمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لنفسه، مع تقريعهم على الشرك وترك عبادة خالقهم إلى عبادة الآلهة المصنوعة... فقال:

وما يمنعني أيها القوم من التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى وحده؟ وما يمنعني أن لاأعبد الذي خلقني على فطرة التوحيد، وتوحيد الفطرة وسوّاني على أحسن مثال وصورة وأنعم عليّ وهداني؟ وما يمنعني ومقتضي التوحيد والعبادة له وحده موجود في نفسي، فلا مانع لى له ولها؟ فأىّ عذر لي في الشرك بالله سبحانه وترك العبادة له وحده كما أن المقتضي للتوحيد وإخلاص العبادة موجود في أنفسكم، ولكن المانع هوالجهل والغفلة والكبر واللجاجة عرض عليكم فارفعوها عنكم؟

فالآية الكريمة في معنى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «إنّي

وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين- وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزّل به عليكم سلطاناً فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون» الأنعام: ٧٩- ٨١).

وقوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» الروم: ٣٠).

وقوله سبحانه: «ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّمبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون» يس: ٦٠- ٦٢) وقوله عزّوجل: «ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم» الحديد: ٨).

وقوله عزّوجلّ: «وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جآءهم الهدى إلّا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً» الاسراء: ٩٤).

وفي قوله: «ومالي لاأعبد الذي فطرني» إشارة إلى أهليّة الله جل وعلا للعبادة دون ما سواه كما قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» مع الاشعار بالعليّة لذلك.

ثم إلتفت حبيب النجار إلى قومه فخاطبهم «وإليه ترجعون» يشير بذلك أنكم المقصودون بالذات من كلامي هذا، فتردّون يوم المعاد إلى الذي خلقكم للحساب والجزاء، فيجزيكم بعقائدكم ونياتكم، وبأعمالكم وأقوالكم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

٢٣- (ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّ لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون)

أيّها القوم إذا كان الأمر كما قلتُ أأتخذ أنا على قولكم واعتقادكم تلك الأصنام

المنحوتة والأشكال المختلفة التي تعبدونها آلهةً لي فأعبدها من دون الله الذي فطر السموات والأرض؟! لن أفعل ذلك.

«أغير الله أتخذ ولياً فاطرالسموات والأرض وهويُطعِم ولا يُطْعَم- أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة اخرى» الأنعام: ١٤و١٩) «ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً» الكهف: ١٤) «أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون» الزخرف: ٤٥) «قل أفغير الله تامرونّي أعبد أيها الجاهلون» الزمر: ٦٤).

وقوله تعالى: حكاية عن حبيب النجار: «إن يرد الرحمن بضر لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً» إن أراد الله الرحمن الذي له الملك المطلق، إهلاكي والإضرار والمكروه والسوء بي لا تنفعني تلك الآلهة التي زعمتموها آلهة، شيئاً من النفع، ولا تدفع عنّي شيئاً من الضرّ إذ لاشفاعة لها فتغني، فلا تضرّ ولا تنفع بل ضرّها أقرب من نفعها، فلماذا تدعون من دون الله من لايستجيب لكم؟ ولماذا تعبدون من دون الله من لاينفعكم في الدنيا والآخرة؟؟؟

قال الله عزّوجلّ: «ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون عن دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم» فاطر:١٣-١٤).

وقال: «وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له ومالهم من دونه من وال- والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيءٍ إلّا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هوببالغه وما دعآء الكافرين إلّا في ضلال» الرعد: ١١و١٤)

وقال: «قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرّنا» الأنعام: ٧١).

وقال: «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلاً» الاسراء: ٥٦).

وقال: «يدعوا من دون الله مالا يضرّه وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير- ذلك بأن الله هوالحق وأن ما

يدعون من دونه هوالباطل» الحج: ۱۱-۱۲و۶۲).

وقال: «قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكّلون» الزمر: ۳۸).

وقال: «قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أرادبكم ضرّاً أو أرادبكم نفعاً» الفتح: ۱۱).

وقوله: «ولا ينقذون» ولا تقدر تلك الأصنام المصنوعة التي تعبدونها من دون الله تعالى على إنقاذى من ذلك الضرّ بالنصرة والمظاهرة إذا وقعت فيه، فاذا أراد الله جل وعلابى سوءاً فلا كاشف له إلّا هو، فتلك الصور والأشكال وتلك الهياكل والأمثال لا تملك من الأمر شيئاً، لا تملك دفع ذلك ولا منعه.

قال الله تعالى: «والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون» الأعراف: ۱۹۷).

وقال: «مالكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكّرون» السجدة: ٤).

ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمل أن التوسل إلى الله جل وعلا بالأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين والأوليآء والمقرّبين وخاصّة أهل بيت الوحي محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين الّذي أمر الله تعالى المؤمنين المتقين به في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون» المائدة: ۳۵) ليس مما يدعوه المشركون في طوال الأعصار وخاصّة مشركي مكة وعبدة أصنام جزيرة العرب كما زعمته وتذبذبت قادة الوهّابية الضالّة المضلّة الفاجرة المأمورة من جانب الأجانب الكفار المستكبرين الباغين، بالتفريق باسم الاسلام بين المسلمين خذلهم الله عزوجل ومن تبعهم، فانهم آفات خطيرة باطنة هجمت على الاسلام والمسلمين من بطنه، ولعمري أن ضرر الوهابية أكثر وأعظم على الاسلام والمسلمين من هؤلآء الكفار المستكبرين العادية، فانّها آفات ظاهرة دفعها أسهل وأهون من دفع الآفات الباطنة،

عصمنا الله عزّوجلّ من شرورهم بعصمة محمد وأهل بيته المعصومين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيات المرسلين.

٢٤- (إنّي إذاً لفى ضلال مبين)

قال حبيب النّجار لقومه المشركين المستكبرين، قاطعاً، مؤكّداً قوله بالتأكيدين: إنّي إذا اتخذت تلك الأصنام المصنوعة آلهة لي فأعبدها كما تعبدونها مع غاية عجزها عن دفع الضرّ عنّي وعنكم أيضاً من دون الله جل وعلا مع كمال القدرة على ما يريد لكنت مستقرّاً في عدول عن الحق والهدى، عن الخير والكمال، وعن الصلاح والفلاح... وليس العدول عن الحق والهدى... إلّا ضلالاً بيّناً لايخفى على عاقل، ظاهر لاخفاء فيه على أحد ممّن له أدنى مسكة من العقل وتميز في الجملة، فان إشتراك ما ليس في شأنه النفع ولا دفع الضّرّ بالخالق المقتدر الذي لاقادر غيره ولاخير إلّا خيره ضلال بيّن لاخفاء فيه.

قال الله تعالى: «ومن يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضلّ سوآء السبيل» البقرة:١٠٨).

وقال: «ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النساء:١١٦).

وقال: «فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلّا الضلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣٢).

٢٥- (إنّي آمنت بربكم فاسمعون)

ألا يا أيها القوم! إني آمنت بربكم الذي قامت الحجة على وحدانيته، وهو الذي خلقكم ورزقكم وأنتم به كافرون، أقول كلمة الحق وأُجابه بها كل مبطل، ولا ابالى بالموت، انها كلمة النجاة التي يجب أن ترتفع فوق كل كلمة وتعلو على كل ندآء، فاسمعوا قولى وآمِنوا به واعبدوه وحده مخلصين له الدين، وأطيعوا رسله الذين أرسلهم إليكم لهدايتكم وسعادتكم، وخيركم ونجاتكم من الإنحطاط والخسران، من الذلّة

والهوان، ومن الهلاك والدمار.

هذا كلام ألقى بكلمة الايمان الواثقة المطمئنة، وأشهدهم عليها وهو يوحي إليهم أن يقولوها كما قالها، ولـمّا قال حبيب النجار هذا القول، ونصح لقومه هذه النصيحة، فلم يمهلوه فوثبوا به وثبة رجل واحد فقتلوه لما جهر من كلمة الحق واتبع صوت الفطرة، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل، فيرى نفسه في العالم الآخر واطلع على ما ادّخره الله جل وعلا له من كرامة تليق بمقام المؤمن الشجاع، بمقام الناصح الأمين الحرّ، وبمقام المخلص الشهيد، فاتصلت حياته الفانية بحياته الباقية، وجعلت اسوة حسنة لدعاة الدين والمصلحين إلى يوم القيامة، فرآى الموت نقلة من عالم الفنآء إلى عالم البقآء وخطو من ضيق الأرض إلى سعة الجنّة، وأذلّ الباطل لطمأنينته بعزّة الحق وأعرض عن تهديد البغي إلى سلام النعيم، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين فحينئذٍ:

٢٦ـ (قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومي يعلمون)

ان القوم المشركين المستكبرين لـمّا قتلوا حبيب النجار نودي من ساحة العزّة بلافصل: يا حبيب ادخل الجنة هذا جزآء الصبر والايمان، هذا جزآء الاستقامة والتصلّب في الدين، هذا جزآء الهدى والإطمئنان، وهذا جزاء الطاعة واليقين، فلما دخل الحبيب حياً بعد شهادته الجنة يرزق فيها، قد أذهب الله تعالى عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها، ونال برحمته وكرامته بايمانه بربه «قال يا ليت قومي» الذين قتلونى لأني دعوتهم إلى الحق والهدى، إلى الخير والصلاح، وإلى الكمال والفلاح، ونصحتهم وحذرتهم «يعلمون» بما أنا فيه من نعيم مقيم، وخير عميم لايماني بربي وتصديقي رسله، وصبري على أذى قومي.

قال الله تعالى: «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحيآء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع

أجر المؤمنين» آل عمران: ١٦٩-١٧١).

وقال: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوارة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ١١١).

فتمنّى الحبيب علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب المثوبة مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في حظيرة الايمان والطاعة، جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأعظيم في أمره، وأنه كان على الحق، وأن عداوتهم لم تكسبه إلّا خيراً وسعادة وحياة أبدية، ويعلموا ما أعدّ الله جل وعلا للمؤمنين من مغفرة وإكرام... وأنّى لهم أن يعلموا هذا الغيب؟ وأنّى لهم أن يؤمنوا به، وقد أنكروا مالمسوه بحواسهم، وكذّبوا مارأوه بأعينهم؟؟؟

٢٧- (بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)

وقد تمنّى حبيب النّجار بعد دخوله الجنة ورأى فيها ما كان له فيها من النعيم والمغفرة والكرامة أن يعلم قومه مكان الايمان ومآل أمره، فيعلمون «بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين» كل ذلك بسبب الايمان والتصديق بالمرسلين، والصبر والاستقامة والتصلّب في الدين، وقد تحققت بشارة المغفرة والكرامة اللتين وعدهما الله جل وعلا في قوله تعالى: «من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم» يس: ١١).

فقد فاز من أكرمه الله عزّوجلّ بالرضوان وهوسبب يؤدّي إلى الجنّة: «ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧٢).

ولا يخفى ان موهبة الإكرام وإن كانت وسيعة ينالها كثيرمن الناس إطلاقاً كالإكرام بالنعمة المادية في الحياة الدنيا كما في قوله تعالى: «فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه ونعمّه فيقول ربّي أكرمن» الفجر: ١٥) هذا إكرام من الله جل وعلا للانسان بما أنه مخلوق مختار يمتحن، مؤمناً كان أم كافراً، مخلصاً أو منافقاً، وأما الكرامة

المعنوية عند الله تعالى فلا ينالها بوصف الاطلاق إلّا طائفتين من خلقه: الملائكة الكرام كما في قوله عزّوجلّ: «بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الأنبيآء: ٢٦- ٢٧) والكاملين في ايمانهم من المؤمنين سواء كانوا من المخلصين- بكسر اللام- كما في قوله تعالى: «اولئك في جنات مكرمون» المعارج: ٣٥) أو من المخلصين- بفتح اللام كما في قوله سبحانه: «إلّا عبادالله المخلصين- وهم مكرمون» الصافات: ٤٠- ٤٢) وأما الدرجة العالية من الكرامة فلمن نال أعلى درجة من التقوى كما في قوله جل وعلا: «إن أكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات: ١٣).

٢٨- (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء وما كنّا منزلين)

وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الناصح الأمين حبيب النجار الذي قتله قومه المشركون المستكبرون، قتلوه لدعآئه إيّاهم إلى الله جل وعلا والعبادة له وحده، إلى الحق والهدى، إلى الخير والكمال، إلى الصلاح والفلاح، وإلى السعادة والنجاة، ولنصيحته لهم، وما أنزلنا من بعد قتلهم إيّاه من جند من السمآء ليقاتلوهم ويهلكوهم وينتقموا منهم كما فعلنا ذلك لرسولنا الخاتم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم يوم بدر والخندق وحنين من إرسال الملائكة لنصرته وحرب أعدائه...

قال الله تعالى: «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّى ممدّكم بألف من الملائكة مردفين» الأنفال: ٩).

وقال: «هذا يمدد كم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» آل عمران: ١٢٥).

وقال: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جائتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها» الأحزاب: ٩).

وقوله تعالى: «وما كنا منزلين» جنداً لاهلاك قوم حبيب النجار لسبق قضآئنا وقدرنا على إهلاكهم بالصيحة لابانزال الجند، فكفينا أمرهم بصيحة ملك، لما انا قدّرنا لكل شيء سبباً حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الامم بالحاصب، وبعضهم

بالصيحة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالاغراق.

٢٩ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون)

ما كانت الآخذة أو عقوبتهم إلّا بسبب صيحة واحدة عظيمة لايقادر قدرها ولايكتنه كنهها، ففاجأهم السكون، فصاروا أمواتاً لاحراك لهم، وذلك انهم لمّا سمعوا الصيحة هلكوا من عظمها، وماتوا من فزعها ساكنين لايسمع لهم حسّ، إذ ذهبت منهم حرارة الحياة كما تذهب حرارة النارحين الخمود. الخمود: إنطفآء النار. فشبّهوا بالنار الخامدة ولم تبق روح في جسم: «وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها» هود: ٥٤ـ ٩٥).

٣٠ـ (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن)

تلهف الملائكة والمؤمنون من الثقلين على هؤلاء المشركين المستكبرين كما أنهم يتحسّرون حين يرون أعمالهم وجزآئها يوم القيامة: «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» البقرة:١٦٧) «قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا سآء ما يزرون» الأنعام: ٣١) «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين» الزمر: ٥٦).

والمعنى: يا ندامة وسوء المصير والعاقبة الوخيمة على هؤلاء المشركين المستكبرين من قوم حبيب النجار ومن يسلك مسلكهم الذين لم يرعوا حق العبودية لله جل وعلا ـ الحسرة أن يلحق بالإنسان من الندم وسوء المصير والعاقبة الوخيمة ما يصير به الانسان حسيراً ـ بسبب إستهزآئهم بالرسل في الحياة الدنيا إذ ماياتيهم من رسول لهدايتهم وسعادتهم، لكما لهم وصلاحهم، ولخيرهم ونجاتهم إلّا كانوا هم به يستهزؤن.

قال الله تعالى: «وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين وما يأتيهم من نبى إلّا كانوا به يستهزؤن» الزخرف: ٦ـ ٧)

وقال: «فسوف يأتيهم أنباؤا ما كانوا به يستهزؤن» الأنعام: ٥).

٣١ـ (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لايرجعون)

ألم يعلم المشركون الباغون في كل وقت؟ ألم يعتبر المستكبرون الطاغون في كل مكان؟ وألم يعتبر المجرمون الفاجرون في كل حال، وخاصّة مشركوا مكة ومستكبروها، وعبدة أوثان جزيرة العرب ومجرموها؟؟؟ بكثرة المهلكين من القرون الماضية، كم أهلكناهم بسبب شركهم وبغيهم، بسبب جرمهم وطغيانهم، بسبب إستكبارهم وفجورهم، بسبب عنادهم ولجاجهم، وبسبب كفرهم بآيات الله وتكذيبهم أنبيآء الله، وأن هؤلآء الماضين مأخوذون بأخذ عزيز مقتدر، لايتمكّنون من الرجوع إلى ما كانوا يترفون فيه، ولا الرجوع إلى الحاضرين فيخبرونهم بما مضى عليهم من الذّلّة والهوان، من الهلاك والدمار، ومن العذاب والنار كي يتعظوا ويعتبروا، ولكن آثار الهالكين تدل عليهم وكفي بها عبرة وعظة.

وانكم بما تكونون عليه من الشرك والبغي، ومن العناد واللجاج ستصيرون إلى مثل حالهم، فانظروا في أنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك والدمار، والعذاب والنار و أنتم في غفلة وغرّة كما أتاهم.

قال الله عزّوجل: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الأرض مالم نمكّن لكم وأرسلنا السمآء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأرسلنا من بعدهم قرناً آخرين» الأنعام: ٦).

وقال: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً ـ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحسّ منهم من أحد أوتسمع لهم ركزاً» مريم: ٧٤ و٩٨).

وقال: «أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون» السجدة: ٢٦) وقال: «كذّبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر» القمر: ٤٢)

وقال: «أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين» الدخان: ٣٧).

٣٢- (وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون)

وما من امّة من الأُمم ماضيها وحاضرها وآتيها إلّا وتقف يوم القيامة للحساب والجزآء، فيجازيهم الله جل وعلا بأعمالهم خيرها وشرها، بعقآئدهم حقّها وباطلها، وبأقوالهم حسنها وسيّئها... فكل الناس محشورون يوم القيامة، مجموعون عندنا في الموقف، محضرون للحساب والجزآء.

قال الله تعالى: «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود- وإنّ كلاً لمّا ليوفّينّهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير» هود: ١٠٣-١١١).

وقال: «إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تُجزون إلّا ما كنتم تعملون» يس: ٥٣- ٥٤).

وقال: «قل إن ألاوّلين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم» الواقعة: ٤٩- ٥٠).

وقال: «وترى كل امة جاثية كل امة تُدعىٰ إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون» الجاثية: ٢٨).

وقال: «إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين» الدخان: ٤٠).

وقال: «كل إلينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهومؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون» الأنبيآء: ٩٣- ٩٤).

وقال: «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبّئهم بما عملوا» المجادلة: ٦).

٣٣- (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون)

ومن الأدلة القاطعة والبراهين الواضحة للمشركين المكذّبين ولمنكري البعث على التوحيد والعظمة، على العلم والحكمة، وعلى التدبيروالقدرة على البعث والنشور للحساب والجزآء هي الأرض الميتة الهامدة التي لانبات فيها، أحييناها بانزالنا المآء عليها،

فتهتزّوتربو وتنبت نباتاً مختلفاً ألوانه وأشكاله، وأخرجنا من هذه الأرض الحيّة بعدموتها جنس الحبّ الذي هو قوت لكم ولأنعامكم، وبه قوام حياتكم، فبعض أنواع الحبّ كالحنطة والارز والشعير وما إليها من الحبوب يأكلونها وبها يتغذّون.

وفي ذلك دلالة كافية وافية على إمكان الحياة بعد الموت، بل و وقوعه أيضاً كما نرى حياة الأرض بعد موتها.

قال الله تعالى: «والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» فاطر: ٩).

وقال: «وينزّل من السّمآء مآء فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كلّ شيْ قدير» الروم: ٢٤و٥٠).

وقال: «ونزّلنا من السّمآء مآء مّباركاً فأنبتنا به جنّات وحبّ الحصيد ـ وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج» ق: ٩ـ ١١).

وقال: «وهو الذي أنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّاً متراكباً ـ إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون» الأنعام: ٩٩).

٣٤ـ (وجعلنا فيها جنّات من نخيلٍ وأعناب وفجّرنا فيها من العيون)

وأنشأنا في هذه الأرض الميتة التي أحييناها بعد موتها بساتين من أنواع النخيل و أنواع الأعناب، وفجّرنا في هذه الأرض الميتة أو في تلك الجنّات بعض العيون، ينبع فيها ويجرى أنهاراً سارحة في أمكنة تنتشر فيها، أو عيوناً من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل.

قال الله تعالى: «وأنزلنا من السمآء مآءً بقدر فأسكنّاه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون فأنشأ لكم به جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون» المؤمنون: ١٨ـ ١٩).

٣٥ - (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

ليأكلوا من ثمر كل واحد من أنواع النخيل والأعناب في الأزمنة والأمكنة المختلفة، والحال أنه لم تعمل الثمر أيديهم، إذ لم يكن في قدرتهم أن يخرجوا شجرة منه، ولا أن يصنعوا ثمرة من الشجرة حتى يشاركونا في تدبير الحياة والأرزاق، بل هما مما اختصصنا بخلقه وتتميم التدبير به من دون أن نستعين بهم، فما بالهم لايشكرون خالق هذه النعم على ما تفضّل به عليهم من نعم لاتُحصىٰ، فعليهم شكره عزّوجل على هذا التدبير التام قلباً بمعرفتهم منعمهم حق المعرفة، وقولاً باظهارهم جميل نعمه بذكره، وفعلاً باظهارهم أنهم عبادله، مدبّرون بتدبيره، فيعبدونه وحده حق عبادته.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إيّاه تعبدون» البقرة: ١٧٢) .

٣٦- (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون).

تنزيهاً لله عزّوجلّ عمالايليق به تعالى من أنحاء الشرك في الوجود والايجاد والتدبير والعبادة والريآء، وتعظيماً وتبجيلاً وتمجيداً لجلاله وعظمته، لعلمه وحكمته، ولتدبيره وقدرته... وهذا التسبيح والحمد بلسان الوجود كلّه، وأنه إذا خرست ألسنة بذيئة المشركين الضالّين، ألسنة فاحشة المستكبرين الباغين، ألسنة قبيحة المكذّبين الطاغين، وألسنة فاجرة المجرمين العاصين... أن يسبّحوا بحمد الله تعالى وأن ينزّهوه ويمجدوه فان الوجود كله لسان تسبيح وتنزيه وتمجيد لله رب العالمين:

«سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء» الأنعام: ١٠٠- ١٠١).

«إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض» النسآء: ١٧١).

«وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون»

البقرة: ١١٦).

ويعبدون من دون الله ـ سبحانه وتعالى عمّا يشركون» يونس: ١٨)

«سبحانه وتعالى عما يقولون علوّاً كبيراً تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شئ إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٣- ٤٤).

«فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون»: يس: ٨٣).

التسبيح والتقديس والتنزيه للذى خلق أصناف المخلوقات وأنواع الموجودات كلها متشاكلة متزاوجة، فان كل ممكن الوجود من إنسان وحيوان ونبات وجماد وما إليها مما نجهل في السمآء والفضآء وتحت الثرى زوج مركّب وهو الشئ ومقابله حتّى في عالم الأرواح والعقول، وعالم الجن والملائكة، وفي عالم المعانى والصفات كالايمان والكفر، كالحق والباطل، كالضلال والهدى، كالصّدق والكذب، كالخير والشر، وكالحسن والقبيح... وفي القوى الظاهرة والباطنة... حتّى الجراثيم والميكروبات والقوى المثبتة والمنفيّة في الكهرباء وفي ذرّات الأجسام...

قال الله عزّوجلّ: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون» الذاريات: ٤٩).

قوله تعالى: «مما تنبت الأرض» من أصناف النبات وأنواع الثمار... كلٌّ زوجان اثنان وقد أحصى العلمآء أنواع النبات أكثر من (٣٢٠) ألف ومن العجيب انك لاتجد اثنين منها اتفقا خضرة وشكلاً، ورائحة وطعوماً، وصغراً وكبراً، وخواص وتراكيب، ونظماً وطبّاً، وغذآءً ودوآءً...

قال الله تعالى: «وأنزل من السمآء مآءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى» طه: ٥٣)

وقال: «ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين» الرعد: ٣).

وقوله تعالى: «ومن أنفسهم» من نطفة الذكور والاناث...

قال الله عزوجل: «والله أنبتكم من الأرض نباتاً» نوح: ١٧).

وقال« وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تُمنىٰ » النجم: ٤٥- ٤٦).

وقوله تعالى: «**ومما لايعلمون**» من الموجودات والأشيآء التي لم يطلعهم الله تعالى عليها مما في السموات والعرش والكرسي والسرادقات والحجب، وما في بطون الأرض والجبال، وفي قعر البحار والأنهار... من المخلوقات العجيبة الغريبة التي لم يجعل لهم طريقاً إلى معرفتها، ليستدلّوا بذلك على كمال قدرته وسعة علمه، وعلى غاية حكمته وتدبيره في خلقه.

قال الله عزوجل: «ويخلق مالا تعلمون» النحل: ٨).

وقال: «وما يعلم جنود ربّك إلّا هو» المدثر: ٣١)

٣٧ - (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون)

وآية عظيمة لايقادر قدرها، وحجّة واضحة، وبرهان قاطع لمنكرى البعث والمشركين من الآيات الدالة على التوحيد وكمال العلم والحكمة والقدرة على البعث والنشور للحساب والجزآء هى الليل نخرج منه النهار، فيبدو الليل بسكونه وظلامه كالشاة بعد السلخ وهو إخراج الشيء من لباسه، ومنه إخراج الحيوان من جلده «فاذا انسلخ الأشهر الحرم» التوبة: ٥) أى فخرج خروج الشيء مما لابسه. والمراد من السلخ ههنا هو مجيئ الليل عقيب ذهاب النهار، وقد عبّر عنه بالايلاج، كما أن وجود النهار عقيب الليل وبعده ايلاج.

قال الله تعالى: «تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ » آل عمران: ٢٧) فكأنه انتزاع كل واحد من الليل والنهار من الآخرة وتجريده منه.

فاذا سلخ الله تعالى النهار من الليل تأتى الظلمة ويذهب النهار، فاذاهم داخلون في الظلام، فيكون النوم العميق والهدؤ الشامل، فاذاً الخلق قد صاروا في ظلمة لاضيآء لهم بالشمس، وذلك ان ضوء النهار يتداخل في الهوآء بالشمس، فيضيئ، فاذا خرج منه

فيبقى الهواء مظلماً كما كان لأن الله تعالى يضيئ الهوآء بضيآء الشمس، فاذا سلخ منه الضيآء أي كشط وازيل يبقي مظلماً بمجيئ الليل الذي كان الضيآء ساتراً له، وفي الضيآء سرور ولذّة وراحة للنفس وسعى في الرزق، وفي زواله وحشة وانقباض تشعر بألمه النفوس كما أن فيه تركاً للعمل الذي به قوام الحياة، فالآية تحصل بكل من الليل والنهار، فان تعاقب الليل والنهار على ظهر البسيطة من أكبر الأدلة التي تدل على كمال قدرة الله تعالى على البعث والنشور، وفيه عبرة لمن يعى ويفهم ما يراه في كل يوم وليلة فكأنه ينادي أن يومك هذا دنياك ، والليل بعد موتك من البرزخ، وغداً يوم البعث للحساب والجزآء.

قال الله تعالى: «هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون» يونس:٦٧)

وقال: «يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الرعد:٣).

وقال: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» الاسراء:١٢)

وقال: «وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً» الفرقان:٤٧).

وقال: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بضيآء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غيرالله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون» القصص: ٧١- ٧٢).

٣٨ـ (والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم)

وآية عظيمة اخرى للمشركين المكذبين ولمنكري البعث على التوحيد والقدرة المطلقة هي ذلك الكوكب النهاري الضخم تجري في فلكها بحسب وضعها النجمي، تقدّر حركتها بمائتي ميل في الثانية، تسير لحدّ موقّت مقدّر معيّن تنتهي إليه ولا تتجاوزه أبداً،

فكأنّها تجري لإدراكه حتى إذا انتهت إليه توقّفت، وهذا الحد هونهاية العالم أو نهاية إرتفاعها في زمن الصيف، ونهاية هبوطها في الشتآء أو لها في كل يوم حدّ معلوم، فلا قرارلها ولا وقوف فهي جارية أبداً إلى موضع قرارها، ينتهي إليه دورها إلى يوم القيامة، تنتهي كل يوم في مرأى العيون إلى المغرب، وتنتهي مدة السنة وتنتهي مدة إرتفاعها ومدّة انحطاطها.

قال الله تعالى: «وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» فاطر: ١٣).

وقال: «وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلّكم بلقآء ربكم توقنون» الرعد: ٢).

وقال: «الشمس والقمر بحسبان» الرحمن: ٥)

وقوله تعالى: «ذلك تقدير العزيز العليم» ذلك الوضع العجيب والجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التي تحار في فهمها العقول والأفكار هوتقدير القادر لايجاد الكون ونواميس الوجود، وتدبيره على نظام أحسن القابض على زمام مخلوقاته، القاهر الذي لايخالف ولايمانع، والغالب بقدرته على كل مقدور، والعليم بأحوال الشمس الذي لاتخفى عليه خافية من أمرها، العليم بجميع الحركات والسكنات، وقد قدّر ذلك ووقته على منوال لااختلاف فيه ولا تعاكس كما قال الله تعالى: «فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم» الأنعام: ٩٦) المحيط علمه بكل معلوم.

أرأيت أن هذا النظام لو اختلّ في وقت ماذا يكون أمِنَ المعقول أن يكون ذلك كلّه بطبعه بدون إله مدبّر تعالى الله عما يقولون.

٣٩ ـ (والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم)

والقمر قدّرنا له في سيره منازل ثمانية وعشرين ينزل كل ليلة منزلاً منها لايتخطّاه

ولا يتقاصر عنه، يسير فيها إذ يأخذ كل ليلة منزلاً منها على مدى شهر قمريّ، فتراه يبدو و يطلع في أوّل ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، صغيراً دقيقاً قوساً مصفرّاً، ثم يكبر ويزداد نوراً فيصير هلالاً إلى أن يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشر، فيبدو في أوسط منازله قمراً منيراً، فيرى بدراً كاملاً، ثم يعود ويأخذ بالنقص، فيصغر شيئاً فشيئاً إلى أن يصير في آخر منازله للرائى ـ أو في ستة أشهر حضيضاً وإرتفاعاً أو معاً ـ كالعذق العتيق في الرقّة والإنحنآء، في الدقّة والصغر، وفي التقوّس والاصفرار فيتمّ الدور في ثمانى وعشرين ليلة من كل شهر، ثم يستتر ليلتين إذا كان الشهر تاماً أو ليلة واحدة إذا نقص الشهر.

قال الله عزوجل: «تبارك الذي جعل في السمآء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً» الفرقان: ٦١).

وقال: «وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً» نوح: ١٦).

إن القمر يسير منازله سيراً يستدل به على مضيّ الشهور كما أنّ الشمس يعرف بها الفصول والليل والنهار كما قال الله عزّوجل: «يسئلونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج» البقرة: ١٨٩) وقال: «هو الذي جعل الشمس ضيآءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب» يونس: ٥) وقال: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» الاسراء: ١٢) فجعل الله عزّوجل للشمس ضوءً يخصّ بها، وللقمر نوراً يخصّ به، وفاوت بين سيرالشمس والقمر حيث ان الشمس تطلع كلّ يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد مع انتقالها في مطالعها ومغاربها صيفاً وشتآءً يطول بذلك النهار ويقصر الليل والعكس، وان القمر يطلع في أوّل ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور ثم يزداد نوراً إلى أن يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشر، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم.

فانظر أيها الإنسان إلى تلك الكواكب النيّرة السماوية، إلى أبعادها وأجرامها، وإلى كثرة عددها وسرعة حركتها... ثم تدبّر وتفكّر في نظام دقيق يحكم عليها وعمل رتيب

لها لاعوج فيه ولا خلل بحيث:

٤٠- (لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

لاينبغي ولايكون لـلشمس أن تدرك القمر، فان لـكل واحد منها منازل وبروجاً، فيسير القمر منازله في كل شهر مرّة واحدة، ويجري الشمس بروجها في كل سنة مرّة واحدة، فان مدار الشمس أوسع من مدار القمر أكثر من اثنتى عشر مرة: ويقول الفلكيون المتأخّرون: إن الشمس تتحرّك وسط النجوم في مدار واسع نسبيّاً، نصف قطره (٩٣) ميليون ميل، وتتمّ دورة كاملة في زمن مقداره سنة، ويدلّ على هذه الحركة تنقّلها وسط البروج بمعدّل برج في كل شهر أو درجة واحدة تقريباً في كل يوم، وأما القمر فداره حول الأرض أصغر نسبياً، ويقدر طول نصف قطر مداره بحوالي (٢٤) ألف ميل يقطعه في شهر أي بمعدّل منزل في كل يوم أو (١٣) درجة في اليوم، وحركته حول الأرض حركة حقيقية ويمكن ملاحظتها بسهولة من مراقبة موقعه بين النجوم ليلة بعد اخرى، وفضلاً عن ذلك فالمداران السالفا الذكر ليسا في مستوي واحد؛ بل يميل أحدهما على الآخر، ولولا ذلك لتكرر كل من الكسوف والخسوف مرّة في كل شهر، وهكذا يتبيّن كيف ان لكل من الشمس والقمر فلكاً أو مداراً مستقلاً يسبح فيه.

فليس عدم إدراك الشمس القمر بسبب كون سرعة حركة القمر أكثر من سرعة حركة الشمس على ما زعمه القدماء المفسّرون وغيرهم. وإنّما لكل من الشمس والقمر مداره الخاص الذي يدور فيه بنظام دقيق، ويجرى في بروجه ومنازله المقدرة على نسق خاص معيّن لايتعدّاه.

ولايخفى على القاري الخبير المتأمل: أن هذا القرآن الكريم وحي سماوي من خالق الكون، ويستحيل أن ينطق بشئ على خلاف الواقع، فان اتفقت الآراء العلمية مع هذا الوحي وأهل بيته عليهم صلوات الله فذاك وإلّا فالآراء مردودة، وهذه قاعدة عقلية دينية مطلقة ترفض التغير والتقليد إذ قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن

أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «يعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي»

وقوله تعالى: «ولا الليل سابق النهار» ولايسبق الليل النهار، فلا يأتي الليل قبل إنقضآء النهار، بل هما يجريان بحيث يتبع أحدهما الآخر دون أن يسبقه، فلا تسبق آية الليل وهي القمر، آية النهار وهي الشمس، فيحلّ سلطانه محلّها فيفوته، فانهما يجريان في مدارهما بحساب منظّم لايتغيّر وعلى سرعة مقدّرة لا تتبدّل.

وقوله تعالى: «وكل في فلك يسبحون» وكل من الشمس والقمر والنجوم في مدار وسيع خاص، مقدّر كل بحسبه، يسيرون فيه بانبساط وحساب منظم محكم، يجري كل في مجراه لايتعدّاه، فلا يصطدم بعضها ببعض، ولايأخذ بعضها من بعض وضعاً غير الذي أقامه الله تعالى فيه، فالشمس لها فلك تدور فيه كما أن للقمر فلكاً يدور فيه وهكذا للنجوم والكواكب، فلكل مدار خاص مستقل يسبح فيه بحساب معيّن وسرعة معلومة وحركة مقدرة إلى أجل مسمّى.

وذلك أن الله عزّوجل جعل لكل ذلك وقتاً محدوداً ونظاماً دقيقاً، فلا تمكن أن تطوء آية الليل وهي القمر، على آية النهار وهي الشمس، بل لكل مدّة وزمن ونظام حساب معلوم لايعدوه أو ليس هذا من أعظم الآيات الالهيّة الدالّة على وجود الخالق ووحدانيته، على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته؟

نعم: هذا الليل وما فيه، هذا الظلام الشامل بعد النور الساطع، هذا النهار وضيائه، وهذا الكون والهدوء بعد الجلبة والضجيج، وتلك الكواكب السيارة، وتلك الأفلاك الدوّارة كل ذلك آية عظيمة دالّة على وجود الخالق الواحد الخبير البصير المدبّر الذي يسيّر العالم على وفق نظام محكم دقيق لايختل إلّا إذا شآء إفنآئه.

قال الله عزّوجل: «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيّام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» الأعراف: ٥٤)

وقال: «وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّرلكم الليل والنهار» إبراهيم:٣٣).

وقال: «ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمّى» لقمان:٢٩).

٤١ ـ (وآية لهم أنّا حملنا ذرّيتهم في الفلك المشحون)

وآية عظيمة اخرى لهم من آيات قدرتنا الدالة على رحمتنا وإحساننا بعبادنا انا حملنا آبائهم الاصول وأجدادهم الأوّلين الذين هم من نسلهم في سفينة نوح عليه السلام المملؤة من الناس، المثقلة بهم وبأحمالهم وما يحتاج إليه مَن فيها من الغرق، فانتشر منهم سآئر الناس إلى يوم القيامة ولولاذلك لما بقى للانسان نسل ولا عقب من بعده. ويسمّى الآبآء ذرّيّة من ذرأ الله تعالى الخلق لأنّ الأولاد خلقوا منهم، كما أن الأولاد يسمّون ذرية لأنهم خلقوا من الآبآء.

والأولادهم أيضاً كالآباء يركبون السفن الموقرة بسآئر السلع التي ينقلونها من بلد إلى آخر ليستفيدوا ممّا تحمله من الأقوات وسائر حوآئجهم المعيشية... «ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبّارشكوروإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين» لقمان:٣١-٣٢) فلا حامل لهم فيه ولاحافظ لهم من الغرق إلّا الله عزّوجلّ، وان الخواصّ التي يستفيدون منها في ركوب البحر امور مسخّرة له تعالى منتهية إلى خلقه على أن هذه الأسباب لولم تنته إلى الله جل وعلا لم تغن فائدة.

قال الله تعالى: «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ـ لآيات لقوم يعقلون» البقرة:١٦٤).

وقال: «وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» فاطر:١٢)

٤٢ـ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)

وخلقنا لهؤلآء المشركين المستكبرين تفضّلاً منّا عليهم من مثل الفلك في البحر ما يركبون فيه من السفن المتخذة بعد سفينة نوح عليه السلام والزوارق، وما يركبونه من المراكب في البر كالابل والخيول والبغال والحمير، وكقطر السكك الحديدية والسّيارات، وكالسفن الجوّية من مطاود وطائرات تسير في الفضآء حاملة للناس السلع المختلفة والذخائر الحربية، وما سيصنع ويخترع من المراكب التي مخبّأة في صحيفة الغيب.

قال الله تعالى: «والذى خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» الزخرف: ١٢-١٣)

وقال: «الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون» غافر: ٧٩- ٨٠)

وقال: «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون» النحل: ٨).

٤٣ـ (وإن نشأنغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون)

وإن نشأ نغرق هؤلآء المشركين المستكبرين ومَن إليهم، نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج إذا ركبوا السفن، نغرقهم مع ما حملته السفن والزوارق في البحر، وإن نشأنهلكهم ولو كانوا في المدرعات وحاملات الطائرات، فلا ناصر لهم يحفظهم من الغرق في البحر، ولاينجيهم من الهلاك في البرّ، ولا مغيث يستجيب لصراخهم من الاشراف على الغرق في البحر وعلى الهلاك في البر، ولا هم ينجون منها بعد وقوعها.

قال الله تعالى: «قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ والبحر تدعونه تضرّعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكوننّ من الشاكرين قل الله ينجّيكم ومن كل كرب ثم أنتم تشركون» الأنعام: ٦٤)

وقال: «هوالّذي يسيّركم في البر والبحر حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح

طيبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنّوا أنّهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدّين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق» يونس: ٢٢-٢٣) .

وقال: «ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا إياه فلمّا نجّاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لاتجدوا لكم وكيلاً» الاسراء: ٦٦- ٦٨).

٤٤- (إلّا رحمة منّا ومتاعاً إلى حين)

ولكن لنوع رحمة منّا بهؤلاء المشركين المستكبرين لانغرقهم في البحر، وتمتيعاً لهم إلى حين بلذّات الحياة الدنيا أبقيناهم وحفظناهم من الهلاك في البرّ والفضآء إلى انقضآء آجالهم المعلومة عندالله جل وعلا، فهم لايغاثون لسبب من الأسباب، وهم لاينجون لشيء من الأشيآء، وهم لاينقذون بأمر من الامور إلّا لنوع رحمة من قبلنا تنالهم ولتمتيعنا إيّاهم بلذّاتهم إلى حين الأجل المسمّى الّذى قدّرناه لهم، ولايكون ذلك إلّا من قبيل الامهال إلى حين ليغتنموا الفرصة السانحة قبل نفاد صبره تعالى وإنزال عذابه عليهم.

والآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى» فاطر: ٤٥).

وقوله عزّوجل: «فتولّ عنهم حتّى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون» الصافات: ١٧٤-١٧٦).

وقوله جل وعلا: «أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون» الشعرآء: ٢٠٥- ٢٠٧)

وقوله سبحانه: «فان كذّبوك فقل ربكم ذورحمة واسعة ولايردّ بأسه عن القوم

المجرمين». الأنعام: ١٤٧)

٤٥ ـ (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم تُرحمون)

وإذا قيل لهؤلآء المشركين الباغين، لهؤلآء المستكبرين الطاغين، لهؤلآء المكذّبين العاصين، لهؤلآء المجرمين الفاجرين، ولهؤلآء المعاندين اللجوج... قيل لهم بطريق الانذار بما نزّل الله تعالى من الآيات: اتقوا ما بين أيديكم من الشرك والبغي، من الاستكبار والطغيان، من التكذيب والعصيان، من الجرم والفجور، ومن العناد واللجاج... احذروا ما مضى بين أيديكم من الذنوب والمعاصي والمحرمات التي أنتم مبتلون في حالكم الحاضرة، واتقوا ما خلفكم ينتظركم من العقوبة عليها، من الآفات والنوازل، من المكاره والوقائع، من نقم الله جل وعلا وغضبه، ومن مثلاته الّتي حلّت بمن قبلكم من الامم الماضية، ومن العذاب المعدّلكم في الآخرة.

خافوا عذاب الله عزّوجلّ بالتوبة للماضي والاجتناب عن المستقبل خوفاً من العقوبة، لعل ربكم أن يرحمكم ويرجى أن يغفر لكم ما اجترحتم من الشرك والمعاصي... فاذا قيل لهم ذلك أعرضوا نأوا حسبما اعتادوه، اعرضوا عن النظر في الآيات التي يشاهدونها في الآفاق والأنفس، ونكصوا على أعقابهم مستكبرين.

قال الله تعالى: «قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين سامراً تهجرون» المؤمنون: ٦٦ـ ٦٧).

٤٦ـ (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاّ كانوا عنها معرضين)

وما تأت هؤلآء المشركين المكذّبين آية أيّة آية كانت من آيات القرآن الكريم، وأيّة حجّة قاطعة من حجج الله تعالى، وأيّ دليل واضح من الأدلة على توحيد الله عزّوجلّ وربوبيته، على جلاله وعظمته، على علمه وحكمته، على تدبيره وقدرته، على تصديق رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وعلى البعث والنشور إلاّ كانوا هم معرضين عنها من غير أن

يتفكّروا فيها ويتدبّروها فيعلموا بها ما احتجّ الله جل وعلا عليهم بها.

قال الله تعالى: «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين فقد كذّبوا بالحق لما جآءهم فسوف يأتيهم أنباؤا ما كانوا به يستهزؤن» الأنعام: ٤-٥).

وقال: «وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلّا كانوا عنه معرضين» الشعراء: ٥)

وقال: «وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ وكذّبوا واتبعوا أهوآءهم» القمر: ٢-٣).

وذلك ان ديدنهم ودأبهم هوالإعراض عن كل آية آفاقية أو أنفسيّة، هو الاستهزآء بكل آية من آيات القرآن الكريم، هوالتكذيب بكل معجزة من المعجزات، وهو السخرية بكل موعظة ونصيحة من المواعظ والنّصائح.. ولافرق عندهم في الاعراض بين العقائد والأقوال والأعمال ... فهم معرضون عنها جميعاً عتوّاً وعناداً ولجاجاً وجهلاً عن جهالتهم وغفلة عن غفلتهم.

٤٧- (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشآء الله أطعمه إن أنتم إلّا في ضلال مبين)

وإذا قيل- قال فقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أو رسول منه صلى الله عليه وآله وسلّم إلى المشركين- لهؤلآء المشركين المكذّبين بطريق النصيحة وصلاح المعيشة: أنفقوا -علينا- بعض ما رزقكم الله به في طاعته، أعطاكم بطريق التفضّل والانعام من أنواع الأموال على الفقرآء والمحتاجين والمساكين، فأخرجوا ما أوجب الله تعالى عليكم في أموالكم من الصدقات والزكوات وما إليها، فوضعوها في مواضعها، فان ذلك مما يردّ البلاء ويدفع المكاره وينمى الأموال ويوجب الأجر...

قال الله تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مأة حبّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف

عليهم ولاهم يحزنون. يمحق الله الربوا ويُربي الصدقات» البقرة: ۲٦۱- ۲٦۲ و ۲۷٦)
وقال: «وما لكم ألّا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض» الحديد: ۱۰).

وقوله تعالى: «قال الذين كفروا للذين آمنوا» قال الذين كفروا بوحدانية الله جل وعلا وجحدوا ربوبيته وكذّبوا بنبوّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم وأنكروا يوم البعث من المشركين المستكبرين قالوا للذين آمنوا مخرج الاستهزآء بالمؤمنين، تهكّماً بهم من إقرارهم بالله تعالى وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله جل وعلا ساخرين منهم. وذلك ان المشركين كانوا يسمعون المؤمنين وهم يعلقون الأفعال بمشيئة الله تعالى، فيقولون: لوشآء الله لأغنى فلاناً وأعطى فلاناً، ولوشآء الله لكان كذا وكذا، فأخرج المشركون هذا الجواب إحتجاجاً منهم في منع الحقوق بأن يقولوا:

«**أنطعم من لويشآء الله أطعمه**» أنطعم حسبما تعطوننا به مَن لويشاء الله أطعمكم على زعمكم؟! كيف نطعم من يقدر الله على إطعامه؟ ولوشآء الله أن يرزق الفقراء والمحاويج ويطعمهم لأطعمهم، ولماقترعليهم ولما حرمهم، فاذا لم يطعمهم دل على أنّه لم يشأ إطعامهم، فنحن إذاً أحق بذلك. وهذا من فرط جهالتهم، فان الله جل وعلا يطعم بأسباب منها حثّ الأغنيآء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له.

كان المشركون يفهمون لسوء رأيهم إذا كان الله تعالى هوالرازق، فهو قادر على أن يرزقكم فِلمَ تلتمسون الرزق منّا؟ وهذه حجّة واهية ورأى مأفون لأن الله عزّوجلّ قدابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقرآء بالصبر وأمر الأغنيآء بالعطاء والشكر: «ولو شآء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات» المائدة: ٤۸).

«فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردّى» الليل: ٥- ۱۱).

وقد ذهب على هؤلاء المشركين ومن إليهم أن الله تعالى تعبّدهم بذلك لما فيه من

الابتلاء والاختبار، ومن المصلحة واللطف في فعل الواجبات وترك المقبحات وغير ذلك فلذلك كلّفهم إطعام غيرهم.

فحرموهم وقالوا: لوشاء الله لأطعمكم -إستهزآءً- فلا نطعمكم حتى ترجعوا إلى ديننا: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا -سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولاحرّمنا من شيئ» الأنعام: ١٣٦ و١٤٨) «ويجعلون لما لايعلمون نصيباً مما رزقناهم» النحل: ٥٦) «ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون» الذاريات: ٥٧) «أهم يقسمون رحمة ربك -وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» الزخرف: ٣٢-٣٥).

وقوله تعالى: حكاية عنهم: «إن انتم إلّا في ضلال مبين» ومن العجيب ان المشركين المستكبرين لم يعظّموا الخالق ولم يشفقوا على المخلوق إذا أمرهم بالانفاق، انهم عابوا الآمر على الإنفاق ووصفوه بالضلال البيّن الذي لاشبهة فيه، فقالوا: ما أنتم أيّها القوم الفقراء في دعواكم أن الله أمرنا بالانفاق وشآء لكم منّا ذلك، وفي طلبكم هذا منّا، وفي مقالتكم لنا بالانفاق مما رزقكم الله على محاويجكم إلّا في ضلال بيّن، وبُعد عن سبيل الرشاد، حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله.

وهذا معذرة النجلاء في كل عصر ومصر حيث انهم يقولون دائماً: لانعطى من حرّمه الله وتلك فرية منهم ولم يعلموا أن الفقر والغنى ليسا على أساس اللياقة، وإنّما هما ابتلاء وإمتحان!

٤٨- (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)

ويقول هؤلاء المشركون المستكبرون، والمكذّبون المجرمون، يقولون لفرط بغيهم وجهالتهم، لغاية غيّهم وغفلتهم، ولشدّةعنادهم ولجاجتهم... مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين، مستهزئين بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وساخرين من المؤمنين: حينما يقع هذا الوعد الذي تعدوننا وتهدّدوننا وتخوّفوننا به من البعث للبعث

والجزآء إن كنتم صادقين في وقوعه.

قال الله تعالى: «وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظنّ إلّا ظنّاً وما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣١-٣٢).

وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت» النحل: ٣٨).

وقال: «وقالوا إن هي إلّا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين» الأنعام: ٢٩).

أن الكفرة الفجرة يستبعدون قيام الساعة، وتحقق الوعد للمؤمنين والوعيد للكفّار والمشركين، فأسمع الجواب من ناحية الله تعالى:

٤٩ ـ (ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون)

ما ينتظر هؤلآء المشركون الفجرة، هؤلآء المستكبرون الكفرة، هؤلآء المجرمون الفسقة وهؤلآء المكذّبون الباغية الذين يستعجلون بوعيد الله تعالى إياهم، ما ينتظرون إلّا صيحة واحدة عظيمة هائلة وهى النفخة الاولى، بها يموت أهل الأرض جميعاً، تأخذهم بغتة أثنآء استغراقهم في لهوهم وشهواتهم، أثنآء تشاجرهم على الدنايا وتنافسهم على الرئاسات، أثنآء تخاصمهم في متاجرهم ومعاملاتهم، أثنآء طرقهم وأسواقهم، أثنآء تنازعهم في امور معايشهم، وأثنآء خصوماتهم وجدالهم... تأخذهم مفاجأة في مجالسهم ومشاغلهم، في مساكنهم ومآكلهم، في مشاربهم ومضاجعهم، تأخذهم وهم في غفلة عن غفلتهم، في سفاهة عن سفاهتهم، وفي جهل عن جهالتهم... بحيث لا يخطر ببالهم مجيئ الساعة وأمر البعث، ولايخطر ببالهم شيء من مخايلها، فيموتون في مكانهم.

قال الله تعالى: «ولايزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة» الحج: ٥٥).

وقال: «هل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لايشعرون» الزخرف: ٦٦).

وقال: «قد خسرالذين كذّبوا بلقآء الله حتى إذا جآئتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا

على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهوٌ وللدار الآخرة خيرللذين يتّقون أفلا تعقلون» الأنعام: ٣١- ٣٢) فلا تغترّوا أيّها الغافلون عن حقائق الوجود، والمنهمكون في الشهوات واللذّات والرئاسات والبطون بعدم ظهور علائم الساعة، ولا تزعموا أنها لا تأتيكم، إنّما تطلع عليكم من حيث لاتحتسبون، فتأخذكم وأنتم في هذا الجدال والاختصام والتنافس فيما يشغلكم من امور دنياكم، وفيما تختصمون فيه مع المؤمنين في أمر هذا اليوم.

٥٠- (فلا يستطيعون توصية ولاإلى أهلهم يرجعون)

فلا يستطيع هؤلآء المشركون المستكبرون ومن يسلك مسلكهم لايستطيعون عندالصيحة الاولى أن يوصى بعضهم بعضاً توصيته في شيء من امورهم إن كانوا فيما بين أهليهم إذ لا تدع الصيحة لهم سبيلاً إلى أن يتصرّفوا في شيء مما في أيديهم أو يوصوا بشئ منه إلى مَن يودّون ايثاره بشيء مما كانوا يحرصون عليه، أو يوصى بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع أو بتفويض المقام والرئاسة أو بتمليك الأموال ونقل الثرآء... أو يوصوا أموالهم أحداً، ولما في أيديهم من حقوق إلى ذويها، أو يوصوا بأداء الواجبات التي تركوها وردّ المظالم، بل هم يموتون في مكانهم حيثما كانوا، فأين الفرصة لوصيّة يوصون بها، ولايستطيع مَن كان منهم خارجاً عن أهله وبلده وموطنه أن يرجع إليهم فيروا حالهم ويوصوا عشيرتهم وأحبّائهم وأولادهم بالفراق لأنهم لايمهلون لذلك إذ تبغتهم الصيحة، ويعجّلون فيها بالهلاك ، فيموتون من فورهم أينما كانوا، فالموت لاينتظرهم لحظة واحدة، فلِمَنْ يوصون، ولامن باق ولا من باقية إذ لايترك منهم أحد، ولا من متاع الدنيا شيء.

قال الله عزوجلّ: «بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلايستطيعون ردّها ولاهم يُنظرون» الأنبيآء: ٤٠).

٥١- (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون)

ونفخ في الصور نفخة ثانية للبعث والنشور والخروج من القبور، وهذا يوم الوعيد: «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد» ق: ٢٠) فاذاً هؤلآء المشركون المكذّبون بالبعث وغيرهم جميعاً قيام من قبورهم، يسرعون في الخروج منها، مسرعين من غير إختيار إلى مالك أمرهم على الاطلاق ليوفيهم حسابهم بأن المتخلصين عن محابس البرازخ يتوجّهون إلى الحضرة الالهية وهي الموضع الذى يحكم الله تعالى فيه لاحكم لغيره هناك . والنسل بمعنى السرعة بالتفريق، والتفرق بين المسرعين.

قال الله تعالى: «يوم يخرجون من الأجداث سِراعاً كأنهم إلى نصبٍ يوفضون» المعارج: ٤٣).

وقال: «يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عَسِرٌ» القمر: ٧- ٨).

وقال: «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً» النبأ: ١٨).

وقال: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلّا مَن شآء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون» الزمر: ٦٨).

وقال: «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً» الكهف: ٩٩)

إن الصور هو: قرن ينفخ فيه إسرافيل، فيخرج من جوفه صوت عظيم هائل يميل إليه العباد أجمعون لأنّه كالداعي لهم إلى نفسه، وهو من صار يصور صوراً إذا أماله، ومنه قوله تعالى: «فصرهن إليك» البقرة: ٢٦٠) أى أمِلْهُنّ إليك، ومنه الصورة لأنها تميل إلى مثلها بالمشاكلة والمشاهدة.

٥٢- (قالوا يا ويلنا مَن بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)

لمّا نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة، فردّت أرواحهم إلى أجسادهم يتعجّبون من ذلك إذ يرون أنفسهم خارجة من القبور بسرعة، ويشاهدون الأهوال

والدهشة والفزع الأكبر لدى النفخة الثانية في ابتداء بعثهم من القبور، ويرون أنفسهم مسرعين من غيرإختيار إلى المحشر ومحكمة العدل الالهي، وهناك عذاب شديد ينتظرهم يقولون: يا عذابنا وهلا كنا احضر فهذا أوانك! مَن بعثنا من قبورنا بعد موتنا؟ ومن أنشرنا من مضجعنابعدنومتنا؟ وذلك انهم ظنّوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الأهوال والدهشة والفزع الأكبر التى لا تقوم لها الجبال، وما داخلهم من الفزع أنّهم كانوا نياماً انتبهوا، ولم يدركوا عذاب القبر فاستفهموا عن موقظهم؟

تقول الملائكة جواباً لهم على طريقة الاسلوب الحكيم: لا تسئلوا عن الباعث والموقظ إذ لستم نياماً، وليس الباعث يهمّكم، وإنّما الذي يهمّكم حقاً أن تسئلوا ما هذا البعث ذوالأهوال؟ ما هذا الموقف الرهيب الذي تكذّبونه؟ وما هذا الذي ترون أنفسكم خارجة من القبور مسرعة؟ وما هذا إسراعكم من غيرإختيار إلى المحشر للحساب والجزآء؟ وما تلك النار التي تناديكم وتدعوكم إليها التي كنتم تنكرونها؟؟؟

والجواب حينئذ: هذا ما وعدكم به الرحمن في كتابه، وصدق المرسلون فيما أخبروا به من وعد الله تعالى ووعيده، وأنتم تقولون مستهزئين: «متى هذا الوعد»؟

قال الله عزوجل: «هذه جهنّم التي كنتم توعدون» يس: ٦٣).

وقال: «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» مريم: ٣٧).

وقال: «إنّما توعدون لواقع ـ لأىّ يوم اجّلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذّبين» المرسلات: ٧ ـ ١٥).

٥٣ ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون)

ما كانت النفخة الثانية التي حكيت آنفاً، وماكانت إعادتهم أحيآء بعد موتهم إلّا صيحة واحدة عظيمة لايقادر قدرها كما كانت إماتتهم بصيحة واحدة، وإن كلتا النفختين تحصلان من نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، فاذاً بلالبث ما طرفة عين، مجموع هؤلاء المشركين الفجرة، هؤلآء المكذّبين الكفرة، هؤلآء المجرمين الفسقة، وهؤلآء

المستكبرون الباغية بمجرد الصّيحة لدينا محضرون لفصل الحساب، فاليوم هو يوم الفصل ليس بالهزل، هو يوم القضآء العدل فلا تظلم نفس شيئاً، ولا تجزون إلّا بما كنتم تعملون: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» الأنبيآء:٤٧) محضرون للعرض والحساب والجزآء بلا إمكان تخلّف من أحد منهم كقوله تعالى: «فانّما هي زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة» النازعات:١٣-١٤) «وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو هوأقرب» النحل:٧٧).

وليس بين الموت بالنفخة الاولى، والبعث بالنفخة الثانية إلّا كنومة نمتها ثم استيقظت منها.

٥٤-(فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلّا ما كنتم تعملون)

فيوم البعث والنشور، ويوم الحساب والجزآء لا تظلم نفس، ولا تبخس نفس من النفوس برّة كانت أو فاجرة شيئاً من الظلم والبخس، فلا يحمل عليها وزر غيرها: «ولا تَزر وازرة وزراخرى» فاطر:١٨) فتوفّى كل نفس أجر ما عملت من صالح، وتعاقبت بما اكتسبت من طالح جزآءً وفاقاً لما عملت في الدنيا: «وتوفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون» النحل: ١١١) في هذا اليوم يلقى كل إنسان جزآء ما عمل، فالمسيئ لايلقى من الجزآء إلّا بقدر إسائته، والمحسن لايبخس من إحسانه شيئ بل يوفّاه مضاعفاً، فلا ينقص من له حق من حقّه شيئاً من ثواب أو عوض أو غير ذلك، ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب، بل الامور جارية على العدل، يقضى بينهم في هذا اليوم قضآءً عدلاً ويحكم حكماً حقاً: «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم» غافر:١٧).

وقوله تعالى: «ولاتجزون إلّا ما كنتم تعملون» وسيقال لهؤلاء المشركين المستكبرين حين يرون الساعة وأهوالها تحقيقاً للحق وتقريعاً للكافرين: لاتجزون أيها الكافرون الفجرة والمستكبرون الباغية إلّا جزآء ما كنتم تعملونه في الحياة الدنيا، يقال لهم في مواضع أربعة:

قال الله تعالى: «يا أيّها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ما كنتم تعملون» التحريم: ٧).

وقال: «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذابَ الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون» الأحقاف: ٢٠)

وقال: «ومن جآء بالسيّئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون» النمل: ٩٠)

وقال: «ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلّا بما كنتم تكسبون» يونس: ٥٢)

٥٥ـ (إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون)

سيقال للكافرين المستكبرين يوم القيامة زيادة لحسرتهم وشدّة ندامتهم: ويلكم أيّها الكفرة الفجرة، أيّها العصاة الفسقة! إن أصحاب الجنّة في هذا اليوم في شأن يشغلهم عن كل شيءٍ دونه، وهو التنعّم بأنواع نعم الله جل وعلا في الجنة، هم يتمتّعون بها على سبيل المالكية من جانب الله عزّوجل، فهم صاحبوها حقيقة لانتقال فيها، لاعتباراً، وهم يفوزون فوزاً عظيماً بنيل ذلك النعيم المقيم والملك الكبير، هم في الجنة في شغل بأنواع نعيمها وصنوف لذّاتها، متمتّعون بما أعدّه الله تعالى لهم ثواباً وإكراماً عليهم وجزآءً لهم بما كانوا يعملون، هم متنعّمون، متلذّذون بما هم فيه فيها من الأبكار والأوتار، من الحور والقصور، من الأنهار والأشجار، من الألحان والرضوان، ومن ضيافة العزيز الغفّار. «في شغل» الشغل هو الشأن الذي يصدّ المرء ويشغله عمّا سواه من شئونه لكونه أهمّ عنده مما سواه إما لايجابه كمال المسرّة والبهجة أو نهاية المساءة والغمّ والمراد في المقام هو الأوّل.

هم فرحون مرحون إذ لاخوف عليهم، ولا مشكلات تحزنهم، ولا مشاحنات طائفية

وخلافات عائلية تغمّهم، ولا حسد على المناصب والرغائب تنغص عيشهم... ويكون ذلك كله يشغلهم بحيث ينسون غيرهم من أهل النار، إذ يرون مالا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب إنسان، فأنّى لهم هناك أن يفكّروا فيما سوى ذلك، وهم بذلك فرحين مستبشرين، ضحوك السن، هادئ النفس، لايرون شيئاً يغمّهم أو ينغّص عليهم حبورهم وسرورهم.

قال الله تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزآءً بما كانوا يعملون» الأحقاف: ١٣- ١٤).

وقال: «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً» الفرقان: ٢٤).

وقال: «اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غلّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمدلله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جآءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنّة اورثتموها بما كنتم تعملون» الأعراف: ٤٢- ٤٣).

وقال: «فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوّجناهم بحورعين» الطور:١٨- ٢٠).

٥٦- (هم وأزواجهم في ظلال على الأرآئك متّكئون)

هؤلآء أصحاب الجنّة هم وأزواجهم من حورالعين وغيرهن من الزوجات المؤمنات اللاتي أُدخِلن الجنّة هنّ أمثالهم في الايمان: «وآخر من شكله أزواج» ص: ٥٨) هم في ظلال وارفة، متكئون على السرر المزيّنة والمقاعد العالية لا يضحون لشمس إذ لاشمس فيها: «متكئين على الأرآئك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً» الانسان:١٣).

هم يسمرون ويتمتّعون ويرزقون فيها رزقاً كريماً. هذا مجالس انسهم في الجنة.

إن منتهى ما تسموا إليه النفوس من لذّات أن يرى الانسان مكاناً رفيعاً فيه ظلّ ظليل، وأنهار جارية وأشجار مورقة، وهو يجلس على المقاعد العالية جلوس الملوك ،

ويتّكئ على السرر المزيّنة إتكآء الأعزّة، عليها الحجال أى الناموسات حاضرة عنده، وان هذا الإلف الذى يجمع بين الزوج وزوجه رغيب من رغائب الانسان في الحياة الدنيا يسعد به من وجده في زوجه، ويشتهيه من حُرِمه، فيكون من تمام النعمة على الرجال وعلى أزواجهم أن يجتمع بعضهم إلى بعض.

قال الله عزّوجل: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهّرة وندخلهم ظلاً ظليلاً» النسآء:٥٧).

وقال: «يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون» الزخرف: ٦٨-٧٠).

وقال: «كذلك وزوّجناهم بحورعين» الدخان: ٥٤).

وقال: «اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً» الكهف: ٣١).

٥٧ - (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون)

لأصحاب الجنّة فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه مالذّ وطاب مما تقرّبه أعينهم، وتسرّبه نفوسهم، ولهم فيها فوق ذلك: كل ما يتمنّونه ويطلبونه، وتشتاق إليه قلوبهم، وتشتهيه نفوسهم كائناً ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرورمما لايقع تحت حصر، ومما لاعين رأته، ولا اذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر من الطعام والشراب والفواكه وأنواع الملاذ غير ما يقدّم إليهم من غير طلب... هذا مجالس لذّاتهم الجسمانية...

قال الله تعالى: «وإن للمتقين لحسن مآب جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيا بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد» ص: ٤٩- ٥٤).

وقال: «ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم» فصلت: ٣١- ٣٢).

وقال: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشآؤن عند ربهم ذلك هو الفوز الكبير» الشورى: ٢٢).

وقال: «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون» الزخرف: ٧١)

وقال: «يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» الدخان: ٥٥).

وقال: «وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزى المحسنين» المرسلات: ٤٢- ٤٤).

٥٨ - (سلام قولاً من رب رحيم)

يقال لأصحاب الجنة فيها: سلام قولاً كائناً من ساحة رب رحيم، يسمعونه من الله عزّوجل مباشرة مبالغة في تعظيمهم وزيادة في إكرامهم والحفاوة بهم، يؤذونهم بدوام الأمن والسلامة ودوامها مع سبوغ النعمة والكرامة، هذا هوغاية نعيم أصحاب الجنّة وأطيب طعومها الطيّبة عندهم. السلام من الله تعالى هوالأمان من كل مكروه ونيل لكل محبوب، والرحمة والسعادة والنعمة الدائمة غير المنقطعة، إن الله جل وعلا يسلّم على المؤمنين في الجنّة كما يصلّي عليهم في الحياة الدنيا تعظيما لهم، وذلك منتهى درجات النعيم الروحي والجسماني الذي إليه تصبوا النفوس في دنياها وآخرتها.

قال الله تعالى: «هو الذى يصلّى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً» الأحزاب: ٤٣).

وقال: «ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣٤- ٣٥).

وقال: «اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحيّة وسلاماً» الفرقان: ٧٥) هذا حال المؤمنين في جنات النعيم.

٥٩- (وامتازوا اليوم أيها المجرمون)

وأما الفريق الثاني فيقال لهم عند الوقوف للسئوال حين يؤمر بأهل الجنّة إلى الجنّة وقداختلطوا بهم حين البعث: إنفردوا وتميّزوا أيها المجرمون العصاة عن زمرة المطيعين المحسنين، إبتعدوا أيها المشركون الطغاة عن ساحة الموحّدين المخلصين، أخرجوا أيها المستكبرون البغاة من جملة المتقين المحسنين، انفصلوا وانعزلوا عنهم وخذوا مكاناً خاصّاً بكم حيث تتميّزون به وتعرفون فيه، فكونوا على حدّة، فتفرّقوا فان هذا يوم الفصل والإمتياز، ويوم الانفراد والابتعاد... وادخلوا مساكنكم من النار، فلم يبق لكم بَعْدُ، إجتماعٌ بالمؤمنين أبداً إذ لاينبغي يوم كشف السرآئر إجتماع الموحد والمشرك ، إجتماع المؤمن والكافر، إجتماع المخلص والمنافق، إجتماع الصالح والفاسد، إجتماع المصلح والمفسد، وإجتماع المطيع والمجرم في الدار الآخرة كما كانوا في الحياة الدنيا فان الاجتماع في الآخرة على أساس العقيدة والعمل، وفي الدنيا على أساس الوجود سوآء كان المجرمون مجتمعين أم لا.

قال الله تعالى: «ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون- ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين» الأنعام: ٢٢ و ٢٧).

وقال: «ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون» الروم: ١٤).

وقال: «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذّبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم» الصافات: ٢١- ٢٣).

وقال: «وترى كل امة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها» الجاثية: ٢٨).

وقال: «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام» الرحمن: ٤١).

وقال: «أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون» القلم: ٣٥- ٣٦).

٦٠ ـ (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّمبين)

ثم يقال لهؤلآء المجرمين الطاغية، والمستكبرين الباغية، والكافرين الفاجرة والمشركين العاتية... تأنيباً وتوبيخاً على ما مضى من سوء عقائدهم وفساد أعمالهم وشنيع أقوالهم: «ألم أعهد إليكم يا بنى آدم» عهد الله تعالى بنى آدم ما ركب فيهم من القوى العاقلة والفطر السليمة التى تهديهم إلى الخير والحق، وما أُرسل إليهم من رسل مبشّرين ومنذرين يدعونهم إلى عبادة الرحمن، ويحذرونهم دائماً من طاعة الشيطان، فحذّرنا الله جل وعلا بفطرتنا وبواسطة رسله من الشيطان، والمعنى:

ألم أوصكم بما نصبتُ لكم من الأدلّة القاطعة للتوحيد وبطلان الشرك ؟ ألم أمنحكم من العقول والشعور؟ ألم انبّهكم؟ ألم ابعث إليكم من الرسل؟ ألم انزل لكم من الكتب؟ وألم أجعل كل ذلك بياناً للطريق الموصل إلى الخير والحق، إلى الرشد والكمال، إلى النجاة والفلاح، إلى العزّة والصلاح، وإلى السعادة والرضوان؟ وألم أقل لكم: «يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان» لا تطيعوه في معصيتي بأن تتركوا طاعته فيما يوسوس به إليكم من معصيتي ومخالفة أمري فانّه لكم عدوّ بيّن العداوة، يأمركم بعبادة الأصنام والأوثان المنحوتة، وبطاعة الهياكل والهيئات الموهومة، وهويزيّن لكم الشرك بالله سبحانه، وعبادة غير الله فلا تغفلوا، وهو يزيّن لكم المعصية والمخالفة، ويمنعكم من التوحيد والطاعة لله وحده، وهو يزيّن لكم الإنحطاط والخسران، ويمنعكم من الرشد والكمال... وهو يقول: «رب بما أغويتني لازيّننّ لهم في الأرض ولاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» الحجر: ٣٩ ـ ٤٠).

ومن طبعه أن يوبقكم في مهاوي الردى، ويوقعكم في مزالق الهلاك والدمار والنار لأنّه عدوّلكم، والعدوّ لايريد بعدوّه خيراً قطّ.

قال الله تعالى: «إن الشيطان لكم عدوّفا تخذوه عدوّاً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير» فاطر: ٦).

وقال: «ولا يصدّنكم الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين» الزخرف: ٦٢).

فقد أعذرتُ إليكم أيّـها المجرمون بما أنذرتُ وحذّرتُ وأقمتُ الحجج والبراهين بالبصر والبصيرة، وبالوحي على لسان الأنبيآء والمرسلين والأولياء والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فقست قلوبكم، وأبت الهداية، فعلى مَن تقع الملامة، فلوموا أنفسكم؟!

إن الشيطان يلعب دوراً خطيراً في إغوآء الانسان وهو يسعى أن يجعل هذا الانسان من أصحاب السعير، وأوّل عمل يقوم به: أن يبعده عن ذكر الله عزّوجل، ويوسوس إليه أن ذكر الله خرافة يتلهّى به العاطلون والعاجزون! يوسوس إليه ان الغربيين قد بلغوا ما بلغوا من هذا الرقى المادى دون اللجؤ إلى ذكر الله، وهل لرجل العصر في يومنا هذا من الوقت مع تزاحم الأعمال وكثرة الأشغال أن يذكر الله تعالى؟!.

وقد سمعنا كثيراً ما من هؤلآء المستغربين الهَمَج يستهزؤن بالذاكرين ربهم أوقات فراغهم يقولون: ما فائدة: (بس بس) يريدون بذلك قول المؤمنين: «سبحان الله، سبحان الله...» انهم كانوا يريدون أن يجاروا المتحضرين بحضارة العصر، ويماشوا ما هم عليه من إغفال ذكرالله، وذلك انك ترى: أن في ضيافات كبيرة وموائد بسيطة عامرة يجلس عليها رجال العصر الحاضر لايذكرون الله جل وعلا ولا يشكرون ولعلّ من يريد ذكر الله عزّوجلّ، وقد بقي لديه صبابة من ايمان، يخجل ممّن يتهمه بالرجعيّة أوالخرافة!

نعم: وقد أصبحنا في عصر أمسى فيه شكر المنعم خرافة! وهو القائل: «هل جزآء الإحسان إلّا الاحسان» الرحمن: ٦٠) «وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتبعون إلّا الظنّ وإن هم إلّا يخرصون» الأنعام: ١١٦) «إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون» الأعراف: ٣٠).

٦١ـ (وأن أعبدونى هذا صراط مستقيم)

وألم أعهد إليكم بلسان الفطرة والوحي: أن وحّدوني ولا تشركوا بي شيئاً، وأن

اعبدوني وحده دون كل ما سواى من الآلهة والأنداد، وأن أطيعوني فيما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه، فان التوحيد وإخلاص عبادتي وإفراد طاعتي ومعصية الشيطان هوالدين الحنيف على أساس الفطرة وهو الصراط المستقيم البليغ في إستقامته، وهذا وحده هوالطريق إلى الهدى والرشاد، إلى الحق والكمال إلى الخير والسعادة وإلى الفلاح والنجاة.

قال الله تعالى: «إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم- ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم» آل عمران: ٥١ و ١٠١).

وقال: «انّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين -وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله- قل إنّني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، الأنعام: ٧٩-١٥٣و ١٦١).

وقال: «قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمآئلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين» الأعراف: ١٦-١٧).

وقال: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» الروم: ٣٠).

وقال تعالى حكاية عن حبيب النجار: «ومالي لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون» يس: ٢٢).

ولكنكم أيها المجرمون سلكتم غير طريق الفطرة، فوقعتم في مزالق الضلال والانحطاط وتردّيتم في مهاوى الردى والنار!

٦٢- (ولقد أضلّ منكم جبلّاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون)

ومن علامة عداوة الشيطان لبني آدم وآثارها أنه قد أغوى منكم أيّها المجرمون خلقاً كثيراً في كل وقت ومكان إذ وسوس في صدورهم، وزيّن لهم فعل السيئات وقبّح لهم

الحسنات، فدعاهم إلى الضلال والفساد، وحملهم على الانحطاط والخسران، وأغواهم حتّى نقضوا العهد واتبعوا خطوات الشيطان، فصدّهم عن التوحيد، واتخذوا آلهة دونى يعبدونها، ووقعوا في المعاصي والبلآء العظيم، وموارد الهلاك والعذاب الشديد.

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان لعنه الله عزّوجل: «لازيّننّ لهم في الأرض ولاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» الحجر: ٣٩-٤٠).

وقال: «ومن الناس من يجادل في الله بغيرعلم ويتّبع كل شيطان مريد كُتِبَ عليه أنّه من تولاّه فأنّه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير» الحج: ٤).

وقال: «ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً- لعنه الله وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً ولا ضلّنّهم ولامنيّنهم ولآمرنهم فليبتّكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسرخسراناً مبيناً» النساء: ٦٠و١١٨-١١٩).

وقال تعالى حكاية عن أتباع الشيطان لعنه الله تعالى: «لقد أضلّنى عن الذكر بعد إذجآءنى وكان الشيطان للانسان خذولاً» الفرقان: ٢٩).

وقوله تعالى: «أفلم تكونوا تعقلون» أفلم تكونوا أيّها المجرمون مردة الشيطان اللعين تعقلون فيما قلنا لكم: ان الواجب عليكم على أساس الفطرة والوحي هوالتوحيد وطاعة الله جل وعلا وعبادته وحده ومعصية الشيطان؟ أفلا تعقلون عداوته لكم وإضلاله وإغوآئه؟ أفلم تكونوا تعقلون طريق الهدى والرشاد، وسبيل الكمال والفلاح؟ أفلا تعقلون أنه يغويكم ويصدّكم عن الحق فتنبّهون عنه وتؤمنون بالله تعالى كما أغوى أمثالكم وصدّهم عنه فلم تنبّهوا عنه فلم يؤمنوا؟ أفلا تزال أيديكم ممسكة بيد الشيطان وأنتم تمشون على أشلآء صرعآء منكم؟ أفلا ترتدعون عن مثل ما كانوا هم عليه كي لايحيق بكم من الهلاك والدمار مثل ماحاق بهم؟ وأفلا تعقلون ما حلّ بهم من العذاب والنار؟؟؟!!!.

قال الله تعالى: «أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئاً ولايضرّكم أفّ لكم ولما

تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» الأنبياء: ٦٦- ٦٧).

وقال: «ثم دمّرنا الآخرين وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون» الصافات: ١٣٦- ١٣٨).

وقال: «وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا من أصحاب السعير» الملك: ١٠).

وقال: «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم» الحشر: ١٩).

٦٣ - (هذه جهنم التي كنتم توعدون)

حين دخول المجرمين الفجرة والمستكبرين الكفرة والمكذّبين الفسقة جهنم ينادي منادٍ من جانب الله تعالى: أيّها المجرمون! هذه جهنم التي تشاهدونها حاضرة كنتم توعدون بها مرّة بعد اخرى بلسان الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمصلحين بسبب نقضكم عهد الله جل وعلا وخروجكم عن أمره، بسبب طاعتكم للشيطان، بسبب إصراركم على الشرك بالله سبحانه والطغيان، بسبب تكذيبكم آيات الله تعالى ورسله عليهم السلام، وبسبب إنكاركم البعث والحساب والجزآء، فقد كانت النار هى موعدكم.

قال الله تعالى: «هذه جهنم التى يكذّب بها المجرمون» الرحمن: ٤٣).

وقال: «ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير» الحج: ٧٢).

وان أوّل ما أوعد الله تعالى مردة الشيطان جهنم إذ قال لابليس لعنه الله: «قال فالحق والحق أقول لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٤- ٨٥).

وقال: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم» الحجر: ٤٢- ٤٤).

٦٤- (إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)

يقول الله تعالى لهم مع هذا: أيّها المجرمون ادخلوا اليوم جهنم من فوق، والزموها

جزآءً بما كنتم تكفرون به، وقاسوا فنون عذابها بسبب شرككم بالله سبحانه وطغيانكم، واحترقوا بها بسبب جرمكم وعصيانكم وذوقوا حرّها الشديد وعذابها الأليم وبسبب تكذيبكم وضلالكم المستمر في الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدّمت أيديكم» آل عمران: ١٠٦ و ١٨١- ١٨٢).

وقال: «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الأحقاف: ٣٤).

وقال: «ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذّبون» سبأ: ٤٢).

وقال: «وإن للطاغين لشرّ مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغسّاق» ص: ٥٥- ٥٧).

٦٥- (اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)

إن الله جلّ وعلا يدفع يوم القيامة إلى المشركين الطاغية، إلى الكافرين الباغية، إلى المجرمين الفاجرة، وإلى المنافقين الفاسقة كتابهم، فينظرون فيه، فينكرون يومئذٍ ما اجترحوا في الحياة الدنيا من الشرك والطغيان، من الكفر والعصيان، من الشرّ والآثام ومن النفاق والفسوق... فيحلفون أنهم مافعلوا ذلك.

قال الله تعالى: «ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا والله ربنا ما كنّا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون» الأنعام: ٢٢- ٢٤).

فيجادلون ويخاصمون ويحتجّون ويدافعون عن أنفسهم: «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفّى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون» النحل: ١١١) «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» الزمر: ٣١) فتشهد عليهم جيرانهم وأقرباؤهم وأزواجهم وأولادهم ورفقاؤهم وأصحابهم، فهم مع ذلك يجحدون شركهم واستكبارهم،

وينكرون ظلمهم وبغيهم وفسادهم... فتشهد عليكم الملائكة، فيكذّبون شهادتهم ويقولون: يارب إن الملائكة يشهدون لك علينا، ثم يحلفون أنهم لم يعملوا شيئاً من ذلك «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا إنّهم هم الكاذبون» المجادلة: ١٨).

وقوله تعالى: «نختم على أفواههم» فاذا فعلوا ذلك نختم على أفواه المشركين الطغاة، على أفواه الكافرين البغاة، على أفواه المجرمين العصاة، وعلى أفواه المنافقين العتاة ختماً يمنعها عن الكلام، فلا يقدرون حينئذ على النطق، ولايستطيعون دفاعاً كاذباً عن أنفسهم، فلا تنطق ببنت شفه، فيستنطق جوارحهم بما اجترمت من الشرك والفسوق ومن النفاق والمعاصي التي أداموها إلى حين الموت، فتنطق يوم القيامة الأعضآء التي لا تنطق في الحياة الدنيا، فتشهد عليهم.

وقوله تعالى: «وتكلّمنا أيديهم» فتشهد عندنا عليهم بما ضربت وسرقت، بما كتبت وأشارت، وبما خانت وكسبت من معاصي الله جل وعلا.

وقوله تعالى: «وتشهد أرجلهم ...» بما مشت وسعت، وبالمعاصي الخاصّة بها وكذلك غيرالأيدي والأرجل من سائر الأعضآء والجوارح تشهد عليهم بما كانوا يكسبون في الحياة الدنيا، فان كل عضو منها ينطق بما يخصّه من العمل، وان ذكر الأيدي والأرجل من باب النموذج، وان للأيدي مزيد اختصاص بمباشرة الأعمال، ومن ثم كثرت نسبة العمل إليها كقوله تعالى: «وما عملته أيديهم» يس: ٣٥) وقوله عزّوجل: «ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس» الروم: ٤١) ثم الأرجل لكثرة السعى والحركة والحمل منها، فليست الأيدى والأرجل وحدها هى التى تنطق، وتشهد على أصحابها، ولذا ذكر في موضع آخر السمع والبصر والفؤاد: «إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً» الاسرآء: ٣٦) وفي موضع آخر الجلود: «ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتّى إذاما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون» فصلت: ١٩- ٢٠).

فكل جارحة للعصاة الطغاة ينطقها الله جل وعلا غداً لتشهد على صاحبها بما اجترح من السيئات، فا ليد تشهد عليه بما ضرب ... والرجل بما سعى ... والعين بمانظرت ... والاذن بما سمع ... والفؤاد بما خطر ... وغيرها من الأعضاء والجوارح والقوى الظاهرة والباطنة حتى ألسنتهم تلك التي ختم الله عليها أنها ستنطق، ولكن بعد أن تشهد عليهم الجوارح كلها، فلا يكون لهم حجة تنطق بها الألسنة ...

قال الله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» النور: ٢٤).

فلهم يوم القيامة مواقف عديدة، يؤذن لهم بالكلام في بعضها دون بعض، فموقف منها أن الله عزّوجلّ يختم على أفواههم حين شهادة الأيدي والأرجل، واخرى تشهد، فيأذن تارة: «يوم يأت لا تكلّم نفس إلّا باذنه» هود: ١٠٥) واخرى يمنع.

كما هو الشأن في اصول المحاكمات في الحياة الدنيا، فاذا انتهت الأعضآء من شهادتها أطلق الله تعالى الأفواه وسئل أربابها: ماذا تقولون في هذه الشهادة؟ تأكيداً للحجة والزامهم بها «ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهوواقع بهم» الشورى: ٢٢) وهم عندئذ يعتذرون إعتذاراً غلطاً: «ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون» السجدة: ١٢) «قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون» المؤمنون: ١٠٦-١٠٧).

فيردّ اعتذارهم: «قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون» المؤمنون: ١٠٨).

«ولا يكلّمهم ولاينظر إليهم يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب أليم» آل عمران: ٧٧).

٦٦- (ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون)

ولو نشآء أن نعاقب هؤلآء المشركين المستكبرين في الحياة الدنيا على شركهم واستكبارهم، وعلى كفرهم وطغيانهم لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد

المحجة حتى تصير أعينهم ممسوحة لاأثر منها، فذهبت به أبصارهم وبطل إبصارهم، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الهدى، وعندئذ قلنالهم: «فاستبقوا الصراط» الواضح الذي لايخطئ قاصده، ولايضلّ سالكه، وقدعموا عنه بسوء إختيارهم «فأنى يبصرون» طريقاً وهم لايهتدون إلى شئ، إذ لايستطيعون أن يبصروا الصراط المستقيم فيسيروا فيه، ولكنّا لم نفعل ذلك بهم للزوم الاختيار والحرّية في التكاليف، فلم نلجئهم إلى الايمان إضطراراً.

إن الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «ولوشآء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير» البقرة: ٢٠)

وقوله عزّوجل: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولوشاء الله لجعلكم امّة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم» المائدة: ٤٨).

وقوله جل وعلا: «ولوشآء الله لجمعهم على الهدى فلا تكوننّ من الجاهلين ـ قل فلله الحجة البالغة فلوشآء لهداكم أجمعين» الأنعام: ٣٥ و١٤٩).

وقوله سبحانه: «ولوشآء ربك لآمن من فى الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» يونس: ٩٩).

٦٧ـ (ولونشآء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولايرجعون)

ولو نشآء أن نعاقب هؤلاء المجرمين الببغآء والمشركين الحمقآء والمستكبرين الجهلاء بنوع آخر من العقاب لحوّلناهم عن تلك الحال إلى ما هو أقبح منها، فسخناهم مسخاً يحل بهم في منازلهم، فجعلناهم قردة أوخنازير أوبهيمة أوحجارة... فلايقدرون أن يفرّوا منه باقبال ولاباد بار وما استطاعوا ذهاباً ولا إياباً كما فعلنا ببني إسرائيل من اليهود العنود إذ جعلناهم لعتوّهم وطغيانهم قردة وخنازير... «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين» البقرة: ٦٥ـ ٦٦). «قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله

وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدالطاغوت اولئك شرّ مكاناً وأضل عن سوآء السبيل» المائدة: ٦٠).

فغيّرنا خلقتهم وهم في مساكنهم التي يجترحون فيها السيئات، فلا يقدرون على ذهاب ولامجيئ ولاغدوّ ولارواح، ولايرجعون عن تلك الحالة أبداً إلى حالهم قبل المسخ والعذاب.

ولم نشأ ذلك للمشركين المجرمين جرياً على سنن الرحمة العامة كما بتلك الرحمة نرزق عبادنا من حيث انهم عبادنا من دون فرق في النعم التى نعطيهم ونرزقهم الظاهرة والباطنة، والمتصلة والمنفصلة من السمع والبصر، من الذوق واللسان، من اليد والرجل، من المال والجاه، من العقل والشعور، ومن الذكاوة والفطانة... فلو كان الكفر مانعاً عن الرحمة لكان مانعاً من العين والاذن، من اليد والرجل، ومن العقل والفكر... فلوكان إعطآء النعم على أساس الايمان لما خلق من كان يكفر!

٦٨ - (ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)

ومن نطول عمره نقلّبه في الخلق عكس ما خلقناه أوّلاً ـ كالشمس حين طلوعها إلى وقت الزوال ثم إلى حين غروبها ـ فلا يزال يتزايد ضعفه بعد كمال قدرته، وتتناقض قوته بعد نهايتها، وتنتقص بنيته بعد تمامها، ويتغيّر شكله وصورته بعد وجاهتها حين شبابه، حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد، ونقصان البنية، وقلّة العقل، والخلوّ عن الفهم والإدراك وعزب العلم... التنكيس هوتقليب الشئ بحيث يعود أعلاه أسفله، ويتبدّل قوّته ضعفاً، وزيادته نقصاً، وان الانسان في عهد الهرم منكّس الخلق يتبدّل قوته ضعفاً، وعلمه جهلا وذكره نسياناً وهو أرذل العمر.

قال الله عزّوجل: «ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير» النحل: ٧٠) وقد سمّاه أرذل العمر لأنه لايرجى له بعده عود من النقصان إلى الزيادة ومن الجهل إلى العلم كما يرجى مصيرا لصبي من الضعف إلى القوة ومن الجهل

إلى العلم كالشمس من زمن طلوعها إلى وقت الزوال، ثم إلى حين الغروب.

فالمعنى: ومن نعمّره نصيّره بعد قوته إلى الضعف، بعد شبابه إلى الهرم، بعد زيادة جسمه إلى النقصان، بعد جدته إلى البَلى، وبعد طراوته إلى الخلوقة، فكأنه نكس خَلْقه وخُلْقه، فيتغيّر قوة سمعه وبصره، قوة يده ورجله، قوة لسانه وشمّه، قوة شهواته ولذّاته، وقوة قواه الظاهرة والباطنة كلها...

نعم: ان عمر الانسان من ولادته إلى حين موته كاليوم والشهر والسنة، فأوّل حياته كأوّل اليوم إذا أشرقت الشمس ضئيلاً قليل النور، وهو في شبابه كالشمس في ضحاها نهاراً، وفي استوائه رجلاً كاملاً كالشمس إذا توسطت كبد السمآء وكان الزوال، فاذا ولّت أيامه وأدبر شبابه، وأقبل هرمه كان كالشمس إذا آذنت بالمغيب، فتضعف شيئاً فشيئاً وقت العصر إلى أن تنتهي وقت الغروب، وفارقت أهل الأرض وهم لها وامقون.

وأما الشهر فان صباه أشبه بهلال اوّل الشهر إذ تراه قوساً منحنياً... فيسير ثمانية وعشرين منزلاً، فتراه في آخر منازله كما كان في أوّلها، فشبابه واستوائه وفتوّته وقوّته رجلاً كاملاً أشبه بالقمر ليلة البدر، ثم ينقص نوره إلى أن يعود كما بدأ أوّل مرّة قوساً منحنياً ضئيلاً قليل النور... ثم يختفي.

وأما السنة فصباه أشبه بفصل الربيع تدبّ فيه الأرض وحشراتها، وتنبعث من مراقدها، ويذبّ الثلج وتورق الأشجار وتزهر الأغصان وتثمر الحدائق وتأخذ الأرض زخرفها وتزيّن... وشبابه وفتوته واستوائه رجلاً أشبه بفصل الصيف، تشتدّ فيه الحرارة، وتنضج فيه الثمار، وتحصد فيه الغلاّت... فتدّخر، فاذا ولىّ شبابه وزمانه، وشابت مفارقه، وتدبّر أيامه، وانحلّت مفاصله، واصفرّلونه وسآئت حاله، أشبه بفصل الخريف الذي يعتدل فى أوله الليل والنهار، ثم يأخذ النهار في القصر والليل في الطول، فاذا انحل عراه وتضعف قواه، إلى أن يموت كان أشبه بفصل الشتاء تدخل الحيّات فى أوكارها، وتتواراى الحشرات في بيوتها، وتقف الحركات، ويختم السكون على أرجآئها...

وحقاً ان الهرم والشيخوخة آفة، تحوّل الانسان من الإدراك إلى الخرف، ومن القوّة

إلى الضعف، وقد يصبح كالطفل الرضيع يعجز عن قضآء حاجته الضرورية، والموت حينئذ ألذ وخير من هذه الحياة، لأن الشيخوخة نكسة إلى الطفولة بغير ملاحة الطفولة وبرائتها المحبوبة، ومايزال الشيخ يتراجع وينسي ما علم وتضعف أعصابه، ويضعف فكره واحتماله حتى يرتد طفلاً، ولكن الطفل محبوب اللثغة، تبسم له القلوب والوجوه، والشيخ مجتوى لا تقال له عثرة إلّا من عطف ورحمة، وهو مثار السخرية كلّما بدت عليه مخايل الطفولة وهو عجوز، وكلما قوست ظهره السنون...

وقوله تعالى: «أفلا تعقلون» أفلا ترون ذلك ؟ فلا تعقلون أنّا إذا كنا قادرين على أن نمسخ صورهم كما غيّرنا صور المعمّرين ونعكس صور العقول تدريجاً، فنحن قادرون على ما ذكرنا من الطمس والمسخ فجأة؟ أفلا تتدبّرون أن من كان قادراً على كسر القوي الجسمانية للانسان وإضعاف بنيته وأعضائه بالذبول والتحليل مع بقآء نفسه وذاته، وتأكّد صفاتها وأخلاقها وزيادة هيئاتها النفسانية، ودواعيها الباطنية، فهو قادر على إعادتها في الثانية وبعثها، فان تلك الامور من علامات وقوع الساعة ومقدماتها وأشراطها...

٦٩ـ (وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين)

وما علّمنا رسولنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم الشعر بتعليم القرآن الكريم فلا يكون هو صلى الله عليه وآله وسلّم شاعراً ولا مايقوله شعراً، وذلك ان الله عزّوجلّ علّم رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم القرآن الكريم وهو «ماينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يُوحى علّمه شديد القوى» النجم: ٣ـ ٥). فاذا لم يكن المعلّم شاعراً فلم يكن القرآن شعراً ألبتة، مع أن الشعر أكثره مبنيّ على خيالات وأوهام واهية، فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر، المنزّه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحِكَم والأحكام الباهرة الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة؟!

وهذا ردّ لقول المشركين اللجوج والمجرمين العنود: إن القرآن شعر، وإن محمّداً صلى

الله عليه وآله وسلّم شاعر، فليس ما يقوله وحياً من عندالله وهو إفترآء وكذب وتخيّلات وأباطيل... «بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر» الأنبياء: ٥).

وقوله تعالى: «وما ينبغى له» لا تصح نسبة الشعر إلى القرآن الكريم ولايليق به الشعر ولايصلح ولايتسهّل لرسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم الشعر، وفي هذه النسبة جفآء لا تليق بساحتها جداً لأن طبع الشعر على الركون إلى الأهوآء تبعاً لفائدة ترجى أو شفآء نفس من ضغآئن الصدور وكَبْتاً لسَوْرة حقد أو حسد بحق أو باطل، وإن القرآن الكريم هو كتاب شريعة وكمال، كتاب سعادة وفلاح، كتاب نجاة وصلاح، كتاب آداب وأحكام، وكتاب حقائق وأخلاق... فيه خير البشر كلهم في دنياهم وآخرتهم، منزّه عن مثل هذا لأن للشعر منهجاً غير منهج الرسالة، وان الشعر ينفعل ويتقلّب من حال إلى حال، والرسالة وحى على منهج ثابت، على صراط مستقيم يتبع ناموس الله تعالى الثابت الذي يحكم الوجود كله لايتبدّل ولايتقلّب مع الأهوآء الطارئة، وأما الشعر فينفعل بالأحداث والأهوآء لا ثبات له، وان النبوّة إتصال دائم بالله جل وعلا، وتلقّ مباشر عن وحي الله عزّوجلّ، ومحاولة دآئمة لردّ الحياة إلى الله تعالى، فطبيعتها مختلفان من الأساس.

فما ينبغى ولايصحّ له صلى الله عليه وآله وسلّم الشعر، ولا يتأتى له لو طلبه أى جعلناه صلى الله عليه وآله وسلّم بحيث لو أراد الشعر لم يتأت له كما جعلناه أمّياً لايهتدي للخط لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدحض. «إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون ولابقول كاهن قليلاً ما تذكّرون تنزيل من رب العالمين» الحاقة: ٤٠-٤٣).

وقوله تعالى: «إن هو إلّا ذكر» ما هذا القرآن الكريم إلّا ذكر من الله عزّوجلّ ومواعظ ونصائح وشريعة وأحكام وأخلاق وإرشاد للثقلين كما قال الله تعالى: «وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكّرون» النحل: ٤٤) وقال: «فأين تذهبون إن هو إلّا ذكر للعالمين» التكوير: ٢٦-٢٧).

ذكر يرشد به عباده إلى ما فيه نفعهم وهدايتهم، كما لهم وصلاحهم، وخيرهم

وسعادتهم في معاشهم ومعادهم.

وقوله تعالى: «وقرآن مبين» كتاب سماوي بيّن كونه كذلك، كما أنه فارق بين الحق والباطل، وأن حكمه ظاهر نزل من الملأ الأعلى وليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز، فقد تحدّى المخالفين أن ياتوا بحديث مثله فما استطاعوا: «فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» الطور: ٣٤) فلجئوا إلى السيف والسنان وتركوا المقاولة بالحجة والبرهان.

٧٠ ـ (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين)

نحن نزّلنا هذا القرآن الكريم إلى نبيّنا الخاتم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم لينذر بهذا الوحي السماوي كل من كان حياً عاقلاً مكلّفاً على بسيطة الأرض لعموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم .

قال الله تعالى: «تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١).

وقال: «وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» سباء: ٢٨).

وقال: «قل يا أيها الناس إنّما أنا لكم نذير مبين» الحج: ٤٩).

وقوله تعالى: «ويحق القول على الكافرين» وتجب كلمة العذاب على الكافرين بسبب كفرهم وطغيانهم، وجرمهم وعصيانهم...

قال الله تعالى: «وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار» غافر: ٦).

وقال: «وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقآء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون» الروم: ١٦).

وقال: «ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين» الزمر: ٧١).

وقال: «قال فالحق والحقّ أقول لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٤- ٨٥).

٧١- (أولم يروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون)

أولم ير هؤلآء المشركون المستكبرون وهؤلآء المجرمون المفسدون؟ ولم يعلموا أنا خلقنا لأجلهم ولانتفاعهم ممّا تولّينا خلقه بارادتنا وقوّتنا، وبقدرتنا وإبداعنا- والسمآء بنيناها بأيدٍ- يدالله فوق أيديهم- من غير مشاركة أحد ولاظهر، ولا إعانة معين فيه أنعاماً من الإبل والبقر والغنم والبغال والحمير يصرّفونها كما شآؤا بالقهر والغلبة فانهم لها مالكون. فهذه الأنعام التى يملكها هؤلاء المشركون ويصرّفونها، والتي فيها عبرة وذكرى لمن سمع ووعى... مَن خلقها؟ ومَن جعل لهم سلطاناً عليها؟ ومَن وضعها في أيديهم؟ ومَن جعلها ملكاً خالصاً لهم؟؟؟

ألا فلينظروا بعقولهم إلى تلك الأنعام وليتفكّروا فيها، وليجيبوا على هذه المسئلة التي تطلع عليهم منها... إنّها صنعة الله جل وعلا وفي ملكه، ولكنّه عزّوجل قدملّكهم إيّاها وأقدرهم على تسخيرها والإنتفاع بها.

قال الله تعالى: «ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين» الأنعام: ١٤٢).

وقال: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلدلم تكونوا بالغيه إلّا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون- وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين- والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين» النحل: ٥-٨و٦٦و٨٠).

وقال: «والأنعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» الزخرف: ١٢-١٣).

٧٢- (وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)

ونحن بقدرتنا وقوّتنا وبرحمتنا بهم سخّرنا تلك الأنعام لهم، فصيّرناها منقادة لهم كالإبل -مثلاً- مع قوّتها وعظم جثّتها تنقاد حتّى يسوقها الطفل الصغير، فبعض الأنعام مراكب لهم يركبونها في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار كالإبل والخيل والحمير والبغال، وبعضها مايذبحونها كالغنم والبقر، أو ينحرونها كالابل فيأكلون لحومها...

قال الله تعالى: «الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون» غافر: ٧٩).

فلولا أن ذلّلها الله جل وعلا لهم، ولولا أن جعلها الله تعالى مستخدمة لهم لما قادروا عليها ولما أمسكوا بها كسائر الحيوانات الوحشية التي لا تألف الناس ولايألفونها، فلا يكون لهم منها نفع.

٧٣- (ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)

ولهم في تلك الأنعام منافع كثيرة اخرى من جلودها وأشعارها، وأصوافها وأوبارها أثاثاً ومتاعاً، حتّى فضلاتها للتسميد، ومشارب من ألبانها... وهم يشاهدون تلك النعم وينتفعون بها أفلا يشكرون المنعم عليهم بها؟ أفلا يوحّدونه ولايقرّون بربوبيته، وكمال علمه وحكمته، ونهاية جلاله وعظمته، وغاية تدبيره وحكمته؟ أفلا يعترفون بفضله عليهم ورحمته بهم وإحسانه إليهم؟ أفلا يؤمنون به سبحانه؟ أولا يتركون الشرك بالله تعالى؟ أولا يتركون طاعة الشيطان وعبادة الأصنام؟؟؟.

٧٤- (واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون)

هؤلآء المشركون المستكبرون والمجرمون المكذّبون لم يشكروا المنعم عليهم بتلك النعم، مع مشاهدتهم وتنعّمهم بالنعم الإلهيّة التي تنادي بتفرّد منعمها وكمال قدرته وتدبيره، وتفضّله عليهم، بل كفروا بأنعم الله جل وعلا إذ وضعوا -عن جهالة وسفاهة وغفلة وعناد ولجاج- الشرك مكان الشكر، الكفر موضع الايمان، وقابلوا الإحسان بالكفران... فما أبعد بين الشكر والشرك ؟ بين الايمان والكفر؟ وبين الإحسان والكفران؟؟؟ واتخذوا من دون الله لاينفع ولايضرّ آلهة من الأصنام والأوثان... يعبدونها ويخضعون لديها، لعلهم ينصرون من ناحية تلك الآلهة أي كانوا هم راجين منها النصرة، آملين منها المنفعة في الدنيا، وطمعاً منها رفع العذاب عنهم، وشفاعتها لهم، وتقريبهم إلى الله سبحانه زلفى فى الآخرة!

قال الله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلاّ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً» مريم: ٨١- ٨٢).

٧٥- (لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)

وما علم هؤلآء المشركون الفجرة والمجرمون الفسقة أن تلك الآلهة المتخذة من الأصنام المصنوعة والأوثان المنحوتة على أشكالها وهيئاتها المختلفة، ومن شياطين الجن والإنس وفراعنة البشر وملوكهم الطاغية ورؤسائهم الباغية الذين كان يعبدهم ضعفآء العقول والجهلآء من الناس وهَمَجُهم... ماعلموا أن تلك الآلهة لاتستطيع أن تنصر أحداً من عابديها، وأن تدفع عن عبدتها الهلاك والدمار والعذاب والنار بل: «وان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الحج: ٧٣) «فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لماّ جآء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب» هود: ١٠١).

وقوله تعالى: «وهم لهم جند محضرون» حالكون هؤلآء المشركين لتلك الآلهة الموهومة

أتباعاً مطيعين، إذ كانوا يخدمونها ويذبّون عنها ويغضبون لها في الحياة الدنيا لتشفع لهم وتقرّبهم إلى الله زلفى، والأمر على خلاف ما توهّموا، بل الآلهة وأتباعها كلهم في النار محضرون لأنهم كلهم وقود النار، فكل حزب مع ما عبد من الأوثان في النار، فهم جميعهم واردها: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون» الأنبيآء: ٩٨- ٩٩) «فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلّا من هوصال الجحيم» الصافات: ١٦١- ١٦٣) فلا إستطاعة للجند أن يدفعوا عن آلهتهم الإحراق بالنار، ولاقدرة للآلهة على أن تدفع عن عبدتها عذاب النار لأنهم لايملكون شيئاً من خير أو شر. فاذا كان الأمر كذلك فلا يهمّنك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم أمرهم: «فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنّهم حول جهنّم جثياً» مريم: ٦٨) .

٧٦- (فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرّون وما يعلنون)

فلا يحزنك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم قول هؤلآء المشركين المستكبرين والمجرمين المكذّبين في الله سبحانه بالشرك والإلحاد، وتكذيبهم بآيات الله جل وعلا وإنكارهم البعث والحساب والجزآء وأذاهم وقولهم فيك: إنك شاعر ومجنون وساحر وكذّاب... وإنّ ما جئتنا به هوشعر وسحر وكهانة وأساطير الأوّلين...

قال الله تعالى: «يا أيها الرسول لايحزنك الذين يُسارعون في الكفر» المائدة: ٤١).

وقال: «قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لايكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» الأنعام: ٣٣).

وقال: «واصبرو ما صبرك إلّا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون» النحل: ١٢٧).

وقال: «ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبّئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتّعهم قليلاً ثم نضطرّهم إلى عذاب غليظ» لقمان: ٢٣- ٢٤).

وقوله تعالى: «إنا نعلم ما يسرّون» في ضمآئرهم من العقائد الباطلة والنيّات السيّئة وفي صدورهم من الأضغان والبغضآء والحقد والعداوة والحسد والعناد والدسيسة الخفيّة.

قال الله تعالى: «قد بدت البغضآء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر» آل عمران: ١١٨).

وقال: «وإن ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السمآء والأرض إلّا في كتاب مبين» النمل: ٧٤- ٧٥).

وقال: «أم يحسبون أنا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف: ٨٠).

وقال: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» غافر: ١٩).

وقال: «أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين» العنكبوت: ١٠)

وقال: «والله أعلم بما كانوا يكتمون» المائدة: ٦١).

وقوله تعالى: «وما يعلنون» ونعلم ما يعلنون بألسنتهم من الشرك والإلحاد، والتكذيب والاستهزآء، والبهتان والضلال، ومن قبيح الأقوال وسيّئ الأعمال... سنجازيهم عليها بما يستحقون من الجزآء يوم يجدون صغير أعمالهم وكبيرها حاضراً لديهم.

قال الله تعالى: «أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون- وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٧٧ و ٢٨٤).

وقال: «ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً» الكهف: ١٠٦).

٧٧- (أولم يرالانسان أنّا خلقناه من نطفة فاذا هوخصيم مبين)

أولم يرالانسان كل إنسان في كل زمان ومكان، فيعلم علماً قاطعاً بأن ينظر في نفسه ويعطف بصيرته إلى نقطة الإبتداء في حياته، ثم ليسير مع نقطة الابتدآء هذه في الطريق الذي سلكه -بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً- بأنه خُلِقَ من نطفة، ثم نُقِلَ من

النطفة إلى العلقة، ومن العلقة إلى المضغة، ومن المضغة إلى العظم، ومن العظم إلى أن جُعِلَ خلقاً سوياً، ثم خرج من بطن امّه فرُبّيَ ونُقِلَ من حال إلى حال إلى أن صار متكلّماً حتّى كمل عقله و صار شديداً قوياً، وخصيماً مبيناً لنا شديد الخصومة يبيّنها في الشرك والإلحاد، والكفروالاستكبار، وفي تكذيب آيات الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ونفي البعث وإنكار الحساب والجزآء!

وهو يعلم بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ثم خُلِقَ من نطفة إلى أن صار إنساناً في أحسن تقويم، فلماذا لايفهم ولايعقل بأن الذي فعل هذا في النسأة الاولى فهو قادر على أن يفعله في النشأة الثانية؟! «ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكّرون» الواقعة: ٦٢) كيف يجادل هذا الانسان يجادل في آيات الله جل وعلا بغير علم؟ كيف يخاصم رسله بدون دليل؟ كيف ينكر البعث والحساب والجزآء بلا تعقل؟ وكيف يقف من الله عزّوجل موقف المحادّ المحارب؟؟؟

أفلا يتفكّر هذا الانسان أن من قدرعلى خلقه كيف لايقدرعلى إعادته للحساب والجزاء وهي أسهل من خلقه: «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير» العنكبوت: ١٩) أنَسِيَ بدء أمره كيف خُلِقَ فيستبعد إعادته؟ أيكون الانسان مخلوقاً ولاخالق له؟ ألم يكن هذا الانسان خلقناه؟ أولم يعلم علماً قاطعاً أنا خلقناه «من نطفة» ذرّة من المنيّ وقذرة جماد من أضعف الأشياء وأهونها: «ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم» المرسلات: ٢٠- ٢٢).

ان هذا الانسان لو نظر في هذه القدرة لأنكر نفسه، وما وقع في تصوّره أنه كان جرثومة من آلاف الجراثيم السابحة في هذه النطفة: «إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج» الانسان: ٢).

وأين تلك النطفة أو هذه الجرثومة العالقة بالنطفة...؟

أين هي من هذا الانسان الذي أبدعته يدالقدرة هذا الابداع العظيم الحكيم؟ ألا ما أضأل شأن الإنسان؟ وما أعظمه؟ ألا ما أضأله نطفة؟ وما أعظمه رجلاً؟ ألا ما أضأله

ضالاً ضائعاً كضلال هذه النطفة وضياعها؟ وما أعظمه إنساناً رشيداً عاقلاً مؤمناً في ثوب الانسانية الرشيدة العاقلة المؤمنة؟؟؟

ان الله عزوجل خلق للانسان ما خلق من النعم ليعرفوه ويوحدّوه ويؤمنوا به ويشكرواله ولايشركوا به: «الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسمآء بنآءً وأنزل من السمآء مآءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون» البقرة: ٢٢) «وآية لهم الأرض الميتة ـ أفلا يشكرون ـ أولم يروا أنا خلقنا لهم ـ أفلا يشكرون» يس: ٣٣ـ ٣٥و٧١ـ٧٣) فأشركوا بالله سبحانه وجحدوا بآياته وكفروا بنعمه: «واتخذوا من دون الله آلهة» يس: ٧٤) «أفبنعمة الله يجحدون» النحل: ٧١) «وما يجحد بآياتنا إلّا كل ختّار كفور» لقمان: ٣٢).

وخلقه من نطفة قَذِرة مَذِرة ليكون متذلّلاً له وحده، فطغى وبغى وتجبّر وخاصم ربه واستبعد البعث والإعادة:

٧٨ـ (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم)

وضرب لنا هذا الإنسان الجاهل العنود، هذا الانسان الباغي اللجوج، هذا الانسان الحسود، وهذا الانسان الطاغي الحقود... ضرب لنا مثلاً في إنكار البعث واستبعاد الإعادة بالعظم البالي حين فتّته بيده وتعجّب ممّن يقول: إنّ الله جل وعلا يحييه بعد موته كما خلقه ولم يكن شيئاً مذكوراً، ضرب لنا مثلاً فانه ترك النظر في خلق نفسه وبدء أمره: ما كان؟ أين كان؟ مِن أين جآء؟ لماذا جآء؟ كيف ليكن؟ كيف ليَعش؟ كيف ليمُتْ؟ ولماذا يبعث؟؟؟

انه نسي أنا خلقناه لأوّل مرّة من نطفة من منيّ يُمنىٰ بلا سبق أثر منه: «ألم يكُ نطفة من منيّ يُمنىٰ» القيامة: ٣٧) ثم صار ذا عقل وتفكير وإرادة؟ عجباً لهذا الانسان الجهول وإنكاراً لفكره السخيف ولقوله القبيح وضربه الأمثال الشنيع أي إتيانه بقصّة غريبة عجيبة تشبه في غرابتها المثل وهي قوله: «من يحيى العظام وهي رميم»؟ كيف

يعاد الانسان بعد موته؟ وكيف يصير إنساناً بعد فنآءدمه و رمامة عظامه- من رمم العظم إذا بلى حتى صارت تراباً تمرّمع الرياح- وتفرّق ترابه؟

نعم: هذا هوجهل الانسان عن جهالته، هذا هوغفلة الانسان عن غفلته، هذا هو سفاهة الانسان عن سفاهته، وبلادته عن بلادته... فانه لو كان عالماً خبيراً متدبّراً وذاكراً بدء خلقه لما ضرب مثلاً ما ضربه!

وقد كان المشركون ومن سلك مسلك هذا الرجل البليد الغافل الناسي ينكرون البعث ومنطقهم هوالمنطق! «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أءذا كنّا عظاماً ورفاتاً أءنّا لمبعوثون خلقاً جديداً» الاسراء: ٤٨- ٤٩) «وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنّا لفى خلق جديد» السجدة: ١٠) «وقال الذين كفروا هل ندلّكم على رجل ينبّئكم إذامُزّقتم كل ممزّق إنكم لفي خلق جديد» سباء: ٧).

٧٩- (قل يحييها الذي أنشاها أوّل مرّة وهوبكل خلق عليم)

قل أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لهذا المشرك الجاهل الباغي، لهذا الغافل الناسي بدء خلقه، لهذه العاصي المنكر للبعث، لهذا المتعجّب من الإعادة، ولهذا المعترض الغبي... جواباً: يحيي تلك العظام الرميم الذي أنشأها وابتدع خلقها أوّل مرّة من دون أثر سابق منها إذ لم تكن شيئاً مذكوراً، وهذا المحيي المنشئ عليم بكل ما خلقه، يعلم ما بقى من تلك العظام، يعلم كيفيّة وصلها وفصلها، يعلم وضعها في مواضعها... يعلم أين تفرّقت أجزائها في أقطار الأرض، يعلم تفاصيل المخلوقات وكيفيّة خلقها، وأجزائها المتفتّتة المتبدّدة، يعلم اصولها وفروعها، يعلم فصولها ومواقعها، يعلم طريق تميزها وضمّ بعضها إلى بعض، ويعلم أين ذهبت العظام فلا ينسي كما خلق الانسان من أجزاء متفرقة: «إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج» الانسان: ٢) من أخلاط متفرّقة... ويعلم مجمل خلقه ومفصّله قبل خلقه وبعد خلقه.

فلا يخفى عليه جل وعلا شيئ من أمر خلقه، فهويعيده على النمط السابق، والأوضاع

التي كان عليها مع قواه السالفة، فمن قدر على الايجاد الأوّل من العدم كان قادراً بلاريب على الإعادة، وإن الإحيآء الاولى هي ايجاد شئ لم يكن، والإعادة هي إحيآء شئ كان، ومن البديهي ان إعادة بناء الشيء ـ في حسابنا ـ أهون من إبتداعه وإختراعه أصلاً.

قال الله تعالى: «وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه» الروم:٢٧) وقال: «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير» العنكبوت:١٩ـ ٢٠) وقال: «أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» مريم:٦٧).

٨٠ ـ (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون)

الله جل وعلا هوالذى جعل لأجلكم ولانتفاعكم من الشجر الأخضر ناراً.

وذلك ان المشركين الجهلة والمستكبرين السفلة والمجرمين الفسقة كانوا يستبعدون فكرة البعث فينكرونه بأن الشئ لايتولّد منه ما هوضدّله، ويقولون: إن النطفة حارّة رطبة بطبع الحياة، فخرج منها الحياة، وإن العظم بارد يابس بطبع الموت، فكيف تخرج منه الحياة؟

فأقام الله عزوجل الدليل عليهم يرفع إستبعادهم ويبطل إنكارهم بالشجر الأخضر الممتلئ بالمآء المضادّ للنار عِلْماً بأن هذه تتولّد من ذاك ، مع أن الشجر الأخضر من المآء، والمآء بارد رطب ضدّ النار، وهما لايجتمعان، وقد أخرج الله تعالى منه النار، فهو القادر على إخراج الضدّ من الضّدّ لأنه تعالى على كل شئ قدير إذ جمع في الشجر الأخضر بين المآء النار والخشب، فلا المآء يطفوء النار، ولا النار تحرق الخشب، فقال:

هو الذي جعل لكم في جملة الناس من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة يعني

بذلك المَرْخ والعفار، وهما شجرتان تكونان في ناحية من بلاد العرب، يتخذون زنودهما منهما، بأنّهم إذا أرادوا أن يستوقدوا ناراً قطعوا من المَرْخ والعفار غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيجعلون العفار زندة وهي انثى أسفل، والمرخ زنداً وهو مذكّر أعلى، فيسحقون المرخ المذكر الأعلى على العفار المؤنّث الأسفل، فتخرج منهما النار باذن الله جل وعلا. تقول العرب: في كل شجر نار إلّا العنّاب واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منهما. وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر ناراً.

فمن قدر على أن يجعل في الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حكّ بعضه ببعض، فتخرج منه وينقدح قدر أيضاً على البعث والإعادة، فمن أحدث النار في الشجر الأخضر على ما فيه من المائية المضادّة للاحتراق فهو أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضّاً فيبس وبلى، فحصول الحي من الميّت ليس بأعجب من انقداح النار من الشجرة الخضراء وهما متضادان.

وقوله تعالى: «فاذا أنتم منه توقدون» فاذا أنتم أيها المشركون المستكبرون من هذا الشجر الأخضر توقدون النار، ولا تشكّون في أنها نار تخرج منه. فأين هذا الشجر الأخضر من هذا الجمر الملتهب؟ وكما يخرج الله جل وعلا النار من المآء يخرج جل وعلا الحيّ من الميّت كما يخرج الميّت من الحيّ.

هذه صورة من الإبداع في الخلق لاتحتاج في وضوحها إلى علم وتجربة، وإنّما بحسب الإنسان ـ أيّ إنسان ـ أن يقف قليلاً ينظره عندها، فيرى آيات بينات من علم الله جل وعلا وقدرته، من جلاله وعظمته، ومن تدبيره وحكمته في نظام الكون ونواميس الوجود كله: «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيْ قدير» العنكبوت: ٢٠)

٨١ ـ (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم)

أو ليس الذي خلق السموات والأرض مع كبرجرمهما وعظم شأنهما وكثرة أجزائهما وسعة خلقتهما البديعة، وعجيب النظام العام المتضمّن لما لايُحصىٰ من الأنظمة الجزئية المدهشة للعقول، المحيّرة للأفكار، وان العالم الإنساني جزء يسير منها أوليس بقادر على أن يعيد هؤلآء المشركين المنكرين بعد موتهم للحساب والجزآء؟ وليس إعادتهم من العظام الرميم أعظم من خلق السموات والأرض، فاذا لم يتعذّر عليه خلق ما هو أعظم منكم فكيف يتعذّر عليه إحيآء العظام بعد ما قدرمّت وبليت؟ «بلى» ان خلق السموات والأرض أعظم من خلقهن: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» غافر: ٥٧) فالذي خلق السموات والأرض من لاشئ وخلقهما أكبر من خلق الناس يقدر على أن يبعثهم للحساب والجزآء ساعة يشآء: «أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنّه على كل شئ قدير» الأحقاف: ٣٣) «أولم يروا أنّ الله الّذي خلق السّموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم» الاسراء: ٩٩) «أيحسبُ الإنسان ألّن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّى بنانه» القيامة: ٣ـ٤).

وقوله تعالى: «وهو الخلاّق العليم» والله جل وعلا هوخالق كل شئ يخلق خلقاً بعد خلق، عليم بكل شئ يعلم الأشيآء كلها: كلياتها وجزئياتها، ثابتاتها ومتغيّراتها، مفارقاتها وماديّاتها، قبل وجودها ومعها وبعدها، ويعلم نظام الكون ونواميس الوجود فان علمه عزّوجل الذي هوعين ذاته سبب وجود كل شئ، ويعلم بما كنتم تعملون قال الله تعالى: «قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهّار». الرعد: ١٦)

وقال: «ذلكم الله ربكم لاإله إلّا هو خالق كل شئ فاعبدوه» الأنعام: ١٠٢).

وقال: «ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لاإله إلّا هو فأنّى تؤفكون» غافر: ٦٢).

وقال: «بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيً وهو بكل شئ عليم» الأنعام: ١٠١).

وقال: «بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون» النحل: ٢٨).

٨٢- (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

إنّما أمر الله جل وعلا التكويني إذا اقتضت حكمته ومصلحته إلى تكوين شئ وحدوثه أن يقول لما يريد ايجاده: تكوّن، فيتكوّن ويُوجَدُ المراد فوراً من غير امتناع ولا تأخير، من غير مهلة ولا توقّف، ومن غير افتقار إلى مزاولة عمل ولا استعمال آلة، إذ ليس ايجاده عزوجل شيئاً متوقفاً إلّا على تعلّق الإرادة بالمقدور، فان أمره التكويني عين إرادته، فكل ما أمر بشيً أمراً تكوينياً فلابد من وقوعه- وليس أمره التشريعي كذلك لاختيار المأمور فيما أمره الله تعالى به- فكلما أراد جل وعلا وقوعه إرادة ذاتية أزليّة فيتحقق لابصوت يقرع ولابنداء يسمع، وإنّما كلامه تعالى فعل منه أنشأه.

قال الله تعالى: «بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكون» البقرة: ١١٧)

وقال: «انّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» النحل: ٤٠)

ان القضاء هوالحكم، وان الحكم والقضاء والقول والإرادة من الله عزوجل شئ واحد، وهذا تقريب لأفهامنا، وإنّما الواقع انّه جل وعلا إذا أراد شيئاً كان بغير حاجة إلى لفظ «كن» وإن البداية والإعادة لديه تعالى بمنزلة سواء، فلا يحتاج في ايجاد شيً أو إعادته مما أراده إلى ما وراء ذاته المتعالية من سبب يوجد له ما أراده أو يعينه في ايجاده أو إعادته أو يدفع عنه مانعاً يمنعه.

قال الله تعالى: «إنا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر» القمر: ٤٩- ٥٠) هذا في الايجاد والبداية، فكذلك البعث والإعادة فقال: «وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أوهو أقرب إن الله على كل شيً قدير» النحل: ٧٧).

٨٣ ـ (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون)

تنزيهاً لله جل وعلا عمّا استبعد هؤلاء المشركون المكذّبون بالرسالة عن كون البشر رسولاً من الله جل وعلا، وعن نزول الوحي إلى بشر مثلهم، وعما استبعدوا عن القدرة على الإعادة بعد موتهم، وغير ذلك مما لايليق به الذي بقدرته التامة ملك كل شئ ملكاً تامّاً متمكّناً مستولياً على كل ذرة فيه. «ملكوت» هوالملك التام: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير» الملك: ١) وانهم غفلوا عن أنّ ملكوت كل شئ بيده وفي قبضته وقدرته، وأنه جل وعلا متسلط على كل شئ لانصيب فيه لغيره وغفلوا عن أن من كان قادراً على كل شئ فهو قادر على إحيآء العظام الرميم وعلى خلق كل شئ وإفنآئه وإعادته.

قال الله تعالى: «أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأيّ حديث بعده يؤمنون» الأعراف: ١٨٥).

وقال: «قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه» المؤمنون: ٨٨).

وقال: «ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» فاطر: ١٣).

وقال: «ذلكم الله ربكم له الملك لاإله إلّا هو فأنّى تُصرَفون» الزمر: ٦).

وقوله تعالى: «وإليه ترجعون» وإلى الله جل وعلا تعودون بعد موتكم كما بدأكم: «وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون» الأعراف: ٢٩) أيّها المشركون المستكبرون أيّها المجرمون المكذّبون، وأيّها المنكرون للبعث، ترجعون إلى الله تعالى للحساب والجزاء يوم لايملك الأمر والنهي أحد سواه تعالى: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» الأعراف: ٥٤) «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله» الانفطار: ١٩).

وإليه جل وعلا ينتهي كل شئ ويجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون، فيجازيكم على قدر أعمالكم...

قال الله تعالى: «فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلّا ما كنتم تعملون» يس: ٥٤).

﴿جملة المعاني﴾

٣٧٠٦- (يس)

يا سيّد المرسلين السامع الوحى!

٣٧٠٧- (والقرآن الكريم)

اقسم بهذا القرآن الحكيم الموحىٰ إليك.

٣٧٠٨- (إنك لمن المرسلين)

إنك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لمن المرسلين الذين اصطفيناهم بوحينا للنبوة والرسالة لكمال عبادنا.

٣٧٠٩- (على صراط مستقيم)

يا سيدالمرسلين إنك على نهج قويم يؤدّى بسالكه إلى الحق والكمال الانسانى.

٣٧١٠- (تنزيل العزيز الرحيم)

يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم ان هذا القرآن الحكيم الذى نزّله الله عزوجل إليك نجوماً في مدى ثلاث وعشرين سنة على الأحداث... هوتنزيل من عندالعزيز الغالب على من كفربه، والرحيم بمن آمن به.

٣٧١١ـ (لتنذر قوماً ما انذر آبآؤهم فهم غافلون)

يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلّم نزّلنا هذا القرآن إليك لتخوّف به مشركي مكة وعبدة أوثان جزيرة العرب أوّلاً بأس الله جل وعلا وسطوته أن يحل بهم على شركهم وإستكبارهم، ما أتاهم من نذير قبلك من أنفسهم.

٣٧١٢ـ (لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون)

لقد وجب وثبت السخط والعذاب على أكثر هؤلاء المشركين بسبب أنهم لايؤمنون بالله عزّوجل وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر.

٣٧١٣ـ (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون)

إنا جعلنا في أعناق هؤلاء المشركين ومن سلك مسلكهم إلى يوم القيامة بسبب شركهم وطغيانهم أغلالاً ـ معنوياً ـ في الدنيا بحيث كانت أيديهم مع الأغلال واصلة إلى أذقانهم، فهم مرفوعواالرؤوس لايتأتّى لهم أن ينكسوها، فينظروا إلى ما بين أيديهم من طريق الهدى والرشاد.

٣٧١٤ـ (وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون)

وجعلنا ـ مع ما ذكر ـ من أمامهم سدّاً عظيماً عن الحق، ومن ورآءهم سدّاً كذلك، فغطينا بهذين السدّين المحيطين بهم أبصارهم عن الهدى، فهم لايقدرون بسبب ما ذكر على إبصار شيء ما أصلاً ولايهتدون إلى الرشاد أبداً ما داموا على الشرك والطغيان.

٣٧١٥ـ (وسوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)

ويستوي يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم على هؤلاء المشركين ومن يسلك مسلكهم أخوّفتهم بالهلاك والدمار في الدنيا، وبالعذاب والنار في الآخرة أم لم تخوّفهم هم لايؤمنون لأنهم قصدوا على بقآء ما هم عليه من الشرك والطغيان.

٣٧١٦ - (إنّما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم)

يا أيّها النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لاينتفع من إنذارك بالقرآن الكريم إلاّ مَن آمن به واتبع هداه وخشي الرحمن حين يغيب عن أبصار الناظرين وفي كل حال، فبشّريا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم هذا التابع المؤمن الخآئف الراجي بمغفرة واسعة، وأجر كريم لايقدر قدره من جانب الله جل وعلا.

٣٧١٧ - (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدّموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين)

إنا بارادتنا وقدرتنا نحيي الموتى جمعآء يوم القيامة للحساب والجزآء ونكتب ما أسلفوه قبل موتهم، ونضبط آثارهم مما تركوا بعد موتهم من صالح الأعمال أو فاسدها... وكل شئ عدّدناه وحفظناه في أصل عظيم يبيّنه، فيؤتم به ولايخالف.

٣٧١٨ - (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون)

واضرب يا أيّها النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين، حال أصحاب قرية أنطاكية مثلاً حين جآءهم المرسلون.

٣٧١٩ - (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون)

حين أرسلنا إلى أهل قرية أنطاكية رسولين من رسلنا ليدعوهم بالتوحيد والطاعة، وينهياهم عن الشرك والمعصية، فكذّبوهما من غير تفكّر فيما جاءاهم به، فأيّدناهما وقوّيناهما برسول ثالث من عندنا، فجآء الرسول الثالث إلى الرسولين، واجتموا فقالوا لأهل القرية: يا أهل القرية! إنا إليكم مرسلون من عند ربكم الذي خلقكم.

٣٧٢٠ - (قالوا ما أنتم إلاّ بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شئ إن أنتم إلاّ تكذبون)

قال أهل القرية - متعجبين - لهؤلآء الرسل: كيف أُوحِيَ إليكم وأُرسِلتم إلينا،

وأنتم بشر مثلنا، ولم يوح إلـينا ولم نرسل إليكم مثلكم إلينا ؟! وما انزل الرحمن إليكم من وحي، ما أنتم إلّا تكذبون ما تدّعونه.

٣٧٢١ - (قالوا ربّنا يعلم إنا إليكم لمرسلون)

أجاب الرسل عن قول أصحاب القرية وتكذيبهم بعد ما قامت الحجّة بظهور المعجزة فلم يقبلوها بأن ربنا يعلم إنا إليكم من عند ربنا لمرسلون فيما ندعوكم إليه.

٣٧٢٢- (وما علينا إلّا البلاغ المبين)

وما علينا رسل الله تعالى إلّا أن نبلّغكم رسالات الله التي أرْسَلَنٰا بها إليكم بلاغاً ظاهراً بيّناً لاخفآء.

٣٧٢٣ - (قالواإنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم وليمسّنّكم منّا عذاب أليم)

قال أصحاب القرية لهؤلاء الرسل: إنا تشاء منابكم وبأسمائكم، ونقسم الآن بآلهتنا: لئن لم تتركوا عما تدّعونه لنرجمنّكم عن قريب بالحجارة رجماً، وليصلنّ إليكم منّا عذاب مولم لا تستطيعون على تحمّله.

٣٧٢٤ - (قالوا طآئركم معكم أئن ذُكّرتم بل أنتم قوم مسرفون)

قال المرسلون بملاطفة ورحمة لهؤلاء المشركين: إعلموا أنما سبب شؤمكم معكم لامن قبلنا، أإن ذُكِرتم التوحيد، وأن أعمالكم مُحصاة، تشاء متمونا وتوعدّتمونا بالرجم، وليس هذا بانصاف، بل أنتم قوم مسرفون في شرككم، متمادون في ضلالكم، ومتجاوزون في عنادكم...

٣٧٢٥ - (وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)

وجآء هولآء المرسلين ناصراً لهم من أبعد باب من أبواب مدينة أنطاكية الكبيرة رجل كامل وَهو حبيب النجار- يعد ومسرعاً لينصح قومه، قال: يا قومي! إتبعوا هؤلاء المرسلين الذين أرسلهم الله تعالى لنيلكم بالكمال وسعادة الدارين.

٣٧٢٦ - (إتبعوا مَن لايسئلكم أجراً وهم مهتدون)

قال حبيب النجار ناصحاً لقومه: إتبعوا أيّها القوم مَن لايتوقّع منكم أقل أجر في إبلاغ رسالتهم، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه، معصومون عن الخطأ والزلل.

٣٧٢٧ - (ومالي لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)

وقال حبيب النجار عند الملك: أيّ عذرلى أن لا أعبد الذي خلقني على فطرة التوحيد والعبادة له وحده وإلى الله جل وعلا تعودون بعد موتكم للحساب والجزآء.

٣٧٢٨ - (ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّ لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولاينقذون)

أيّها القوم إذا كان الأمر كما قلت أأتخذ أنا على قولكم واعتقادكم من دون الله آلهة لي من الأصنام وما إليها فأعبدها إن أراد الله جل وعلا ضرّاً لي، لا تنفعني شفاعة تلك الآلهة عند الله، إذ لاشفاعة لها عنده تعالى، ولا تستطيع تلك الآلهة على انقاذي من الضرّ الوارد عليّ أو المتوجّه إليّ.

٣٧٢٩ - (إنّي إذاً لفي ضلال مبين)

قال حبيب النجار لقومه قاطعاً: إنّي إذا اتخذت من دون الله آلهة لي، كنتُ إذاً لفي ضلال وانحراف عن فطرة التوحيد ظاهر لاخفآء عليه.

٣٧٣٠ - (إنّي آمنت بربكم فاسمعون)

ألا يا أيها القوم! إني آمنت بربكم الذي خلقكم على فطرة التوحيد وأقام الحجة على وحدانيته، أقول لكم الآن كلمة الحق ولاابالى بالموت، فاسمعوا قولي وآمنوا بالله وحده مخلصين له الدين.

٣٧٣١ - (قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومي يعلمون)

لمّا قتل المشركون المستكبرون حبيب النجار لبيان كلمة الحق ودعوتهم إلى الهدى نُودي من ساحة العزّة: يا حبيب! ادخل الجنة جزآء للايمان والاستقامة عليه، فلمّا دخل حبيب بعد شهادته حياً في الجنة ونال بما نال فيها قال متمنّياً: يا ليت قومي يعلمون جزآء الايمان والصبر والاستقامة.

٣٧٣٢ - (بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين)

إذ جعلني ربي مشمولاً لمغفرته، وجعلني من أهل الكرامة لديه جل وعلا كل ذلك بسبب الايمان، والتصلّب في الدين.

٣٧٣٣ - (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء وما كنّا منزلين)

وما أنزلنا على قوم حبيب النجار بعد قتلهم إيّاه من جند من السمآء ليقاتلوهم ويهلكوهم وينتقموا منهم، وما كنّا منزلين بعد جنداً لإهلاكهم، بل كفينا أمرهم بصيحة.

٣٧٣٤ - (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون)

ما كانت هلاكتهم إلّا بسبب صيحة واحدة، ففاجأهم السكون فصاروا أمواتاً لاحراك لهم ولا يسمع لهم حسّ.

٣٧٣٥ - (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن)

يا ندامة وسوء المصير على قوم حبيب النجار ومن يسلك مسلكهم لأنهم لم يرعوا حق العبودية لله تعالى إذ ما يأتيهم رسول من رسل الله جل وعلا لهدايتهم إلى الخير والكمال إلّا كانوا هم مستهزئين به.

٣٧٣٦ - (أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لايرجعون)

ألم يعلم المشركون والمستهزؤن في كل وقت ومكان، كثرة المهلكين من القرون الماضية الذين أهلكناهم بسبب شركهم وإستهزائهم بالحق، أن هؤلآء الهالكين الماضين لايتمكّنون من الرجوع إلى ما كانوا يترفون فيه، ولاالرجوع إلى الحاضرين فيخبرونهم بما مضى عليهم من الدمار والنار.

٣٧٣٧ - (وإن كلّ لمّا جميع لدينا محضرون)

وما من امّة من الامم ماضيها وحاضرها وآتيها إلّا أنهم يوم القيامة مجموعون عندنا في الموقف، محضرون للحساب والجزآء.

٣٧٣٨ - (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون)

ومن الأدلة الواضحة للمشركين والمستهزئين ولمنكري البعث، على التوحيد والبعث بعد موتهم، هي الأرض الميتة لانبات فيها، أحييناها بانزال المآء عليها، وأخرجنا من هذه الأرض الحيّة بعد موتها أنواع الحبّ، فبعضها يأكله هؤلاء المشركون...

٣٧٣٩ - (وجعلنا فيها جنّات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون)

وأحدثنا في هذه الأرض الميتة التي أحييناها بعد موتها مرّة بعد اخرى -حيث ان الجعل يفيد التكرار- بساتين من أنواع النخيل وأصناف الأعناب، وفجّرنا فيها بعض

العيون تجري منها الأنهار للسقي والشرب.

٣٧٤٠ ـ (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

ليأكلوا هؤلاء المشركون وغيرهم من ثمر كل واحد من أنواع النخيل والأعناب في الأزمنة والأمكنة المختلفة، وحالكون أيديهم غيرعاملة في ايجاد الثمر، فمابالهم لايشكرون خالق هذه النعم؟!

٣٧٤١ ـ (سبحان الذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون).

تنزيهاً لله عزّوجل عما لايليق به تعالى من أنحآء الشرك لأنه الذي خلق أصناف الخلق كلها متشاكلة متزاوجة، من أنواع النبات وثمارها، ومن أنفسهم من الذكور والاناث... وما لايعلمون من سآئر الموجودات...

٣٧٤٢ ـ (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون)

وآية عظيمة اخرى للمشركين ومنكري البعث من الآيات الدالّة على التوحيد والبعث هي الليل نخرج منه النهار، فيجيئ الليل عقيب النهار، فاذا هم داخلون في الظلام لاضياء لهم.

٣٧٤٣ ـ (والشمس تجري لمستقرلها ذلك تقدير العزيز العليم)

وآية عظيمة اخرى هي الشمس الكوكب النهاري تجري فى فلكها بحسب وضعها النجمي لحدموقت مقدر معيّن تنتهى إليه ولا تتجاوز عنه، ذلك الوضع العجيب هوتقدير القادر الغالب على كل شيئ، العالم المطلق بكل شيئ.

٣٧٤٤ ـ (والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم)

وآية عظيمة رابعة اخرى هي القمر قدّرنا له في سيره منازل ثمانية وعشرين منزلاً يسير فيها ليلة بعد ليلة، فتراه يبدو في أوّل ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، صغيراً دقيقاً قوساً مصفرّاً، ثم يكبر و يزداد نوراً إلى أن يصير بدراً كاملاً ليلة رابعة عشر، ثم يعود ويأخذ بالنقص، فيصغر شيئاً فشيئاً حتى يصير في آخر منازله في آخر ليلة الثمانية والعشرين كما بدأ في أوّل ليلة من الشهر.

٣٧٤٥ ـ (لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولااللّيل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

لاينبغي ولايكون للشمس أن تدرك القمرفانّ للشمس بروجاً تجري بروجها في كل سنة مرّة واحدة، وللقمر منازل يجري فيها في كل شهر مرّة واحدة، ولايسبق الليل النهار بأن لايأتي الليل قبل إنقضآء النهار، وكل من الشمس والقمر والنجوم... يسير في مداره الخاص به، حساباً منظّماً محكماً.

٣٧٤٦ ـ (وآية لهم أنّا حملنا ذرّيتهم في الفلك المشحون)

وآية عظيمة خامسة اخرى لهؤلآء المشركين المكذّبين من الآيات الدالّة على التوحيد والبعث أنا بقدرتنا ورحمتنا بعبادنا حملنا آبآءهم الاصول وأجدادهم الأوّلين الذين هم من نسلهم في سفينة نوح عليه السلام أبي البشر الثاني، المملوءة من الناس، المثقلة بهم وبأحمالهم...

٣٧٤٧ ـ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)

وخلقنا لهؤلاء المشركين المستكبرين تفضّلاً منّا عليهم من مثل سفينة نوح عليه السلام في البحر ما يركبون فيه من السفن المتخذة بعد سفينة نوح عليه السلام والزوارق، وما يركبونه من المراكب البرّية والجوّية...

٣٧٤٨ - (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون).

وإن نشأ نغرق هؤلآء المشركين المكذّبين ومَن إليهم في البحر، فلا ناصر لهم يحفظهم من الغرق، ولا معين لهم ينجيهم منه.

٣٧٤٩ - (إلّا رحمة منّا ومتاعاً إلى حين)

ولكن لنوع رحمة منّا بهؤلآء المشركين لانغرقهم في البحر، وتمتيعاً لهم إلى حين بلذّات متاع الدنيا حفظناهم من الهلاك.

٣٧٥٠ - (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلّكم تُرحمون)

وإذا قيل لهؤلاء المشركين الفجرة بطريق الإنذار بما نزّل الله تعالى من الآيات: إتّقوا ما بين أيديكم من الشرك والطغيان، وما خلفكم ينتظركم من العقوبة فتوبوا وآمنوا لعل ربكم أن يرحمكم ويغفرلكم ما اجترحتم، أعرضوا حسبما اعتادوا ونكصوا على أعقابهم مستكبرين، مصرّين على الشرك والطغيان من غير خوف عقوبتها.

٣٧٥١ - (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين)

وذلك ان هؤلآء المشركين ومَن إليهم ما تأتيهم أيّة آية من آيات القرآن الكريم، وأيّة حجة قاطعة من حجج الله جل وعلا إلّا كانوا هم معرضين عنها من غير تفكّر فيها.

٣٧٥٢ - (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشآء الله أطعمه إن أنتم إلّا في ضلال مبين)

وإذا قيل لهؤلاء المشركين - قال الفقرآء من المؤمنين أو رسول من رسل الله عليهم السّلام إليهم - بطريق النصيحة وصلاح المعيشة! أنفقوا علينا - بعض مارزقكم الله تعالى به في طاعته، قال الذين كفروا بالله وكذّبوا بآياته للذين آمنوا: أنطعم رِزقنا

بِمَنْ لو يشآء الله أطعمه على زعمكم؟! ما أنتم أيها القوم الفقرآء في دعواكم وطلبكم منّا الانفاق إلّا في ضلال بيّن لاخفآء.

٣٧٥٣ـ (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)

ويقول المشركون المستكبرون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين مستهزئين بهم: متى يقع وعدكم الذي تعدوننا به إن كنتم صادقين في وقوعه.

٣٧٥٤ـ (ماينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون)

ما ينتظر هؤلآء المشركون المنكرون للبعث إلّا صيحة واحدة تأخذهم، وهم يتخاصمون على امور دنياهم، غافلين عن أمر عقباهم.

٣٧٥٥ـ (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون)

فلا يستطيع هؤلآء المكذّبون عند الصيحة الاولى أن يوصي بعضهم بعضاً توصية في شئ من امورهم إن كانوا بينهم، ولا يستطيع من كان منهم خارجاً عن أهله أن يرجع إليهم فان الصيحة لا تبقى لهم مجالاً ولا فرصة لذلك.

٣٧٥٦ـ (ونفخ في الصور فاذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون)

ونفخ في الصور نفخة ثانية للبعث والنشور، فاذاً هؤلآء المشركون وغيرهم جميعاً قيام بسرعة من قبورهم، يسرعون من غير اختيار إلى مالك أمرهم على الاطلاق للحساب والجزآء.

٣٧٥٧ـ (قالوا يا ويلنا مَن بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)

لمّا رآى المشركون المنكرون للبعث أنفسهم مسرعين من غير اختيار إلى موقف الحساب يقولون عندئذ: يا عذابنا وهلا كنا احضر فهذا أوانك! مَن بعثنا من قبورنا بعد

موتنا؟ تقول لهم الملائكة: هذا ما وعدكم به الرحمن وصدق المرسلون فيما أخبروكم به من وعد الله تعالى ووعيده.

٣٧٥٨ـ (إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدّنيا محضرون)

ما كانت النفخة الثانية لإحيآء الموتى جمعاء كالنفخة الاولى لإماتة الأحيآء كلهم إلّا بصيحة واحدة، فاذاً كلهم بلا لبث ولامهلة لدينا محضرون لفصل الحساب والجزآء.

٣٧٥٩ـ (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلّا ما كنتم تعملون)

فيوم البعث والحساب لا تظلم نفس شيئاً، ولاتجزون أيّها المشركون المجرمون يومئذ إلّا ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

٣٧٦٠ـ (إن أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون)

سيقال للمشركين يوم القيامة زيادة لحسرتهم: ويلكم أيّها المستكبرون! إن أصحاب الجنّة في هذا اليوم في شأن يشغلهم عن كل شيئ دونه، هم فرحون بما يتمتّعون من أنواع نعيمها.

٣٧٦١ـ (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون)

أصحاب الجنة هم وأزواجهم من حورالعين والمؤمنات في ظلال وارفة، متكئون على السرر المزيّنة والمقاعد العالية.

٣٧٦٢ـ (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون)

لأصحاب الجنّة فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه ما لذّوطاب مما تقرّبه أعينهم ولهم فيها كل ما يتمنّونه كائناً ما كان من أسباب البهجة وموجبات

السرور.

٣٧٦٣ ـ (سلام قولاً من رب رحيم)

يقال لأصحاب الجنّة فيها: سلام قولاً كآئناً من ساحة رب رحيم.

٣٧٦٤ ـ (وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)

ويقال للمشركين المستكبرين في موقف الحساب: انفردوا اليوم أيّها المجرمون عن زمرة المطيعين، وابتعدوا عن ساحة الموحدّين.

٣٧٦٥ ـ (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين)

ثم يقال لهؤلآء المجرمين تأنيباً وتوبيخاً على ما هم عليه من سوء أعمالهم وفساد عقائدهم: ألم أعهد إليكم يا بني آدم ولم أخلقكم على فطرة التوحيد أن لا تشركوا بالله سبحانه ولا تعبدوا الشيطان فانّه لكم عدوّ بيّن العداوة.

٣٧٦٦ ـ (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)

وألم أعهد إليكم بلسان الوحي والفطرة: أن وحّدوني ولا تشركوا بي شيئاً وأن اعبدوني وحده، وهذا هوالدين القيّم الذي يهدى إلى الحق والهدى.

٣٧٦٧ ـ (ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون)

ومن علامة عداوة الشيطان لبني آدم وآثارها أنه قد أغوى منكم أيّها المجرمون خلقاً كثيراً في كل وقت ومكان، أفلم تكونوا تعقلون فيما قلنا لكم.

٣٧٦٨ ـ (هذه جهنم التي كنتم توعدون)

حين دخـول المجرمين جهنم، ينادي منـادٍ من ساحة العزّة: أيّهـا المجرمون هذه جهنّم التي تشاهدونها اليوم حاضرة كنتم توعدون بها في الحياة الدنيا.

٣٧٦٩ ـ (إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون)

يقول الله جـل وعلا لهـم: أيّها المجرمون ادخـلوا اليوم جهـنّم والزموها جـزآء بما كنتم تكفرون بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وآياته وباليوم الآخر.

٣٧٧٠ ـ (اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)

لمّا اوتي كتاب المجرمين يوم القيامة بشمالهم ووقفوا موقف الحساب ورأوا ما فيه من العقائد البـاطـلة والأعمال السيّئة يـنكرونها ويجادلون، فعـندئذ نختم على أفواههم ختـماً يمنعها عن الكلام، فنستنطق جوارحـهم بما فعلوا فتكلّمنا أيديهـم، فتشهد عندنا عليهم بما ضربت وسرقـت وكتبت وأشارت وخـانـت، وتشهد عليهم أرجـلهم بما مشت وسـعت، وكذلك سآئر الأعضآء تشهد عليهم يومئذ بما كسبت من السيّئات في الحياة الدنيا.

٣٧٧١ ـ (ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون)

ولو نشآء أن نـعاقب هؤلآء المشركين المجرمين في هذه الحـياة الدنيا لأعـميناهم عن الهدى فذهبت به أبصارهـم، وبطل إبصارهم فلا يهتدون إلى طـريق الهدى أبداً وعندئذٍ قلنـا لهم: فاستـبقوا طـريق الهدى وقد عـموا عنـه، فأنى يبصرون طـريقاً ولا يهـتدون إلى شئ، ولكنّا ما فعلنابهم للزوم الاختيار في التكليف، فلا نلجئهم إلى الايمان...

٣٧٧٢ ـ (ولونشآء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيّاً ولايرجعون)

ولو نشآء أن نعاقب هؤلآء المشركين المستكبرين بنوع آخر من العقاب لحوّلناهم عن تلك الحال إلى ما هـو أقبح منها، فمسخـناهم مسخاً يحلّ بهم في منازلهم، فجعلناهم قردة

أو خنازير... فلايقدرون أن يفرّوا منه باقبال ولابادبار ولاذهاباً وإياباً، لايستطيعون أن يرجعوا عن تلك الحال إلى حالهم السابقة قبل المسخ.

٣٧٧٣ - (ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)

ومن نطوّل عمره نقلّبه في الخلق عكس ما خلقناه أوّلاً إلى أن نردّه إلى أرذل العمر أفلايرون ذلك؟ أفلا يعقلون فيما قلناه؟

٣٧٧٤ - (وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين)

وما علّمنا رسولنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم الشعر، فلا يكون هو صلى الله عليه وآله وسلّم شاعراً، ولاماجاءكم به هو الشعر، إذ لايتيسّر له صلى الله عليه وآله وسلّم الشعر ولايليق به، فما جاءكم إنّما هو ذكر من الله تعالى وكتاب وحي سماوي ظاهر لاخفآء فيه.

٣٧٧٥ - (لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين)

نحن نزلنا هذا القرآن الكريم إلى نبينا محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم لينذر بهذا الوحي السماوي كل من كان حيّاً عاقلاً مكلّفاً على بسيط الأرض لعموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم وتجب كلمة الكفر على الكافرين بسبب كفرهم وعنادهم...

٣٧٧٦ - (أولم يروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون)

أولم ير هؤلاء المشركون الباغية ولم يعلموا أنا خلقنا لأجلهم مما تولّينا خلقه بقدرتنا من غير مشاركة أحد لنا في الخلق، أنعاماً من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير والغنم... فهم لها مالكون يصرّفونها كيفما يشآء؟!

٣٧٧٧ ـ (وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)

ونحن بقدرتنا سخّرنا تلك الأنعام فصيّرناها منقادة لهم، فبعضها مراكب لهم، وبعضها يأكلون لحومها...

٣٧٧٨ ـ (ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)

ولهم في تلك الأنعام منافع كثيرة اخرى من جلودها وأشعارها وأصوافها وأوبارها ومشارب من ألبانها، وهم ينتفعون بها أفلا يشكرون المنعم عليهم بها؟

٣٧٧٩ ـ (واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم يُنصرون)

وهؤلاء المشركون المجرمون لم يشكروا المنعم عليهم بتلك النعم، بل كفروا بها واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها، راجين منها النصرة، آملين منها المنفعة في الدنيا.

٣٧٨٠ ـ (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند مُحضرون)

ما علم هؤلاء المشركون المستكبرون أن تلك الآلهة لا يستطيعون أن ينصروا أحداً من عابديهم، حالكون الآلهة وعابديها كلهم محضرون في نارجهنم يعذّبون بها.

٣٧٨١ ـ (فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرّون وما يعلنون)

فلا يحزنك أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم قول هؤلآء المشركين المجرمين في الله سبحانه وفي آياته ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم إنا نعلم ما يسرّون في ضمآئرهم وما يعلنون بألسنتهم...

٣٧٨٢ ـ (أولم يرالانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هوخصيم مبين)

أولم يرالانسان كل إنسان في كل زمان ومكان ولايتفكّر في خلقه، فيعلم آنا

خلقناه ـ ولم يك شيئاً مذكوراً ـ من نطفة من منيّ يمنى، فلمّا صار إنساناً كاملاً فاذاً هو يقف من الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم موقف المخاصم المحارب؟

٣٧٨٣ ـ (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم)

وضرب هذا الانسان الجاهل العنود لنا مثلاً في إنكار البعث بعد موته بالعظم البالي وقد نسي خلقه بأنا خلقناه ـ بلا سبق أثر منه ـ من مآء مهين، فلمّا خلقناه صار إنساناً كاملاً إستبعد إعادته بعد موته وقال: من يعيد الإنسان بعد صيرورة رمامة عظامه؟

٣٧٨٤ ـ (قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم)

قل أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لهذا الإنسان الجاهل الغافل: يحيي تلك العظام البالية بعد تفرّق أجزائها الذي أنشأها أوّل مرّة وابتدع خلقها من دون أثر سابق منها ـ وهذا المحيي عليم بكل ما خلقه، فلا يخفى عليه تعالى شيءٌ من أمر خلقه.

٣٧٨٥ ـ (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون)

هو الذي جعل لانتفاعكم من الشجر الأخضر ناراً، فاذاً أنتم أيّها المشركون من هذا الشجر الأخضر توقدون النار.

٣٧٨٦ ـ (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم)

أو ليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمها وعظم شأنها بقادر أن يخلقهم بعد موتهم ورمامة عظامهم كما خلقهم أوّل مرّة ولم يكونوا شيئاً؟ بلى والله عزّوجلّ هو خالق كل شيءٍ، عليم بكل شيءٍ.

٣٧٨٧ـ (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

إنّما أمر الله جل وعلا التكويني إذا أراد تكوين شيءٍ أن يقول لما يريد ايجاده: كن فيوجد المراد فوراً بلا توقف ولا تأخير.

٣٧٨٨ـ (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيءٍ واليه ترجعون)

فتنزيهاً لله عزّوجل عما استبعده المشركون المكذّبون الذي بقدرته التامّة ملك كل شيءٍ، ملكاً تاماً بلا منازع، وإلى الله تعالى ترجعون بعد موتكم أيها المستبعدون.

﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي: قال الصادق عليه السلام: «يس» إسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والدليل على ذلك قوله تعالى: «إنك لمن المرسلين».

وفي العيون: باسناده عن الريان بن الصلت ـ في حديث طويل ـ قال أبوالحسن الرضا عليه السلام ـ لجماعة من علماء أهل العراق وخراسان في مجلس المأمون بمرو ـ نعم أخبروني عن قول الله عزّوجلّ: «يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم» فمن عني بقوله: «يس»؟ قالت العلماء: «يس» محمد صلى الله عليه وآله وسلّم لم يشك فيه أحد. قال أبوالحسن عليه السلام فان الله عزّوجلّ أعطى محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لايبلغ أحد كنه وصفه إلّا من عقله، وذلك ان الله عزّوجل لم يسلم على أحد إلّا على الأنبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك وتعالى: «سلام على نوح في العالمين» وقال: «سلام على إبراهيم» وقال: «سلام على موسى وهارون» ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عزّوجل: «سلام على آل يس» يعنى آل محمد صلوات الله عليهم فقال المأمون: لقد علمت أن في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه»

أقول: رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه، والحرّاني في التحف، والمجلسي في البحار والحويزي في نور الثقلين، والفيض في الصافي وغيرهم...

وفي تفسير فتح القدير: قال الشوكاني في «يس»: ومنه قوله تعالى: «سلام على آل ياسين» أي على آل محمد

وفي تفسير البحر المحيط: قال ابن جبير: إن «يس» إسم من أسمآء محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ودليله: «إنك لمن المرسلين» قال السيد الحميرى:

يا نفس لاتمحضى بالودّ جاهدة على المودّة إلاّ آل ياسينا

وفي تفسير مدارك التنزيل: ورد في الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إن الله سمّاني في القرآن بسبعة أسماء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمّل والمدثر وعبدالله»

وفي روح البيان قال- بعد ذكر ما نقله النسفي في مدارك التنزيل-: ويؤيّده أنه يقال لأهل البيت: آل يس كما قيل: لله دركمو يا آل ياسينا»

وفي تفسير التبيان: وروي عن عليّ عليه السلام أنه قال: سمّى الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في القرآن بسبعة أسماء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبدالله»

وفي المجمع: وروي محمدبن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لرسول الله اثنى عشر إسماً خمسةٌ منها في القرآن: محمد وأحمد وعبدالله ويس ونون.

وفي الدر المنثور: أخرج ابن مردويه من طريق ابن عباس قال: «يس» محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وفي لفظ قال: يا محمد.

وفيه: عن محمد بن الحنفية في قوله: «يس» قال: يا محمد.

وفيه: وأخرج إبن أبي حاتم عن أشهب قال: سئلت مالك بن أنس أينبغي لأحد أن يتسمّى بـ«يس»؟ فقال: ما أراه ينبغي لقوله: «يس والقرآن الحكيم» يقول: هذا اسمى تسميت به.

وفي تفسير الجامع لأحكام القرآن: وقالوا في قوله تعالى: «سلام على آل ياسين» أى على آل محمد وقال سعيد بن جبير: هم إسم من أسمآء محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ودليله: «إنك لمن المرسلين» قال السيّد الحميري:

يانفسي لاتمحضي بالنصح جاهدة على المودّة إلاّ آل ياسين

وقال أبوبكر الورّاق: معناه يا سيّد البشر.

وفيه: فحكى أبو محمد مكي أنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «لي عند

ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه، ويس إسمان له

وفيه: وذكر الماوردي عن عليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: إن الله تعالى أسماني في القرآن سبعة أسمآء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمّل والمدثر وعبدالله.

وفيه: وحكى أبوعبدالرحمن السُلَمي عن جعفر الصادق صلى الله عليه وآله وسلّم أنه أراد يا سيّد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: عن كعب: «يس» قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السمآء والأرض بألفي عام قال: يا محمد! انك لمن المرسلين ثم قال: «والقرآن الحكيم» فان قدر أنه من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلّم وصحّ فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدّم، ويؤكّد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه، وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته، أقسم الله تعالى باسمه وكتابه أنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده، وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق لااعوجاج فيه ولاعدول عن الحق.

وفيه: قال النقاش: لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلّا له صلى الله عليه وآله وسلّم وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال: إنه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنا سيد ولد آدم».

وفي البرهان: عن الكلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: يا كلبي كم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم من إسم في القرآن؟ فقلت: إسمان أو ثلاثة، فقال: يا كلبي له عشرة أسماء وذكر عليه السلام العشرة وقال فيها: «يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين».

وفيه: عن سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق عليه السّلام قال له: يابن رسول الله ما معنى قول الله عزّوجل: «يس»؟ قال: إسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ومعناه يا أيها السامع الوحي والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم».

وفيه: الطبرسي في الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئله بعض الزنادقة عن آي من القرآن، فكان فيما قال له عليه السلام قوله: «يس والقرآن الحكيم انك لمن

المرسلين» فسمّى الله النبي بهذا الاسم حيث قال: «يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين».

وفي الصافي: وفي المعاني عن الصادق عليه السّلام: وأما يس فاسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ومعناه يا أيّها السامع الوحي.

وفيه: وفي الخصال عن الباقر عليه السلام قال: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عشرة أسماء: خمسة في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن فمحمد وأحمد وعبدالله ويس ون.

وفيه: وفي الكافي عنهما عليهما السلام: هذا محمد اذن لهم في التسمية به، فمن أذن لهم في يس يعني التسمية وهو إسم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: وفي المجالس عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله عزوجل: «سلام على آل ياسين» قال: «يس» محمد ونحن آل محمد.

وفي اصول الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث طويل - قال: وسئلته عن قول الله: «لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون» قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما انذر آباؤهم فهم غافلون عن الله وعن رسوله وعن وعيده «لقد حق القول على أكثرهم» ممّن لايقرّون بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده «فهم لايؤمنون» بامامة أميرالمؤمنين والأوصياء من بعده، فلمّا لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر الله: «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون» في نار جهنم ثم قال: «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون» عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده هذا في الدنيا، وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون. ثم قال: يا محمد «وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون» بالله وبولاية عليّ ومن بعده ثم قال: «إنّما تنذر من اتّبع الذّكر» يعني أميرالمؤمنين عليه السلام «وخشي الرحمن بالغيب فبشّره» يا محمد «بمغفرة وأجر كريم»

وفي عيون الأخبار: (باب ٢٤ - ماجاء عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه

آلاف التحية والثناء في خبر الشامي وما سئله عنه أميرالمؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة)- في حديث طويل-: «سئله كم حجّ آدم من حجّة؟ فقال عليه السلام: سبعين حجة ماشياً على قدميه، وأوّل حجّة حجّها كان معه الصرد يدلّه على مواضع الماء وخرج معه من الجنة، وقد نهى عن أكل الصرد والخطاف، وسئله ما باله لايمشي؟ قال: لأنه ناح على بيت المقدس، فطاف حوله أربعين عاماً يبكي عليه، ولم يزل يبكي مع آدم عليه السلام فمن هناك سكن البيوت، ومعه تسع آيات من كتاب الله عزوجل مما كان آدم عليه السلام يقرأها في الجنّة وهي معه إلى يوم القيامة: ثلاث آيات من أوّل الكهف، وثلاث آيات من سبحان الذى أسرى وهي: «إذا قرأت القرآن» وثلاث آيات من «يس» وهي «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً» الحديث.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «فهم مقمحون» قال: قدرفعوا رؤسهم.

وفي رواية: عن عبدالله بن يحيى أن علي بن أبيطالب عليه السلام أراهم الإقماح، فجعل يديه تحت لحيته وألصقها ورفع رأسه.

وفيه: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدّاً فأغشينا هم» يقول: فأعميناهم «فهم لايبصرون» الهدى، أخذ الله سمعهم وأبصارهم وقلوبهم، فأعماهم عن الهدى.

وفيه: في قوله تعالى: «وسواء عليهمء أنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون» قال: فلم يؤمن من اولئك الرهط من بني مخزوم أحد.

وفي الاحتجاج: عن الامام السابع موسى بن جعفرعن أبيه عن آبائه عن الحسين بن على عليهم السلام في سئوال يهوديّ عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام- في حديث طويل- قال له عليه السلام اليهودي: فان ابراهيم عليه السلام حجب عن نمرود بحجب ثلاث؟ لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلّم حجب عمن أراد قتله بحجب خمس فثلاثة بثلاثة واثنان فضل، قال الله عزّوجلّ-وهو يصف أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلّم-: «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً» فهذا الحجاب الأوّل «ومن خلفهم سدّاً» فهذا الحجاب الثاني «فأغشيناهم فهم لايبصرون» فهذا الحجاب الثالث، ثم قال: «إذا قرأت القرآن

جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» فهذا الحجاب الرابع، ثم قال: «فهي إلى الأذقان مقمحون» فهذه حجب خمس»

١٢- (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)

في الاحتجاج: -في حديث الغدير- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : «معاشر الناس! ما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيّ، وكل علم علمتُ فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلّا علّمته علياً وهو الامام المبين» الحديث.

وفي نهج البلاغه: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام -«إن الله عنده علم الساعة» الاية- إلى أن قال- فهذا علم الغيب الذي لايعلمه أحد إلّا الله وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطّم عليه جوانحي»

وفيه: قال الامام على عليه السلام : «والله لو شئت أن أُخبرَ كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت».

وتفسير القمي: في قوله تعالى: «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» وذكر ابن عباس عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: أنا والله الامام المبين، أُبين الحق من الباطل، ورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم .

وفي معاني الأخبار: باسناده عن أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علىّ الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: لـمّا أُنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» قام أبوبكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوارة؟ قال: لا قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا قالا: فهو القرآن؟ قال: لا قال: فأقبل أميرالمؤمنين علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : هو هذا، إنه الامام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء».

يعني علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

وفي تاويل الآيات الظاهرة: باسناده عن صالح بن سهل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقرأ: «وكل شئ أحصيناه في إمام مبين» قال: في أميرالمؤمنين عليه السلام.

وفيه: عن المفضل بن عمر قال: دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: يا مفضّل هل عرفت محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيّدي وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضّل تعلم أنهم في طرف عن الخلائق بجنب الروضة الخضرة، فمن عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيّدي قال: يا مفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّوجل وذرأه وبرأه وأنّهم كلمة التقوى، وخزناء (خزّان خ) السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار وعرفوا كم في السمآء نجم وملك، ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلّا علموها ولاحبّة في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك، فقلت: يا سيّدي قد علمت ذلك أقررت به وآمنت، قال: نعم يا مفضّل، نعم يا مكرّم،نعم يا محبور (محبوب خ) نعم يا طيّب، طبت وطابت لك الجنة ولكل مؤمن بها»

ثم قال السيد الاسترآبادى المازندراني: «ومما يوضحه بياناً ماجاء في الدعاء: «اللّهمّ إنّي أسئلك بالاسم الذي به تقوم السمآء، وبه تقوم الأرض، و به تفرّق بين الحق والباطل وبه تجمع بين المتفرّق، وبه تفرّق بين المجتمع، وبه أحصيت عدد الرّمال وزنة الجبال وكيل البحار أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً انك على كل شئ قدير».

ثم قال: وهذا الاسم العظيم داخل في جملة الأسماء التي علموها من الاسم الأعظم لما رواه الشيخ محمد بن يعقوب رحمة الله تعالى عليه:

في اصول الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناوله بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد

عندالله تعالى استأثر به علم الغيب عنده، ولاحول ولاقوة إلّا بالله العليّ العظيم»

ثم قال السيد: ومما جاء في تأويل الاحصاء نبأ حسن من الأنباء وهوما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله ذكره في كتابه مصباح الأنوار قال: ومن عجائب آياته ومعجزاته ماروواه أبوذر الغفاريّ قال: كنتُ سائراً في أغراض مع أميرالمؤمنين عليه السلام إذ مررنا بواد ونملة كالسيل الساري، فذهلت (فدهشت خ) مما رأيت، فقلت: الله أكبر جلّ محصيه فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : لا تقل ذلك يا أباذرّ، ولكن قل: جلّ باريه، فوالذي صوّرك إنّي أُحصي عددهم وأعلم الذّكر منهم والانثى باذن الله عزوجل.

ثم قال السيد رضوان الله تعالى عليه: «ومن هنا بان أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام هوالامام الذي أحصى الله فيه علم كل شئ لكونه يعلم علم الكتاب الذي فيه تبيان كل شئ.

وفي البرهان: وعن عماربن ياسر قال: كنت مع أميرالمؤمنين في بعض غزواته فمررنا بواد مملوّ نملاً، فقلت: يا أميرالمؤمنين ترى يكون أحد من خلق الله يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمار أنا أعرف رجلاً يعلم كم عدده؟ وكم فيه ذكر؟ وكم فيه أنثى؟ فقلت: مَن ذلك يا مولاى الرجل؟ فقال: يا عمار! ما قرأت في سورة يس: «وكل شئ أحصيناه في إمام مبين»؟

فقلت: بلى يا مولاى قال: أنا ذلك الامام المبين.

وفيه: عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: «وكل شئ أحصيناه في إمام مبين» قام رجلان فقالا: يا رسول الله أهو التوراة؟ قال: لا قالا: فهو الانجيل؟ قال: لا قالا: فهو القرآن؟ قال: لا فأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: هو هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شئ، وان السعيد كل السعيد من أحبّ علياً في حياته وبعد وفاته، وان الشقي كل الشقي من أبغض هذا في حياته وبعد وفاته.

وفي الكافي: باسناده عن أبي موسى الضرير قال: حدّثني موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أليس كان أميرالمؤمنين عليه السلام كاتب الوصيّة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم المملي عليه، وجبرئيل والملائكة المقرّبون عليهم سلام

الله شهود قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أباالحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الأمر نزلت الوصيّة من عند الله كتاباً مسجّلاً نزل به جبرئيل مع امناء الله تبارك وتعالى من الملائكة ـ إلى أن قال الضرير ـ فقلت لأبي الحسن: بأبي أنت وامّي! ألا تذكر ما كان في الوصية؟ فقال: سنن الله وسنن رسوله، فقلت: أكان في الوصية توثبهم وخلافهم على أميرالمؤمنين عليه السلام؟

فقال: نعم شيئاً شيئاً وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول الله عزّوجل: «إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيٌ أحصيناه في إمام مبين» لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأميرالمؤمنين وفاطمة عليهما السلام: أليس قد فهمتما ما قدمت به إليكما فقبلتما؟ فقالا: بلى بقبوله وصبرنا على ما سآئنا وغاظنا».

أقول: إن في معنى تلك الروايات الصحيحة روايات صحيحة اخرى لاريب فيها لمن له الدراية والولاية لأهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجعين من غير تناف بينها وبين مايأتي، فتأمل جيداً ولا ترتدد قط!

وفي الدر المنثور: عن جرير بن عبدالله البجليّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيٌ، ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لاينقص من أوزارهم شيٌ، ثم تلا هذه الآية: «ونكتب ما قدّموا وآثارهم»

وفي نور الثقلين: بالاسناد عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: اتقوا المحقرات من الذنوب فانّ لها طالباً يقول أحدكم: أذنب وأستغفر إن الله عزوجل يقول: سنكتب «ماقدّموا وآثارهم وكل شيٌ أحصيناه في إمام مبين» وقال عزّوجل: «انها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير».

وفيه: بالاسناد عن ثعلبة عن زياد قال أبوعبدالله عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: إئتوا بحطب؟ فقالوا: يا رسول الله نحن

بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤا به حتّى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : هكذا تجمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقّرات من الذنوب فانّ لكل شئ طالباً، ألا وأن طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيْ أحصيناه في إمام مبين»

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي اسامة زيد الشحام قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : إتّقوا المحقّرات من الذنوب، فانها لا تغتفر، قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لولم يكن لي غيرذلك.

وفي تفسير القمي: وقوله عزوجل: «إنا تطيّرنا بكم» قالوا بأسمآئكم. التطيّر: التشاؤم.

وفيه: عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : كفّارة الطيرة التوكل.

وفي نور الثقلين: عن النضربن قرواش الحمال قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : لاعدوى ولاطيرة ولاشوم.

وفي التبيان: الطيرة: الشؤم ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلّم : «لاعدوى ولاهامة ولاصقر ولاغلول».

وفي الخصال: فيا علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمأة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه في كل أمر واحدة من ثلاث: الكبر والطيرة والتمني، فاذا تطيّر أحدكم فليمض على طيرته وليذكر الله عزوجل، وإذا خشي الكبر فليأكل مع عبده وخادمه وليحلب الشاة، وإذا تمنّى فليسئل الله عزوجل، وليبتهل إليه ولا تنازعه نفسه إلى الإثم.

وفي روضة الكافي: باسناده عن عمروبن حريث قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : الطيرة على ما تجعلها إن هوّنتها تهوّنت، وإن شددتها تشدّدت، وإن لم تجعلها شيئاً لم يكن شيئاً.

وفي الفقيه: وروى سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: الشوم للمسافر في طريقه في خمسة: الغراب الناعق عن يمينه، والكلب الناشر لذنبه، والذئب العاوي الذي يعوى في وجه الرجل وهو مقع على ذنبه يعوى ثم يرتفع ثم ينخفض ثلاثاً، والظبيُ السانح من يمين إلى شمال، والبومة الصارخة، والمرأة الشمطاء تلقى فرجها، والأتان العضباء يعنى الجذعاء، فمن أوجس في نفسه منهنّ شيئاً فليقل: إعتصمت بك يا رب من شرّ ما أجد في نفسي فاعصمنى من ذلك، قال: فيعصم من ذلك.

قوله عليه السلام «الشمطاء»: هي الأمرأة التي خالط بياض رأسها سواد، و«الجذعاء»: مقطوعة الاذن.

٢٠ ـ (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)

في الدر المنثور: عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: السُّبّق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم علي بن أبيطالب.

وفيه: وأخرج ابن عديّ وابن عساكر: ثلاثة ما كفروا بالله قطّ: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبيطالب، وآسية امرأة فرعون.

وفيه: وأخرج البخاري في تاريخه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون: وحبيب النجار صاحب آل ياسين، وعلي بن أبيطالب عليه السلام .

وفيه: وأخرج أبو داود وأبو نعيم وابن عساكر والديلمي عن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : الصّديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: يا قوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربّي الله وعلي بن أبيطالب وهو أفضلهم.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: وقال ابن أبي ليلى: سُبّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبيطالب وهو أفضلهم، ومؤمن آل فرعون، وصاحب يس، فهم الصديقون.

وفي الخصال: عن جابربن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبيطالب، وآسية إمرأة فرعون.

وفي المجمع: وفي تفسير الثعلبي بالاسناد عن عبدالرّحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: سبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبيطالب عليه السلام وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعليّ أفضلهم.

وفي المنهج: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار وهو مؤمن آل يس، وحزقيل وهو مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبيطالب عليه السلام وهو مؤمن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفي شرح ابن أبي الحديد: الحديث الثامن عشر: «الصديقون ثلاثة: حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم ايمانه، وعلي بن أبيطالب وهو أفضلهم» رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام

أقول: رواه الزمخشري في (الكشاف) والمراغي في تفسيره، وابن كثير في تفسيره وغيرهم من أعلام العامة وحملة أسفارهم في مآخذهم المعتبرة عندهم بأسانيد عديدة...

وفي الجامع لاحكام القرآن: وفي الخبر أنه عليه السلام قال في هذه الآية: «قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين» انه نصح لهم في حياته وبعد موته».

وفي اصول الكافي: باسناده عن يونس بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ان هذا الذي قد ظهر بوجهي يزعم الناس أن الله عزوجل لم يبتل به عبداً له فيه حاجة، فقال لي: لا لقد كان مؤمن آل فرعون مكنع الأصابع، فكان يقول هكذا -ويمدّ بيده- ويقول: «يا قوم اتبعوا المرسلين» الحديث.

قوله: «قد ظهر بوجهي» أي الآثار التي ظهرت بوجهه كان برصاً أو جذاماً.

وفيه: باسناده عن معاوية بن عمارعن ناجية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن المغيرة يقول: إن المؤمن لايبتلي بالجذام ولاالبرص ولابكذا ولابكذا، فقال: إن كان لغافلاً ان صاحب يس كان مكنعاً ثم ردّ أصابعه، فقال: وكأنّي انظر إلى تكنيعه، فانذرهم ثم عاد إليهم من الغد فقتلوه ثم قال: إن المؤمن يبتلي بكل بليّة، ويموت بكل ميتة إلّا انه لايقتل نفسه.

قوله: «مكنعاً» المكنع هوالذى وقعت أصابعه.

وفي الدرالمنثور: وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن عروة قال: قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ثم استأذن ليرجع إلى قومه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: انهم قاتلوك، قال: لو وجدوني نائماً وأيقظوني، فرجع إليهم فدعاهم إلى الاسلام، فعصوه وأسمعوه من الأذى فلمّا طلع الفجر قام على غرفة، فأذّن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم، فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حين بلغه قتله: مَثَل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله، فقتلوه.

وفيه: عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بعث عروة بن مسعود إلى الطائف إلى قومه ثقيف فدعاهم إلى الاسلام فرماه رجل بسهم فقتله، فقال: ما أشبهه بصاحب يس.

وفيه: عن عامر الشعبي قال: شبه النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ثلاثة نفر من امّته قال: دحية الكلبي يشبه جبرئيل، وعروة بن مسعود الثقفي يشبه عيسى بن مريم، وعبدالعزّى يشبه الدجال.

وفي متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب المازندراني في قوله سبحانه حكاية عن مؤمن آل فرعون: «قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين» وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: من سلّم عليّ عند قبري سمعته، ومن سلّم عليّ من بعد بلغته.

ثم قال: قد ثبت أن المعصومين في جنان الله تعالى أحياء يدركون بحواسهم ما يتصل بها من المحسوسات، ولا يمتنع أن يسمعهم الملائكة الموكّلون بقبورهم في أوجز مدّة سلام زوّارهم شافعاً لما يسمعونه بالوسائط بينهم، وبين زوّارهم من غيرتأخير، وإذا سلم عليهم الانسان بلغوا ذلك في تراخي الأوقات»

وفي الغيبة النعمانية: عن المفضل بن عمر قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : خبر تدريه خير من عشر ترويه، إن لكل حقٍ حقيقةً، ولكل صوابٍ نوراً ثم قال: إنّا والله لانَعُدُّ الرجل من شيعتنا فقيهاً حتّى يُلحَنُ له، فيَعرفَ اللحن، إن أميرالمؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة: «إنّ من ورائكم فتناً مظلمةً عميآء منكسفةً لاينجو منها إلّا النّومة، قيل: يا أميرالمؤمنين وما النومة؟ قال: الذي يعرف الناسَ ولايعرفونه، واعلموا أن الأرض لاتخلو من حجّةٍ لله عزّوجل ولكنّ الله سَيُعْمي خَلْقَه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولوخلت الأرض ساعةً واحدةً من حجّةٍ لله لساخت بأهلها، ولكنّ الحجة يعرف الناس ولايعرفونه، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون ثم تلا: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن»»

قوله عليه السلام: «حتى يلحن له» أي لابد أن يبيّن المؤمن الفقيه الشيعي، المعارف والحقائق والأحكام الاسلامية في زمن التقية بالرمز والايمآء والتعريض للناس ولايكتمها، كما كان حبيب النجار هكذا يبيّن الحقائق...

وقوله عليه السلام: «النومة» أي ان الشيعة حقاً هوالذي لايتأثر من الفتن، ولايتصبّغ بصبغها، مالم يكن قادراً على دفعها وتغييرها...

٣٣ - (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون)

في البحار: عن الكابلي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: يقتل القائم عليه السلام من أهل المدينة حتى ينتهي إلى الأجفر ويصيبهم مجاعة شديدة، قال: فيضجّون وقد نبتت لهم ثمرة يأكلون منها، ويتزوّدون منها وهو قوله تعالى شأنه: «وآية لهم الأرض الميتة

أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون» ثمّ يسير حتّى ينتهي إلى القادسيّة، وقد اجتمع الناس بالكوفة وبايعوا السفياني»

قوله عليه السلام: «الأجفر»: موضع بين الخزيمية وفيد.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون» قال: فانه حدّثنى أبي عن النضربن سويد عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن النطفة تقع من السمآء إلى الأرض على النبات والثمر والشجر، فيأكل الناس منه والبهائم فيجري فيهم.

وفي البرهان: عن أبي الربيع قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجل: «سبحان الذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون»؟ فقال: إن النطفة يعنى الماء يقع من السمآء إلى الأرض على النبات والثماروالشجر، فتأكل الناس منها والبهآئم، فتجري فيهم، ثم قال أبوعبدالله عليه السلام: إن الانسان خلق من أضعف ما يكون خلقاً من نطفة قطرت، ثم جعلت علقة ثم جعلت مضغة ثم جعلت عظاماً غليظة، ثم كسى العظام لحماً فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفي روضة الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام -في حديث طويل- يقول: أضائت الأرض بنور محمد كما تضيئ الشمس، فضرب الله مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم الشمس، ومثل الوصيّ القمر وهو قوله عزوجل: «جعل الشمس ضيآء والقمرنوراً» وقوله: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون» وقوله عزوجل: «ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون» يعني قبض محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وظهرت الظلمة، فلم يبصروا فضل أهل بيته وهوقوله عزوجل: «وإن تدعهم إلى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون» الحديث.

وفي المجمع: وروى عن علي بن الحسين زين العابدين وأبي جعفر الباقر وجعفرالصادق عليهم السلام «لامستقرّلها» بنصب الراء. أي لاسكون لها فانها متحركة دائماً.

وفي كتاب النجوم: للسيد بن طاووس بأسانيده إلى محمدبن إبراهيم النعماني في

كتاب الدلائل، عن محمدبن همام، عن محمدبن موسى بن عبيد، عن إبراهيم بن أحمد اليقطيني قال: حدّثني ابن ذي العلمين (ابن ذي القلمين خ) قال: كنت واقفاً بين يدي ذي الرياستين بخراسان في مجلس المأمون وقد حضره أبوالحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل والنهار وأيّهما خلق قبل؟ فخاضوا في ذلك واختلفوا، ثم إن ذاالرياستين سئل الرضا عليه السلام عن ذلك وعمّا عنده فيه، فقال له: أتحبّ أن اعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك؟ فقال: اريده أوّلاً من جهة الحساب، فقال: أليس تقولون: إن طالع الدنيا (العالم خ) السرطان، وأن الكواكب كانت في شرفها؟ قال: نعم قال: فزحل في الميزان، والمشترى في السرطان، والمرّيخ في الجدى، والزهرة في الحوت، والقمر في الثور، والشمس في وسط السمآء في الحمل، وهذا لايكون إلّا نهاراً؟ قال: نعم، فمن كتاب الله؟ قال: قول الله عزّوجلّ: «لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار» أي النهار يسبقه.

قال السيّد قدّس سرّه: و رويناه أيضاً بعدّة أسانيد عن ابن جمهور العمّى وكان عالماً فاضلاً في كتاب الواحدة قال: ومن مسائل ذي الرياستين للرضا عليه السلام أنهم تذاكروا بين يدي المأمون: خلق الليل والنهار، فبعض قال: خلق الله النهار قبل الليل، وبعض قال: خلق الليل قبل النهار، فرجعوا بالسئوال إلى أبي الحسن عليه السلام فقال: إن الله جلّ ذكره خلق النهار قبل الليل، وخلق الضياء قبل الظلمة، فان شئتم أو جدتكم من القرآن، وإن شئتم أوجدتكم من النجوم، فقال ذوالرياستين: أوجدنا من الجهتين جميعاً. فقال: أما النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان، ولايكون ذلك إلّا والشمس في بيت شرفها في نصف النهار، وأما القرآن ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى: «لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر»

وفي تفسير القمى: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» يقول: الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، لاينبغي للشمس أن تكون مع ضوء

القمر بالليل، ولايسبق الليل النهار يقول: لايذهب الليل حتّى يدركه النهار «وكل في فلك يسبحون» يقول: يجرى (يجئ خ) ورآء الفلك بالاستدارة.

قوله عليه السلام: «يجئ» أي تابع لسير الفلك فكأنه ورائه.

وفي الدرالمنثور: عن أبي ذرّ قال: سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن قوله: «والشمس تجري لمستقر لها» قال: مستقرّها تحت العرش.

وفي الكافي: باسناده عن أبي ولّاد قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إن الله خلق حجاباً من ظلمة مما يلي المشرق ووكل به ملكاً، فاذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيده ثم استقبل بها المغرب تتبع الشفق، ويخرج من بين يديه قليلاً قليلاً، ويمضي فيوافي المغرب عند سقوط الشمس، فيسرح الظلمة ثم يعود إلى المشرق، فاذا طلع الفجر نشر جناحيه، واستاق الظلمة من المشرق إلى المغرب حتى يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس.

وفي التوحيد: باسناده عن ابي ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه قال: كنت آخذاً بيدالنبي صلى الله عليه وآله وسلّم ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت، فقلت: يا رسول الله أين تغيب؟ قال: في السمآء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السمآء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول: يا ربّ من أين تأمرني أن أطلع؟ أمن مغربي أم من مطلعي؟ فذلك قوله عزوجل: «والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه، قال: فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نورالعرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف، وفي قصره في الشتآء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع.

قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم تنطلق بها في جوّ السمآء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: كأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال، ثم لا تكسى ضوءاً وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عزّوجل: «إذا الشمس

كوّرت إذا النجوم انكدرت» والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السمآء ومغربه، وارتفاعه إلى السماء السابعة، ويسجد تحت العرش ثم يأتيه جبرئيل بالحلّة من نور الكرسى، فذلك قوله عزّوجل: «جعل الشمس ضيآء والقمر نوراً».

أقول: حقاً ان علمنا بأسرار أنفسنا، وأسرار ما نعيش عليه من كرة الأرض كالنقطة الواحدة بالنسبة إلى النقاط الممتدة حول الأرض كلها، فكيف علمنا بأسرار نظام الكون ونواميس الوجود؟!

وفي وسائل الشيعة: روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: تقول بعد العشائين: «اللهم بيدك مقادير الليل والنهار، وبيدك مقادير الدنيا و الآخرة، ومقادير الموت والحياة، ومقادير الشمس القمر، ومقادير النصر والخذلان، ومقادير الغنى والفقر، اللهم بنارك لي في دينى ودنياى، وفي جسدى وأهلي وولدى، اللهم ادرأعنّي فسقة العرب والعجم والجن والانس، واجعل منقلبي إلى خيردائم ونعيم لايزول»

وفي اصول الكافى: باسناده عن معلى بن محمد قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر قضى وأمضى، فأمضى ماقضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيّة، وبمشيته كانت الارادة، وبارادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الامضاء، والعلم متقدم المشية، والمشية ثانية، والارادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالامضآء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شآء وفيما أراد لتقدير الأشياء، فاذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء، فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيّة في المنشأ قبل عينه، والارادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالامضآء هوالمبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل، ومادبّ ودرج من انس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس.

فلله تبارك وتعالى فيه البداء مما لاعين له، فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشآء، فبالعلم علم الأشيآء قبل كونها، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها،

وأنشاءها قبل إظهارها، وبالارادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها، وبالامضاء شرح عللها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم.

وفي تفسير القمي: حدثني أبي عن داود بن محمد النهدي قال: دخل أبوسعيد المكاري على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أبلغ من قدرك أن تدّعي ما ادّعاه أبوك ؟ فقال له الرضا عليه السلام : مالك اطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك، أما علمت أن الله عزّوجل أوحى إلى عمران انّى واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم، ومريم من عيسى ومريم وعيسى واحد، وأنا من أبي، وأبي مني وأنا وأبي شئ واحد، فقال له أبوسعيد: فأسئلك عن مسئلة؟ قال: سل ولا أخاً لك تقبل منّي ولست من غنمي ولكن هاتها، فقال له: ما تقول في رجل قال عند موته: كل مملوك لي قديم فهو حرّ لوجه الله؟ قال: نعم ما كان لستة أشهر فهو قديم حرّلأن الله عزوجل يقول: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» فما كان لستة أشهر فهو قديم حرّ، قال: فخرج من عنده وافتقر وذهب بصره ثم مات لعنه الله وليس عنده مبيت ليلة.

وفي إرشاد المفيد: رضوان الله تعالى عليه قال: وقضى أميرالمؤمنين عليه السلام في رجل أوصى فقال: أعتقوا عنّي كل عبد قديم في ملكي، فلمّا مات لم يعرف الوصيّ ما يصنع، فسئل (فسئله خ) عن ذلك، فقال: يعتق عنه كل عبد له في ملكه ستة أشهر، وتلا قوله تعالى: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم». ثم قال: وقدثبت أن العرجون إنما ينتهي إلى الشبة بالهلال في تقويسه بعد ستة أشهر من أخذ الثمرة منه.

وفي المجمع: وروي العياشي في تفسيره بالاسناد عن الأشعث بن حاتم قال: كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه السلام والفضل بن سهل والمأمون في ايوان الحبرى بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا عليه السلام : إن رجلاً من بني إسرائيل سئلنى بالمدينة، فقال: النهار خلق قبل أم الليل؟ فما عندكم؟ قال: فأداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك

شيْ، فقال الفضل للرضا: أخبرنا بها أصلحك الله؟ قال: نعم من القرآن أم من الحساب؟ قال له الفضل: من جهة الحساب فقال: قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان، والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشترى في السرطان والشمس في الحمل، والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء، فالنهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى: «لاالشمس ينبغي لها أن تدرك ولا الليل سابق النهار» أي قدسبقه النهار، ثم قال: «وكل» من الشمس والقمر والنجوم «في فلك يسبحون» يسيرون فيه بانبساط، وكل ما انبسط في شيْ فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء.

وفي روضة الكافي: باسناده عن سلام بن المستنيرعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزّوجلّ خلق الشمس قبل القمر، وخلق النور قبل الظلمة.

وفي الاحتجاج: ـ في حديث طويل ـ سئل سائل عن أبي عبدالله عليه السلام: فخلق النهار قبل الليل؟ قال: نعم خلق النهار قبل الليل، والشمس والقمر والأرض قبل السماء.

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «في الفلك المشحون» قال: السفن المملئة.

وفي الخصال: ـ في حديث طويل ـ عن الامام أميرالمؤمنين عليه السلام أنه سئل: فما التسعون؟ فقال: الفلك المشحون اتخذ نوح عليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم.

٤٥ ـ (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون)

في المجمع: وروى الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: معناه: اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة.

وفي تفسير القمي: في قوله عزّوجل: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون» قال: ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلهم في مكانهم لايرجع أحد منهم

إلى منزله، ولايوصي بوصيّة، وذلك قوله عزّوجل: «فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون».

وفي المجمع: وفي الحديث: «تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم، والرجل يليط حوضه ليسق ماشيته فما يسقيها حتى تقوم».

قوله: «يليط حوضه» من لاط الحوض: ماره لتلاينشف المآء.

وفي رواية: عن سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما صلوات الله ـ في المهدى الحجة ابن الحسن العسكري عليهما سلام الله ـ: «له غيبة يرتد فيها قوم ويثبت على الدين آخرون، فيُؤذُون ويقال لهم: «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين»؟ أما إن الصابرين في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهدين بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم»

أقول: ولا يخفى على مفكرى الإسلام وأحرارهم أن الإمام الحسين بن علي عليهما السّلام قدقاس صبر الصابرين على الأذي في غيبة إمامهم بمقياس الجهاد لابغيره من المقاييس لأنه سيد المجاهدين على الباطل، ولأن الجهاد هو الحكم الفصل عنده، وللإمام الحسين بن علي عليه السّلام فضل كبير في عُنق كل من نطق بالشهادتين من المسلمين حتى اليوم! إذ لولا جهاده وشهادته وإسارة أهل بيته عليهم صلوات الله لمحى بنوامية آثار الإسلام كلها! فما كان اليوم مسلم ولا إسلام!

وفي تفسير القمى: وقوله عزّوجلّ: «ونفخ في الصور فاذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» قال: من القبور. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «ياويلنا من بعثنا من مرقدنا» فإن القوم كانوا في القبور فلمّا قاموا حسبوا أنهم كانوا نياماً وقالوا: ياويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ قالت الملائكة: هذا ماوعدالرحمن وصدق المرسلون.

وفي الخبر: شكونا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم الضعف فقال: «عليكم بالنَسْل»

أي بالإسراع في المشى فانّه ينشط.

وفي روضة الكافي: باسناده عن الحسن بن شاذان الواسطي قال: كتبت إلى ابي الحسن الرضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليّ، وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني فوقع بخطّه: إن الله جل ذكره أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربك، فلو قد قام سيّد الخلق لقالوا: «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» ويعني بسيد الخلق القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أعوانه وأنصاره بحق جدته فاطمة الزهراء صلوات الله تعالى عليها.

وفي اصول الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبوذر رحمه الله يقول في خطبته: وما بين الموت والبعث إلّا كنومة نمتها ثم استيقظت منها.

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون» قال: في افتضاض العذارى فاكهون، قال: يفاكهون النسآء ويلاعبونهنّ.

وفي المجمع: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: شغلوا بافتضاض العذارى، قال: وحوا جبهن كالأهلّة وأشفار أعينهنّ كقوادم النسور.

قوله عليه السلام: «كالأهلّة» جمع الهلال.

وفي الدر المنثور: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً. وفي رواية الجامع لاحكام القرآن: «عدن أبكاراً» وهو الظاهر.

وفي رواية: قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في قوله تعالى: «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون»: إن أحدهم ليفتضّ في الغداة الواحدة مأة عذراء»

وفي تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّوجل: «في ظلال على الأرائك متكئون» الأرائك: السرر عليها الحجال.

وفي نور الثقلين: عن محمد بن اسحق عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم -في حديث طويل يذكر فيه حال المؤمن إذا دخل الجنة-: فاذا جلس المؤمن على سريره إهتزّ سريره فرحاً، فاذا استقرت بولي الله منازله في الجنة استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنئه بكرامة الله إياه، فيقول له خدام المؤمن ووصفاؤه: مكانك، فان ولي الله قد اتكى على أرائكه، فزوجته الحوراء العيناء قد هيئت، فاصبر لولى الله حتى يفرغ من شغله، قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفائها تحجبنها، عليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد صبغن بمسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وفي رجلها نعلان من ذهب، مكللان بالياقوت واللؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر، فاذا دنت من ولي الله وهمّ يقوم إليها شوقاً تقول له: يا ولي الله! ليس هذا يوم تعب ولا نصب، لا تقم أنا لك وأنت لى، فيعتنقان قدر خمسمأة عام من أعوام الدنيا لايملّها ولا تملّه، قال: فينظر إلى عنقها، فاذاً عليها قلادة من قضيب ياقوت أحمر، وسطها لوح مكتوب: أنت يا ولي الله حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تتأهب نفسي، وإليّ تتأهب نفسك، ثم يبعث الله ألف ملك يهنونه بالجنة ويزوجونه بالحوراء.

وفي روضة الكافي: باسناده عن محمد بن اسحق المدني عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم -في حديث طويل يذكر أحوال أهل الجنة-: والمؤمن ساعة مع الحوراء، وساعة مع الآدمية، وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متكلاً ينظر المؤمنين إلى بعض.

وفي تفسير القمي: في قوله عزّوجل: «سلام قولاً من رب رحيم» قال: السلام منه هوالأمان. وقوله: «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» قال: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياماً على أقدامهم حتّى يلجمهم العرق فينادون: يا ربّ حاسبنا ولوإلى النّار، قال: فيبعث الله عزّوجلّ رياحاً فتضرب بينهم، وينادي مناد: «امتازوا اليوم أيها المجرمون» فيميّزبينهم، فصار المجرمون في النار، ومن كان في قلبه الايمان صار إلى الجنّة.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «عباد مخلوقون إقتداراً، ومربوبون إقتساراً، ومقبوضون إحتضاراً، ومضمّنون أجداثاً، وكائنون رفاتاً، ومبعوثون أفراداً، ومدينون جزاءً ومميّزون حساباً...» الخطبة التي تسمّى بالغرّاء وهي من الخطب العجيبة.

قوله عليه السلام: «مميّزون حساباً» مأخوذ من قوله تعالى: «وامتازوا اليوم أيّها المجرمون» كما أنّ قوله عليه السّلام: «مبعثون أفراداً» مأخوذ من قوله تعالى: «ولقد جئتمونا فرادىٰ» وأصل التميز على الفصل والتبيين.

وفي الدر المنثور: عن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: بينا أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطح لهم نور، فرفعوا رؤسهم، فاذاً الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله: «سلام قولاً من رب رحيم» قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه فلا يلتفتوا إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتّى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم. رواه القرطبي في تفسيره عن جريربن عبدالله البجلي.

أقول: ولو سلّمنا صحّة الرواية لكان المراد باشراف الرب على أهل الجنّة من فوقهم هو ارتفاع كل حجاب بينهم وبين ربهم دون الرؤية البصرية التي لا تتحقق إلّا بمقارنة الجهات الست، والأبعاد فانها مستحيلة في حق الله سبحانه.

وفي رواية: انه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين عبادي الذين أطاعوني، وحفظوا عهدي بالغيب، فيقومون كأنّما وجوههم البدر والكوكب الدرّي، ركباناً على نجب من نور أزمتها من الياقوت، تطيربهم على رؤس الخلائق، حتى يقوموا بين يدي العرش، فيقول الله جل وعز لهم: السلام على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب أنا اصطفيتكم وأنا اجتبيتكم، وأنا اخترتكم، اذهبوا فادخلوا الجنّة بغير حساب «فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» فيمرّون على الصراط كالبرق الخاطف، فتفتح لهم أبوابها.

٦٠ـ (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدوّ مبين)

في اصول الكافي: باسناده عن ابن أبي عمير عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده».

وفي اعتقادات الامامية: للصدوق رضوان الله تعالى عليه: قال عليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فان كان الناطق عن الله فقد عبدالله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

وفي اصول الكافي: باسناده عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في حديث طويل ـ قال: وفرض على الرجلين أن لايمشي بهما إلى شيءٍ من معاصي الله وفرض عليهما المشي إلى ما يرضى الله عزّوجل فقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً» وقال: «وأقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير» وقال: فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزّوجل به وفرض عليهما: «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» الحديث.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الانس والجن والأولين والآخرين في صعيد واحد ثم أشرف عنق من النّار على الخلائق فأحاط بهم ثم ينادي منادٍ: «هذه جهنم الّتي كنتم توعدون إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون» فحينئذ تجثو الامم على ركبها وتضع كلّ ذات حمل حملها، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

وفي مكارم الأخلاق: عن عبدالله بن مسعود قال: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقد أصابتنا مجاعة شديدة، ولم نكن رزقنا منه أربعة أشهر إلّا الماء واللبن، وورق الشجر، فقلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: لا تزالون فيها ما عشتم، فاحدثوا لله شكراً، فانّي قرأت كتاب الله الّذي أُنزِلَ عليّ وعلى من كان قبلي فما

وجدت من يدخلون الجنة إلّا الصابرين ـ إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلّم ـ يابن مسعود! عليك باصلاح السرائر فان الله يقول: «يوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون».

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عزّوجل: «فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلاً» الاسراء: ٧١).

وفي تفسير العياشي: عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن جدّه عليهم السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة يصف هول يوم القيامة: ختم الله على الأفواه فلا تكلّم وتكلّمت الأيدى وشهدت الأرجل، ونطقت الجلود بما عملوا فلايكتمون الله حديثاً.

وفي الفقيه: قال الامام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ـ في وصيته لابنه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه ـ: وقال الله عزّوجل: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» فأخبر عنها انها تشهد على صاحبها يوم القيامة.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم ـ إلى ـ بما كانوا يكسبون» قال: إذا جمع الله عزّوجلّ الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه، فينظرون فيه، فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة، فيقولون: يارب ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً وهو قول الله عزوجل: «ويوم يبعثهم الله جيعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» فاذا فعلوا ذلك، ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون.

أقول: قوله عليه السلام: «دفع إلى كل إنسان كتابه» أي إنسان مجرم كما يظهر من السياق فان المؤمن لايعمل سيئاً في الدنيا حتى ينكره يوم القيامة، وهو لايحلف كاذباً في الحياة الدنيا فضلاً عن يوم الحساب.

وفي الدر المنثور: عن أنس في قوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم» قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فضحك حتى بدت نواجذه قال: أتدرون ممّ ضحكت؟ قلنا: لا يا رسول الله قال: من مخاطبة لعبد ربّه فيقول: يا رب ألم تُجزني من الظلم؟ فيقول: بلى فيقول: إنّي لاأجيز عليّ إلّا شاهداً منّي، فيقول: كَفى بنفسك عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلّى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، فعنكنّ كنت انا ضل.

وفيه: عن عقبة بن عامر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: إنّ أوّل عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال (اليسرى خ).

أقول: لعلّ تقدّم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء أن تكون لذّة معاصيه يدركها بحواسّه الّتي هي في الشطر الأسفل منها الفخذ، فجاز لقربه منا أن يتقدّم في الشهادة عليها أو لأن الشهوة في ميامن الأعضاء اقوى منها في مياسرها، فلذلك تقدّمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها أو بالعكس لغلبة الشهوة.

وفي الاحتجاج: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في حديث طويل-: وقوله: «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة، يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، والكفر في هذه الآية البرآءة يقول: يتبرّأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان: «إني كفرت بما أشركتمون من قبل» وقول إبراهيم خليل الرحمن: «كفرنا بكم» يعني تبرأنا منكم ثم يجتمعون في مواطن اخر، فيستنطقون فيه، فيقولون: «والله ربنا ما كنّا مشركين» وهؤلاء خاصّة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد، فلم ينفعهم ايمانهم مع مخالفتهم رسله، وشكهم فيما أتوابه من ربهم، ونقضهم عهوده في أوصيائه، واستبدالهم الذي هو أدني بالذي هو خير، فكذبهم الله فيما انتحلوه من الايمان بقوله: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم» فيختم الله على أفواههم، ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود،

فتشهد بكل معصيته كانت منه، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم، فيقولون لجلودهم: «لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيءٌ».

ومن لطائف بعض أُدباء العصر ما نظمه في الغونغراف مستشهداً به فى ذلك:

بنطق الغونغراف لنا دليل … على نطق الجوارح والجماد
وفيه لكل ذي نظرٍ مثالٌ … على بدء الخليقة والمعاد
يدير شئونه فرد بصورٍ … به الأصوات تجرى كالمداد
فيثبت رسمها قلم بلوح … على وفق المشيئة والمراد
وبعد فراغها تمضى كبرق … ولا أثرلها في الكون بادى
تظن بأنها ذهبت جفآء … كما ذهبت بريح قوم عاد
وأحلى رنّها فيه لتبق … كأرواح تجرد عن مواد
متى شآء المدير لها معادا … ورام ظهورها في كل نادٍ
يدير الصور بالآلات قسراً … فينشر ميتها بعد الرقاد
وهذى آلة من صنع عبدٍ … فكيف بصنع خلاّق العباد
تبارك من يعيد الخلق طُرّاً … بنفخة صوره يوم التناد

٧٠ - (ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله: «وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً»

يعني الهرم مأخوذ من قوله تعالى: «ومن نعمّره ننكّسه في الخلق» لرجوع الشيخ الهرم إلى مثل حال الصبيّ الصغير في ضعف العقل والبنية.

وفي الكافي: بإسناده عن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال: وقال الله عزّوجلّ: «يخرج الحي من الميّت ومخرج الميّت من الحيّ» فالحي المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الذي يخرج من الحيّ هوالكافر الذي يخرج من طينة

المؤمن، فالحيّ: المؤمن والميّت: الكافر، وذلك قوله عزوجل: «أومن كان ميتاً فأحييناه» فكان موته إختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرّق الله عزّوجل بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عزّوجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور، وذلك قوله عزّوجل: «لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين».

وفي البحار: ـرسالة أرسلها إلى كسرى ملك فارس ـ بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله إلى الناس كافة: «لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين» فأسلم تسلمْ، فان أبيت فانّ عليك آثام المجوس.

لما أخبر بتمزيق رسالته ولما بعث إليه صلى الله عليه وآله وسلّم كسرى بالتراب قال صلى الله عليه وآله وسلّم: مزّق الله ملكه كما مزّق كتابي أما إنكم ستمزقون ملكه وبعث إليّ بتراب أما إنكم ستملكون أرضه، أخبرني ربّي أنه قتل ربك البارحة، سلّط الله عليه إبنه شيرويه على سبع ساعات من الليل، فأمسك حتى يأتيك الخبر.

وفي تفسير القمي: وقوله عزوجل: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» قال: كانت قريش تقول: إن هذا الذي يقوله محمّد شعر، فردّ الله عزّوجلّ عليهم فقال: «وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين» ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم شعراً قط.

وفي المجمع: ويجوز أن يكون المراد بمن كان حياً عاقلاً وروى ذلك عن عليّ عليه السلام.

وفي تفسير القمي: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «واتخذوا من دون الله ـ إلى قوله ـ محضرون» يقول: لا تستطيع الآلهة لهم نصراً وهم للآلهة جند محضرون.

وفي الفقيه: ـ في حديث طويل ـ قالوا: وقد رممت يا رسول الله يعنون صرت رميماً؟

فقال: كلا إن الله عزوجل حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً.

وفي نور الثقلين: وقال الصادق عليه السلام : إن الله عزّوجلّ حرّم عظامنا على الأرض وحرّم لحومنا على الدواب أن تطعم منها شيئاً.

وفي البرهان: في قوله تعالى: «قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم» قال: قال: فلو أن الانسان تفكّر في خلق نفسه لدلّه ذلك على خالقه لأنه يعلم كل إنسان أنه ليس بقديم، لأنّه يرى نفسه وغيره مخلوقاً محدثاً، ويعلم أنه لم يخلق نفسه لأن كل خالق قبل خلقه، ولو خلق نفسه لدفع عنها الآفات والأوجاع والأمراض والموت، فتثبت عند ذلك أن لها إلهاً خالقاً مدبراً هو الله الواحد القهار.

وفي الاحتجاج: ـ في حديث طويل ـ قال أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه؟ فقال الصادق عليه السلام : لم ينه عنه مطلقاً، ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن ـ إلى أن قال ـ: وأما الجدال التي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحيائه له فقال الله له حاكياً عنه: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهم رميم» فقال الله تعالى في الردّ عليه: «قل» يا محمد «يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون»» إلى آخر السورة، فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى: «قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة» أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى، بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً» أي إذا أكمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب، ثم يستخرجها، فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر.

ثم قال: «أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم» أي إذا كان خلق السموات الأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم

أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم، ولم تجوزوا منه ما هوأسهل عندكم من إعادة البالي؟!

قال الصادق عليه السلام : فهو الجدال بالتي هي أحسن لأن فيها قطع عذرالكافرين وإزالة شبهتهم. وأما الجدال بغيرالتي هي أحسن، فان تجحد حقاً لايمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله، وإنّما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هوالمحرم لأنك مثله جحد هوحقاً وجحدت أنت حقاً آخر.

وقال أبو محمد الحسن العسكري عليهما السلام: فقام إليه رجل آخر وقال: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أفجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم؟ فقال الصادق عليه السلام : مهما ظننت برسول الله من شيءٍ؟ فلا تظنن به مخالفة الله أليس الله قد قال: «وجادلهم بالتي هي أحسن» و«قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة» لمن ضرب الله مثلاً؟ افتظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم خالف ما أمر الله به فلم يجادل بما أمره الله به، ولم يخبرعن أمر الله بما أمره أن يخبربه؟!

وفي الاحتجاج: عن الامام السابع موسى بن جعفرعن أبيه عن آبائه عن الحسين بن على عليهم أفضل صلوات الله في سؤال يهودي عن أميرالمؤمنين على عليه السلام -في حديث طويل- قال له عليه السلام اليهودي: فان هذا إبراهيم قد بهت الذي كفر ببرهان نبوته؟ قال على عليه السلام : لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلّم أتاه مكذّب بالبعث بعدالموت وهو: ابيّ بن خلف الجمحي معه عظم نخرففركه ثم قال: يا محمد «من يحيي العظام وهي رميم»؟ فأنطق محمداً بمحكم آياته، وبهته ببرهان نبوته، فقال: «يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم» فانصرف مبهوتاً.

قوله عليه السلام : «عظم نخر» نخرالعظم: بلى وتفتت، و«ففرك» فرك الشيءُ: دلكه، وفرّك -بالتشديد-: بالغ في فركه.

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: عجب كل العجب لمن أنكر الموت وهويرى من يموت كل يوم وليلة، والعجب كل

العجب لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى.

وفي تفسير القمي: باسناده عن إسحق ابن جرير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أىّ شيئٍ يقول أصحابك في قول إبليس: «خلقتني من نار وخلقته من طين»؟ قلت: جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه، قال؛ كذب ابليس يا اسحق ماخلقه إلّا من طين، ثم قال الله: «الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون» خلقه الله من ذلك النار، ومن تلك الشجرة، والشجرة أصلها من طين.

وفيه: في قوله تعالى: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون» قال: وهو المرخ والعفار يكون في ناحية بلاد المغرب، فاذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر عدداً فحركوه فيه فيستوقدوا منه النار.

وفي الخصال: باسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: قوام الانسان وبقاؤه بأربعة: بالنار والنور والريح والمآء فبالنار يأكل ويشرب، وبالنور يبصر ويعقل، وبالريح يسمع ويشمّ وبالماء يجد لذّة الطعام والشراب، فلولا النار في معدته لما هضمت الطعام والشراب، ولولا أنّ النور في بصره لما أبصر ولا عقل، ولولا الريح لما التهبت نار المعدة، ولولا المآء لم يجد لذّة الطعام والشراب. قال: وسئلته عن النيران فقال: النيران أربعة: نار تأكل وتشرب، ونار تأكل ولا تشرب، ونار تشرب ولا تأكل، ونار لا تأكل ولا تشرب، فالنار التي تأكل وتشرب فنار ابن آدم وجميع الحيوان، والتي تأكل ولا تشرب فنار الوقود، والتي تشرب ولا تأكل فنار الشجرة، والتي لا تأكل ولا تشرب فنار القداحة والحُباحب.

قوله عليه السلام: «الحباحب»: ذباب في ذنبه شعاع يطير في الليل.

وفي تفسير القمي: قال: قال عزّوجل: «أوليس الذي خلق السموات بقادر ـ إلى قوله ـ كن فيكون» قال: خزائنه في كاف ونون.

وفي أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لمّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجي ربه عزّوجل قال: يا

رب أرني خزآئنك ؟ قال: يا موسى إنّما خزآئني إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون.

وفي نورالثقلين: عن يعقوب بن جعفر عن أبي براهيم عليه السّلام أنه قال: ولا أحده (أحده خ) يلفظ بشق فم، ولكن كما قال الله عزّوجلّ: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» بمشيته من غير تردد في نفس!

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله والمرسلين: **«يقول لما أراد كونه: كن فيكون لابصوت يقرع، ولا نداء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولوكان قديماً لكان إلهاً ثانياً».**

وفيه: قال الامام على عليه السلام : **«يقول ولايلفظ، ويحفظ ولا يتحفّظ، ويريد ولا يضمر»**

وفيه: قال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام : **«ولم يستصعب إذ أُمِرَ بالمُضِيِّ على إرادته، وكيف وإنّما صَدَرَتِ الامور عن مشيّته، المنشئ أصناف الأشياء بلا رويّة فكر آل إليها، ولا قريحة غريزة أضمرعليها، ولاتجربة أفادها من حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجآئب الامور، فتمّ خلقه بأمره...» الخطبة.**

وفيه: قال الامام على عليه السلام : **«يريد بلا همّة».**

وفي نور الثقلين: عن الامام جعفربن محمّد الصادق عليه السلام : **ان الارادة من العباد الضمير و ما يبد وبعد ذلك من الفعل، وأما من الله عزّوجل فالارادة للفعل إحداثه إنما يقول له «كن فيكون» بلا تعب ولا كيف.**

وفي العيون: عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء قال: **«كن منه صنع، وما يكون به المصنوع».**

وفي اصول الكافي: باسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: **إن المريد لايكون إلّا المراد معه، لم يزل عالماً قادراً ثم**

أراد.

وفيه: بإسناده عن صفوان بن يحيى قال: قلت لابي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق؟ قال: فقال: الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله فارادته إحداثه لاغير ذلك لأنّه لايروى ولا يهمّ ولايتفكّر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي صفات الخلق، فارادة الله الفعل لاغير ذلك «يقول له كن فيكون» بلالفظ ولا نطق بلسان، ولاهمّة ولا تفكر، ولا كيف لذلك كما أنه لاكيف له.

وفي العيون: -في باب ١٢- ذكر مجلس الرضا مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون - قال الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السّلام لعمران الصابي - حديث طويل -: «واعلم أن الابداع والمشية والارادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة، وكان أوّل إبداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيْ، ودليلاً على كل شيء، وفاصلاً لكل مشكل وبتلك الحروف تفريق كل شيْ من إسم حق وباطل، أو فاعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، وعليها اجتمعت الامور كلها، ولم يجعل للحروف في ابداعه لها معنى غير أنفسها تتناهى ولا وجودها، لأنّها مبدعة بالابداع والنور في هذا الموضع أوّل فعل الله الذي هونور السموات والأرض، والحروف هي المفعول بذلك الفعل، وهي الحروف التي عليها الكلام والعبارات (العبادات خ) كلها من الله عزّوجلّ علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حَرفاً، فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدل على لغات العربية، ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً تدل على لغات السريانية والعبرانية، ومنها خمسة احرف متحرفة في سائر اللغات من العجم والأقاليم واللغات كلها، وهي خمسة احرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات، فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً.

فأما الخمسة المختلفة: (ف ى ج ح خ) لايجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها وأحكام عدتها فعلاً منه كقوله عزّوجل: «كن فيكون» وكن منه

صنع و«ما» يكون به المصنوع، فالخلق الأوّل من الله عزّوجل الابداع لاوزن له ولاحركة ولاسمع ولالون ولاحسّ، والخلق الثانى الحروف لاوزن لها ولالون وهي مسموعة موصوفة غيرمنظور إليها، والخلق الثالث ماكان من الأنواع كلها محسوساً ملموساً ذا ذوق منظوراً إليه، والله تبارك وتعالى سابق للابداع (بالابداع خ) لأنه ليس قبله عزّوجل شيء، ولا كان معه شئ، والابداع سابق للحروف، والحروف لا تدل على غير نفسها.

قال المأمون: وكيف لاتدل على غير أنفسها؟ قال الرضا عليه السلام لأن الله تبارك وتعالى لايجمع منها شيئاً بغير معنى أبداً، فاذا ألف منها احرفاً أربعة أو خمسة أوستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها بغير معنى، ولم يكن إلّا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيء.

قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟ قال الرضا عليه السّلام: أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه انك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً فقلت: (ا ب ت ث ج ح خ) حتى تأتى على آخرها، فلم تجدها معنى غير أنفسها، وإذا ألفتها وجمعت منها احرفاً وجعلتها إسماً وصفة،لمعنى ما طلبت و وجه ما عنيت كانت دليلة على معانيها، داعية إلى الموصوف بها أفهمته؟ قال: نعم. الخبر....

«بحث فقهي»

يستدل بقوله تعالى: «والقرآن الحكيم ـ تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون ـ إنّما تنذر من اتبع الذكر ـ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين ـ وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين» يس: ٢و٥-٦و١١و٤٦و٦٩-٧٠) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو الناسخ وعدم حجيتها قبله، فتأمل جيّداً.

يستدل بقوله عزّوجل: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون ـ وما علينا إلّا البلاغ المبين» يس: ١٣-١٧) على وجوب الإنذار والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العلمآء والدعاة والمصلحين للناس، من دون أن يكون الإهتدآء والانتفاع والايمان شرطاً للانذار كما توهم بعض المتكاسلين منهم، وذلك ان الله جل وعلا أخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم بعدم ايمان المشركين بل وتكذيبهم وإعراضهم عن آيات الله تعالى في قوله: «وسوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لايؤمنون ـ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين ـ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ـ فلا يحزنك قولهم ـ قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة» يس: ١٠و٤٦و٤٨و٧٩).

ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلّم بضرب مثل أصحاب القرية لهم: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون» يس: ١٣) وليس هذا إلّا إنذاراً لهؤلآء المشركين المكذّبين مع العلم بعدم انتفاعهم به، فيجب على العلماء الدينية ودعاة الناس إنذارهم

سوآء انتفعوا بالانذار أم لا، فان عليهم الانذار إتماماً للحجة، وليسوا هم بمسئولين عن إهتدائهم إذ ليس الاهتداء شرطاً للانذار فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وقد استدل بعض المفسرين بقوله تعالى: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقال إنا إليكم مرسلون» يس: ١٤) على أن رسول الرسول رسول، وانه يؤيد مسئلة فقهيّة وهي أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل حتى لاينعزل بعزل الوكيل إياه، وينعزل إذا عزله الموكل الأوّل.

أقول: هذا بنآءً على أن الرسل ههنا كانوا رسلاً من جانب عيسى بن مريم عليه السلام إلى أصحاب القرية، وقد قلنا: إنهم كانوا رسلاً من ساحة رب العزّة جل وعلا مباشرة.

ويستدل بقوله تعالى: «ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم» يس: ٣٥) على أنّ الأرض الموات مِلك لـمَن أحياها من كدّ اليمين وعرق الجبين، كما يدل على أن النعمة هي المال الحلال المكتسب منها. وهذا بنآءً على أن «ما» موصولة.

في متشابهات القرآن ومختلفه: في قوله تعالى: «والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» يس: ٣٩).

قال: فيه دلالة على أنّ من قال: اعتقوا عنّي كل عبد قديم في ملكي أن يعتقوا ما في ملكه من ستة أشهر»

أقول: وهو المرويّ في قضآء مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته أوردناه في البحث الرّوائي من هذه السورة المباركة فراجع.

ويستدل بقوله تعالى: «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار» يس: ٤٠) على أنّ ابتدآء الشهور من الليل لامن النهار، فان الشهور التي تتعلق بها أحكام الشرع هي شهور الأهلة، والهلال أوّل ما يظهر ليلاً ولايظهر ابتدآء النهار، فأوّل ليلة من شهر رمضان ـ مثلاً ـ هي من رمضان، وان أوّل ليلة من شهر شوّال ـ مثلاً ـ هي من شهر

شوّال.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «إذا كان أوّل ليلة من رمضان صفدت فيه الشياطين» وقد ثبت عندنا: أن اعتكاف الشهر يبتدئ من الليل.

في التبيان: في قوله تعالى: «وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله» يس:٤٧) قال: الرزق هو ما خلق الله لخلقه لينتفعوا به على وجه لايكون لأحد منعه منه، فعلى هذا الوجه لايكون الحرام رزقاً، فان الله تعالى قد منع منه بالنهي وقد سمّي رزقاً ما يصلح للانتفاع به مجازاً، فعلى هذا ليس كل ما رزقه الله العبد جعل له الانفاق منه والتصرف فيه، وعلى الأوّل ـ وهو الأصح ـ جعل له ذلك»

ويستدل بالآية الكريمة على أن المشركين كانوا مكلّفين بالفروع كما كانوا مكلّفين بالاصول، وتصحّ منهم الفروع قبل الاصول مالم تكن عبادة تحتاج إلى قصد الوجه فتأمل.

في تفسير الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه» يس:٧٨) قال القرطبي: «في هذا دليل على صحّة القياس لأن الله جل وعزّ احتجّ على منكري البعث بالنشأة الاولى».

وفي أحكام القرآن: للجصّاص قال في قوله تعالى: «قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة»: وفيه الدلالة على وجوب القياس والإعتبار لأنه ألزمهم قياس النشأة الثانية بالاولىٰ.

وفي المجمع: قال: وفي الآية دلالة على صحّة إستعمال النظر في الدين لأن الله سبحانه أقام الحجّة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الاولى، وألزم من أقرّ بالاولى أن يقرّ بالثانية».

أقول: ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمل ان هذا من قبيل أنك تقول: إن كانت الصلاة صحيحة فهي مقبولة أو تقول: كل إنسان ناطق، وكل ناطق درّاك ، فكل إنسان درّاك .

وليس هذا من القياس المصطلح بين العامة في الفروع وهوالحاق أمر في الحكم غير منصوص عليه بآخر منصوص عليه لاتحاد بينهما في العلّة المستنبطة، ومثال ذلك: ان لو نصّ الشارع على أنّ الجدّة لام ترث ويسكت عن الجدّة لأب، فتلحق هذه بتلك في الميراث قياساً لأن كلتيهما جدّة.

وهذا القياس محرّم مردود في الدين الاسلامي، وأوّل من قاس بهذا القياس هوالشيطان وأوّل من قاس في الاسلام هوأبوحنيفة.

في اصول الكافي: باسناده عن عيسى بن عبدالله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبدالله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة! بلغني أنك تقيس؟ قال: نعم قال: لا تقس فانّ أوّل من قاس ابليس حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النار عرف فضل ما بين النورين وصفآء أحدهما على الآخر»

وفي أمالي الشيخ المفيد: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن زرارة بن أعين قال: قال أبوجعفر محمد بن علي عليه السلام: يا زرارة إياك وأصحاب القياس في الدين، فانهم تركوا علم ما وكلوا به وتكلفوا ما قد كفوه يتأوّلون الأخبار ويكذبون على الله عزّوجل، وكأنّي بالرجل منهم ينادي من بين يديه قد تاهوا وتحيّروا في الأرض والدين».

وفيه: باسناده عن إبن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لعن الله أصحاب القياس فانّهم غيّروا كلام الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم واتهموا الصادقين في دين الله عزوجل»

في تفسير النيشابورى: في قوله تعالى: «قال مَن يحيي العظام وهي رميم» يس: ٧٨) قال: «وفي الآية دليل ظاهر على أن عظام الميتة نجسة لأن الموت والحياة يتعاقبان عليها وقال أصحاب أبي حنيفة: إنها طاهره وإن الحياة لاتحلّ فيها فلا يتصوّر موتها وكذا الشعر والعصب وتأوّلوا الآية بأن المراد باحيآء العظام ردّها على ما كانت عليه غضّة طريقة في بدن حيّ حسّاس».

وفي أحكام القرآن: للجصّاص قال: «وربما احتجّ بعضهم بقوله تعالى: «قال من يحيي العظام وهي رميم» على أنّ العظم فيه حياة، فيجعله حكم الموت بموت الأصل ويكون ميتة، وليس كذلك لأنه إنّما سمّاه حياً مجازاً إذ كان عضواً يحيي كما قال تعالى: «يحيي الأرض بعد موتها» ومعلوم أنه لا حياة فيها»

أقول: إنّ عظم الإنسان الميّت، المجرّد من اللحم طاهر لو كان من المسلم وغسله المسلمون بعد موته، فلايكون نجساً ولا يجب على الماسّ به غسل مسّ الميّت، ولوكان من الكافر فهو نجس بنجاسته، ويجب على الماسّ غسل مسّ الميّت لعدم غسله حسب شريعة الاسلام.

«بحث مذهبي»

يستدلّ بقوله عزوجل: «على صراط مستقيم» يس: ٤) على فساد قول المباحية القائلين بأنّ المكلف إذا صار واصلاً لم يبق عليه تكليف، وذلك ان المرسلين إذا لم يستغنوا عن رعاية الشريعة فكيف غيرهم؟

وقد تشبّث بعض المتشبثين بقوله تعالى: «لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون» يس: ٦) على أن رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم كانت محصورة في جزيرة العرب.

أقول: إنّ ذكرهم وحدهم لايمنع من عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الناس كافّة كما قال الله عزّوجل: «قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف: ١٥٨).

وقال: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الأنبياء: ١٠٧).

وقال: «وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» سبأ: ٢٨).

وقال: «هوالذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً» الفتح: ٢٨).

وقال: «إن الدّين عندالله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ١٩ و ٨٥) وغيرها من الآيات الكريمة...

فكون الخطاب مع العرب لايمنع من عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الناس كافة إلى يوم القيامة فتأمّل جيداً.

في متشابه القرآن ومختلفه لابـن شهر آشوب المازنـدراني رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «لقد حق القول على أكثرهم- وجعلنا من بين أيديهم سداً...» يس: ٧- ٩) قال: المنع من الايمـان لايصحّ على مذهبهـم، وإنّما صحّ على مذهب من قال بالإختيار والجرى على الظاهر غير موجب المنع من الايمان لأنّ المغلول والمأخوذ عليه يؤمن، وما ذكره جرى على جهة الذمّ لهم والتوبيخ وانهم من حيث أعرضوا عن الايمان لم ينتفعوا بالآيات الدالّة على الحق يشهد بـذلـك قوله عقيـب الآية بلافصل: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـذرهم لايؤمنون».

ثم ان المراد بهذه الآيات وصف حالهم في الآخرة»

وفي الجامع لأحكام القرآن: في قـوله تعـالى: «وسواء عليهـم أأنـذرتهم أم لم تنـذرهم لايؤمنون» يس: ١٠) قال: والآية ردّ على القـدرية وغيرهم -الجبرية- وعن ابن شهاب أن عمربن عبـدالعزيز أحضر غـيلان القدريّ، فقـال: يا غيلان بلـغني أنك تتكلّم بالقدر؟ فقال: يكذبـون عَلَيَّ يا أميـرالمؤمنين، ثم قال: يا أميرالمؤمنين أرأيت قول الله تعالى: «إنا خلقنا الانسان مـن نطفة أمشاج نبتـليه فجعلنـاه سمعياً بصيـراً إنـا هديناه السبيـل إما شاكراً وإما كفوراً».

فقال: إقرأ يا غيلان فقرأ حتى انتهى إلى قوله: «فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً» فقال اقرأ فقال: «وما تشآؤن إلّا أن يشآء الله» فـقال: والله يا أميرالمؤمنين إن شعرت أن هذا في كتاب الله قط. فقـال لـه: يـا غـيلان إقرأ أوّل سورة «يس» فقـرأ حتى بـلـغ «وسوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون» فقال غيلان:

والله يا أميرالمؤمـنين كأنّي لم أرها قط قبـل اليوم، أشهد يـا أميرالمؤمنين أني تـائب، فـقال عمر -بن عبدالعزيز-: اللهم إن كـان صـادقاً فتب عليـه وثبّته، وإن كان كاذباً فسلّط عليه من لايرحمه واجعله آية للمؤمنين، فأخذه هشام فقطع يديه ورجليه وصلبه.

وقال ابن عـون: فأنـا رأيته مصلوبـاً على باب دمشق فـقلـنا: ماشـأنك يـا غيلان؟ فقال: أصابتني دعوة الرجل الصالح عمربن عبدالعزيز.

في الميزان: في قوله تعالى: «ومالي لاأعبد الذي فطرني ـ ولا ينقذون» يس: ٢٢-٢٣) قال: إن الآيتين حجّتان قائمتان على إبطال ما احتجّ به الوثنية وبنوا على ذلك عبادة الأصنام وأربابها... توضيح ذلك أنهم قالوا: إن الله سبحانه أجل من أن يحيط به حسّ أو خيال أو عقل لاينالـه شيئ من القوي الإدراكيّة، فلايمكن التوجّه إليه بالعبادة، فسبيل العبادة أن نتوجّه إلى مقرّبي حضرته والأقوياء من خلقه كالملائكة الكرام والجن والقدّيسين من البشر حتى يكونوا شفعاء لنا عندالله في ايصال الخيرات ودفع الشرور والمكاره...

والجواب عن اولى الحجّتين بما حاصله أن الإنسان وإن كان لايحيط علماً بالذات المتعالية لكنّه يعرفه تعالى بصفاته الخاصّة به مثل كونه فاطراً له موجداً إيّاه فله أن يتوجّه إليه من طريق هذه الصفات وإنكار إمكانه مكابرة، وهذا الجواب هوالذي أشار إليه بقوله: «ومالي لاأعبد الذي فطرني» وعن الثانية أن هؤلآء الآلهة إن كانت لهم شفاعة كانت مما أفاضه الله عليهم، والله سبحانه لايعطيهم ذلك إلّا فيما لا تتعلّق به منه إرادة حاتمة، ولازمه أن شفاعتهم فيما أذن الله لهم فيه كما قال: «ما من شفيع إلّا من بعد إذنه» يونس:٣) أما إذا أراد الله شيئاً إرادة حتم فلا تنفع شفاعتهم شيئاً في المنع عن نفوذها فاتخاذهم آلهة وعدمه سوآء في عدم التأثير لجلب خير أو دفع شرّ، وإلى ذلك أشار بقوله: «أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّ لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون»

أقول: وفيه تأمل فانّ شفعاء أصحاب القرية الذين اتخذوها آلهة لهم ما كانوا أقوياء من خلقه كالملائكة الكرام... فان تلك الآلهة وعابديها كلهم في نار جهنم لقوله تعالى: «اتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون» يس: ٧٤- ٧٥) على أن مشركي قرية أنطاكية، ومشركى ام القرى مكة المكرمة في اتخاذهم آلهة من دون الله يعبدونها على حدّ سوآء كما يظهر من ظاهر السياق: «أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرّ لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولاينقذون ـ واتخذوا من دون

الله آلهة لعلّهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون» يس: ٢٣ و ٧٤-٧٥).

وقال السيّد الطباطبائي في قوله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة...» يس: ٧٤): المراد بالآلهة الأصنام أوالشياطين وفراعنة البشردون الملائكة المقربين والأولياء من الإنسان...».

في المجمع: في قوله تعالى: «قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين» يس: ٢٦-٢٧) قال: وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنّه إنّما قال ذلك وقومه أحيآء، وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فان الخلاف فيهما واحد».

وفي الميزان: قال: والآية من أدلّة وجود البرزخ.

في الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لايرجعون» يس: ٣١) قال: وهذه الآية ردّ على مَن زعم أن من الخلق مَن يرجع قبل القيامة بعد الموت».

وفي الدررالملتقطة في تفسير الآيات القرآنية قال العلامة المحقق محمد إسمعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الخواجُوئي رحمة الله تعالى عليه: «إستدل صاحب الكشاف بهذه الآية على إنكار الرجعة وقال: وهذا مما يردّ قول أهل الرجعة. وأراد بهم أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم، فان القول بالرجعة والايمان بها مما تفرّدوا به ونقلوا فيه أخباراً كثيرة:

منها: أن الله سيعيد قوماً عند قيام المهدي عليه السلام ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ممّن محض الايمان محضاً ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدآئه ممّن محض الكفر محضاً لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب في القتل على أيدى شيعته أو الذل والخزي بمايشاهدونه من علوّ كلمته.

وهذا- أي تفرّدهم بذلك- هوالمشهور بين أصحابنا.

ولكن يظهر من إبن الأثير في نهايته أن القول بالرجعة ليس من متفرداتهم، حيث

قال: إن الرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهليّة معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من اولي البدع والأهوآء يقولون: ان الميّت يرجع إلى الدينا ويكون فيها حياً كما كان ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن علي بن أبيطالب عليه السلام مستقرّ في السحاب، فلايخرج مع مَن خرج من وُلده حتى ينادي مناد من السمآء: أخرج مع فلان، ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى: «حتى إذا جآء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً» يريد الكفار، نحمدالله على الهداية والايمان».

وهذا منهم إفترآء وبهتان عظيم على الرافضة، فانهم وإن قالوا برجعته عليه السلام ولكن لم يقل به أحد منهم بحياته واستقراره في السحاب، بل القول بحياته قول طائفة من الغلاة ليس إلّا.

أقول: وفيما ذكره الكشاف نظر، إذ غاية ما دلّت عليه الآية أن القرون الهالكة الخالية لايرجعون بصورهم الأصلية إلى العباد المستهزئين للرسل مدة حياتهم، وأما أنهم لايرجعون أبداً لاإليهم ولا إلى غيرهم، أو أن غير هؤلآء الهالكين لايرجع قبل يوم القيامة إلى الدنيا بصورته التي كان عليها، فلا دلالة لها عليه بشيءٍ من الدلالات... ثم أيّة مناقاة بين رجوع علي عليه السّلام إلى الدّنيا وبين نكاح بعض نسآئه وقسمة ميراثه إذا كان ذلك جائزاً في الشرع؟!

فما حكاه عن ابن عباس أنه قيل له: إن قوماً يزعمون أنّ علياً عليه السلام مبعوث قبل يوم القيامة فقال: بئس القوم نحن، إن نكحنا نساؤه وقسمنا ميراثه.

فمع أنّه فرية لامرية فيها لايدل على عدم الجواز، فان كثيراً من القرون الماضية وغيرهم ماتوا ونكح نساؤهم وقسم أموالهم، ثم رجعوا إلى الدنيا وعاشوا فيها ماشآء الله ثم ماتوا بآجالهم. ثم كيف يصير قول ابن عباس -على فرض ثبوته وصحّته- دافعاً لقول أميرالمؤمنين سلام الله عليه في حديث أبي الطفيل في الرجعة: «هذا علم يسع الامة جهلة ورُدَّ علمه إلى الله. قال: وقرأ عليّ بذلك قرآءة كثيرة وفسّره تفسيراً شافياً، حتّى صرت ما أنا بيوم القيامة أشدّ يقيناً منّي بالرجعة...» الحديث.

وكان عامر بن واثلة الكناني أبوالطفيل هذا آخر من مات رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كما في الاستيعاب قال: وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلّم نحو أربعة أحاديث وكان محبّاً في علي عليه السلام وكان من أصحابه في مشاهده، وكان ثقة مأموناً ويقال: إنّه أدرك من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ثمان سنين، وكان مولده في يوم أُحُد، ومات سنة مأة أو نحوها إنتهى.

وفي الكشي: في ترجمة عامر بن واثلة أبي الطفيل هذا باسناده إلى شهاب ابن عبد ربه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أصبحت جعلت فداك؟ قال: أصبحت أقول كما قال أبوالطفيل يقول:

وإن لأهل الحق لابد دولة ... على الناس إيّاها أرجى وأرقب

ثم قال: أنا والله مِمَّن يرجى ويرقب وكان يقول: مابقي من السبعين غيري.

وأراد بهم الذين قُتلوا مع الحسين عليه السلام ويظهر منه أنه كان من أصحابه عليه السلام أيضاً ومن كلامه:

وبقيت سهماً من النكاية واحداً ... سترمى به أو يكسر السهم كاسرة

وكان يحفظ الأحاديث على ما يكون ولايخلى دخول الغلط فيها.

ثم من العجب أن هذا الرجل ـ الزمخشري ـ المعتزلي الاصول، حنفيّ الفروع صاحب التفسير ـ الكشاف ـ يفوّه بكل ما خطر بباله من غيرمبالاة!

ولعله ذهب عنه ما نقلوه في كتبهم أنّه إذا خرج المهدي عليه السلام نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلّى خلفه ونزوله إلى الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته لقوله تعالى فيه: «إني متوفّيك ورافعك إليّ» آل عمران: ٥٥) ألا يرى إلىٰ قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم» البقرة: ٢٤٣) فهؤلآء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا. وقال تعالى في قصّة عزير أو ارميا على اختلاف القولين: «فأماته الله مأة عام ثم بعثه» البقرة: ٢٥٩) قال هذا الرجل ـ الزمخشرى ـ المنكر للرجعة في تفسيره ـ الكشاف ـ: إنه كان كافراً بالبعث وهوالظاهر لانتظامه مع نمرود في

سلك ثم قال: وقيل: هوعزير أو الخضر.

أقول: وعلى أيّ الأقوال فهذا مات مأة عام، ثم رجع إلى الدنيا وبقي فيها ثم مات بأجله. قال هذا ـالزمخشري ـ المنكر للرجعة المفترى على الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة بعد قوله تعالى: «ولنجعلك آية للناس» البقرة: ٢٥٩) قيل: أتى قومه راكب حماره وقال: أنا عزير فكذّبوه فقال: هاتوا التوراة فأخذها يهذّها هذّاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب، فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير، فذلك كونه آية. وقيل: رجع إلى منزله، فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب، فاذا حدّثهم بحديث قالوا: حديث مأة سنة» إنتهى.

وفي قصّة المختارين من قوم موسى عليه السلام لميقات ربه: «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون» البقرة: ٥٦) فأحياهم فرجعوا إلى الدنيا، فأكلوا وشربوا ونكحوا وولدهم الأولاد وبقوا فيها ثم ماتوا بآجالهم. وكذلك جميع الموتى الذين أحياهم الله لعيسى عليه السلام رجعوا إلى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا، وقصّة أصحاب الكهف معروفة.

والرواية النبوية: «كل ما كان في الامم السالفة يكون في هذه الامة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» مشهورة وسائر الأقاصيص في محالها مسطورة.

وليس ينبغي أن يعجب من ذلك، فضلاً عن أن يُنكَر، فان الامور المجهولة العلل لايعجب منها، ألا يرى إلى قول سيّدنا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وقد سبق: «هذا علم يسع الناس جهله ورُدّ علمه إلى الله».

على أنّ بعض علله كفوز الأولياء بثواب النصرة والمعونة، وبهجتهم بظهور الدولة والسلطنة والانتقام من الأعداء، ونيلهم بعض ما يستحقونه من العقاب والعذاب في الدنيا إلى غير ذلك من البواعث في الحكمة في الأخبار مذكور وفي الآثار مسطور، وقد سبق في الخبر الأوّل وله نظائر لايسع ذكرها المقام والصلاة على محمد وآله خير البرية والأنام» إنتهى كلامه.

أقول: ونحن شيعة أهل بيت الوحي المعصومين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل

تحياته لن نرجى ولن نرقب حرمة لنا من أمثال الزمخشري مردة عمر بن الخطاب الذي كان يهتك حرمة سيّد الأنبيآء والمرسلين وأشرف خلق الله تعالى من الأوّلين والآخرين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم في حضرته صلى الله عليه وآله وسلّم ويقول ـ متهتكاً ـ له صلى الله عليه وآله وسلّم: «إن هذا الرجل ليهجر».

قال الله عزّوجل: «قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمَن هو أهدى سبيلاً» الاسراء: ٨٤).

في التبيان: في قوله تعالى: «ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون» يس: ٦٢) قال الشيخ الطوسي قدّس سرّه: «وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في إرادة الله إضلالهم لأن ذلك أضرّ عليهم من إرادة الشيطان وأشدّ عليهم في ايجاد العداوة قبل أن يكفروا».

وفي المجمع: قال: وفي هذا بطلان مذهب أهل الجبر في أنّ الله أراد إضلالهم ولو كان كما قالوه لكان ذلك أضرّ عليهم وأنكر من إرادة الشيطان ذلك.

وفي تفسير القمي: وقوله عزّوجل: «ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون» يس: ٦٨) فانه ردّ على الزنادقة الذين يبطلون التوحيد، ويقولون: إن الرجل إذا نكح المرأة وصارت النطفة في رحمها تلقته (تلقيه خ) الاشكال من الغذآء ودار عليه الفلك، ومرّ عليه الليل والنهار فيولد (فيتولد خ) الانسان بالطبائع من الغذآء ومرور الليل والنهار، فنقض الله عزّوجل عليهم قولهم في حرف واحد فقال جلّ ذكره: «ومن نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون» قال: لو كان هذا كما يقولون لكان ينبغي أن يزيد الإنسان أبداً ما دامت الاشكال قائمة، والليل والنهار قائمان، والفلك يدور، فكيف صار يرجع إلى النقصان كلّما ازداد في الكبر إلى حدّ الطفولية، ونقصان السمع والبصر والقوّة والعلم والمنطق، حتّى ينتقص (ينقص خ) وينتكس (ينكس خ) في الخلق، ولكن ذلك من خلق العزيز العليم وتقديره، وقوله عزّوجل: «وما علّمناه الشعر وما ينبغي له» قال: كانت قريش تقول: إن هذا الذي يقوله محمد شعر، فردّ الله عزّوجلّ عليهم فقال: «وما

علّمناه الشعر وماينبغي له إن هوإلّا ذكر وقرآن مبين» ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم شعراً قطّ.

المعاد الجسماني وردّ شبهة الآكل والمأكول وطوائف منكري البعث

واعلم ان المنكرين للبعث والنشرعلى أربع طوائف:

الاولى: هم الذين ينكرون البعث بمجرّد الاستبعاد كقوله تعالى حكاية عن بعضهم: «من يحيي العظام وهي رميم» يس:٧٨) فأزال الله تعالى إستبعادهم بتصوير الخلق الأوّل بقوله: «قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة» يس: ٧٩) فان الذي قدرعلى جعل النطفة المتشابهة الأجزآء إنساناً مختلف الأبعاض والأعضآء، مودعاً فيه الفهم والعقل وسائر أسباب المزية والفضل فهوعلى إعادتها أقدر.

الثانية: هم الذين ينكرون البعث بذكر الشبهة فيه وهي: ان الإنسان بعد الموت والعدم لم يبق منه شيئاً، فكيف يصحّ إعادة المعدوم عقلاً؟

الثالثة: هم الذين ينكرون البعث، فيقولون: إن الذي تفرّقت أجزائه في أبدان السباع وجدران الرباع كيف يجمع ويعاد؟

الرابعة: هم الذين ينكرون البعث، فيقولون: إن إنساناً إذا نشأ مغتذياً بلحم إنسان آخر، فلا بدّ أن لايبقى للآكل والمأكول جزء يمكن إعادته؟

فأجاب الله عزّوجل عن شبهات الطوائف الثلاث الأخيرة بقوله تعالى: «وهوبكل شيئ عليم» يس: ٧٩) بأنّه جل وعلا يجمع الأجزآء المتفرّقة في البقاع والسباع وهويعلم الأصلي من الفضلى، يجمع الآجزاء الأصلية للآكل والمأكول.

وفي الاحتجاج: في احتجاج الامام السادس جعفربن محمد الصادق عليهما السلام ـ قال السائل: أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هوباقٍ؟ قال عليه السلام: بل هوباقٍ إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حسّ ولامحسوس، ثم اعيدت الأشيآء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعماة سنة يسبت فيها الخلق، وذلك بين

النفختين، قال: وأنّى له بالبعث والبدن قدبلي والأعضآء قد تفرّقت، فعضو ببلدة تأكله سباعها، وعضو بأخرى تمزّقه هوامّها، وعضو قدصار تراباً يبنى به مع الطين في حائط؟!
قال: عليه السلام: إن الذى أنشأه من غير شئ وصوّره على غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه.

قال: أوضح لي ذلك؟ قال عليه السلام: إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضيآء وفسحة، وروح المسئ في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوامّ من أجوافها، فما أكلته ومزّقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لايعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشيآء ووزنها، وإن تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فاذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض ثم تمخض مخض السقآء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالمآء والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه، فينتقل باذن الله القادر إلى حيث الروح فتعود الصور باذن المصوّر كهيئها، ويلج الروح فيها، فاذا قد استوى لاينكر من نفسه شيئاً.

أقول: وقد ثبت اليوم علمياً ويعمل كثيراً باخراج مواد الحديد، والجصّ والملح والسكر وغيرها من المياه... بصناعة التحليل في علم الكيميآء.

وفي نهج الحق وكشف الصدق قال العلاّمة الحلّي أعلى الله تعالى مقامه: «المسئلة السادسة في المعاد:هذا أصل عظيم، وإثباته من أركان الدين وجاحده كافر بالاجماع، ومن لايثبت المعاد البدني ولاالثواب والعقاب وأحوال الآخرة فانّه كافر إجماعاً، ولاخلاف بين أهل الملل في إمكانه لأنه تعالى قادر على كل مقدور، ولا شك في أنّ ايجاد الجسم بعد عدمه ممكن، وقد نصّ الله تعالى عليه في قوله: «أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى» يس: ٨١) وقال تعالى: «مَن يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم» يس:٧٨-٧٩).

والقرآن مملؤ من ذكر المعاد وإن اختلفوا في كيفيّة الإعادة والاعدام، وتفاصيل ذلك

ذكرناها في كتبنا الكلامية، لكن البحث ههنا عن شيئ واحد وهوان القول باثبات المعاد البدني الذى هو أصل الدين وركنه إنّما يتمّ على مذهب الإمامية، أما على مذهب أهل السنّة فلا لأن الطريق إلى إثباته ليس إلّا السمع، فان العقل إنّما يدل على إمكانه لاعلى وقوعه، وقد بيّنّا أن العلم بصحّة السمع وصدقه إنّما يتمّ على قواعد الإمامية القائلين بامتناع وقوع القبيح من الله تعالى لأنه إذا جاز أن يخبرنا بالكذب أو يخبر بما لايريده ولايقصده، فحينئذٍ يمتنع الاستدلال باخباره تعالى على اثبات المعاد البدني، والشك في ذلك كفر فلا يمكنهم حينئذ الجزم بالإسلام البتة، نعوذ بالله من هذه المقالات التى توجب الشك في الاسلام» انتهي كلامه ورفع مقامه.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: «قل يحييها الذي أنشاها أوّل مرّة وهوبكل خلق عليم» يس:٧٩): هذا دليل صريح في المعاد الجسماني من غير إمكان تأويل، وهذا جواب لشبهتين وحسم مادتها:

الأوّل: انه بعدالعدم الذي لم يبق شيئاً فكيف يحكم عليه بالوجود، فأجاب تعالى بقوله: «قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة» فكما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، فكذلك يعيده وإن لم يبق من جسده العنصرى شيئاً مذكوراً.

والثاني: ان من تفرّقت أجزائه في مشارق الأرض ومغاربها وصار بعضها في أبدان السباع والطيور والإنسان فكيف تجتمع مع أنه إذا اعيدت أجزآء الآكل، فلا يبق للمأكول أجزآء تتخلّق منها أعضائه أو العكس، فأجابه الله تعالى بقوله: «وهوبكل خلق عليم» ففيه ردّ على شبهة الآكل والمأكول، وذلك ان لكل من الآكل والمأكول أجزآء أصلية وأجزآء فضلية، ويصير الأجزآء الأصلية من المأكول أجزاء فضلية من الآكل، والله تعالى عالم بالأجزآء الأصلية من كل منها، فيجمعها وينفخ فيها الروح، فيحي الآكل والمأكول من الأجزآء الأصلية الّتي كانت لكل منها.

ثم قال: إن الدليل الحسّي على إمكان البعث أن الله تعالى يرسل الرياح فتثير سحاباً وتحرّكه، فيتحرّك إلى حيث شآءالله تعالى أي فساقه الله عزّوجلّ إلى بلد ميّت

لانبات به ولا زرع، فأحيى الله تعالى به تلك الأرض حتى أصبحت ذات زرع وشجر بعد أن كانت قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أى صحرآء جردآء لا شئ فيها مثل ذلك أي إحيآء الأرض بالخضرة بعد موتها نشر الأموات وإحيائها للبعث والثواب والعقاب.

وقد ورد عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلّم: «أما مررتَ بوادى أهلك (قومك خ) مُمْحِلاً ثم مررت به يهتزّ خضراً»؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله قال: «فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه».

في تفسير النيشابوري: في قوله تعالى: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) قالت المعتزلة: في الآية دلالة على أنّ المعدوم شيْ.

اجيب: بأن الآية دلّت على أنه حين تعلق الإرادة به شئ أما أنه قبل ذلك شيء فكلاّ.

«قصّة حبيب النّجار وحكمتها»

قال الله عزّوجل: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون ـ إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون» يس: ١٣ ـ ٢٩).

واعلم أن القرآن الكريم يذكر قصّة حبيب النجار وقومه في سبع عشر آية لما فيها كسآئر القِصَص من التنبيه والإنذار، من الوعد والوعيد، من الخوف والرجآء، من الدرس والاسوة، ومن العبرة والعظة لمن تفكّر واعتبر.

وذلك ان القصّة القرآنية، وإن تكن سماويّة المتنزّل فانها تمثل على أرض البشر ليعيش فيها الناس، ويسكنوا إليها ويتجاوبوا معها، وينفعلوا بها ويتلقّوا العبرة والعظة منها، ومن أجل هذا كانت القصّة القرآنية منتزعة من الواقع الوجودي للناس... في أحداثها وأشخاصها، في شخصياتها وكراماتها، وفي أمكنتها وأزمنتها... لاينكر منها الناس شيئاً، ولايبعد منها عليهم شيئ... فهي وإن تكن قد ذهب أشخاصها وبَعُدَ زمانها واندثر مكانها، إلّا أنها دائماً بمشهد من الناس ومحضر، حيث يرون أشباهها في كل وقت ومكان!

وان حتميّة التاريخ أمر يشهد له القرآن الكريم أبلغ شهادة في قِصَصِه الذي ما جآء به إلّا ليكون تنبيهاً وإنذاراً، وعداً ووعيداً، خوفاً ورجآءً، وعبرة وعظة، يجدها أولوالألباب، ويتلقّاها ذووالنهى، حين يقايس الحاضر بالماضي، وحين ينظر فيما سيكون على ضوء ما كان... فان التاريخ ـ كما يقولون ـ يعيد نفسه...

ألا إنّما الأيّام أبناء علّة وهذى الليالي كلّها أخوات

وما جآئت القِصَص القرآنيـة إلّا لترفع لأبصار الناس وبصآئـرهم شواهد من تاريخ الإنسانية، تتمائـل فيه مواقفها، وتـتشابه طوائفها، فـالناس هم الناس، تحكمهـم نوازع، وتتحكم فيهم طبائع، وينتظمهم وجود تجرى عليه سنن الخالق القادر المتعال: «سنّة الله في الذين خلوا مـن قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً» الأحزاب: ٦٢) «سنـة مـن قدأرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلاً» الاسرآء:٧٧).

ومـن غير مرآءٍ ان الـقصص القـرآنية تـنقـل الواقع نـقلاً تحـفظ عليـه كل مـوجوداته لايفلت منها شيُ، فان هذا الواقع يشـتمل على عنصريـن بارزين لهما أثرهما الـواضح في منح القصة الـقرآنية قوة وحياةً وتأثيراً ليس لغيرها من القصص أن يملك وسآئله، أو يجد عن تلك الوسائل عـوضاً، في تشخيص الأحداث، وتمثـيلها على المسرح أو السينما وإلقآء الأنوار والظلال عليها... فـان ذلك كله لايبـلغ شيئاً مما تبلغه القصة القرآنية، وهي في إطار الحروف والكلمات... هذان العنصران هما:

أوّلاً: المعجزات والخوارق... وذلك أن في نفس القصص القرآنية كثيرة من المعجزات والخوارق التي تطلع بين أحداث الـقصّة، فتحدث دويـاً هائلاً، وتثير زلزلـة عاتية ينـقلب بها وجه الأحـداث، ويـتحوّل سيرهـا أو يـتوقّف! ومن المـعلوم أن هذه المعجـزة أو هذا الخارق الذي دخل على أحـداث القصّة، لـيس من تدبير الإنسان ولامن عمل الطـبيعة، وإنّما هومـن تـدبير الله عزّوجل ومـن تـقديـره...! ولهـذا فان هذا الـعـنصر يدخـل دخولاً مفاجأ ًمبـاغتاً لايتوقـعه أحد ممّن يشـتركون في الصراع المحتـدم على مسرح الأحداث، أو الذين يشهدون هذا الصراع!

فانظرملياً في الموقف الّذي بين أهل القرية والرسولين تارة، وفي الموقف الّذي بين أهل القرى والرسل الثلا ثـة تارة اخرى، وفي الموقف الـذي بين القوم والرسل وحـبيب النجار ثالثة، وفي الموقف الذي بين القوم وحبيب النجار رابعة؟؟؟!.

وهنا لايكون لـلأحداث طريق تـتجه إليه إلّا أحد طريقين: إمّا أن تـستسلم الرسل وحبيب النّجار الضعيفة ظاهراً لـلقوّة الغالبة الباطشة القوم المستكبرين، وإما أن تشتبك

في معركة. يستأصل فيها القوم الظالمون: «إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون» يس: ٢٩) وان القصّة لم تشرإلى الزمن الذي مضى على تلك المواقف... لأن الظرف يتكرّر فليس بمهمّ وما هوالمهمّ هوالمظروف الذي يكون درساً لمن يأتي وكما هي عادة القرآن الكريم في تصوير الأحداث وعرضها من وجوهها المختلفة جآئت هذه الحادثة مصوّرة هذا التصوير الدقيق في هذا الإطار المحكم الموجز، وإنك لتستطيع أن تضمّ هذه اللقطات... للحادثة بعضها إلى بعض، فتجد فيها الحادثة كلها... بأبعادها وأعماقها... فانظر إلى هذه القوّة الغيبية الخارقة، إنها تجيئ على غير أيّ تقدير يقدره البشر، وعلى خلاف أيّ حساب يحسبونه، فتتحكم في الموقف وتصرّفه على الوجه الذي تريد، دون أن يملك أحد لها دفعاً، أو يعرف له معها حساباً، إنها هي التي تملى إرادتها دون توقف على قبول أو رفض من أحد. وان هذه القوى الغيبية التي تجيئ في القصص القرآنية هي عنصر من العناصر الفعالة فيها، لما تثير من تلك الانفعالات القوية الحادّة التي تملك على الإنسان أحاسيه ووجدانه... الأمر الذي لايمكن أن نجده في غير القصص القرآنية، فان وجدناه فانّما تكون نظرتنا إليه نظرة شك وارتياب، لأن هذه القوى الخارقة التي ترى في مشاهد القصص غير القرآنية ليست إلّا جهلاً في جهل، وخيالاً في خيال، لايقيم لها الناس مكاناً في الواقع.

ومن غير مرآء أن المعجزة التي صحبت الحدث في القِصَص القرآنية أمر قدوقع، وشهده الناس وسجّله التاريخ، وإذن فان ظهور هذه المعجزة بعد ذلك، وإعادة عرضها على مسرح الحياة من جديد بهذا الاسلوب المعجز-إنما هو ظهور خارقة من خوارق الحياة، يعيش فيها الناس بكل وجودهم، كلّما طلعت عليهم في أيّة صورة وعلى أىّ حال، في هذا العرض الرائع المعجز الذي يعرضها القرآن الكريم فيه.

ثانياً: ألنظم القرآني:

وإذا كان للمعجزات والخوارق التي صحبت القِصَص القرآنية هذا الأثر العميق في

«حبكة» القصّة وإمدادها بهذا المدد الغزير من عناصر التشويق الإثارة ـ فان النظم القرآني ذاته قوّة غيبية، أشبه بتلك القوى الحسّيّة التي نشهدها في الحدث الإعجازي، وذلك ان نظم القرآن الكريم قدجآء على صورة معجزة متحدية، في مجال الكلمة، وفي مقام البلاغة والبيان... بالاسلوب الكلامي، فكل معنى إنتظمه النظم القرآني وحملته ألفاظه هومعجزة تتحدى القُدَر البشرية وتستعلي عليها جميعاً...! وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن القصّة القرآنية ـ وإن تكن أحداثها مما يفيض به واقع الحياة، ومما يعيش فيه الناس ـ فانها تشتمل دائماً على قدر من الإعجاز، إن لم يكن في الحدث ذاته، فان في النظم القرآني، من حيث هواعجاز بما اشتمل عليه اسلوبه من قوىً مدركة وغير مدركة، يعجز الناس جميعاً عن الجرى معها أو التعلق بأذيالها...، فالحدث أيّاً كان هو في معرض النظم القرآني معجزة قاهرة تعنو لها الوجوه، وتخضع أمام جلالها الرقاب...

مضافاً إلى هذين العنصرين وهو أهمّها في القِصَص القرآنية ليس هو ولا هما في القصص غير القرآنية: أن القرآن الكريم يلفت في قصَصِه إلى شخصيات الأشخاص التي هي اللبّ وهو مظهر الكمال أو الإنحطاط الإنسانى لا إلى الأشخاص... الّتي هي القشور لا يعبأ بها، خلافاً لما عليه الرجاليون الذين يلفتون أنظارهم إلى الأشخاص والأزمان والأماكن والمواليد والآبآء والأُمّهات... وما إليها لا إلى شخصياتهم التي تدور عليها إنسانية الإنسان، وان القِصَص القرآنية بالعناصر الثلاثة وخاصّة الأخير وهو أهمّها تمتاز على سائر القصص غير القرآنية...

وقد صارت القِصَص القرآنية بالامور الثلاثة وخاصّة الاخير منها جزءً من الرسالة الاسلامية التي حملها القرآن الكريم، ويحمل هذا الجزء عبْ الجانب التربوي عن طريق التنبيه والانذار، والوعد والوعيد والعبرة والعظة، ولهذا كانت القصص محكومة بالإطار العام للدعوة الاسلامية ملتزمة الاصول التي قامت عليها، وان القصص القرآنية تنقل الحوادث التاريخية بشخصياتها لا بأشخاصها، نقلاً تعجز أدوات التسجيل والمحاكاة كلها عن تحقيق بعضه بله كله، كما يحكي القرآن الكريم في قصصه مقولات المتحاورين

والمجادلين والناطقين في الحدث الذي يقصّه -يحكيها كما هي في مضمونها ومفهومها، وإن جآئت بلسان غير لسانهم، وبلغة غير لغتهم...

وذلك أن القرآن الكريم ينقل ما جرى على تلك الألسنة من توحيد أو شرك، من ايمان أو كفر، من حق أو باطل، من هدى أو ضلال، من صدق أو كذب، من تقديس أو تجديف، من شكر أو كفران، ومن تصديق أو تكذيب... وهذا ما يقتضيه الصدق الذي جآء عليه، والحق الذي نزل به: «بل جاء بالحق وصدّق المرسلين» الصافات: ٣٧)

وطبيعي ألّا يترك القرآن الكريم تلك المقولات المنحرفة الضالّة، وهذه المواقف المعوجة العليلة، دون أن يعلق عليها، وأن يكشف عن رأيه فيها، وعن موقفه منها... ولو تركها تمضي هكذا لغررت بكثير من الناس وللصق زورها وبهتانها بكثير من العقول... فكان من التدبير الحكيم، ومن التربية القويمة المكينة عرض هذا الضلال، ثم التأثيم له، والزراية عليه، والتشنيع به، حتى يقع في النفوس موقع الإزدرآء والمقت، ثم التلي والتجنب.ولقد حكت سورة «يس» مقولات أصحاب القرية المنحرفين وضلالاتهم: «قالوا ما أنتم إلّا بشر مثلنا -لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسّنكم منا عذاب أليم» ١٥-١٨) انهم كانوا يحتسبون أن البشر لايليق للرسالة من الله جل وعلا، وقد كانوا هم يتخذون الأصنام آلهة يعبدونها! ثم سفهتها وسفّه القائلين بها رماهم منها بسهام قاتلة، فلم تقم لهم بعدها قائمة، فيجرى القرآن الكريم في قصصه على هذا الاسلوب نفسه، فينقل ما ينقل على ألسنة الضالين والمنحرفين... ثم يردّ هذا الضلال، ويسفه هذا الإنحراف إما على لسان الشخصية التي تقف في الطرف الآخر المواجه للمنحرفين والضالّين: «ومالى لا أعبد الذي فطرني- إني آمنت بربكم فاسمعون» يس: ٢٢-٢٥).

وإما بأن يدخل القرآن الكريم -في الوقت المناسب- فيتولى هو الردّ، وكأنه لسان الحال وصوت الوجود يدخل في الدعوى من كل جهة، فيستولي على زمام الموقف كله... حيث يكون لهذه المفاجأة وقعها المزلزل في نفوس المعاندين المكابرين...

ومن المعلوم أن دعوات الرسل ما جآئت إلّا في أعقاب أوبئة عقلية ونفسية

واجتماعية... قد أصابت الناس في عقولهم فأظلمت، واشتملت على أنفسهم ففسدت، وسرت في مجتمعاتهم فاستوحشت... فكان على رسل الله جل وعلا أن يعملوا جاهدين على تغيير هذه الأوضاع المستقرة، وإخراج الناس من عقولهم تلك الظلمة، ومن نفوسهم الفاسدة، ومن طبائعهم المتوحشة، وإلباسهم لباس الإنسانية العاقلة الرشيدة الكريمة وإن مهمّة الرسول ـ أيّ رسول من رسل الله ـ هى التغيير الذي يكاد يكون عاملاً شاملاً لهذه المقدورات، التي استسلم لها الناس وعاشوا فيها، ولوكان من شأن الدين أن يدعو الناس إلى الاستسلام للحياة وأخذها كما هي، أو كما يجدها الناس عليها ـ لما كان للرسل مقام بين الناس ولما كانت لهم رسالة فيهم، ولا دعوة يدعونهم إليها... فان الدين في صميمه هو دعوة جادة إلى تغيير وجه الحياة، ذلك الوجه الذي يواجهه الرسل، ويجد الناس عليه.

وان هذا التغيير الذي كان يقوم له رسل الله ويدعون إليه ويقطعون حياتهم في جهاد ونضال من أجله، كثيراً ما يفوتهم إدراكه، ولايظفرون بما يريدون منه، ولكن هذا لايمنع الرسل من أدآءِ رسالتهم إلى أقوامهم، ودعوتهم إلى الله جل وعلا بكل ما استطاعوا من صبر واحتمال على هذا المكروه الذي يلقونه من أقوامهم وذلك لأمرين:

أحدهماـ لإقامة الحجة على الناس وأخذ الظالمين منهم بالعذاب الأليم: «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلاّيكون للناس على الله حجّة بعد الرسل ـ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفرلهم ولا ليهديهم طريقاً إلّا طريق جهنم خالدين فيها أبداً» النسآء: ١٦٥ـ ١٦٩).

ثانيهاـ إتاحة الفرصة لدعاة الدين ليجاهدوا هذا الجهاد العظيم في سبيل الله تعالى إتباعاً للأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فيرفع الله عزّوجلّ بذلك درجاتهم عنده: «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» آل عمران: ١٠٤).

ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أن القِصَص القرآنية وإن تكن عرضاً لأحداث

مضت إلّا أنّها لا تعرض هذه الأحداث مجرّد عرض تاريخي لإفادة العلم بها أو لإظهار أن أخبارها التي يجيئ بها منزلة من جهة عالمة بكل شيئ، محيطة بكل شيئ، وإنّما تعنى هذه القصص أوّلاً وبالذات بما في هذه الأحداث من عظات وعبر، فيها تذكرة وموعظة لمن يقف عندها ويستمع إليها، ولهذا فان الأحداث التي يقوم عليها بنآء القصّة في القرآن الكريم أحداث تتصارع فيها قوى متعادية متعاندة، يحاول كل منها أن يقضى على خصمه ليخلى له وجه الحياة.

وهذا الصراع الذي يحتدم في أحداث القصّة القرآنية إنّما يأخذ وجهاً واحداً، فهو الصراع بين الحق والباطل، بين التوحيد والشرك، بين الايمان والكفر، بين الصدق والكذب، وبين الخير والشر باعتبارهما ظاهرتين متحكمتين في الحياة وفيهما يتقلب الناس، وبهما يتعاملون، ومن هذا الصراع المحتدم بين التوحيد والشرك، والخير والشر تتمثل العبر والعظات لمن نظر بعين بصيرة وقلب سليم، وان الدين الاسلامي في نظرته للخير والشر لاينكر واقع الحياة، ولايجاوز الحدود التي تجرى عليها سننها، فهو يعترف بما فيها من خير وشر، من كمال وانحطاط، ومن سعادة وشقآء... كما يعترف بأن الانسان في معرض الخير والشر، والهدى والضلال... وأن في كيانه من القوى العاقلة ما يفرق به بينهما ويميز به الخبيث من الطيب...

قال الله تعالى: «وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم» آل عمران: ١٥٤).

وقال: «ليميز الله الخبيث من الطيب» الأنفال: ٣٧).

وقال: «قل لايستوى الخبيث والطيّب» المآئدة: ١٠٠).

وفي مشاهد الصراع التى تعرضها القِصَص القرآنية تبدو الحياة كلّها بخيرها وشرّها، بكمالها وانحطاطها، وعزّتها وهوانها، ويتمثل فيها الناس جميعاً بأبرارهم وفجّارهم، بأخيارهم وأشرارهم، وبسعدائهم وأشقيآءهم...، على اختلاف إختياراتهم، وما اشربوا في قلوبهم وأفكارهم من نزعات وأهواء... وان الخير في نظر الاسلام حق، والشرّ

باطل، لأن الخير يقوم على دعائم من الحق ويستند على أُسس وطيدة منه، وأن الشر ينبت من حبات الباطل ويغتذي مما تمصّه من زور وبهتان وفساد...، ولهذا فان العاقبة دائماً للخير والحق، وأن الخزي والخسران للشر والباطل: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» الأنبيآء: ١٨) و«قل جآء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» الاسراء: ٨١).

وقد كان في أدوار النبوّات والرسالات السماوية كلها أنصار للحق، فيسعون لاعلآء كلمة الله جل وعلا وإبطال كلمة الكفر، ويحمون الأنبياء ويدافعون عن المرسلين ويذبّون عنهم، ويبذلون لذلك دماء هم وأموالهم...

قال الله تعالى: «إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ـ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحبّ الصابرين وما كان قولهم إلّا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» آل عمران: ٢١ و ١٤٥ ـ ١٤٧).

وقال: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون ـ فستذكرون ما أقول لكم وافوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» غافر: ٢٨ ـ ٤٥).

ومن أنصار الحق والذابّ عنه هو حبيب النجار الرجل الصالح الحرّ الرشيد إذ آمن بدعوة الرسل الذين جاؤا إلى أصحاب القرية يدعونهم إلى الله جل وعلا وينهونهم عن الشرك والطغيان فكذّبوهم وردّوهم، فوقف هذا الرجل الصالح الرشيد يدعو قومه يهتف أن أجيبوا داعي الله تعالى.

وقد حكت سورة «يس» قصته في سبع عشر آية: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون ـ إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذا هم خامدون» يس: ١٣ـ ٢٩).

﴿مدنية أنطاكية كبيرة وإرسال الرسل الثلاثة إليها﴾

قال الله تعالى: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون» يس:١٣).

هذه القرية من قرى الروم هي مدينة أنطاكية كبيرة عاصمة دولة السلوقيين اليونانيين في بلاد الشام، وقدبُنيت هذه القرية ثلاثمأة قبل الميلاد، نسبت إلى آنتيوخوس من خلفآء اسكندر، ويكون هنالك قبر حبيب النجار اليوم يزوره المسلمون وكان هذا القبر في ظهور الإسلام. وقيل: نسبت القرية إلى أهل انطبيس وهو إسم الّذي بناها ثم غُيّرَ لما عُرِّب، وكان بها فرعون يقال له: أنطيخس بن أنطيخس يعبد الأصنام وقيل: يقال له: إبطيحس بن إبطيحس.

كان أهلها يعبدون الأصنام ويسعون في الأرض فساداً فأرسل الله جل وعلا إليهم رسلاً ثلاثة وهم صادق وصدوق وشلوم (سلوم خ) وهو الثالث. وقيل: هم شمعون ويوحنا وبولس (بولص خ) وهو الثالث: «إذ أرسلنا إليهم اثنين» رسولين من رسلنا فكذّبوا الرسولين، فضربوهما وسجنوهما فقوّينا هما وشددنا ظهورهما برسول ثالث. وقيل: اثنين هما توماس وبطرس. وقيل: هما سمعان ويحيى. وقيل: الثالث هو بطرس إسمه بالرومية، واسمه بالعربية سمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفاء وقدوردت في المقام روايات وكلمات مختلفة نشير إلى نبذة منها لأنا على جناح الاختصار:

في تفسير القمي: قال أبو حمزة الثمالي سئلت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام من قوله تعالى: «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذجآءها المرسلون» وما بعده فقال:

بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكية، فجاءاهم بمالا يعرفون (يعرفونه خ) فغلظوا عليهما، فأخذوهما وحبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثالث، فدخل المدينة، فقال: أرشدونى إلى باب الملك؟ قال: فلمّا وقف على الباب قال: أنا رجل كنت أتعبّد في فلاة من الأرض، وقد أحببت أن أعبد إله الملك، فأبلغوا كلامه الملك (للملك خ) فقال: ادخلوه إلى بيت الآلهة، فأدخلوه فمكث سنة مع صاحبيه، فقال لهما بهذا ينقل قوم من دين إلى دين بالحرف (بالخرق خ) أفلا رفقتما؟

ثم قال لهما: ألا تقرّان (لا تقرّان خ) (تقرّان خ) بمعرفتي؟ ثم ادخل على الملك، فقال له الملك: بلغني انك كنت تعبد إلهى ولم أزل (فلم أزل خ) وأنت أخي فسئلني حاجتك؟ قال (فقال خ): مالي حاجة (من حاجة خ) أيّها الملك، ولكن (ولكنّى خ) رأيت رجلين في بيت الآلهة فما حالهما؟ قال الملك هذان رجلان أتيا (اتياني خ) يضلاّن عن ديني (ببطلان ديني خ) ويدعواني إلى إله سماويّ (السموات خ) فقال: أيّها الملك مناظرة جميلة، فان يكن الحق لهما اتبعنا (تبعنا خ) هما وإن يكن الحق لنا دخلا معنا في ديننا، فكان لهما مالنا، وعليهما ما علينا، قال: فبعث الملك إليهما فلمّا دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الذي جئتماني (جئتما خ) به؟ قالا: جئنا ندعوه إلى عبادة الله الذي خلق السموات والأرض، ويخلق في الأرحام ما يشآء، ويصوّر كيف يشآء وأنبت الأشجار والثمار وأنزل القطر من السمآء قال:

فقال لهما: إلهكما هذا الذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئنا كما بأعمى أتقدر (أيقدر خ) أن يردّه صحيحاً؟ قالا: إن سئلناه أن يفعل فعل إن شآء، قال: أيّها الملك عليّ بأعمى لم يبصر شيئاً قطّ قال: فأتي (فأوتِيَ خ) به فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يردّ بصر هذا فقا ماوصلّيا ركعتين، فاذاً عيناه مفتوحتان وهو يبصر (ينطرخ) إلى السمآء فقال: أيها الملك عليّ بأعمى آخر فاتى به قال: فسجد سجدة ثم رفع رأسه (رأسيه خ) فاذاً الأعمى الآخر يبصر، فقال: أيها الملك حجّة بحجّة عليّ بمقعد، فاتى به فقال لهما مثل ذلك، فصلّيا ودعوا الله فاذا المقعد قد اطلقت رجلاه (رجلاً خ) وقام يمشي فقال:

أيها الملك عليّ بمقعد آخر، فأتى به فصنع به كما صنع أوّل مرّة، فانطلق المقعد فقال: أيها الملك قد اتيا بحجتين واتينا بمثله (بمثلها خ) ولكن بقي واحدة (بقي شئ واحد خ) فان هما (فان كان هما خ) فعلاه دخلتُ معهما في دينهما.

ثم قال: أيها الملك بلغني أنه كان للملك ابن واحد، ومات فان أحياه إلٰههما دخلت معهما في دينهما؟ فقال له الملك: وأنا أيضاً معك، ثم قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة: قد مات إبن الملك فادعوا إلٰهكما يحييه (ليحييه خ) (أن يحييه خ)؟ قال: فوقعا إلى الأرض (فخرّاخ) ساجدين لله عزّوجلّ وأطالا السجود، ثم رفعا رأسيهما (رأسهما خ) (رؤسهما خ) وقالا للملك: ابعث إلى قبر إبنك تجده قدقام من قبره إن شآء الله قال: فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب قال: فأتى به الملك (إلى الملك خ) فعرف أنه إبنه فقال له:

ما حالك يا بني؟ قال: كنت ميّتاً فرأيت رجلين بين يدي ربّي الساعة ساجدين يسئلانه أن يحيني فأحياني قال: يا بنيّ تعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم قال: فأخرج الناس جملة إلى الصحرآء فكان يمرّ عليه رجل رجل، فيقول له أبوه: انظر؟ فيقول: لالاثم مرّوا (مرّخ) عليه بأحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما وأشار (فأشارخ) بيده إليه، ثم مرّوا (مرّخ) أيضاً بقوم كثيرين (كثيرخ) حتى رآى صاحبه الآخر، فقال: وهذا الآخر قال: فقال النبي صاحب الرجلين: أما أنا فقد آمنت بالٰهكما وعلمتُ أنّ ما جئتما به هوالحق، قال: فقال الملك: وأنا أيضاً آمنت بالٰهكما وآمن أهل مملكته كلهم»

قوله عليه السلام: «يسئلانه أن يحيني فأحياني» دليل قاطع على الرجعة.

وفي الدرالمنثور: عن ابن عباس قال: كان موسى بن عمران عليه السلام بينه وبين عيسى عليه السلام ألف سنة وتسعمأة سنة ولم يكن بينهما وانه ارسل بينهما ألف نبيّ من بني إسرائيل ثم من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلّم خمسمأة سنة وتسع وستون سنة بعث في أوّلها ثلاثة أنبيآء وهو قوله: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث» والذي عزّز به شمعون وكان من الحواريين،

وكانت الفترة التي ليس فيها رسول أربعمأة سنة وأربعة وثلاثين سنة.

وفي تفسير المراغي: ويروي ابن عباس واختاره كثير من أجلّة العلمآء ان الرسل هم رسل الله أرسلهم ردءاً لعيسى عليه السلام مقرّرين لشريعته كهارون لموسى عليه السلام ويؤيّد ذلك:

١ـ قولهم: «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلّا البلاغ المبين».

٢ـ إنهم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: «إن أنتم إلّا بشر مثلنا».

٣ـ إن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، فقد كانوا أوّل أهل مدينة آمنت بالمسيح ومن ثمّ كانت إحدى المدن الأربع اللاتي فيهنّ بطارقة وهنّ: القدس وأنطاكية والإسكندرية ورومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم ووطده ولما ابتني القسطنطينية نقلوا البطريق من رومية إليها.

﴿لقآء الرسولين مع حبيب النّجار وايمانه بهما﴾

قال الله تعالى: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون»يس: ١٤).

وقد حكت قصّة لقآء الرسولين من الرسل الثلاثة مع حبيب النجار وايمانه بهم تفصيلاً في المطوّلات، ونحن نذكرها ههنا على طريق التلخيص والإجمال لأنّا على جناح الاختصار: وقد اتفق المحققون من المفسّرين والمؤرخين ـ وهو المؤيد بسياق القصّة القرآنية هذه وبالروايات الواردة ـ على أن الله جل وعلا أرسل أوّلاً رسولين من رسله إلى مدينة أنطاكية كبيرة، فلّما قرّبا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهوحبيب النجار صاحب «يس» فسلّما عليه فسئلهما عن حالهما، وقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: نحن رسولان من رسل الله عزوجل ندعوكم من الشرك إلى التوحيد، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية لرسالتكما من الله تعالى؟ قالا: نعم نحن نشفي المرضى، ونبرئ الأكمه والأبرص باذن الله جل وعلا، فقال حبيب: إن لي إبناً مريضاً صاحب فراش منذسنين، قالا:

فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله، فأتى بهما منزله، فمسحا إبنه، فقام في الوقت باذن الله عزّوجل صحيحاً، فآمن بهما حبيب النجار، ففشا الخبر في المدينة بأن الأبرص والأكمه يشفيان على أيديهما، وشفى الله تعالى على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان بالمدينة التي هو بها مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له: انطيخس بن انطيخس بن انطيخس يعبد الأصنام صاحب شرك، فبلغ إليه خبرالرسولين، فدعاهما فقال لهما:

مَن أنتما؟ قالا: نحن رسولان من رسل الله تعالى إليكم جئنا ندعوكم إلى الله عزّوجل، ونهاك عن الشرك وندعوك من عبادة مالا يسمع ولايبصر إلى عبادة من يسمع و يبصر.

فقال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم مَن أوجدك وآلهتك، قال: فما آيتكما؟ قالا: نبرئ الأكمه والأبرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى، فقال: قُوما حتى ننظر في أمركما، فقاما، وطالت مدّة مقامهما في المدينة، فخرج الملك ذات يوم، فلمّا رأياه كبّرا وذكرا الله تعالى، فأخذهما الناس في السوق، وضربوهما، وغضب الملك وأمر بحبسهما وجلّد كل واحد منهما مأة جلدة، فلمّا كُذّب الرسولان وضُربا وحُبسا وجُلّدا، بعث الله تعالى رسولاً ثالثاً لينصرهما، فدخل المدينة متنكّراً، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فأحضره ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، فصار من أصحابه، واحتال في ذكر قصّة الرسولين أمام الملك فقال له يوماً:

بلغني أنك حبستَ رجلين في السجن وضربتهما وجلّدتهما كل واحد منهما مأة جلدة حين دعواك إلى دينهما؟ فهل كلّمتَهما وسمعتَ قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإنْ رأى الملك أن يحضرهما حتّى نتطلع ما عندهما ونسمع كلامهما؟ فدعاهما الملك، فقال لهما رسول ثالث: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيْ لاشريك له، قال: فصِفاه وأوجزا؟ قالا: إن يفعل ما يشآء ويحكم ما يريد. قال لهما رسول ثالث: وما آيتكما على ذلك؟ قالا: ما تتمنّاه فأمر الملك حتّى جاؤا بغلام مطموس العينين موضعهما كاللحمة (كالجبهة خ) فمازالا يدعوان الله تعالى حتى انشقّ موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين، فوضعاهما في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصربهما، فتعجّب الملك لذلك، فقال رسول ثالث للملك:

أرأيتَ لوسئلتَ إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفاً؟ فقال الملك: ليس لى عنك سرّ، إن إلهنا الذي نعبده لايضرّ ولاينفع، ثم قال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذي تعبدانه وحده على إحيآء ميّت آمنّا به وبكما قالا: إن إلهنا قادر على كل شيْ، فقال الملك: إن ههنا ميّتاً منذ سبعة أيام فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو

غائب، فأحضر الميّت، وقد تغيّرت ريحه، فجعلا يدعوان ربهما علانية، وجعل رسول ثالث يدعوا ربه سرّاً، فقام الميّت، فقال لقومه:

إنّي مُتُّ مشركاً منذ سبعة أيام، وأُدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا احذّركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله تعالى، ثم قال: فُتِحَتْ أبواب السمآء فنظرت فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلآء الثلاثة، فقال الملك: ومن هم؟ فقال: هذا -وأومأ إلى رسول ثالث- وهذان -وقد أشار إلى الرسولين- فتعجّب الملك، فلّما علم رسول ثالث أنّ قوله أثّر في الملك دعاه إلى الله عزّوجل، فآمن وآمن من أهل مملكته قوم، وكفرآخرون.

وقال ابن إسحق: بل كفر الملك وأجمع هووقومه على قتل هؤلآء الرسل الثلاثة، فبلغ ذلك حبيباً النجار وهوعلى باب المدينة الأقصى، فجآء يسعى إليهم ويذكّرهم ويدعوهم إلى التوحيد وطاعة الله جل وعلا وإلى طاعة المرسلين، وينهاهم عن الشرك وعبادة الأوثان وطاعة الشيطان، وعن ايذآء المرسلين وقتلهم.

فكذّبوا رسل الله تعالى، لأنهم كانوا ينكرون الرسالة من جانب الله عزّوجل للبشر مثلهم، إذ لايليق البشر بزعمهم للرسالة من الله جل وعلا، فلا يؤمنون برسالة البشر من الله تعالى، وقد كانوا يتخذون الأصنام والهيا كل المصنوعة من الحجارة، يتخذون الأوثان والصور المنحوتة من الأخشاب، ويتخذون الأجسام والهيئات المختلقة من الطحن والطين... آلهة لهم يعبدونها عبدالذليل... وينسبون إلى الرسل الكذب فيما يدعوهم إليه: «قالوا ما أنتم إلاّ بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيئ إنّ أنتم إلاّ تكذبون» يس: ١٥).

فلم تنصرف الرسل عن تبليغ رسالتهم بسبب تكذيب القوم وإعراضهم عن الحق والهدى، وإصرارهم على الباطل والضلال، فان وظيفة الرسول ومسئوليته هي إبلاغ الرسالة مرة بعد اخرى مستمرّة سوآء آمن القوم أم لم يؤمنوا، فان الرسول مسئول عن الهدى وليس بمسئول عن إلاهتدآء: «قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلاّ البلاغ المبين» يس: ١٦-١٧) ما دُمنا أحيآء سواء أتومنون بنا أم لم تؤمنوا.

فلمّا دعتهم الرسل ونادوهم بأمر الله تعالى وصدعوا بالذي امروا به، وعابوا دينهم وماهم عليه من الشرك والطغيان، والبغي والعصيان، فكذّبوهم ولم يؤمنوا بهم حبس الله تعالى عنهم المطر، فقالوا للرسل ـ متهمين بالشوم، ومهدّدين بوعيدات عديدة ـ: «قالوا إنا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسّنّكم منّا عذاب أليم» يس: ١٨).

فلم تعبأ الرسل بما نسبوه إليهم، ولم يخافوا من تهديداتهم، بل رموهم بما كانوا يرمونهم به، بل مضافاً على ذلك جعلوهم قوماً مسرفين في جهالتهم وغفلتهم، وفي سفاهتهم وضلالتهم... «قالوا طائرِكم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم مسرفون» يس: ١٩).

فعندئذٍ همّوا بقتل الرسل... وانتهى موقف الرسل مع أصحاب القرية إلى هذا الطريق المسدود، ثم لايلبث أن يجيئ صوت العقل من واحد من أهل القرية، فيكسير هذا الحائط ويدخل على القوم منه، ويأخذ موقفه مع الرسل، داعياً إلى الله تعالى، حامياً لرسله، ذاباً عن دينه، متصلّباً فيه من دون خوف من غوغاء القوم وتهديداتهم...

﴿حبيب النّجار وحماية المرسلين﴾

قال الله تعالى: «وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين» يس: ٢٠). إن الله عزّوجل لم يذكر إسم الرجل، وما أشار إلى شغله وحرفته، ولا إلى لونه وطول قامته... لأن الله جل وعلا يلفت الأنظار إلى شخصيات عباده ويدعوهم إليها، وهى التي تكون اسوة حسنة لمن يعتبر ويتعظ ويطلبها، وهي مدار إنسانية الانسان وكماله... ولا يلفتها إلى الأشخاص من أسمائهم وآبائهم وامهاتهم وأخواتهم وأعمامهم وخالاتهم، من حرفهم وأشغالهم، من مواليدهم وموطنهم، وأزمانهم وأماكنهم، من أشكالهم وألوانهم، وجثامة أبدانهم وطول قاماتهم، ومن أقوامهم وعشآئرهم... كما عليها الرجاليون... فلم يكشف القرآن الكريم عن إسم هذا الرجل الأمين، الصالح الرشيد، إذ ما جدوى الإسم، في مقام الوزن للقيم الإنسانية في الناس؟ إن المعتبر هنا هوالصفة لاالموصوف، وذات المسمّى لاالإسم... هذا هو المثل، وتلك هي مواقف الشخصيات والأحداث فيه... وإن الصورة الّتي يصوّرها المثل واضحة مشرقة لا ينقصها أن يفتقد إسم القرية فيها، ولا أن تغيب أسمآء الرسل ومشخصاتهم... إنّها مستغنية عن كلّ هذا...

ولما ذكرناه لفت النظر إلى شخصيّة الرجل دون شخصه: «وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى» وقد ورد: أن هذا الرجل كان من أهل أنطاكية، وكان منزله عند باب من أقصى أبواب المدينة وكان إسم هذا الرجل الكامل الرشيد، هذا الرجل الناصح الأمين، وهذا الرجل الحرّ المتصلّب في الدين، حبيب بن مرى المعروف بحبيب النجار،

وقد آمن هو بهؤلآء الرسل عند ورودهم القرية، وكان مؤمناً يكتم ايمانه، ويعبد الله جل وعلا في غار، وهو رجل سقيم يعمل الحرير، وقيل: كان نجاراً.وقيل: كان حرّاثاً، وقيل: كان قصّاراً قد أسرع فيه الجذام، وكان مؤمناً مخلصاً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى، فيقسمه نصفين فيطعم نصفاً عياله، ويتصدّق بنصف، فلم يهمّه سقمه ولا عمله ولاضعفه عن عمل ربه إذ طهر قلبه وسلم عقله، وزكت نفسه، واستقامت فطرته.

فلمّا بلغه أن الملك وأهل المدينة هذه قدعزموا وأجمعت آرآؤهم على قتل هؤلآء الرسل وهو على أقصى باب من أبواب المدينة جاء يسعى ويشتدّ ويعدو إليهم، فلمّا انتهى حبيب إلى الرسل وحضر قومه، وعلم بما أجمعوا عليه، خاطب الرسل أوّلاً إتماماً للحجّة على قومه، فقال للرسل: فهل تسئلون هؤلاء القوم على رسالتكم هذه أجراً؟ قالوا: لا، وما أجرنا إلّا على ربّ العالمين، فاذاً خاطب قومه ثانياً يذكّرهم بالله جل وعلا ويدعوهم إلى اتباع المرسلين فقال لهم: «يا قوم اتبعوا المرسلين» يس: ٢٠) الذين أرسلهم الله عزّوجل إليكم لخيركم وصلاحكم، لنجاتكم وفلاحكم، ولسعادتكم وكمالكم... واقبلوا منهم ما أتوكم به «اتبعوا من لايسئلكم أجراً وهم مهتدون» يس: ٢١) لايسئلونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى والرشاد وهم لكم ناصحون، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم.

فاذاً قال قومه له: وأنت يا حبيب مخالف لربنا هذا ـ الملك ـ ولآلهتنا، ومؤمن باله هؤلآء؟ فلمّا رأى حبيب قومه مصرّين على ما أجمعوا عليه من قتل الرسل، ويهدّدونه على حمايته عن المرسلين وايمانه بهم، أعلن ايمانه، فناداهم بخلاف ماهم عليه من الشرك وعبادة الأصنام، وأظهرلهم دينه وعبادة ربه من غير خوف ولا اضطراب: «ومن يعمل من الصالحات وهومؤمن فلا يخاف ظلماً ولاهضماً» طه: ١١٢) وأخبرهم أنه لايملك نفعه ولاضرّه غير الله جل وعلا فقال: «ومالي لااعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ـ إني آمنت بربكم فاسمعون» يس: ٢٢ ـ ٢٥).

هذا هو الايمان الكامل الذي لاريب فيه، يُفدى صاحبه نفسه وأمواله في سبيله لأنه

آمن بالله جل وعلا بما أنّه خالقه وإلهه وربّه: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون» الحجرات: ١٥).

«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» آل عمران: ١٧٣).

«يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لآئم» المائدة: ٥٤).

وقد كان حبيب النجار يعبد الله جل وعلا وحده لأنه تعالى وحده يليق للعبادة فلا يعبده طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف: ١١٠).

وقد قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «إلهي ! ما عبدتُك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً (قابلاخ) للعبادة فعبدتك».

هذا هو حبيب النجار أحد الصدّيقين الثلاثة والإمام علي عليه السلام أفضلهم، يدعوا قومه إلى التوحيد والعبادة لله تعالى وحده وإلى اتباع المرسلين الذين لايسئلون أجراً في رسالتهم، فأيّ دعوة أولى من هذه الدعوة بالقبول لها والإحتفآء بأهلها؟ إنها دعوة من أهل الهدى، الذين لايسئلون أجراً على هذا الهدى الذي يقدمونه ويدعون الناس إليه... فِلَمَ التمّنع والإعراض عن خير يبذل بلا ثمن؟ ذلك لايكون إلّا عن جهل وغفلة وسفه معاً...

نعم: وقد عرض هذا الوافد الجديد نفسه عليه في الزيّ الجديد الذي تزيّا والخير الموفور الذي بين يديه من تلك الدعوة: «ومالي لاأعبد الذي فطرني ـ أأتخذ من دونه آلهة ـ إني إذاً لفي ضلال مبين» أسئلة إنكارية، ينكر بها الرجل على نفسه ألايكون من الموحدين وفي العابدين لله الذي فطره، والذي إليه موعده ولقاؤه مع الناس، يوم الحشر، إنّه لابدّ أن يكون له إله يعبده، أفيترك عبادة خالقه وربه ومنعمه والذي يميته ثم يحييه... ويعبد آلهة من دون الله، إن يرده الله بضرّ لا تغني عنه تلك الآلهة المصنوعة شيئاً، ولا تمدّيدها

لانقاذه مما يريده الله تعالى به من ضرّ؟ «إنى إذاً لفي ضلال مبين» وأىّ ضلال بعد هذا الضلال، الذي يدع فيه الانسان حبل النجاة الممدود إليه، ثم يتعلّق بأمواج البحر الصاخبة، وتياراته المتدافعة؟

«إني آمنت بربكم فاسمعون» وهكذا يقولها حبيب النجار صريحة مدويّة في وجه القوم، إنها هي كلمة النجاة، وحسبه أن يمسك بها، وليكن ما يكون...! وألا فليسمعوها عالية مدوية متحدّية، إنها كلمة الحق التي يجب أن ترفع فوق كل كلمة، وتعلوا على كل ندآءٍ.

فلمّا أعلن حبيب النجار ايمانه بالله جل وعلا وعبادته لله وحده ودعا قومه إلى التوحيد والإخلاص، ونهاهم عن الشرك والطغيان، وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يدفع عنه أحد. قيل: ألقوه بعد قتله في بئر وهي الرّسّ وهم أصحاب الرّسّ.

﴿لنا في حبيب النّجار أُسوة حسنة﴾

وشهادته في طريق السعادة

قال الله عزّوجل: «قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين» يس: ٢٦-٢٧).

قد آمن حبيب النجار برسل الله جل وعلا قبل ورودهم إلى مدينة أنطاكية ايماناً صادقاً، وكان يكتم ايمانه إلى حين، فلّما بلغه أنّ ملك الروم الطاغي المستكبر، وقومه الباغين المجرمين قد كذّبوا المرسلين، وضربوهم وحبسوهم ورجموهم، وهمّوا بقتلهم، جآء يعدو ويشتدّ إليهم فاذاً انكسر باب الكتمان، فأظهر ايمانه بهم ويحميهم ويذبّ عنهم، ينصح قومه نصح الأمين فجاهد في سبيل الله جل وعلا لنصرة الحق وإعلآء كلمته، فوقف يدعوا قومه إلى التوحيد والهدى، إلى الحق والرشاد، إلى الخير والصلاح، إلى الكمال والفلاح وإلى عبادة الله تعالى وحده واتباع المرسلين، وينهاهم عن الشرك والضلال، عن الباطل والإنحراف، عن الشرّ والفساد، عن الإنحطاط والخسران، وعن اتباع الهوآء وطاعة الشيطان، من غير خوف وإضطراب، ويجادلهم بالتي هي أحسن وهتف:

«ومالي لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون -إني آمنت بربكم فاسمعون» يس: ٢٢-٢٥) فان حبيب النجار يرى حياته الأبدية الاخروية في تفدية حياته الفانية الدنيوية، ويرى سعادته ونجاته في شهادته وبذل دمه، ولكنّ الملك الفاجر، والقوم الكافرين لم يهتدوا بهداه ولم يقبلوا نصآئحه، ولم يتعظوا بمواعظه... فاصرّوا على كفرهم وطغيانهم حتى رجموه بالحجارة وهو ثابت على ايمانه، ويقول- حين كانوا يرجمونه-: اللهم اهد قومي، أللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون، لايعلمون أنهم لايعلمون، لايعلمون

أنهم غافلون، لايعلمون أنهم مسرفون... فرجموه حتى أقعصوه وهو كذلك فوطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبر فقتلوه، فاذاً صار يليقاً أن يخاطبه الله جل وعلا وهتف: ياحبيب: «ادخل الجنّة» فأوجب الله تعالى له الجنة وأدخلها حياً يرزق فيها، قد أذهب عزوجل عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها.

قال الله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ـفاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هوالفوز العظيم» االتوبة: ١١١).

وقال: «ولا تحسبن الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحيآء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجرالمؤمنين» آل عمران: ١٦٩-١٧١).

ولمّا عاين حبيب النجار ما أكرمه الله تعالى به، وأفضى إلى رحمته وجنته... بايمانه وصبره وإستقامته وتصلّبه في دينه قال: «ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين» وقد تمنّى حبيب النجار لقومه أن ينالوا هذا الخير الذي ناله هوبايمانه بربّه، وأن يعلموا ما أعدّ الله عزّوجل للمؤمنين من مغفرة وكرامة لديه، وأنّىٰ لهم أن يعلموا هذا الغيب؟ وأنّىٰ لهم أن يؤمنوا به وقد أنكروا ما لمسوه بحواسهم وكذبوا ما رأوه بأعينهم؟ لم يصف الله عزّوجل في كلامه بهذا الوصف إلّا ملائكته المقرّبين وعباده المخلصين.

قال في وصف الملائكة: «ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون ـبل عباد مكرمون» الأنبياء: ١٩- ٢٦).

وفي وصف المخلصين: «إلّا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون» الصافات: ٤٠- ٤٢).

ولدعاة الدين وحماة القران الكريم اسوة حسنة في حبيب النّجار الذي صار حبيباً إذ أفدى نفسه وبذل دمه، وترك أهله وأمواله في حبّه بدينه، وما أفدى دينه لحب نفسه وأهله ودنياه.

«التشابه بين أهل مدينة أنطاكية»
وبين أهل ام القرى مكّة المكرّمة

وقد جائت قصّة أصحاب القرية والمرسلين وحبيب النجار تمثيلاً وتذكيراً وعبرة لمشركي مكّة والكفّار العرب خاصّة، ولسامعي القرآن الكريم في كل ظرف من الظروف عامة، وهذا هوالهدف العام لكل القصص القرآنية الذى يكون محكماً مؤثراً لو يعرفونها على وجه الصحيح من نفس الوحي السماوى أو من طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، ونحن نستطيع أن نستفيد من الطريقين: الوحى وأهل بيته أنّ في حكاية الحوار بين المرسلين وأصحاب القرية المشركين المستكبرين، ثم بين أصحاب القرية وحبيب النجار المؤمن الرشيد الحر الأمين الصالح وهوأوّل مَن آمن برسل الله تعالى وأفدى نفسه وبذل دمه في دينه، وكان يحمى المرسلين ويذبّ عنهم تشابهاً مع حالة مشركي مكة المكرمة والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ثم بين الكفار العرب وعلى بن أبيطالب عليه السلام وهوأوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، وقد كان يحميه صلى الله عليه وآله وسلّم وينصره ويذبّ عنه ويفدى نفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ـليلة المبيت وغيرهاـ وهو عليه السلام أفضل من حبيب النجار على ما ورد صحيحاً، وقد سبق آنفاً.

فالقصّة تقرع أسماع المشركين الضالّين، والمستكبرين الباغين ومن ينسلك مسالكهم في ظلمات الشرك والجهالة، والبغي والغفلة، والإنحطاط والهلاكة لايهتدون سبيلاً ولا يجدون دليلاً، فهي التي تنير لهم السبل، لو استناروا، وتهديهم إلى سوآء الصراط لو اهتدوا ولذلك أقسم جل وعلا بالقرآن الحكيم على أن محمّداً صلى الله عليه وآله

وسلّم من المرسلين على صراط مستقيم.

تشابه فيما كان من سخفهم وضلالهم في اتخاذهم آلهة غيرالله، وتشابه في موقفهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأقوالهم له في معرض التكذيب والجحود، وفي تهديدهم لرسلهم بالعذاب والأذى اذا لم يكفّوا عن دعوتهم بحيث تبدو في هذه الملحوظات حكمة المثل وهدفه وهو تذكير الكفار العرب بأنهم ليسوا متفردين في مواقفهم وأقوالهم وباطل عقائدهم، وتبكيتهم على ما هم فيه من سخف وضلال وعناد ولجاج وجهل وغفلة وسفه، وإنذارهم بعذاب الله الّذي وقع على أمثالهم، فجعلهم خامدين دون ما حاجة إلى جنود تنزل، ولاحرب تنشب، وتطمين النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بأنه ليس متفرداً فيما لقى من كفار قومه، وأن له اسوة حسنة فيمن تقدمه من الرسل في الأزمنة القديمة أو الحديثة بالنسبة لزمنه فلا يحزن ولايغتم، وأنه ليس عليه إلّا التبليغ والتذكير مثلهم.

وعلى ضوء هذا المثل ليرى المشركون الضالون والمستكبرون الباغون، والمجرمون الطاغون... إلى أين يسير بهم شركهم وضلالهم،وبغيهم واستكبارهم وجرمهم وطغيانهم... وإلى أين ينتهي الايمان والاخلاص والطاعة لله وحده وحماية الدين ونصرة الحق... بالمؤمنين الذين استجابوا لله جل وعلا ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم واستقاموا على الطريق الذي يدعوهم إليه!

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أن اسلوب حكاية موقف المؤمن الرشيد حبيب النجار وأقواله لقومه قويّ أخّاذ جداً سوآء أفي تبكيته وتسفيهه للمعاندين أم في إغرآئه وتشويقه على الايمان بالله جل وعلا وتصديق رسله والذّبّ عنهم، وتفدية نفسه وبذل دمه في سبيل الله عزوجلّ وتصلّبه في دينه... ومن شأن ذلك أن يحدث أثراً نافذاً في السامعين، وهذا هو ما استهدفته القصص القرآنية، ومن غير مرآء أن من حكمة ايراد حكاية المؤمن الرشيد المجاهد في الله جل وعلا حق جهاده هو التنويه بموقف مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام وهو أوّل مَن آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم المماثل لموقف المؤمن حبيب النجار، حيث كان يسارع إلى

تصديق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ويدعو إلى تصديقه ويذبّ عنه وينصره بكل وسيلة وظرف، ولذلك ورد صحيحاً: «سُبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبيطالب وهو أفضلهم، ومؤمن آل فرعون، وصاحب يس فهم الصدّيقون».

فان الله عزوجل لم يقصّ علينا قصّة أصحاب القرية والمرسلين وحبيب النجار لنقتصر عليهم، لأنه تعالى قال: «واضرب لهم مثلاً...» والمثل يكون به الذكرى، وان الذكرى تنفع المؤمنين وان المثل يدرسنا تاريخ الامم السابقة لنقوم من نومتنا ونستيقظ من رقدتنا ونخرج من كهفنا، ونعمل بما جآء في القرآن الحكيم وبما ورد عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ونجعلهم أئمة يهدوننا إلى الله جل وعلا إلى الحق والهدى، إلى الخير والصلاح، وإلى السعادة والفلاح من غير خطأ ولازلل.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كَذِباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهدى ويُستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاه من غيرهم»

وفيه: قال الإمام علي عليه السلام: «هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لايخالفون الدين، ولايختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق».

﴿طغيان أصحاب القرية وعذاب أهلها﴾

قال الله تعالى: «وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السمآء وما كنّا منزلين إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم خامدون» يس: ٢٨- ٢٩).

إن الله عزّوجل أمر رسوله الخاتم محمداً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم بانذار مشركي مكة وكل من ينسلك مسلكهم إلى يوم القيامة أن يحلّ بهم ما حلّ بمشركي أهل مدينة أنطاكية كبيرة لشركهم وطغيانهم، لكفرهم وعصيانهم، لعنادهم ولجاجهم، ولبغيهم وفسادهم، فأرسل إليهم رسله الثلاثة... فكذبوا المرسلين، وقتلوا ناصرهم المؤمن الصالح حبيب النجار لحمايته عنهم، فما نُوظِروا بعد قتلهم إياه حتّى أخذتهم صيحة واحدة.

وذلك أن الله جل وعلا غضب لحبيب النجار لاستضعاف قومه إيّاه غضبة لم يبق من القوم شيئاً، فعجّل لهم النقمة بما استحلّوا منه وقال: «وما أنزلنا على قومه...» ما كابدنا هم بالجموع لأن الأمر أيسر علينا من ذلك، ما كانت عقوبتهم إلّا صيحة واحدة «فاذاهم خامدون» فأهلك الله تعالى ذلك الملك الطاغي وأهل أنطاكية الباغين، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية.

قال الله تعالى: «فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» الروم: ٤٧)

وقال: «فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين» الزخرف: ٢٥).

فعلى المسلمين عامة الاستيقاظ بدراسة الآثار البآئدة والامم الخامدة والأيّام الخالية، والبحث عن أفكارهم وعقائدهم، عن آثارهم وأحجارهم، عن أعمالهم وأقوالهم، وعن

كتاباتهم في قبورهم وأخبارهم في تواريخهم وعن أخلاقهم وشخصياتهم... حتى يسمعوا: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزئون» يس: ٣٠) فلمّا سمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فاذاهم خامدون، كانوا يعلمون أن خمود الأمم تعقبها الحسرة، فلابد لهم من الإعتبار بحوادثها والإهتداء بهدى الله جل وعلا فانظروا أيها المسلمون وتفكّروا واعتبروا؟؟؟!!!

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم — غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
وأنزلوا بعد عزّ من مراتبهم — وأودعوا حفراً يا بئسما نزلوا
أين الوجوه التي كانت منعمة — من دونها تضرب الأستار والكلل
أجاب سائلهم في القبر فأنلهم — تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
فطالماً أكلوا يوماً وما شربوا — فاصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

ولعمري أنكم أيها المسلمون عامة أحق بالحسرة من هؤلاء المضروبين لكم مثلاً لأنكم اليوم أكثر أموالاً وعَدَداً وعُدداً على سائر الأديان كلها، وأنكم اليوم أكثر من ميليارد نفراً ولكنكم أذلّ وأخزى من غيرهم إذا استحمر أنفسكم، واستثمر ذخائركم، وامتصّ دمآء كم واسترق شرفكم وكرامتكم شرذمة قليلة من أهل آمريكا وهم حمر متوحشة باسم المتمدن، فاتخذتموهم آلهة تعبدونها عبيداً أذلّاء...

كل ذلك لابتعادكم عن الثقلين اللّذين أودعهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فيكم وخيانتكم بهما: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» فلماذا ضللتم ما ضللتم؟ فلماذا انحطتم ما إنحطتم؟ فلماذا فشلتم اليوم ما فشلتم؟ فلماذا خزلتم اليوم ما خزلتم؟ ولماذا ذللتم اليوم ما ذللتم؟؟؟!!! أفأنتم فقرآء؟ أفأنتم قليل العدد؟ أفأنتم ضيق المكان؟؟؟!!!.

وإنّما ذلك لترككم كتاب الله باسم الكتاب: «حسبنا كتاب الله» ولفراقكم عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بباسم السنة! ولوكنتم مؤمنين صادقين لكنتم اليوم الأعلون، ولما سلّط الله عزّوجل اليهود العنود عليكم وهو يقول: «وأطيعوا الله ورسوله

ولاتنـازعوا فتفشلـوا وتذهب ريحكم» الأنفال: ٤٦) فَـمَن تنازع في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذا أراد الوصية بـالكتابة حين احـتضاره صلى الله عليه وآلـه وسلّم بعد وفاته؟ أهذا هو طاعة الله جل وعلا وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم؟ أولم يقل عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليـه وآله وسلّم : «إن هذا الـرجل ليهجر»؟ فَمَـن هو مبدأ التـنازع بين المسلمين بعد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلّم ومنشأ فشلـهم؟ فهل يمكـن اتحاد المسلمين وعمر بن الخطاب الجسور أربابهم؟!.

ويقول تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا- ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٠٣ و ١٣٩) فهل رَدُّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلّم وإهانته والتنـازع عـنـده هوالإعتصام بحبـل الله تعالى والإتحاد؟! أأنتم أعـلـون وتعبدون آمـريـكا وأذنابه كالمشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام قبل البعثة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلّم؟

ويقول جل وعلا: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النسآء: ١٤١).
ولو كنتم مؤمنين فلماذا جعل الله عزّوجلّ للكافرين عليكم سبيلاً؟.

تمّت سورة يس والحمدلله رب العالمين
وأفضل صلوات الله وأكمل تحياته على سيدالأنبياء والمرسلين
وعلى أهل بيته المعصومين

فهرس ما جآء في تفسير سورة فاطر

يدور البحث حولها على فصلين:

الأوّل: في عناوين تفسير السّورة، وفيها ثمان عشرة بصيرة:

		رقم الصّفحة
الاولى	فضل السّورة وخواصّها ...	١٠
الثّانية	غرض السّورة وهدفها.	١٤
الثّالثة	حول النّزول ...	١٦
الرّابعة	القراءة و وجهها ...	٢١
الخامسة	الوقف والوصل و وجههما ...	٢٤
السّادسة	حول اللّغة.	٢٧
السّابعة	بحث نحوىّ.	٥٠
الثّامنة	بحث عميق بيانيّ.	٨١
التّاسعة	إعجاز السّورة.	١٥١
العاشرة	حول التّكرار ...	١٥٨

		رقم الصّفحة
الحادية عشر	حول التناسب...	١٦٨
الثّانية عشر	بحث في النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.	١٨٣
الثّالثة عشر	تحقيق عميق في الأقوال وبيان المختار منها...	١٨٤
الرّابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل.	٢٥٢
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني.	٣٤٨
السّادسة عشر	بحث روائيّ.	٣٦٣
السّابعة عشر	بحث إستدلاليّ فقهيّ.	٤٠٢
الثّامنة عشر	بحث عميق مذهبيّ.	٤١٠

الفصل الثّاني: في مواضيع الحكم القرآنيّة والمعارف الإسلاميّة المبحوث عنها في سورة فاطر وفي الفصل أربعة وعشرون أمراً:

		رقم الصّفحة
الأوّل	بحث علميّ في اشتقاق الملآئكة ومعناها.	٤٣٤
الثّاني	القرآن الكريم وخلق الملائكة.	٤٣٨
الثّالث	نظرات في حقيقة الملائكة وآرآء في ماهيّتهم...	٤٤٦
الرّابع	تحقيق عميق علميّ قرآنيّ وروائيّ في نزول جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بصورة دحية الكلبي.	٤٦٠
الخامس	هل يستطيع الإنسان آن يرى الملائكة؟ وهل يمكن أن تكون الملائكة في أماكن مختلفة آناً واحداً؟	٤٧٥
السّادس	بحث قرآنيّ وروائيّ في كثرة الملآئكة وأجنحتهم...	٤٨٠
السّابع	كلام في أصناف الملائكة وأوصافهم...	٤٨٧
الثّامن	بحث عميق علميّ قرآنيّ في درجات الملائكة...	٤٩٥
التّاسع	تحقيق عميق علميّ في حكمة رسالة الملائكة وعصمتهم.	٥٠٥
العاشر	بحث قرآنيّ في اعتراض الملائكة على السّجدة لآدم! وهل كان إبليس من جنس الملائكة؟	٥١٠
الحاديعشر	كلام عميق قرآنيّ وروائيّ في صلوات الملائكة وتسبيحهم.	٥١٩
الثّاني عشر	كلام في نوم الملائكة وأكلهم وشربهم.	٥٢٥
الثّالث عشر	بحث عميق علميّ في المفاضلة بين الملائكة والأنبيآء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.	٥٢٩
الرّابع عشر	بحث روائي في نزول الملائكة والرّوح على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.	٥٣٥

رقم الصّفحة

الخامس عشر	كلام دقيق في حكمة الإيمان بالملآئكة.	٥٤٢
السّادس عشر	تحقيق عميق علميّ في المفاضلة بين الإنسان والملائكة وتكاليفهم...	٥٤٦
السّابع عشر	الملائكة وحفظة الأعمال...	٥٥٨
الثّامن عشر	الملآئكة الموكّلون بالإنسان.	٥٦٣
التّاسع عشر	بحث قرآنيّ في دعآء الملآئكة واستغفارهم وشفاعتهم للمؤمنين.	٥٦٧
العشرون	كلام في نزول الملآئكة على المؤمنين والمرضىٰ...	٥٧٠
الواحد والعشرون	رؤية المحتضر ملك الموت وأعوانه...	٥٧٤
الثّاني والعشرون	بحث روائيّ في نزول الملآئكة على الموتى وأهلهم...	٥٨١
الثّالث والعشرون	كلام قرآنيّ وروائيّ في موت الملآئكة، وملك الموت.	٥٨٦
الرّابع والعشرون	حياة الملآئكة بعد موتهم، وتكاليفهم وتنعّمهم وتهنئتهم على المؤمنين في الجنّة.	٥٩٢

فهرس ما جآء في تفسير سورة يـس

يدور البحث حولها على فصلين:

الأوّل: في عناوين تفسير السّورة، وفيها ثمان عشرة بصيرة:

		رقم الصّفحة
الاولى	فضل السّورة وخواصّها...	٦٠٤
الثّانية	غرض السّورة وهدفها.	٦١٣
الثّالثة	حول النّزول...	٦١٦
الرّابعة	القرآءة ووجهها...	٦٢٣
الخامسة	الوقف والوصل ووجههما...	٦٣٢
السّادسة	حول اللّغة.	٦٣٥
السّابعة	بحث نحويّ.	٦٤٧
الثّامنة	بحث عميق بيانيّ.	٦٨٧
التّاسعة	إعجاز السّورة.	٧٦٨
العاشرة	حول التّكرار.	٧٧٨

		رقم الصّفحة
الحادية عشر	حول التّناسب...	٧٨٣
الثّانية عشر	بحث في النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.	٧٩٨
الثّالثة عشر	تحقيق عميق في الأقوال وبيان المختار منها...	٧٩٩
الرّابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل.	٨٨٧
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني...	٩٨٠
السّادسة عشر	بحث روائيّ	٩٩٨
السّابعة عشر	بحث دقيق إستدلاليّ فقهيّ.	١٠٣٣
الثّامنة عشر	بحث عميق مذهبيّ.	١٠٣٨

الفصل الثّاني: في مواضيع الحكم القرآنيّة والمعارف الإسلاميّة المبحوث عنها في سورة يس وفي الفصل بصيرة واحدة وفيها سبعة امور:

		رقم الصّفحة
الأوّل	تحقيق عميق علميّ قرآنيّ في قصّة حبيب النّجار البَطل وحكمتها.	١٠٥٠
الثّاني	بحث تاريخيّ وجغرافيآئيّ حول مدينة أنطاكية كبيرة وإرسال الرّسل الثّلاثة إليها.	١٠٥٨
الثّالث	كلام في لقآء الرّسولين مع حبيب النّجار وايمانه بهما.	١٠٦٢
الرّابع	بحث دقيق إجتماعيّ، وأخلاقيّ وإعتقاديّ في حبيب النّجار وحماية المرسلين...	١٠٦٦
الخامس	للمؤمنين في حبيب النّجار أسوة حسنة وشهادته في طريق السّعادة.	١٠٧٠
السّادس	تحقيق علميّ في التّشابه بين أهل مدينه أنطاكية، وبين أهل امّ القرىٰ مكّة المكرّمة.	١٠٧٢
السّابع	طغيان أصحاب القرية وعذاب أهلها...	١٠٧٥